الإتقان في علوم القرآن

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

منشورات
رضي - بيدار - عزيزي

Suyūṭī

الإتقان في علوم القرآن

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الأول

١

منشورات
رضي - بيدار - عزيزي

الكتاب	الاتقان فى علوم القرآن
المؤلّف	جلال الدين الاسيوطى
المحقّق	محمّد أبوالفضل ابراهيم
الطبعة	الثانية
التأريخ	١٣٦٣ـ هـ ـ ش
الجزء	الأول والثانى
عدد الصفحات	٨٠٠
الناشر	منشورات الرضى ـ بيدار
المطبعة	مطبعة أمير
عدد النسخ	١٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

١ ـ جلال الدين السيوطى

لم يكد ينتصف القرن السابع الهجرىّ حتى وقعت الأُمّة الإسلامية فى مَوْجة من الضّعف والتخاذل والانحلال ، وتوالت عليها الأحداث . تهزُّ كيانها . وتقوّض بنيانها ، وتوشِكُ أن تقضى على حضارة مؤثّلة عتيدة .... سقطت الخلافة العباسية ببغداد وأتى هُولاكو فيها من منكرَات الأُمور وفظائع التخريب مالا ينساه التاريخ،ثم انحازت العراق وفارس إلى المغول . وآل الأمر فى اليمن إلى إماراتٍ صغيرة ؛ فى عدن وزَبيد وصنعاء ، وانتهت حكومات المغرب إلى دويلات يحارب بعضها بعضًا . وفى الأندلس أخذ ظلّ الإسلام ينحسر عن هذه البلاد ، إلى أن انجلى عنها فى صورة حزينة مؤلمة .

ولكن لأمر أراده الله لحفظ كتابه وحماية دينه . قامت مصر والشام . فحملتا لواء الزعامة الإسلامية . وأخذتا بزمام الحركة العلمية والأدبية .وأصبحتا الملجأ الوحيد لأبناء هذا اللسان ، فى مملكة واحدة ؛ حاضرتها القاهرة ولغتها العربية ، وغايتها حماية الدين والملّةِ ؛ فوجدوافيها الحرَم الآمن . والظلّ الوارف . والمورد العذب السائغ ، ولم يجد الملوك الأيوبيون والأُمراء من المماليك . ما يوطّد سلطانهم ، ويمكنّ لحكمهم ، إلا أن يعظّموا الدين وأهله ؛ ويأْخذوا بيد العلم .

ويرفعوا من قدر العلماء ، فأسسوا المدارس والمعاهد ، وأقاموا الرُّبُطَ والخَوانق ، وأرصدوا الأموال والضِّياع لطلاب العلم والمعرفة ، وأنشئوا دور الكتب ، وجلبوا إليها أنفس الكتب والمصنَّفات ، وأصبحت القاهرة والإسكندرية وأسيوط وقوص ودمشق وحلب وحمص تموج بأعيان العلماء ، من الفقهاء والأدباء والمؤرخين والشعراء ، وأصحاب المعاجم ومؤلفى الموسوعات ؛ وكان منهم ابن خَلِّكان ، وابن منظور والصفدىّ ، وابن نباتة ، والنويرى ، والعمرى ، وابن تيمية ، والسخاوى ، والمقريزى وغيرهم ؛ من جهابذة العلم وأعيان المحققين

فى هذا العصر الزاهى الزاخر بألوان المعارف والفُنون والآداب ، نشأ عالمُنا الجليل جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر السيوطىّ ، أحد أفراد الدّهر علما وتصنيفا ، وإمام وقته شهرة وذيوعًا ، وكانت نشأته وحياته كما أوردها فى كتابه حسن المحاضرة :

« كان مولدى بعد المغرب ليلة الأحد ، مستهلّ رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، وحُمِلتُ فى حياة أبى إلى الشيخ أبى محمد المجذوب — رجل كان من كبار الأولياء بجوار المشهد الحسينىّ — فبارك علىّ ، ونشأتُ يتيما ، فحفظت القرآن ولى دون ثمان سنين ، ثم حفظت العمدة ومنهاج الفقه والنَّحو على جماعة من الشيوخ ، وأخذت الفرائض عن العلامة فرضى زمانه الشيخ شهاب الشارمساحىّ ، الذى كان يقال له : بلغ السنّ العالية ، وجاوز المائة بكثير ، قرأتُ عليه شرحه ، وأُجِزتُ بتدريس العربيّة فى مستهلّ سنة ست وستين وثمانمائة . وقد ألّفت فى هذه السنّ ، فكان أول شىء ألفتُه شرح الاستعاذة والبسملة ، وأوقفتُ عليه شيخَنا علم الدين البلقينىّ ، فكتب عليه تقريظا ، ولازمته فى الفقه إلى أن مات ، فلزمتُ ولده ، وقرأتُ عليه من أوّل التدريب لوالده إلى الوَكالة ، وسمعت من أوّل الحاوى الصغير إلى العَدد ، ومن أول

المنهاج إلى الزكاة ، ومن أول التنبيه إلى الزكاة ، وقطعة من الرّوضة من باب القضاء، وقطعة من تكملة شرح المنهاج للزركشى ، ومن إحياء الموات إلى الوصايا أو نحوها ، وأجازنى بالتدريس والإفتاء من سنة ستّ وسبعين وثمانمائة ، وحضر تصديرى . ولمّا توفى سنة ثمان وسبعين وثمانمائة ، لزمتُ شيخ الإسلام شرف الدين المناوىّ ، فقرأت عليه قطعةً من المنهاج ، وسمعتُه عليه فى التقسيم ، إلّا مجالس فاتتنى ، وسمعت عليه دروسًا من شرح البَهجة ومن حاشيته عليها ، ومن تفسير البيضاوى ، ولزمت فى الحديث والعربية شيخنا الإمام العلامة تقىّ الدين الشبلىّ الحنفى ، فواظبته أربع سنين . ولم أنفكّ عن الشيخ إلى أن مات . ولزمت شيخنا العلامة أُستاذ الوجود محيي الدين الكافِيَجى أربع عشرة سنة ، فأخذت عنه الفنون من التفسير والأُصول والعربيّة والمعانى وغير ذلك ، وكتب لى إجازة عظيمة . وحضرتُ عند الشيخ سيف الدين الحنفىّ دروسًا عديدة فى الكشاف والتوضيح وحاشية عليه وتلخيص المفتاح والعَضُد . وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتَّكرور . ولمّا حججتُ شربتُ من ماء زمزم لأُمور ، منها أن أصل فى الفقه إلى رتبة الحافظ ابن حَجَر . وعقدتُ مجالس إملاء الحديث من مستهلّ سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة . ورُزِقتُ التبحُّر فى سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعانى ، والبديع ، والبيان ؛ على طريق العرَب والبلغاء ؛ لا على طريق العجم وأهل الفلسفة ، والّذى أعتقده أنّ الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التى اطلعت عليها لم يصلْ إليها أحدٌ من أشياخى فضلاً عمّن دونَهم ؛ وأمّا الفقه فلا أقول فيه ذلك ، بل شيخى فيه أوسع نظرًا ، وأطوع باعًا ... »

ثم أخذ يعدد كتبه إلى حين تأْليف كتابه ؛ فذكر منها ثلاثمائة كتاب

(سوى ما غسله وتاب عنه) فى التفسير والقراءات والحديث والفقه والأجزاء المفردة والعربية والآداب . وقد عدّ له الأستاذ بروكلمان ٤١٥ مؤلفًا بين مطبوع ومخطوط ، وذكر له الأستاذ فلوغل والأستاذ جميل العظم قريبا من هذا العدد ، وقال ابن إياس : « بلغت مؤلفاته ٦٠٠ مؤلف » .

وأيًا كان الخلاف فى عدد هذه الكتب ، فإنها فى مجموعها قد تناولت فروعَ الثقافة الإسلامية والعَربيّة جميعا ، وحُفِظ فيها من منقول الكتب من أقْوَال العلماء والشرّاح ما لم يُنقَلْ إلينا عن طريق سواها .

وقد أثارت المنزلة الكريمة التى نالها السيوطى فى حياته ، ووفْرة فتاويه وأماليه ومصنّفاته ، خصومةً بينه وبين منافسيه من أقرانه ، وعرّضَتْه لمختلف الطعون ، ورُمى بالسّطو على كتب المكتبة المحمودية ، وادعائها لنفسه ، بعد أن غيّر فيها وبدل ، وقدّم وأخّر ؛ وكان على رأس هؤلاء شمس الدين السخاوىّ المؤرخ فيما كتب عنه فى كتابه الضّوء اللامع ؛ ثم مَنْ جرى فى شوْطه كبرهان الدين بن زين الدين المعروف بابن الكركى ؛ وأحمد بن الحسن المكى المعروف بابن العُليفُ ، وأحمد بن محمد القسطلانى ؛ ومن لَفّ لفّهم . وقد انتصر السيوطىّ لنفسه فى عدّة كتب . منها كتاب الكاوى على تاريخ السخاوى ، والجواب الزكى عن قمامة ابن الكركى ، والقول المجمل فى الردّ على المهمل ، والصارم الهندى فى عنق ابن الكركى . كما انتصر له أمين الدين الأقصرائى وزين الدين قاسم الحنفى وسراج الدين العبادى والفخر الديمىّ وكثير من تلاميذه ومُريديه .

وقد كانت خصومةً جرت على غير السَّنَن المستقيم ، إلا أن السيوطىّ خرج منها سليما معافى ، وحسبه من الفضل تلك المصنَّفات العالية الذُّرَى ، الشامخة

البنيان ، والتى لم يتطرّق الشّك فى نسبتها إليه ، كالمزهر فى اللغة ، والاقتراح وجمع الجوامع والأشباه والنظائر فى النحو وأصوله ، وحسن المحاضرة وتاريخ الخلفاء وبغية الوعاة فى التاريخ والتراجم ، والدرّ المنثور فى التفسير ، والجامع الصغير فى الحديث ، إنها كتب تجعله فى الكوكبة السامية من أعيان الزمان

وقد شُغل السيوطى بجانب عمله فى التصنيف والتأليف؛ ببعض الوظائف ، تولّى منصب الإفتاء زمانا ، ودرّس بالمدرسة الشيخونيّة ، ثم بالمدرسة البيبرسيّة . وحينما تقدّمت به السنّ أخلد إلى الراحة ، وعزَف عن الأسفار ، واعتزل الناس فى منزله بالرّوضة ، متجرّدًا للعبادة والتصنيف ، وألف كتابه الذى سماه : « التنفيس عن الفتيا والتدريس » .

وكان رحمه الله إلى جانب عِلْمِه ووفرة محصوله ، عفيفًا كريمًا ، صالحًا تقيًا رشيدا ، لا يَمُدُّ يدَه إلى سلطان ، ولا يقف من حاجة على باب أميرٍ أو وزير ؛ رُوِى أن السُّلطان الغورىّ أرسل إليه مَرّةً عَبْدًا وألف دينار ، فردّ الدنانيرَ وأخذ العبد وأعتقه ، وجعله خادمًا فى الحجرة النبوية .

وكان الأُمراء والوزراء يأتون لزيارته ، وَيَعْرِضون عليه أعطياتهم وهباتهم فيردّها ، قال صاحب السَّنا الباهر بتكميل النور السافر : ولما مات لم يتعرّض أحدٌ لتركته ، مع أن الزمن كان زمن جَوْر . وقال السلطان الغورىّ : لم يقبل الشيخ منّا شيئا فى حياته . فلا نتعرّض لتركته بعد مماته .

وفى سحر يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأُولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة تُوفِّىَ ذلك الإمام الكبير ، ودفن بحوش قوصون خارج باب القرافة فى القاهرة ، بعد أن سارت كتبه مع الركبان ، وتُسومع بذكره فى كل مكان .

٢ ـ كتاب الإتقان فى علوم القرآن

وكتابه الإتقان فى علوم القرآن ، هو الحلقة الذهبية فى سلسلة كتب الدراسات القرآنية ؛ أحسنُها تصنيفا وتأْليفا ، وأكثرها استيعابا وشمولا ، جمع فيه من أشتات الفوائد ، ومنثور المسائل مالم يجتمع فى كتاب .

ولم تكن هذه الدراسات قد اتخذت وضعا مستقلاً فى العصور الإسلامية الأُولى ، وإنما وردتْ متفرقة فى روايات المحدِّثين وأقوال العلماء ، ومقدِّمات كتب المفسِّرين ، كالطبرى والزمخشرى والحوفى ، وابن عطيّة والقرطبى . وجاء قدْرٌ منها فى كتب البلاغة والنّقد ؛ كدلائل الإعجاز وأسرار البلاغة والصناعتين ونقد النثر ومفتاح العلوم ، ومثلها فى كتب الجدل والمناظرات ، كالانتصار للباقلانى والمغنى للقاضى عبد الجبار ، ومثلها أيضا فى كتب القراءات والرسم والأحكام ، مما ذكره الكواشى والكيا الهراسى والجعبرى والنّووى وابن الجزرى فى كتبهم التى صنفوها .

وأول كتاب صُنِّف مستقلاً فى هذا الفنّ ؛ كتاب البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى ، أحد فقهاء الشافعية فى القرن الثامن ، جمع فيه عُصارة أقوال المتقدمين ، وصفوة آراء العلماء المحققين ، وجعله فى سبعة وأربعين بابا ؛ فى أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وأنواع القراءات وصنوف الرسم ودلائل الإعجاز ، وغيرها . وظل هذا الكتاب بعيدا عن أنظار العلماء حتى المتقدمين منهم زمانا .

ثم جاء الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان العسقلانى أحد علماء الحديث بمصر ، والمتوفى بها سنة ٨٢٤ هـ ، فوضع كتابا سماه « مواقع العلوم من مواقع النجوم » أداره على فصول محدُودة فى أسباب النزول ورجال

السند وطرق الأداء والألفاظ المتعلقة بها ، ثم المعانى المتعلقة بالأحكام . ثم قام الإمام محيي الدين الكافيجيّ ، فدوّن كتابًا لطيفا فى هذا الشأن ، ذكر فيه جملا من التفسير والتأويل وطرفًا من آداب العالم والمتعلم ،وهذان الكتابان رآهما السيوطى وقال : « إنّ ما ورد فيهما لم يشف غليلا ،ولم يهد إلى المقصود سبيلا »

ثمّ جاء الجلال السيوطىّ وأحسّ أن هناك أنواعًا فى هذا الفنّ لم يتسنّ لأحد من العلماء الكلام عليها ، ومهمّات وفوائد لم يَقْصد أحد إليها ، فجرّد الهمة لتأليف كتابٍ استوفَى فيه الأبواب والفُصُول ، وذيّل كل نوع بما شاء من المسائل والفروع ، وسماه كتاب « التحبير فى علوم التفسير » ، أدارد على أكثر من مائة باب .

ثم بدا له بعد تأليفه أن يأخذ هذا الكتاب بالتنقيح والتهذيب ، ويدمج بعض الأبواب فى بعض ، ويضيف إليه ما عنّ له منها ، ويوشّيه بما وقع له بعد ذلك من متشعّب الأغراض ومختلف المعارف ، وينزهه عن اللبس والغموض ، وينأى به عن الإبهام والتعقيد ؛ فكان هذا الكتاب الذى سماه : « الإتقان فى علوم القرآن » ، وجعله مقدّمة لكتابه فى التفسير الذى سماه « مجمع البحرين ومطلع البدرين » ، وجعله فى ثمانين بابا ، ذكر أنها على سبيل الإدماج ، ولو نُوّعَتْ باعتبار ما أدْمجه فى ضمنها لأوفى عددها على الثلاثمائة .

وقد ذكر فى مقدمة الكتاب مئات الكتب التى استمدّ منها مادّة كتابه ، على حسب منهاجه فى كثير من كتبه ، كما فعل ذلك فى مقدمة « حسن المحاضرة » ومقدمة « بغية الوعاة » ومقدمة « الجامع الصغير » وتؤلف مراجع الإتقان دائرة من المعارف الإسلامية فى التفسير والحديث والفقه واللغة والقراءات والرسم والأحكام والتاريخ .

بدأ الكتاب بالكلام على المدنى والمكىّ ، ثم الكلام على الحضرىّ والسفرى ، ثم النهارىّ والليلىّ ، والنّاسخ والمنسوخ ، وأسباب النزول ، وأنواع القراءات ، وآداب حمل القرآن وحفظه ، وهكذا مضى فى الأبواب إلى أن ختمها بالنوع الثمانين فى طبقات المفسّرين .

وطريقته فى التصنيف ، أن يذكر عنوان الموضوع ، ويذكر أشهر من ألف فيه ، ثم يشفعه بفائدة معرفته ، وأهميّته فى تفهم القرآن وتفسير معانيه ، ثم يذكر مسائله ، وما عساه أن يكون لها من فروع وذيول ، مستشهدا فى كل ذلك بالقرآن أو الحديث أو أقوال العلماء ، وينقل نصوصا من الكتب التى ألفت فيه ، فصولا كاملة أو مختصرا منها ، وكثيرا ما يذيل هذه الأبواب برأيه بعد أن يورد كلمة : « قلت » ، فهو مثلا يقول فى النوع التاسع فى معرفة أسباب النزول :

« أفرده بالتصنيف جماعة ، أقدمهم علىّ بن المدينىّ شيخ البخارىّ ، ومن أشهرها كتاب الواحدى على ما فيه من إعواز ؛ وقد اختصره الجعبرىّ ، فحذف أسانيده ، ولم يزد عليه شيئا ، وألّف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتابا مات عنه مسوّدة ، لم نقف عليه كاملا ، وقد ألّفت فيه كتابا حافلا موجزا محرّرا ، لم يؤلف مثله فى هذا النوع ، سميته : « لباب النقول فى أسباب النزول » .

ثم يقول : « قال الجعبرى : نزل القرآن على قسمين : قسم نزل ابتداء ، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال ، ثم يمضى فى ذكر فائدة هذا الباب ، ويردّ على من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ ، ثم يذكر طائفة من أسباب النزول ويذكر الآيات ، وأقوال العلماء والمفسّرين ، وينهى الباب بقوله : « تأمل ما ذكرته لك فى هذه المسألة ، واشدد به يديك ، فإنى حرّرته واستخرجته

بفكرى من استقراء صنيع الأئمة ومتفرّقات كلامهم ، ولم أُسبق إليه » .

وعلى هذا النسق وما يشبهه يمضى فى أبواب الكتاب .

ومن خير ما امتاز به كتاب الإتقان ، أنه أورد فيه كثيرا من نصوص الكتب التى لم تقع لنا ، من كتب الجعبرى والباقلانى والكيا الهراسى والزَّملكانى وابن الأنبارىّ وغيرهم بعد أن نثرها متفرقة فى الفصول والأبواب .

ويؤخذ على السيوطى أنه أورد فى الكتاب كثيرا من الروايات الضعيفة والأحاديث التى لم تثبت صحتها عند المحدثين ، ولكنه أوردها بإسنادها ، وإن كان فى ذكر السند ما يميز الصحيح من الضّعيف عند العلماء .

وفى الجملة فإن كتاب الإتقان بما حواه من معارف وفنون ، وما جمع فيه من أخبار وأقوال ـ يعدّ بحق من أكرم الذخائر وأنفس الأعلاق .

٣ ـ تحقيق الكتاب

وقد كان هذا الكتاب من أوائل الكتب التى طبعت فى القرن الماضى ، طبع فى كلكتا سنة ١٢٧١هـ ، وطبع بمصر سنة ١٢٧٨هـ ؛ وبالمطبعة الكاستلية سنة ١٢٧٩هـ ، وبمطبعة عثمان عبد الرازق سنة ١٣٠٦هـ ؛ وبالمطبعة الميمنية سنة ١٣١٧هـ ، وبالمطبعة الأزهرية سنة ١٣١٨هـ ... ثم توالت طبعاته .

وأصح هذه الطبعات طبعة الكاستلية ، امتازت بما ألحق بها من تصحيحات وتعليقات من وضع الشيخ نصر الهورينى ، وتقع فى ١٢ صفحة .

وحينما عزمت على تحقيق هذا الكتاب تهيّأ لى الحصول على نسخة جيدة نفيسة مصورة عن أصلها المخطوط بالمكتبة الآصفية بحيدرآباد بالهند برقم ١٦٣ـ تفسير ، وهى ممّا صوره معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية من نفائس

الكتب ونوادر المخطوطات ، نسخها الإمام جرامرد الناصرى الحنفىّ ، تلميذ السيوطى وراوى كتبه ، كتبها سنة ٨٣٣ هـ ، ثم قرأها على السيوطى ؛ وأجازه بها ، وهذا نص إجازته :

« الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ؛ وبعد فقد سمع علىّ جميع هذا الكتاب تأليفى صاحبه وكاتبه الفاضل المتقن المشتغل المحصل الضابط ، نادرة أبناء جنسه جرامرد الناصرى المقرئ نفعه الله ونفع به ، وزاده فضلا وعلما على ما أتى ، وقد أجزت له أن يرويه عنى وجميع مروياتى ومؤلفاتى . وكتب عبد الرحمن السيوطى فى ذى القعدة سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه » .

وتعدّ هذه النسخة ـ باعتبار أن كاتبها من الضابطين ؛ وأنه قرأها على المؤلف ، وعليها خط السيوطى وإجازته ـ من أنفس المخطوطات وأتقنها وأندرها .

وتقع فى ٤٧٢ صفحة ، فى كل صفحة ٢٩ سطرًا وفى كل سطر ٢٠ كلمة تقريبا ، وقد ضبطت ضبطا صحيحا متقنا .

وقد اتخذتها أصلا فى التحقيق ، كما رجعت إلى المطبوعة الكاستلية المذيلة بتصحيحات الشيخ نصر الهورينى وتعليقاته ، وذلك لما عساه أن يكون أصلها قد قوبل على نسخة أخرى نفيسة ، وقد رمزت لها بالحرف (ط) .

هذا وقد عنيت عناية كبرى بتحرير النص وتحقيقه ، والتعريف ببعض الكتب والأعلام ، كما عنيت بعمل فهارسه الفنية ، على قدر ما وسع الجهد ووقع التوفيق .

وأسأل الله هداية ورشدا ، بمنه وكرمه .

محمد أبو الفضل إبراهيم

مصر الجديدة فى : ٢٥ ربيع الثانى سنة ١٣٨٧ هـ
١ أغسطس سنة ١٩٦٧ م

الإتقان في علوم القرآن

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

(١ يقول سيدنا وشيخنا الإمام العالم العلامة البحر الفهامة ، الرُّحلة جلال الدين ، نجل سيدنا الإمام العالم العلامة كمال الدين السيوطىّ الشافعىّ ، فسح الله فى مدته ١) :

الحمدُ لله الّذى أنزل على عبده الكتاب ، تبصرةً لأُولى الألباب ، وأودعه من فنون العلوم والحِكم العجَب العُجاب ، وجعله أجلَّ الكتب قدرًا ، وأغزرها علما ، وأعذبها نظما وأبلغها فى الخطاب ، قرآنا عربيًّا غير ذى عِوَجٍ ولامخلوق ، لا شبهة [٢] فيه ولا ارتياب .

وأشهد أن لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ربّ الأرباب ، الذى عنَتْ لقيّوميّته الوجوه وخضعت لعظمته الرِّقاب .

وأشهد أنّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله المبعوث من أكرم الشعوب وأشرف الشِّعاب ، إلى خير أُمّة بأفضل كتاب . صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب : صلاة وسلامًا دائميْن إلى يوْم المآب .

وبعد ، فإنّ العلم بحر زخّار ، لا يُدرَك له من قرار ، وطوْد شامخ لا يُسلك إلى قُنّته ولايُصار ، مَنْ أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولا ،

(١ ـ ١) كذا فى الأصل ، وفى ط : « قال الشيخ الامام العالم العلامة ، الحبر البحر الفهامة ، المحقق المدقق الحجة الحافظ المجتهد شيخ الاسلام والمسلمين ، وارث علوم سيد المرسلين ، جلال الدين أوحد المجتهدين ، أبو الفضل عبد الرحمن بن سيدنا الشيخ المرحوم كمال الدين، عالم المسلمين، أبو المناقب أبو بكر السيوطى الشافعى » .

(٢) ط : « ولا شبهة » .

ومَنْ رام الوصول إلى إحصائه لم يجدْ إلى ذلك سبيلا ، كيف وقد قال تعالى مخاطبا لخلقهِ : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (١) . وإنَّ كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها ، ودائرة شمسها ومطلعها ، أودعَ فيه سبحانه وتعالى علم كلّ شيء ، وأبان فيه كلّ هدْيٍ وغيّ ، فترى كلّ ذى فن منه يستمدّ وعليه يعتمد ، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ، ويستخرج حكم الحلال والحرام . والنّحويّ يبنى منه قواعد إعرابه ، ويرجع إليه فى معرفة خطأِ القول من صوابه . والبيانيّ يهتدى به إلى حسن النظام ، ويعتبر مسالك البلاغة فى صوغ الكلام . وفيه من القصص والأخبار ما يذكِّر أولِي الأبصار . ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار ، إلى غير ذلك من علوم لايقدر قدرَها إلَّا مَنْ علم حصرها . هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب ، تبهر العقول وتسلب القلوب ، وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علاّم الغيوب .

ولقد كنت فى زمان الطلب أتعجّب من المتقدّمين إذْ لم يدوّنوا كتابًا فى أنواع علوم القرآن ، كما وضعوا ذلك بالنِّسبة إلى علم الحديث ، فسمعت شيخنا أستاذ الأُستاذين ، وإنسان عين الناظرين ،خلاصة الوجود علامة الزمان ، فخر العصر وعين الأوان ، أبا عبد الله محيي الدين الكافيَجيَّ (٢) – مد الله فى أجله ، وأسبغ عليه ظله – يقول : قد دونتُ فى علوم التفسير كتابًا لم أُسْبَق إليه ؛ فكتبته عنه فإذا هو صغير الحجم جدًّا ، وحاصل ما فيه بابان : الأول فى ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسُّورة والآية . والثانى فى

---

(١) سورة الاسراء ٨٥ .

(٢) هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومى الحنفى ، من كبار العلماء بالمعقولات ، لازمه السيوطى أكثر من ١٤ عاما ، وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية فى النحو ، وولى وظائف بمصر منها مشيخة الخانقاه الشيخونية وانتهت اليه رياسة الحنفية بمصر . توفى سنة ٨٧٩ هـ – شذرات الذهب ٧ : ٣٢٦ .

شروط القول فيه بالرأى ، وبعدهما خاتمة فى آداب العالم والمتعلّم ، فلم يشفِ لى ذلك غليلا ، ولم يهدِنى إلى المقصود سبيلا .

ثم أوقفنى شيخنا شيخ مشايخ الإسلام قاضى القضاة وخلاصة الأنام حامل لواء المذهب المُطلبىّ علَمُ الدّين البُلْقِينى رحمه الله تعالى : على كتاب فى ذلك لأخيه قاضى القضاة جلال الدين (١) . سمّاه « مواقع العلوم من مواقع النجوم » ، فرأيته تأليفًا لطيفا ، ومجموعا ظريفا ، ذا ترتيبٍ وتقرير ، وتنويع وتحبير . قال فى خطبته :

قد اشتهرتْ عن الإمام الشافعىّ رضى الله عنه مخاطبةٌ لبعض خلفاء بنى العبّاس ، فيها ذكْر بعض أنواع القرآن . يحصل منها لمقصدنا الاقتباس . وقد صنّف فى علوم الحديث جماعةٌ فى القديم والحديث ، وتلك الأنواع فى فى سنده دون متنه ، وفى مُسنديه (٢) وأهل فنّه ، وأنواع القرآن شاملة وعلومه كاملة . فأردت أن أذكر فى هذا التصنيف ما وصل إلى علمى ، ممّا حواه القرآن الشريف ، من أنواع علمه المنيف ، وينحصر فى أمور :

(الأول) : مواطن النزول وأوقاته ووقائعه ، وفى ذلك اثنا عشر نوعا : المكىّ ، المدنىّ ، السفرىّ ، الحضرىّ ، الليلىّ ، النهارىّ ، الصيفى ، الشتائى ، الفراشى والنومى ، أسباب النزول . أوّل ما نزل ، آخر ما نزل .

(الأمر الثانى) : السّند ، وهو ستة أنواع : المتواتر ، الاحاد ، الشاذ ، قراءات النبىّ صلى الله عليه وسلم، الرّواة ، الحُفّاظ .

---

(١) هو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكنانى، العسقلانى ، ابو الفضل جلال الدين ، من علماء الحديث بمصر ، واليه انتهت رياسة الفتوى ، وولى القضاء بالديار المصرية مرارا ، مات بالقاهرة سنة ٨٢٤ هـ — سلك الدرر ٢ : ٣٠٨ . وفى حاشية الأصل: «البلقينى، بضم الباء وسكون اللام وكسر القاف ، ضبطه كذلك فى كتابه الموضوع فى الأنساب ، وقد سمعته منه ».

(٢) ط : «أوفى مسنديه» .

(الأمر الثالث) : الأداء ، وهو ستة أنواع : الوقف ، الابتداء ، الإمالة ، المدّ ، تخفيف الهمزة ، الإدغام .

(الأمر الرابع) : الألفاظ ، وهو سبعة أنواع : الغريب ، المعرّب ، المجاز ، المشترك ، المترادف ، الاستعارة ، التشبيه .

(الأمر الخامس) : المعاني المتعلقة بالأحكام ، وهو أربعة عشر نوعا : العامّ الباقي على عمومه ، العامّ المخصوص ، العام الذى أريد به الخصوص ، ما خصّ فيه الكتابُ السّنة ، ما خصّصت فيه السنّة الكتاب ، المجمل ، المبيّن[(١)] المؤول ، المفهوم ، المطلق ، المقيّد ، الناسخ والمنسوخ ، نوع من الناسخ والمنسوخ ، وهو ما عمل به من الأحكام مدّة معيّنة والعامل به واحد من المكلفين.

(الأمر السادس) : المعانى المتعلّقة بالألفاظ ، وهو خمسة أنواع : الفصل ، الوصل ، الإيجاز ، الإطناب ، القصر .

وبذلك تكمّلت الأنواع خمسين . و من الأنواع ما لا يدخل تحت الحصر : الأسماء ، الكنى ، الألقاب ، المبهمات .

فهذا نهاية ما حصِر من الأنواع .

* * *

هذا آخر ما ذكره القاضى جلال الدين فى الخطبة ؛ ثم تكلّم فى كل نوع منها بكلام مختصر يحتاج إلى تحرير وتتمّات وزوائد مهمات. فصنّفت فى ذلك كتابًا سمّيته « التحبير فى علوم التفسير » ، ضمّنته ما ذكر البُلقينى من الأنواع مع زيادة مثلها ، وأضفت إليه فوائد سمحت القريحة بنقلها ، وقلت فى خطبته :

(١) حاشية الأصل من نسخة : « الظاهر » .

أما بعد فإن العلوم وإن كثر عددها ، وانتشر فى الخافقين مَدَدُها ، فغايتها بحرٌ قعره لا يُدرَك ، ونهايتها طَوْدٌ شامخ لا يستطاع إلى ذروته أن يُسلَك ، وهذا يفتَح لعالِم بعد آخر من الأبواب ما لم يتطرق إليه من المتقدمين الأسباب .

وإن مما أهمل[1] المتقدمون تدوينه حتى تحلى فى آخر الزمان بأحسن زينة ، علم التفسير الذى هو كمصطلح الحديث ، فلم يدوّنه أحدٌ لا فى القديم ولا فى الحديث ، حتى جاء شيخُ الإسلام وعمدة الأنام ، علاّمة العصر ، قاضى القضاة جلال الدين البُلْقِينِيّ رحمه الله تعالى ، فعمل فيه كتابَه « مواقع العلوم من مواقع النجوم » ، فنقَّحه وهذَّبه ، وقسَّم أنواعه ورتَّبه ، ولم يُسبَق إلى هذه المرتبة ، فإنه جعله نيِّفًا وخمسين نوعا منقسمة إلى ستة أقسام ، وتكلَّم فى كلّ نوعٍ منها بالمتين من الكلام ، فكان كما قال الإمام أبو السعادات ابن الأثير فى مقدّمة نهايته : كلّ مبتدئ لشىء لم يُسبَق إليه ، ومبتدع أمرًا[2] لمْ يتقدَّم فيه عليه ، فإنَّه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيرًا ثم يكبر[3] .

فظهر لى استخراجُ أنواع لم يسبِق إليها ، وزيادة مهمات لم يستوفِ الكلام عليها ، فجرّدت الهمة إلى وضع كتاب فى هذا العلم ، وأجمع بهِ إن شاء الله تعالىَ شوارده ، وأضمّ إليه فوائده ، وأنظم فى سلكه فرائده ؛ لأكون فى إيجاد هذا العلم ثانى اثنين ، وواحدًا فى جمع الشتيت منه كألفٍ أو كألفين ، ومصيِّرًا فنَّيِ التفسيرِ والحديثِ فى استكمال التقاسيم إلْفَيْن . وإذْ برز نَوْر أكمامه وفاح ، وطلع بدر كماله ولاح ، وأذَّن فجره بالصَّباح ، ونادى داعيه بالفلاح ، سميته بالتحبير فى علوم التفسير . وهذه فهرست الأنواع بعد المقدّمة :

---

(١) ط : « أهل » تحريف .

(٢) النهاية « لأمر » .

(٣) نهاية ابن الأثير ١ : ٥ .

النوع الأول والثانى : المكىّ والمدنىّ .

الثالث والرابع : الحضَرىّ والسَّفَرِىّ .

الخامس والسادس : النهارىّ والليلىّ .

السابع والثامن : الصَّيْفىّ والشتائىّ .

التاسع والعاشر : الفِراشىّ والنَّومىّ .

الحادِى عشر : أسباب النّزول .

الثانى عشر : أوّل ما نزل .

الثالث عشر : آخر ما نزل .

الرابع عشر : ما عرِف وقت نزوله .

الخامس عشر : ما أُنزل فيه ولم ينزل على أحد من الأنبياء .

السادس عشر : ما أُنزِل منه على الأنبياء .

السّابع عشر : ما تكرّر نزوله .

الثامن عشر : ما نَزَلَ مفرّقًا .

التاسع عشر : ما نزل جَمْعًا .

العشرون : كيفية إنزاله .

وهذه كلها متعلّقة بالنزول .

الحادى والعشرون : المتواتر .

الثانى والعشرون : الآحاد .

الثالث والعشرون : الشاذّ .

الرابع والعشرون : قراءات النبى صلى الله عليه وسلم .

الخامس والسادس والعشرون : الرواة والحفاظ .

السابع والعشرون : كيفيّة التّحمّل .

الثامن والعشرون : العالى والنّازل .

التاسع والعشرون : المسلسل ، وهذه متعلّقة بالسّند .

الثلاثون : الابتداء .

الحادي والثلاثون : الوقف .

الثاني والثلاثون : الإمالة .

الثالث والثلاثون : المدّ .

الرابع والثلاثون : تخفيف الهمزة

الخامس والثلاثون : الإدغام .

السادس والثلاثون : الإخفاء .

السابع والثلاثون : الإقلاب .

الثامن والثلاثون : مخارج الحروف ؛ وهذه متعلقة بالأداء .

التاسع والثلاثون : الغريب .

الأربعون : المعرّب .

الحادي والأربعون : المجاز .

الثاني والأربعون : المشترك .

الثالث والأربعون : المترادف .

الرابع والخامس والأربعون : المحكم والمتشابه .

السادس والأربعون : المشكل .

السابع والثامن والأربعون : المجمَل والمبيّن .

التاسع والأربعون : الاستعارة .

الخمسون : التشبيه .

الحادى والثانى والخمسون : الكناية والتعريض .

الثالث والخمسون : العام الباقى على عمومه .

الرابع والخمسون : العامّ المخصوص .

الخامس والخمسون : العامّ الذى أُريد به الخصوص .

السادس والخمسون : ماخصّ فيه الكتاب السنّة .

السابع والخمسون : ما خصت فيه السُّنة الكتاب .

الثامن والخمسون · المأوّل .

التاسع والخمسون : المفهوم .

الستون والحادى والستون : المطلق والمقيّد .

الثانى والثالث والستون : الناسخ والمنسوخ .

الرابع والستون : ما عمل به واحد ثم نسخ .

الخامس والستون : ما كان واجبا على واحد .

السادس والسابع والثامن والستون : الإيجاز والإطناب والمساواة .

التاســع والستون : الأشباه .

السبعون والحادى والسبعون : الفصل والوصل

الثانى والسبعون : القصر .

الثالث والسبعون : الاحتباك .

الرابع والسبعون : القول بالموجب .

الخامس والسادس والسابع والسبعون : المطابقة والمناسبة والمجانسة .

الثامن والتاسع والسبعون : التورية والاستخدام .

الثمانون : اللّف والنّشر .

الحادى والثمانون : الالتفات .

الثانى والثمانون : الفواصل والغايات

الثالث والرابع والخامس والثمانون	: أفضل القرآن وفاضله ومفضوله .
السادس والثمانون	: مفردات القرآن .
السابع والثمانون	: الأمثال .
الثامن والتاسع والثمانون	: آداب القارئ والمقرئ .
التسعون	: آداب المفسر .
الحادى والتسعون	: من يُقبل تفسيره ومن يُردّ .
الثانى والتسعون	: غرائب التفسير .
الثالث والتسعون	: معرفة المفسرين .
الرابع والتسعون	: كتابة القرآن .
الخامس والتسعون	: تسمية السور .
السادس والتسعون	: ترتيب الآى والسور .
السابع والثامن والتاسع والتسعون	: الأسماء والكُنى والألقاب .
المائة	: المبهمات .
الأول بعد المائة	: أسماء من نزل فيهم القرآن .
الثانى بعد المائة	: التاريخ .

وهذا آخر ما ذكرته فى خطبة « التحبير » . وقد تمّ هذا الكتاب ولله الحمد من سنة اثنتين وسبعين ، وكتبه مَنْ هو فى طبقة أشياخى من أولى التحقيق .

ثم خطر لى بعد ذلك أن أؤلف كتابا مبسوطا ، ومجموعا مضبوطا ؛ أسلك فيه طريق الإحصاء ، وأمشى فيه على منهاج الاستقصاء . هذا كله وأنا أظن أنى متفرّد بذلك ، غير مسبوق بالخوض فى هذه المسالك . فبينا أنا أجيل فى ذلك فكرا ، أقدّم رِجلا وأؤخّر أخرى . إذ بلغنى أن الشيخ الإمام بدر الدين محمد

ابن عبد الله الزركشيّ [١] ، أحد متأخّرى أصحابنا الشافعيين ، ألّف كتابا فى ذلك حافلا ، يسمى « البرهان فى علوم القرآن » ، فتطلّبته حتى وقفتُ عليه ، فوجدته ، قال فى خطبته :

لمّا كانت علوم القرآن لا تحصى ، ومعانيه لا تستقصى ، وجبت العناية بالقدْرِ الممكن . ومما فات المتقدمين ، وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه كما وضع النّاسُ ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ؛ فاستخرت الله تعالى ــ وله الحمد ــ فى وضع كتاب فِى ذلك ، جامع لما تكلم الناس فى فنونه ، وخاضوا فى نُكَته وعيونه ، وضمّنتهُ من المعانى الأنيقة ، والحكم الرشيقة ، ما بهَر القلوب عجبا [٢] ، ليكونَ مفتاحًا لأبوابه ، عنوانًا على كتابه ، معينًا للمفسر على حقائقه ، مطلعًا على بعض أسراره ودقائقه ، وسمّيتُهُ « البُرْهان فى علوم القرآن » ، وهذه فهرست أنواعه :

النّوع الأوّل : معرفة سبب النزول .

الثـــانى : معرفة المناسبة [٣] بين الآيات .

الثالث : معرفة الفواصل .

الرابــع : معرفة الوجوه والنظائر .

الخامس : علم المتشابه .

السادس : علم المبهمات .

---

(١) هو الامام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى، ولد بالقاهرة سنة ٧٤٥، وتفقه بمذهب الشافعى ، ولازم جمال الدين الاسنوى رئيس الشافعية بمصر ، وتخرج على الشيخ سراج الدين البلقينى والحافظ مغلطاى ، وألف فى الحديث والفقه الشافعى والأصول . وتوفى سنة ٧٩٤ . حسن المحاضر ١ : ١٨٥ .

(٢) البرهان : « مايهز القلوب طربا ، ويبهر العقول عجبا » .

(٣) البرهان : « المناسبات » .

التاسع والعشرون : فى آداب تلاوته .

الثلاثون : فى أنه هل يجوز فى التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن ؟

الحادى والثلاثون : معرفة الأمثال الكامنة فيه .

الثانى والثلاثون : معرفة أحكامه .

الثالث والثلاثون : معرفة جدله .

الرابع والثلاثون : معرفة ناسخه ومنسوخه .

الخامس والثلاثون : معرفة مُوهِم [1] المختلف .

السادس والثلاثون : معرفة المحكم من المتشابه .

السابع والثلاثون : فى حكم الآيات المتشابهات الواردة فى الصفات .

الثامن والثلاثون : معرفة إعجازه

التاسع والثلاثون : معرفة وجوب متواتِره .

الأربعـــون : فى بيان معاضدة السنّة الكتاب .

الحادى والأربعون : معرفة تفسيره .

الثانى والأربعون : معرفة وجوه المخاطبات .

الثالث والأربعون : بيان حقيقته ومجازه .

الرابع والأربعون : فى الكنايات والتعريض .

الخامس والأربعون : فى أقسام معنى الكلام .

السادس والأربعون : فى ذكر ما تيسر من أساليب القرآن .

السابع والأربعون : فى معرفة الأدوات .

---

(١) البرهان : « توهم » .

واعلم أنه ما مِنْ نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره ثم لم يحكم أمره ، ولكن اقتصرنا من كلٍّ نوع على أصوله . والرَّمز إلى بعض فصوله ؛ فإن الصناعة طويلة والعمر قصير ، وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير[١] !

هذا آخر كلام الزركشى فى خطبته .

ولما وقفتُ على هذا الكتاب ، ازددت به سرورًا ، وحَمَدْتُ الله كثيرًا ، وقويَ العزم على إبراز ما أضمرتُهُ ، وشددت الحزم فى إنشاء التَّصنيف الَّذى قصدتُهُ ، فوضعت هذا الكتاب العلىّ الشان ، الجلىّ البُرهان ، الكثير الفوائد والإتقان ، ورتَّبتُ أنواعَهُ ترتيبًا أنسب من ترتيب البرهان ، وأدمَجْت بعضَ الأنواع فى بعض ، وفصّلت ما حقُّه أن يُبان ، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد ، والقواعد والشوارد ، ما يشنِّف الآذان ، وسميته بالإتقان فى علوم القرآن . وسترى فى كلّ نوع منه إن شاء الله تعالى ما يصلح أن يكون بالتصنيف مفردًا ، وستروَى من مناهله العذبةِ رِيًّا لا ظمأ بعده أبدًا .

وقد جعلته مقدّمة للتفسير الكبير الذى شرعت فيه ، وسميته بمجمع البحرين ، ومطلع البدرين . الجامع لتحرير الرواية ، وتقرير الدراية ، ومن الله أستمدّ التوفيق والهداية . والمعونة والرعاية ؛ إنه قريب مجيب ، وما توفيقى إلا بالله . عليه توكلت وإليه أنيب . وهذه فهرست أنواعه :

---

(١) بعدها فى البرهان هذا البيت :

قالوا خذِ العَيْنَ من كُلٍّ فقلتُ لَهُمْ فى العَيْنِ فضلٌ ولكن ناظر العَيْنِ

السابع والستون : فى أقسامه .

الثامن والستون : فى جدله .

التاسع والستون : فى الأسماء والكُنى والألقاب .

السبعون : فى مبهماته .

الحادى والسّبعون : فى أسماء مَنْ نزل فيهم القرآن .

الثانى والسبعون : فى فضائل القرآن .

الثالث والسبعون : فى أفضل القرآن وفاضله .

الرابع والسبعون : فى مفردات القرآن .

الخامس والسبعون : فى خواصّه .

السادس والسبعون : فى رسوم الخطّ وآداب كتابته .

السابع والسبعون : فى معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة إليه .

الثامن والسبعون : فى شروط المفسِّر وآدابه .

التاسع والسبعون : فى غرائب التفسير .

الثمانون : فى طبقات المفسرين .

فهذه ثمانون نوعًا على سبيل الإدماج ، ولو نوّعت باعتبار ما أدمجته فى ضمنها لزادت على الثلاثمائة ، وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة ، وقفتُ على كثير منها .

ومن المصنفات فى مثل هذا النمط - وليس فى الحقيقة مثله ولا قريبًا منه وإنما هى طائفة يسيرة ونبذة قصيرة - فنون الأفنان فى علوم القرآن لابن الجوزىّ ، وجمال القرّاء للشيخ علَم الدّين السخاوىّ ، والمرشد الوجيز فى علوم تتعلق بالقرآن العزيز لأبى شامة . والبرهان فى مشكلات القرآن لأبى المعالى

عزيزى بن عبد الملك المعروف بشيذلة ، وكلّها بالنسبة إلى نوع من هذا الكتاب كحبّة رمل فى جنب رَمْل عالج ، ونقطة قطر فى حيال بحرٍ زاخر .

• • •

وهذه أسماء الكتب التى نظرتها على هذا الكتاب ، ولخصتُه منها .

فمن الكتب النقلية :

تفسير ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبي الشيخ بن حيّان ، والفريابىّ ، وعبد الرّزاق ، وابن المنذر ، وسعيد بن منصور - وهو جزء من سننه - ، والحاكم - وهو جزء من مستدركه - وتفسير الحافظ عماد الدين ابن كثير ، وفضائل القرآن لأبي عبيد ، وفضائل القرآن لابن الضُّريس ، وفضائل القرآن لابن أبي شيبة ، المصاحف لابن أبي داود ، المصاحف لابن أشتة ، الردّ على من خالف مصحف عثمان لابي بكر بن الأنبارى ، أخلاق حَمَلَة القرآن للآجرّىّ ، التبيان فى آداب حَمَلة القرآن للنّووىّ ، شرح البخارىّ لابن حجر .

ومن جوامع الحديث والمسانيد مالا يحصى .

ومن كتب القراءات وتعلّقات الأداء :

جمال القرّاء للسّخاوىّ ، النّشر والتقريب لابن الجزرىّ ، الكامل للهُذَلىّ ، الإرشاد فى القراءات العشر للواسطىّ ، الشواذّ لابن غلبون ، الوقف والابتداء لابن الأنبارى وللسجاوندّى وللنحاس ، وللدّانى وللعمانىّ ولابن النكزاوىّ ، قرّة العين فى الفتح والإمالة بين اللّفظين لابن القاصح .

ومن كتب اللغات والغريب والعربيّة والإعراب :

مفردات القرآن للراغب ، غريب القرآن لابن قُتيبة وللعزيزى ، الوجوه والنظائر للنيسابوريّ ولابن عبد الصمد ، الواحد والجمع فى القرآن لأبى الحسن الأخفش الأوسط ، الزّاهر لابن الأنباريّ ، شرح التسهيل والارتشاف لأبى حيّان ، المغنى لابن هشام ، الجَنَى الدانىّ فى حروف المعانى لابن أمّ قاسم ، إعراب القرآن لأبى البقاء ، وللسمين وللسّفاقُسّى ولمنتخب الدين ، المحتسب فى توجيه الشواذّ لابن جنّى ، الخصائص له ، الخاطريّات له ، ذو القدّ له ، أمالى ابن الحاجب ، المعرّب للجواليقىّ ، مشكل القرآن لابن قتيبة ، اللغات التى نزل بها القرآن للقاسم بن سلاّم[1] ، الغرائب والعجائب للكِرمانىّ ، قواعد فى التفسير لابن تيميّة .

ومن كتب الأحكام وتعلقاتها :

أحكام القرآن لإسماعيل القاضى ، ولبكْر بن العلاء ، ولأبى بكْر الرازى ، ولِلْكيا الهراسىّ ، ولابنِ العربىّ ، ولابنِ الفَرَس ، ولابن خويز منداد . الناسخ والمنسوخ لمكى ، ولابن الحصار ، وللسّعيدىّ ، ولأبى جعفر النحاس ، ولابن العربى ، ولأبى داود السجستانى ، ولأبى عُبيد القاسم بن سلاّم[2] ، ولأبى منصور عبد القاهر بن طاهر التميمىّ . الإمام فى أدلة الأحكام للشيخ عز الدين ابن عبد السلام .

ومن الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة :

إعجاز القرآن للخطابىّ ، وللرّمانى ، ولابن سُراقة ، وللقاضى أبى بكر الباقلانىّ ، ولعبد القاهر الجرجانىّ ، والإمام فخر الدين ، ولابن أبى الإصبع –

(١) فى الأصول : « لأبى القاسم محمد بن عبد الله » وهو خطأ نبه عليه مصحح ط ، قال : «وكذا، أول النوع السابع والأربعون . وهو صاحب كتاب الغريب المصنف » .
(٢) ط : « رسلان » ، وصوابه من الأصل .

واسمه البرهان — ، وللزَّمْلَكانيّ — واسمه البرهان أيضا — ومختصره له — واسمه المجيد — مجاز القرآن لابن عبد السلام ، الإيجاز فى المجاز لابن القيِّم ، نهاية التأميل فى أسرار التنزيل للزَّملكانىّ ، التّبيان فى البيان له ، المنهج المفيد فى أحكام التوكيد له ، بدائع القرآن لابن أبى الإصبع ، التحبير له ، الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح له ، أسرار التنزيل للشرف البارزىّ ، الأقصى القريب للتنوخىّ ، منهاج البلغاء لحازم ، العمدة لابن رشيق ، الصناعتين للعسكرىّ ، المصباح لبدر الدين بن مالك ، التبيان للطِّيبىّ ، الكنايات للجرجانى ، الإغريض فى الفرق بين الكناية والتعريض للشيخ تقى الدين السبكىّ ، الاقتناص فى الفرق بين الحصر والاختصاص له ، عروس الأفراح لولده بهاء الدين ، روض الأفهام فى أقسام الاستفهام للشيخ شمس الدين بن الصائغ ، نشر العبير فى إقامة الظاهر مقام الضمير له ، المقدّمة فى سرّ الألفاظ ، المقدّمة له ، إحكام الراى فى أحكام لآى له ، مناسبات ترتيب السور لأبى جعفر بن الزُّبير ، فواصل الآيات للطُّوفىّ ، المثل السائر لابن الأثير ، الفلك الدائر على المثل السائر (1) ، كنز البراعة لابن الأثير ، شرح بديع قدامة للموفق عبد اللطيف .

ومن الكُتب فيما سوى ذلك من الأنواع :

البرهان فى متشابه القرآن لِلكِرْمانى ، درّة التنزيل وغُرّة التأويل فى المتشابه لأبى عبد الله الرازىّ ، كشف المعانى عن متشابه ، المثانى للقاضى بدر الدين ابن جماعة ، أمثال القرآن للماوردىّ ، أقسام القرآن لابن القيِّم ، جواهر القرآن للغزالىّ ، التعريف والإعلام فيما وقع فى القرآن من الأسماء والأعلام للسُّهيلىّ ، الذّيل عليه لابن عساكر ، التِّبيان فى مبهمات القرآن للقاضى بدر

(1) لابن ابى الحديد .

الدين بن جماعة ، أسماء مَنْ نزل فيهم القرآن لإسماعيل الضرير ، ذات الرّشد في عدد الآي وشرحها للموصلىّ ، شرح آيات الصفات لابن اللّبّان ، الدرّ النظيم في منافع القرآن العظيم لليافعىّ

ومن كتب الرسم :

المقنع للدّانىّ ، شرح الرّائية [١] للسخاوىّ ، شرحها لابن جُبارة .

ومن الكتب الجامعة :

بدائع الفوائد لابن القيم ، كنز الفوائد للشيخ عزّ الدين بن عبد السلام ، الغُرر والدّرر للشريف المرتضى ، تذكرة البدر بن الصاحب ، جامع الفنون لابن شبيب الحنبلىّ ، النّفيس لابن الجوزىّ ، البستان لأبي الليث السمرقندىّ .

ومن تفاسير غير المحدّثين :

الكشّاف وحاشيته الطيبىّ ، تفسير الإمام فخر الدين ، تفسير الإصبهانى والحوفىّ ، وأبي حيّان وابن عطية ، والقشيرىّ ، والمرسى ، وابن الجوزى ، وابن عقيل ، وابن رَزِين ، والواحدىّ والكواشىّ ، والماوردى ، وسُليم الرازىّ ، وإمام الحرمين ، وابن بُرّجان ، وابن بزيزة ، وابن المنيّر ، أمالى الرافعىّ على الفاتحة ، مقدّمة تفسير ابن النقيب .

وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود .

(٢) الرائية ، هي القصيدة المسماة : «عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد» ، في رسم المصحف، نظم قاسم بن فيرة الشاطبي . كشف الظنون .

النوع الأول

فى مَعْرِفة المكىّ والمدنىّ

أفرده بالتصنيف جماعة ، منهم مكىّ والعزّ الدّيرينىّ . ومن فوائد معرفة ذلك ، العلم بالمتأخِّر ، فيكون ناسخا أو مخصِّصا ، على رأى مَنْ يرى تأخير المخصِّص .

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورىّ فى كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن : من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته ، [1]وترتيب ما نزل بمكة والمدينة ،[1] وما نزل بمكة وحكمه مدَنِىّ ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكى ، وما نزل بمكّة فى أهل المدينة ، وما نزل بالمدينة فى أهل مكة ، وما يشبِهُ نزولَ المكىّ فى المدنىّ وما يشبه نزول المدنىّ فى المكىّ ، وما نزل بالجُحفَة ، وما نزل ببيت المقدس ، وما نزل بالطائف ، وما نزل بالحُدَيبية ، وما نزل ليلاً ، وما نزل نهارا ، وما نزل مشيَّعًا[2] ، وما نزل مفردًا ، والآيات المدنيات فى السُّوَر المكيّة ، والآيات المكيّات فى السور المدنية ، وما حُمِل من مكة إلى المدينة ، وما حُمِل من المدينة إلى مكة ، وما حُمِل من المدينة إلى أرض الحبشة ، وما نزل مجملاً ، وما نزل مفسّرًا ، وما اختلفوا فيه ، فقال بعضهم مدنى وبعضهم مكىّ . فهذه خمسة وعشرون وجْها مَنْ لم يعرفها ويميِّز بينها لم يحلّ له أن يتكلَّم فى كتاب الله تعالى[3] . انتهى .

(١ ـ ١) البرهان : « وترتيب ما نزل بمكة ابتداء ووسطا وانتهاء وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك » .

(٢) المشيع : ما نزل وشيعته الملائكة ، أورد منه الزركشى سورة الأنعام ، وفاتحة الكتاب ، وآية الكرسى وسورة يونس . البرهان ١ : ١٩٩ .

(٣) نقله صاحب البرهان فى ١ : ١٩٢ .

قلت : وقد أشبعتُ الكلام على هذه الأوجه . فمنها ما أفردته بنوع ، ومنها ما تكلّمت عليه فى ضمن بعض الأنواع .

وقال ابنُ العربىّ فى كتابه الناسخ والمنسوخ : الّذى علمناه على الجُملة من القرآن أنّ منه مكيًّا ومدنيًّا ، وسفريًّا وحضريًّا ، وليليًّا ونهاريًّا وسمائيًّا وأرضيًّا ، وما نزل بين السماء والأرض ، وما نزل تحت الأرض فى الغار .

وقال ابن النقيب [1] فى مقدّمة تفسيره : المنزّل من القرآن على أربعة أقسام : مكّىّ ، ومدنىّ ، وما بعضه مكىّ وبعضه مدنىّ ، وماليس بمكىّ ولا مدنىّ .

اعلم أنَّ للنّاس فى المكىّ والمَدنىّ اصطلاحاتٍ ثلاثة :

(أشهرُها) : أنّ المكىّ ما نزل قبل الهجرة ، والمدنىّ مانزل بعدها ؛ سواء نزلَ بمكة أم بالمدينة ، عامَ الفتح أو عام حِجّة الوداع ، أم بسفرٍ من الأسفار . أخرج عثمان بن سعد الرازىّ بسناده إلى يحيى بن سلاّم ، قال : ما نزل بمكة وما نزل فى طريق المدينة قبل أن يبلُغ النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكىّ ، وما نزل على النبىّ صلى الله عليه وسلم فى أسفاره بعد ماقدم المدينة فهو من المدنىّ ، وهذا أثرٌ لطيف، يُؤخَذ منه أن مانزل فى سفر الهجرة مكىٌّ اصطلاحا .

(الثانى) : أن المكىّ ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة ، والمدنىّ مانزل بالمدينة . وعلى هذا تثبت الواسطة ، فما نزل بالأسفار لا يُطلق عليه مكىّ ولا مدنىّ . وقد أخرج الطَّبَرانى فى الكبير من طريق الوليد بن مسلم ، عن عفير بن معدان ، عن ابن عامر عن أبي أُمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُنزِل القرآن فى ثلاثة أمكنة : مكّة ، والمدينة ، والشام » قال الوليد : يعنى بيت

(١) حاشية الأصل : « جمال الدين الحنفى شيخ ابى حيان » .

المقدس . وقال الشيخ عماد الدين بن كثير : بل تفسيره بتَبُوك أحسن .

قلت : ويدخل فى مكّة ضواحيها كالمنزّل بمِنًى وعَرَفات والحُديبية ، وفى المدينة ضواحيها كالمنزّل ببدر وأُحُد وسَلْع .

(الثالث) : أنّ المكىَّ ما وقع خطاباً لأهل مكة ، والمَدَنىَّ ما وقع خطاباً لأهل المدينة ، وحُمِل على هذا قولُ ابن مسعود الآتى .

قال القاضى أبو بكر فى الانتصار : إنّما يُرْجَع فى معرفة المكىّ والمدنىّ إلى حفظ الصحابة والتابعين ، ولم يرد عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى ذلك قولٌ ؛ لأنه لم يؤمر به ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمّة ؛ وإن وجب فى بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ ، فقد يعرَف ذلك بغير نصّ الرسول . انتهى .

وقد أخرجَ البخارىّ عن ابن مسعود أنّه قال : «والّذى لا إله غيره ما نزلتْ آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمنْ نزلت ، وأين نزلت » .

وقال أيُّوب : سأل رجل عِكْرِمة عن آية من القرآن فقال : نزلت فى سفْحِ ذلك الجبَل — وأشار إلى سَلْع[1] . أخرجه أبو نُعيم فى الحلية .

وقد ورد عن ابن عباس وغيره عدّ المكىّ والمدنى . وأنا أسوق ما وقع لى من ذلك ، ثم أعقبه بتحرير ما اختُلِف فيه .

قال ابنُ سعد فى الطبقات : أنبأنا الواقدىّ ، حدّثنى قُدامة بن موسى ، عن أبى سلَمة الحضرمىّ ، سمعت ابنَ عباس قال : سألت أبىّ بن كعب عمّا نزَل من القرآن بالمدينة ؟ فقال : نزل بها سبعٌ وعشرون سورة ، وسائرها بمكة .

• • •

(١) سلع : جبل بسوق المدينة .

وقال أبو جعفر النحاس فى كتابه الناسخ والمنسوخ : حدّثنى يموت بن المزرّع[١] ، حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد السّجستانىّ ، أنبأنا أبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنّى ، حدّثنا يونس بن حبيب ، سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : سألت مجاهداً عن تلخيص آى القرآن ، المدنىّ من المكىّ فقال : سألت ابنَ عباس عن ذلك ، فقال : سورة الأنعام نزلت بمكّة جملة واحدة فهى مكيّة ، إلا ثلاث آيات منها نزلْنَ بالمدينة : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ . .﴾[٢] إلى تمام الآيات الثلاث ، وما تقدّم من السّوَر مدنيات . ونزلت بمكّة سورة الأعراف ويونس وهود ويوسف والرّعد وإبراهيم والحجر والنحل – سوى ثلاث آيات من آخرها فإنّهن نزلْن بين مكة والمدينة ، فى منصرَفه من أُحُد – وسورة بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء والحجّ – سوى ثلاث آيات ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ..﴾[٣] إلى تمام الآيات الثلاث ، فإنّهنّ نزلنَ بالمدينة – وسورة المؤمنون والفرقان وسورةُ الشعراء – سوى خمس آيات من أُخْرَاها نزلن بالمدينة : ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ...﴾[٤] إلى آخرها . وسورة النمل والقَصص والعنكبوت والرّوم ولقمان – سوى ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة : ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ...﴾[٥] إلى تمام الآيات – وسورة السجدة ، سوى ثلاث آيات : ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ...﴾[٦] إلى تمام الآيات الثلاث . وسورة سبأ وفاطر ويس والصافات وص والزّمر ، سوى ثلاث آيات نزلنَ بالمدينة فى وحشىّ قاتل حمزة : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا ..﴾[٧] إلى تمام

(١) كذا فى الأصل . وفى ط : « عوث بن زرع » .
(٢) سورة الأنعام ١٥١ – ١٥٣ .
(٣) سورة الحج ١٩ – ٢١ .
(٤) سورة الشعراء ٢٢٤ .
(٥) سورة لقمان ٢٧ .
(٦) سورة السجدة ١٨ .
(٧) سورة الزمر ٥٣ .

والثلاث آيات والحواميم السبع و ق والذاريات والطُّور والنجم والقمر والرحمن والواقعة والصف والتغابن إلا آيات من آخرها نزلن بالمدينة . والملك ون والحاقَّة وسأل وسورة نوح والجنّ والمزّمل إلا آيتين : ﴿ إنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أنَّكَ تَقومُ ... ﴾ [1] . والمدّثر إلى آخر القرآن إلا إذا زلزلت ، وإذا جاء نصر الله ، وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، فإنهنّ مدنيّات . ونزل بالمدينة سورة الأنفال وبراءة والنور والأحزاب وسورة محمد والفتح والحجرات والحديد ومابعدها إلى التحريم .

هكذا أخرجه بطوله ، وإسناده جيّد ، رجاله كلُّهُم ثقات من علماء العربيّة المشهورين .

• • •

وقال البَيهقيّ في دلائل النبوة : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو محمد بن زياد العدل ، حدّثنا محمد بن إسحاق ، حدّثنا يعقوب بن إبراهيم الدّورَقيّ ، حدّثنا أحمد بن نصر بن مالك الخُزاعيّ ، حدّثنا عليّ بن الحسين ابن واقد ، عن أبيه ، حدّثني يزيد النحويّ ، عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن قالا : أنزل الله من القرآن بمكة : اقرأ باسم ربّك ، و ن ، والمزمل ، والمدّثر ، وتبّت يدا أبي لهب ، وإذا الشمس كُوِّرت ، وسبح اسم ربك الأعلى ، والليل إذا يغشى ، والفجر ، والضحى ، وألم نشرح ، والعصر ، والعاديات ، والكوثر ، وألهاكم التكاثر ، وأرأيت ، وقلْ ياأيها الكافرون ، وأصحاب الفيل ، والفَلَق ، وقل أعوذ بربّ الناس ، وقل هو الله أحد ، والنَّجم ، وعبس ، وإنا أنزلناه ، والشمس وضحاها ، والسماء ذات البروج ، والتين

(١) سورة المزمل ٢٠ .

والزيتون ، ولإيلاف قريش ، والقارعة ، ولا أقسم بيوم القيامة ، والهُمَزَة ، والمرسلات ، و ق ، ولا أقسم بهذا البلد ، والسماء والطارق ، واقتربت الساعة ، وص ، والجنّ ، ويس ، والفُرقان ، والملائكة ، وطه ، والواقعة ، وطسم ، وطس ، وطسم ، وبنى إسرائيل ، والتاسعة ، وهود ، ويوسف ، وأصحاب الحجْر ، والأنعام ، والصّافّات ، ولقمان ، وسبأ ، والزّمر ، وحم المؤمن ، وحم ،الدخان وحم السجدة ، وحمعسق ، وحم الزخرف ، والجاثية ، والأحقاف ، والذّاريات ، والغاشية ، وأصحاب الكهف ، والنّحل ، ونوح ، وإبراهيم ، والأنبياء ، والمؤمنون ، والم السجدة ، والطّور ، وتبارك ، والحاقة ، وسأل ، وعمّ يتساءلون ، والنازعات ، وإذا السماء انشقت ، وإذا السماء انفطرت ، والرّوم ، والعنكبوت .

وما نزل بالمدينة : ويل للمطففين ، والبقرة ، وآل عمران ، والأنفال ، والأحزاب ، والمائدة ، والممتحنة ، والنساء ، وإذا زلزلت ، والحديد ، ومحمّد ، والرعد ، والرحمن ، وهل أتى على الإنسان ، والطلاق ، ولم يكن ، والحشر ، وإذا جاء نصر الله ، والنور ، والحجّ ، والمنافقون ، والمجادلة ، والحُجُرات ، ويأيها النبيّ لم تُحرم ، والصفّ ، والجمعة ، والتغابن ، والفتح ، وبراءة .

قال البيهقيّ : والتاسعة ، يريد بها سورة يونس . قال : وقد سقط من هذه الرواية : الفاتحة والأعراف ، وكهيعص ، فيما نزل بمكة .

• • •

قال : وقد أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عُبيد الصفّار حدّثنا محمد بن الفضل . حدّثنا إسماعيل بن عبد الله بن زُرارة الرّقّى

حدّثنا عبد العزيز بن عبد الرحمن القرشيّ ، حدّثنا خَصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أنه قال : إنّ أوّلَ ماأنزل الله على نبيّه من القرآن : اقرأ باسم ربك ؛ فذكر معنى هذا الحديث ، وذكر السُّوَر التى سقطت من الرواية الأُولى فى ذكر مانزل بمكة ، وقال : وللحديث شاهد فى تفسير مقاتل وغيره مع المرسَل الصّحيح الذى تقدّم .

• • •

وقال ابن الضُّريس [1] فى فضائل القرآن : حدّثنا محمد بن عبد الله ابن أبى جعفر الرازى ، أنبأنا عمرو بن هارون ، حدّثنا عثمان بن عطاء الخُراسانى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كانت إذا أُنزلت فاتحة الكتاب بمكة كُتبت بمكة ، ثم يزيد الله فيها ما شاء ، وكان أوّل ما أُنزِل من القرآن : اقرأ باسم ربك ، ثم ن ، ثم يـأيها المزمل ، ثم يـأيّها المدثر ، ثم تبت يدا أبى لهب ، ثم إذا الشمس كُوِّرت ، ثم سبّح اسم ربك الأعلى ، ثمّ والليل إذا يغشى ، ثم والفجر ، ثم والضُّحى ، ثم ألم نشرح ، ثم والعصر ، ثم والعاديات ، ثم إنا أعطيناك ، ثم ألهاكم التكاثر ، ثم أرأيت الذى يكذب ، ثم قل يـأيها الكافرون ، ثم ألم تر كيف فعل ربك ، ثم قل أعوذ بربّ الفلَق ، ثم قل أعوذ برب الناس ، ثم قُل هو الله أحَد ، ثم والنجم ، ثم عبس ، ثم إنّا أنزلناه فى ليلة القدر ، ثم والشمس وضحاها ، ثم والسماء ذات البروج ، ثم والتِّين ، ثم لإيلاف قريش ، ثم القارعة ، ثم لا أُقسم بيوم القيامة ، ثم ويل لكلّ هُمَزة ، ثم والمرسلات ، ثم ق ، ثم لا أُقسِم بهذا البلد ، ثمّ والسماء والطارق ، ثم اقتربت الساعة ، ثم ص ، ثم الأعراف ، ثم قل

---

(١) هو محمد بن أيوب بن يحيى الضريس ، ذكره فى تذكرة الحفاظ ٢ : ٥٩٢ .

أوحى ، ثم يس ، ثم الفرقان ، ثم الملائكة ، ثم كهيعص ، ثم طه ، ثم الواقعة ، ثم طسم الشعراء ، ثم طس ، ثم القصص ، ثم بنى إسرائيل ، ثم يونس ، ثم هود ، ثم يوسف ، ثم الحجر ، ثم الأنعام ، ثم الصافات ، ثم لقمان ، ثم سبأ ، ثم الزمر ، ثم حم المؤمن ، ثم حم السجدة ، ثم حم . عسق ، ثم حم الزخرف ، ثم الدخان ، ثم الجاثية ، ثم الأحقاف ، ثم الذاريات ، ثم الغاشية ، ثمّ الكهف ، ثم النّحل ، ثم إنا أرسلنا نوحا ، ثم سورة إبراهيم ، ثم الأنبياء ، ثم المؤمنون ، ثم تنزيل السجدة ، ثم الطُّور ، ثم تبارك الملك ، ثم الحاقّة ، ثمَ سأل ، ثم عمّ يتساءلون ، ثم النازعات ، ثم إذا السماء انفطرت ، ثم إذا السماء انشقت ، ثم الروم ، ثم العنكبوت ، ثم ويل للمطففين ؛ فهذا ما أنزل الله بمكة .

ثم أُنزل بالمدينة : سورة البقرة ، ثم الأنفال ، ثم آل عمران ، ثم الأحزاب ، ثم الممتحنة ، ثم النساء ، ثم إذا زلزلت ، ثم الحديد ، ثم القِتال ، ثم الرّعد ، ثمّ الرحمن ، ثم الإنسان ، ثم الطلاق ، ثم لم يكن ، ثم الحشر ، ثم إذا جاء نصر الله ، ثم النور ، ثمّ الحج ، ثمّ المنافقون ، ثم المجادلة ، ثم الحجرات ، ثم التحريم ، ثم الجمعة ، ثم التغابن ، ثم الصف ، ثم الفتح ، ثم المائدة ، ثم براءة .

• • •

وقال أبو عبيد فى فضائل القرآن : حدّثنا عبد الله بن صالح ومعاوية ابن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة . قال : نزلت بالمدينة سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والحجّ ، والنور ، والأحزاب . والّذين كفروا . والفتح . والحديد . والمجادلة . والحشر . والممتحنة . والحواريّين – يريد الصفّ – والتغابُن ، ويأيُّها النّبى إذا طلقتم

النساء ، ويأيُّها النبى لم تحرّم ، والفجر ، والليل ، وإنا أنزلناه فى ليلة القدر ، ولم يكن ، وإذا زلزلت ، وإذا جاء نصر الله . وسائر ذلك بمكة .

• • •

وقال أبو بكر بن الأنبارى : حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى ، حدثنا حجّاج بن منهال ، نبأنا هشام عن قتادة ، قال : نزل فى المدينة من القرآن : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، وبراءة ، والرّعد ، والنّحل ، والحجّ ، والنور ، والأحزاب ، ومحمد ، والفتح ، والحجرات ، والحديد ، والرحمن ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والصفّ ، والجمعة ، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، ويأيّها النبىّ لم تحرم ، إلى رأس العشر ، وإذا زُلزلت ، وإذا جاء نصر الله . وسائر القرآن نزل بمكة .

• • •

وقال أبو الحسن بن الحصّار فى كتابه الناسخ والمنسوخ : المدنىّ باتفاق عشرون سورة . والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة . وما عدا ذلك مكىّ باتفاق . ثم نظم فى ذلك أبياتا فقال :

ياسائلِى عَنْ كتابِ الله مجتهِدًا ... وعن ترتّب ما يُتْلَى من السُّوَرِ
وكيفَ جاء بها المُختارُ من مُضَرِ ... صلّى الإله على المختارِ من مُضَرِ
وما تقدّم منها قبل هجرته ... وما تأخّر فى بدْوٍ وفى حَضَرِ
ليَعلم النّسخ والتخصيص مجتهدٌ ... يؤيد الحُكْم بالتاريخ وَالنّظَرِ
تعارَضَ النّقل فى أُمّ الكتاب وقدْ ... تُؤوِّلَتِ الحِجْر تنبيها لمعتَبِرِ
أُمّ القرآن وفى أُم القرى نَزَلَتْ ... ماكان للخمس قبل الحمد من أثَرِ [(١)]

(١) فى حاشية الأصل بعد هذا البيت :

لو كان ذَاكَ لكانَ النّسْخُ أوّلَها ... ولم يقل بصريح النّسْخِ من بَشَرِ

وَبعْدَ هِجْرَةِ خيرِ النَّاسِ قَدْ نَزَلَتْ … عشرون من سُوَرِ القرآنِ فى عَشْرِ
فأَربَعٌ من طوال السَّبْعِ أوّلُها … وخامِس الخمسِ فى الأنفال ذى العِبَرِ
وتوبة الله إن عُدّتْ فسادسةٌ … وسورة النور والأحزاب ذِى الذكْرِ
وسورة لنبيّ الله محكمةٌ … والفتحُ والحُجُرات الغرّ فى غُرَرِ
ثم الحديدُ ويتلوها مُجادلةٌ … والحشر ثم امتحان الله للبَشَرِ
وسورةٌ فضحَ الله النِّفاقَ بها … وسورة الجمع تذكارٌ لمُدَّكِرِ[1]
وللطَّلاق وللتَّحـريم حكمُهُمَا … والنَّصر والفتح تنبيهًا على العُمُرِ
هَذا الَّذى اتَّفقتْ فيه الرُّواة لَهُ … وقد تعارضَتِ الأخبار فى أُخَرِ
فالرَّعد مختَلفٌ فيها متَى نزلتْ … وأكثر الناس قالوا الرّعد كالقمرِ
ومثلُها سورة الرَّحْمنِ شاهدُها … ممّا تضمن قول الجنّ فى الخَبَرِ
وسورةٌ للحواريِّين قد عُلِمتْ … ثم التَّغابُن والتَّطفيف ذو النُّذُرِ
وليلةُ القَدْر قد خُصَّتْ بملَّتِنا … ولم يكن بعدها الزّلزال فاعتَبرِ
وقل هو الله من أوصاف خالِقِنا … وعُوذتان تردّ البأس بالقدرِ
وذا الذى اختلفتْ فيهِ الرّواة له … وربما استُثنيتْ آىٌ من السُّوَرِ
وما سوىَ ذاكَ مكّىٌّ تَنَزُّلُهُ … فلا تكن مِن خلافِ النَّاس فى حَصَرِ
فليسَ كلُّ خلافٍ جاء معتَبرًا … إلا خلافٌ له حَظٌّ مِن النَّظَرِ

= قال : ورد هذا البيت فى التحبير ، فانظر لماذا أسقط هنا ، وقد بينت معنى هـذا البيت لهامش التحبير ، فراجعه .

(١) حاشية الأصل : قوله : « سورة الجمع » ، أراد بها سورة الجمعة ، فحذفت التاء لضرورة النظم ، فلا يقال : ان مراده بسورة الجمع سورة التغابن لقوله تعالى فيها :

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ﴾

أعنى سورة الجمع ـ فيخالف هذا ما يأتى بعد فى النظم من جعله التغابن من المختلف فيه ، القول : ثم التغابن والتطفيف » .

فصل

فى تحرير السور المختلف فيها

(سورة الفاتحه) : الأكثرون على أنّهامكيّة ، بل ورد أنّها أولَ ما نزل كما سيأتى فى النوع الثامن، واستدلّ لذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِى ﴾ . [١] وقد فسّرها صلى الله عليه وسلم بالفاتحة كما فى الصحيح . وسورة الحجر مكّيّة باتفاق ، وقد امتنّ على رسوله فيها بها ، فدلّ على تقدّم نزول الفاتحة عليها ، إذْ يبعُد أنْ يَمتنّ عليه بما لم ينزل بعد ، وبأنّه لاخلاف أنّ فرض الصلاة كان بمكة ، ولم يحفظ أنه كان فى الإسلام صلاة بغير الفاتحة ؛ ذكره ابن عطيّة وغيره .

وقد روَى الواحدىّ والثعلبيّ من طريق العَلاء بن المسيّب ، عن الفضل ابن عمرو ، عن علىّ بن أبى طالب ، قال : نزلت فاتحة الكتاب بمكّة من كنز تحت العرش .

واشتهر عن مجاهد القول بأنّها مدنيّة ، أخرجه الفرْيابى[٢] فى تفسيره ، وأبو عُبيد فى الفضائل بسند صحيح عنه . قال الحسين بن الفضل : هذه هفوة من مجاهد ؛ لأن العلماء على خلاف قوله . وقد نقل ابن عطيّة القولَ بذلك عن الزُّهرىّ وعطاء وسَوادة بن زياد وعبد الله بن عبيد بن عمير .

وورد عن أبى هرَيرة بإسناد جيّد . قال الطَّبرانى فى الأوسط : حدّثنا عبيد بن غنّام ، نبأنا أبو بكر بن أبى شيبة ، نبأنا أبو الأحوص عن منصور

---

(١) سورة الحجر ٨٧ .

(٢) «الفريابى» نبه عليه فى المستدرك ، قال : « الفريابى المحدث نسبة الى بلد تسمى فرياب » وقال ياقوت : فرياب : بلدة من نواحى بلخ .

عن مجاهد ، عن أبي هريرة ، أنَّ إبليس رنَّ حين أُنزِلت فاتحة الكتاب ، وأُنزلت بالمدينة . ويحتمل أن الجملة الأخيرة مدرجة من قول مجاهد .

وذهب بعضهم إلى أنها نزلت مرّتين : مرَّة بمكة ومرَّة بالمدينة ، مبالغة فى تشريفها .

وفيها قول رابع : أنها نزلت نصفين ، نصفها بمكة ونصفها بالمدينة ؛ حكاه أبو الليث السمرقنديّ .

(سورة النساء) : زعم النحاس أنها مكية مستندا إلى أن قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ .... ﴾ [1] الآيةنزلت بمكّة اتفاقا فى شأن مفتاح الكعبة . وذلك مستَنَدٌ واه ؛ لأنَّه لا يلزم من نزول آية أو آياتمن سورة طويلةنزل معظمها بالمدينة أنْ تكون مكيَّة ، خصوصا أنَّ الأرجح أنَّ ما نزل بعد الهجرة مدنىّ ؛ ومن راجع أسباب نزول آياتها عرف الردَّ عليه . ومما يرد عليه أيضا ما أخرجه البخاريّ عن عائشة قالت : « ما نزلتْ سورة البقرة والنساء إلَّا وأنا عنده » ، ودخولها عليه كان بعد الهجرة اتفاقا . وقيل : نزلت عند الهجرة .

(سورة يونس) : المشهور أنها مكيّة . وعن ابن عباس روايتان ، فتقدّم فى الآثار السابقة عنها أنَّها مكيّة . وأخرجه ابن مردويه من طريق العَوْفىِّ عنه ، ومن طريق ابن جُريج عن عطاء عنه ، ومن طريق خَصيف ، عن مجاهد ، عن ابن الزبير .

وأخرج من طريق عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عبّاس أنَّها مدنيّة ، ويؤيد المشهور ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضَّحاك عن ابن عبّاس قال :

(١) سورة النساء ٥٨ .

لما بعثَ الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك - أو من أنكر ذلك منهم - فقالوا : الله أعظم من أنْ يكون رسوله بشرًا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ... ﴾ [(١)] الآية .

(سورة الرعد) : تقدّم من طريق مجاهد ، عن ابن عباس وعن علىّ بن أبى طلحة أنّها مكية ، وفى بقية الآثار أنّها مدنيّة .

وأخرج أبو الشيخ مثله عن قتادة ، وأخرج الأول عن سعيد بن جبير .

وقال سعيد بن منصور فى سننه : حدّثنا أبو عَوانة ، عن أبى بِشْر قال : سألت سعيد بن جُبير عن قوله تعالى : ﴿ وَمَن عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ... ﴾[(٢)] ، أهو عبد الله بن سلام ؟ فقال : كيف وهذه السورة مكيّة ! ويؤيد القول بأنّها مدنيّة ما أخرجه الطّبَرانىّ وغيره عن أنس ، أن قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى ﴾[(٣)] إلى قوله : ﴿ وَهوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [(٤)] ، نزل فى قصة أربد بن قيس وعامر بن الطُّفيل حين قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . والذى يجمع به بين الاختلاف : أنها مكيَّة إلا آيات منها .

(سورة الحجّ) : تقدّم من طريق مجاهد ، عن ابن عبّاس : أنّها مكيّة إلا الآيات التى استثناها ، وفى الآثار الباقية : أنّها مدنية .

وأخرج ابن مردويه من طريق العوْفى ، عن ابن عباس ؛ ومن طريق ابن جُريج وعثمان ، عن عطاء عن ابن عباس . ومن طريق مجاهد عن ابن الزبير : أنّها

(١) سورة يونس ٢ .
(٢) سورة الرعد ٤٣ .
(٣) سورة الرعد ٨ .
(٤) سورة الرعد ١٣ .

مدنية . قال ابن الفَرَس[1] فى أحكام القرآن : وقيل إنَّها مكيَّة إلَّا : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ... ﴾ الآيات . وقيل : إلا عشر آيات . وقيل : مدنيّة إلا أربع آيات : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ﴾ إلى ﴿ عَقِيمٍ ﴾ . قاله قتادة وغيره . وقيل : كلّها مدنية ، قاله الضحاك وغيره وقيل : هى مختلطة ، فيها مدنىّ ومكىّ ، وهو قول الجمهور . انتهى .

ويؤيد ما نسبه إلى الجمهور أنّه ورد فى آياتٍ كثيرة ، منها أنّه نزل بالمدينة كما حررناه فى أسباب النزول .

(سورة الفرقان) : قال ابن الفَرَس :الجمهور على أنَّها مكيّة . وقال الضحاك : مدنيّة .

(سورة يس) : حكى أبو سليمان الدِّمشقىّ له قولا إنها مدنيّة ، قال : وليس بالمشهور

(سورة ص) : حكى الجعبرى قولا إنها مدنية ،خلاف حكاية جماعة الإجماع على أنها مكية .

(سورة محمد) : حكى النَّسفى قولاً غريبا إنَّها مكية .

(سورة الحجرات) : حُكِى قولٌ شاذ إنّها مكية .

(سورة الرحمن) : الجمهور على أنها مكيّة ، وهو الصواب ، ويدلّ له ما رواه الترمذىّ والحاكم عن جابر . قال : لمّا قرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه سورة الرحمن حتى فرَغ . قال : مالى أراكم سكوتا لَلْجِنُّ كانوا أحسن منكم ردًّا . ما قرأتُ عليهم من مرّة : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ

(١) ابن الفرس ، عبد المنعم بن الفرس من فقهاء الحنفية ، كما ذكره فى المستدرك .

رَبِّكُما تُكَذِّبان ﴾ . إلا قالوا : ولا بشيء من نِعَمِك ربَّنا نكذِّب ، فلك الحمد . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين : وقصة الجن كانت بمكة .

وأصرَحُ منه في الدلالة ما أخرجه أحمد في مسنده بسند جيِّد ، عن أسماء بنت أبي بكر . قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلِّي نحو الركن قبل أن يَصْدَعَ بما يؤمر . والمشركون يسمعون : ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ ﴾ ، وفي هذا دليل على تقدم نزولها على سورة الحِجْر .

(سورة الحديد) : قال ابن الفرس : الجمهور على أنَّها مدنيَّة ، وقال قوم : إنَّها مكيَّة ، ولا خلاف أنَّ فيها قرآنا مدنيا ؛ لكن يشبه صدرُها أن يكون مكيًّا .

قلت : الأمر كما قال ، ففي مسند البزَّار وغيره عن عمر ، أنَّه دخل على أختِهِ قبل أن يُسلم ، فإذا صحيفة فيها أول سورة الحديد ، فقرأها ، وكان سبب إسلامه .

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود ، قال : لم يكن شيء بين إسلامه وبين أن نزلت هذه الآية يعاتبهم الله بها إلا أربع سنين : ﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ... ﴾ (١) الآية .

(سورة الصف) : المختار أنَّها مدنيَّة ، ونسبه ابن الفرس إلى الجمهور ورجَّحه ، ويدل له ما أخرجه الحاكم وغيره عن عبد الله بن سلام . قال : قعدْنا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتذاكرنا . فقلنا : لو نعلم أيَّ الأعمال أحبّ إلى الله لعملناه . فأنزل الله سبحانه : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ

---

(١) سورة الحديد ١٦ .

مَا فِي السَّمٰوَاتِ وما في الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ◦ يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفعَلونَ ... ﴾ (١) ، حتى ختمها ، قال عبد الله : فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها .

(سورة الجمعة) : الصحيح أنَّها مدنيَّة لما روى البخاريّ عن أبي هُريرة . قال : « كنَّا جلوسًا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم . فأنزل عليه سورة الجمعَة : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ... ﴾ (٢) قلت : من هم يارسول الله ؟ » ... الحديث . ومعلوم أن إسلام أبي هريرة بعد الهجرة بمدة . وقوله : ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا ﴾ (٣) خطاب لليهود . وكانوا بالمدينة . وآخر السورة نزل في انفضاضهم حال الخطبة لمَّا قدمت العِير ، كما في الأحاديث الصحيحة . فثبت أنَّها مدنية كلها .

(سورة التغابن) : قيل : مدنية ، وقيل : مكية إلا آخرها .

(سورة الملك) : فيها قول غريب إنَّها مدنيَّة .

(سورة الإنسان) : قيل : مدنية ، وقيل : مكيَّة إلا آية واحدة : (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) (٤)

(سورة المطففين) : قال ابن الفَرَس : قيل : إنها مكية لذكر الأساطير فيها ، وقيل : مدنية لأنَّ أهلَ المدينة كانوا أشدَّ الناس فسادًا في الكيْل :

---

(١) سورة الصف ١ ، ٢ .
(٢) سورة الجمعة ٣ .
(٣) سورة الجمعة ٦ .
(٤) سورة الانسان ٢٤ .

وقيل : نزلت مكّة إلا قصة التطفيف . وقال قوم : نزلتْ بين مكّة والمدينة . انتهى .

قلت : أخرج النسائيّ وغيره بسند صحيح عن ابن عباس ، قال : لما قدم النبيّ صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث النّاس كيلاً ، فأنزل الله : « ويل للمطففين » فأحسنوا الكيل .

(سورة الأعلى) : الجمهور على أنها مكيّة ، قال ابن الفرْس : وقيل : إنها مدنيّة لذكر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها .

قلت :ويردّه ما أخرجه البخاريّ عن البَرَاء بن عازب ، قال : أوّل مَنْ قدم علينا من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم مُصعب بن عمير وابن أمّ مكتوم ، فجعلا يُقرآننا القرآن ، ثم جاء عمّار وبلال وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين ، ثم جاء النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فما رأيتُ أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم به ، فما جاء حتى قرأت : « سبّح اسم ربك الأعلى » فى سورة مثلها .

(سورة الفجر) : فيها قولان ، حكاهما ابن الفَرَس . قال أبو حيان : والجمهور على أنّها مكية .

(سورة البلد) : حكى ابن الفَرْس فيها أيضا قولين ، وقوله : ﴿ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴾ يرد القول بأنها مدنية .

(سورة الليل) : الأشهر أنّها مكية . وقيل : مدنية لما ورد فى سبب

نزولها من قصة النخلة كما أخرجناه فى أسباب النزول[١] . وقيل : فيها مكيّ ومدنيّ .

(سورة القدْر) : فيها قولان ، والأكثر أنّها مكيّة ، ويستدل لكونها مدنية بما أخرجه الترمذيّ والحاكم ، عن الحسن بن عليّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم رأى بنى أمية على منبره ، فساءهُ ذلك ، فنزلت : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ، ونزلت ﴿ إِنَّا أنزلناه فى ليلة القدر ... ﴾ الحديث ، قال المِزىّ : وهو حديث منكر .

---

(١) حاشية الأصل : « قوله كما أخرجناه فى أسباب النزول ، قال رحمه الله فى كتابه اسباب النزول من قصة النخلة مانصه : أخرج ابن حاتم وغيره من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ، ان رجلا كانت له نخلة ، فرعها فى دار رجل فقير ذى عيال ، فكان الرجل اذا جاء فدخل الدار فصعد الى النخلة لياخذ منها التمر ، فربما تقع تمرة فيأخذها صبيان الفقير ، فينزل من نخلته حتى يأخذ التمرة من أيديهم ، وان وجدها فى فم احدهم أدخل اصبعه حتى يخرج التمرة من فيه ، فشكا ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : اذهب . ولقى النبى صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة ، فقال له : أعطنى نخلتك التى فرعها فى دار فلان ، ولك بها نخلة فى الجنة، فقال الرجل : لقد اعطيت وان لى نخلا كثيرا ، وما فيه نخلة أعجب الى تمرة منها . ثم ذهب الرجل ولقى رجلا كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة ، فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اتعطينى يارسول الله ما اعطيت الرجل اذا انا اخذتها ؟ قال : نعم ، فذهب الرجل فلقى صاحب النخلة ولكليهما نخلة ، فقال له صاحب النخلة : أشعرت أن محمدا صلى الله عليه وسلم أعطانى بنخلتى المائلة فى دار فلان نخلة فى الجنة ! فقلت له : لقد اعطيت ولكن يعجبنى تمرها ، ولى نخل كثير ، ما فيه نخلة أعجب الى تمرة منها : فقال له الآخر : أتريد بيعها ؟ فقال : لا ، الا ان أعطى بها ما أريد ، ولا أظن ان أعطى . قال : فكم مناك فيها ؟ قال : أربعون نخلة، قال : لقد جئت بامر عظيم ، ثم سكت عنه ، فقال له : أنا أعطيك أربعين نخلة فاشهد لى ان كنت صادقا ، فدعا قومه فاشهد له ، ثم ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ، له : يارسول الله، ان النخلة قد صارت لى وهى لك ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صاحب الدار ، فقال : النخلة لك ولعيالك ، فانزل الله : « والليل اذا يغشى .. » ، الى آخر السورة . قال ابن كثير : غريب جدا .

« واخرج ابن أبى حاتم عن عروة ان أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب فى الله وفيه نزلت : « وسيجنبها الأتقى .. » الى آخر السورة .

واخرج الحاكم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال : قال أبو قحافة لأبى بكر : أراك تعتق رقابا ضعافا ، فلو انك اعتقت رجالا جلدا ، يمنعونك ويقومون دونك ! فقال : يا أبه ، انى أريد ماعند الله ، فنزلت هذه الآية فيه : « فاما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى .. » الى آخر السورة .

واخرج البراء عن ابن الزبير ، قال : نزلت هذه الآية : « وما لأحد عنده من نعمة تجزى .. » الى آخرها ، فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

هذا حاصل ما ذكره فى كتابه أسباب النزول من قصة النخلة . وانظره فى ٢ : ١٣٢ .

(سورة لمْ يكُن) : قال ابن الفَرْس : الأَشهر أنَّها مكية

قلت : ويدل لمقابله ما أخرجه أحمد عن أبي حَبَّة البدرىّ قال : لما نزلتْ ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ... ﴾ إلى آخرها : قال جبريل : يارسول الله ، إنَّ ربك يأْمرك أن تقرئها أُبيًّا ... الحديث . وقد جزم ابن كثير بأنَّها مدنيّة واستدلّ به .

(سورة الزلزلة) : فيها قولان ، ويستدلّ لكونها مدنية بما أُخرجه ابن أبي حاتم ، عن أبي سعيد الخُدرىّ ، قال : لمّانزلتْ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ... ﴾ الآية ؛ قلت : يا رسول الله ، إنى لراءٍ عملى .

الحديث . وأبو سعيد لم يكن إلّا بالمدينة ولم يبلغ إلا بعد أُحُد .

(سورة العاديات) : فيها قولان .

ويستدل لكونها مدنية بما أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عباس : قال : «بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيلاً ، فلبثت شهرا لا يأْتيه منها خبر ، فنزلت : والعاديات ... » ، الحديث .

(سورة ألهاكم) : الأَشهر أنَّها مكيَّة ، ويدلّ لكونها مدنية ـ وهو المختار ـ ما أخرجه ابن أبي حاتم ، عن ابن بُريدة ، أنَّها نزلت فى قبيلتين من قبائل الأَنصار تفاخروا ... الحديث .

وأخرج عن قتادة أنّها نزلتْ فى اليهود .

وأخرج البخارى عن أبي بن كعب قال : كنا نرى هذا من القرآن ـ يعنى «لو كان لابن آدم وادٍ من ذهبٍ» ـ حتى نزلت : «ألهاكم التكاثر» :

وأخرج الترمذىّ ، عن علىّ قال : ما زلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت ؛ وعذاب القبر لم يذكر إلا بالمدينة كما فى الصحيح فى قصة اليهوديّة .

(سورة أرأيت) : فيها قولان ، حكاهما ابن الفرَس

(سورة الكوثر) : الصواب أنّها مدنية ، ورجّحه النووىّ فى شرح مسلم لما أخرجه مسلم عن أنس ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، إذ أغفَى إغفاءةً ، فرفع رأسه متبسما ، فقال : أُنزلت علىّ آنفا سورة ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ... ﴾ حتى ختمها ... الحديث .

(سورة الإخلاص) : فيها قولان ، لحديثين فى سبب نزولها متعارضين . وجمع بعضهم بينهما بتكرر نزولها ، ثم ظهر لى بعد ترجيح أنها مدنيّة ، كما بينته فى أسباب النزول[1]

(المعوّذتان) : المختار أنهما مدنيّتان ؛ لأنهما نزلتا فى قصة سحر لَبيد ابن الأعصم ، كما أخرجه البيهقىّ فى الدلائل .

---

(١) لباب النقول ٢ : ١٤٦ .

فصل

قال البَيْهقى فى الدلائل : فى بعض السُّور التى نزلت بمكة آيات نزلت بالمدينة فأُلحقت بها . وكذا قال ابن الحَصّار : وكلّ نوع من المكىّ والمدَنىّ منه آيات مستثناة ؛ قال : إلا أنّ من الناس مَن اعتمد فى الاستثناء على الاجتهاد دون النقل .

• • •

فصل

فى ذكر ما استثنى من المكىّ والمدنىّ

وقال ابن حجر فى شرح البخارىّ : قد اعتنى بعضُ الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة فى السور المكية . قال : وأما عكس ذلك ، وهو نزول شئْ من سورةٍ بمكة ، تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة ، فلم أره إلا نادرًا .

قلت : وها أنا أذكر ما وقفتُ على استثنائه من النوعين ، مستوعبًا ما رأيته من ذلك على الاصطلاح الأوّل دون الثانى ، وأشير إلى أدلّة الاستثناء لأجل قول ابن الحصّار السابق ، ولا أذكر الأدلّة بلفظها اختصارا وإحالة على كتابنا أسباب النزول .

(الفاتحة) : تقدّم قولٌ أن نصفها نزل بالمدينة ، والظّاهر أنّه النصف الثانى ، ولا دليل لهذا القول .

(البقرة) : استُثْنِىَ منها آيتان : ﴿ فَاعْفُوا واصْفَحُوا ﴾[1] و ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾[2] .

---

(١) آية ١٠٩ .

(٢) آية ٢٧٢ .

(الأنعام) : قال ابنُ الحصّار : استُثنِى منها تسع آيات ، ولا يصحّ به نقل ، خصوصا قد ورد أنّها نزلت جملة .

قلت : قد صحّ النقل عن ابن عباس باستثناء : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ... ﴾ (١) الآيات الثلاث كما تقدّم ، والبواق : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (٢) لما أخرجه ابن أبى حاتم أنها نزلت فى مالك بن الصّيف ، وقولُه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا ... ﴾ (٣) الآيتين ، نَزَلَتَا فى مُسيْلمة. وقوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَه ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بالحَقِّ ﴾ (٥) .

وأخرج أبو الشيخ عن الكلبىّ ، قال : نزلَت الأنعام كلّها بمكة إلا آيتين نزلتا بالمدينة فى رجل من اليهود ، وهو الذى قال : ﴿ مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَىْءٍ ﴾ (٦) .

وقال الفريابىّ : حدثنا سُفيان ، عن ليث عن بِشْر ، قال : الأنعام مكية إلا ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ ﴾ والآية التى بعدَها .

(الأَعراف) : أخرج أبو الشيخ بن حَيّان عن قَتادة قال : الأعراف مكيّة إلّا آية ﴿ واسْأَلْهمْ عَنِ الْقَرْيَةِ ﴾ (٧) . وقال غيره : من هنا إلى : ﴿ وَإذ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ ... ﴾ (٨) مدنىّ .

---

(١) آيات ١٥١ ـ ١٥٣ .
(٢) آية ٩١ .
(٣) آية ٢١ ، ٢٢ .
(٤) آية ٢٠ .
(٥) آية ١١٤ .
(٦) آية ٩١ .
(٧) آية ١٦٣ .
(٨) آية ١٧٢ .

(الأنفال) : استثنى منهَا : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾ (١) الآية ، قال مقاتل : نزلت بمكة .

قلت : يردّه ماصحّ عن ابن عباس أنّ هذه الآية بعينها نزلت بالمدينة كما أخرجناه فى أسباب النزول ، واستثنى بعضهم قوله : ﴿ يٰأَيُّهَا النَّبِىُّ حَسْبُكَ اللهُ ... ﴾ (٢) الآية ، وصحّحه ابن العربىّ وغيره .

قلت : يؤيده ما أخرجه البزار عن ابن عباس : أنها نزلت لـمّا أسلم عمر .

(براءة) : قال ابن الفرَس : مدنيّة إلّاآيتين : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ.. ﴾(٣) إلى آخرها .

قلت : غريب ، كيف وقد ورد أنها آخر مانزل ! واستثنى بعضهم : (مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ ..) (٤) الآية ، لِما وَرد أنها نزلت فى قوله عليه الصلاة والسلام لأبى طالب : « لأستغفرنّ لك مَا لَمْ أُنْهَ عنك » .

(يونس) : استثنى منها : ﴿ فَإِنْ كُنتَ فِى شَكٍّ ... ﴾ (٥) الآيتين . وقوله : ﴿ وَمِنْهم مَّن يُؤْمِن به ... ﴾ (٦) الآية . قيل : نزلت فى اليهود. وقيل : من أوّلها إلى رأس أربعين مكىّ والباق مدنىّ . حكاه ابن الفرس والسخاوىّ فى جمال القرّاء .

(هود) : استثنى منها ثلاث آيات : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ . . ﴾ (٧) . ﴿ أفمن

---

(١) آية ٣٠ .
(٢) آية ٦٤ .
(٣) آيتا ١٢٨ ، ١٢٩ .
(٤) آية ١١٢ .
(٥) آية ٩٤ ، ٩٥ .
(٦) آية ٤٠ .
(٧) آيات ١٢ ـ ١٤ .

كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ... ﴾[١] ، ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ ... ﴾ [٢]

قلت : دليل الثالثة ما صحّ من عدة طرق أنّها نزلت بالمدينة فى حق أبى اليُسْر

(يوسف) : استثنى منها ثلاث آيات من أوّلها ، حكاه أبو حيان ، وهو واهٍ جدا لا يلتفَت إليه .

(الرعد) : أخرج أبو الشيخ عن قتادة قال : سورة الرعد مدنية إلا آية ، قوله : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ .. ﴾[٣] وعلى القول بأنّها مكية ، يستثنى قوله : ﴿ اللهُ يعلم ﴾ إلى قوله : ﴿ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾[٤] كما تقدمَ والآية آخرها ، فقد أخرج ابن مَرْدَويه عن جُنْدب ، قال : جاء عبد الله بن سلاَم حتى أخذ بِعُضَادتى باب المسجد ، قال : أنشدكم بالله أىّ قوم ، أتعلمون أنى الّذى أنزِلت فيه : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ [٥] ؟ قالوا : اللهمّ نعم .

(إبراهيم) : أخرج أبو الشيخ عن قتاده قال : سورة إبراهيم مكيّة غير آيتين مدنيتين : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ﴾ إلى ﴿ وَبِئْسَ الْقَرَارُ . . ﴾[٦] .

(الحجر) : استثنى بعضهم منها : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا .. ﴾ الآية [٧] .

---

(١) آية ١٧ .
(٢) آية ١١٤ .
(٣) آية ٣١ .
(٤) ايات ٨ – ١٣ .
(٥) آية ٤٣ .
(٦) آيتا ٢٨ ، ٢٩
(٧) سورة الحجر ٨٧ .

قلت : وينبغى استثناء قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ ... ﴾ [١] ، الآية ، لِمَا أخرجه التّرمذىّ وغيره فى سبب نزولها ، وأنها فى صفوف الصلاة .

(النّحل) : تقدّم عن ابن عباس أنّه استثنى آخرها ، وسيأتى فى السّفرىّ ما يؤيده . وأخرج أبو الشّيخ عن الشعبىّ ، قال : نزلت النّحل كُلّها بمكّة إلّا هؤلاء الآيات : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ ... ﴾ [٢] إلى آخرها .

وأخرج عن قتادة ، قال : سورة النحل من قوله : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فى اللهِ مِنْ بَعْدِ مَاظُلِمُوا . . . ﴾ [٣] إلى آخرها مدنى ، وما قبلها إلى آخر السورة مكى ، وسيأتى فى أوّل ما نزَل عن جابر بن زيد أنّ النحل نزل منها بمكة أربعون ، وباقيها بالمدينة . ويردّ ذلك ما أخرجه أحمد عن عثمان بن أبى العاص فى نزول : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [٤] وسيأتى فى نوع الترتيب .

(الإسراء) : استثنى منها : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ... ﴾ [٥] الآية لما أخرج البخارىّ عن ابن مسعودٍ أنها نزلت بالمدينة فى جواب سؤال اليهود عن الرّوح . واستثنى منها أيضا : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [٦] ، وقوله : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾ [٧] الآية ، وقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا . . ﴾ [٨] الآية . و﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ [٩] لما أخرجناه فى أسباب النزول .

---

(١) سورة الحجر ٢٤ .
(٢) سورة النحل ١٢٦ .
(٣) سورة النحل ٤١ .
(٤) سورة النحل ٩٠ .
(٥) سورة الاسراء ٨٥ .
(٦) سورة الاسراء ٧٣ ــ ٨١ .
(٧) سورة الاسراء ٨٨ .
(٨) سورة الاسراء ٦٠
(٩) سورة الاسراء ١٠٧ .

(الكهف) : استثنى من أولها إلى ﴿ جُرُزًا ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ [2] ، الآية و ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ [3] إلى آخر السورة .

(مريم) : استثنى منها آية السجدة ، وقوله : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [4]

(طه) : استثنى منها : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ... ﴾ [5] الآية .

قلت : ينبغى أن يستثنى آية أخرى فقد أخرج البزار وأبو يعلى عن أبى رافع قال : أضاف النبىّ صلى الله عليه وسلم ضيفًا فأرسلنى إلى رجل من اليهود : أن أسلفنى دقيقا إلى هلال رجب ، فقال : لا إلّا برهن ، فأتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : « أما والله إنّى لأمينٌ فى السماء أمين فى الأرض » ، فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) [6]

(الأنبياء) : استثنى منها : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى الأَرْضَ ... ﴾ [7] الآية .

(الحج) : تقدم ما يُستثنى منها .

(المؤمنون) : استثنى منها : (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم) ، إلى قوله : (مُبْلِسُونَ) [8] .

---

(١) سورة الكهف ١ ــ ٨ .
(٢) سورة الكهف ٢٨ .
(٣) سورة الكهف ١٠٧ .
(٤) سورة مريم ٧١ .
(٥) سورة طه ١٣٠ .
(٦) سورة طه ١٣١ .
(٧) سورة الأنبياء ٤٤ .
(٨) سورة المؤمنون ٦٢ ــ ٧٧

(الفرقان) : استثنى منها : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ ﴾ إلى (رَحِيمًا) (١) .

(الشعراء) : استثنى ابن عباس منها : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ ﴾ (٢) إلى آخرها كما تقدم . زاد غيره قوله : ﴿ أَوَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (٣) ، حكاه ابن الفرس .

(القصص) : استثنى منها ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ إلى قوله : ﴿ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٤) ، فقد أخرج الطبرانيّ ، عن ابن عباس أنّها نزلت هي وآخر الحديد في أصحاب النجاشيّ الذين قدموا وشهدوا وقعة أُحُد ، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ... ﴾ (٥) الآية ، لما سيأتي .

(العنكبوت) : استثنى من أوّلها إلى : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ (٦) ، لما أخرجه ابن جرير في سبب نزولها .

(قلت) : ويضمّ إليه : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ ... ﴾ (٧) الآية ، لما أخرجه ابن أبي حاتم في سبب نزولها .

(لقمان) : استثنى منها ابن عباس : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ ... ﴾ (٨) الآيات الثلاث كما تقدم .

(السجدة) : استثنى منها ابن عباس : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا ... ﴾ (٩)

---

(١) سورة الفرقان ٦٨ ـ ٧٠ .
(٢) سورة الشعراء ٢٢٤ ـ ٢٢٧
(٣) سورة الشعراء ١٩٧ .
(٤) سورة القصص ٥٢ ـ ٥٥ .
(٥) سورة القصص ٨٥
(٦) سورة العنكبوت ١١ .
(٧) سورة العنكبوت ٦٠ .
(٨) سورة لقمان ٢٧ ـ ٢٩ .
(٩) سورة السجدة ١٨ ـ ٢٠ .

الآيات الثلاث كما تقدم ، وزاد غيره : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ ﴾ (١) ويدلّ له ما أخرجه البزار عن بلال ، قال : كنّا نجلس فى المسجد ، وناس من الصحابة يصلّون بعد المغرب إلى العشاء ، فنزلت .

(سبأ) : استثنى منها : ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ... ﴾ (٢) الآية . وروى الترمذىّ عن فَرْوة بن نُسَيْك المُرادىّ ، قال : أتيتُ النبىّ صلى الله عليه وسلم فقلت : يَا رسولَ الله ، ألا أُقاتل مَنْ أدبر من قومى ... الحديث ، وفيه : « وأنزل فى سبأُ ما أنزل ، فقال رجل : يارسول الله ، وما سبأ ؟ ... الحديث .

قال ابنُ الحصّار : هذا يدلُّ علىَ أنَّ هذه القصة مدنيّة ؛ لأنَّ مهاجرة فروة بعد إسلام ثَقيف سنة تسع .

قال : ويحتمل أن يكون قوله : « وأنزل » حكاية عمّا تقدّم نزوله قبل هجرته .

(يس) : استثنى منها : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ ... ﴾ (٣) الآية . لِمَا أخرجه الترمذىّ والحاكم عن أبى سعيد ، قال : كانت بنو سلمة فى ناحية المدينة ، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد ، فنزلت هذه الآية . قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إن آثاركم تكتب » ؛ فلم ينتقلوا — واستثنى بعضهم : ﴿ وإِذَا قِيلَ لَهُمْ أنفِقُوا ... ﴾ (٤) الآية ، قيل : نزلت فى المنافقين .

(الزمر) : استثنى منها : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ ... ﴾ (٥) الآيات الثلاث كما تقدم عن ابن عباس .

---

(١) سورة السجدة ١٦ . (٢) سورة سبأ ٦ .
(٣) سورة يس ١٢ . (٤) سورة يس ٤٧ .
(٥) سورة الزمر ٥٣ — ٥٥ .

وأخرج الطبرانيّ من وجه آخر عنه : أنها نزلت فى وحشيّ قاتل حمزة ؛ وزاد بعضهم : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ... ﴾[١] الآية ؛ ذكره السخاوى فى جمال القرّاء ، وزاد غيره : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ... ﴾[٢] الآية ، وحكاه ابن الجزرىّ .

(غافر) : استثنى منها : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣] ؛ فقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية وغيره ، أنّها نزلت فى اليهود لمّا ذكروا الدجال ، وأوضحته فى أسباب النزول .

(شورى) : استثنى منها : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى ﴾ إلى قوله : ﴿ بَصِيرٌ ﴾[٤] .

قلت : بدلالة ما أخرجه الطّبرانى والحاكم فى سبب نزولها ، فإنّها نزلت فى الأنصار . وقوله : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ... ﴾ [٥] الآية نزلت فى أصحاب الصُّفة . واستثنى بعضهم : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ ﴾ إلى قوله : ﴿ مِنْ سَبِيلٍ ﴾[٦] حكاه ابن الفَرَس .

(الزخرف) : استثنى منها : ﴿ واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا ... ﴾ [٧] الآية ؛ قيل : نزلت بالمدينة ، وقيل : فى السماء .

(الجاثية) : استثنى منها : ﴿ قُل لِلَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ [٨] الآية ؛ حكاه فى جمال القرّاء عن قتادة .

---

(١) سورة الزمر ١٠ .
(٢) سورة الزمر ٢٣ .
(٣) سورة غافر غافر ٥٦ ، ٥٧ .
(٤) سورة الشورى ٢٤ ـ ٢٧ .
(٥) سورة الشورى ٢٧ .
(٦) سورة الشورى ٣٩ ، ٤١ .
(٧) سورة الزخرف ٤٥ .
(٨) سورة الجاثية ١٤ .

(الأحقاف) : استثنى منها : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إن كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ... ﴾[١] الآية ، فقد أخرج الطَّبرانى بسندٍ صحيح ؛ عن عوْف بن مالك الأشجعىّ : أنها نزلت بالمدينة فى قصّة إسلام عبد الله بن سلاَم ؛ وله طرق أخرى . لكن أخرج ابن أبى حاتم عن مسروق ، قال : أنزلت هذه الآية بمكة ، إنما كان إسلامُ ابنِ سلاَم بالمدينة ، وإنما كانت خصومةً خاصم بها محمّدا صلى الله عليه وسلم .

وأخرج عن الشعبىّ قال : ليس بعبد الله بن سلاَم ، وهذه الآية مكية . واستثنى بعضُهم : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ ...﴾ [٢] الآيات الأربع ، وقوله : (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ ...) [٣] الآية ، حكاه فى جمال القرّاء .

(ق) : استثنى منها : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّموَاتِ ﴾ إلى ﴿ لُغُوبٍ ﴾ ،[٤] فقد أخرج الحاكم وغيره أنّها نزلت فى اليهود .

(النجم) : استثنى منها : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ ﴾ [٥] إلى ﴿ اتَّقَى ﴾ . وقيل : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِى تَوَلَّى ... ﴾ [٦] الآيات التسع .

(القمر) استثنى منها : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ ... ﴾ [٧] الآية . هو مردود لما سيأتى فى النوع الثانى عشر . وقيل : ﴿ إنَّ الْمُتَّقِينَ ... ﴾ [٨] الآيتين .

(الرحمن) : استثنى منها : ﴿ يَسْأَلُهُ ﴾ [٩] . حكاه فى جمَال القرّاء .

(الواقعة) : استثنى منها ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ ﴿ وثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾[١٠]

---

(١) سورة الأحقاف ١٠ .
(٢) سورة الأحقاف ١٥ .
(٣) سورة الأحقاف ٣٥ .
(٤) سورة ق ٣٨ .
(٥) سورة النجم ٣٢ .
(٦) سورة النجم ٣٣ وما بعدها .
(٧) سورة القمر ٤٥ .
(٨) سورة القمر ٥٤ ، ٥٥ .
(٩) سورة الرحمن ٢٩ .
(١٠) سورة الواقعة ٣٩ ، ٤٠ .

وقوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ ، إلى ﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾ [١] . لما أخرجه مسلم فى سبب نزولها .

(الحديد) : يستثنى منها على القول بأنها مكية آخرها .

(المجادلة) : استثنى منها : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ ... ﴾ [٢] الآية ؛ حكاه ابن الغَرْس وغيره .

(التغابن) : يستثنى منها على أنها مكيّة آخرُها ، لما أخرجه التّرمذىّ والحاكم فى سبب نزولها .

(التحريم) : تقدّم عن قتادة أنَّ المدنىّ منها إلى رأس العشر ، والباقى مكىّ .

(تبارك) : أخرجَ جُوَيْبِر فى تفسيره عن الضّحاك ، عن ابن عباس : قال : أُنزلت الملك فى أهل مكة إلا ثلاث آيات .

(ن) : استثنى منها : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ ﴾ ، إلى ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ [٣] ، ومن : ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ . إلى ﴿ الصَّالِحِينَ ﴾ [٤] فإنّه مدنىّ : حكاه السخاوىّ فى جمال القراء .

(المزمّل) : استثنى منها : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ... ﴾ [٥] الآيتين : حكاه الأصبهانى . وقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ ... ﴾ [٦] إلى آخر السورة . حكاه ابن الغَرْس ، ويردّه ما أخرجه الحاكم عن عائشة أنّه نزل بعد نزول

---

(١) سورة الواقعة ٧٥ ـ ٨٢ . (٢) سورة المجادلة ٧ .
(٣) ورة ن ١٧ ـ ٣٣ . (٤) سورة ن ٤٨ ـ ٥٠ .
(٥) سورة المزمل ١٠ ، ١١ . (٦) سورة المزمل ٢٠ .

صدر السورة بسنة ، وذلك حين فرض قيام الليل فى أوّل الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس .

(الإنسان) : استثنى منها : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [١] .

(المرسَلات) ، استثنى منها : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾ [٢] حكاه ابن الغَرس وغيره .

(المطففين) : قيل : مكية إلا ست آيات من أولها .

(البلد) : قيل : مدنية إلا أربع آيات من أولها .

(الليل) : قيل : مكية إلا أولها .

• • •

---

(١) سورة الانسان ٢٤ . (٢) سورة المرسلات ٤٨ .

ضوابط
فى المكىّ والمدنىّ

﴿ أرأيت ﴾ : نزل ثلاث آيات من أولها بمكة ، والباقى بالمدينة .

أخرج الحاكم فى مستدركه والبيهقى فى الدلائل والبزّار فى مسنده من طريق الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : ما كان ﴿ يأيها الذين آمنوا ﴾ أُنْزِلَ بالمدينة ، وما كان « يَأَيُّها النَّاس » فبمكة .

وأخرجه أبو عبيد فى الفضائل عن علقمة مرسلاً .

وأخرج عن ميمون بن مهران ، قال : ما كان فى القرآن ﴿ يأيها الناس ﴾ أو ﴿ يا بنى آدم ﴾ ، فإنه مكىّ ، وما كان ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فإنه مدنىّ .

قال ابن عطية وابن الغرس وغيرهما : هو فى « يأيها الذين آمنوا » صحيح ، وأمّا ﴿ يأيُّها النَّاس ﴾ فقد يأتى فى المدنىّ .

وقال ابنُ الحصّار : قد اعتنى المتشاغلون بالنسخ بهذا الحديث ، واعتمدوه على ضعفه ، وقد اتفق النّاس على أنّ « النساء » مدنيّة وأولها ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ ﴾ وعلى أنّ « الحج » مكية ، وفيها ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا ﴾[1] .

وقال غيره : هذا القول إن أُخِذَ على إطلاقه فيه نظر ؛ فإنّ سورة البقرة مدنية ، وفيها : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾[2] . ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى الْأَرْضِ ﴾[3] . وسورة النساء مدنية ، وأولها : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ ﴾

---

(١) سورة الحج ٧٧ . (٢) سورة البقرة ٢١ .
(٣) سورة البقرة ١٦٨ .

وقال مكيّ : هذا إنّما هو فى الأكثر ، وليس بعامّ ، وفى كثير من السور المكيّة « يأيّها الذين آمنوا » .

وقال غيرُه : الأقرب حملُه على أنّه خطاب ، المقصود به ــ أو جلّ المقصود به ــ أهل مكة أو المدينة .

وقال القاضى : إن كان الرجوع فى هذا إلى النقل فمسلَّم ، وإن كان السبب فيه حصول المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف ، إذ يجوز خطاب المؤمنين بصفتهم وباسمهم وجنسهم ، ويؤمر غير المؤمنين بالعبادة كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها والازدياد منها . نقله الإمام فخر الدين فى تفسيره .

وأخرج البيهقيّ فى الدلائل من طريق يُونس بن بُكَير . عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : كل شىء نزل من القرآن فيه ذكر الأُمم والقرون فإنما نزل بمكة ، وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة .

وقال الجعبريّ : لمعرفة المكى والمدنى طريقان : سماعىٌّ وقياسىٌّ ، فالسماعىّ ما وصل إلينا نزوله بأحدهما . والقياسىّ كل سورة فيها « يأيّها الناس » فقط ، أو « كَلَّا » ، أو أوّلها حرف تَهَجّ . سوى الزَّهْرَاوَيْن والرعد . أو فيها قصة آدم وإبليس . سوى البقرة فهى مكيّة . وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأُمم الخالية مكيّة ، وكلّ سورة فيها فريضة أو حدّ ؛ فهى مدنيّة . انتهى .

وقال مكىّ : كلّ سورة فيها ذكر المنافقين فمدنيّة ؛ زاد غيره : سوى العنكبوت ..

وفى كامل الهذلىّ : كلّ سورة فيها سَجْدة فهى مكيّة .

وقال الدرينيّ رحمه الله :

وما نزلتْ كَلاَّ بيثرب فاعلمنْ • ولم تَأْتِ فى القرآن فى نصفه الأَعْلَى

وحكمة ذلك أنَّ نصفَه الأخير نزل أكثرهُ بمكّة ، وأكثرها جبابرة : فتكرّرت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم ، والإنكار عليهم ، بخلاف النصف الأول ، وما نزل منه فى اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه [1] لذلتِهم وضعفِهم ؛ ذكره العُمانىّ .

• • •

فائدة

أخرج الطبرانىّ ، عن ابن مسعود : نزل المفصّل بمكة فمكثنا حججا نقرؤه ، لا ينزل غيره .

• • •

تنبيه

قد تبين بما ذكرناه من الأوجه التى ذكرها ابن حبيب المكىّ والمدنىّ وما اختُلف فيه وترتيب نزول ذلك ، والآيات المدنيّات فى السورة المكية والآيات المكيّات فى السور المدنية ، وبقى أوجهٌ تتعلّق بهذا النوع ذكر هو أمثلتَها فنذكره .

مثالُ مانزل بمكّة وحكمهُ مدنىّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ... ﴾ [2] الآية ، نزل بمكة يوم الفتح ؛ وهى مدنيّة لأنها نزلت بعد الهجرة . وقوله : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) [3] كذلك .

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى ط : « ما فيه » .
(٢) سورة الحجرات ١٣ . (٣) سورة المائدة ٣ .

قلت : وكذا قوله : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا .. ﴾(1) فى آيات أخر .

ومثال ما نزل بالمدينة وحكمه مكىّ سورة الممتحنة ؛ فإنها نزلتْ بالمدينة مخاطبة لأهل مكة . وقوله فى النحلِ : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ... ﴾ (2) إلى آخرها ، نزل بالمدينة مخاطباً به أهل مكة ، وصدْر براءة نزل بالمدينة خطابا لمشركى أهل مكة .

ومثال ما يشبه تنزيل المدنىّ فى السور المكية قوله فى النجم : ﴿ والَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ (3) ؛ فإنَّ الفواحش كلُّ ذنب فيه حَدّ ، والكبائر كلّ ذنب عاقبته النار ، واللَّمم مابين الحدّينِ من الذنوب ؛ ولم يكن بمكة حدّ ، ولا نحوه .

ومثال ما يشبه تنزيل مكة فى السور المدنية قوله : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ، وقوله فى الأنفال : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ ... ﴾ (4) الآية .

ومثال ما حُمِل من مكة إلى المدينة سورة يوسف والإخلاص .

قلت : وسبّح ، كما تقدم فى حديث البخارىّ .

ومثال ما حُمِلَ من المدينة إلى مكة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ (5) وآية الربا ، وصدر براءة ، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ... ﴾ (6) الآيات .

---

(1) سورة النساء ٥٨ .
(2) سورة النحل ٤١ .
(3) سورة النجم ٣٢ .
(4) سورة الأنفال ٣٢ .
(5) سورة البقرة ٢١٧ .
(6) سورة النساء ٩٧ .

ومثال ما حُمِلَ إلى الحبشة : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء ... ﴾ [١] الآيات .

قلت : صحّ حملها إلى الرّوم .

وينبغى أن يمثّل لِمَا حُمِلَ إلى الحبشة بسورة مريم ، فقد صحّ أن جعفر ابن أبى طالب قرأها على النَّجاشىّ ؛ وأخرجه أحمد فى مسنده .

وأمّا ما نزل بالجُحفة والطائف وبيت المقدس والحديبية ، فسيأتى فى النوع الذى يلى هذا ، ويُضمّ إليه ما نزل بمنى وعرفات وعَسْفان وتَبُوك وبَدْر وأُحُد وحراء وحمراء الأسد .

---

(١) سورة آل عمران ٦٤ .

النوع الثانى

فى معرفة الحضرى والسفرى

أمثلة الحضري كثيرة ، وأما السّفرى فله أمثلة تَتَبَّعتُها ، منها : (واتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) [١] نزلت بمكة عام حجة الوداع ، فأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن جابر قال : لمّا طاف النبيّ صلى الله عليه وسلم قال له عمر : هذا مقام أبينا ابراهيم ؟ قال : قال : نعم ، قال : أفلا نتّخذه مصلًّى ؟ فنزلت .

وأخرج ابن مردويه من طريقِ عمرو بن ميْمون ، عن عمر بن الخطّاب ، أنّه مرّ بمقام إبراهيم فقال : يارسول الله ، أليس نَقوم مقام خليل ربنا ؟ قال : بلَى ، قال : أفلا نتّخذه مصلًّى ! فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلتْ .

وقال ابن الحصّار : نزلت إمّا فى عُمْرة القضاء أو فى غزوة الفتح ، أو فى حجّة الوداع .

ومنها : (وَلَيْسَ البِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِها ...) [٢] الآية ، روى ابنُ جرير عن الزُهرىّ أنها نزلت فى عُمْرة الحديبية . وعن السُّدّىّ أنّها نزَلت فى حجّة الوداع .

ومنها : (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلهِ) [٣] فأخرج ابنُ أبى حاتم عن صفوان ابن أميّة قال : جاء رجل إلى النبى صلّى الله عليه وسلم متضمّخ بالزعفران ،

---

(١) سورة البقرة ١٢٥ . (٢) سورة البقرة ١٨٩ .
(٣) سورة البقرة ١٩٦ .

عليه جبّة ، فقال : كيف تأمرني في عمرتي ؟ فنزلت ، فقال : أين السائل عن العمرة ؟ ألق عنك ثيابك ثم اغتسل ... الحديث ..

ومنها : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ .. ﴾ (١) الآية ، نزلت بالحديبية ، كما أخرجه أحمد ، عن كعب بن عجرة الذى نزلت فيه ، والواحدىّ عن ابن عباس .

ومنها : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ... ﴾ (٢) الآية ، قيل : نزلت يوم فتح مكة ، ولم أقف له على دليل .

ومنها : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ ... ﴾ (٣) الآية ، نزلت بمنىً عام حجة الوداع ، فيما أخرجه البيهقىّ فى الدلائل .

ومنها : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ . . . ﴾ (٤) الآية ، أخرج الطّبرانىّ بسند صحيح عن ابن عباس ، أنها نزلت بحمراء الأسد .

ومنها : آية التيمم فى النساء (٥) ، أخرج ابن مردويه عن الأسلع بن شريك ، أنّها نزلتْ فى بعض أسفار النبىّ صلى الله عليه وسلم .

ومنها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ... ﴾ (٦) نزلت يوم الفتح فى جوف الكعبة ، كما أخرجه سُنيد فى تفسيره عن ابن جريج ، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عبّاس .

ومنها : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ . . . ﴾ (٧) الآية ، نزلت بعُسفان بين الظهر والعصر ، كما أخرجهُ أحمد عن أبي عيّاش الزُّرَقىّ .

---

(١) سورة البقرة ١٩٦ .
(٢) سورة البقرة ٢٨٥ .
(٣) سورة البقرة ٢٨١ .
(٤) سورة آل عمران ١٧٢ .
(٥) سورة النساء آية ٤٣ .
(٦) سورة النساء ٥٨ .
(٧) سورة النساء ١٠٢ .

ومنها : (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ) ،[١] أخرج البزّار وغيره عن حذيفة أنها نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير له .

ومنها : أوّل المائدة ، أخرج البيهقىّ فى شعب الإيمان ، عن أسماء بنت يزيد ، أنها نزلت بمنىً . وأخرج فى الدّلائل عن أمّ عمرو ، عن عمّها ، أنها نزلت فى مسير له .

وأخرج أبو عبيد عن محمد بن كعب ، قال : نزلت سورة المائدة فى حجّة الوداع فيما بين مكة والمدينة .

ومنها : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . . .) [٢] فى الصحيح عن عمر ، أنها نزلت عشيّة عرفة يوم الجمعة عام حجّة الوداع ، وله طرق كثيرة ، لكن أخرج ابن مردويه عن أبى سعيد الخُدرىّ ، أنها نزلت يوم غدير خُمّ .

وأخرج مثله من حديث أبى هريرة ، وفيه أنّه اليوم الثامن عشر من ذى الحجة ، مرجعَه من حجة الوداع ، وكلاهما لا يصح .

ومنها آية التيمّم فيها ، فى الصحيح عن عائشة أنّها نزلت بالبيداء ، وهم داخلون المدينة . وفى لفظ : « بالبيداء أو بذات الجيش » .

قال ابن عبد البرّ فى التمهيد : يقال إنّه كان فى غزوة بنى المصطلق ، وجزم به فى الاستذكار ، وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبّان ، وغزوة بنى المصطلق هى غزوة المُرَيْسيع . واستبعد ذلك بعض المتأخّرين ، قال : لأنّ المريْسيع من ناحية مكة بين قُديد والساحل ، وهذه القصّة من ناحية خَيْبر ؛ لقول عائشة إنّها « نزلت بالبيداء أو بذات الجيش » وهما بين المدينة وخيْبر ،

(١) سورة النساء ١٧٦ . (٢) سورة المائدة ٣ .

كما جزم به النَّوَوِىّ ، لكن جزم ابن التين بأن البَيْداء هى ذو الحُليفة .

وقال أبو عبيد البكرىّ : البيداء هو الشّرف الذى قدّام ذى الحُليفة من طريق مكة ، قال : وذات الجيش من المدينة على بريد .

ومنها : (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ ...) (١) الآية . أخرج ابن جرير عن قتادة ، قال : ذُكِرَ لنا أنَّها نزلتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخل ، فى الغزوة السابعة حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به فأطلعه الله على ذلك .

ومنها : (واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس) ، (٢) فى صحيح ابن حبّان ، عن أبى هريرة أنها نزلت فى السفر : وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن جابر أنّها نزلت فى ذات الرقيع بأعلى نخل فى غزوة بنى أنمار .

ومنها : أوّل الأنفال نزلت ببدر عقب الوقعة ، كما أخرجه أحمد عن سعد ابن أبى وقاص .

ومنها : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ...) (٣) الآية ، نزلت ببدر أيضا كما أخرجه التّرمذى عن عمر .

ومنها (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهبَ ...) (٤) الآية ، نزلت فى بعض أسفاره كما أخرجه أحمدعن ثوْبان .

---

(١) سورة المائدة ١١ .
(٢) سورة المائدة ٦٧ .
(٣) سورة الأنفال ٩ .
(٤) سورة التوبة ٣٤ .

ومنها : قوله : (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا ...) [١] الآيات ، نزلت فى غزوة تبوك ، كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس .

ومنها : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ .) [٢] ، نزلت فى غزوة تبوك ، كما أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عمر .

ومنها : (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ...) [٣] الآية ، أخرج الطَّبَرانىّ وابن مردويه ، عن ابن عباس ، أنَّها نزلت لمّا خرج النبى صلى الله عليه وسلم معتمرًا وهبط من ثنيّة عُسفان ، فزار قبر أُمّه ، واستأْذن فى الاستغفار لها .

ومنها خاتمة النَّحل ، أخرج البيهقىّ فى الدلائل والبزار عن أبى هريرة : أنّها نزلت بأُحد ، والنبىّ صلى الله عليه وسلم واقف على حمزة حين استُشهد . وأخرج الترمذىّ والحاكم عن أُبَىّ بن كعب ، أنَّها نزلت يوم فتح مكة .

ومنها (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا) . [٤] أخرج أبو الشيخ ، والبيهقىّ فى الدلائل من طريق شهر بن حوْشب ، عن عبد الرحمن ابن غَنْم ، أنها نزلت فى تبوك .

ومنها : أوّل الحجّ ، أخرج التِّرْمذِىّ والحاكم ، عن عمران بن حُصين ، قال : لما نزلتْ على النبىّ صلى الله عليه وسلم : (يَاأَيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكمْ إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعةِ شَىءٌ عَظِيمٌ) إلى قوله : (وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ) [٥] ، نزلت عليه هذه وهو فى سفر... الحديث . وعند ابن مردويه من طريق الكلبىّ عن أبى صالح عن ابن عباس أنَّها نزلت فى مسيره فى غزوة بنى المصطلق .

(١) سورة التوبة ٤٢ .
(٢) سورة التوبة ٦٥ .
(٣) سورة التوبة ١١٣ .
(٤) سورة الاسراء ٧٦ .
(٥) سورة الحج ١ ، ٢ .

ومنها : (هَٰذَانِ خَصْمَانِ . . .) [١] الآيات . قال القاضى جلال الدين البُلقينىّ : الظاهر أنّها نزلت يوم بدر وقت المبارزة لما فيه من الإشارة بـ «هذان» .

ومنها : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ . . .) [٢] الآية ، أخرج الترمذىّ عن ابن عباس قال : لما أخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيّهم لَيَهْلِكُنَّ ، فنزلت ، قال ابن الحصار : استنبط بعضهم من هذا الحديث أنّها نزلت فى سفر الهجرة .

منها : (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ...) [٣] الآية ، قال ابن حبيب : نزلت بالطائف ، ولم أقف له على مستند .

ومنها : (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) [٤] نزلت بالجُحفة فى سفر الهجرة ، كما أخرجه ابن أبى حاتم عن الضحاك .

ومنها : أوّل الروم . روى الترمذىّ عن أبى سعيد ، قال لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس ، فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت (الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ) إلى قوله : (بِنَصْرِ اللَّهِ) ، [٥] قال الترمذىّ : غَلِبت الروم ، يعنى بالفتح .

ومنها : (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا) [٦] الآية ، قال ابن حبيب : نزلت فى بيت المقدس ليلة الإسراء .

ومنها : (وَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً) [٧] الآية ، قال السخاوىّ فى جمال القراء : قيل إن النبى صلى الله عليه وسلم لمّا توجّهَ مهاجرًا إلى المدينة ،

---

(١) سورة الحج ١٩ .
(٢) سورة الحج ٣٩ .
(٣) سورة الفرقان ٤٥ .
(٤) سورة القصص ٨٥ .
(٥) سورة الروم ١ – ٥ .
(٦) سورة الزخرف ٤٥ .
(٧) سورة محمد ١٣ .

وقف ونظر إلى مكة وبكى ، فنزلت .

ومنها : سورة الفتح . أخرج الحاكم عن المسوَر بن مخرمة ومَرْوان بن الحكم، قالا : نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة فى شأن الحُدَيبية من أوّلها إلى آخرها، وفى المستدرك أيضا من حديث مجمِّع بن جارية ، أنَّ أوّلها نزل بكُراع الغَمِيم.

ومنها : « يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى . . .) [١] الآية ، أخرج الواحدىّ ، عن ابن أبي مُليكة أنّها نزلت بمكة يوم الفتح لمّا رَقِىَ بلال على ظهر الكعبة وأذّن ، فقال بعض الناس : أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة ؟! .

ومنها : (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ . . .) [٢] الآية ، قيل : إنها نزلت يوم بدر ؛ حكاه ابن الفرس ، وهو مردود لما سيأتى فى النوع الثانى عشر ، ثم رأيت عن ابن عباس ما يؤيده .

ومنها قال النَّسفِى : قوله : (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ) [٣] ، وقوله : (أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُم مُدْهِنُونَ) [٤] نزلتا فى سفره صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولم أقف له على مستند .

ومنها : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) [٥] أخرج ابن أبي حاتم ، من طريق يعقوب بن مجاهد أبي حَزْرة ، قَالَ : نزلت فى رجل ن الأنصار فى غزوة تَبُوك ، لما نزلوا الْحِجْر ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألّا يحملوا من مائها شيئا ، ثم ارتحل ، ثم نزل منزلاً آخر وليس معهم ماء، فشكوا ذلك، فدعا فأرسل الله سحابة ، فأمطرت عليهم حتى استقوا منها ، فقال رجل من

(١) سورة الحجرات ١٣ .
(٢) سورة القمر ٤٥ .
(٣) سورة الواقعة ١٣ .
(٤) سورة الواقعة ٨١ .
(٥) سورة الواقعة ٨٢ .

المنافقين : إنما مُطِرْنا بنوْء كذا ، فنزلت .

ومنها : آية الامتحان : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ .... ﴾ (١) الآية ، أخرج ابن جرير وعن الزهرى أنّها نزلت بأسفل الحُديبية .

ومنها : سورة « المنافقون » ، أخرج الترمذى عن زيد بن أرقم أنها نزلت ليلاً فى غزوة تبوك . وأخرج سفيان أنها فى غزوة بنى المصطلق ، وبه جزم ابن إسحاق وغيره .

ومنها : سورة المرسلات ، أخرج الشيخان عن ابن مسعود : قال : « بينما نحنُ مع النبي صلى الله عليه وسلم فى غار بمنىً إذ نزلت عليه : والمرسلات ... » الحديث .

ومنها : سورة المطفِّفين أو بعضها حكى النَّسفى وغيرُهُ ، أنّها نَزَلَتْ فى سفر الهجرة قبل دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة .

ومنها : أول سورة « اقرأ » نزل بغار حِراء ، كما فى الصحيحين .

ومنها : سورة الكوثر . أخرج ابن جرير عن سعيد بن جُبير ، أنّها نزلَت يوم الحُديبيَة ، وفيه نظر .

ومنها : النَّصر : أخرج البزار والبيهقى فى الدلائل عن ابن عمر ، قال : أُنزِلت هذه السورة : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط أيام التشريق فعرف أنّه الوداع ، فأَمر بناقته القَصْوَاء ، فرُحِلت ، ثم قام فخطب الناس ، فذكر خطبته المشهورة .

---

(٦) سورة الممتحنة ١٠ .

النوع الثالث

معرفة النهارى والليلى

أمثلة النهارى كثيرة . قال ابن حبيب : نزل أكثر القرآن نهارا ؛ وأما الليل فتتبعتُ له أمثلة :

منها : آية تحويل القبلة ، ففى الصحيحين من حديث ابن عُمر : بينما النَّاس بقُبَاء فى صلاة الصبح ، إذ أتاهم آتٍ فقال : إنَّ النبى صى الله عليه وسلم قد أُنزِلَ عليه الليلة قرآن ، وقد أُمِر أن يستقبل القبلة .

وروى مسلم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى ببيت المقدس فنزلت : ﴿ قدْ نرَى تقلُّبَ وَجْهِك فِى السَّمَاء ... ﴾ [1] الآية ، فمر رجل من بنى سَلِمة ، وهم ركوع فى صلاة الفجر وقد صلَّوْا ركعة ، فنادى : ألا إنَّ القبلة قد حُوِّلت ، فمالوا كلهم نحو القبلة ، لكن فى الصحيحين عن البَراء ، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم صلَّى فيه قبل بيت المقدس ستَّة عشر ـ أو سبعة عشر ـ شهرا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت ، وأنه أول صلاة صلاَّها العصر وصلَّى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلى معه ، فمر على أهلِ مسجدٍ وهم راكعون ، فقال : أشهد بالله ، لقد صلَّيتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل الكعبة ، فداروا كماهم قِبَل البيت ؛ فهذا يقتضى أنَّها نزلتْ نهارا بين الظهر والعصر .

قال القاضى جلال الدين : والأرجح بمقتضى الاستدلال نزولُها بالليل ؛ لأن قضية أهل قُباء كانت فى الصبح ، وقُباء قريبة من المدينة ، فيبعد أن يكون

---

(١) سورة البقرة ١٤٤

رسول الله صلى الله عليه وسلم أخَّر ـ البيان لهم من العصر إلى الصبح .

وقال ابن حجر : الأقوى أن نزولها كان نهاراً . والجواب عن حديث ابن عمر ، أن الخبر وصل وقت العصر إلى من هو داخل المدينة وهم بنو حارثة ، ووصل وقت الصبح إلى مَنْ هو خارج المدينة ، وهم ابنا عمرو بن عوف أهل قباء . وقوله : « قد أنزِل عليه الليلة » مجاز ، من إطلاق الليلة على بعض اليوم الماضى والذى يليه .

قلت : ويؤيد هذا ما أخرجه النَّسائى عن أبى سعيد بن المعلّى ، قال : مررنا يومًا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على المنبر ، فقلت : لقد حدث أمر ، فجلست ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (قدْ نرَى تقلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاء ...) ، حتى فرغ منها ، ثم نزل فصلى الظهر .

ومنها : أواخر آل عمران ، أخرج ابن حبّان فى صحيحه ، وابن المنذر وابن مَرْدُويه وابنُ أبى الدنيا فى كتاب التفكر عن عائشة ، أن بلالاً أتى النبى صلى الله عليه وسلم يُؤذنه لصلاة الصبح ، فوجده يبكى ، فقال : يا رسول الله ، ما يبكيك ؟ قال : وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل علىَّ هذه الليلة : ﴿إنَّ فِى خلْقِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ واخْتِلاَفِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِى الأَلْبَابِ﴾ [1] ! ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكَّر !

ومنها : (وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [2] ، أخرج التِّرمذى والحاكم عن عائشة قالت : كان النبىُّ صلى الله عليه وسلم يُحْرَس ، حتى نزلَتْ ، فأخرج رأسه من القبة ، فقال : أيُّها النَّاس ، انصرفوا فقد عصمنى الله .

(١) سورة آل عمران ١٩٠ (٢) سورة المائدة ٦٧

وأخرج الطَّبرانى عن عِصْمة بن مالك الخُطَمِى ، قال : كنَّا نحرُس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالليل حتى نزلت ، فترك الحرَس .

ومنها : سورة الأنعام ، أخرج الطَّبرانى وأبو عبيدٍ فى فضائله عن ابن عباس ، قال : نزلت سورةُ الأنعام بمكّة ليلاً جُملة ، حولها سبعون ألف مَلكٍ يجأرون بالتسبيح .

ومنها : آية الثلاثة الذين خُلِّفوا (١) ؛ ففى الصحيحين من حديث كعب فأنزل الله توبتنا حين بقى الثلث الأخير من الليل .

ومنها : سورة مريم ؛ روىَ الطَّبرانى وأبو عبيد فى فضائله عن ابن عباس ، قال ، أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت : وُلدتْ لى الليلَةَ جارية ؛ فقال : والليلة أُنْزِلت علىّ سورة مريم ، سمِّها مريم .

ومنها : أول الحج ، ذكره ابنُ حبيب ومحمد بن بركات السعيدىّ فى كتابه الناسخ والمنسوخ ، وجزم به السخاوى فى جمال القراء . وقد يستدل له بما أخرجه ابن مردُويه عن عمران بن حصين أنها نزلت والنبى صلى الله عليه وسلم فى سفر وقد نعس بعضُ القوم وتفرّق بعضهم فرفع بها صوته .... الحديث .

ومنها : آية الإذن فى خروج النِّسوة فى الأحزاب ، قال القاضى جلال الدين . والظاهر أنها ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِىُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ ... ﴾ (٢) الآية ، ففى البخارى عن عائشة : خرجت سَوْدة بعد ما ضُرِب الحجاب لحاجتها ـ وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على مَنْ يعرفها ـ فرآها عمر ، فقال : يا سَوْدة ؛ أما والله مَا تَخْفَيْنَ علينا ، فانظرى كيف تخرجين ! قالت : فانكفأتُ راجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه ليتعشّى وفى يده عِرْق ، فقلت :

(١) سورة التوبة ١١٨ (٢) سورة الأحزاب ٥٩

يا رسول الله ، خرجتُ لبعض حاجتى ، فقال لى عمر كذا ؛ فأُوحى الله إليه وإن العِرْق فى يده ما وضعه - فقال : إنه قد أُذِن لكنّ أن تخرجن لحاجتكنّ .

قال القاضى جلال الدين : وإنما قلنا إنّ ذلك كان ليلاً ؛ لأنهن إنما كن يخرجن للحاجة ليلا كما فى الصحيح عن عائشة فى حديث الإفك .

ومنها ﴿ واسْأَلْ من أرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا ... ﴾ [١] على قول ابن حبيب إنها نزلت ليلة الإسراء .

ومنها : أول الفتح ، ففى البخارى مِن حَديث : « لقد أُنزلت علىّ الليلة سورة هى أحبُّ إلىّ مِما طلعت عليه الشمس ، فقرأ :﴿ إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ ... » الحديث .

ومنها : سورة « المرسلات » ، قال السخاوى فى جَمال القراء : روى عن ابن مسعود أنها نزلت ليلة الجنّ بحِراء .

قلت : هذا أثر لا يعرف ، ثم رأيت فى صحيح الإسماعيلى وهو مستخرجه على البخارى ، أنّها نزلت ليلة عرفة بغار منًى ، وهو فى الصحيحين بدون قوله : « ليلة عرفة » ، والمراد بها ليلة التاسع من ذى الحجة ، فإنّها التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يبيتها بمنًى .

ومنها : المعوّذتان ، فقد قاله ابن أشته فى المصاحف : نبأنا محمد بن يعقوب ، نَبأَنا أبو داود ، نبأَنا عثمان بن أبى شيبة ، نبأَنا جرير ، عن بيان ، عن قيس عن عُقْبة بن عامر الْجُهنى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُنْزلت علىّ الليلة آيات لم يُرَ مثلهن ؛ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ ، و﴿قل أعوذ برب الناس﴾ » .

* * *

(١) سورة الزخرف ٤٥

فرع

ومنه ما نزل بين الليل والنهار فى وقت الصبح ، وذلك آيات :

ومنها : آية التيمم فى المائدة ، ففى الصحيح عن عائشة : وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يُوجد ، فنزلت : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [1].

ومنها : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [2] ؛ ففى الصحيح أنها نزلت وهو فى الركعة الأخيرة من صلاة الصبح حين أراد أن يقنت يدعو على أبى سفيان ومن ذكر معه .

• • •

تنبيـــه

فإن قلتَ : فما تصنع بحديث جابر مرفوعا : « أصدقُ الرؤيا ما كان نهاراً لأن الله خصَّنى بالوحى نهاراً » ؟ أخرجه الحاكم فى تاريخه .

قلتُ : هذا الحديث منكَر لا يحتج به .

• • •

(١) سورة المائدة ٦ (٢) سورة آل عمران ١٢٨

النوع الرابع

الصيفى والشتائى

قال الواحدى : أنزل الله فى الكلالة آيتين : إحداهما فى الشتاء ، وهى التى فى أول النساء ، والأخرى فى الصيف وهى التى فى آخرها .

وفى صحيح مُسلم عن عمر : ما راجعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى شىء ما راجعتُه فى الكلالة وما أغلظ فى شىء ما أغلظ لى فيه ، حتى طعن بإصبعه فى صدرى ، وقال : « ياعمر ، ألا تكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء ! » !

وفى المستدرك عن أبى هريرة أن رجلاً قال : يا رسول الله ما الكلالة ؟ قال : أمَا سمعتَ الآية التى نزلت فى الصيف : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلَالَةِ ﴾ (١) وقد تقدم أن ذلك فى سفر حجة الوداع ، فيعد من الصيفى ما نزل فيها كأول المائدة ، وقوله :﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ،(٢) ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ ... ﴾ (٣) ، وآية الدَّيْن وسورة النصر .

ومنه : الآيات النازلة فى غزوة تبوك ، فقد كانت فى شدة الحر ، أخرجه البيهقى فى الدلائل من طريق ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر بن حزم ؛ أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم ما كان يخرج فى وجه من مغازيه إلا أظهر أنَّه يريد غيره ، غير أنَّه فى غزوة تبوك قال : « يأيها النَّاس إنِّى أُريد الروم » فأعلمهم ، وذلك فى زمان البأس وشدة

(١) سورة النساء
(٢) سورة المائدة ٣
(٣) سورة البقرة ٢٨١

الحر وجَدْب البلاد ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ يوم فى جهازه إذ قال للجَد بن قيس : « هل لك فى بنات بنى الأصفر ؟ » . قال : يا رسول الله ، لقد علِم قومى أنه ليس أحَدٌ أشد عُجْبًا بالنساء منِّى ، وإنى أخاف إن رأيت نساء بنى الأصفر أن يفتِنَّنى ، فائذن لى . فأنزل الله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّى ... ﴾ (١) الآية .

وقال رجل من المنافقين : لا تنفروا فى الحر ، فأنزل الله : ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ (٢) .

• • •

ومن أمثلة الشتائى قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٣) ؛ ففى الصحيح عن عائشة أنها نزلت فى يوم شاتٍ .

والآيات التى فى غزوة الخندق من سورة الأحزاب ، فقد كانت فى البرد ففى حديث حُذيفة : تفرّق النّاس عن رسول‌الله صلى الله عليه وسلّم ليلةَ الأحزاب إلا اثنى عشر رجلاً . فأتانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فقال : قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب ، قلت : يا رسولَ الله ، والذى بعثك بالحق ما قمتُ لك ــ إلاحياء ــ من البرد ... الحديث ؛ وفيه فأنزل الله : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ .... ﴾ (٤) إلى آخرها أخرجه البيهقى فى الدلائل .

---

(١) سورة التوبة ٤٩
(٢) سورة التوبة ٨١
(٣) سورة النور ١١ ــ ٢٦
(٤) سورة الأحزاب ٩

النوع الخامس

الفراشي والنومي

من أمثلة الفراشيّ قوله : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[١] كما تقدم ، وآية الثلاثة الذين خُلِّفوا ، ففى الصحيح أنها نزلتْ وقد بقى من الليل ثلثه ، وهو صلى الله عليه وسلم عند أمّ سلمة .

واستشكل الجمع بين هذا وقوله صلى الله عليه وسلم فى حقّ عائشة « ما نزَل علىّ الوحىُ فى فراش امرأةٍ غيرها » . قال القاضى جلال الدين ولعلّ هذا كان قبْل القصّة التى نزل الوحى فيها فى فراش أمّ سلمة .

قلت : ظفرتُ بما يُؤخذ منه الجواب الذى أحسن من هذا ، فروَى أبو يعلَى فى مسنده عن عائشة قالت : « أعطِيتُ تسعًا ... » الحديث ، وفيه : « وإن كانَ الوحىُ لَينزلُ عليه وهو فى أهله فينصرفون عنه ، وإن كان لَينزِل عليه وأنا معه فى لحافه » . وعلى هذا لامعارضة بين الحديثين كما لا يخفى .

وأما النّوميّ فمن أمثلته سورة الكوثر ، لِمَا روَى مسلم عن أنس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءةً ، ثم رفع رأسه متبسمًا ، فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال : أنزل علىّ آنفا سورة ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ • فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ • إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾

وقال الإمام الرافعىّ فى أماليه : فهِم فاهمون من الحديث أنّ السورة

---

(١) سورة المائدة ٦٧

نزلتْ فى تلك الإغفاءة ، وقالوا : منَ الوحى ما كان يأْتيه فى النوم ؛ لأنَّ رؤْيا الأَنبياء وحْى . قال : وهذا صحيح ، لكن الأَشبه أن يقالَ : إنَّ القرآن كلَّه نزل فى اليَقظة ، وكأَنه خطر له فى النوم سورة الكوثر المنزلَّة فى اليقظة ، أوعُرِض عليه الكوثر الذى وردت فيه السورة ، فقرأها عليهم ، وفسّرها لهم. ثم قال : وورد فى بعض الروايات أنَّه أُغمِىَ عليه ، وقد يُحمَل ذلك على الحالة الَّتى كانت تعتريه عند نزول الوحى ، ويقال لها : بُرحاء الوحى . انتهى

قلت : الذى قاله الرافعىّ فى غاية الاتجاه ، وهو الذى كنت أميلُ إليه قبل الوقوف عليه ، والتأْويل الأَخير أصحّ من الأَوّل ؛ لأن قوله : « أُنزل علىَّ آنفا » ، يدفع كونَها نزلت قبل ذلك ، بل نقول : نزلت تلك الحالة وليس الإغفاءة إغفاءة نوم ، بل الحالة الَّتى كانت تعتريه عند الوحى ، فقد ذكر العلماء أنَّه كان يؤخذ عن الدنيا .

النوع السادس

الأرضى والسمائى

تقدم قول ابن العربيّ : إنّ من القرآن سمائيًا وأرضيًا ، وما نزل بين السماء والأرض ، وما نزل تحت الأرض في الغار . قال : وأخبرنا أبو بكر الفِهْرِىّ قال : أنبأنا التميمىُّ ، أنبأنا هبة الله المفسِّر ، قال : نزل القرآن بين مكة والمدينة إلّا ست آيات نزلت لا فى الأرض ولا فى السماء ؛ ثلاث فى سورة الصافات : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ . . . ﴾ [1]، الآيات الثلاث ، وواحدة فى الزخرف : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا . . . ﴾ [2] الآية ، والآيتان من آخر سورة البقرة نزلت ليلة المعراج .

قال ابن العربىّ : ولعله أراد فى الفضاء بين السماء والأرض ، قال : وأمّا ما نزل تحت الأرض فسورة المرسلات كما فى الصحيح عن ابن مسعود .

قلت : أمّا الآيات المتقدّمة فلم أقفْ علىَ مستند لما ذكره فيها ، إلا آخر البقرة ، فيمكن أن يستدلّ بما أخرجه مسلم عن ابن مسعود : لما أُسْرِىَ برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى إلى سدرة المنتهى . . . » [3] الحديث . وفيه : « « فأُعطِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثا ، أُعْطِىَ الصلوات الخمس ، وأُعْطىَ خواتيم سورة البقرة ، وغفِر لمن لا يشرك من أمته بالله شيئا المقحِمات » .

وفى الكامل للهُذَلىّ نزلت : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ . . . ﴾ [4] إلى آخرها بقاب قوسين .

---

(١) سورة الصافات ١٦٤ ـ ١٦٦

(٢) سورة الزخرف ٤٥

(٣) صحيح مسلم ٥٧

(٤) سورة البقرة ٢٨٥ ، ٢٨٦

النوع السابع

معرفة أول ما نزل

اختلف فى أول ما نزل من القرآن على أقوال :

أحدُها : وهو الصحيح : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ، روى الشيخان وغيرهما عن عائشة ، قالت : « أوّل مابُدِئَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحْى الرؤْيا الصادقة فى النوم ، فكان لايرى رؤْيا إلّا جاءت مثل فَلَق الصبح ، ثم حُبِّب إليه الخلاء ، فكان يأْتى حِرَاء ، فيتحنّث فيه الليالى ذوات العدد ، ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة رضى الله عنها ، فتزوّده لمثلها ، حتى فجاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه المَلك فيه ، فقال : اقرأْ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت : ما أنا بقارئْ ، فأخذنى فغطّنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأْ ، فقلت : ما أنا بقارئْ فغطّنى [١] الثانية ، حتى بلغ منّى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأْ . فقلت : ما أنا بقارئْ . فغطّنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثمّ أرسلنى فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ ، حتى بلغ : ﴿ مَالَمْ يَعْلَمَ ﴾ ، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادِره ... » [٢] الحديث .

وأخرج الحاكم فى المستدرك ، والبيهقى فى الدلائل وصححاه عن عائشة ، قالت : أول سورة نزلت من القرآن « اقرأْ باسم ربك » .

وأخرج الطَّبَرانى فى الكبير بسندٍ على شرط الصحيح ، عن أبى رجاء

---

(١) الغط : العصر الشديد

(٢) البادرة من الانسان وغيره : التى بين المنكب والعنق .

العُطارديّ ، قال : كان أبوموسى يُقرئنا فيُجلسنا حلقًا ، عليه ثوبان أبيضان ، فإذا تلا هذه السورة : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذى خَلَقَ ﴾ ، قال : هذه أوّل سورة أُنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم

وقال سعيد بن منصور فى سُننه : حدّثنا سفيان عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ، قال جاء جبريل إلى النّبىّ صلّى الله عليه وسلم ، فقال له : اقرأ ، قال : وما أقرأ ؟ فوالله ما أنا بقارئْ ، فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ : فكان يقولُ : هو أوّل ما أُنزل

وقال أبو عُبيد فى فضائله : حدّثنا عبد الرحمن ، عن سفيان عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، قال : إنَّ أوّل ما أُنزل من القرآن : « اقرأ باسم ربّك » و « ن » و « القلم » .

وأخرج ابن أَشْتَةَ فى كتاب المصاحف ، عن عبيد بن عمير : قال : جاء جبريل إلى النّبىّ صلى الله عليه وسلمَ بنَمط ، فقال : اقرأْ . قال : ما أنا بقارئْ قال : اقرأْ باسم ربّك ؛ فيروون أنها أوّل سورة أُنزلت مِن السماء .

وأُخرِجَ عن الزّهرىّ أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم كان بحراء ، إذ أتى مَلَك بنمط من ديباج فيه مكتوب : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ... ﴾ إلى : ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

• • •

القول الثانى : ﴿ يٰأَيُّهَا المدثّر ﴾ ، روى الشيخان عن سَلمة بن عبد الرحمن . قال : سألت جابر بن عبد الله : أىّ القرآن أُنزل قَبْلَ ؟ قال : يٰأيّها المدثر . قلت : أو اقرأْ باسم ربك ؟ قال : أُحدّثكم ما حدّثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى جاورتُ بِحراء . فلمّا قضيت جوارى . نزلتُ فاستَبطنت الوادى .

فنظرت أمامى وخَلْفى ، وعن يمِينى وشمَالى ، ثم نظرتُ إلى السماء فإذا هو ـ يعنى جبريل ـ فأخذتنى رجْفة ، فأتيت خديجة ، فأمرتهم فدثّرونى ، فأنزل الله : ﴿ يأَيُّها المدَّثّر ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ .

وأجاب الأول عن هذا الحديث بأجوبة :

أحدها أنّ السؤال كان عن نزول سورة كاملة ، فبيّن أن سورة المدّثر نزلتْ بكمالها قبل نزول تمام سورة اقرأ ، فإنها أوّل ما نزل منها صدرها . ويؤيد هذا ما فى الصحيحين أيضًا عن أبى سلمة ، عن جابر : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحى ، فقال فى حديثه : بينا أنا أمشِى سمعتُ صوتًا من السماء ، فرفعت رأسى ، فإذا المَلك الَّذِى جاءنى بِحراء جالس علَى كرسى بين السماء والأرض ، فرجعت فقلت : زَمِّلُونِى ، زَمِّلُونى ، فدَثِّرونى ، فأنزل الله : (يأَيُّهَا الْمُدَّثِّرْ) . فقوله : « الملك الذى جاءنى بحراء » يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التى نزل فيها « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ » .

ثانيها : أن مراد جابر بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحى ، لا أولية مطلقة .

ثالثها : أن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار . وعبر بعضُهم عن هذا بقوله : أول ما نزل للنبوة ﴿ اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ ﴾ وأول ما نزل للرسالة ﴿ يأيها المدثر ﴾ .

رابعها : أن المراد أول ما نزل بسبب متقدم . وهو ما وقع من التدثُّر الناشئ عن الرعب ، وأما « اقرأ » فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم . ذكره ابن حَجَر .

خامسها : أن جابرًا استخرج ذلك باجتهاده ، وليس هو من روايته ، فيقدم عليه ما روته عائشة . قاله الكرمانيّ .

وأحسن هذه الأجوبة الأول والأخير .

• • •

القول الثالث : سورة الفاتحة ، قال فى الكشاف : ذهب ابن عباس ومجاهد إلى أن أول سورة نزلت « اقرأ » ، وأكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب .

قال ابنُ حجر : والّذى ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأول . وأما الذى نسبه إلى الأكثر فلم يقل به إلّا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى مَنْ قال بالأول ، وحجته ما أخرجه البيهقى فى الدلائل والواحدىّ من طريق يونس بن بكير ، عن يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن أبى ميسرة عمرو بن شرحبيل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة : « إنِّى إذا خلوتُ وحدى سمعت نداءً ، فقد والله خشيت أن يكون هذا أمرا » ، فقالت : معاذ الله ، ما كان الله ليفعَل بك ، فوالله إنك لتؤدى الأمانة ، وتصِلُ الرَّحم ، وتصدُق الحديث . فلما دخل أبو بكرٍ ذكرت خديجة حديثَه له ، وقالت : اذهب مع محمد إلى ورَقة . فانطلقا فقصَّا عليه فقال : « إذا خلوتُ وحدى سمعتُ نداء خَلْفى : يا محمد يا محمد ! فأنطلق هاربا فى الأُفق » ، فقال : لا تفعل ، إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم ائتنِى فأخبرنى فلما خلا ناداه : يامحمد قل : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ، الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ... الحديث . هذا مرسَل رجاله ثقات .

وقال البيهقي : إن كان محفوظا فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعدما نزلت عليه اقرأْ والمدثر .

• • •

القول الرابع : (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) ، حكاه ابن النَّقيب في مقدمة تفسيره قولا زائدًا .

وأخرج الواحدى بإسناد عن عكْرمة والحسن قالا : أوّل ما نَزَل من القرآن « بسم الله الرحمن الرحيم » ، وأوّل سورة « اقرأْ باسم ربكَ » .

وأخرج ابنُ جرير وغيره من طريق الضّحّاك ، عن ابن عباس قال : أول ما نزل جبريل على النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : يا محمّد استعذ ، ثم قل : بسم الله الرحمن الرحيم .

وعندى أنّ هذا لايعدّ قولا برأْسه ؛ فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها ، فهى أوّل آية نزلت على الإطلاق .

وورد فى أوّل ما نزل حديث آخر : روى الشيخان عن عائشة ، قالت : « إنَّ أوّل ما نزل سورة مِنَ المفصّل ، فيها ذكر الجنة والنَّار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام » .

وقد استشكل هذا بأنّ أوّل ما نزل « اقرأْ » . وليس فيها ذكر الجنّة والنار . وأجيب بأنّ « مِنْ » مقدّرة ، أىْ « مِن أول ما نزل » . والمراد سورة المدّثر ، فإنّها أوّل ما نزل قبل بعد فترة الوحى ، وفى آخرها ذكر الجنة والنار ، فلعلّ آخرها نزل قبل نزول بقية « اقرأْ » .

فرع

أخرج الواحديّ من طريق الحسين بن واقد، قال: سمعتُ عليّ بن الحسين يقول: أوّل سورة نزلت بمكة ﴿ اقرأْ باسم ربّك ﴾، وآخر سورة نزلت بها «المؤمنون»، ويقال: «العنكبوت». وأوّل سورة نزلت بالمدينة ﴿ ويل للمطففين ﴾، وآخرسورة نزلت بها «براءة» وأوّل سورة أعلنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكّة «النَّجم».

وفى شرح البخارى لابن حَجَر: اتَّفقوا على أنّ سورة البقرة أوّل سورة أُنزلت بالمدينة. وفى دعوى الاتفاق نظر لقول عليّ بن الحسين المذكور.

وفى تفسير النَّسفيّ عن الواقديّ: إن أوّل سورة نزلتْ بالمدينة سورة «القَدْر».

وقال: أبو بكر محمد بن الحارث بن أبيض فى جزئه المشهور: حدّثنا أبوالعباس عبيد الله بن محمد بن أعين البغدادى، حدثنا حسان بن إبراهيم الكرْمانى، حدثنا أُميّة الأزدى، عن جابر بن زيد، قال: أوّل ما أنزل الله من القرآن بمكة: «اقرأْ باسم ربّك، ثم ن والقلم، ثم يأيُّها المزّمل، ثم يأيُّها المدّثر، ثم الفاتحة، ثم تَبّت يدا أبى لَهَب، ثم إذا الشمس كُوِّرت، ثم سبّح اسم ربك الأعلى ثم واللّيل إذا يغشى، ثم والفجر، ثمّ والضّحى، ثم ألم نشرح، ثم والعصر، ثم والعاديات، ثم الكوثر، ثم ألهاكم، ثم أرأيت الّذى يكذّب، ثم الكافرون، ثم ألم تر كيف، ثم قل أعوذ بربّ الفلق، ثم قل أعوذ بربّ الناس، ثم قل هو الله أحد، ثم والنجم، ثم عبس ثم إنا أنزلناه، ثم والشمس وضحاها، ثم البروج، ثم والتين، ثم لإيلاف، ثم القارعة، ثم القيامة، ثم ويل لكل همزة، ثم والمرسلات، ثم ق،

ثم البلد ، ثم الطارق ، ثم اقتربت الساعة ، ثم ص ، ثم الأعراف ، ثم الجن ، ثم يس ، ثم الفرقان ، ثم الملائكة ، ثم كهيعص ، ثم طه ، ثم الواقعة ، ثم الشّعراء ، ثم طس سليمان ، ثم طسم القصص ، ثم بنى إسرائيل ، ثم التاسعة – يعنى يونس – ثم هود ، ثم يوسف ، ثم الحِجر ، ثم الأنعام ، ثم الصّافّات ، ثم لقمان ، ثم سبأ ، ثم الزُّمر ، ثم حم المؤمن ، ثم حم السجدة ، ثم حم الزخرف ، ثم حم الدخان ، ثم حم الجاثية ، ثم حم الأحقاف ، ثم الذاريات ، ثم الغاشية ، ثم الكهف ، ثم حمٓ . عسٓقٓ ، ثم تنزيل السجدة ، ثم الأنبياء ، ثم النحل أربعين وبقيتها بالمدينة ، ثم إنا أرسلنا نوحا ، ثم الطور ، ثم المؤمنون ، ثم تبارك ، ثم الحاقة ، ثم سأل ، ثم عمّ يتساءلون ، ثم والنازعات ، ثم إذا السماء انفطرت ، ثم إذا السماء انشقت ، ثم الروم ، ثم العنكبوت ، ثم ويل للمطففين ؛ فذاك ما أنزل بمكة .

وأنزل بالمدينة : سورة البقرة ، ثم آل عمران ، ثم الأنفال ، ثم الأحزاب ، ثم المائدة ، ثم الممتحنة ، ثم إذا جاء نصر الله ، ثم الحجّ ، ثم المنافقون ، ثم المجادلة ، ثم التّحريم ، ثم الجمعة ، ثم التغابن ، ثم سبّح الحواريّين ، ثم الفتح ، ثم التوبة ، خاتمة القرآن .

قلت : هذا سياق غريب ، وفى هذا الترتيب نظر ؛ وجابر بن زيد من علماء التابعين بالقرآن . وقد اعتمد البرهان الجعبريّ على هذا الأثر فى قصيدته التى سمّاها : تقريب المأمول . فى ترتيب النزول فقال :

مكيّها ستٌّ ثمانــــون اعتلت ... نُظِمَتْ على وَفْق النُّزول لمَنْ تلاَ

اقرأْ ونونٌ مُزَّمِّــلٌ مدّثـــرٌ ... والحمد تَبَّتْ كُوِّرت الاعْلَى علاَ

ليلٌ وفجر والضّحى شرحٌ وعصْر العاديات   وكوثر ألْهَاكُمْ تَلاَ
أرأيت قلْ بالفيل مع فَلَق كذا   ناس وقلْ هو نجمُها عَبَسٌ جلاَ
قَدْر وشمْس والبروج وتينُها   لإيلاف قارعة قيامة أقبلاَ
ويْل لكلّ المرسلات وقافُ معْ   بلد وَطارِقُها مَعَ اقتربت كلا
صادٌ وأعراف وجنٌ ثم يا   سِينٌ وفُرْقان وفاطرُ اغْتَـلَى
كافٌ وطه ثلّة الشّعرا ونمـ   ـل قصّ الاسرا يونسٌ هودٌ ولاَ
قل يُوسفٌ حِجْرٌ وأنعـام وذَبْـــــح ثم لقمان   سبأ زُمرٌ خلاَ
مع غافرٍ مع فُصّلتْ مَعْ زُخْرُفٍ   ودخانُ جاثية وأحقافٌ تَلا
ذَرْوٌ وغاشيةٌ وكهفٌ ثم شو   رَى والخليلُ والانبيا نحْلٌ حَلاَ
ومضاجع نوحٌ وطُور والفلا   ح الملك واعيةٌ وسال وعمّ لا
غَرْقٌ مع انفطرتْ وكدح ثم رو   مُ العنكبوت وطفّفتْ فتكمّلا
وبطيبةٍ عشرون ثم ثمان الطّو   لَى وعمـرانٌ وأنفـالٌ جَـــلاَ
لاحزاب مائدة امتحانٌ والنّسا   مَعْ زُلْزِلتْ ثم الحديد تأمّلاَ
ومحمّد والرّعد والرّحمن الانســان   الطّلاق ولم يكن حشرٌ مـــلا
نَصْرٌ ونورٌ ثم حَجٌّ والمنــا   فق مَعْ مجادلة وحُجرات ولا
تحريمها مَعْ جُمعةٍ وتَغَابُــنٍ   صفٌ وفتح توبةٌ ختمت أولى
أمّا الذى قد جاءنا سَفريّــه   عَرَفٌ أكْمِلَتْ الكم قَدْ كمّلا
لكن إذا قمتم فحبشىٌّ بَــدَا   واسأل مَنَ أرسلْنَا الشّامى أقبلا
إن الّذى فَرَضَ انتمى جُحْفِيُّها   وهو الّذى كفّ الحديبىّ انْجَلى

• • •

فرع فى أوائل مخصوصة

أول ما نزل فى القتال : روى الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس ، قال : أوّل آية نزلت فى القتال : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾ (١) .

وأخرج ابنُ جرير عَن أبى العالية ، قال : أول آية نزلت فى القتال بالمدينة : ﴿ وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ (٢) . وفى الإكليل للحاكم : إن أوّل ما نزل فى القتال : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ (٣)

أوّل ما نزل فى شأن القتل : آية الإسراء : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا ... ﴾ (٤) الآية ، أخرجه ابنُ جرير عن الضّحّاك .

أوّل ما نزلَ فى الخمر : روى الطيالسىّ فى مسنده عن ابن عمر ، قال نزل فى الخمر ثلاث آيات ؛ فأوّل شىء : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ... ﴾ (٥) الآية . فقيل : حُرّمت الخمر . فقالوا : يا رسول الله ؛ دعنا ننتفع بها كما قال الله ؛ فسكت عنهم ، ثم نزلت هذه الآية : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ (٦) فقيل : حُرّمتِ الخمر فقالوا : يا رسول الله ، لانشربها قرب الصلاة ، فسكت عنهم . ثم نزلت : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ . (٧) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حُرّمت الخمر .

أوّل آية نزلت فى الأطعمة بمكة آية الأنعام : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِى مَا أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا ﴾ (٨) ثم آية النحل : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا . . . ﴾ (٩)

---

(١) سورة الحج ٣٩ .
(٢) سورة البقرة ١٩٠ .
(٣) سورة التوبة ١١١ .
(٤) سورة الاسراء ٣٣ .
(٥) سورة البقرة ٢١٩ .
(٦) سورة النساء ٤٣ .
(٧) سورة المائدة ٩٠ .
(٨) سورة الأنعام ١٤٥ .
(٩) سورة النحل ١١٤ .

إلى آخرها . وبالمدينة آية البقرة : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ... ﴾ (١) الآية . ثم آية المائدة : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ... ﴾ (٢) الآية . قاله ابن الحصّار .

وروى البخاريّ عن ابن مسعود ، قال : أوّل سورة أنزلت فيها سجدة النجم .

وقال الفريابيّ : حدّثنا ورْقاء عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد في قوله : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ (٣) قال : هي أوّل ما أنزل الله من سورة براءة .

وقال أيضا : حدّثنا إسرائيل ، نبأنا سعيد ، عن مسروق ، عن أبي الضُّحى ، قال : أوّل ما نزل من براءة : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾ (٤) ، ثم نزل أوّلها ، ثم نزل آخرها .

وأخرج ابن أشْتَة في كتاب المصاحف ، عن أبي مالك ، قال : كان أوّل براءة : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾ سنوات ، ثم أنزلت براءة أوّل السورة فأُلِّفتْ بها أربعون آية .

وأخرج أيضا من طريق داود ، عن عامر في قوله : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾ قال :هي أوّل آية نزلت في براءة في غزوة تبوك . فلمّا رجع من تبوك نزلت براءة ، إلا ثمان وثلاثين آية من أوّلها .

وأخرج من طريق سفيان وغيره ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد ابن جُبير ، قال : أوّل ما نزل من آل عمران : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٥) ثم أُنْزِلَتْ بقيتها يوم أُحُد .

° ° °

(١) سورة البقرة ١٧٣ .

(٢) سورة المائدة ٣ .

(٣) سورة التوبة ٢٥ .

(٤) سورة التوبة ٤١ .

(٥) سورة آل عمران ١٣٨ .

النوع الثامن

معرفة آخر ما نزل

فيه اختلاف، فروى الشيخان عن البراء بن عازب، قال: آخر آية نزلت: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلَالَةِ ﴾ [1] وآخر سورة نزلت براءة.

وأخرج البخارىّ عن ابن عباس، قال: آخر آية نزلت آية الرِّبا.

وروى البيهقىّ عن عمر مثله، والمراد بها قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ [2]. وعند أحمد وابن ماجه عن عمر: من آخر ما نزل آية الربا.

وعند ابن مردُويه عن أبى سعيد الخُدرى، قال: خطبَنا عمر، فقال: إن من آخر القرآن نزولا آية الربا.

وأخرج النسائى من طريق عكْرمة، عن ابن عباس قال: آخر شىء نَزَل من القرآن: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ ... ﴾ [3]. الآية.

وأخرج ابن مردُويه نحوه من طريق سعيد بن جُبير عن ابن عباس بلفظ: «آخر آية نزلت».

وأخرجه ابن جرير من طريق الْعَوْفىّ والضحّاك، عن ابن عباس.

وقال الفريابىّ فى تفسيره: حدّثنا سفيان، عن الكلبىّ عن ابن صالح:

(١) سورة النساء ١٧٦.
(٢) سورة البقرة ٢٧٨.
(٣) سورة البقرة ٢٨١.

عن ابن عباس ،قال : آخر آية نزلت : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ...﴾ الآية ، وكان بين نزولها وبين موت النبي صلى الله عليه وسلم أحدٌ وثمانون يومًا .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن سعيد بن جبير . قال : آخر ما نزل من القرآن كلِّه : ﴿ واتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ[1] ... ﴾ الآية ، وعاش النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ، ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول .

وأخرج ابن جرير مثله عن ابن جُريج .

وأخرج من طريق عطية عن أبي سعيد ، قال : كان آخر آية ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ ... ﴾ الآية .

وأخرج أبو عبيد في الفضائل عن ابن شهاب ، قال : آخر القرآن عهدًا بالعرش آية الربا وآية الدَّيْن .

وأخرج ابن جُريج من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيَّب ، أنّه بلغه أنّ أحدث القرآن عهدًا بالعرش آية الدَّيْن . مرسل صحيح الإسناد .

قلت : ولا منافاةَ عِندى بين هذه الرّوايات فى آية الربَا : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا ﴾ وآية الدَّيْن ؛ لأنّ الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها فى المصحف ، ولأنها فى قصة واحدة ، فأخبر كلّ عن بعض ما نزل بأنه آخر ، وذلك صحيح ، وقول البراء : آخر ما نزل : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ ، أى فى شأن الفرائض

وقال ابن حَجَر فى شرح البخاريّ : طريق الجمع بين القولين فى آية الربا : ﴿وَاتَّقُوا يومًا ﴾ أنّ هذه الآية هى ختام الآيات المنَزّلة فى الربا ، إذ هى معطوفة عليهنّ ، ويجمع بين ذلك وبين قول البراء بأنَّ الآيتين نزلتا جميعا ، فيصدق أن كلا

---

(١) سورة البقرة ٢٨١ .

منهما آخرٌ بالنسبة لما عداهما . ويحتمل أن تكون الآخرة فى آية النّساء مقيدة بما يتعلّق بالمواريث بخلاف آية البقرة. ويحتمل عكسه ، والأوّل أرجح لِمَا فِى آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاق المستلزمة لخاتمة النزول . انتهى .

وفى المستدرك عن أُبَيّ بن كعب ، قال : آخر آية نزلت : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ... ﴾ [1] إلى آخر السورة .

وروى عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وابن مردويه ، عن أُبَىّ ، انهم جمعوا القرآن فى خلافة أبى بكر ، وكان رجال يكتبون ، فلما انتهوْا إلى هذه الآية من سورة براءة ؛ ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[2] ظنّوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن ، فقال لهم أُبَيّ بن كعب : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنِى بعدها آيتين : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ...﴾ [3] إلى قوله : ﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، وقال : هذا آخر ما نزل من القرآن ، قال . فختم بما فتح به ، بالله الذى لا إلّه إلا هو وهو قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [4] .

وأخرج ابن مردُويه ، عن أُبَىّ أيضا ، قال : آخر القرآن عهدًا بالله هاتان الآيتان : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ وأخرجه ابن الأنبارىّ بلفظ « أقرب القرآن بالسماء عهدا » .

وأخرج أبو الشيخ فى تفسيره من طريق علىّ بن زيد ، عن يوسف المكىّ ، عن ابن عباس قال : آخر آية نزلت : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ .

وأخرج مسلم عن ابن عباس ، وقال : « آخر سورة نزلت إذا جاء نصر الله والفتح » .

---

(١) سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩ . (٢) سورة التوبة ١٢٧ .

(٣) سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩ . (٤) سورة الأنبياء ٢٥ .

وأخرج الترمذيّ والحاكم عن عائشة ، قالت : «آخر سورة نزلت المائدة ، فما وجدتم فيها من حلالٍ فاستحلّوه ... » الحديث .

وأخرجا أيضا عن عبد الله بن عمرو ، قال : آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح

قلت : يعني إذا جاء نصر الله . وفي حديث عثمان المشهور : براءة من آخر القرآن نزولا .

قال البيهقيّ : يجمع بين هذه الاختلافات – إن صحت – بأنّ كلّ واحد أجاب بما عنده .

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار : هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكل ما قاله بضرب من الاجتهاد وغلبة الظنّ ، ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبيّ صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل ، وغيره سمع منه بعد ذلك ، وإن لم يسمعه هو . ويحتمل أيضا أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول صلى الله عليه وسلم مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك ؛ فَيُظَنّ أنه آخر ما نزل في الترتيب . انتهى .

ومن غريب ما ورد في ذلك ما أخرجه ابنَ جرير عن معاوية بن أبي سفيان أنه تلا هذه الآية : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ... ﴾ [1] ، الآية : وقال : آخر آية نزلت من القرآن . قال ابن كثير : هذا أثر مشكل ؛ ولعله أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ، ولا تغيّر حكمها ، بل هي مثبتة محكمة .

قلت : ومثله ما أخرجه البخاريّ وغيره عن ابن عباس قال : نزلت هذه

(١) سورة الكهف ١١٠

الآية : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [١] هى آخر ما نزل ، وما نسخها شىء .

وعند أحمد والنسائىّ عنه : لقد نزلت فى آخر ما نزل ، ما نسخها شىء .

وأخرج ابن مردويه ، من طريق مجاهد ، عن أمّ سلمة ، قالت : آخر آية نزلت هذه الآية : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ ... ﴾[٢] إلى آخرها .

قلت : وذلك أنها قالت : يا رسولَ الله ، أرى الله يذكر الرجالَ ولايذكر النساء ؟ فنزلت : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [٣] ، ونزلت : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ [٤] ، ونزلت هذه الآية ، فهى آخر الثلاثة نزولا ، أو آخر ما نزل بعدما كان ينزل فى الرجال خاصّة .

وأخرج ابن جرير عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فارق الدّنيا على الإخلاص لله وحدَه وعبادته لا شريك له ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، فارقها والله عنه راض » . قال أنس : وتصديق ذلك فى كتاب الله فى آخر ما نزل : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ... ﴾ [٥] الآية .

قلت : يعنى فى آخر سورة نزلت .

وفى البرهان لإمام الحرمين : إنّ قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِى مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ... ﴾ [٦] الآية من آخر ما نزل .

---

(١) سورة النساء ٩٣ .
(٢) سورة آل عمران ١٩٥ .
(٣) سورة النساء ٣٢ .
(٤) سورة الأحزاب ٣٥ .
(٥) سورة التوبة ٥ .
(٦) سورة الأنعام ١٤٥ .

وتعقّبه ابن الحصّار بأن السورة مكية باتّفاق ، ولم يردْ نقلٌ بتأخُّر هذه الآية عن نزول السورة ، بل هى فى محاجّة المشركين ومخاصمتهم وهم بمكّة . انتهى .

تنبيه

من المشكل على ما تقدم قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[١] فإنها نزلت بعرَفة عام حجّة الوداع ، وظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها ، وقد صرّح بذلك جماعة منهم السُّدّيّ فقال : لم ينزل بعدها حلال ولا حرام ، مع أنه وارد فى آية الربا والدَّيْن والكلالة أنّها نزلت بعد ذلك . وقد استشكل ذلك ابنُ جرير وقال : الأَوْلى أن يُتأوّل على أنه أكمل لهم دينهم بإفرادهم[٢] بالبلد الحرام وإجلاء المشركين عنه ، حتى حجّهُ المسلمون لايخالطهم المشركون . ثم أيّده مما أخرجه من طريق ابن أبى طلحة عن ابن عباس ، قال : كان المشركون والمسلمون يحجّون جميعا ، فلما نزلت براءةُ نُفِيَ المشركون عن البيت ، وحجّ المسلمون لا يشاركهم فى البيت الحرام أحد من المشركين ؛ فكان ذلك من تمام النعمة : ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾[٣]

---

(١) سورة المائدة ٣ .

(٢) ط : « بإفرادهم » .

النوع التاسع

معرفة سبب النزول

أفرده بالتَّصنيف جماعة أقدمهم علىّ بن المدينىّ شيخ البخارىّ ، ومن أشهرها كتاب الواحدىّ على ما فيهِ من إعواز، وقد اختصره الْجَعْبَرىّ ، فحذف أسانيدَه ، ولم يزد عليه شيئا ، وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتابًا مات عنه مسوّدة فلم نقف عليه كاملا ،وقد أَلَّفتُ فيه كتابا حافلا موجزا محرّرا لم يؤلف مثله فى هذا النَّوع ، سميتُه : « لباب النُّقول فى أسباب النزول »[1]

قال الجَعبرِىّ : نزول القرآن على قسمين : قسم نَزَل ابتداء ، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال ، وفى هذا النوع مسائل :

المسألة الأُولى :

زعم زاعم أنَّه لا طائلَ تحت هذا الفن ، لجريانه مجرى التاريخ ، وأخطأ فى ذلك ، بل له فوائد : منها : معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

ومنها : تخصيص الحكم به عند من يرى أن العِبْرة بخصوص السبب .

ومنها : أن اللفظ قد يكون عامًّا ، ويقوم الدليل على تخَصصه ، فإذا عُرِف السبب قصر التخصيص على ماعدا صورته ؛ فإنَّ دخول صورة السبب قطعىّ وإخراجها بالاجتهاد ممنوع ، كما حكى الإجماع عليه القاضى أبو بكر فى التقريب ، ولا التفات إلى من شذَّ فجوّز ذلك .

---

(١) طبع بمصر مرارا .

ومنها : الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال ، قال الواحدىّ . لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصّتها وبيان نزولها .

وقال ابن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوىّ فى فهم معانى القرآن.

وقال ابن تيميّة : معرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية ، فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمُسبَّب .

وقد أشكل على مرْوان بن الحكم معنى قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا . . . ﴾ (١) الآية ، وقال : لئن كان كل امرىء فرح بما أُوتِىَ ، وأحبّ أن يُحْمَدَ بما لم يفعل معذّبا ، لنُعذبنَّ أجمعون ، حتى بيّن له ابن عباس أن الآية نزلتْ فى أهل الكتاب حين سألهم النبى صلى الله عليه وسلم عن شىء ، فكتموه إيّاه ، وأخبروه بغيره ، وأرَوْه أنَّهم أخبروه بما سألهم عنه ، واستحملوا بذلك إليه . أخرجه الشيخان .

وحُكِى عن عثمان بن مَظْعون وعمرو بن معدى كرب ، أنَّهما كانا يقولان الخمر مباحة ، ويحتجان بقوله تعالى : (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ...)(٢) الآية ، ولو علما سببَ نزولها لم يقولا ذلك ، وهو أنَّ ناسًا قالوا لمَّا حُرِّمت الخمر : كيف بمَنْ قُتلوا فى سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهى رجس ؟ فنزلت . أخرجه أحمد والنسائى وغيرهما .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِى يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ (٣) فقد أشكل معنى هذا الشرط على بعض

---

(١) سورة آل عمران ١٨٨ . (٢) المائدة ٩٣ .

(٣) سورة الطلاق ٤ .

الأئمة حتى قال الظاهرية بأن الآيسة لا عِدَّة عليها إذا لم تَرْتَبْ . وقد بين ذلك سبب النزول . وهو أنه لما نزلت الآية التى فى سورة البقرة فى عدد النساء ، قالوا : قد بقىَ عَدَدٌ من عِدد النساء لَمْ يذكَرْنَ : الصغار والكبار . فنزلت . أخرجه الحاكم عن أُبَىّ . فعُلم بذلك أنَّ الآية خطاب لمن لم يعلم ما حكمهنَّ فى العِدَّة ، وارتاب : هل عليهنَّ عدّة أولا ؟ وهل عدّتهن كاللاتى فى سورة البقرة أولا ؟ فمعنى « إن ارتبتم » إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتدِدْن ؛ فهذا حكمهنَّ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ (١) فإنا لو تركنا ومدلول اللفظ لاقتضى أن المصلّى لا يجب عليه استقبال القبلة سفرًا ولا حضرا ، وهو خِلاف الإجماع . فلما عرف سبب نزولها علم أنها فى نافلة السفر ، أو فيمن صلّى بالاجتهاد وبان له الخطأ ؛ على اختلاف الروايات فى ذلك .

ومن ذلك : قوله : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ : ... ﴾ (٢) الآية ؛ فإن ظاهر لفظها لايقتضى أنَّ السّعى فرْض ، وقد ذهب بعضهم إلى عدم فرضيّته تمسُّكا بذلك ، وقد ردّت عائشة على عروة فى فهمه ذلك بسبب نزولها ، وهو أنَّ الصحابة تأثّموا من السّعْى بينهما لأنَّه من عمل الجاهليّة . فنزلت .

ومنها : دفع توهُّم الحصْر . قال الشافعىّ مامعناه فى قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِى مَا أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا ... ﴾ (٣) الآية : إنَّ الكفّار لما حرّموا ما أحلَّ

---

(١) سورة البقرة ١١٥ .
(٢) سورة البقرة ١٥٨ .
(٣) سورة الأنعام ١٤٥ .

الله وأحلُّوا ما حرّم الله ، وكانوا على المضادّة والمحادّة . فجاءت الآية مناقضةً لغرضهم ، فكأنّه قال : لا حلالَ إلا ماحرّمتموه ، ولا حرامَ إلا ما أحللتموه . نازلا منزلة من يقول : لا تأكل اليوم حلاوة فتقول : لا آكل اليوم إلا الحلاوة ، والغرض المضادّة لا النفى والإثبات على الحقيقة ، فكأنّه تعالى قال : لا حرَامَ إلّا ما أحللتموه ، من الميتة والدم ولحمِ الخنزير وماأُهلَّ لغير الله به ، ولم يقصد حلَّ ماوراءه ؛ إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحلّ . قال إمام الحرمين : وهذا فى غاية الحسن ، ولولا سبق الشافعىّ إلى ذلك لمَا كنّا نستجيزُ مخالفة مالك فى حَصْر المحرّمات فيما ذكرته الآية .

ومنها : معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها ، ولقد قال مرْوان فى عبد الرحمن بن أبى بكْر : إنّه الذى أُنزل فيه : ﴿ وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا ﴾ [1] حتى ردّت عليه عائشة وبيّنت له سبب نزولها .

المسألة الثانية :

اختلفَ أهل الأُصول : هل العِبْرة بعموم اللفظ. أو بخصوص السّبب ؟ والأصحّ عندنا الأوّل ، وقد نزلت آيات فى أسباب ، واتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها ، كنزول آية الظّهار فى سلَمة بن صخر ، وآية اللّعان فى شأن هلال بن أُميّة ، وحدّ القذف فى رُماة عائشة ، ثم تعدّى إلى غيرهم . ومن يعتبر عموم اللفظ. قال : خرجت هذه الآيات ونحوها لدليل آخر ، كما قصرت آيات على أسبابها اتفاقًا لدليل قام على ذلك . قال الزمخشرىّ فى سورة الهمزة : يجوز أن يكون السّبب خاصا والوعيد عامًّا ليتناول كلَّ من باشر ذلك القبيح ، وليكون ذلك جاريًا مجرى التعريض .

---

(١) سورة الأحقاف ١٧ .

قلت : ومن الأدلّة على اعتبار عموم اللفظ ، احتجاج الصحابة وغيرهم فى وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة شائعا ذائعا بينهم ، قال ابن جرير : حدّثنى محمد بن أبي معشر ، أخبرنا أبي أبو معشر نَجِيح ، [سمعت سعيدا المقبُرىّ يذاكر محمد بن كعب القُرَظىّ ، فقال سعيد : إنّ فى بعض كتب الله : إن لله عبادًا ألسنتهم أحْلَى من العسل ، وقلوبهم أمَرّ من الصَّبِر ، لبسوا لباس مسوك الضأْن من اللين (١) ، يجترُّون الدنيا بالدين . فقال محمد بن كعب : هذا فى كتاب الله : ﴿ ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُعجِبُكَ قوْلُهُ فِى الْحَيَاةِ الدنيَا ... ﴾ (٢) الآية ، فقال سعيد : قد عرفت فيمن أُنزلت ؟ فقال محمد بن كعب : إنّ الآية تنزل فى الرجل ثم تكون عامة بعد (٣) .

فإن قلت : فهذا ابن عباس ، لم يعتبر عمومَ ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ . . . ﴾ (٤) الآية ، بل قصرها على ما أُنزلت عليه من قصّة أهل الكتاب .

قلت : أجيب عن ذلك بأنه لايخفى عليه أنّ اللفظ أعمّ من السبب . لكِنه بَيّن أنّ المراد باللفظ خاصّ ، ونظيره تفسير النبي صلى الله عليه وسلم الظُّلم فى قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهمْ بظلْمٍ ﴾ (٥) بالشرك من قوله : ﴿ إنَّ الشِّرْكَ لَظلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦) مع فهم الصحابة العمومَ فى كلّ ظلم . وقد ورد عن ابن عباس مايدلُّ على اعتبار العموم ، فإنه قال به فى آية السرقة مع أنها نزلت فى امرأة سرقت . قال ابن أبي حاتم : حدّثنا علىّ بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبي حمّاد ، حدثنا أبو تُميلة بن عبْد المؤمن ، عن نجْدَة الحنفى

---

(١) المسوك : جمع مسك ، وهو جلد الغنم وغيرها .

(٢) سورة البقرة ٢٠٤ .

(٣) تفسير الطبرى ٤ : ٣١ .

(٤) سورة آل عمران ١٨٨ .

(٥) سورة الأنعام ٨٣ .

(٦) سورة لقمان ١٣ .

قال : سألت ابن عباس عن قوله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾[١] أخاصّ أم عام ؟ قال : بل عامّ .

وقال ابن تيميّة : قد يجيء كثيرا من هذا الباب قولهم : هذه الآية نزلت فى كذا ، لا سيّما إن كان المذكور شخصا ، كقولهم : إنّ آية الظّهار نزلت فى امرأة ثابت بن قيس . وإن آية الكلالة نزلتْ فى جابر بن عبد الله ، وإن قوله : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُم ﴾[٢] نزلت فى بنى قُريظة والنَّضير . ونظائر ذلك مما يذكرون أنه نزل فى قوم من المشركين بمكة ، أو فى قوم من اليهود والنصارى ، أو فى قوم من المؤمنين . فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أنّ حكم الآية يختص بأُولئك الأعيان دون غيرهم ، فإن هذا لايقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق ، والناس وإن تنازعوا فى اللفظ العامّ الوارد على سبب : هل يختصّ بسببه ؟ فلم يقل أحد إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعيّن ، وإنما غاية ما يقال إنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعمّ ما يشبهه ، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ. والآية التى لها سبب معيّن إن كانت أمرًا ونهيًا فهى متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته ، وإن كانت خبرًا بمدح أو ذمّ ، فهى متناولة لذلك الشخص كان بمنزلته . انتهى .

تنبيه

قد علمت مما ذكر أن فرض المسألة فى لفظ له عموم ، إمّا آية نزلت فى معيّن ولا عموم للفظها ، فإنها تقصر عليه قطعا ، كقوله تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى • الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾[٣] فإنها نزلت فى أبى بكر الصدّيق

(١) سورة المائدة ٣٨ . (٢) سورة المائدة ٤٩ .
(٣) سورة الليل ١٧ ، ١٨ .

بالإجماع ؛ وقد استدل بها الإمام فخر الدين الرازي مع قوله : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[١] على أنه أفضل النَّاس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ووهمَ مَنْ ظنَّ أن الآية عامّة فى كلِّ مَنْ عمل عمله ، إجراءً له[٢] على القاعدة ؛ وهذا غلط ؛ فإنَّ هذه الآية ليس فيها صيغة عموم إذ الألف واللام إنما تفيد العموم إذا كانت موصولة أو معرفة فى جمع ، زاد قوم : أو مفرد ، بشرط ألَّا يكون هناك عهد ، واللَّام فى « الأتقى » ليست موصولة لأنها لا توصل بأفعل التفضيل إجماعا ، و «الأتقى» ليس جمعًا بل هو مفرد والعهد موجود ، خصوصًا مع ما يفيده صيغة « أفعل » من التمييز وقطع المشاركة فبطل القول بالعموم وتعيَّن القطع بالخصوص والقصر على من نزلت فيه رضى الله عنه .

• • •

المسألة الثالثة :

تقدّم أن صورة السبب قطعية الدخول فى العامّ ، وقد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة وتوضع مع ما يناسبها من الآى العامّة ، رعايةً لنظم القرآن وحسن السيّاق ، فيكون ذلك الخاصّ قريبا من صورة السبب فى كونه قطعيّ الدخول فى العامّ ، كما اختار السبكى أنَّه رتبة متوسطة دون السبب وفوق المجرّد ، مثاله قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ... ﴾[٣] إلى آخره ، فإنَّها إشارة إلى كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود ، لمّا قدموا مكة وشاهدوا قتلَى بدر ، حرّضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فسألوهم :

---

(١) سورة الحجرات ١٣ .
(٢) ط : « أجرا » تحريف .
(٣) سورة النساء ٥١ .

مَنْ أهدى سبيلا ؟ محمد وأصحابه أم نحن ؟ فقالوا : أنتم ، مع علمهم بما فى كتابهم من نعت النبىّ صلى الله عليه وسلم المنطبق عليه ، وأخذ المواثيق عليهم ألا يكتموه . فكان ذلك أمانة لازمة لهم ، ولم يؤدُّوها حيث قالوا للكفار : أنتمُ أهدى سبيلا ، حسدًا للنبىّ صلى الله عليه وسلم . فقد تضمّنت هذه الآية مع هذا القول التوعّد عليه المفيد للأمر بمقابله ، المشتمل على أداء الأمانة التى هى بيان صفة النبى صلى الله عليه وسلم ، بإفادة أنّه الموصوف فى كتابهم . وذلك مناسب لقوله : ﴿ إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾(١) فهذا عامّ فى كلّ أمانة . وذلك خاص بأمانة ، هى صفة النبى صلى الله عليه وسلم بالطريق السابق ، والعامّ تالٍ للخاصّ فى الرسم متراخٍ عنه فى النزول ، والمناسبة تقتضى دخول ما دلّ عليه الخاصّ فى العام ، ولذا قال ابن العربى فى تفسيره : وجه النظم أنّه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد صلى الله عليه وسلم . وقولهم : إنَّ المشركين أهدى سبيلا ، فكان ذلك خيانةً منهم . فانجرّ الكلام إلى ذكر جميع الأمانات . انتهى .

قال بعضهم : ولا يرد تأخُّر نزول آية الأمانات التى قبلها بنحو ستّ سنين ؛ لأن الزمان إنما يشترط فى سبب النزول لافى المناسبة ؛ لأنّ المقصود بها وضع آية فى موضع يناسبها ، والآيات كانت تنزل على أسبابها ، ويأمر النبى صلى الله عليه وسلم بوضعها فى المواضع التى علم من الله أنها مواضعها .

المسألة الرابعة :

قال الواحدىّ : لا يحل القول فى أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممّن شاهدوا التنزيل . ووقفوا على الأسباب . وبحثوا عن علمها ،

(١) سورة النساء ٥٨ .

وقد قال محمد بن سيرين : سألت عبَيدة عن آية من القرآن ، فقال : اتّق الله وقل سدادًا ، ذهب الذين يعلمون فيمَ أنزل الله القرآن [١] !

وقال غيره : معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحتفّ بالقضايا ، وربما لم يجزم بعضهم ، فقال : أحسب هذه الآية نزلت فى كذا ، كما أخرج الأئمة الستة عن عبد الله بن الزبير ، قال : خاصم الزبير رجلاً من الأنصار فى شراج الحرّة [٢] فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : اسْقِ يازبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك ، فقال الأنصاريّ : يارسول الله ، أنْ كان ابن عمتك ! فتلوّن وجهه .... الحديث [٣] . قال الزبير : فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت فى ذلك : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [٤]

قال الحاكم فى علوم الحديث : إذا أخبر الصحابيّ الذى شهد الوحيَ والتنزيل عن آية من القرآن أنّها نزلت فى كذا فإنّه حديث مسند .ومشى على هذا ابن الصلاح وغيره ، ومثّلوه بما أخرجه مسلم عن جابر ، قال : كانت اليهود تقول : مَن أتى امرأته من دُبُرها فى قُبُلها جاء الولد أحول ، فأنزل الله : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [٥]

وقال ابن تيميّة : قولهم : نزلت هذه الآية فى كذا ، يراد به تارة سبب النزول ، ويراد به تارة أنّ ذلك داخل فى الآية وإنْ لم يكن السبب ، كما

---

(١) أسباب النزول للواحدى ٤ .

(٢) الشراج ، بشين معجمة مكسورة : جمع شرجة ، بفتح فسكون ، وهى مسايل الماء بالحرة والحرة أرض ذات حجارة سود .

(٣) بقية الخبر : « ثم قال للزبير : اسق ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر ، فاستوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ، وكان قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه سعة للأنصارى وله ، فلما أحفظ الأنصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوفى للزبير حقه فى صريح الحكم . وانظر أسباب النزول ١٢٢ ، وتفسير القرطبى ٥ : ٢٦٩ .

(٤) سورة النساء ٦٥ . (٥) سورة البقرة ٢٢٣ .

تقول ، عنى بهذه الآية كذا . وقد تنازع العلماء في قول الصحابيّ : نزلت هذه الآية فى كذا ، هل يجرى مجرَى المسند كما لو ذكر السبب الذى أُنزِلَت لأجله ، أو يجرى مجرى التفسير منه الذى ليس بمسند ؟ فالبخارى يدخله فى المسنَد ، وغيره لايدخله فيه ، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره ، بخلاف ما إذا ذكر سببا نزلت عقبه ، فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا فى المسند . انتهى .

وقال الزركشيّ فى البرهان : قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أنَّ أحدهم إذا قال : نزلت هذه الآية فى كذا ، فإنَّه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم . لا أنَّ هذا كان السبب فى نزولها [١] ، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية . لا من جنس النقل لما وقع [٢] .

قلت : والَّذى يُتحرّر فى سبب النزول أنَّه ما نزلت الآية أيّام وقوعه . ليخرج ما ذكره الواحدىّ فى سورة الفيل من أن سببَها قصّة قدوم الحبشة به . فإنَّ ذلك ليس من أسباب النزول فى شىء ، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية ، كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ، ونحو ذلك . وكذلك ذكره فى قوله : ﴿ وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾[٣] ، سبب اتخاذه خليلا ليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لايخفى .

• • •

(١) بعدها فى البرهان : « وجماعة من المحدثين يجعلون هذا من المرفوع المسند ، كما فى قول ابن عمر فى قوله تعالى : (نساؤكم حرث لكم) . وأما الامام أحمد فلم يدخله فى المسند ، وكذلك مسلم وغيره . وجعلوا هذا مما يقال بالاستدلال وبالتأويل » . (٢) البرهان ١ : ٣٢ .

(٣) سورة النساء ١٢٥ .

تنبيه

ما تقدم أنه من قبيل المسند من الصحابىّ إذا وقع من تابعى فهو مرفوع أيضا ، لكنه مرسَل ، فقد يُقْبَل إذا صح السّند إليه ، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة ، كمجاهد وعكْرمة وسعيد بنجُبير ، أو اعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك .

• • •

المسألة الخامسة :

كثيرا مايذكر المفسرون لنزول الآية أسبابا متعدّدة ، وطريق الاعتماد فى ذلك أن ينظر إلى العبارة الواقعة ، فإن عبّر أحدهم بقوله : نزلت فى كذا ، والآخر : نزلت في كذا . وذكر أمرًا آخر فقد تقدّم أن هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول ، فلا منافاة بين قوليهما إذاكان اللفظ يتناولهماكما سيأتى تحقيقه فى النوع الثامن والسبعين ، وإن عبّر واحد بقوله : نزلت فى كذا ، وصرح الآخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمَد ، وذاك استنباط ؛ مثاله أخرجه البخارىّ عن ابن عمر ، قال : أنزلت ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾(١) فى إتيان النساء فى أدبارهنّ . وتقدّم عن جابر التصريح بذكر سَبب خلافه ، فالمعتمد حديث جابر ؛ لأنه نقلٌ ، وقول ابن عمر استنباطٌ منه ، وقد وهّمه فيه ابن عباس . وذكر مثل حديث جابر ، كما أخرجه أبو داود والحاكم .

وإن ذكر واحد سببا وآخر سببا غيره ، فإن كان إسناد أحدهما صحيحا دون الآخر فالصحيح المعتمد ، مثاله ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن جُنْدب :

---

(١) سورة البقرة ٢٢٣ .

اشتكى النبيّ صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين ، فأتته امرأة ، فقالت : يا محمد ، ما أرى شيطانك إلا قد تركك ، فأنزل الله : ﴿ والضُّحَى • واللَّيْلِ إِذَا سَجَى • مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [١] .

وأخرج الطَّبرانى وابن أبى شيبة ، عن حفص بن ميسرة ، عن أمّه عن أمها – وكانت خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم – أن جروًا دخل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فدخل تحت السرير فمات ، فمكث النبى صلى الله عليه وسلم أربعة أيام لا ينزل عليه الوحى ، فقال : يا خوْلة ، ما حدث فى بيت رسول الله ؟ جبريل لا يأتينى ، فقلت فى نفسى : لو هيئت البيت وكنستِه ! فأهويت بالمكنسة تحت السرير ، فأخرجت الجرو فجاءالنبيّ صلى الله عليه وسلم تُرعَدُ لحيته – وكان إذا نزل عليه الوحى أخذتْه الرِّعدة – فأنزل الله : (وَالضحَى) إلى قوله : (فَتَرْضَى) .

وقال ابن حَجَر فى شرح البخاريّ : قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة ، لكن كونها سبب نزول الآية غريب ، وفى إسناده من لا يُعرف ، فالمعتَمد ما فى الصحيح .

ومن أمثلته أيضاماأخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم ، من طريق علىّ ابن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا هاجر إلى المدينة ، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود ، فاستقبله بضعة عشر شهرا – وكان يحبّ قبلة إبراهيم – فكان يدعو الله وينظر إلى السماء فأنزل الله : ﴿ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [٢] فارتاب من ذلك اليهود ، وقالوا

---

(١) سورة الضحى ١ – ٣ . (٢) سورة البقرة ١٥٠ .

« ولّاهُم عن قبلتهم التى كانوا عليها ! فأنزل الله : ﴿ قُلْ لِلهِ المشرقُ والْمَغْرِب ﴾(١) وقال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾(١) .

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن عمر ، قال : نزلت ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ ، أن تُصَلِّيَ حيثما توجهتْ بك راحلتُك فى التطوع .

وأخرج الترمذىّ – وضعّفه – من حديث عامر بن ربيعة ، قال : كنّا فى سفر فى ليلة مظلمة ، فلم ندر أين القبلة ؟ فصلى كلُّ رجل منّا على حياله ؛ فلمّا أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت .

وأخرج الدّارقطنىّ نحوه من حديث جابر ، بسند ضعيف أيضا .

وأخرج عن ابن جرير عن مجاهد ، قال : لما نزلت : ﴿ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(٢) قالُوا : إلى أين ؟ فنزلت . مرسَل .

وأخرج عن قتادة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنّ أخًا لكم قد مات فصلُّوا عليه » ، فقالوا : إنه كان لا يصَلى إلى القبلة ، فنزلت . معضل غريب جدًّا .

فهذه خمسة أسباب مختلفة ، وأضعفها الأخير لإعضاله ، ثم ما قبله لإرساله ، ثم ما قبله لضعف رواته ، والثانى صحيح لكنه قال : قد أنزلت فى كذا ، ولم يصرح بالسبب ، والأوّل صحيح الإسناد ، وصرح فيه بذكر السبب فهو المعتَمد .

ومن أمثلته أيضا ما أخرجه ابنُ مَرْدويه وابن أبى حاتم من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبى محمد ، عن عكْرمة – أو سعيد – عن ابن عباس قال : خرج أميّة بن خلَف وأبو جهل بن هشام ورجالٌ من قريش ، فأتوا رسول الله صلى الله

---

(١) سورة البقرة ١٤٢ (٢) سورة غافر ٦٠ .

عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، تعال فتمسّح بآلهتنا ، وندخل معك فى دينك ـ وكان يحب إسلام قومه ـ فرقَّ لهم ، فأنزل الله : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ... ﴾ الآيات .

وأخرج ابن مردويه ، من طريق العَوْفىّ ، عن ابن عباس أن ثَقِيفا قالوا للنبىّ صلى الله عليه وسلم : أجِّلْنا سنة حتى يُهدى لآلهتنا ، فإذا قبضنا الذى يُهدَى لها أحرزناه ثم أسلمنا . فهمّ أن يؤجّلهم فنزلت . هذا يقتضى نزولَها بالمدينة . وإسناده ضعيف ، والأوّل يقتضى نزولها بمكة وإسناده حسن ، وله شاهد عند أبى الشيخ عن سعيد بن جُبَير ، يرتقى إلى درجة الصحيح ، فهو المعتمد .

الحال الرابع : أن يستوى الإسنادان فى الصحّة ، فيرجّح أحدهما بكون راويه حاضرالقصة ، أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات ، مثاله ما أخرجه البخارىّ عن ابن مسعود ، قال : كنت أمشى مع النبىّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو يتوكأُ على عَسِيب ، فمرّ بنفَرٍ من اليهود ، فقال بعضهم : لو سألتموه ! فقالوا : حَدِّثْنا عن الرُّوح ، فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحَى إليه ، حتى صعد الوحى ، ثم قال : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (١) .

وأخرج الترمذىّ ـ وصححه عن ابن عباس ـ قال : قالت قريش لليهود : أعطونا شيئا نسألْ هذا الرجل ، فقالوا : اسألوه عن الرُّوح ، فسألوه ، فأنزل الله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ . . . ﴾ الآية ، فهذا يقتضى أنها نزلت بمكة ، . والأوّل خلافه ، وقد رُجِّح بأنّ ما رواه البخارىّ أصح من غيره ، وبأنّ ابن مسعود كان حاضر القصة .

(١) سورة الاسراء ٨٥ .

الحال الخامس : أن يمكن نزولها عقيب السببين والأسباب المذكورة ، بألاّ تكون معلومة التباعد ، كما فى الآيات السابقة ، فيحمل على ذلك ، ومثاله ما أخرجه البخارىّ من طريق عِكْرِمة عن ابن عبّاس ، أنّ هلال بن أُميّة قذف امرأته عند النبىّ صلى الله عليه وسلم بشريك بن سَحْمَاء ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « البينة أوحدٌّ فى ظهرك » ، فقال : يا رسولَ الله ، إذا رأى أحدُنا مع امرأته رجلا ينطلق يلتمس البيّنة[1] ! فأنزل عليه : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ ... [2] حتى بلغ : ﴿ إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [3]

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد قال : جاء عويمر إلى عاصم بن عدىّ فقال : اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت رجلا وَجَد مع امرأته رجلا ، فقتله ، أيُقتلُ به ، أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغاب السائل ، فأخبر عاصمٌ عويمرا فقال : والله لآتينّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلأسألنّه ، فأتاه ، فقال : إنه قد أنزل فيك وفى صاحبتك قرآنا . . . الحديث[4] . جُمع بينهما بأنّ أوّل ما وقع له ذلك هلال ، وصادف مجىء عويمر أيضا ، فنزلت فى شأنهما معا . وإلى هذا جنح النووىّ وسبقه الخطيب ، فقال : لعلّهما اتفق لهما ذلك فى وقت واحد .

وأخرج البزار ، عن حذيفة ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : لو رأيتَ مع أمّ رُومان رجلا ما كنت فاعلا به ؟ قال : شرًّا ، قال :

(١) بعد فيما نقله القرطبى : « فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « البينة أوحد فى ظهرك » . فقال هلال : والذى بعثك بالحق انى لصادق ، ولينزلن الله فى أمرى ما يبرئ ظهرى من الحد » .

(٢) سورة النور ٦ .

(٣) تفسير القرطبى ١٢ : ١٨٣ ، أسباب النزول للواحدى ٢٣٦ ـ ٢٣٨ .

(٤) نقله ابن كثير فى التفسير ٣ : ٢٦٧ .

فأنت يا عمر ؟ قال : كنت أقول : لعن الله الأعجز فإنه لخبيث . فنزلت .

قال ابن حجر : لا مانع من تعدّد الأسباب .

الحال السادس : ألّا يمكن ذلك ، فيحمل على تعدّد النزول وتكرره ، مثاله ما أخرجه الشيخان عن المسيّب ، قال : لما حضر أبا طالب الوفاةُ ، دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أميّة ، فقال : أى عمّ ، قل : لا إله إلا الله ، أحاجّ لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله يا أبا طالب ! أترغب عن ملّة عبد المطلب ! فلم يزالا يكلّمانه حتى قال : هو على ملّة عبد المطلب ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم « لأستغفرن لك مالم أنهَ عنه » ، فنزلت : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾[1] الآية .

وأخرج الترمذيّ – وحسّنه – عن عليّ ، قال : سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان ، فقلت : تستغفر لأبويك وهما مشركان ! فقال : استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت .

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود ، قال : خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم يوما إلى المقابر ، فجلس إلى قبر منها ، فناجاه طويلاً ، ثم بكى ، فقال : إن القبر الذى جلستُ عنده قبر أمّى ، وإنّى استأذنتُ ربّى فى الدعاء لها فلم يأذن لى ، فأنزل عليّ : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِين﴾ فنجمع بين هذه الأحاديث بتعدّد النزول .

ومن أمثلته أيضا ما أخرجه البيهقى والبزار ، عن أبى هريرة أن النبيّ صلى

(١) سورة التوبة ١١٣ ، وانظر أسباب النزول للواحدى ١٩٧ – ١٩٩ .

الله عليه وسلم وقف على حمزة حين استُشْهِدَ ، وقد مُثِّل به ، فقال : « لأمثلنّ بسبعين منهم مكانك » . فنزل جبريل والنبى صلى الله عيه وسلم واقف بخواتيم سورة النحل : ﴿ وإنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ... ﴾[1] إلى آخر السورة .

وأخرج التِّرمذىّ والحاكم عن أُبَىّ بن كعب ، قال : لما كان يوم أُحُد أُصِيبَ من الأنصار أربعة وستون ، ومن المهاجرين ستّة ، منهم حمزة ، فمثّلوا بهم ، فقالت الأنصار : لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لَنربِينّ عليهم. فلمّا كان يوم فتح مكة أنزل الله : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ ... ﴾ الآية ، فظاهره تأخير نزولها إلى الفتح ، وَفى الحديث الذى قبله نزولها بأُحُد . قال ابن الحصّار : ويجمع بأنها نزلت أوّلا بمكة قبل الهجرة مع السورة لأنّها مكية ، ثم ثانيا بأُحُد ، ثم ثالثا يوم الفتح ، التذكير من الله لعباده . وجعل ابن كثير من هذا القسم آية الروح .

تنبيه

قد يكون فى إحدى القصتين « فتلا » فيهم الراوى فيقول : « فنزل » مثاله ما أخرجه الترمذىّ – وصححه عن ابن عباس – . قال : مرّ يهودىّ بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : كيف تقول يا أبا القاسم ، إذا وضع الله السموات على ذهْ ، والأرضينَ على ذهْ ، والماء على ذهْ ، والجبال على ذهْ ، وسائر الخلق على ذهْ ؟ فأنزل الله : ﴿ ومَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... ﴾[2] الآية ،

(١) سورة النحل ١٢٦ ، وانظر تفسير القرطبى ١٠ : ٢٠١ .

(٢) سورة الأنعام ٩١ .

والحديث فى الصحيح بلفظ « فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهو الصواب ؛ فإنّ الآية مكيّة .

ومن أمثلته أيضا ما أخرجه البخارىّ عن أنس ، قال : سمع عبد الله ابن سلاَم بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه فقال : إنى سائلك عن ثلاث لايعلمهنّ إلا نبىّ : ما أوّل أشراط الساعة ؟ وما أوّل طعام أهل الجنة وماينزع الولد ؟ إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : أخبرنى بهنّ جبريل آنفا ، قال : جبريل ؟ قال : نعم ، قال : ذاك عدوّ اليهود من الملائكة . فقرأ هذه الآية : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نزله عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾[1] قال ابن حَجَر فى شرح البخارىّ : ظاهر السياق أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قرأ الآية ردا على قول اليهود ، ولايستلزم ذلك نزولها حينئذ . قال : وهذا هو المعتمد ، فقد صحّ فى سبب نزول الآية قصة غير قصة ابن سلام .

تنبيه

عكس ما تقدم أن يُذكر سبب واحد فى نزول آيات[2] متفرّقة ، ولا إشكال فى ذلك ، فقد ينزل فى الواقعة الواحدة آيات عديدة فى سور شتى ، مثاله ما أخرجه الترمذىّ والحاكم عن أم سلمة أنها قالت : يارسول الله ، لا أسمع الله ذكر النساء فى الهجرة بشىء ! فأنزل الله . ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ ... ﴾[3] إلى آخر الآية .

وأخرج الحاكم عنها أيضا ، قالت : قلت : يا رسول الله تذكر الرجال

(١) سورة البقرة ٩٧ .
(٢) ط : « الآيات » .
(٣) سورة آل عمران ١٩٥ .

ولا تذكر النساء ! فأُنزلت : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ والْمُسْلِمَاتِ ﴾ [(١)] وأُنزِلت : ﴿ أَنِّى لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ﴾ .

وأخرج أيضا عنها أنها قالت : يَغْزُو الرجال ولا تَغْزو النساء ، وإنما لنا نصف الميراث ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ وأنزل : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ والْمُسْلِمَاتِ ﴾ .

ومن أمثلته أيضا ما أخرجه البخاريّ من حديث زيد بن ثابت ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه : ﴿ لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى ﴿ والْمُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ الله ﴾[(٢)] ، فجاء ابن أُمّ مكتوم ، وقال : يا رسولَ الله ، لو أستطيع الجهاد لجاهدت ـ وكان أعمى ـ فأنزل الله : ﴿ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ ﴾ .

وأخرج ابن أبى حاتم عن زيد بن ثابت أيضا ، قال : كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنى لواضع القَلَم على أذنى ، إذ أُمِرَ بالقتال ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ما ينزل عليه إذ جاء أعمى ، فقال : كيف لى يا رسول الله وأنا أعمى ! فأُنزلت : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء ... ﴾ [(٣)]

ومن أمثلته ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا فى ظلّ حُجرة ، فقال : إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعينى شيطان ، فطلع رجل أزرق ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : عَلَامَ تشتمنى أنت وأصحابك ؟ فانطلق الرَّجل ، فجاء بأصحابه ، فحلفوا بالله ما قالوا ، حتى تجاوز عنهم ، فأنزل الله : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ

(١) سورة الأحزاب ٣٥ . (٢) سورة النساء ٩٥ .
(٣) سورة التوبة ٩١ .

مَا قَالُوا ... ﴾ (١) الآية . وأخرجه الحاكم وأحمد بهذا اللفظ وآخره : فأنزل الله : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ .. ﴾ (٢) الآية .

تنبيه

تأمّل ما ذكرته لك فى هذه المسألة ، واشدد به يديك ، فإنى حرّرته واستخرجته بفكرى من استقراء صنيع الأئمة ومتفرّقات كلامهم ، ولم أُسْبَق إليه .

(١) سورة التوبة ٧٤ .
(٢) سورة المجادلة ١٨ .

النوع العاشر

فيما أنزل من القرآن على لسان بعض الصحابة

هو فى الحقيقة نوعٌ من أسباب النزول الأصلفية مُوافقات عمر ، وقد أفردها بالتصنيف جماعة .

وأخرج التِّرمذىّ ، عن ابن عمر ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه . قال ابنُ عمر : وما نزل بالنَّاس أمرٌ قطّ فقالوا وقال ، إلا نزل القرآنُ على نحو ما قال عمر .

وأخرج ابنُ مَرْدويه ، عن مجاهد ، قال : كان عمر يرى الرأْى ، فينزل به القرآن

وأخرج البخارىُّ وغيره ، عن أنَس ، قال : قال عمر : وافقتُ ربِّى فى ثلاث قلت : يا رسولَ الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصلًّى ؟ فنزلت : (وَاتخذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) [1] ، وقلت : يا رسولَ الله ، إنّ نساءكَ يَدخل عليهنّ البَر والفاجر ، فلو أمرتَهنّ أن يحتجبن ؟ فنزلت آية الحجاب ، واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤُه فى الغيرة ، فقلت لهنّ : (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ) [2] ، فنزلت كذلك .

وأخرج مسلم عن ابن عمر ، عن عمر ، قال ، وافقت ربّى فى ثلاث : فى الحجاب ، وفى أسارى بدر [3] وفى مقام إبراهيم .

وأخرج ابن أبى حاتم عن أنَس ، قال : قال عمر : وافقتُ ربِّى – أو وافقنى

---

(١) سورة البقرة ١٢٥ .

(٢) سورة التحريم ٥ .

(٣) ط : « أسرى » .

ربى – فى أربع :؛ نزلت هذه الآية : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ... ﴾ [١] الآية ، فلما نزلت قلت أنا « فَتَبَارك اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِين » . فنزلت : ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين ﴾ [٢] .

وأخرج عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أنّ يهوديا لقى عمر بن الخطاب ، فقال : إنّ جبريل الذى يذكر صاحبكم عدوٌّ لنا ، فقال عمر : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُواً لِلهِ وَمَلَائِكَتِه وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وميكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ قال : فنزلت [٣] على لسان عمر .

وأخرج سُنَيْد فى تفسيره ، عن سعيد بن جبير ، أنّ سعد بن مُعاذ لمّا سمع ما قيل فى أمر عائشة قال : ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ . فنزلت [٤] كذلك

وأخرج ابن أخى ميمى فى فوائده ، عَن سعيد بن المسيب قال : كان رجلان من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلم إذا سمعا شيئا من ذلك ، قالا : ﴿ سُبْحَانَكَ هذَا بهتانٌ عَظِيمٌ ﴾ : زيد بن حارثة وأبو أيوب ، فنزلت كذلك .

وأخر ابنُ أبى حاتم ، عن عكرمة ، قال لمّا أبطأ على النساء الخبر فى أُحُد خرجْنَ يستخبرن ، فإذا رجلان مقبِلان على بَعيرٍ ، فقالت امرأة : ما فعلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : حىّ . قالت : فلا أُبالى ، يَتّخذ الله من عباده الشهداء ، فنزل القرآن على ما قالت : ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُم شُهَدَاءَ ﴾ [٥] .

وقال ابن سعد فى الطبقات : أخبرنَا الواقدىّ ، حدثنى إبراهيم بن محمد ابن شُرحبيل العبدرىّ ، عن أبيه ، قال : حمل مُصعب بن عُمير اللواء يومَ أُحُد ، فقُطِعت يدُه اليمنى ، فأخذ اللواء بيده اليسرى ، وهو يقول : ﴿ وَمَامُحَمّد

---

(١) سورة « المؤمنون » ١٢ .
(٢) سورة « المؤمنون » ١٤ .
(٣) سورة البقرة ٩٨ .
(٤) سورة النور ١٦ .
(٥) سورة آل عمران ١٤٠ .

إلَّا رسولٌ قد خَلَتْ مِنْ قَبْلِه الرُّسلُ أفإنْ ماتَ أو قُتِلَ انقلبتم عَلَى أعقابِكم ﴾ ثم قطعت يده اليسرى ، فحنا على اللواء وضَمَّهُ بعَضُديه إلى صدره ، وهو يقول : « وَمَا مُحمد إلا رسول ... » ، ثم قُتِل ، فسقط اللواء . قال محمد بن شرحبيل : وما نزلت هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إلَّا رَسُولٌ ﴾ [1] يومئذ حتى نزلت بعد ذلك .

تذنيب

يقرُب من هذا ما ورد فى القرآن على لسان غير الله ، كالنبيِّ عليه السلام وجبريل والملائكة غير مصرَّح بإضافته إليهم ولا محكيّ بالقول ، كقوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائرُ مِن رَبِّكُمْ ... ﴾ ، الآية ، فإنَّ هذا ورد على لسانه صلى الله عليه وسلم لقوله آخرها : ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [2] .

وقوله : (أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ...) [3] الآية ، فإنه أوردها أيضًا على لسانه .

وقوله : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ... ﴾ [4] الآية ، وارد على لسان جبريل .

وقوله : ﴾ وَمَا مِنَّا إلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ ، [5] وارد على لسان الملائكة .

وكذا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، وارد على ألسنة العباد ، إلا أنه يمكن هنا تقدير القول أى قولوا ، وكذا الآيتان الأوليَان يصحُّ أن يقدّرفيهما « قل » بخلاف الثالثة والرابعة .

---

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .
(٢) سورة الأنعام ١٠٤ .
(٣) سورة الأنعام ١١٤ .
(٤) سورة مريم ٦٤ .
(٥) سورة الصافات ١٦٤ - ١٦٦ .

النوع الحادى عشر

ما تكرر نزوله

صرّح جماعة من الْمُتَقدمين والمتأخرّين ، بأَنّ من القرآن ما تكررّ نزوله ، قال ابنُ الحصّار : قد يتكرر نزولُ الآية تذكيرًا وموعظة ، وذكر من ذلك خواتيم سورة النحل ، وأوّل سورة الروم .

وذكر ابنُ كثير منه آية الروح . وذكر قوم منه الفاتحة . وذكر بعضهم منه قوله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ (1) الآية

وقال الزركشيّ فى البرهان : قد ينزل الشيء مرتين تعظيمًا لشأْنه، وتذكيرًا عند حدوث سببه خوف نسيانه . ثم ذكر منه آية الروح ، وقوله : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ ... ﴾ (2) الآية .

قال : فإنّ سورة الإسراء وهود مكّيتان ، وسبب نزولهما يدلّ على أنّهما نزلتا بالمدينة ، ولهذا أشكل ذلك على بعضهم .

ولا إشكال ؛ لأَنها نزلت مرّة بعد مرّة . قال : وكذلك ما ورد فى سورة الإخلاص من أنّها جواب للمشركين بمكة ،وجواب لأهل الكتاب بالمدينة ، وكذلك قوله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ (3) الآية قال : والحكمة فى هذا كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضى نزول آية ، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها فيوحَى إلى النّبىّ صلى الله عليه وسلم تلك الآية بعينها ؛ تذكيرًا لهم بها وبأنّها تتضّمن هذه (4) .

---

(1) سورة التوبة ١١٣ . (2) سورة هود ١١٤ .

(3) سورة التوبة ١١٣ « واورد بعدها فى البرهان » : وأنزل الله فى أبى طالب : ﴿ انك لاتهدى من احببت ﴾ ، وهذه الآية نزلت فى اخر الأمر بالاتفاق ، وموت أبى طالب كان بمكه ، فيمكن انها نزلت مرة بعد اخرى ، وجعلت فى براءة » .

(4) البرهان ١ : ٢٩ ، ٣٠ مع تصرف .

تنبيه

قد يُجْعل من ذلك الأحرف التى تُقرأ على وجهين فأكثر، ويدلّ له ما أخرجه مسلم من حديث أبىّ : « إنّ ربّى أرسل إلىّ أن أقرأ القرآن على حَرْف ، فرددت إليه : أن هَوّن على أمّتى ، فأرسل إلىّ أن أقرأه على حرفين ، فرددت إليه : أنْ هوّن على أمّتى ، فأرسل إلىّ أن أقرأه على سبعة أحرف » ، فهذا الحديث يدل على أن القرآن لم ينزل من أوّل وَهْلة بل مرّة بعد أخرى .

وفى جمال القرّاء للسخاوىّ بعد أن حكى القول بنزول الفاتحة مرتين : إن قيل : فما فائدة نزولها مرة ثانية ؟ قلت : يجوز أن يكون نزلت أوّل مرّة على حرف واحد ، ونزلت فى الثانية ببقيّة وجوهها ، نحو مَلِك ومَالك والسّراط والصّراط ، ونحو ذلك . انتهى .

تنبيه

أنكر بعضهم كون شئ من القرآن يتكرّر نزوله ، كذا رأيته فى كتاب « الكفيل بمعانى التنزيل » ، وعلله بأنّ تحصيل ما هو حاصل لا فائدة فيه . وهو مردود بما تقدّم من فوائده ، وبأنّه يلزم منه أن يكون كلّ ما نزل بمكة نزل بالمدينة مرة أخرى ، فإن جبريل كان يعارضه كل سنة ، وردّ بمنع الملازمة ، وبأنّه لا معنى للإنزال إلا أن جبريل كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرآن لم يكن نزل به من قبل ، فيقرئه إياه . ورُدّ بمنع اشتراط قوله : « لم يكن نزل به من قبل » . ثم قال : ولعلهم يعنُون بنزولها مرّتين ، أنّ جبريل نزل حين حُوّلت القبلة ، فأخبَر الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ الفاتحة ركن فى الصلاة كما كانت بمكة ، فظن ذلك نزولا لها مرّة أُخرى ، أو أقرأه فيها قراءة أخرى لم يقرئها له بمكة ، فظنّ ذلك إنزالاً . انتهى .

النوع الثانى عشر

ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه

قال الزركشىّ فى البرهان : قد يكون النزول سابقا على الحكم ، كقوله : ﴿ قَدْ أفلحَ مَن تزكى ۝ وَذَكرَ اسْمَ رَبه فصَلّى ﴾[١] ، فقد روى البيهقىّ وغيره عن ابن عمر أنها نزلت فى زكاة الفطر . وأخرج البزار نحوه مرفوعا .

وقال بعضهم : لا أدرِى ما وجهُ هذا التأويل ؟ لأن السورة مكيّة ، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة ولا صوم ! وأجاب البغوىّ بأنه يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم ، كماقال : ﴿ لا أُقسمُ بِهَذا الْبَلَدِ ۝ وَأنتَ حِلٌّ بِهَذا الْبَلَدِ ﴾ فالسورة مكية ،وقد ظهرَ أثر الحِلّ يوم فتح مكة ، حتى قال عليه السلام « أُحِلَّت لى ساعة من نهار » ، وكذلك نزل بمكة : ﴿ سَيُهزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلّون الدّبُرَ ﴾[٢] قال عمر بن الخطاب : فقلت : أىّ جمع ؟ فلما كان يوم بدر ، وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثارهم مصلِتا بالسيف ، ويقول : ﴿ سَيُهْزَم الْجَمْعُ وَيُوَلّون الدبُرَ ﴾ ، فكانت ليوم بدر . أخرجه الطبرانى فى الأوسط .[٣]

وكذلك قوله : ﴿ جُند ما هنالِك مَهْزوم من الأَحْزابِ ﴾[٤] ، قال قتادة ، وعده الله وهو يومئذ بمكة أنه سيهزم جندا من المشركين ، فجاء تأويلها يوم بدر . أخرجه ابن أبى حاتم .

---

(١) سورة الأعلى ١٤ ، ١٥ .
(٢) سورة القمر ٤٥ .
(٣) البرهان ١ : ٣٢ بتصرف .
(٤) سورة ص ١١ .

ومثله أيضا قوله تعالى : ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ (١).

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ ﴾ قال : السيف ، والآية مكية متقدّمة على فرض القتال ، ويؤيد تفسير ابن مسعود ما أخرجه الشيخان من حديثه أيضا ، قال : دخل النبيّ صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحولَ الكعبة ثلاثمائة وستون نصُبا ، فجعل يطعنها بعود كان فى يده ، ويقول : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٢) ، ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ .

وقال ابن الحصّار : ذكر الله الزكاة فى السور المكيات كثيرا ، تصريحا وتعريضا ، بأن الله سينجز وعدَه لرسوله ، ويقيم دينه ويظهره ؛ حتى تفرض الصلاة والزكاة وسائر الشرائع ، ولم تؤخذ الزكاة إلا بالمدينة بلاخلاف ، وأورد من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ (٣) وقوله فى سورةِ المزمل : ﴿ وَأَقِيمُوا الصلاة وَآتوا الزكاة ﴾ (٤) . ومن ذلك قوله فيها : ﴿ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ ﴾ (٥) .

ومن ذلك قوله تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمن دَعَا إلى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحا)(٦) فقد قالت عائشة وابن عمر وعكرمة وجماعة : إنها نزلت فى المؤذنين ، والآية مكية ولم يُشرع الأذان إلا بالمدنية .

ومن أمثلة ما تأخر نزوله عن حكمه آية الوضوء ، ففى صحيح البخاريّ عن عائشة قالت : « سقطت قلادة لى بالبيداء ، ونحن داخلون المدينة ، فأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فثنى رأسه فى حِجْرى راقدا ، وأقبل

(١) سورة سبأ ٤٩ .
(٢) سورة الاسراء ٨١ .
(٣) سورة الأنعام ١٤١ .
(٤) سورة المزمل ٢٠ .
(٥) سورة المزمل ٢٠ .
(٦) سورة فصلت ٣٣ .

أبو بكر ، فلكزني لكزة شديدة وقال : حبستِ الناس فى قلادة ! ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم استيقظ ، وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد ، فنزلت : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاةِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لعلّكم تشكرُون ﴾ [١] ، فالآية مدنية إجماعا ، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة .

قال ابن عبد البرّ : معلوم عند جميع أهل المغازى أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل منذ فرضت عليه الصلاة إلا بوضوء ، ولا يدفع ذلك إلا جاهل أو معاند . قال : والحكمة فى نزول آية الوضوء مع تقدّم العمل به ،ليكون فرضه متلواً بالتنزيل .

وقال غيره : يحتمل أن يكون أوّل الآية نزل مقدّما مع فرض الوضوء ، ثم نزل بقيتها ، وهو ذكر التيمم فى هذه القصة .

قلت : يردّه الإجماع على أنّ الآية مدنيّة .

ومن أمثلته أيضا آية الجمعة ، فإنها مدنية والجمعة فرضت بمكة ، وقول ابن الفَرس : إن إقامة الجمعة لم تكن بمكة قطّ ، يردّه ما أخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : كنت قائد أبي حين ذهب بصرُه ، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة ، فسمع الأذان ، يستغفر لأبى أمامة أسعد ابن زرارة ، فقلت : يا أبتاه ، أرأيت صلاتك على أسعد بن زرارة كُلَّما سمعت النداء بالجمعة ، لِمَ هذا ؟ قال : أىّ بنىّ ، كان أوّل مَنْ صلّى بنا الجمعة قبْل مقدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة .

ومن أمثلته قوله تعالى : (إنّمَا الصّدَقَاتُ لِلفُقَرَاء ...) [٢] الآية ، فإنّها نزلت سنة تسع ، وقد فرضت الزكاة قبلها فى أوائل الهجرة .

---

(١) سورة المائدة ٦ . (٢) سورة التوبة ٦٠ .

قال ابنُ الحَصَّار : فقد يكون مصرفُها قبل ذلك معلوما ، ولم يكن فيه قرآن متلوّ ، كما كان الوضوء معلوما قبل نزول الآية ، ثم نزلت تلاوة القرآن تأكيدا به .

• • •

النوع الثالث عشر

ما نزل مفرقا وما نزل جمعا

الأول غالب القرآن ، ومن أمثلته فى السور القصارِ « اقرأ » أوّل ما نزل منها ، إلى قوله : (مَا لَمْ يَعْلَمْ) ، والضحى أوّل ما نزل منها إلى قوله : (فَتَرْضَى) كما فى حديث الطَّبرانىّ .

ومن أمثلة الثانى سورة الفاتحة ، والإخلاص ، والكوثر ، وتبّت ،ولم يكن والنصر ، والمعوذتان ، نزلتا معا .

ومنه فى السّور الطوال المرسلات ، ففى المستدرَك عن ابن مسعود ، قال : كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم فى غارٍ ، فنزلت عليه : (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) ، فأخذتُها من فيه وإنّ فاه رطْب بِها ، فلا أدرى بأيّها ختم : (فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) [1] ، أو (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) [2] .

ومنه سورة الصف لحديثها السابق فى النوع الأوّل .

ومنه سورة الأنعام ، فقد أخرج أبو عُبيد والطَّبرانىّ عن ابن عباس ، قال : نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة ، حولها سبعون ألف ملَك .

وأخرج الطبرانىّ من طريق يوسف بن عطيّة الصّفار – وهو متروك – عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نزلت علىّ سورة الأنعام جملة واحدة يشيّعها سبعون ألف ملك » .

وأخرج البَيْهقى فى الشُّعب بسندٍ فيه من لا يُعرف عن علىّ قال : أُنزِل

---

(١) سورة المرسلات ٥٠ (٢) سورة المرسلات ٤٨ .

القرآن خمسًا خمسًا إلا سورة الأنعام ، فإنها نزلت جملة في ألف يشيعها من كلّ سماء سبعون ملكًا حتى أدّوها إلى النبي صلّى الله عليه وسلم » .

وأخرج أبو الشيخ [(١)] عن أبيّ بن كعب مرفوعا : « أنزِلت عليّ سورة الأنعام جملةً واحدة ، يشيعها سبعون ألف ملك » .

وأخرج عن مجاهد قال : « نزلت الأنعام كلها جملة واحدة معها خمسمائة ملك » .

وأخرج عن عطاء قال : « أُنزِلت الأنعام جميعا ومعها سبعون ألف ملك » .

فهذه شواهد يُقوّي بعضها بعضًا .

وقال ابن الصلاح في فتاويه : الحديث الوارد في أنها نزلت جملةً ، رويناه من طريق أبيّ بن كعب . وفي إسناده ضَعْف ، ولم نر له إسنادًا صحيحا ، وقد رُوِيَ ما يخالفه ، فرُوِيَ أنها لم تنزل جملَةً واحدة ، بل نزلت آيات منها بالمدينة ، اختلفوا في عددها ، فقيل : ثلاث ، وقيل غير ذلك . انتهى والله أعلم .

* * *

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان ، المعروف بأبي الشيخ . قال أبو نعيم مصنف الأحكام والتفسير . توفي سنة ٣٦٩ . أخبار أصبهان ٢ : ٩٠ .

النوع الرابع عشر

ما نزل مشيعا وما نزل مفردا

قال ابن حبيب ، وتبعه ابن النَّقيب : من القرآن ما نزل مشيَّعًا ، وهو سورة الأنعام شيّعها سبعون ألف مَلَك ، وفاتحة الكتاب نزلت ومعها ثمانون ألف ملك ، وآية الكرسىّ نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك ، وسورة يس نزلت ومعها ثلاثون ألف مَلَك ، ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [1] زلت ومعها عشرون ألف ملَك ، وسائر القرآن نزل به جبريل مفردا بلا تشييع .

قلت : أما سورة الأنعام فقد تقدّم حديثها بطرقه ، ومن طرقه أيضا ما أخرجه البيهقىّ فى الشُّعب والطبَّرانىّ بسند ضعيف ، عن أنس مرفوعا : « نزلت سورة الأنعام ومعها مَوْكبٌ من الملائكة يسدّ ما بين الخافقين ، لهم زَجَل بالتقديس والتسبيح والأرض ترتجّ » .

وأخرج الحاكم والبيهقى من حديث جابر ، قال : لمّا نزلت سورة الأنعام سبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « شيَّع هذه السورة من الملائكة ما سدّ الأُفق » . قال الحاكم : صحيح على شرط مُسلم ، لكن قال الذهبىّ : فيه انقطاع ، وأظنُّه موضوعا .

وأما الفاتحة وسورة يس ، و ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ فلم أقف على حديث فيها بذلك ولا أثر .

وأما آية الكرسىّ فقد ورد فيها وفى جميع آيات البقرة حديث ، أخرج

(١) سورة الزخرف ٤٥ .

أحمد فى مسنَده ، عن مَعقل بن يسار ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « البقرة سِنام القرآن وذرْوته ، نزل مع كل آية منها ثمانونَ ملكا ، واستخرجت « الله لا إله إلا هو الحى القيوم » من تحت العرش فوصلت بها » .

وأُخرج سعيد بن منصور فى سنَنه ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال : « خواتيم سورة البقرة جاء بها جبريل ، ومعه من الملائكة ماشاء الله » .

وبقى سوَر أُخرى منها سورة الكهف ، قال ابنُ الضُّريس فى فضائله . أخبرنا يزيد بن عبد العزيز الطيالسىّ حدثنا إسماعيل بن عيّاش ، عن إسماعيل ابن رافع ، قال : بلغنا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أُخبركم بسورة ملء عظمتها ما بين السماء والأرض شيّعها سبعون ألف ملَك ؟ سوره الكهف » .

تنبيه

لينظر فى التوفيق بين ما مضى وبين ما أخرجه ابنُ أبى حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جُبير ، قال : ما جاء جبريل بالقرآن إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم إلا ومعه أربعة من الملائكة حَفَظَة .

وأخرج ابن جرير عن الضحاك ، قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم إذا بُعِث إليه الملَك ، بعث ملائكة يحرُسونه من بين يديه ومِنْ خلفِه ؛ مخافة أن يتشبه الشيطان على صورة الملك .

فائدة

قال ابنُ الضُّرَيس : أخبرنا محمود بن غيلان عن يزيد بن هارون ، أخبرنى الوليد – يعنى ابن جميل – عن القاسم ، عن أبى أُمامة ، قال : أربع

آيات نزلت من كنز العرش ، لم ينزل منه شىء غيرهنّ : أم الكتاب ، وآية الكرسىّ ، وخاتمة سورة البقرة ، والكوثر .

قلت : أما الفاتحة فأخرج البيهقى فى الشُّعب ، من حديثِ أنس مرفوعًا : إنّ الله أعطانى فيما مَنّ به علىّ : إنِّى أعطيتك فاتحة الكتاب وهى من كنوز عرشى .

وأخرج الحاكم عن معقِل بن يسار مرفوعًا : « أعطِيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش » .

وأخرج ابن راهويه فى مسنَدِه عن علىّ ، أنه سئل عن فاتحة الكتاب فقال حدّثنا نبىّ الله صلى الله عليه وسلم أنها نزلت من كنز تحت العرش .

وأما آخر البقرة فأخرج الدارمى فى مسنده ، عن أيفع الكَلاعىّ ، قال : قال رجل : يارسول الله ، أىّ آيةٍ تحبّ أن تصيبك وأمتك ؟ قال : « آخر سورة البقرة ، فإنها من كنز الرحمة من تحت عرش الله » .

وأخرج أحمد وغيره من حديث عُقْبة بن عامر مرفوعا : « اقرءوا هاتين الآيتين فإن ربى أعطانيهما من تحت العرش » .

وأخرج من حديث حُذيفَة : « أعطِيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يُعطَها نبى قبلى » .

وأخرج من حديث أبى ذَرّ : « أعطِيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يُعطَهنّ نبىّ قبلى » .

وله طرق كثيرة عن عمر وعلىّ وابن مسعود وغيرهم .

وأما آية الكرسى فتقدمت فى حديث معقِل بن يسار السابق .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم إذا قرأ آية الكرسى ضحك ، وقال : « إنها من كنز الرّحمن تحت العرش.

وأخرج أبو عبيد ،عن علىّ قال : « آية الكرسىّ أعطيَها نبيُّكم من كنز تحت العرش ، ولم يعطها أحد قبل نبيّكم » .

وأما سورة كوثر فلم أقف فيها على حديث ، وقول أبى أمامة فى ذلك يجرى مجرى المرفوع ،وقد أخرجه أبو الشيخ بن حبّانوالديلمىّ وغيرهما من طريق محمد بن عبد الملك الدقيقىّ عن يزيد بن هارون، بإسناده السابق عن أبى أمامة مرفوعا .

النوع الخامس عشر

ما أُنزل منه على بعض الأَنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم

من الثانى الفاتحة وآية الكرسىّ وخاتمة البقرة ، كما تقدّم فى الأَحاديث قريبًا .

وروى مسلم عن ابن عباس : أتى النبي صلى الله عليه وسلم مَلَك ، فقال : « أبْشِرْ بنورَيْن قد أُوتيتَهما لم يؤتَهما نبىّ قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة » .

وأخرج الطَّبرانىّ عن عُقْبة بن عامر قال : ترددّوا فى الآيتين من آخر سورة البقرة : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ... ﴾ (١) إلى خاتمتها ؛ فإنّ الله اصطفى بها محمدًا .

وأخرج أبو عبيد فى فضائله عن كعب قال : إنّ محمدًا صلى الله عليه وسلم أُعْطِيَ أربع آيات لم يُعطَهُنَّ موسَى ، وإنّ موسى أُعطِى آية لم يعطها محمد قال : والآيات التى أعطيهنّ محمد : ﴿ لِلهِ مَا فِى السَّمٰوٰاتِ ومَا فِى الْأَرْضِ .. ﴾ (٢) حتى ختم البقرة ؛ فتلك ثلاث آيات ، وآية الكرسى . والآية التى أعطيَها موسى : « اللهم لا تولج الشيطان فى قلوبنا وخلِّصنا منه ، من أجل أن لك الملكوت والأَيْد والسلطان والملك ، والحمد والأَرض والسماء ، الدّهرَ الدّاهر ، أبدًا أبدًا آمين آمين » .

وأخرج البيهقى فى الشُّعَبِ عن ابن عباس ، قال : السبع الطوال

(١) سورة البقرة ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٢) سورة البقرة ٢٨٤ .

لم يعطَهنّ أحد إلا النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأُعْطِيَ موسى منها اثنتين .

وأخرج الطّبرانيّ عن ابن عباس مرفوعاً : « أعطيتْ أمّتى شيئاً لم يعطَه أحد من الأمم عند المصيبة ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ »[١] .

ومن أمثلة الأول ، ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس ، قال : لما نزلت : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ قال صلى الله عليه وسلم : « كلّها فى صحف إبراهيم وموسى » ، فلما نزلت : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ فبلغ ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ قال : وفّى ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ إلى قوله : ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى ﴾[٢] .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا خالد بن عبد الله ، عن عطاء بن السائب ، عن عِكْرمة عن ابن عباس ، قال : هذه السورة فى صحف إبراهيم وموسى. وأخرجه ابن أبى حاتم بلفظ : « نسخ من صحف إبراهيم وموسى » . وأخرج عن السُّدىّ قال : إن هذه السورة فى صحف إبراهيم وموسى مثل ما نزلت على النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وقال الفريابي : نبأنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ قال : هؤلاء الآيات .

وأخرج الحاكم ، من طريق القاسم ، عن أبى أمامة ، قال : أنزل الله على إبراهيم مما أنزل على محمد : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] و ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٤] و ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ . . . ﴾[٥] الآية ، والتى فى سأل : ﴿ الَّذِينَ

(١) سورة البقرة ١٥٦ .
(٢) سورة النجم ١ ـ ٥٦ .
(٣) سورة التوبة ١١٢ .
(٤) سورة «المؤمنون» ١ ـ ١١ .
(٥) سورة الأحزاب ٣٥ .

هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ قَائِمُونَ ﴾[١] فلم يف بهذه السهام إلا إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم .

وأخرج البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال إنه - يعنى النبيّ صلى الله عليه وسلم الموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن :﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[٢] ، وحرزًا للأميين .. الحديث .

وأخرج ابن الضُّريس وغيره ، عن كعب ، قال : فُتحت التوراة : بـ﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[٣] وختمت بـ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[٤]

وأخرج أيضا عنه ، قال : فاتحة التوراة فاتحة الأنعام : ﴿ الحمدُ لله الَّذى خلَقَ السَّموَاتِ والأَرضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ ﴾[٥] ، وخاتمة التوراة خاتمة هود : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٦] .

وأخرج من وجه آخر عنه قال : أوّل ما أُنزل فى التوراة عشر آيات من سورة الأنعام : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيْكُمْ ... ﴾[٧] إلى آخرها

وأخرج أبو عبيد عنه ، قال : أوّل ما أنزل الله فى التوراة عشر آيات من سورة الأنعام : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ تعالَوْا أَتْلُ ... ﴾ الآيات . قال بعضهم : يعنى أنّ هذه الآيات اشتملتْ على الآيات العشر التى كتبها الله لموسى فى التوراة أوّل ماكتب ، وهى : توحيد الله ، والنهى عن الشرك ، واليمين

---

(١) سورة المعارج ٢٣ - ٣٣ .
(٢) سورة الأحزاب ٤٥ .
(٣) سورة الأنعام ١ .
(٤) سورة الإسراء ١١١ .
(٥) سورة الأنعام ١ .
(٦) سورة هود ١٢٣
(٧) سورة الأنعام ١٥١ .

الكاذبة ، والعقوق ، والقتل ، والزنا ، والسرقة ، والزور ، ومدّ العين إلى ما فى يد الغير ، والأمر بتعظيم السبت .

وأخرج الدّارقطنىّ من حديث بُريدة ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : «لأعلِّمنّك آيةً لم تنزل على نبىّ بعد سليمان غيرى :﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ .

وروى البيهقىّ عن ابن عباس ، قال : أغفل النّاس آيةً من كتاب الله لم تنزل على أحد قبل النبىّ صلى الله عليه وسلم إلّا أن يكونَ سليمان بن داود : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ .

وأخرج الحاكم عن ابن ميسرة ، أنّ هذه الآية مكتوبة فى التوراة بسبعمائة آية : ﴿يُسبِّحُ لله مَا فِى السَّمَوات ِوَمَا فى الأرْضِ المَلِكِ القُدُّوسِ العزيزِ الحكيمِ﴾ أوّل سورة الجمعة .

فائدة

يدخل فى هذا النوع ما أخرجه ابن أبى حاتم ، عن محمدبن كعب القُرظىّ ، قال : البرهان الذى أرىَ يوسف ثلاثُ آيات من كتاب الله : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكم لَحَافِظِينَ • كِرَامًا كاتِبِينَ • يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلونَ﴾[1] وقوله : ﴿وَمَا تكونُ فى شَأْن وَمَا تتلُو مِنْهُ مِن قُرآنٍ ...﴾[2] الآية ، وقوله : ﴿أفَمَنْ هُو قائِمٌ عَلَىَ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ...﴾[3] زاد غيره آية أخرى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾[4]

وأخرج ابن أبى حاتم أيضا ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿لَوْلَا أن رَأَى بُرْهَانَ رَبِّه﴾[5] قال : رأى آية من كتاب الله نهته ، مُثِّلتْ له فى جدار الحائط .

(١) سورة الانفطار ١٠ ــ ١٢ .
(٢) سورة يونس ٦١ .
(٣) سورة الرعد ٣٣ .
(٤) سورة الاسراء ٣٢
(٥) سورة يوسف ٢٤ .

النوع السادس عشر

فى كيفية إنزاله

فيه مسائل :

المسألة الأولى :

قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رمضَانَ الَّذِى أنزلَ فيه القرآنُ ﴾ [1] ، وقال : ﴿ إنَّا أنزلناهُ فى لَيْلَةِ القَدْر ﴾ [2] .

اختلف فى كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال :

أَحَدُها ، وهو الأصحّ الأشهر : أنّه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدْر جملةً واحدة ، ثم نزل بعد ذلك مُنَجّمًا فى عشرين سنة ، وثلاثة وعشرين ، أو خمسة وعشرين ، على حَسَب الخلاف فى مدّة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة .

وأخرج الحاكم والبيهقىّ وغيرهما من طريق منصور عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : أُنزل القرآن فى ليلة القدْر جملةً واحدة إلى سماء الدنيا ، وكان بمواقع النجوم ، وكان الله يُنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه فى أثر بعض .

وأخرج الحاكم والبيهقىّ أيضا والنّسائىّ من طريق داود بن أبى هند ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : أنزل القرآن فى ليله واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدْر ، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ : ﴿ولاَ يَأْتُونَكَ بِمثَل

---

(١) سورة البقرة ١٨٥ . (٢) سورة القدر ١ .

إلَّا جِئْناك بالحق وأَحْسَنَ تفسيرا ﴾ (١) ﴿ وقُرآنًا فَرَقْنَاهُ لِتقْرَأَه على النّاسِ علَى مُكْث ونَزَّلْنَاهُ تَنزيلا ﴾ (٢) .

وأخرجه ابن أبي حاتم من هذا الوجه وفى آخره ، فكان المشركون إذا أحدثوا شيئا أحدث الله لهم جوابا .

وأخرج الحاكم وابن أبى شيبة من طريق حسّان بن حُريث ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس قال : فُصِل القرآن من الذكر ، فوضع فى بيت العزّة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على النبيّ صلى الله عليه وسلم . أسانيدها كلّها صحيحة .

وأخرج الطّبرانىّ من وجْه آخر عن ابن عبّاس ، قال أنزل القرآن فى ليلة القدْر فى شهر رمضان إلى سماء الدّنيا جملة واحدة ، ثم أُنزِل نجومًا (٣) . إسناده لا بأْس به .

وأخرج الطّبرانىّ والبزّار من وجه آخر عنه ، قال : أُنزِل القرآن جملةً واحدة حتى وضع فى بيت العزّة فى السماء الدنيا ، ونزّله جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بجواب كلام العباد وأعمالهم .

وأخرج ابن أبي شيبة فى فضائل القرآن من وجه آخر عنه : دفع إلى جبريل فى ليلة القدر جملة واحدة ، فوضعه فى بيت العزّة ، ثم جعل ينزّله تنزيلا .

وأخرج ابن مردويه والبيهقىّ فى الأسماء والصفات من طريق السّدّىّ عن محمد ، عن ابن أبي المجالد ، عن مقسم ، عن ابن عباس أنّه سأل عطية ابن الأسود فقال : أوْقع فى قلبى الشكّ قولُه تعالى : ﴿ شَهْرُ رمضانَ الّذِى أُنْزِل فيه القرآن ﴾ وقوله : ﴿ إنّا أنزلناه فى ليلة القَدْر ﴾ ، وهذا نزل فى شوال

(١) سورة الفرقان ٣٣ . (٢) سورة الاسراء ١٠٦ .
(٣) ط : « ثم أنزل القرآن نجوما » .

وفى ذى القعدة وفى ذى الحجة وفى المحرّم وصفر وشهر ربيع ، فقال ابن عباس إنه أُنزِل فى رمضان ليلة القَدْر جملة واحدة ، ثم أُنزِل على مواقع النُّجُوم رَسَلاً فى الشهور والأَيام .

قال أبو شامة : قوله : « رَسَلاً » أى رِفقًا ، وعلى موقع النجوم ، أى على مثل مساقطها ، يريد : أنزل مفرّقا يتلُو بعضه بعضا ، على تُؤَدَة ورفْق (١) .

القول الثانى : أنّه نزل إلى السماء الدنيا فى عشرين ليلة قَدْر أَوْ ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ، فى كل ليلة ما يقدّر الله إنزاله فى كلّ السنة ، ثم نزل بعد ذلك منجّمًا فى جميع السنة . وهذا القول ذكره الإمام فخر الدين الرازى بحثًا ، فقال : يحتمل أنّه كان ينزل فى كلّ ليلة قدْر ما يحتاج النّاس إلى إنزاله إلى مثلها من اللوح إلى السماء الدنيا . ثم توقّف ، هل هذا أولى أو الأَول ! .

قال ابنُ كثير : وهذا الّذى جعله احتمالاً نقله القرطبىّ عن مقاتل بن حيان ، وحكى الإجماع على أنّه نزل جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا .

قلت : وممّن قال بقول مقاتل الحَليمى والماوردىّ ويوافقه قول ابن شهاب : آخِرُ القرآن عهدًا بالعرش آية الدَّيْن .

القول الثالث : أنّه ابتدئ إنزاله فى ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك منجّمًا فى أوقات مختلفة ، من سائر الأَوقات ، وبه قال الشّعْبىّ .

قال ابنُ حجَر فى شرح البخارىّ : والأَول هو الصحيح المعتمد : قال :

(١-١) كذا فى الأصل ، وفى ط : « أنزل فى رمضان فى ليلة القدر جملة واحدة ، ثم أنزل على مواقع مفرقا يتلو بعضه بعضا ، على تؤدة ورفق » .

وقد حكى الماوردىّ قولا رابعًا ؛ أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة ، وأن الحفظة نجّمته على جبريل فى عشرين ليلة ، وأن جبريل نجّمه على النبىّ صلى الله عليه وسلم فى عشرين سنة . وهذا أيضا غريب ، والمعتمد أن جبريل كان يعارضه فى رمضان بما ينزل به عليه فى طول السنة .

وقال أبو شامة : كأن صاحب هذا القول أراد الجمع بين القولين : الأول والثانى .

قلت : هذا الذى حكاه الماوردىّ أخرجه ابن أبى حاتم من طريق الضّحاك عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن جملةً واحدة من عند الله من اللّوح المحفوظ إلى السَّفَرَة الكرام الكاتبين فى السّماء الدنيا ، فنجّمته السَّفَرة على جبريل عشرين ليلة ، ونجّمه جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم عشرين سنة .

تنبيهات

الأول : قيل السر فى إنزاله جملة إلى السماء ، تفخيم أمره وأمر مَنْ نزل عليه ، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم ، قد قرّبناه إليهم لننزله عليهم ، ولولا أنّ الحكمة الإلّهية اقتضت وصوله إليهم مُنجّمًا بحسَب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة ، كسائر الكتب المنزّلة قبله ، ولكن الله بايَنَ بينه وبينها ، فجعل له الأمرين : إنزاله جملة ، ثم إنزاله مفرّقا ؛ تشريفًا للمنزّل عليه . ذكر ذلك أبو شامة فى المرشد الوجيز .

وقال الحكيم التّرمذىّ : نزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا تسليماً منه للأمّة ما كان أبرز لهم من الحظّ ببعث محمّد صلى الله عليه وسلم . وذلك

أنّ بعثته[١] كانت رحمةً ، فلمّا خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ، فوضع القرآن ببيت العزّة فى السماء الدنيا ليدخلَ فى حدّ الدنيا ، ووضعت النبوّة فى قلب محمد ، وجاء جبريل بالرسالة ثم الوحى ، كأنّه أراد تعالى أن يُسلّم هذه الرحمة التى كانت حظّ هذه الأُمّة من الله إلى الأُمّة .

وقالَ السّخاوى فى جمال القرّاء : فى نزوله إلى السماء جملةً ، تكريم بنى آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة ، وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم ؛ ولهذا المعنى أمر سبعين ألفا من الملائكة أن تشيّعَ سورة الأنعام . وزاد سبحانه فى هذا المعنى بأنْ أمر جبريل بإملائه على السّفَرة الكرام وإنساخهم إياه وتلاوتهم له . قال : وفيه أيضا التسّوية بين نبينا صلى الله عليه وسلم وبين موسى عليه السلام فى إنزاله كتابه جُملة ، والتفضيل لمحمّد فى إنزاله عليه منجّمًا ليحفظه .

قال أبو شامة : فإن قلت : فقوله تعالى : ﴿ إنَّا أنزلناه فى ليلة القَدْرِ ﴾ من جملة القرآن الّذى نزل جملة أم لا ؟ فإن لم يكن منه ، فما نزل جملة ؟ وإن كان منه فما وجْه صحة هذه العبارة ؟ .

قلت : له وجهان أحدهما : أن يكون معنى الكلام إنّا حكمنا بإنزاله فى ليلة القدْر ، وقضيناه وقدرناه فى الأزَل . والثانى : أنّ لفظه لفظ الماضى ومعناه الاستقبال ، أى ينزله جملة فى ليلة القدر . انتهى .

الثانى : قال أبو شامة أيضا : الظّاهر أن نزوله جملة إلى السماء الدّنيا قبل ظهور نبوّته صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحتمل أنْ يكون بعدها .

قلت : الظاهر هو الثانى ، وسياق الآثار السابقة عن ابن عباس صريح فيه.

(١) ط : « بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ».

وقال ابن حجَر فى شرح البخاري : قد أخرج أحمد والبيهقىّ فى الشُّعب عن واثلة بن الأسقع ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « أُنزلت التوراة لستٍّ مضَيْن من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة خلتْ منه ، والزَّبور لثمان عشرةَ خلتْ منه ، والقرآن لأربع وعشرين خلتْ منه » . وفى رواية : « وصحف إبراهيم لأوّل ليلة » قال : وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى :﴿ شَهْر رمضان الَّذِى أُنزِل فيه القرآن ﴾ ولقوله : ﴿ إنَّا أنزلْنَاهُ فى ليلةِ القدْرِ ﴾ . فيحتمل أن يكون ليلة القدر فى تلك السنة كانت تلك الليلة ، فأُنزل فيها جملة إلى أسماء الدنيا ، ثم أُنزل فى اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض أوّل ﴿ اقرأْ باسم ربك ﴾ .

قلت : لكن يُشكِل على هذا ما اشتهر من أنه صلى الله عليه وسلم بُعث فى شهر ربيع : ويجاب عن هذا بماذكروه أنه نُبِّئ أوّلاً بالرؤْيا فى شهر مولدِه ، ثم كانت مدّتها ستة أشهر ، ثم أوحى إليه فى اليقظة . ذكره البيهقىّ وغيره .

نعم يُشكل على الحديث السابق ما أخرجه ابن أبى شيبة فى فضائل القرآن عن أبى قُلابة ، قال . أُنزِلت الكتب كاملة ليلة أربع وعشرين من رمضان .

الثالث : قال أبو شامة أيضا : فإن قيل ما السرّ فى نزوله منجَّمًا ؟ وهلّا نزل كسائر الكتب جملة !

قلنا : هذا سؤال قد تولَّى الله جوابه فقال تعالى : ﴿ وقال الَّذِين كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عليهِ القرآنُ جُمْلَةً واحدةً ﴾ ، يعنون كما أُنزل على من قبله من الرسل ، فأجابهم تعالى بقوله : ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أى أنزلناه كذلك مفرّقا ﴿ لنثبِّت بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[1] ، أى لنقوّى به قلبك ؛ فإنّ الوحى إذا كان يتجدّد فى كلّ حادثة

(١) سورة الفرقان ٣٢ .

كان أقوَى بالقلب ، وأشدّ عناية بالمرسَل إليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه ، وتجدّد العهد به وبما معه من الرِّسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز فيحدث له من السرور ما تقصرعنه العبارة ؛ ولهذا كان أجود مايكون فى رمضان لكثرة لقائه جبريل .

وقيل : معنى ﴿ لنثبّت به فؤادك ﴾ أى لنحفظه ؛ فإنه عليه السلام كان أمّيًّا لا يقرأ ولا يكتب ، فَفُرِّق عليه ليثبت عنده حفظه بخلاف غيره من الأنبياء ، فإنه كان كاتبًا قارئًا ، فيمكنه حفظ الجميع .

وقال ابنُ فُورك : قيل : أُنزلت التوراة جملة؛ لأنّهانزلت على نبيٍّ يكتب ويقرأ ، وهو موسى ، وأنزل الله القرآن مفرّقًا لأنّه أُنزل غير مكتوب على نبيٍ أميٍّ .

وقال غيره : إنما لم ينزل جملة واحدة لأنّ منه الناسخ والمنسوخ ، ولا يتأتّى ذلك إلّا فيا أُنزل مفرّقًا ؛ ومنه ماهو جواب لسؤالٍ وما هو إنكار على قولٍ قيل ، أو فعلٍ فُعل ، وقد تَقَدّم ذلك فى قول ابن عباس : ونزّله جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم ، وفسّر به قوله : ﴿ وَلا يأْتونَكَ بمَثَلٍ إلَّا جئنَاكَ بِالحَقِّ ﴾[1] ، أخرجه عنه ابن أبى حاتم .

فالحاصل أن الآية تضمنت حكمتين لإنزاله مفرقا .

تذنيب

ما تقدّم فى كلام هؤلاء من أن سائر الكتب أنزلت جملة ، هو مشهور فى كلام العلماء وعلى ألسنتهم ، حتّى كاد يكون إجماعا ، وقد رأيت بعض

(١) سورة الفرقان ٣٢ .

فضلاء العصر أنكر ذلك ، وقال : إنه لا دليلَ عليه ، بل الصواب أنَّها نزلت مفرقة كالقرآن .

وأقول : الصواب الأوّل ، ومن الأدلة على ذلك آية الفرقان السابقة .

أخرج ابن أبي حاتم ، من طريق سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : قالت اليهود : يا أبا القاسم ، لولا أُنزِل هذا القرآن جملة واحدة كما أُنزلت التوراة على موسى ، فنزلت . وأخرجه من وجه آخر عنه بلفظ : « قال المشركون » ، وأخرج نحوه عن قتادة والسدِّيّ .

فإن قلت : ليس في القرآن التصريح بذلك ، وإنما هو على تقدير ثبوته ، قولُ الكفار !

قلت : سكوتُه تعالى عن الردّ عليهم في ذلك وعدولُه إلى بيان حكمته دليلُ على صِحَّتِهِ ، ولو كانت الكتب كلُّها نزلت مفرّقة لكان يكفي في الردّ عليهم أن يقول : إن ذلك سنة الله في الكتب التي أنزلها على الرسل السابقة كما أجاب بمثل ذلك قولهم : ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يأْكلُ الطَّعَامَ ويمْشِي في الأسواقِ ﴾[1] فقال : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطَّعام ويمْشون في الأسْواق ﴾[2] وقولهم : ﴿ أبَعَثَ الله بشرًا رسولاً ﴾[3] ؛ فقال : ﴿ ومَا أرْسَلْنَا من قَبْلِكَ إلَّا رِجَالاً نُوحِي إليهم ﴾[4] وقولهم كيف يكون رسولا ولا همّ له إلا النساء ! فقالَ : ﴿ وَلَقَدْ أرْسَلْنَا رُسُلاً مِّنَ قَبْلِكَ وجَعَلْنَا لهمْ أزواجًا وذُرِّيةً ... ﴾[5] إلى غير ذلك .

---

(١) سورة الفرقان ٧ .
(٢) سورة الفرقان ٢٠ .
(٣) سورة الاسراء ٩٤ .
(٤) سورة يوسف ١٠٩ .
(٥) سورة الرعد ٣٨ .

ومن الأدلة على ذلك أيضا قوله تعالى فى إنزال التوراة على موسى يوم الصعقة : ﴿ فَخُذْ ما آتيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِين • وَكَتَبْنَا لَهُ فى الألواح مِن كلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وتفصيلاً لِّكُلِّ شىء فخذْها بقوّة ﴾ [(١)] ، ﴿ وألْقى الألواحَ ﴾[(٢)] ﴿ ولمَّا سَكَتَ عن مُّوسَى الغضبُ أخذ الألواحَ وفى نُسْخَتِها هُدًى ورحمةٌ ﴾ [(٣)] ﴿ وإذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فوقهمْ كأنَّه ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أنّه واقعٌ بِهمْ خُذُوا ما آتيْناكُمْ بقوةٍ ﴾ [(٤)] ؛ فهذه الآيات كلُّها دالَّة على إتيانه التوراة جملة .

وأخرج ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال أُعطىَ موسى التَّوراة فى سبعة ألواح من زَبَرْجد ، فيها تبيان لكلِّ شىء وموعظة . فلمّا جاء بها فرأى بنى إسرائيل عُكوفًا على عبادة العجل رمى بالتوراة من يده فتحطَّمت ، فرفع الله منها ستة أسباع وبقى منها سُبع .

وأخرج من طريق جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدِّه ، رفعه ، قال الألواح الّتى أُنزِلت على موسى كانت من سِدْرِ الجنَّة ، كان طول اللوح اثنى عشر ذراعا .

وأخرج النسائىّ وغيره عن ابن عباس ، فى حديث الفتُون ، قال : أخذ موسى الألواح بعدما سكتَ عنه الغضب ، فأمرهم بالّذى أمر الله أن يبلغهم من الوظائف ، فثقلت عليهم ، وأبوا أن يُقرّوا بها حتى نَتَقَ الله عليهم الجبل كأنه ظُلّةٌ ، ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم ، فأقرّوا بها .

وأخرج ابن أبى حاتم ، عن ثابت بن الحجاج ، قال : جاءتهم التوراة جملة واحدة ، فكبرُ عليهم ، فأبَوْا أن يأْخذوها حتى ظَلّل الله عليهم الجبَلَ ، فأخذوها عند ذلك .

---

(١) سورة الأعراف ١٤٤ ، ١٤٥ .
(٢) سورة الأعراف ١٥٠ .
(٣) سورة الأعراف ١٥٤ .
(٤) سورة الأعراف ١٧١ .

فهذه آثار صحيحة صريحة فى إنزال التوراة جملة . ويؤخذ من الأثر الأخير منها حكمة أخرى لإنزال القرآن مفرّقًا ، فإنه أدعى إلى قبوله إذا نزل على التدريج ، بخلاف ما لو نزل جملة واحدة ، فإنه كان ينفر من قبوله كثير من النّاس ، لكثرة ما فيه من الفرائض والمناهى .

ويوضح ذلك ما أخرجه البخارىّ عن عائشة ، قالت : إنمّا نزل أوّل ما نزل منه سورة من المفصّل فيها ذكر الجنة والنّار ، حتى إذا ثاب النّاس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أوّل شىء : « لا تشربوا الخمر » لقالوا : لا ندَع الخمر أبدًا ، ولو نزل : « لا تزْنوا » لقالوا : لا ندَع الزّنا أبدا . ثم رأيت هذه الحكمة مصرّحًا بها فى الناسخ والمنسوخ المكىّ .

فرع

الّذى استُقْرِئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أنّ القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشرا وأكثر وأقلّ ؛ وقد صحّ نزولُ العشر آيات فى قصّة الإفْك جملة ، وصحّ نزول عشر آيات من أوّل « المؤمنون » جملة ، وصحّ نزول : ﴿ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ ﴾(١) وحدها ؛ وهى بعض آية ، وكذا قوله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ... ﴾(٢) إلى آخر الآية ، نزلت بعد نزول أوّل الآية كما حرّرناه فى أسباب النزول ، وذلك بعض آية .

وأخرج ابن أشته فى كتاب المصاحف عن عِكْرمة فى قوله : ﴿ بِمَوَاقِعِ ﴾(٣) قال : أنزل الله القرآن نجومًا ثلاث آيات ، وأربع آيات ، وخمس آيات .

وقال النكزاوىّ فى كتاب الوقف : كان القرآن ينزِل مفرّقًا الآية والآيتين والثلاث والأربع ، وأكثر من ذلك .

(١) سورة النساء ٩٥ .
(٢) سورة التوبة ٢٨ .
(٣) سورة الواقعة ٧٥ .

وأخرجه ابن عساكر من طريق أبي نُضْرة قال : كان أبو سعيد الخُدريّ يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشيّ ، ويخبر أنّ جبريل نزل بالقرآن خمس آيات ، وخمس آيات .

وأمّا ما أخرجه البيهقيّ فى الشُّعب من طريق أبي خَلْدة ، عن عمر ، قال : تعلّموا القرآن خمس آياتٍ خمس آيات ؛ فإنّ جبريل كان ينزل بالقرآن على النبيّ صلى الله عليه وسلم خمسًا خمسًا . ومن طريق ضعيف عن عليّ قال : أُنزل القرآن خمسًا خمسًا إلا سورة الأنعام ، ومن حفظ خمسا خمسا لم ينسه .

فالجواب ، أنّ معناه - إن صح - إلقاؤُه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم بهذا القدر حتى يحفظه ، ثم يلقى إليه الباقى ، لا إنزاله بهذا القدر خاصّة ، ويوضح ذلك ما أخرجه البيهقى أيضا ، عن خالد بن دينار ، قال : قال لنا أبو العالية : تعلّموا القرآن خمس آيات ، خمس آيات ؛ فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يأْخذه من جبريل خمسًا خمسًا .

• • •

المسأَلة الثانية : فى كيفية الإنزال والوحى :

قال الأَصفهانى فى أوائل تفسيره : اتّفق أهلُ السنّة والجماعة على أن كلام الله منزَّل . واختلفوا فى معنى الإنزال ، فمنهم من قال : إظهار القراءة ، ومنهم من قال : إن الله تعالى أَلْهم كلامه جبريل وهو فى السّماء وهو عالٍ من المكان وعلّمه قراءته ، ثم جبريل أدّاه فى الأَرض وهو يهبط فى المكان . وفى التنزيل طريقان أحدهما : أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكيّة ، وأخذه من جبريل . والثانى : أنّ الملَكَ انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه ، والأَوّل أصعب الحالين . انتهى .

وقال الطِّيبيّ : لعلّ نزول القرآن على النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يتلقّفه المَلَكُ من الله تعالى تلقّفًا روحانيًّا ، أو يحفظه من اللّوحِ المحفوظ ، فينزل به إلى الرّسول ويلقيه عليه .

وقال القطب الرازيّ في حواشيّ الكشاف : الإنزال لغةً بمعنى الإيواء ، بمعنى تحريك الشيء من عُلو إلى أسفل ، وكلاهما لا يتحقّق في الكلام ، فهو مستعملٌ فيه في معنى مجازِيّ ، فمن قال : القرآن معنى قائم بذات الله تعالى ، فإنزاله أن يوجِد الكلمات والحروف الدالّة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ . ومن قال : القرآن هو الألفاظ ، فإنزاله مجرّد إثباته في اللوح المحفوظ ، وهذا المعنى مناسب لكونه منقولا عن المعنيين اللُّغويَّيْن . ويمكن أن يكون المراد بإنزاله إثباته في السماء الدنيا بعد الإثبات في اللّوح المحفوظ ، وهذا مناسب للمعنى الثاني ، والمراد بإنزال الكتب على الرّسل أن يتلقّفها المَلَك من الله تلقّفًا روحانيًّا أو يحفظها من اللوح المحفوظ . وينزل بها فيلقيها عليهم . انتهى .

وقال غيره : في المنزل على النبيّ صلى الله عليه وسلم ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه اللفظ والمعنى ، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به . وذكر بعضهم أنّ أحرف القرآن في اللوح المحفوظ ، كلّ حرف منها بقدر جبل قاف ، وأنّ تحت كلّ حرف منها معانيَ لا يحيط بها إلّا الله

والثاني : أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصّة . وأنه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعاني وعبّر عنها بلغة العرب ؛ وتمسّك قائل هذا بظاهر قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ ﴾(١) .

---

(١) سورة الشعراء ١٩٣ ، ١٩٤

والثالث : أن جبريل ألقى إليه المعنى ، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب ، وأن أهل السماء يقرءونه بالعربيّة ، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك .

وقال البيهقى فى معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ : يريد ـ والله أعلم : إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إيّاه وأنزلناه بما سمع ، فيكون الملك منتقِلا به من عُلوٍ إلى أسفل .

قال أبو شامة : هذا المعنى مطّرد فى جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن ، أو إلى شىء منه يحتاج إليه أهل السنّة المعتقدون قِدَم القرآن وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى .

قلت : ويؤيد أنّ جبريل تلقّفه سماعا من الله تعالى ما أخرجه الطَّبرانىّ من حديث النَّوّاس بن سَمعان مرفوعا : إذا تكلّم الله بالوحى أخذت السماء رَجْفة شديدة من خوف الله ، فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخرُّوا سجَّدًا ، فيكون أوّلهمْ يرفع رأسَه جبريل فيكلّمه الله من وَحْيِهِ بما أراد ، فينتهى به على الملائكة ، فكلّما مرّ بسماء سأله أهلها : ماذا قال ربّنا ؟ قال : الحقّ . فينتهى به حيث أُمِرَ » .

وأخرج ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه : « إذا تكلّم الله بالوحى سمع أهلُ السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصَّفْوان ، فيفزعون ويروْن أنّه من أمر الساعة » . وأصل الحديث فى الصحيح .

وفى تفسير علىّ بن سهل النيسابورىّ : قال جماعة من العلماء : نزل القرآن جملةً فى ليلة القَدْر من اللوح المحفوظ إلى بيتٍ يقال له بيت العزّة ، فحفظه جبريل ، وغُشى على أهْلِ السموات من هيبة كلام الله ، فمرّ بهم جبريل ، وقد أفاقوا ، فقالوا ماذا قال ربّكم ؟ قالوا : الحقّ ـ يعنى القرآن ،

- وهو معنى قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ (١) فأتى به جبريل إلى بيت العزّة ، فأملاه على السَّفَرةِ الكتَبَة - يعنى الملائكة - وهو معنى قوله تعالى : ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ (٢) .

وقال : الجُوينىّ : كلام الله المنزّل قسمان : قسم قال الله لجبريل : قل للنبىّ الذى أنت مرسل إليه : إنّ الله يقول : افعل كذا وكذا ، وأمر بكذا وكذا ، ففهم جبريل ما قاله ربُّه ، ثم نزل على ذلك النبىّ وقال له ما قاله ربُّه ، ولم تكن العبارة تلك العبارة كما يقول الملك لمن يثق به : قل لفلان : يقول لك الملك : اجتهد فى الخِدْمة ، واجمع جندك للقتال ، فإن قال الرسول : يقول الملك لا تتهاون فى خدمتى ولا تترك الجند تتفرّق ، وحثّهم على المقاتلة ، لا ينسب إلى كذب ولا تقصير فى أداء الرسالة . وقسم آخر قال الله لجبريل : اقرأْ على النبىّ هذا الكتاب ، فنزل جبريل بكلمةٍ من الله من غير تغيير ، كما يكتب الملك كتابا ويسلمه إلى أمين ، ويقول : اقرأْه على فلان ، فهو لا يغيّر منه كلمة ولا حرفا . انتهى .

قلت : القرآن هو القسم الثانى والقسم الأوّل هو السنّة ، كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنّة كما ينزل بالقرآن . ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى ؛ إلاّ أن جبريل أدّاه بالمعنى ، ولم تجز القراءة بالمعنى ؛ لأنّ جبريل أدّاه باللفظ ، ولم يبح له إيحاءه بالمعنى ، والسرُّ فى ذلك أنّ المقصود منه التعبّد بلفظه والإعجاز به ، فلا يقدر أحد أنْ يأتىَ بلفظٍ يقوم مقامه . وأنّ تحت كل حرف منه معانىَ لا يُحاط بها كثرة ، فلا يقدر أحدٌ أن يأتىَ بدلَه بما يشتمل عليه ، والتخفيف على الأمّة حيث جُعل المنْزّل إليهم على قسمين :

---

(١) سورة سبأ ٢٣ .

(٢) سورة عبس ١٥ ، ١٦ .

قسم يرْوُونه بلفظه الموحَى به ، وقسم يروونه بالمعنى ؛ ولو جعل كله مما يروَى باللفظ لشقَّ ، أو بالمعنى لم يؤمَن التبديل والتحريف ؛ فتأمَّل .

وقد رأيت عن السَّلَف ما يعضِّد كلام الجُوينىّ .

وأخرج ابن أبى حاتم ، من طريق عُقَيل عن الزّهرىّ ، أنه سُئل عن الوحى فقال : الوحى ما يوحِى الله إلى نبى من الأنبياء ، فيثبته فى قلبه ، فيتكلّم به ويكتبه ، وهو كلام الله ، ومنه مالا يتكلَّم به ولا يكتبه لأحدٍ ، ولا يأمُر بكتابته ، ولكنه يحدّث به الناس حديثًا ، ويبين لهم أنّ الله أَمره أنْ يبيِّنَه للناس ويبلِّغهم إياه .

فصل

وقد ذكر العلماء للوحى كيفيات :

إحداها : أن يأْتيَه الملَك فى مثل صلصلة الجرس كما فى الصحيح . وفى مسنَد أحمد عن عبد الله بن عمر : سأْلت النبىّ صلى الله عليه وسلم : هل تحسّ بالوحى ؟ فقال « أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك ، فما من مرّة يوحَى إلىّ إلا ظننتُ أنَّ نفسى تقبض » . قال الخطابىّ : والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يبيّن له أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد . وقيل : هو صوت خَفْق أجنحة الملَك ، والحكمة فى تقدمه أن يقرع سمعه الوحى[1] ، فلا يُبقى فيه مكانا لغيره . وفى الصحيح أن هذه الحالة أشدّ حالات الوحى عليه ، وقيل : إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد وتهديد .

---

(١) ط : « أن يفرغ سمعه للوحى » .

الثانية : أن ينفث فى رُوعه الكلام نفثًا ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « إن رُوح القدس نفث فى رُوعى » . أخرجه الحاكم . وهذا قد يرجع إلى الحالة الأُولى أو التى بعدها ، بأن يأتيَه فى إحدى الكيفيتين وينفث فى رُوعه .

الثالثة : أن يأْتِيَه فى صورة الرّجل فيكلِّمه ، كما فى الصحيح : « وأحيانا يتمثّل لى المَلك رجُلاً فيكلِّمنى فأَعِى ما يقول » ، زاد أبو عوانة فى صحيحه : « وهو أهونه علىّ » .

الرابعة : أن يأْتِيَه المَلك فى النّوم ؛ وعدّ من هذا قوم سورة الكوثر ، وقد تقدم ما فيه .

الخامسة : أنْ يكلِّمه الله إمّا فى اليقظة كما فى ليلة الإسراء ، أو فى النوم ، كما فى حديث مُعاذ : « أتانى ربّى فقال : فيم يختصم الملأُ الأعلى .. » الحديث . وليس فى القرآن من هذا النوع شىء فيما أعلم ؛ نعم يمكن أن يُعدَّ منه آخر سورة البقرة لما تقدّم ، وبعض سورة الضحى ، وألم نشرح ؛ فقد أخرج ابنُ أبى حاتم من حديث عدىّ بن ثابت ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سألت ربى مسألة ، وددت أنىْ لم أكن سألته ، قلت : أىْ ربّ ، اتخذتَ إبراهيمَ خليلاً ، وكلّمتَ موسى تكليما ، فقال : يا محمد ، ألم أجدْكَ يتيمًا فآويتُ ، وضالاً فهديتُ ، وعائلاً فأغنيتُ ، وشرحتُ لك صدرَك ، وحططتُ عنك وِزْرك ، ورفعتُ لك ذكرك ، فلا أذكر ، إلا ذُكرت معى ! » .

فائدة

أخرج الإمام أحمد فى تاريخه من طريق داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، قال : أُنزل على النبىّ صلى الله عليه وسلم النبوّة وهو ابن أربعين سنة ؛ فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلّمه الكلمة والشىء ، ولم ينزل عليه

القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته جبريل ، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة .

قال ابن عسكر : والحكمة فى توكيل إسرافيل أنّه الموكّل بالصُّور الذى فيه هلاك الخلق وقيام الساعة ،ونبوّته صلى الله عليه وسلم مؤذِنة بقرب الساعة وانقطاع الوحى ، كما وكل بذى القرنين رَيافيل الذى يطوى الأرض و بخالد ابن سنان مالك خازن النار .

وأخرج ابن أبى حاتم ، عن ابن سابط ، قال : « فى أم الكتاب كلّ شىء هو كائن إلى يوم القيامة فوكّل ثلاثة بحفظِه [1] من الملائكة ، فوكّل جبريل بالكتب والوحى إلى الأنبياء وبالنّصر عند الحروب وبالمهلكات إذا أراد الله أن يهلك قومًا ، ووكّل ميكائيل بالقطر والنّبات ، ووكّل ملَك الموت بقبض الأنفس ؛ فإذا كان يوم القيامة عارضوا بين حفظهم وبين ما كان فى أمّ الكتاب فيجدونه سواء » .

وأخرج أيضا عن عطاء بن السائب ، قال : أوّل ما يحاسَب جبريل ، لأنه كان أمين الله على رسله .

فائدة ثانية

أخرج الحاكم والبيهقىّ عن زيد بن ثابت ، أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلم قال : أُنزل القرآن بالتفخيم كهيئته ﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ [2] و ﴿ الصَّدَفَيْنِ ﴾ [3] و ﴿ أَلَا لَه الْخَلْقُ والأَمْرُ ﴾ [4] وأشباه هذا . قلت : أخرجه ابنُ الأنبارى فى

(١) بعدها فى ط : « إلى يوم القيامة » . (٢) سورة المرسلات ٦
(٣) سورة الكهف ٩٦ . (٤) سورة الأعراف ٥٤

كتاب الوقف والابتداء ، فَبَيَّن أن المرفوع منه : أُنزل القرآن بالتفخيم فقط ، وأن الباقىَ مدرجٌ من كلام عمار بن عبد الملك أحد رواة الحديث (١)

فائدة أُخرى

أخرج ابن أبى حاتم ، عن سفيان الثورىّ ، قال : لم ينزل وحى إلا بالعربية ، ثم ترجم كلُّ نبىّ لقومه .

فائدة أُخرى

أخرج ابن سعد عن عائشة ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى يغطّ فى رأْسه ، ويتربّد وجهه ، أى يتغير لونه بالجريدة ويجد بَرْدًا فى ثناياه ، ويعرَق حتى يتحدّر منه مثل الجمان .

• • •

المسأَلة الثالثة : فى الأَحرف السبعة التى نزل القرآن عليها :

قلت : ورد حديث « نزل القرآن على سبعة أحرف » من رواية جَمْع من الصحابة : أُبَىّ بن كعب ، وأنس ، وحُذيفة بن اليمان ، وزيد بن أرقم ، وسَمُرة بن جُندب ، وسليمان بن صُرَد ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وعبدالرحمن ابن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعمر بن الخطاب ، وعمر بن أبى سلمة ، وعمرو بن العاص ، ومُعاذ بن جبل ، وهشام بن حكيم ، وأبِى بَكْرة ، وأبى جهم وأبى سعيد الخُدْرىّ ، وأبى طلحة الأَنصارىّ ، وأبى هريرة ، وأبى أيوب . فهؤلاء أحدٌ وعشرون صحابياً ، وقد نص أبو عبيد على تواتره .

وأخرج أبو يعلَى فى مسنده أن عثمان قال على المنبر : أُذكّر الله رجلاً ،

(١) عمار بن عبد الملك ، ذكره ابن حجر فى لسان الميزان ٤ : ٢٧٢ ، وقال : « عن بقية ، أتى بالعجائب » وقال الأزدى : « متروك الحديث » .

سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلّها شافٍ كافٍ » لمّا قام ، فقاموا حتى لم يُحْصَوْا ، فشهدوا بذلك ، فقال : وأنا أشهد معهم .

(اختلاف الأقوال فى نزول القرآن على سبعة أحرف)

وسأسوق من رواتهم ما يحتاج إليه فأقول : اختُلف فى معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولاً :

أحدها : أنّه من المشكل الذى لا يُدرَى معناه ؛ لأنّ الحرف يصدُق لغةً على حرف الهجاء ، وعلى الكلمة ، وعلى المعنى ، وعلى الجهة . قاله ابن سعدان النحويّ .

الثانى : أنّه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد ، بل المراد التيسير والتسهيل والسّعة ولفظ « السبعة » يطلق على إرادة الكثرة فى الآحاد ، كما يطلق السبعون فى العشرات والسبعمائة فى المئين ، ولا يراد العدد المعيّن . وإلى هذا جنح عياض ومَنْ تبعه . ويردُّه ما فى حديث ابن عباس فى الصحيحين ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « أقرأنى جبريل على حرف ، فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف » ، وفى حديث أُبَيّ عند مسلم : « إنّ ربى أرسل إلىّ أن اقرأ القرآن على حرفٍ فرددتُ إليه : أن هوِّنْ على أمتى ، فأرسل إلىّ : أن اقرأْ على حرفين ، فرددت إليه : أن هوِّن على أمتى : فأرسل إلىّ أن اقرأْه على سبعة أحرف » .

وفى لفظ عنه عند النّسائى : « إن جبريل وميكائيل أتيانى ، فقعد جبريل عن يمينى وميكائيل عن يسارى ؛ فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف ،

فقال ميكائيل : استزده ... حتى بلغ سبعة أحرف » ، وفى حديث أبي بَكْرة عنه : « فنظرت إلى ميكائيل فسكت . فعلمت أنَّه قد انتهت العدَّة » . فهذا يدلّ عن إرادة حقيقة العدد وانحصاره .

الثالث : أن المراد بها سبع قراءات ، وتُعقِّب بأنه لا يوجد فى القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا القليل ، مثل ﴿ وعبَدَ الطَّاغوت ﴾ [1] ، ﴿ فلاَ تقل لهما أفٍّ ﴾ [2]

الرابع : وأجيب بأنَّ المراد أن كلّ كلمة تقرأ بوجه أو وجهين أو ثلاثة أو أكثر إلى سبعة ، ويشكل على هذا أن فى الكلمات ما قرئ على أكثر ، وهذا يصلح أن يكون قولاً رابعًا .

الخامس : أن المراد بها الأوجه التى يقع بها التغاير ، ذكره ابن قُتيبة قال : فأولها ما يتغير حركته ولا يزول معناه وصورته مثل : ﴿ وَلاَ يُضَارُّ كاتبٌ ﴾[3] بالفتح والرفع ، وثانيها ما يتغيّر بالفعل مثل : « بَاعَدَ » ، و (بَاعِدْ) [4] بلفظ الماضى والطلب ، وثالثها ما يتغير بالنقط مثل ﴿ نُنْشِزهَا ﴾[5] و « نَنْشُرها » ورابعها ما يتغيّر بإبدال حرف قريب المخرج مثل ﴿ وطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴾ [6] و « طلْعٍ » ، وخامسها ما يتغيّر بالتقديم والتأخير . مثل ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ [7] و « سكرة الحقّ بالموت » ، وسادسها ما يتغيّر بزيادة

(١) سورة المائدة ٦٠ . وانظر تفسير القرطبى٦ : ٢٣٥ .

(٢) سورة الاسراء ٢٣ . وانظر تفسير القرطبى١ : ٢٤٣ .

(٣) سورة البقرة ٢٨٢ وانظر تفسير القرطبى٣ : ٤٠٥ .

(٤) سورة سبا ١٩ . وانظر تفسير القرطبى١٤ : ٢٩١ .

(٥) سورة البقرة ٢٥٩ . وانظر تفسير القرطبى٣ : ٢٩٥ .

(٦) سورة الواقعة ٢٦ . وانظر تفسير القرطبى١٧ : ٢٠٨ .

(٧) سورة ق ١٩ وانظر تفسير القرطبى ١٧ : ١٣ .

أو نقصان مثل : (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنْثَى ـ(١) ، « الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) » ، وسابعها ما يتغيّر بإبدال كلمة بأخرى ، مثل (كالْعِهْنِ الْمَنْفُوش) و (٢) و « كالصوف المنفوش » . وتعقّب هذا قاسم بن ثابت : بأنّ الرّخصة وقعت ، وأكثرهم يومئذٍ لا يكتب ولا يعرف الرّسم ، وإنما كانوا يعرفون الحروف ومخارجها . وأُجيب بأنه لا يلزم من ذلك توهين ما قاله ابن قُتيبة ؛ لاحتمال أن يكون الانحصار المذكور فى ذلك وقع اتّفاقاً ، وإنما اطلع عليه بالاستقراء .

السادس : وقال أبو الفضل الرازىّ فى اللوائح : الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه فى الاختلاف . الأوّل : اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع ، وتذكير وتأنيث . الثانى : اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر . الثالث : وجوه الإعراب . الرابع : النقص والزيادة . الخامس : التقديم والتأخير . السادس : الإبدال . السابع : اختلاف اللغات كالفتح والإمالة ، والترقيق والتفخيم ، والإدغام والإظهار ونحو ذلك . وهذا هو القول السادس .

السابع : وقال بعضهم : المراد بها كيفيّة النطق بالتلاوة من إدغام وإظهار ، وتفخيم وترقيق ، وإمالة وإشباع ، ومدّ وقصر ، وتشديد وتخفيف ، وتليين وتحقيق . وهذا هو القول السابع .

الثامن : وقال ابن الجزرىّ : قد تتبعتُ صحيح القراءة وشاذّهاوضعيفها ومنكَرَها فإذا هى يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه ، لا يخرج عنها ، وذلك إما فى الحركات بلا تغيّر فى المعنى والصورة نحو : ﴿ بالبُخْلِ ﴾ (٣) بأربعة ويحسب بوجهين ، أو متغيّر فى المعنى فقط . نحو : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدمُ مِن رَّبِهِ

---

(١) سورة الليل ٣ ، وانظر تفسير القرطبى ٢٠ : ٨٠ .

(٢) سورة القارعة ٥ . (٣) سورة النساء ٣٧ .

كَلِمَاتٍ ﴾ [١]، وإمّا فى الحروف بتغيّر المعنى لا الصورة . نحو ﴿ تَبْلُو ﴾ [٢] و « تتلُو » ، أو عكس ذلك نحو . (الصراط) [٣] و « السراط » أوبتغيّرهما نحو ﴿ وامْضُوا ﴾ [٤] « واسْعوْا » ، وإما فى التقديم والتأخير ، نحو ﴿ فَيَقْتُلُون ويُقْتَلُونَ ﴾ [٥] ، أو فى الزيادة والنقصان ، نحو ﴿ وصَّى ﴾ [٦] و « أوْصَى » ، فهذه سبعة لا يخرج الاختلاف عنها . قال : وأمّا نحو اختلاف الإظهار والإدغام والرّوم والإشمام والتّحقيق والتسهيل والنّقل والإبدال ، فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوّع فيه اللفظ أو المعنى ؛ لأن هذه الصفات المتنوعة فى أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا . انتهى . وهذا هو القول الثامن .
ومن أمثلة التقديم والتأخير قراءة الجمهور ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جبارٍ ﴾ [٧] ، وقرأ ابن مسعود : « على قَلْبِ كل متكبر » [٨] .

التاسع : أنّ المراد سبعة أوجه من المعانى المتفقة بألفاظ مختلفة ، نحو أقبلْ وتعالَ ، وهلمّ وعجِّل . وأسرع ، وإلى هذا ذهب سفيان بن عُيينة وابن جَرير وابن وهب وخلائق . ونسبه ابن عبد البرّ لأكثر العلماء ، ويدلّ له ما أخرجه أحمد والطَّبرانىّ من حديث أبى بَكْرة « أن جبريل قال : يا محمد اقرأ القرآن على حرف ، قال ميكائيل : استزده ... حتى بلغ سبعة أحرف . قال : كلٌّ شافٍ كافٍ ، ما لم تختم آية عذاب برحمة أورحمة بعذاب ، نحو قولك : تعالَ ، وأقبلْ وهلمّ واذهب وأسرع وعجّل » . هذا اللفظ رواية أحمد ، وإسناده جيد.

(١) سورة البقرة ٣٧ .
(٢) سورة يونس ٣٠ .
(٣) سورة الفاتحة ٦ .
(٤) سورة الحجر ٦٥ .
(٥) سورة التوبة ١١١ ، وفى تفسير القرطبى٨ : ٢٦٨ : «قرأ النخعى والأعمش وحمزة والكسائى وخلف بتقديم المفعول على الفاعل» .
(٦) سورة الشورى ١٣ : وانظر تفسير القرطبى٢ : ١٣٥ .
(٧) سورة غافر ٣٥
(٨) انظر النشر ١ : ٣٦ .

وأخرج أحمد والطَّبرانىّ أيضا عن ابن مسعود نحوه . وعند أبى داود عن أُبَىٍّ : « قلت : سميعا عليما عزيزا حكيما ، ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب » .

وعند أحمد من حديث أبى هريرة : « أُنزِل القرآن على سبعة أحرف . عليما حكيما غفورا رحيما » وعنده أيضا من حديث عمر : « أنّ القرآن كلُّه صواب ، ما لم تجعل مغفرة عذابا أو عذابا مغفرة » أسانيدها جياد .

قال ابن عبد البرّ : إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التى نزل القرآن عليها ، إنها معانٍ متَّفق مفهومها ، مختلف مسموعها ، لا يكون فى شىء منها معنى وضدّه ، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافا ينفيه ويضاده ، كالرحمة التى هى خلاف العذاب وضدّه . ثم أسند عن أُبَىّ بن كعب أنه كان يقرأ ﴿ كُلَّما أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ ﴾[1] : « مرّوا فيه » ، « سعوا فيه » ، وكان ابن مسعود يقرأ ﴿ لِلَّذِينَ آمنوا انْظُرُونَا ﴾[2] : أمهِلُونا أخّرونا .

قال الطحاوىّ : وإنّما كان ذلك رُخصة ، لمّا كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحدٍ لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ ، ثم نُسِخ بزوال العذر وتيسّر الكتابة والحفظ . وكذا قال ابن عبد البرّ والباقلانىّ وآخرون .

وفى فضائل أبى عبيد من طريق عَوْن بن عبد الله ، أنّ ابن مسعود أقرأ رجلاً : ﴿ إن شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴾[3] فقال الرجل : « طَعَامُ اليَتِيمِ » فردّها فلم يستقم بها لسانه ، فقال : أتستطيع أن تقول : طعام الفاجر ؟ قال : نعم ، قال : فافعل .

---

(١) سورة البقرة ٢٠ . (٢) سورة الحديد ١٣ .

(٣) سورة الدخان ٤٣ ، ٤٤ .

العاشر : إنّ المراد سبع لغات . وإلى هذا ذهب أبو عبيد وثعلب الأزهريّ وآخرون ، واختاره ابن عطيّة ، وصححه البيهقيّ فى الشُّعب . وتُعُقّبَ بأن لغات العرب أكثر من سَبْعَة ، وأُجيب بأنّ المراد أفصحُها ، فجاء عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن على سبع لغات ؛ منها خمس بلغة العجز من هوازِن . قال والعجُز : سعد بن بكر وجُشَم بن بكر ونصر بن معاوية وثَقيف؛ وهؤلاء كلّهم من هوازِن . ويقال لهم : عليا هوازن، ولهذا قال أبو عمرو ابن العلاء : أفصح العرب عُلْيا هَوازن وسُفْلَى تميم - يعنى بنى دارم .

وأخرج أبو عُبيد من وجه آخر ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن بلغة الكعبيَّين : كعب قريش وكعب خُزَاعة ، قيل : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّ الدار واحدة - يعنى أنّ خُزاعة كانوا جيران قريش فسهلت عليهم لغتهم .

وقال أبو حاتم السجستانيّ : نزل بلغة قريش وهُذيل وتميمِ والأزْد وَربيعة وهوازن وسعد بن بكر ، واستنكر ذلك ابن قتيبة وقال : لم ينزل القرآن إلاَّ بلغة قريش . واحتج بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [1] فعلى هذا تكون اللغات السبع فى بطون قريش . وبذلك جزم أبو علىّ الأهوازىّ .

وقال أبو عبيد : ليس المراد أن كلّ كلمة تقرأ على سبع لغات . بل اللغات السبع مفرّقة فيه ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هُذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم . قال : وبعض اللغات أسعد بها من بعض ، وأكثر نصيبا .

وقيل : نزل بلغة مضر خاصّة ، لقول عمر : نزل القرآن بلغة مُضر .

---

(١) سورة ابراهيم ٤ .

وعيّن بعضُهم فيما حكاه ابن عبد البَر السبع من مُضر أنّهم : هُذيل وكنانة وقيس وضبّة وتيم الرباب وأسد بن خزيمة وقريش ؛ فهذه قبائل مُضر . تستوعب سبع لغات .

ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ ، أنه قال : أُنزِل القرآن أوّلاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أُبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم فى الألفاظ والإعراب . ولم يكلّف أحد منهم الانتقال عن لغَتِه إلى لغة أخرى للمشقّة ، ولِمَا كان فيهم من الحميّة ؛ ولطلب تسهيل فهم المراد .

وزاد غيره أن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهّى ، بأنْ يغيّر كلٌّ أحد الكلمة بمرادفها فى لغته ، بل المرعىّ فى ذلك السماع من النبىّ صلّى الله عليه وسلّم .

واستشكل بعضهم هذا بأنه يلزم عليه أنّ جبريل كان يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات !

وأُجيب بأنّه إنّما يلزم هذا لو اجتمعت الأَحرف السبعة فى لفظ واحد ، ونحن قلنا : كان جبريل يأْتى فى كل عَرْضة بحرف ، إلى أن تمتْ سبعة . وبعد هذا كله رُدّ هذا القول بأنّ عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم ، كلاهما قرشىّ من لغة واحدة وقبيلة واحدة ، وقد اختلفت قراءتهما ؛ ومحال أن ينكر عليه عمرُ لغتَه ، فدلّ على أنّ المراد بالأحرف السبعة غير اللّغات .

الحادي عشر : أنّ المراد سبعة أصناف ؛ والأَحاديثُ السابقة تردّه ، والقائلون به اختلفوا فى تعيين السَّبعة . فقيل : أمر ونهى ، وحلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال واحتجّوا بما أخرجه الحاكم والبيهقىّ عن ابن مسعود عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم . قال : « كان الكتاب الأوّل ينزل من باب واحد

على حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبوابٍ على سبعة أحرف : زاجر وآمر ، وحلال وحرام ، ومُحكَم ومتشابه ، وأمثال ... » الحديث .

وقد أجاب عنه قوم ، بأنه ليس المراد بالأحرف السبعة الّتى تقدم ذكرها فى الأحاديث الأُخرى ؛ لأن سياق تلك الأحاديث يأْبَى حملها على هَذا ، بل هى ظاهرة فى أنّ المراد أنّ الكلمة تُقرَأ على وجهين وثلاثة إلى سبعة ؛ تيسيرا وتهوينًا ، والشيء الواحد لا يكون حلالاً وحراما فى آية واحدة .

قال البيهقىّ : المراد بالسبعة الأَحرف هنا الأنواع التى نزل عليها ، والمراد بها فى تلك الأَحاديث اللغات التى يُقرأ بها . وقال غيره : مَنْ أوّلَ الأَحرف السبعة بهذا ، فهو فاسد ؛ لأنّه محال أنْ يكون الحرف منها حرامًا لا ماسِواه ، أو حلالاً لا ما سواه ، ولأنه لا يجوز أن يكون القرآن يُقرأ على أنّه حلال كله ، أو حرام كله ، أو أمثال كله .

وقال ابن عطية : هذا القول ضعيف ؛ لأن الإجماع على أنّ التوسعة لم تقع فى تحريم حلال ولا تحليل حرام ، ولا فى تغيير شيء من المعانى المذكورة .

وقال الماوردىّ : هذا القول خطأ ، لأنّه صلى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكلٍّ واحد من الحروف وإبدال حرف بحرف ، وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثالٍ بآية أحكام .

وقال أبو علىّ الأهوازىّ وأبو العلاء الهمدانىّ : قوله فى الحديث : « زاجر وآمر » إلخ . استئناف كلام آخر ، أى هو زاجر ، أى القرآن ، ولم يردْ به تفسير الأَحرُف السبعة . وإنما توهم ذلك من جهة الاتفاق فى العدد ؛ ويؤيده أن فى بعض طرقه زجرًا وأمْرًا - بالنصب - أى نزل على هذه الصفة فى الأبواب السبعة .

وقال أبو شامة : يحتمل أن يكون التفسير المذكور للأبواب ، لا للأحرف ، أى هى سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه ، أى أنزله الله على هذه الأصناف ، لم يقتصره منها على صنف واحد كغيره من الكتب .

الثانى عشر : وقيل المراد بها المطلَق والمقيّد ، والعامّ والخاصّ ، والنّصّ والمؤوّل ، والناسخ والمنسوخ ، والمجمل والمفسّر ، والاستثناء وأقسامه حكاهُ شيذلة عن الفقهاء ، وهذا هو القول الثانى عشر .

الثالث عشر : وقيل : المراد بها الحذف وَالصّلة ، والتقديم والتأخير ، والاستعارة ، والتكرار ، والكناية والحقيقة والمجاز ، والمجمَل والمفسّر ، والظاهر والغريب . حكاه عن أهل اللغة ؛ وهذا هو الثالث عشر .

الرابع عشر : وقيل : المراد بها التذكير والتأنيث ، والشّرط والجزاء ، والتصريف والإعراب ، والأقسام وجوابها ، والجمع والإفراد ، والتصغير والتعظيم ، واختلاف الأدوات . حكاه عن النحاة ، وهذا هو الرابع عشر .

الخامس عشر : وقيل : المراد بها سبعة أنواع من المعاملات : الزهد والقناعة مع اليقين والجزم ، والخدمة مع الحياء والكرم ، والفتوّة مع الفقر والمجاهدة ، والمراقبة مع الخوف والرجاء ، والتضرّع والاستغفار مع الرضا والشكر ، والصبر مع المحاسبة والمحبّة ، والشوق مع المشاهدة . حكاه عن الصوفيّة ، وهذا هو الخامس عشر .

السادس عشر : إنّ المراد بها سبعة علوم : علم الإنشاء والإيجاد ، وعلم التوحيد والتنزيه ، وعلم صفات الذّات ، وعلم صفات الفعل ، وعلم العفو والعذاب ، وعلم الحشر والحساب ، وعلم النبوّات .

• • •

وقال ابن حجر : ذكر القُرطبي عن ابن حبّان ، أنه بلغ الاختلاف فى الأحرف السبعة إلى خمسة وثلاثين قولا[١] ، ولم يذكر القرطبيّ منها سوى خمسة ، ولم أقف على كلام ابن حبّان [٢] فى هذا ، بعد تتبُّعى مظانّه .

قلت : قد حكاه ابنُ النَّقيب فى مقدّمة تفسيره عنه بواسطة الشرف المُزَنِيّ المرسيّ . فقال : قال ابن حبّان . اختلف أهل العلم فى معنى الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا .

فمنهم من قال : هى زجر وأمر ، وحلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال.

الثانى : حلال وحرام ، وأمر ونهى وزجر ، وخبر ما هو كائن بَعْدُ ، وأمثال .

الثالث : وعد ووعيد ، وحلال وحرام ، ومواعظ وأمثال ، واحتجاج .

الرابع : أمر ونهى ، وبشارة ونذارة ، وأخبار ، وأمثال .

الخامس : محكَم ومتشابه ، وناسخ ومنسوخ ، وخصوص وعموم ، وقصص.

السادس : أمر وزجْر ، وترغيب وترهيب ، وجَدَل وقَصَص ، ومثل .

السابع : أمر ونهى ، وحدّ وعلم ، وسرّ ، وظهر وبطن .

الثامن : ناسخ ومنسوخ ، ووعد ووعيد ، ورغم وتأديب ، وإنذار .

التاسع : حلال وحرام ، وافتتاح وأخبار ، وفضائل ، وعقوبات .

العاشر : أوامر وزواجر وأمثال وأنباء ، وعتب ووعظ وقصص .

الحادى عشر : حلال وحرام ، وأمثال ، ومنصوص ، وقصص وإباحات .

الثانى عشر : ظهر وبطن ، وفرض وندب ، وخصوص وعموم ، وأمثال .

---

(١) لم يذكر المؤلف سوى هذه الأقوال ، وذكر فى ص ١٣١ أنها بلغت أربعين ..

(٢) هو أبو حاتم محمد بن حبان البستى . كما فى تفسير القرطبى ١ : ٤٢ .

الثالث عشر : أمر ونهى ، ووعد ووعيد ، وإباحة ، وإرشاد ، واعتبار .

الرابع عشر : مقدّم ومؤخّر ، وفرائض وحدود ، ومواعظ ، ومتشابه ، وأمثال.

الخامس عشر : مفسَّر ومجمل ، ومقضىّ ونَدْب وحتم ، وأمثال .

السادس عشر : أمر حتم وأمر ندب ، ونهى حتمْ ونهى ندب ، وأخبار وإباحات .

السابع عشر : أمرفرض ونهى حتم ، وأمرندب ونهى مرشد ، ووعد ووعيد ، وقصص.

الثامن عشر : سبع جهات لا يتعدّاها الكلام : لفظ خاصّ أُريد به الخاصّ ، ولفظ عام أُريد به العامّ ، ولفظ عامّ أُريد به الخاصّ ، ولفظ خاص أُريد به العامّ ، ولفظ يستغْنَى بتنزيله عن تأويله ، ولفظ لا يعلَم فقهه إلاّ العلماء ، ولفظ لا يعلم معناه إلا الراسخون .

التاسع عشر : إظهار الربوبيّة ، وإثبات الوحدانية ، وتعظيم الأُلوهيّة ، والتعبّد لله ، ومجانبة الإشراك ، والترغيب فى الثواب ، والترهيب من العقاب .

العشرون : سبع لغات ، منها خمس من هوازن ، واثنتان لسائر العرب .

الحادى والعشرون : سبع لغات متفرّقة لجميع العرب ، كلّ حرفٍ منها لقبيلة مشهورة

الثانى والعشرون : سبع لغات ، أربع لعجز هوازن : سعد بن بكر وجُشم ابن بكر ونصْر بن معاوية ، وثلاث لقريش .

الثالث والعشرون : سبع لغات : لغة قريش ، ولغة لليمن ، ولغةٌ لجرْهم ، ولغة لهوازن ، ولغة لقُضَاعة ، ولغة لتميم ، ولغة لطيّئ .

الرابع والعشرون : لغة الكعبيين : كعب بن عمرو ، كعب بن لؤىّ ، ولهما سبع لغات .

الخامس والعشرون : اللغات المختلفة لأحياء العرب فى معنىً واحد ، مثل : هلمّ وهات وتعال وأقبل .

السادس والعشرون : سبع قراءات لسبعة من الصحابة : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأُبيّ بن كعب ، رضى الله تعالى عنهم .

السابع والعشرون : همز ، وإمالة ، وفتح ، وكسر ، وتفخيم ، ومدّ ، وقصر .

الثامن والعشرون : تصريف ومصادر ، وعروض غريب وسجْع ، ولغات مختلفة كلُّها فى شيء واحد .

التاسع والعشرون : كلمة واحدة تُعْرَب بسبعة أوجه ، حتى يكون المعنى واحدًا ، وإن اختلف اللفظ فيه .

الثلاثون : أمّهات الهجاء : الألف ، والباء ، والجيم ، والدال ، والراء ، والسين ، والعين ؛ لأن عليها تدور جوامع كلام العرب .

الحادى والثلاثون : أنّها فى أسماء الربّ ، مثل : الغفور الرحيم ، السميع البصير ، العليم الحكيم .

الثانى والثلاثون : هى آية فى صفاتِ الذات ، آية تفسيرُها فى آية أخرى ، وآية بيانها فى السنّة الصحيحة ، وآية فى قصّة الأنبياء والرّسل ، وآية فى خلْق الأشياء ، وآية فى وصف الجنّة وآية فى وصف النار .

الثالث والثلاثون : آية فى وصف الصانع ، وآية فى إثبات الوحدانيّة له ، وآية فى إثبات صفاته ، وآية فى إثبات رسله ، وآية فى إثبات كتبه ، وآية فى إثبات الإسلام ، وآية فى نفى الكفر .

الرابع والثلاثون : سبع جهات من صفات الذات لله التى لا يقع عليها التكييف.

الخامس والثلاثون : الإيمان بالله ، ومباينة الشّرك ، وإثبات الأوامر ، ومجانبة الزّواجر ، والثبات على الإيمان ، وتحريم ما حرم الله ، وطاعة رسوله.

قال ابن حِبّان : فهذه خمسة وثلاثون قولا لأهل العلم واللغة فى معنى إنزال القرآن على سبعةِ أحرف ، وهى أقاويل يشبه بعضُها بعضا وكلها محتملة وتحتمل غيرها.

وقال المرسى : هذه الوجوه أكثرها متداخلة ، ولا أدرِى مستندها ولا عمّن نُقِلت ، ولا أدرى لِمَ خصّ كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر ، مع أن كلها موجودة فى القرآن ، فلا أدرى معنى التخصيص ! وفيها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة ، وأكثرها يعارضُه حديث عمر مع هشام بن حكيم الّذى فى الصحيح ، فإنّهما لم يختلفا فى تفسيره ولا أحكامه ، إنما اختلفا فى قراءة حروفه ، وقد ظنّ كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبع ، وهو جهل قبيح.

تنبيه

اختُلف : هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة ؟ فذهب جماعات من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى ذلك ، وبنوْا عليه أنّه لا يجوز على الأمّة أن تهمل نقلَ شىء منها ، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التى كتبها أبو بكر ، وأجمعوا على ترك ماسوى ذلك.

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين ، إلى أنها مشتملة

على ما يحتمل رسمها من الأحرف السبعة فقط ، جامعة للعرْضة الأخيرة التى عَرَضها النبىّ صلى الله عليه وسلم على جبريل ، متضمّنة لها لم تترك حرفًا منها .

قال ابن الجزرىّ : وهذا هو الذى يظهر صوابه .

ويجاب عن الأول بما ذكره ابن جرير ، أن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمّة ، وإنما كان جائزًا لهم ومرخّصا لهم فيه ، فلما رأى الصحابة أنّ الأمة تفترق وتختلف إذا لم يجتمعوا على حرف واحد ، اجتمعوا على ذلك اجتماعا شائعًا ، وهم معصومون من الضلالة ، ولم يكن فى ذلك ترك واجب ولا فعل حرام ، ولاشك أنّ القرآن نسخ منه فى العَرْضة الأخيرة وغُيِّر ، فاتفق الصحابة على أن كتبوا ما تحقّقوا أنه قرآن مستقرّ فى العَرْضة الأخيرة ، وتركوا ما سوى ذلك .

أخرج ابن أشتة فى المصاحف وابن أبى شيبة فى فضائله ، من طريق ابن سيرين عن عبيدة السَّلْمَانىّ ، قال : القراءة التى عُرضت على النّبىّ صلى الله عليه وسلم فى العام الذى قُبِض فيه ، هى القراءة التى يقرؤها النّاس اليوم .

وأخرج ابن أشتة ، عن ابن سِيرين ، قال : كان جبريل يعارِض النبىّ صلّى الله عليه وسلم كلَّ سنة فى شهر رمضان [مرة] (١) ، فلَمّا كان العام الذي قُبِضَ فيه عارضه مرّتين ، فيرَوْن أن تكون قراءتنا هذه على العَرْضة الأخيرة .

وقال البغوّى فى شرح السنة : يقال إن زيد بن ثابت شهد العَرْضة الأخيرة التى بيّن فيها ما نُسِخ وما بَقِىَ ، وكتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرأها عليه ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات ؛ ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر فى جَمْعه ، وولّاه عثمان كَتْب المصاحف .

---

(١) من ط

النوع السابع عشر

فى معرفة أسمائه وأسماء سوره

قال الجاحظ : سمَّى الله كتابه اسماً مخالفا لِما سمَّى العربُ كلامَهم على الجملة والتفصيل . سمَّى جملته قرآنا ، كما سمَّوْا ديوانا ، وبعضه سورة كقصيدة ، وبعضها آية كالبيت ، وآخرها فاصلة كقافية .

وقال أبو المعالى عُزيزى بن عبد الملك المعروف بشيْذَلَة [(١)] فى كتاب البُرْهان : اعلم أنّ الله سمى القرآن بخمسةٍ وخمسين اسما :

سماه كتابا ومُبينا فى قوله : ﴿ حمٓ ۝ والكتابِ المبين ﴾ [(٢)] .

وقرآنا وكريما : ﴿ إنَّهُ لقرآنٌ كريمٌ ﴾ [(٣)] .

وكلاما : ﴿ حَتَّى يسْمَعَ كلامَ اللهِ ﴾ [(٤)] .

ونورا : ﴿ وأنزَلْنَا إليكمْ نورًا مُبينا ﴾ [(٥)] .

وهدًى ورحمةً : ﴿ وهدًى ورحمةٌ للمؤمنين ﴾ [(٦)] .

وفرقانا : ﴿ نَزَّل الفُرْقَان عَلَى عبدِهِ ﴾ [(٧)] .

وشفاء : ﴿ ونُنَزِّلُ منَ القُرْآن ما هو شفاءٌ ﴾ [(٨)] .

وموعظة : ﴿ قدجاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وشفَاءٌ لِّمَا فى الصُّدور﴾ [(٩)]

---

(١) ط : «سيذلة» بالسين ، تصحيف ، «وشيذلة» ضبطها ابن خلكان «بفتح الشين والذال واللام» ، وقال : «وهو لقب عليه ، ولا أعرف معناه مع كشفى عنه» . وعزيزى ، ضبط أيضا بفتح العين وزاءين ، وهو ابن عبد الله أحد فقهاء الشافعية وصاحب كتاب البرهان فى مشكلات القرآن . توفى سنة ٤٩٤ . وانظر ابن خلكان ١ : ٣١٨ ، وشذرات الذهب ٣ : ٤٠١ وكشف الظنون ٢٤١ .

(٢) سورة الدخان ١ ، ٢ .

(٣) سورة الواقعة ٧٧ .

(٤) سورة التوبة ٦ .

(٥) سورة النساء ١٧٤ .

(٦) سورة يونس ٥٧ .

(٧) سورة الفرقان ١ .

(٨) سورة الاسراء ٨٢ .

(٩) سورة يونس ٥٧ .

وذكرا ومباركا : ﴿ وهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ (١) .

وعليًا : ﴿ وإنَّه فى أُمِّ الكتاب لدَيْنَا لَعَلِيٌّ ﴾ (٢) .

وحكمة : ﴿ حِكْمَةٌ بالغةٌ ﴾ (٣) .

وحكيمًا : ﴿ تِلْكَ آياتُ الكتَاب الحكيم ﴾ (٤) .

مُصَدِّقًا ومهيمنا : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يديْهِ مِن الكتاب ومهيمنًا عليه ﴾ (٥) .

وحبلا : (واعتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ) (٦) .

وصراطا مستقيما : ﴿ وأَنَّ هَذا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ (٧) .

وقيِّما : ﴿ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بأْسًا شَدِيدًا ﴾ (٨) .

وقولا وفصلاً : ﴿ إنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ (٩) .

ونبأً عظيما : ﴿ عَمَّ يَتَساءلون ۝ عن النَّبَإِ العظيم ﴾ (١٠) .

وأحسن الحديث ، ومتشابها ومثانى : ﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كتابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ ﴾ (١١) .

وتنزيلا : ﴿ وإنَّهُ لتنزيلُ رَبِّ العالَمِينَ ﴾ (١٢)

ورُوحا : ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّن أَمْرِنَا ﴾ (١٣)

ووحيا : ﴿ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالوَحْيِ ﴾ (١٤)

---

(١) سورة الأنبياء ٥٠ .
(٢) سورة الزخرف ٤ .
(٣) سورة القمر ٥
(٤) سورة يونس ١ .
(٥) سورة المائدة ٤٨ .
(٦) سورة آل عمران ١٠٣
(٧) سورة الأنعام ١٥٣ .
(٨) سورة الكهف ٢ .
(٩) سورة الطارق ١٣ .
(١٠) سورة النبأ ١ ، ٢
(١١) سورة الزمر ٢٣ .
(١٢) سورة الشعراء ١٩٢
(١٣) سورة الشورى ٥٢ .
(١٤) سورة الأنبياء ٤٥ .

وعربيا : ﴿ قُرْآنًا عربيًّا ﴾ (١) .

وبصائر : ﴿ هَذَا بصَائِرُ ﴾ (٢) .

وبيانا : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاس ﴾ (٣) .

وعلما : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَكَ من الْعِلْم ﴾ (٤) .

وحقا : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ القصص الحقّ ﴾ (٥) .

وهديا : ﴿ إِنَّ هَذَا القرآنَ يَهدِى ﴾ (٦) .

وعجبا : ﴿ قرآنًا عَجبًا ﴾ (٧) .

وتذكرة : ﴿ وإِنَّهُ لتذكرةٌ ﴾ (٨) .

والعروْة الوثقى : ﴿ استَمْسَك بالْعُرْوة الْوُثْقَى ﴾ (٩) .

وصدقا : ﴿ والَّذى جَاء بِالصِّدْقِ ﴾ (١٠) .

وعدلا : ﴿ وتمّتْ كلِمة رَبِّك صِدْقًا وعَدْلاً ﴾ (١١) .

وأمرًا : ﴿ ذلك أَمْرُ اللهِ أَنزلهإليكم ﴾ (١٢) .

ومناديا : ﴿ سَمِعْنَا مناديًا يُنادى للإيمان ﴾ (١٣) .

وبشرى : ﴿ هدًى وبُشْرى ﴾ (١٤) .

ومجيدًا : ﴿ بَلْ هُوَ قرآنٌ مَجِيدٌ ﴾ (١٥) .

---

(١) سورة يوسف .
(٢) سورة الأعراف ٢٠٣ .
(٣) سورة آل عمران ١٣٨ .
(٤) سورة البقرة ١٤٥ .
(٥) سورة آل عمران ٦٢ .
(٦) سورة الأسراء ٩ .
(٧) سورة الجن ١ .
(٨) سورة الحاقة ٤٨ .
(٩) سورة البقرة ٢٥٦ .
(١٠) سورة الزمر ٣٣ .
(١١) سورة الأنعام ١١٥ .
(١٢) سورة الطلاق .
(١٣) سورة آل عمران ١٩٣ .
(١٤) سورة النمل ٣ .
(١٥) سورة البروج ٢١ .

وزبورا : ﴿ وَلَقَدْ كتبنا فى الزَّبُورِ ﴾[١] .

وبشيرا ونذيرًا : ﴿ كتابٌ فُصِّلَتْ آياته قرآنا عربيًّا لقوْمٍ يَعلَمُون ۝ بشيرًا ونذيرًا ﴾[٢] .

وعزيزا : ﴿ وإنَّهُ لكتابٌ عزيزٌ ﴾[٣]

وبلاغا : ﴿ هَذا بَلَاغٌ للنَّاسِ ﴾[٤]

وقَصصًا : ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَص ﴾[٥]

وسماه أربعة أسماء فى آيتين[٦] : ﴿ فى صُحِفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴾[٧] . انتهى .

• • •

فأما تسميته كتابا فلجمعه أنواعَ العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه ؛ والكتاب لُغةً الجمع .

والمبِين ؛ لأنه أبان ، أى أظهر الحقَّ من الباطل .

وأما القرآن فاختلف فيه ، فقال جماعة : هو اسم عَلَم غير مشتقّ ، خاصّ بكلام الله ، فهو غير مهموز ، وبه قرأ ابن كثير ، وهو مرويٌّ عن الشافعىّ ؛ أخرج البيهقىّ والخطيب وغيرُهما عنه أنه كان يهمز قرأْت ، ولا يهمز القرآن ، ويقول : القرآن اسم وليس بمهموز ولم يُؤخذ من قرأْت ، ولكنه اسم لكتاب الله ، مثل التوراة والإنجيل .

---

(١) سورة الأنبياء ١٠٥ .

(٢) سورة فصلت ٣ ، ٤ .

(٣) سورة فصلت ٤١ .

(٤) سورة ابراهيم ٥٢ .

(٥) سورة يوسف ٣ .

(٦) فى الأصول « آية واحدة » ، وما أثبتناه الصواب .

(٧) سورة عبس ١٣ ، ١٤ .

وقال قوم ، منهم الأشعرىّ : هو مشتقّ من قرنت الشيء بالشيء ، إذا ضممْت أحدهما إلى الآخر ، وسمّى به . لقران السور والآيات والحروف فيه .

وقال الفرّاء : هو مشتقّ من القرائن ؛ لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا ، ويشابه بعضها بعضا وهى قرائن . وعلى القولين هو بلا همز أيضا ونونه أصلية .

وقال الزجاج : هذا القول سهو ، والصحيح أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ونقْل حركة الهمزة إلى الساكنين قبلها .

واختلف القائلون بأنه مهموز ، فقال قوم منهم اللّحيانىّ : هو مصدر لقرأْت ، كالرجحان والغُفران ، سُمِّى به الكتاب المقروء ، من باب تسمية المفعول بالمصدر .

وقال آخرون منهم الزّجاج : هو وصْف على فُعْلان ؛ مشتقّ من القَرْء بمعنى الجمع ، ومنه : قرأْتُ الماء فى الحوض ، أى جمعته .

قال أبو عبيدة : وسمّى بذلك ، لأنه جمعَ السور بعضَها إلى بعض .

وقال الراغب : لا يقال لكلّ جمع قرآن ، ولا لجمع كلّ كلام قرآن . قال : وإنمّا سمى قرآنا ؛ لكونه جَمعَ ثمرات الكتب السالفة المنزّلة . وقيل : لأنه جمع أنواع العلوم كلها .

وحكى قطرب قولا : إنّه إنمّا سُمّى قرآنا لأن القارئ يظْهره ويبيّنه من فيه ، أخْذًا من قول العرب : ما قرأَتِ النّاقة سلًا قطّ ، أى ما رمتْ بولد . أى ما أسقطت ولدا ، أى ما حملتْ قطّ . والقرآن يَلفِظُه القارئ من فيه ويلقيه فسمِّىَ قرآنا .

قلت : والمختار عندى فى هذه المسألة ما نصّ عليه الشافعى .

وأما الكلام : فمشتق من الكلْم بمعنى التأْثير ؛ لأنه يؤثر فى ذهن السامع فائدةً لم تكن عنده .

وأمّا النور : فلأنّه يدرَك به غوامض الحلال والحرام .

وأما الهدى ؛ لأنّ فيه الدلالة على الحقّ ، وهو من باب إطلاق المصدر على الفاعل مبالغة .

وأمّا الفرقان ؛ فلأنه فرقَ بين الحق والباطل ، وجّهه بذلك مجاهد ، كما أخرجه ابنُ أبى حاتم .

وأمّا الشّفاء ؛ فلأنه يشفى من الأمراض القلبيّة ، كالكفر والجهل والغلّ ، والبدنية أيضا .

وأمّا الذِّكْر فلمَا فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية . والذّكر أيضا الشرف ؛ قال تعالى : ﴿ وإنّه لَذِكْرٌ لَكَ ولقومِك ﴾[1] ، أى شرفٌ لأنه بلغتهم .

وأمّا الحكمة ، فلأنّه نزل على قانون المعتبر من وضع كلّ شىء فى محله ؛ أو لأنّه مشتمل على الحكمة .

وأما الحكيم ، فلأنّه أُحكِمت آياته بعجيب النظم وبديع المعانى ، وأُحْكِمت عن تطرّق التبديل والتحريف والاختلاف والتباين .

وأمّا المهيمن ؛ فلأنّه شاهدٌ على جميع الكتب والأمم السالفة .

وأمّا الحبْل ؛ فلأنه مَنْ تمسكَ به وصل إلى الجنّة أو الهُدى . والحبْل : السبب .

وأما الصراط المستقيم ؛ فلأنه طريق إلى الجنّة ، قويم لا عِوَج فيه .

(١) سورة الزخرف ٤٤ .

وأما المثانى ؛ فلأنّ فيه بيان قصص الأُمم الماضية . فهوَ ثانٍ لما تقدمه . وقيل : لتكرر القصص والمواعظ فيه . وقيل : لأنّه نزل مرّةً بالمعنى ومرّةً باللفظ والمعنى ، كقوله : ﴿ إنّ هَذا لفِى الصُّحُفِ الأُولى ﴾ [1] ، حكاه الكِرْمانىّ فى عجائبه .

وأما المتشابه ؛ فلأنّه يشبه بعضُه بعضا فى الحسن والصدق .

وأمّا الرُّوح ؛ فلأنّه تحيا به القلوب والأنفس .

وأما المجيد ، فلشرفِهِ .

وأما العزيز ؛ فلأنّه يعزّ على من يروم معارضته .

وأما البلاغ ؛ فلأنّه أبلغ به الناس ما أُمِرُوا به ونهوا عنه ، أو لأنّ فيه بلاغة وكفاية عن غيره .

قال السِّلَفِىُّ فى بعض أجزائه : سمعت أبا الكرم النحوىّ يقول : سمعت أبا القاسم التنوخىّ يقول : سمعت أبا الحسن الرُّمانىّ ، سئل : كلّ كتاب له ترجمة ، فما ترجمة كتاب الله ؟ فقال : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ ولِيُنْذَرُوا به ﴾ [2]

وذكر أبو شامة وغيره فى قوله تعالى : ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خيرٌ وأبقى ﴾ [3] أنه القرآن .

فائدة

حكى المظفرىّ فى تاريخه قال : لمّا جمع أبو بكر القرآن ، قال : سمّوه . فقال بعضهم : سمّوه إنجيلا ، فكرهوه ، وقال بعضهم : سمّوهُ سِفْرا ، فكرهوه مِن يهود . فقال ابن مسعود : رأيتُ بالحبشة كتابا يدعونَه المصحف . فسمّوه به .

(١) سورة الأعلى ١٨ .
(٢) سورة ابراهيم ٥٢ .
(٣) سورة طه ١٣١ .

قلت : أخرج ابنُ أَشْتَة [(١)] فى كتاب المصاحف من طريق موسى بن عُقْبة ، عن ابن شهاب ، قال : لمّا جمعوا القرآن فكتبوه فى الورَق ، قال أبو بكر : التمِسوا له اسمًا ، فقال بعضهم : السِّفْر ، وقال بعضهم : المصحف ؛ فإن الحبَشة يسمّونه المصحف . وكان أبو بكر أوّل مَنْ جمع كتاب الله وسمّاه المصحف . ثمّ أورده من طريق آخر عن ابن بُريدة ، وسيأتى فى النوع الذى يلى هذا .

فائدة ثانية

أخرج ابنُ الضُّرَيس [(٢)] وغيره عن كعب ، قال : فى التوراة : « يا محمد ، إنى منزّل عليك توراة حديثة تفتح أعينًا عُميًا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلْفا » .

وأخرج ابنُ أبى حاتم عن قَتادة ، قال : لمّا أخذ موسى الألواحَ قال : ياربّ ، إنى أجد فى الألواح أمّةً ، أناجيلهم فى قلوبهم ، فاجعلهم أمّتى . قال : تلك أمّة أحمد .

ففى هذين الأثرين تسميَةُ القرآن توراة وإنجيلا . ومع هذا لايجوز الآن أن يطلق عليه ذلك . وهذا كما سمّيت التوراة فرقانا فى قوله : ﴿ وإذْ آتيْنا مُوسَى الْكِتَاب والفُرْقان ﴾ [(٣)] وسمّى صلى الله عليه وسلم الزَّبور قرآنا فى قوله :

خفف على داود القرآن

---

(١) ابن أشتة ، هو محمد بن عبد الله بن اشتة ، أحد العلماء بالعربية والقراءات ، وله كتاب فى شواذ القراءات توفى سنة ٣٠٦ طبقات القراء ٢ : ١٨٤ .

(٢) هو محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس البجلى ، أحد حفاظ الحديث ، وله كتاب فى فضائل القرآن ، توفى سنة ٢٩٤ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٥ .

(٣) سورة البقرة ٥٣ .

فصل فى أسماء السور

قال القُتَبِىّ : السورة تهمز ولا تهمز ، فمن همزها جعلها من أسأرت ، أى أفضلت ، من السؤر وهو ما بقى من الشراب فى الإناء ؛ كأنها قطعة من القرآن ، ومَنْ لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدّم وسهّل همزها .

ومنهم من يشبّهها بسور البناء ، أي القطعة منه ؛ أى منزلة بعد منزلة .

وقيل : من سُور المدينة ؛ لإحاطتها بآياتها واجتماعها ، كاجتماع البيوت بالبيوت ، ومنه السُّوار لإحاطته بالساعد.[1]

وقيل : لارتفاعها ؛ لأنها كلام الله . السورة المنزلة الرفيعة ، قال النابغة :

أَلَمْ تَرَ أنَّ الله أعطاكَ سـورةً   تَرَى كُلَّ مَلْكٍ حَوْلَهَا يتذبذبُ[2]

وقيل: لتركيب بعضها على بعض ، من التسوّر بمعنى التصاعد والتركب ، ومنه : ﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ ﴾[3] .

وقال الجَعْبرىّ[4] : حدّ السّورة قرآن يشتمل على آيٍ ، ذى فاتحة وخاتمة ، وأقلُّها ثلاث آيات .

وقال غيره : السّورة الطائفة المترجمة توقيفا ، أى المسمّاة باسم خاصّ بتوقيف من النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وقد ثبت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ، ولولا خشية الإطالة لبيّنتُ ذلك

---

(١) نقلة فى البرهان ١ : ٢ ٦٣ ، ٢٦٤ . (٢) ديوانه ١٣ .

(٣) سورة ص ٢١ .

(٤) هو ابراهيم بن عمران ابراهيم أبو اسحاق الجعبرى من فقهاء الشافعية ، له نحو مائة كتاب ، أكثرها فى القراءات ، منها شرح الشاطبية ، حديقة الزهر فى عدد آى السور ، وخميلة أرباب المقاصد فى رسم المصحف وغيرها . توفى سنة ٧٣٢ . الدرر الكامنة ١ : ٥٠ .

ومما يدلّ لذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عِكْرِمة ، قال : كان المشركون يقولون : سورة البقرة وسورة العنكبوت ، يستهزئون بها فنزل : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (١) .

وقد كرِه بعضُهم أن يقال : سورة كذا ، لما رواه الطَّبرانىّ والبيهقىّ عن أنَس مرفوعا : « لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء ، وكذا القرآن كلُّه ، ولكن قولوا : السُّورة التى تذكرَ فيها البقرة ، والتى يذكر فيها آل عمران ، وكذا القرآن كلّه » . وإسناده ضعيف ، بل ادّعَى ابنُ الجوزىّ أنّه موضوع .

وقال البيهقىّ : إنمّا يعرف موقوفا على ابن عمر ، ثم أخرجه عنه بسند صحيح ، وقد صحّ إطلاق سورة البقرة وغيرها عنه صلى الله عليه وسلم .

وفى الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : هذا مقام الذى أُنزلت عليه سورة البقرة ، ومِنْ ثمّ لم يكرهه الجمهور .

فصل

قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير . وقد يكون لها اسمان فأكثر ، من ذلك :

(الفاتحة) : وقد وقفت لها على نيِّف وعشرين اسمًا ، وذلك يدلّ على شرفها ، فإنّ كثرة الأسماء دالَّة على شرف المسمَّى .

أحدها : فاتحة الكتاب . أخرج ابن جرير ، من طريقِ ابن أبى ذئب عن المقبُرىّ (٢) عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) سورة الحجر ٩٥ (٢) ط . المقرى ، تحريف .

« هى أمّ القرآن ، وهى فاتحة الكتاب ، وهى السبع المثانى » وسمّيت بذلك لأنه يفتتح بها فى المصاحف ، وفى التعليم . وفى القراءة فى الصلاة . وقيل : لأنها أوّل سورة نزلت ، وقيل : لأنها أوّل سورة كتبت فى اللوح المحفوظ . حكاه المرسى ، وقال : إنه يحتاج إلى نقل ، وقيل : لأن الحمد فاتحة كلّ كلام ، وقيل : لأنها فاتحة كل كتاب . حكاه المرسىّ ، وردّ بأن الذى افتتح به كل كتاب هو الحمد فقط لا جميع السورة ، وبأنّ الظاهر أنّ المراد بالكتاب القرآن ، لا جنس الكتاب . قال : لأنّه قد رُوىَ من أسمائها فاتحة القرآن ، فيكون المراد بالكتاب والقرآن واحدا .

ثانيها : فاتحة القرآن ، كما أشار إليه المرسىّ .

وثالثها ، ورابعها : أمّ الكتاب وأمّ القرآن . وقد كره ابن سيرين أن تسمّى أمّ الكتاب ، وكره الحسن أن تسمّى أمّ القرآن ووافقهما بقىّ بن مخلد ؛ لأنّ أمّ الكتاب هو اللوح المحفوظ ، قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [1] ، ﴿ وإنّه فى أمّ الكِتَابِ ﴾ [2] . وآيات الحلال والحرام ، قال تعالى : ﴿ آياتٌ محكمَات هنّ أمّ الْكِتَاب ﴾ [3] ، قال المرسىّ : وقد روى حديث لايصحّ : « لا يقولنّ أحدكم أمّ الكتاب وليقل ، فاتحة الكتاب » .

قلت : هذا لا أصل له فى شىء من كتب الحديث وإنما أخرجه ابنُ الضُّريس بهذا اللفظ عن ابن سيرين . فالتبس على المرسى ، وقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة تسميتها بذلك ، فأخرج الدارقطنى وصححه من حديث أبى هريرة مرفوعا : « إذا قرأتم الحمد فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم ؛ إنها أمّ القرآن ، وأمّ الكتاب والسبع المثانى » .

---

(١) سورة الرعد ٣٩ . (٢) سورة الزخرف ٤ .

(٣) سورة آل عمران ٧ .

واختُلف : لمَ سُمِّيتْ بذلك ؟ فقيل : لأنها يُبدأ بكتابتها في المصاحف وبقراءتها في الصلاة قبل السورة ، قاله أبو عبيدة في مجازه ، وجزم به البخاريّ في صحيحه . واستشكل بأنّ ذلك يناسب تسميتها فاتحة الكتاب ، لا أمّ الكتاب ، وأجيب بأنّ ذلك بالنظر إلى أن الأُمّ مبتدأ الولد . قال الماورديّ : سُمِّيت بذلك لتقدمها وتأخّر ما سواها تبعًا لها ؛ لأنها أَمّتْهُ ، أي تقدّمته ؛ ولهذا يقال لراية الحرب أُمّ ، لتقدمها واتّباع الجيش لها . ويقال لما مضى من سِنِي الإنسان أُمّ لتقدّمها ، ولمكة أم القرى لتقدّمها على سائر القرى . وقيل : أمّ الشيء أصله ، وهي أصل القرآن لا نطوائها على جميع أغراض القرآن وما فيه من العلوم والحكم ، كما سيأتي تقريره في النوع الثالث والسبعين . وقيل : سُمِّيت بذلك لأنها أفضل السور ، كما يقال لرئيس القوم : أمّ القوم . وقيل : لأن حرمتها كحرمة القرآن كلّه . وقيل : لأنّ مفزع أهل الإيمان إليها ، كما يقال للراية أمّ ؛ لأنّ مفزع العسكر إليها . وقيل : لأنها مُحكَمة والمحكَمات أمّ الكتاب .

خامسها : القرآن العظيم ، روى أحمد عن أبي هريرة أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم قال لأمّ القرآن : « هي أم القرآن ، وهي السبع المثاني ، وهي القرآن العظيم » ؛ وسُمِّيت بذلك لاشتمالها على المعاني التي في القرآن .

سادسها : السبع المثاني ، ورد تسميتها بذلك في الحديث المذكور وأحاديث كثيرة ، أما تسميتها سبعًا ؛ فلأنها سبع آيات . أخرج الدارقطنيّ ذلك عن عليّ . وقيل : فيها سبعة آداب ، في كل آية أدب ، وفيه بُعْد . وقيل : لأنها خلتْ من سبعة أحرف : الثاء ، والجيم ، والخاء ، والزاي ، والشّين ، والظاء ، والفاء .. قال المرسيّ : وهذا أضعف مما قبله لأن الشيء إنما يسمّى بشيء وُجد

فيه لا بشيء فقد منه . وأما المثانى : فيُحتمل أن يكون مشتقا من الثناء لما فيها من الثَّناء على الله تعالى ، ويحتمل أن يكون من الثُّنيا ؛ لأن الله استثناها لهذه الأُمة ، ويحتمل أن يكون من التثنية ، قيل : لأنها تثنَّى فى كلّ ركعة ، ويقوّيه ما أخرجه ابنُ جرير بسند حسن عن عمر ، قال : السبع المثانى فاتحة الكتاب ، تثنَّى فى كل ركعة . وقيل : لأنها تثنَّى بسورة أُخرى ، وقيل : لأنها نزلت مرتين ، وقيل : لأنها على قسمين ثناء ودعاء ، وقيل : لأنها كلَّمَا قرأ العبد منها آية ثناه الله بالإخبار عن فعله ، كما فى الحديث . وقيل : لأنها اجتمع فيها فصاحة المثانى وبلاغة المعانى : وقيل غير ذلك .

سابعها : الوافية ، كان سفيان بن عُيينة يسمّيها به ؛ لأنها وافية بما فى القرآن من المعانى ، قاله فى الكشاف . وقال الثَّعلبىّ : لأنها لا تقبل التَّنصيف ، فإنَّ كلّ سورة من القرآن لو قرىء نصفُها فى كلّ ركعة والنصف الثانى فى أُخرى لجاز بخلافها . وقال المرسىّ : لأنها جمعت بين ما لله وبين ما للعبد .

ثامنها : الكنز ، لما تقدّم فى أُمّ القرآن ، قاله فى الكشاف ، وورد تسميتها بذلك فى حديث أنَس السابق فى النوع الرابع عشر .

تاسعها : الكافية ؛ لأنها تكفى فى الصلاة عن غيرها ، ولا يكفى عنها غيرُها .

عاشرها : الأَساس ؛ لأنها أصل القرآن وأول سورة فيه .

حادى عشرها : النور .

ثانى عشرها وثالث عشرها : سورة الحمد وسورة الشكر .

رابع عشرها وخامس عشرها : سورة الحمد الأُولى وسورة الحمد القصرى .

سادس عشرها وسابع عشرها وثامن عشرها : الرُّقية والشفاء والشافية ؛ للأحاديث الآتية في نوع الخواصّ .

تاسع عشرها : سورة الصلاة لتوقّف الصلاة عليها .

العشرون : وقيل : إنّ من أسمائها الصلاة أيضا ، لحديث : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفيْن » أي السورة . قال المرسىّ : لأنها من لوازمها ؛ فهو من باب تسمية الشيء باسم لازمه ، وهذا الاسم العشرون .

الحادي والعشرون : سورة الدعاء ؛ لاشتمالها عليه فى قوله : ﴿ اهْدِنَا ﴾ .

الثانى والعشرون : سورة السؤال ؛ لذلك ذكره الإمام فخر الدين .

الثالث والعشرون : سورة تعليم المسألة ، قال المرسىّ : لأنّ فيها آداب السؤال لأنها بدئت بالثناء قبله .

الرابع والعشرون : سورة المناجاة ؛ لأنّ العبد يناجى فيها ربّه بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين ﴾ [(١)] .

الخامس والعشرون : سورة التفويض ؛ لاشتمالها عليه فى قوله : ﴿ إياك نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نستعين ﴾ .

فهذا ما وقفت عليه من أسمائها ، ولم تجتمع فى كتاب قبل هذا .

ومن ذلك :

(سورة البقرة) : كان خالد بن مَعْدان يسمّيها فسطاط القرآن ، وورد فى حديث مرفوع فى مسنَد الفردوس ، وذلك لعظَمها ولما جمع فيها من الأحكام التى لم تذكر فى غيرها ، وفى حديث المستدرك تسميتها : « سنام القرآن » ، وسنام كلّ شيء أعلاه .

---

(١) آية ٤ .

و (آل عمران) : روي سعيد بن منصور فى سننه عن أبي عطاف قال : اسم آل عمران فى التوراة طيبة . وفى صحيح مسلم : تسميتها والبقرة الزّهراوين.

و (المائدة) : تسمى أيضا العقود والمنقِذة ، قال ابن الفرْس لأنها تنقذ صاحبها من ملائكة العذاب .

و (الأنفال) : أخرج أبو الشيخ عن سعد بن جُبير ، قال : قلت لابن عباس : سورة الأنفال ، قال : تلك سورة بدر .

و (براءة) : تسمى أيضا التوبة لقوله فيها : ﴿لَقَد تَّابَ اللهُ على النَّبى ..﴾[1] الآية . والفاضحة ، أخرج البخارى عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : سورة التوبة . قال : التوبة ، بل هى الفاضحة ، ما زالت تنزل : « ومنهم ، ومنهم ... » حتى ظننا ألَّا يبقى أحد منا إلا ذُكر فيها . وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة ، قال : قال عمر : ما فرغ من تنزيل براءة ، حتى ظنَّنا أنَّه لا يبقى منا أحدٌ إلَّا سينزل فيه .

وكانت تسمى الفاضحة وسورة العذاب . أخرج الحاكم فى المستدرَك عن حُذيفة ، قال : الَّتى يسَمُّون سورة التوبة هى سورة العذاب . وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جُبير ، قال : كان عمر بن الخطاب إذا ذكر له سورة براءة فقيل : سورة التوبة ، قال : هى إلى العذاب أقرب ، ما كادت تقلع عن الناس ، حتى ما كادت تُبْقِى منهم أحدا .

والمقشقِشة ، أخرج أبو الشيخ عن زيد بن أسلم أنّ رجلاً قال لابن عمر : سورة التوبة ، فقال : وأيَّتهُنَّ سورة التوبة ؟ فقال : براءة ، فقال : وهل

---

(١) سورة التوبة ١١٧ .

فعل بالنّاس الأفاعيل إلّا هي ! ما كنّا ندعوها إلا المقشقِشة . أي المبرئة من النفاق .

والمنقّرة ، أخرج أبو الشيخ عن عبيد بن عُمير ، قال : كانت تسمّى براءة المنقّرة ، نقّرت عما في قلوب المشركين .

والبَحوث بفتح الباء ، أخرج الحاكم عن المقداد أنّه قيل له : لو قعدت العام عن الغزو ! قال : أتت علينا البَحوث يعني براءة . الحديث .

والحافرة ، ذكره ابن الفرس لأنّها حفرت عن قلوب المنافقين .

والمثيرة ، أخرج ابنُ أبي حاتم ، عن قتادة ، قال : كانت هذه السورة تسمى الفاضحة ، فاضحة المنافقين ، وكان يقال لها المثيرة ، أنبأت بمثالبهم وعوراتهم .

وحكى ابن الفرس من أسمائها المبعثرة ، وأظنّه تصحيف المنقّرة ، فإن صحّ كملت الأسماء عشرة ، ثم رأيته كذلك – أعني المبعثرة – بخطّ السخاوي في جمالِ القرّاء ، وقال : لأنّها بعثرت عن أسرار المنافقين .

وذكر فيه أيضا من أسمائها المخزية ، والمنكّلة ، والمشرّدة والمدمدمة .

﴿ النحل ﴾ : قال قتادة : تسمّى سورة النِّعم ، أخرجه ابن أبي حاتم ، قال ابن الفرس : لِمَا عدّد الله فيها من النِّعم على عباده .

﴿ الإسراء ﴾ : تسمى أيضا سورة « سبحان » ، وسورة بني إسرائيل .

﴿ الكهف ﴾ : ويقال لها سورة أصحاب الكهف ، كذا في حديث اخرجه ابن مَرْدويه ، وروى البيهقيّ من حديث ابن عباس مرفوعا ، أنها تدعَى في التوراة الحائلة ، تحول بين قارئها وبين النار ، وقال : إنه منكر .

﴿ طه ﴾ : تسّمى أيضاسورةالكليم ، ذكره السخاوىّ فى جمال القرّاء .

﴿الشعراء﴾ : وقع فى تفسير الإمام مالك تسميتُها بسورة الجامعة .

﴿ النمل ﴾ : تسمى أيضا سورة سليمان .

﴿ السجدة ﴾ : تسمى أيضا المضاجع .

﴿ فاطر ﴾ : تسمّى سورة الملائكة .

﴿ يس ﴾ : سمّاها صلى الله عليه وسلم قلبَ القرآن : أخرجه الترمذىّ من حديث أنس . وأخرج البيهقىّ من حديث أبى بكر مرفوعا : « سورة يس تدعى فى التوراة المعِمّة ، تعمّ بخيْرَى الدنيا والآخرة ، وتدعى الدافعة والقاضية ، تدفع عن صاحبها كلَّ سوء وتقضى له كلّ حاجة » . وقال : إنه حديث منكر .

﴿ الزمر ﴾ : تسّمى سورة الغُرَف .

﴿ غافر ﴾ : تسمّى سورة الطَّوْل ، والمؤمن ، لقوله تعالى فيها :؟﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ ﴾ (١) .

﴿فصّلت﴾ : تسمّى السجدة ، وسورة المصابيح .

﴿ الجاثية ﴾ : تسمّى الشريعة ، وسورة الدهر ، حكاه الكرمانى فى العجائب.

سورة ﴿ محمد ﴾ : تسمّى القتال .

﴿ ق ﴾ : تسمّى سورة الباسقات .

﴿ اقتربت ﴾ : تسمّى القمر ، وأخرج البيهقىّ عن ابن عباس « أنها

---

(١) سورة غافر ٢٨ .

تدعى فى التوراة المبيِّضة ، تبيض وجه صاحبها يوم تسوّد الوجوه ؛ وقال : إنه منكر .

﴿ الرحمن ﴾ : سُمِّيَتْ فى حديثٍ عروس القرآن ، أخرجه البيهقيّ عن على مرفوعا .

﴿ المجادلة ﴾ : سمّيت فى مصحف أبَىّ : الظهار .

﴿ الحشر ﴾ أخرج البخاريّ عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر ، قال : قل : سورة بنى النَّضير . قال ابن حجر : كأنّه كره تسميتَها بالحشر ؛ لئلا يظنَّ أنّ المراد يوم القيامة ، وإنما المراد به هنا إخراج بنى النَّضِير .

﴿ الممتحَنة ﴾ : قال ابن حجَر : المشهور فى هذه التسمية أنها بفتح الحاء وقد تكسر ، فعلَى الأوّل هو صفة المرأة التى نزلت السورة بسببها ، وعلى الثانى هى صفة السّورة كما قيل لبراءة : الفاضحة . وفى جمال القراء : تسمَّى أيضا سورة الامتحان وسورة المودَّة .

﴿ الصفّ ﴾ : تسمَّى أيضًا سورة الحَوَارِيّين .

﴿ الطلاق ﴾ : تسمَّى سورة النساء القُصْري ، كذا سماها ابن مسعود ، أخرجه البخاريّ وغيره . وقد أنكره الداوديّ ، فقال : لا أرى قوله : «القصرى» محفوظا ، ولا يقال فى سورة من القرآن : قصرى ولا صغرى . قال ابن حجر : وهو ردّ للأخبار الثابتة بلامستَنَد ، والقِصَر والطُّول أمرٌ نسبىٌّ . وقد أخرج البخاريّ عن زيد بن ثابت أنه قال : « طولى الطوليَيْن » ؛ وأراد بذلك سورة الأعراف .

﴿ التحريم ﴾ : يقال لها سورة : المتحرّم ، وسورة لِمَ تحرّم .

﴿ تبارك ﴾ : تسمّى سورة المُلْك : وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود ، قال : هى فى التوراة سورة الملك : وهى المانعة تمنع من عذاب القبر . وأخرج التّرمذىّ من حديث ابنِ عبّاس مرفوعا : « هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر » . وفى مسند عُبيد من حديثٍ : « إنّها المنجية والمجادلة ، تجادل يوم القيامة عند ربّها لقارئها » .

وفى تاريخ ابن عساكر من حديث أنس أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سمّاها المنجيَة . وأخرج الطَّبَرانى . عن ابن مسعود قال : كنّا نسميها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المانعة . وفى جمال القراء : تسمّى أيضا الواقية والمنّاعة .

﴿ سأل ﴾ : تسمّى المعارج والواقع .

﴿ عمّ ﴾ : يقال لها النّبأ ، والتساؤل ، والمعصرات .

﴿لم يكن﴾ : تسمّى سورة أهل الكتاب ، وكذلك سُمّيت فى مصحف أُبَىّ ، وسورة البيِّنة ، وسورة القيامة ، وسورة البريّة وسورة الانفكاك . ذكر ذلك فى جمال القراء .

﴿ أرأيت ﴾ : تُسمّى سورة الدِّين ، وسورة الماعُون .

﴿ الكافرون ﴾ : تسمى المقشقشة ، أخرجه ابن أبى حاتم عن زرارة بن أوفَى ؛ قال فى جمال القراء : وتسمّى أيضا سورة العبادة .

قال : و (سورة النصر) : تسمى سورة التوديع ، لما فيها من الإيماء إلى وفاته صلى الله عليه وسلم .

قال : و (سورة تبّت) : تسمّى سورة المسد .

و (سورة الإخلاص) : تسمّى الأساس ؛ لاشتمالها على توحيد الله وهو أساس الدين .

قال : و (الفلق ، والناس) : يقال لهما المعوِّذتان ، بكسر الواو ، والمشقشقتان من قولهم : خطيب مشقشق .

تنبيه

قال الزركشيّ في البرهان : ينبغي البحث عن تعداد الأسامي : هل هو توقيفيّ ، أو بما يظهر من المناسبات ، فإن كان الثاني [١] فلم يعدم الفَطِن أن يستخرج من كلّ سورة معانيَ كثيرة ، تقتضي اشتقاق أسماء لها . وهو بعيد .

قال : وينبغي النظر في اختصاص كلّ سورة بما سميت به ، ولاشكّ أن العرب تراعِي في كثير من المسمّيات أخذ أسمائها من نادرٍ أو مستغرَبٍ يكون في الشيء من خُلُق أو صفة تخصّه ، أو يكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق ؛ لإدراك الرّائي للمسمّى . ويسمّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن ، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة قصّة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها ، وسمّيت سورة النّساء بهذا الاسم لما تردّد فيها شيء كثير من أحكام النساء ، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها ، وإن كان قد ورد لفظ « الأنعام » في غيرها ، إلّا أنّ التفصيل الوارد في قوله تعالى : ﴿ ومِنَ الأنعام حَمُولَةً وفرْشًا ﴾ إلى قوله : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ﴾ [٢] لم يرد في غيرها ، كما ورد ذكر النساء

---

(١) البرهان : « فلن » .
(٢) سورة الأنعام ١٤٢ ـ ١٤٤ .

فى سورٍ ، إلّا أن ما تكرّر وبُسِط من أحكامهن لم يرد فى غير سورة النساء ، وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة فى غيرها ، فسمِّيت بما يخصّها .

قال : فإن قيل : قد ورد فى سورة هود ذكر نُوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى ، فلمَ خُصَّتْ باسم هود وحدَه مع أنّ قصة نوح فيها أوعب وأطول ؟ قيل : تكرّرت هذه القصص فى سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعبَ ممّا وردت فى غيرها ، ولم يتكرّر فى واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود كتكرّره فى سورته[1] ، فإنّه تكرّر فيها فى أربعة مواضع ، والتّكرار من أقوى الأسباب التى ذكرنا .

قال : فإن قيل : فقد تكرّر اسم نوح فيها فى ستة مواضع ! قيل : لمّا أفرِدتْ لذكر نوح وقصته مع قومه سورةٌ برأسها ، فلم يقع فيها غير ذلك ؛ كانت أوْلى بأن تسمَّى باسمه من سورة تضمّنت قصته وقصة غيره[2] . انتهى .

• • •

قلت : ولك أن تسأل فتقول : قد سمِّيت سورٌ جرتْ فيها قصص أنبياء بأسمائهم ، كسورة نوح ، وسورة هود . وسورة إبراهيم ، وسورة يونس ، وسورة آل عمران ، وسورة طسٓ سليمان ، وسورة يوسف ، وسورة محمد ، وسورة مريم ، وسورة لقمان ، وسورة المؤمن . وقصة أقوام كذلك ، كسورة بنى إسرائيل ، وسورة أصحاب الكهف ، وسورة الحِجْر ، وسورة سبأ ، وسورة الملائكة ، وسورة الجن ، وسورة المنافقين ، وسورة المطفّفين ، ومع هذا كلّه لم يفرَدْ لموسى سورة تسمّى به مع كثرة ذكره فى القرآن ، حتى قال

---

(١) البرهان : « فى هذه السورة » . (٢) البرهان ١ : ٢٧٠ — ٢٧١ .

بعضهم : كاد القرآن أن يكون كلّه موسى ، وكان أولى سورةٍ أن تسمّى به سورة طه أو القصص أو الأعراف . لبسط قصته فى الثلاثة ما لم يبسط فى غيرها . وكذلك قصة آدم ، ذكرت فى عدّة سور، ولم تسمّ به سورة ، كأنّهُ اكتفاء بسورة الإنسان ، وكذلك قصة الذّبيح من بدائع القصص ، ولم تسمّ به سورة الصافات ، وقصة داود ذكرت فى ص ولم تُسمّ به ، فانظر فى حكمة ذلك . على أنّى رأيت بعد ذلك فى جمال القراء للسخاوىّ ، أنّ سورة طه تسمى سورة الكليم ، وسمّاها الهذلىّ فى كامله سورة موسى ، وأن سورة ص تسمّى سورة داود . ورأيت فى كلام الجَعْبَرىّ أنّ سورة الصافات تسمّى سورة الذبيح ، وذلك يحتاج إلى مستنَد من الأثر .

فصل

وكما سُمّيت السورة الواحدة بأسماء ، سميت سورٌ باسم واحد ، كالسور المسمّاه بـ « الٓمٓ » أو « الٓرٰ » ، علَى القول بأنّ فواتح السور أسماء لها .

فائدة فى إعراب أسماء السور

قال أبو حيان فى شرح التسهيل :

ما سُمّىَ منها بجملة تحكَى نحو « قل أوحى » و « أتى أمر الله » أو بفعل لا ضمير فيه أعرِب إعراب ما لا ينصرف . إلا ما فى أوله همزة وصْل . فَتُقْطع ألفه وتقلب تاوُه هاء فى الوقف . ويُكتب بها على صورة الوقف ، فتقول : قرأتُ « اقتربة » وفى الوقف « اقتربه » . أما الإعراب فلأنّها صارت أسماء والأسماء معربة إلّا لموجب بناء . وأمّا قطع همزة الوصل ، فلأنّها لا تكون فى الأسماء إلّا فى ألفاظ محفوظة لا يقاس عليها . وأمّا قلب تائها هاء ؛ فلأنّ ذلك حكم

تاء التأنيث التى فى الأسماء ، وأمّا كتبها هاء ، فلأن الخط تابع للوقف غالبا .

وما سُمِّىَ منها باسم ؛ فإن كان من حروف الهجاء وهو حرف واحد وأضيفت إليه سورة ، فعند ابن‌عصفور أنه موقوف لا إعراب فيه ، وعند الشّلوبين يجوز فيه وجهان : الوقف والإعراب ، أما الأوّل — ويعبّر عنه بالحكاية فلأنها حروف مقطعة[1] تُحْكَى كما هى . وأما الثانى فعلى جعله اسماً لحروف الهجاء ، وعلى هذا يجوزصرفُه بناء على تذكير الحرف ومنعُهُ بناء على تأنيثه . وإن لم تضَف إليه سورة لالفظًا ولا تقديرا فلك الوقف والإعراب مصروفا وممنوعا . وإن‌كان أكثرَ من حرف ، فإن وازن الأسماء الأعجمية كطاسين وحاميم وأضيفت إليه سورة أم لافلك الحكاية والإعراب ممنوعا ، لموازنة قابيل وهابيل ، وإن لمْ يوازن فإن أمكن فيه التركيب كطاسين ميم ، وأضيفت إليه سورة ، فلك الحكاية والإعراب ، إمّا مركبا مفتوح النون كحضرموت ؛ أو معرب النون مضافا لمابعده مصروفا وممنوعا على اعتقاد التذكير والتأنيث . وإن لم تضَف إليه سورة ، فالوقف على الحكاية ، والبناء كخمسة عشرَ ؛ والإعراب ممنوعا . وإن لم يمكن التركيب فالوقف ليس إلاّ ، أضيفت إليه سورة أم لا ، نحو كهيعص وحم ٥ عسق ، ولا يجوز إعرابه ؛ لأنه لا نظير له فى الأسماء المعربة ، ولا تركيبُه مزْجا ؛ لأنه لا يركب ، كذلك أسماء كثيرة ؛ وجوّز يونس إعرابه ممنوعا .

وما سمّى منها باسم غير حرف هجاء ، فإن كان فيه اللام انجرّ ، نحو الأنفال والأعراف والأنعام ، وإلّا مُنِعَ الصرف إن لم يُضَف إليه سورة ، نحو هذه هودُ ونوحُ ، وقرأْت هودَ ونوحَ ، وإن أضفتَ بقِيَ على ما كان عليه قبلُ

(١) ط : « منقصة » تحريف .

فإن كان فيه ما يوجب المنع مُنع ، نحو قرأت سورة يونس ، وإلّا صُرف نحو سورة نوحٍ وسورة هودٍ . انتهى ملخصا

خاتمة

قُسّم القرآن إلى أربعة أقسام وجُعِل لكل قسم منه اسم ، أخرج أحمد وغيره من حديث واثلة بن الأسقع ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أعطيت مكان التوراة السبعَ الطُّوَل ، وأعطِيت مكان الزبور المئين ، وأعطيت مكان الإنجيل المثانى ، وفُضِّلْت بالمفصَّل » . وسيأتى مزيد كلام فى النوع الذى يلى هذا إن شاء الله تعالى .

وفى جمال القرّاء : قال بعض السلف : فى القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياض ، فميادينه ما افتتح بـ« الٓمٓ » وبساتينه ما افتتح بـ « الٓر » ومقاصيره الحامدات ، وعرائسه المسبّحات ، وديابيجه آل عمران ، ورياضه المفصَّل . وقالوا : الطواسيم ، والطواسين ، وآل حم ، والحواميم .

قلت : وأخرج الحاكم عن ابن مسعود ، قال : الحواميم ديباج القرآن . قال السخاوى : وقوارع [1] القرآن الآيات التى يتعوّذ بها ويتحصّن ، سميت بذلك لأنها تقرع الشيطان وتدفعه وتقمعه ، كآية الكرسى والمعوذتين ونحوها .

قلت : وفى مسنَد أحمد من حديث مُعاذ بن أنس مرفوعا : « آية العزّ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ... ﴾ [2] الآية » .

(١) فى القاموس : « قوارع القرآن : الآيات التى من قرأها أمن من الشياطين والإنس والجن ، كأنها تقرع الشيطان » .

(٢) سورة الإسراء ١١١ .

النوع الثامن عشر

فى جمعه وترتيبه

قال الدَّيْرعاقولىّ [١] فى فوائده : حدثنا إبراهيم بن بشار ، حدثنا سفيان بن عُيَيْنة ، عن الزهرىّ ، عن عبيد ، عن زيد بن ثابت ، قال : قُبِض النبىّ صلّى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع فى شىء .

قال الخطابىّ : إنما لم يجمَع صلى الله عليه وسلم القرآن فى المصحف ؛ لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلمّا انقضى نزوُله بوفاتِه ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك ، وفاء بوعده الصادق بضمان حفِظه على هذه الأمّة ، فكان ابتداء ذلك على يد الصدِّيق بمشورة عمر . وأمّا ما أخرجه مسلم من حديث أبى سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تكتبوا عنّى شيئا غير القرآن .... » الحديث ، فلا يُنافى ذلك ؛ لأن الكلام فى كتابةٍ مخصوصة علَى صفةٍ مخصوصة ، وقد كان القرآن كُتِب كلُّه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن غير مجموع فى موضع واحدٍ ولا مرتّب السُّوَر .

القول فى جمع القرآن ثلاث مرات

وقال الحاكم فى المستدرك جُمع القرآن ثلاث مرات :

إحداها : بحضْرة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم أخرج بسندٍ على شرط الشيخين عن زيدِ بن ثابت ، قال : « كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلِّف القرآن من الرِّقاع ... » الحديث .

(١) الدير عا قولى : منسوب الى دير العاقول . قريبة من اعمال بغداد .

قال البَيْهقىّ : يشبه أن يكون أن المراد به تأْليف ما نزل من الآيات المتفرّقة فى سورها وجمعها فيها بإشارة النبىّ صلى الله عليه وسلم .

• • •

الثانية : بحضرة أبى بكر ، روى البخارىّ فى صحيحه عن زيد بن ثابت ، قال : أرسل إلىّ أبو بكر ، مقتلَ أهلِ اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر أتانى ، فقال : إن القتل قد استحرّ [1] بقرّاء القرآن ، وإنّى أخشى أن يستحرّ القتلُ بالقرّاء فى المواطن ، فيذهبَ كثيرٌ من القرآن ، وإنّى أرى أن تأْمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال عمر : هو والله خيرٌ ، فلم يزلْ يُراجعنى حتّى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيتُ فى ذلك الّذِى رأى عمر ، قال زيد : قال أبو بكر : إنّك شابٌ عاقل ، لا نتّهمك ، وقد كنتَ تكتبُ الوحىَ لرسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فتتبّع القرآن فاجمَعْه ــ فوالله لو كلّفونى نقل جبلٍ من الجبال ما كان أثقلَ علىّ ممّا أمرنى به من جمْع القرآن ــ قلت : كيف تفعلانِ شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : هو والله خَيْر ، فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح به صدر أبى بكر وعمر . فتتبعتُ القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصُدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى [2] ، لم أجدها مع غيره : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رسولٌ ... ﴾ [3] . حتى خاتمة براءة . فكانت الصحف عند أبى بكرٍ حتّى توفّاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر .

---

(١) استحر . أى اشتد .

(٢) فى الأصول « أبو خزيمة » ، وما أثبته من تفسير ابن كثير ٢ : ٤٠٥ ، وما يأتى فى ص ١٠٧ من هذا الجزء .

(٣) سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩ .

وأخرج ابن أبي داود فى المصاحف بسند حسن عن عبد خير ، قال : سمعتُ عليًّا يقول : أعظمُ النَّاس فى المصاحف أجرًا أبو بكر ، رحمةُ الله على أبى بكر ! هو أوّل مَنْ جمع كتاب الله . لكن أخرج أيضا من طريق ابن سِيرين قال : قال عليّ : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آليتُ ألَّا آخذَ علىّ ردائى إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن . فجمعه .

قال ابن حجر : هذا الأثر ضعيف لانقطاعه ، وبتقدير صحته ، فمراده بجمعِه حفظُه فى صدره ، وما تقدّم من رواية عبد خير عنه ، أصحّ ، فهو المعتمَد .

قلت : قد ورد من طريق آخر أخرجه ابنُ الضُّرَيس فى فضائله : حدّثنا بشر بن موسى ، حدّثنا هَوْذَة بن خليفة ، حدّثنا عَوْن ، عن محمد بن سيرين ، عن عِكْرِمة ، قال : لمّا كان بعد بيعة أبى بكر ، قعد علىّ بن أبى طالب فى بيته ، فقيل لأبى بكر : قد كره بيعتَك ، فأرسل إليه ، فقال : أكرِهتَ بيْعَتى ؟ قال : لا والله ، قال : ما أقعدَك عنّى ؟ قال : رأيتُ كتاب الله يُزاد فيه ، فحدّثتُ نفسى ألَّا ألبس ردائى إلا لصلاة حتى أجمعه ، قال له أبو بكر : فإنَّك نعمَ ما رأيت . قال محمد : فقلت لعكرمة : ألَّفوه كما أُنزِل ، الأوّل فالأوّل قال : لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يؤلِّفوه ذلك التأليف ما استطاعوا.

وأخرجه ابن أشتَة فى المصاحف من وجه آخر عن ابن سيرين ، وفيه أنه كتب فى مصحفه الناسخ والمنسوخ ، وأن ابن سيرين قال : فطلبتُ ذلك الكتاب ، وكتبت فيه إلى المدينة ، فلم أقدر عليه .

وأخرج ابن أبى داود من طريق الحسن ، أن عمر سأل عن آية من كتاب الله ، فقيل : كانت مع فلان ، قتِل يوم اليمامة ، فقال : إنا لله ! وأمر بجمع القرآن

فكان أوّل مَنْ جمعه فى المصحف . إسناده منقطع ، والمراد بقوله : « فكان أوّل من جمعه » ، أى أشار بجمعه .

قلت : ومن غريب ما ورد فى أوّل مَنْ جمعه ، ما أخرجه ابن أشتة فى كتاب المصاحف من طريق كهمس ، عن ابن بُريدة ، قال : أوّل مَنْ جمع القرآن فى مصحف سالم مولى أبى حذيفة ، أقسم لا يرتدي برداء حتى يجمعه ، فجمعه ، ثم ائتمروا :[1] ما يسمّونه ؟ فقال بعضهم : سمّوه السِّفْر ، قال : ذلك اسم تسميه اليهود ، فكرهوه ، فقال : رأيت مثله بالحبشة يُسمَّى المصحف ، فاجتمع رأيهم على أن يسمّوه المصحف . إسناده منقطع أيضا ، وهو محمول على أنه كان أحد الجامعين بأمر أبى بكر .

وأخرج ابن أبى داود ، من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، قال : قدم عمر ، فقال : مَنْ كان تلقَّى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن فليأت به ، وكانوا يكتبون ذلك فى الصُّحف والألواح والعُسُب ، وكان لايقبَل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان ، وهذا يدلّ على أن زيدا كان لا يكتفى لمجرّد وجدانه مكتوبا حتى يَشهَد به مَنْ تلقّاه سماعا ، مع كون زيد كان يحفظ ، فكان يفعل ذلك مبالغة فى الاحتياط .

وأخرج ابن أبى داود أيضًا من طريق هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، أنّ أبا بكر قال لعمرَ ولزيد : اقعدا على باب المسجد ، فَمن جاءكما بشاهدَيْن على شيء من كتاب الله فاكتباه . رجاله ثقات مع انقطاعه .

قال ابنُ حجر : وكأنّ المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب .

وقال السخاويّ فى جمال القراء : المراد أنّهما يشهدان على أنّ ذلك المكتوب

(١) ايتمروا ، اى تشاوروا .

كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوالمراد أنَّهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التى نزل بها القرآن .

قال أبو شامة [١] : وكان غرضُهم ألَّا يكتب إلَّا مِنْ عينِ ما كُتِب بين يدى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، لا من مجرّد الحفظ . قال : ولذلك قال فى آخر سورة التوبة : لم أجدها مع غيره ، أى لم أجدها مكتوبة مع غيره ، لأنه كان لايكتفى بالحفظ دون الكتابة .

قلت : أو المراد أنهما يشهدان على أنّ ذلك ممّا عرِض على النبيّ صلى الله عليه وسلم عامَ وفاته ، كما يؤخذ مما تقدّم آخر النوع السادس عشر .

وقد أخرج ابن أشتة فى المصاحف عن اللّيث بن سعد ، قال : أوّل مَنْ جمع القرآن أبو بكر ، وكتبه زيد ، وكان الناس يأتُون زيد بن ثابت ، فكان لا يكتب آية إلابشاهدَىْ عَدْل ، وأنَّ آخِرَ سورة براءة لم توجد إلّامع خزيمة ابن ثابت ، فقال : اكتبوها فإنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بشهادة رجلين ، فكتب . وإنَّ عمر أتَىَ بآية الرَّجْم :فلم يكتبها ؛ لأنه كان وحده .

وقال الحارث المحاسبى [٢] فى كتاب فهم السنن : كتابة القرآن ليست بمحْدَثة ؛ فإنَّه صلى الله عليه وسلم كان يأْمر بكتابته ، ولكنه كان مفرّقًا فى الرقاع والأكتاف والعُسُب ، فإنما أمر الصِّدّيق بنسخها من مكانٍ إلى مكان

---

(١) أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسى المؤرخ المحدث ، صاحب كتاب الروضتين. وله كتب فى علوم القرآن والقراءات ، ذكر الزركلى أن له كتاب المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالقرآن العزيز ، وقال : منه نسخة مخطوطة فى المكتبة البلدية بالقدس ، . توفى سنة ٦٦٥ . الأعلام ٤ : ٧٠ .

(٢) هو الحارث بن أسد المحاسبى ، من أكابر الصوفية وصاحب كتاب الرعاية لحقوق الله عز وجل . وغيره من كتب التصوف . توفى سنة ٢٤٣ . ابن خلكان ١ : ١٢٦ .

مجتمعا ، وكان ذلك بمنزلة أوراقٍ وُجِدت فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيها القرآن منتشرٌ ، فجمعها جامع ،وربطها بخيط. حتى لا يضيع منها شيء .

قال :فإن قيل : كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال ؟ قيل : لأنهم كانوا يُبدون عن تأليفٍ معجزٍ ، ونظم معروف ، قد شاهدوا تلاوته من النبيّ صلى الله عليه وسلم عشرين سنة ، فكان تَزوير ما ليس منه مأمونًا ، وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من صحفهِ[1] .

وقد تقدّم فى حديث زيد أنه جَمَع القرآن من العُسُب واللِّخاف ، وفى رواية « والرقاع » ، وفى أخرى : « وقِطَع الأديم » ، وفى أخرى : « والأكتاف » وفى أخرى : « والأضلاع » ، وفى أخرى : « والأقتاب » . فالعُسُب :جمع عسيب وهو جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون فى الطرف العريض . واللِّخاف ؛ بكسر اللام وبخاء معجمة خفيفة ،آخره فاء : جمع لَخْفة بفتح اللام وسكون الخاء ،وهى الحجارة الدقاق ، وقال الخطابى : صفائح الحجارة . والرِّقاع : جمعُ رقعة ، وقد تكون من جلْد أو رَق أو كاغَد . والأكتاف جمع كَتِف وهو العظم الذى للبعير أو الشاة ، كانوا إذا جَفّ كتبوا عليه . والأقتاب : جمع قتَب هو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليُركَب عليه .

وفى موطّأ ابن وهب عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ابن عمر قال : جمع أبو بكر القرآن فى قراطيس ، وكان سأل زيد بن ثابت فى ذلك فأبَى حتى استعان بعمر ، ففعل .

وفى مغازى موسى بن عُقْبة ، عن ابن شهاب : قال : لمّا أُصيب المسلمون باليمامة ، فزع أبو بكر ، وخاف أن يذهب من القرآن طائفة ، فأقبل الناس

---

(١) فى الأصل : « صحيحة » .

بما كان معهم وعندهم ، حتى جُمِع على عهد أبى بكر فى الورَق ، فكان أبو بكر أوّل مَنْ جمع القرآن فى الصحُف .

قال ابن حجر : ووقع فى رواية عمارة بن غزيّة ، أنّ زيد بن ثابت قال : فأمرنى أبو بكر فكتبتُه فى قِطَع الأديم والعُسب ، فلما هلك أبو بكر وكان عمر كتبتُ ذلك فى صحيفة واحدة ، فكانت عنده

قال : والأوّل أصحّ ، إنما كان فى الأديم والعُسُب أولاً ، قبل أن يجمع فى عهد أبى بكر ، ثم جمع فى الصحف فى عهد أبى بكر كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة .

• • •

قال الحاكم : والجمع الثالث[1] هو ترتيب السور فى زمن عثمان ، روى البخارىّ عن أنس أنّ حُذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازى أهلَ الشام فى فتح فرْج أرمينية وأذْربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهمُ فى القراءة ، فقال لعثمان : أدرِك الأُمّة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل إلى حفْصة : أن أرسلى إلينا الصحف ننسخُها فى المصاحف ، ثم نردّها إليك . فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصِ وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ؛ فإنّه إنّما نزل بلسانهم ، ففعلوا ، حتّى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف ، ردّ عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كلّ أفق بمصحف ممّا نسخوا ،

(١) انظر ذكر الجمع الأول والثانى بداية النوع الثامن عشر .

وأمر بما سواه من القرآن فى كلِّ صحيفة ومصحف أن يحرَق . قال زيد : فقدْت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عليه ﴾ ، (١) فألحقناها فى سورتها . فى المصحف .

قال ابن حجر : وكان ذلك فى سنة خمس وعشرين . قال : وغفل بعض من أدركناه فزعم أنه كان فى حدود سنة ثلاثين ، ولم يذكر له مستندا . انتهى .

وأخرج ابن أشتة من طريق أيوب عن أبى قُلابة ، قال : حدّثنى رجل من بنى عامر ، يقال له أنس بن مالك ، قال : اختلفوا فى القراءة على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون ، فبلغ ذلك عثمانَ بن عفان ، فقال : عندى تكذبون به وتلحنون فيه ! فَمنْ نأى عنّى كان أشدّ تكذيباً ، وأكثر لحنا . يا أصحاب محمد ، اجتمعوا فاكتبوا للنّاس إماما . فاجتمعوا فكتبوا ، فكانوا إذا اختلفوا وتدارءوا فى آية قالوا : هذه أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلانًا ، فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث من المدينة ، فقال له : كيف أقرأك رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كذا وكذا ؟ فيقول : كذا وكذا ، فيكتبونها وقد تركوا لذلك مكانا .

وأخرج ابنُ أبى داود ، من طريق محمد بن سيرين، عن كثير بن أفلح ، قال : لمّا أراد عثمان أنْ يكتبَ المصاحف ، جمع له اثنى عشر رجلا من قُريش والأنصار ، فبعثوا إلى الرّبْعة الّتى فى بيت عمر ، فجىء بها ، وكان عثمان يتعاهدُهم ، فكانوا إذا تدارءوا فى شىء أخّروه . قال محمد : فظننت أنّما كانو

---

(١) سورة الأحزاب ٢٣ .

يؤخِّرونه لينظروا أحْدَثهم عهدًا بالعَرْضة الأخيرة ، فيكتبونه على قوله .

وأخرج ابن أبي داود بسند صحيح ، عن سُوَيد بن غَفَلَة ، قال : قال عليّ : لاتقولوا فى عثمان إلا خيرا ، فوالله مافَعل الّذي فعل فى المصاحف إلا عن ملأ منَّا ، قال : ماتقُولون فى هذه القراءة ؟ فقد بلغنى أنَّ بعضهم يقول : إن قراءتى خيرمن قراءتك ، وهذا يكاد يكون كفرًا ، قلنا : فما ترى ؟ قال : أرى أن يُجمَع الناس على مصحف واحد ، فلا تكون فرقة ولا اختلاف ، قلنا : نِعْم ما رأيت !

قال ابن التين وغيره : الفرق بين جمع أبى بكر وجمع عثمان ، أنَّ جمع أبى بكر كان لخشيةِ أنْ يذهب من القرآن شيء بذهاب جملته ؛ لأنه لم يكن مجموعًا فى موضع واحد ، فجمعهُ فى صحائف مرتبًا لآيات سُورِهِ على ماوَقَفهم عليه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وجَمْع عثمان كانَ لمَّا كثر الاختلاف فى وجوه القراءة ، حتى قرءوه بلغاتهم على اتِّساع اللغات ، فأدّي ذلك بعضَهم إلى تخطئة بعض ، فخشىَ من تفاقم الأمر فى ذلك ، فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحد مرتّبًا لسُوره ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش ، محتجًا بأنّه نُزل بلغتهم ، وإن كان قد وُسّع قراءته بلغة غيرهم ؛ رفعًا للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر ، فرأى أنَّ الحاجة إلى ذلك قد انتهت ، فاقتصر على لغة واحدة .

وقال القاضى أبو بكر[1] فى الانتصار : لم يقصد عثمان قصد أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين ، وإنّما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وإلغاء ماليس كذلك ، وأخذهم بمصحف

(١) هو القـــاضى محمـــد بن الطيب أبو بكر الباقلانى ، من علماء الكلام ، وصاحب كتاب اعجاز القرآن وغيره من الكتب فى علم الكلام . توفى سنة ٤٠٣ . ابن خلكان ١ : ٤٨١ .

لا تقديمَ فيه ولا تأخير ، ولا تأويل أثبت مع تنزيل ، ولا منسوخ تلاوته كتِب مع مثبَت رسمه ومفروض قراءته وحفظه ، خشية دخول الفساد والشبهة على مَنْ يأتى بعد .

وقال الحارث المحاسبى : المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان ، وليس كذلك ، إنّما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين مَنْ شهده من المهاجرين والأنصار ، لمّا خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القراءات ، فأمّا قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى نزل بها القرآن ، فأمّا السابق إلى جمع الجملة فهو الصدّيق ؛ وقد قال علىّ : لو وُلّيتُ لعملت بالمصاحف عمل عثمان بها . انتهى .

اختُلف فى عدّة المصاحف التى أرسل بها عثمان إلى الآفاق ، فالمشهور أنها خمسة

وأخرج ابنُ أبى داود من طريق حمزة الزيّات ، قال : أرسل عثمان أربعة مصاحف . قال ابن أبى داود : وسمعت أبا حاتم السّجستانى يقول : كتب سبعة مصاحف ، فأرسل إلى مكة وإلى الشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة ؛ وحبس بالمدينة واحدًا .

فصل

الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفىّ ، لا شبهة فى ذلك ، وأما الإجماع فنقله غير واحد ، منهم الزركشى فى البرهان وأبو جعفر ابن الزبير فى مناسباته ، وعبارته : ترتيب الآيات فى سورها واقعٌ بتوقيفه

صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف فى هذا بين المسلمين . انتهى .

وسيأتى من نصوص العلماء مايدل عليه .

وأمّا النصوص ، فمنها حديث زيد السابق : « كنا عند النبى صلّى الله عليه وسلّم نؤلّف القرآن من الرّقاع » .

ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داود والتّرمذى والنّسائى وابن حِبّان والحاكم عن ابن عباس ، قال : قلت لعثمان : ماحملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثانى ، وإلى براءة وهى من المئين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ووضعتموها فى السّبع الطُّوَل ؟ فقال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السّور ذواتُ العدد ، فكان إذا نزل عليه الشىء دعا بعضَ مَن كان يكتب ، فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات فى السّورة التى يذكر فيها كذا وكذا . وكانت الأنفال من أوائل مانزل فى المدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً ، وكانت قصّتها شبيهة بقصتها فظننت أنّها منها ، فقبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبيِّن لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر « بسم الله الرحمن الرحيم » ووضعتها فى السبع الطُّوَل .

ومنها ما أخرجه أحمد بإسناد حسن ، عن عثمان بن أبى العاص قال كنت جالسًا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ شخص ببصره ، ثم صوّبه ، ثم قال : « أتانى جبريل ، فأمرنى أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة : ﴿ إنَّ اللهَ يأمُرُ بِالعَدْلِ والإحسَانِ وإيتاءِ ذى القُربَى... ﴾[1] إلى آخرها

(١) سورة النحل ٩٠ .

ومنها ما أخرجه البخاريّ عن ابن الزّبير قال : قلتُ لعثمان : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا .... ﴾ [(١)] قد نسختْها الآية الأخرى ، فَلِمَ تكتُبها ولَمْ تدعها ؟ قال : يابن أخي ، لا أغيِّر شيئًا منه من مكانه .

ومنها ما رواه مسلم عن عمرَ ، قال : ما سألتُ النبيّ صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة ، حتى طعن بإصبعه في صدري وقال : « تكفيك آية الصّيف الّتي في آخر سورة النساء »

ومنها الأحاديث في خواتيم سورة البقرة .

ومنها ما رواه مسلم عن أبي الدرداء مرفوعًا : « من حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عصم من الدّجال » ، وفي لفظ عنده : « مَنْ قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف » .

ومن النصوص الدّالة على ذلك إجمالاً ما ثبت من قراءته صلى الله عليه وسلم لسورٍ عديدة ، كسورة البقرة وآل عمران والنّساء في حديث حُذيفة ، والأعراف في صحيح البخاري أنه قرأها في المغرب ، وقد أفلح ، روى النسائيّ أنه قرأها في الصبح حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون أخذته سَعْلَةٌ فركع. والرّوم رَوى الطّبَرانيّ أنه قرأها في الصبح والّمّ تنزيل ، وهل أتى على الإنسان ، روى الشيخان أنه كانَ يقرؤهما في صبح الجمعة ، و « ق » في صحيح مسلم أنه كان يقرؤها في الخطبة ، والرحمن في المستدرك وغيره أنه قرأها على الجنّ ، والنجم في الصحيح قرأها بمكة على الكفار وسجد في آخرها ، و « اقتربت » عند مسلم أنه كان يقرؤها مع « ق » في العيد والجمعة . و « المنافقون » في مسلم أنه كان يقرأ بها في صلاة الجمعة ، والصفّ في المستدرك عن عبد الله بن سلام

---

(١) سورة البقرة ٢٣٤ .

أنه صلى الله عليه وسلم قرأها عليهم حين أنزلتْ حتى ختمها ، وفى سُور شتى من المفصّل تدلُّ قراءته صلى الله عليه وسلم لها بمشهد من الصحابة أن ترتيب آيها توقيفيّ ، وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيبًا سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ على خلافه ، فبلغ ذلك مبلغ التواتر ، نعم يُشكل على ذلك ما أخرجه ابن أبى داود فى المصاحف من طريق محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير ، عن أبيه قال : أتى الحارث بن خزيمة بهاتيْن الآيتين من آخر سورة براءة ، فقال : أشهد أنى سمعتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيتُهما ، فقال عمر : وأنا أشهد ، لقد سمعتهما . ثم قال : لو كانت ثلاث آيات لجعلتُها سورةً على حدة ، فانظروا آخر سورة من القرآن ، فألحقوها فى آخرها .

قال ابن حجر : ظاهر هذا أنهم كانوا يؤلّفون آيات السور باجتهادهم ، وسائر الأخبار تدل على أنهم لم يفعلوا شيئا من ذلك إلا بتوقيف .

قلت : يعارضه ما أخرجه ابن أبى داود أيضا ، من طريق أبى العالية ، عن أُبىّ بن كعب ، أنهم جمعوا القرآن ، فلمّا انتهوا إلى الآية التى فى سورة براءة : ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾[1] ظنوا أن هذا آخر ما أنزل ، فقال أبىّ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنى بعد هذا آيتين : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ.... ﴾[2] إلى آخر السورة .

وقال مكّى وغيره : ترتيب الآيات فى السور بأمر من النبى صلى الله عليه وسلم ، ولمّا لم يأمر بذلك فى أوّل براءة تركتْ بلا بسملة .

وقال القاضى أبو بكر فى الانتصار : ترتيب الآيات أمرٌ واجب ، وحكم لازم ، فقد كان جبريل يقول : « ضعوا آية كذا فى موضع كذا » .

---

(١) سورة التوبة ١٢٧ (٢) سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩ .

وقال أيضًا : الَّذى نذهب إليه أن جميع القرآن الَّذِى أنزله الله وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله ، هو هذا الذى بين الدفَّتَيْن الذى حواه مصحف عثمان ، وأنه لم ينقص منه شيء ، ولازيد فيه ، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ، ورتَّبه عليه رسولُه من آى السور ، لم يقدَّم من ذلك مؤخَّر ولا أُخِّر منه مقدَّم ، وإن الأُمَّة ضبطت عن النبيّ صلى الله عليه وسلمّ ترتيب آى كلِّ سورة ومواضعها ، وعرفت مواقعها ، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة ، وإنه يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد رتَّب سوره ، وأن يكون قد وكَّل ذلك إلى الأُمَّة بعده ، ولم يتولَّ ذلك بنفسه . قال : وهذا الثانى أقرب .

وأخرج .... (١) عن ابن وهب ، قال : سمعتُ مالِكا يقول : إنَّما أُلِّف القرآن على ا كانوا يسمعون من النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وقال البغوىّ فى شرح السنة : الصحابة رضى الله عنهم جمعوا بين الدَّفتين القرآن الذى أنزله الله على رسوله ، من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئًا ، خوفَ ذهاب بعضِه بذهاب حَفَظتِه ، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا شيئًا أو أخروا ، ووضعوا له ترتيبا ، لم يأْخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقِّن أصحَابه ويعلِّمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا ، بتوقيف جبريل إيّاه على ذلك ، وإعلامِه عند نزول كل آية ، أن هذه الآية تكتب عقِب آية كذا فى سورة كذا ، فثبت أن سعىَ الصحابة كان فى جمعه فى موضع واحدٍ لافى ترتيبه ؛ فإن القرآن مكتوبٌ فى اللَّوح المحفوظ على هذا

(١) بياض في الأصل .

الترتيب ، أنزله الله جملةً إلى السماء الدنيا ، ثم كان ينزله مفرّقًا عند الحاجة ، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة .

وقال ابن الحصّار : ترتيب السُّور ووضع الآيات مواضعها إنّما كان بالوحى ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ضعوا آية كذا فى موضع كذا . » وقد حصل اليقين من النَّقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وممَّا أجمع الصحابة على وضعه هكذا فى المصحف .

فصل

وأمّا ترتيب السور ، فهل هو توقيفى أيضا ، أو هو باجتهاد من الصحابة ؟ خلاف ، فجمهور العلماء على الثانى ، منهم مالك والقاضى أبو بكر فى قوليْه .

قال ابن فارس : جُمع القرآن على ضربيْن : أحدهما تأليف السّور كتقديم السَّبْع الطوّل وتعقيبها بالمثين ، فهذا هو الذى تولَّته الصحابة ، وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات فى السور ؛ فهو توقيفى تولاه النبىّ صلى الله عليه وسلم ، كما أخبر به جبريل عن أمر ربه . ومما استُدلّ به لذلك اختلاف مصاحف السلف فى ترتيب السور ، فمنهم مَنْ رتَّبها على النزول ، وهو مصحف علىّ ، كان أوله : اقرأ ، ثمّ المدثر ، ثم ن ، ثمّ المزّمل ، ثم تبّت ، ثم التكوير ، وهكذا إلى آخر المكىّ والمدنىّ ، وكان أوّل مصحف ابن مسعود البقرة ، ثم النساء ثم آل عمران ، على اختلاف شديد ، وكذا مصحف أُبىّ وغيره .

وأخرج ابن أشتة فى المصاحف من طريق إسماعيل بن عياش عن حبّان ابن يحيى عن أبى محمد القرشىّ ، قال : أمرهم عثمان أن يتابعوا الطُّوَل ، فجعلت سورة الأنفال وسورة التوبه فى السّبع ، ولم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم .

وذهب إلى الأوّل جماعة منهم القاضى فى أحد قوليه .

قال أبو بكر بن الأنبارىّ : أنزل الله القرآن كلّه إلى سماء الدنيا ، ثم فرّقه فى بضع وعشرين ، فكانت السورة تنزل لأمرٍ يحدث والآية جوابا لمستخبرٍ ، ويوقِف جبريل النبىّ صلى الله عليه وسلم على موضع الآية والسورة ، فانّساق السّور كاتّساق الآيات والحروف ، كلّه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن قدّم سورةً أوأخّرها فقد أفسد نظم القرآن .

وقال الكرمانىّ فى البرهان : ترتيب السُّور هكذا هو عند الله فى اللّوح المحفوظ. على هذا الترتيب ، وعليه كان صلى الله عليه وسلم يعرض على جبريل كلَّ سنة ما كان يجتمع عنده منه ، وعرضه عليه فى السنة التى تُو فِّىَ فيها مرتين ، وكان آخر الآيات نزولا : ﴿ واتَّقُوا يوْمًا تُرجَعُون فيهِ إلَى اللهِ ﴾ [(١)] ، فأمره جبريل أن يضعها بين آيَتى الربا والدَّيْن .

وقال الطِّيبىّ : أنزل القرآن أوّلاً جملةً واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم نزل مفرّقًا على حسب المصالح ، ثم أثبت فى المصاحف على التأليف والنظم المثبت فى اللوح المحفوظ .

قال الزركشىّ فى البرهان : والخلاف بين الفريقين لفظى ؛ لأن القائل بالثانى يقول إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته ؛ ولهذا قال مالك : إنّما ألّفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبىّ صلى الله عليه وسلم مع قوله بأنّ ترتيب السور باجتهاد منهم ، فآل الخلاف إلى أنه : هل هو بتوقيفٍ قولىّ أو بمجرد استنادٍ [(٢)] فعلىّ ، بحيث بَقِىَ لهم فيه مجال للنظر . وسبقه إلى ذلك أبو جعفر بن الزبير .

---

(١) سورة البقرة ٢٨١ (٢) البرهان ١ : ٢٥٧

وقال البيهقيّ فى المدخل : كان القرآن على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم مرتَّبًا سوره وآياته على هذاالترتيب ، إلا الأنفال وبراءة ، لحديث عثمان السابق . ومال ابن عطية إلى أنّ كثيرًا من السور كان قد عُلِم ترتيبها فى حياته صلى الله عليه وسلَّم ، كالسبع الطُّوَل والحواميم والمفصّل وأن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فُوِّض الأمر فيه إلى الأُمة بعده .

وقال أبو جعفر بن الزبير : الآثار تشهد بأكثر مما نصَّ عليه ابن عطيّة ، ويبقى منها قليل يمكن أن يجرى فيه الخلاف ، كقوله : « اقرءوا الزَّهراوين : البقرة وآل عمران » ، رواه مسلم ، وكحديث سعيد بن خالد : « قرأ صلى الله عليه وسلم بالسَّبْع الطُّوَل فى ركعة » . رواه ابن أبى شيبة فى مصنَّفه ، وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المفصّل فى ركعة .

وروى البخاريّ عن ابن مسعود أنه قال فى بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : « إنّهنّ من العِتاق الأُوَل ، وهنّ من تلادى » ، فذكرها نَسَقًا كما استقرّ ترتيبها .

وفى البخاريّ أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أوَى إلى فراشه كلّ ليلة ، جمع كفَّيه ، ثم نفث فيهما ، فقرأ : قل هو الله أحَد ، والمعوّذتين .

وقال أبو جعفر النحاس : المختار أن تأليف[1] السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لحديث واثلة : « أُعْطِيت مكان التوراة السبع الطُّوَل ... » الحديث .

قال : فهذا الحديث يدلّ على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه من ذلك الوقت ، وإنما جمع فى المصحف على شىء واحد ،

(١) ط : « تأويل » ، وصوابه من الأصل .

لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأليف القرآن .

وقال ابنُ الحصّار : ترتيب السور ووضْع الآيات مواضعها إنما كان بالوحى .

وقال ابنُ حجر : ترتيب بعض السور على بعضها ، أو معظمها ، لا يمتنع أن يكون توقيفيا . قال : ومما يدلّ على أنّ ترتيبها توفيقى ما أخرجه أحمد وأبو داود عن أوْس بن أبي أوس حذيفة الثقفىّ ، قال : كنت فى الوفد الّذين أسلموا من ثَقيف... الحديث ، وفيه : فقال لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « طرأ علىّ حِزبى من القرآن ، فأردت ألّا أخرج حتى أقضِيَه » ، فسألْنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلنا : كيف تحزّبون القرآن ؟ قالوا : نحزِّبه ثلاث سور ، وخمس سور ، وسبع سور ، وتسع سور ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصّل من « ق » حتى نختم . قال : فهذا يدلّ على أن ترتيب السّور على ما هو فى المصحف الآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ويحتمل أنّ الذى كان مرتّبًا حينئذ حزب المفصّل خاصة ، بخلاف ما عداه .

قلت : ومما يدلّ على أنه توقيفىّ كون الحواميم رتِّبت وِلاء وكذا الطواسين ، ولم ترتّب المسبّحات وِلاءً ، بل فصِل بين سورها ، وفصل بين طسٓمٓ الشعراء وطسٓمٓ القصص بطسٓ مع أنها أقصر منْهُما ، ولو كان الترتيب اجتهاديًّا لذكرت المسبّحات وِلاءً وأُخرت طسٓ [1] عن القَصص . والّذى ينشرح له الصدر ماذهب إليه البيهقىّ وهو أنّ جميع السور ترتيبها توقيفىّ إلّا براءة والأنفال ، ولا ينبغى أن يُسْتَدَلّ بقراءته صلى الله عليه وسلم سوَرًا وِلاءً على أن ترتيبها كذلك ، وحينئذ فلا يردُ

(١) طس ، هى سورة النمل

حديث قراءته النساء قبل آل عمران لأن ترتيب السور فى القراءة ليس بواجب ، فلعلَّه فعل ذلك لبيان الجواز .

وأخرج ابنُ أشتة فى كتاب المصاحف من طريق ابن وهب عن سليمان ابن بلال ، قال : سمعت ربيعة يسأل : لِمَ قُدِّمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة ، وإنَّما أنزلتا بالمدينة ؟ فقال : قُدِّمتا وأُلِّف القرآن على علمٍ ممّن ألَّفه به ومَنْ كان معه فيه ، واجتماعهم على علمهم بذلك ، فهذا مِمّا ينتهى إليه ، ولا يُسْأل عنه .

خاتمة

السبع الطُّوَل : أولها البقرة وآخرها براءة . كذا قال جماعة ، لكن أخرج حاكم والنَّسائىّ وغيرُهما عن ابن عباس قال : السبْع الطُّوَل : البقرة وآل عمران النساء والمائدة والأنعام والأعراف . قال الراوى : وذكر السابعة فنسيتُها ، وفى رواية صحيحة عن ابن أبى حاتم وغيره عن سعيد بن جبير ، أنها يونس ، . وتقدم عن ابن عباس مثله فى النوع الأوّل ، وفى رواية عند الحاكم أنها الكهف .

والمئون : ما وليَها سميت بذلك ؛ لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها .

والمثانى : ما وَلِى المئين ؛ لأنها ثنتْها ، اى كانت بعدها ، فهى لها ثوانٍ والمئون لها أوائل . وقال الفرّاء : هى السورة التى آيها أقلّ من مائة ؛ لأنها تُثنَّى أكثر ممّا يُثنَّى الطُّوَل والمئون . وقيل : لتثنية الأمثال فيها بالعبَر والخبر . حكاه النِّكزاوىّ :

وقال فى جمال القرّاء : هى السور التى ثُنيتْ فيها القصص ، وقد تُطلق على القرآن كلّه وعلى الفاتحة كما تقدَّم .

والمفصل : ما وليَ المثانى من قصار السُّور ، سمّى بذلك لكثرة الفصول التى بين السور بالبسملة ، وقيل : لقلّة المنسوخ منه ؛ ولهذا يسمَّى بالمحكم أيضا ، كما روى البخارىّ عن سعيد بن جُبير ، قال : إنَّ الذى تدعونه المفصّل هو المحكَم ، وآخره سورة الناس بلا نزاع .

واختلف فى أوّله على اثنى عشر قولا :

أحدها : ق ؛ لحديث أوس السابق قريبا .

الثانى : الحُجرات ، وصحّحه النَّووىّ .

الثالث : القتال ، عَزاه الماوردىّ للأكثرين .

الرابع : الجاثية ، حكاه القاضى عياض .

الخامس : الصافّات .

السادس : الصّف .

السابع : تبارك ، حكى الثلاثةَ ابن أبى الصَّيف اليمنىّ فى نكته على التنبيه .

الثامن : الفتح ، حكاه الكمال الذمارى فى شرح التنبيه .

التاسع : الرحمن ، حكاه ابن السِّيد فى أماليه على الموطأ .

العاشر : الإنسان .

الحادى عشر : سبّح ، حكاه ابن الفِركاح [1] فى تعليقه عن المرزوقى .

الثانى عشر : الضحى ، حكاه الخطّابى ووجهه بأن القارئ يفصل بين هذه السور بالتكبير . وعبارة الراغب فى مفرداته : المفصَّلُ من القرآن السبع الأخير .

---

(١) هو عبد الرحمن بن ابراهيم بن سباع الفزارى تاج الدين بن الفركاح ، مؤرخ من علماء الشافعية . توفى سنة ٦٩٠ . طبقات الشافعية ٥ : ٦٠ .

فائدة

للمفصل طِوالٌ وأوساط وقصارٌ ، قال ابن معن : فطواله إلى عَمَّ ، وأوساطه منها إلى الضحى ، ومنها إلى آخر القرآن قصاره . هذا أقرب ما قيل فيه .

تنبيه

أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه ذُكر عنده المفصّل فقال : وآى القرآن ليستْ بمفصّل ، ولكن قولوا : قصار السُّور وصغار السُّور . وقد استُدلّ بهذا على جواز أن يقال : سورة قصيرة أو صغيرة . وقد كره ذلك جماعة منهم أبو العالية ، ورخّص فيه آخَرون . ذكره ابن أبي داود .

وأخرج عن ابن سيرين وأبي العالية قالا : لا تقلْ : سورة خفيفة فإنه تعالى يقول : ﴿ سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾(١) ، ولكن سورة يسيرة .

فائدة

[في ترتيب مصحَفى أُبَىّ وابن مسعود]

قال ابن أشتة في كتاب المصاحف : أنبأنا محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أبو جعفر الكوفىّ ، قال : هذا تأليف مصحف أُبَىّ : الحمد ، ثمّ البقرة ، ثمّ النساء ، ثمّ آل عمران ، ثمّ الأنعام ، ثمّ الأعراف ، ثمّ المائدة ، ثمّ يونس ، ثمّ الأنفال ، ثمّ براءة ، ثمّ هود ، ثمّ مريم ، ثمّ الشعراء ، ثمّ الحجّ ، ثمّ يوسف ، ثمّ الكهف ، ثمّ النحل ، ثمّ الأحزاب ، ثمّ بنى إسرائيل ، ثمّ الزمر أوّلها حمٓ ، ثمّ طه ، ثمّ الأنبياء ، ثمّ النور ، ثم المؤمنون ، ثمّ سبأ ، ثم العنكبوت ، ثمّ المؤمن ، ثمّ الرعد ، ثمّ القصص ، ثمّ النمل ،

(١) سورة المزمل ٥ .

ثمّ الصافات ، ثمّ ص ، ثمّ يس ، ثمّ الحِجر ، ثمّ حمٓ * عسٓقٓ ، ثمّ الروم ، ثمّ الحديد ، ثمّ الفتح ، ثمّ القتال ، ثمّ الظهار ، ثمّ تبارك الملك ، ثمّ السجدة ، ثمّ إنّا أرسلنا نوحا ، ثم الأحقاف ، ثمّ ق ، ثمّ الرحمن ، ثمّ الواقعة ، ثمّ الجنّ ، ثمّ النجم ، ثمّ سأل سائل ، ثم المزمّل ، ثم المدّثر ، ثمّ اقتربت ، ثم حمٓ الدخان ، ثمّ لقمان ثمّ حمٓ الجاثية ، ثمّ الطور ، ثمّ الذاريات ، ثمّ ن ، ثمّ الحاقة ، ثمّ الحشر ، ثمّ الممتحنة ، ثمّ المرسلات ، ثمّ عمّ يتساءلون ، ثمّ لا أُقسم بيوم القيامة ، ثمّ إذا الشمس كُوِّرت ، ثمّ يأيّها النّبي إذا طلّقتم النساء ، ثمّ النازعات ، ثمّ التغابن ، ثمّ عبس ، ثمّ المطففين ، ثمّ إذا السماء انشقّت ، ثمّ والتّين والزيتون ، ثمّ اقرأْ باسم ربك ، ثمّ الحُجُرات ، ثمّ المنافقون ، ثمّ الجمعة ، ثمّ لم تحرّم ، ثمّ الفجر ، ثمّ لا أُقسم بهذا البلد ، ثم والليل ، ثمّ إذا السماء انفطرت ، ثمّ والشمس وضحاها ، ثمّ والسماء والطارق ، ثمّ سبّح اسم ربك ، ثمّ الغاشية ، ثمّ الصّف ، ثمّ سورة أهل الكتاب وهى لم يكن ، ثم الضّحى ، ثمّ ألم نشرح ، ثمّ القارعة ، ثمّ التكاثر ، ثمّ العصر ، ثمّ سورة الخلع ، ثم سورة الحفْد ، ثمّ ويلٌ لكلّ هُمزة ، ثمّ إذا زلزلت ، ثمّ العاديات ، ثمّ الفيل ، ثمّ لإيلاف ، ثم أرأيت ، ثمّ إنا أعطيناك ، ثمّ القَدْر ، ثمّ الكافرون ، ثمّ إذا جاء نصر الله ، ثمّ تَبّتْ ، ثمّ الصّمد ، ثمّ الفلق ، ثمّ النّاس .

* * *

قال ابنَ أشتة أيضا : وأخبرنا أبو الحسن بن نافع ، أنّ أبا جعفر محمد بن عمرو بن موسى حدّثهم ، قال : حدّثنا محمد بن إسماعيل بن سالم ، حدّثنا علىّ بنِ مهْران الطائىّ ، حدّثنا جرير بن عبد الحميد ، قال : تأليف مصحف عبد الله بن مسعود :

الطُّوَل : البقرة ، والنساء ، وآل عمران ، والأعراف ، والأنعام ، والمائدة ، ويونس .

والمئين : براءة ، والنحل ، وهود ، ويوسف ، والكهف ، وبنى إسرائيل ، والأنبياء ، وطه ، والمؤمنون ، والشعراء ، والصافات .

والمثانى : الأحزاب ، والحجّ ، والقصص ، وطسٓ النمل ، والنّور ، والأنفال ، ومريم ، والعنكبوت ، والرّوم ، ويٰس ، والفرقان ، والحجر ، والرّعد ، وسبأ ، والملائكة ، وإبراهيم ، وص ، والّذين كفروا ، ولقمان ، والزُّمر ، والحواميم : حمٓ المؤمن ، والزخرف ، والسجدة ، وحمٓ ، عٓسٓقٓ ، والأحقاف ، والجاثية ، والدخان ، وإنا فتحنا لك ، والحشْر ، وتنزيل السجدة ، والطلاق ، ون ، والقلم ، والحجرات ، وتبارك ، والتّغابن ، وإذا جاءك المنافقون ، والجمعة ، والصفّ ، وقل أُوحِىَ ، وإنّا أرسلنا ، والمجادلة ، والممتحنة ، ويـأيّها النبي لم تحرم .

والمفصّل : الرحمن ، والنجم ، والطور ، والذرايات ، واقتربت الساعة ، والواقعة ، والنازعات ، وسأل سائل ، والمدّثر ، والمزمل ، والمطففين ، وعبَس ، وهل أتى ، والمرسلات ، والقيامة ، وعمّ يتساءلون ، وإذا الشمس كُوِّرت ، وإذا السماء انفطرت ، والغاشية ، وسبّح ، والليل ، والفجر ، والبُروج ، وإذا السماء انشقّت ، واقرأ باسم ربك ، والبلد ، والضّحى ، والطارق ، والعاديات ، وأرأيت ، والقارعة ، ولم يكن ، والشمس وضحاها ، والتّين ، وويل لكلّ همزة ، وألم تر كيف ، ولإيلاف قريش ، وألهاكم ، وإنا أنزلناه ، وإذا زلزلت ، والعصر ، وإذا جاء نصر الله ، والكوثر ، وقل يـأيها الكافرون ، وتبّت ، وقل هو الله أحد ، وألم نشرح ، وليس فيه الحمد ، ولا المعوّذتان .

النوع التاسع عشر

فى عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه

أمّا سُوَره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع مَنْ يُعتد به ، وقيل : وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة . أخرج أبو الشيخ عن أبى رَوْق قال : الأنفال وبراءة سورة واحدة .

وأخرج عن أبى رجاء قال : سألت الحسن عن الأنفال وبراءة : سورتان أم سورة ؟ قال : سورتان . ونقل مثل قول أبى رَوْق عن مجاهد، وأخرجه ابنُ أبى حاتم عن سفيان .

وأخرج ابن أشتة ، عن ابن لهيعة . قال : يقولون : إن براءة مِنْ يسألونك[1] . وإنّما لم تكتب براءة « بسم الله الرحمن الرحيم » لأنها من «يسألونك » وشبهتُهم اشتباه الطرفين وعدم البسملة . ويردّه تسمية النبىّ صلى الله عليه وسلم كلا منهما .

ونقل صاحب الإقناع ، أنّ البسملة ثابتة لبراءة فى مصحف ابن مسعود قال : ولا يؤخذ بهذا .

قال القشيرىّ : الصحيح أنّ التسمية لم تكن فيها ؛ لأنّ جبريل عليه السلام لم ينزل بها فيها .

وفى المستدرك عن ابن عباس قال : سألت علىّ بن أبى طالب : لِمَ لَمْ تكتب فى براءة بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : لأنّها أمان ، وبراءة نزلت بالسيف .

(١) أى من الأنفال ، وأولها « يسألونك عن الأنفال » .

وعن مالك أنَّ أوّلها لما سقط. سقط. معه البسملة ؛ فقد ثبت أنَّها كانت تعدل البقرة لطُولها .

وفى مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة ؛ لأنه لم يكتب المعَوِّذتيْن. وفى مصحف أُبَىّ ست عشرة ؛ لأنه كتب فى آخره سورتىِ الحَفْد والخلْع .

أخرج أبو عُبيد عن ابن سِيرين ، قال : كتب أبَىّ بن كعب فى مصحفه فاتحة الكتاب والمعوّذتين . واللهم إنَّا نستعينك . واللَّهم إياك نعبد ، وتركَهُنَّ ابن مسعود ، وكتب عثمان منهنَّ فاتحة الكتاب والمعوّذتين .

وأخرج الطَبرانىّ فى الدعاء من طريق عبّاد بن يعقوب الأسدىّ ، عن يحيى بن يعلى الأسلمىّ ، عن ابن لهيعة ، عن ابن هبيرة عن عبد الله بن زُرير الغافقىّ ، قال : قال لى عبد الملك بن مروان : لقد علِمتُ ماحملك على حبّ أبى تراب ، إلّا أنّك أعرابىّ جافٍ ، فقلت : والله لقد جمعتُ القرآن من قبل أن يجتمع أبواك ، ولقد علّمنى منه علىّ بن أبى طالب سورتيْن علّمهما إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمتَها أنت ولا أبوك : اللهمَّ إنا نستعينك ونستغفرك ، ونُثنى عليك ولا نكفُرك ، ونخلع ونتركُ مَنْ يفجُرك . اللهمَّ إيّاك نعبد ، ولك نصلى ونسجد ، وإليك نسعى ونحفِد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك ، إن عذابك بالكفار ملحق .

وأخرج البيهقىّ من طريق سفيان الثورىّ ، عن ابن جُريج ، عن عطاء ، عن عُبيد بن عُمير ، أنَّ عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهمّ إنا نستعينُك ونستغفِرك ، ونُثنى عليك ولا نكفُرك ، ونخلع ونتركُ مَن يفجُرك . بسم الله الرحمنِ الرحيم اللهم إيّاك نعبد ، ولك

نصلّي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفِد ، نرجو رحمتك ، ونخشى نقمتك ، إن عذابك بالكافرين ملحِق .

قال ابن جُريج : حكمة البسملة أنّهما سورتان فى مصحف بعض الصحابة .

وأخرج محمد بن نصر المروزىّ فى كتاب الصلاة ، عن أُبىّ كعب أنه كان يقنتُ بالسورتين ، فذكرهما ، وأنّه كان يكتبهما فى مصحفه .

وقال ابن الضُّريس : أنبأنا أحمد بن جميل المروزىّ عن عبد الله بن المبارك ، أنبأنا الأجلح عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : فى مصحف ابن عباس قراءة أُبىّ وأبى موسى : بسم الله الرحمن الرحيم . اللهمّ إنا نستعينك ونستغفرك ، ونثنى عليك الخيْر ، ولا نكفرك ، ونخلع ونترك مَنْ يفجرك . وفيه : اللهم إيّاك نعبدُ ، ولك نصلى ونسجد ، وإليك نسعى ونحفِد ، نخشى عذابك ، ونرجو رحمتك ، إن عذابك بالكفار ملحق .

وأخرج الطبرانىّ بسند صحيح ، عن أبى إسحاق ، قال : أمّنا أُميّة ابن عبد الله بن خالد بن أُسيد ، بخراسان ، فقرأ بهاتين السورتين : إنا نستعينك ونستغفرك .

وأخرج البيهقىّ وأبو داود فى المراسيل عن خالد بن أبى عمران ، أنّ جبريل نزل بذلك على النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو فى الصّلاة مع قوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شىءٌ .... ﴾ [1] الآية ، لمّا قَنَت يدعو على مُضر .

(١) سورة آل عمران ١٢٨

تنبيه

كذا نقل جماعة عن مصحف أُبَيّ أنه ست عشرة سورة [ومائة] [١] ، والصواب أنه خمس عشرة ؛ فإن سورة الفيل وسورة لإيلاف قريش فيه سورة واحدة ، ونقل ذلك عن السخاويّ فى جمال القراء ، عن جعفر الصادق وأبى نَهيك أيضًا.

قلت : ويردّه ما أخرجه الحاكم والطَّبرانىّ من حديث أُمّ هانئ ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « فضَّل الله قريشًا بسبع .... » الحديث ، وفيه : « وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها معهم غيرهم : لإيلاف قريش » .

وفى كامل الهذلىّ عن بعضهم أنه قال : الضحى وألم نشرح سورة واحدة ، نقله الإمام الرازىّ فى تفسيره عن طاوس وعمر بن عبد العزيز .

فائدة

قيل : الحكمة فى تسوير القرآن سُوَرًا تحقيق كون السورة بمجرّدها معجزة وآية من آيات الله ، والإشارة إلى أن كلّ سورةٍ نَمَطٌ مستقل ؛ فسورة يوسف تترجم عن قصته ، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وأسرارهم ، إلى غير ذلك . وسُوِّرت السّور طوالاً وأوساطًا وقصارًا ؛ تنبيها على أن الطُّول ليس من شرط الإعجاز ، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات ، وهى معجزة إعجاز سورة البقرة ، ثم ظهرت لذلك حكمة فى التعليم وتدريج الأطفال من السُّور القصار إلى ما فوقها ، تيسيرا من الله على عباده لحفظ كتابه .

---

(١) إضافة على الأصول .

قال الزركشىّ فى البرهان : فإن قلتَ : فهلَّا كانت الكتب السالفة كذلك ؟

قلت : لوجهين ، أحدهما : أنها لم تكن معجزات من جهة [١] النظم والتّرتيب ، والآخر : أنها تيَسر للحفظ . لكن ذكر الزمخشرىّ مايخالفه ، فقال فى الكشاف :

الفائدة فى تفصيل القرآن وتقطيعه سورًا كثيرة ، وكذلك أنزل الله التوراة والإنجيل والزّبور ، وما أوحاه إلى أنبيائه مسوّرة ، وبوّب المصنّفون فى كتبهم أبوابًا موشّحة الصدور بالتراجم ، منها أنّ الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف ، كان أحسن وأفخم من أن يكون بابا واحدًا . ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ، ثم أخذ فى آخر كان أنشط له ، وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ، ومثله المسافر إذا قطع ميلاً أو فرسخا [وانتهى إلى رأس برية] [٢] نفّس ذلك منه ، ونشط [٣] للسير ، ومن ثم جُزِّئ القرآن أجزاء وأخماسا . ومنها أن الحافظ إذا حذق السّورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها ، فيعظم عنده ما حفظه . ومنه حديث أنس : « كان الرّجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ [٤] فينا » . ومن ثمَّ كانت القراءة فى الصلاة بسورة أفضل . ومنها التفصيل بسبب تلاحُق الأشكال والنظائر ملائمة بعضها لبعض ، وبذلك تتلاحظ المعانى والنظم ، إلى غير ذلك من الفوائد [٥] . انتهى .

وما ذكره الزّمخشرىّ من تسوير سائر الكتب هو الصحيح أو الصواب .

(١) البرهان : « من ناحية » .
(٢) من البرهان .
(٣) البرهان : « ونشطه » .
(٤) البرهان : « جل » .
(٥) نقله فى البرهان ١ : ٢٦٥ .

فقد أخرج ابن أبي حاتم ، عن قتادة ، قال : كنَّا نتحدّث أن الزَّبور مائة وخمسون سورة ، كلها مواعظ. وثناء، ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ، ولا حدود ، وذكروا أنَّ فى الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال .

فصل فى عدّ الآى

أفرده جماعة من القراء بالتصنيف ، قال الجَعبرىّ : حدّ الآية قرآن مركَّب من جملٍ ولو تقديرًا ، ذُو مبدإٍ أو مقطع مندرج فى سورة ، وأصلها العلامة . ومنه : ﴿ إن آيةَ مُلْكه ﴾ [(١)] ، لأنها علامة للفضل والصدق ، أو الجماعة لأنها جماعة كلمة .

وقال غيره : الآية طائفة من القرآن منقطعة عمّا قبلها وما بعدها .

وقيل : هى الواحدة من المعدودات فى السّور ، سميت به لأنها علامة على صدق مَنْ أتى بها ، وعلى عجز المتحدَّى بها .

وقيل : لأنها علامة على انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعه ممّا بعدها .

قال الواحدىّ : وبعض أصحابنا يجوّز على هذا القول تسمية أقل من الآية آية ، لولا أن التوقيفَ ورد بما هى عليه الآن .

وقال أبو عمرو الدانىّ : لا أعلم كلمة هى وحدها آية إلا قوله :﴿ مُدْهَامَّتَان﴾[(٢)]

وقال غيره : بل فيه غيرها ، مثل : والنجم ، والضحى ، والعصر ، وكذا فوَاتح السور عند من عدّها .

قال بعضهم : الصحيح أنَّ الآية إنما تُعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السورة . قال : فالآية طائفة من حروف القرآن عُلِم بالتوقيف انقطاعها ؛

---

(١) سورة البقرة ٢٤٨ (٢) سورة الرحمن ٦٤

يعني عن الكلام الذى بعدها في أوّل القرآن ، وعن الكلام الذي قبلها في آخر القرآن ، وعمّا قبلها وما بعدها في غيرهما ، غير مشتمل على مثل ذلك . قال : وبهذا القيد خرجت السورة .

وقال الزمخشريّ : الآيات علم توقيفيّ لا مجال للقياس فيه ؛ ولذلك عدّوا « الٓمٓ » آية حيث وقعت ، و « الٓمٓصٓ » ، ولم يعدوا « الٓمٓر » و « الٓر » ، وعدوا « حمٓ » آية فى سورها ، و « طه » و « يسٓ » ولم يعدّوا « طسٓ » .

قلت : ومما يدلّ على أنه توقيفيّ ما أخرجه أحمد فى مسنده من طريق عاصم ابن أبي النَّجُود ، عن زرّ ، عن ابن مسعود ، قال : أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة من الثلاثين من آل حمٓ ، قال : يعني الأحقاف . قال : وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سُمّيت الثلاثين ... الحديث .

وقال ابن العربيّ : ذكر النبيُّ صلّى الله عليه وسلم أنّ الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية . وصحّ أنه قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران . قال : وتعديد الآى من معضلات القرآن ، ومن آياته طويل وقصير ، ومنه ما ينتهى إلى تمام الكلام ومنه ما يكون فى أثنائه .

وقال غيره : سبب اختلاف السلف فى عدد الآى أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يقف على رءوس الآى للتوقيف ،فإذا عُلم محلّها وصل للتمام ، فيحسب السامع حينئذ أنّها ليست فاصلة .

وقد أخرج ابن الضُّريس ، من طريق عثمان بن عطاء ، عن أبيه عن ابن عباس ، قال : جميع آى القرآن ستة آلاف وستمائة آية ، وجميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمائة حرف وواحد وسبعون حرفا .

قال الدانيّ : أجمعوا على أنّ عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك ، فمنهم مَنْ لم يزدْ ، ومنهم مَنْ قال : ومائتا آية وأربع آيات ، وقيل : وأربع عشرة ، وقيل : وتسع عشرة ، وقيل : وخمس وعشرون ، وقيل : وست وثلاثون .

قلت : أخرج الديلميّ فى مسند الفردوس ، من طريق الفيض بن وثيق ، عن فرات بن سلمان ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس مرفوعا : « دَرَج الجنة على قدر آيِ القرآن ، بكلّ آية درجة ، فتلك ستة آلاف آية ومائتا آية وست عشرة آية ، بين كلّ درجتين مقدار ما بين السماء والأرض » . الفيض ، قال فيه ابن معين : كذاب خبيث .

وفى الشُّعب للبيهقى من حديث عائشة مرفوعا : « عدد دَرَج الجنة عدد آيِ القرآن ، فَمَنْ دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة » . قال الحاكم : إسناده صحيح ، لكنه شاذّ ، وأخرجه الآجرّى فى حَملة القرآن من وجه آخر عنها موقوفا .

قال أبو عبد الله الموصليّ فى شرح قصيدته ذات الرُّشد فى العدد : اختلف فى عدّ الآى أهلُ المدينة ومكّة والشام والبصرة والكوفة ، ولأهل المدينة عددان : عدد أوّل ، وهو عدد أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نَصاح ، وعدد آخر ، وهو عدد إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاريّ ، وأمّا عدد أهل مكة فهو مرويّ عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أُبيّ بن كعب ، وأمّا عدد أهل الشام فرواه هارون بن موسى الأخفش وغيره ، عن عبد الله بن ذكْوان وأحمد بن يزيد الحُلوانيّ وغيره ، عن هشام بن عمّار . ورواه ابنُ ذكوان وهشام ، عن أيّوب بن تميم القارئ عن يحيي بن الحارث

الذِّمارىّ . قال : هذا العدد الذى نعده عدد أهل الشام ممّا رواه المشيخة لنا عن الصحابة ، ورواه عبد الله بن عامر اليَحصبىّ لنا وغيره ، عن أبي الدرداء . وأمّا عدد أهل البصرة فمداره على عاصم بن العجاج الجُحدرىّ . وأما عدد أهل الكوفة فهو المضاف إلى حمزة بن حبيب الزيات وأبي الحسن الكسائى وخلف بن هشام ، قال حمزة : أخبرنا بهذا العدد ابنُ أبى ليلَى ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمىّ ، عن علىّ بن أبي طالب .

• • •

قال الموصلىّ : ثم سُور القرآن على ثلاثة أقسام : قسم لم يُختلف فيه ، لا فى إجمال ولا فى تفصيل ، وقسم اختُلف فيه تفصيلاً لا إجمالاً ، وقسم اختلف فيه إجمالا وتفصيلا .

فالأوّل أربعون سورة : يوسف مائة وإحدي عشرة ، الحجر تسع وتسعون ، النحل مائة وثمانية وعشرون ، الفرقان سبع وسبعون ، الأحزاب ثلاث وسبعون ، الفتح تسع وعشرون ، الحجرات والتغابن ثمان عشرة ، ق خمس وأربعون ، الذّاريات ستون ، القمر خمس وخمسون ، الحشر أربع وعشرون ، الممتحنة ثلاث عشرة ، الصفّ أربع عشرة ، الجمعة والمنافقون والضحى والعاديات إحدى عشرة ، التحريم اثنتا عشرة ، ن اثنتان وخمسون ، الإنسان إحدى وثلاثون ، المرسلات خمسون ، التكوير تسع وعشرون ، الانفطار وسبح تسع عشرة ، التّطفيف ست وثلاثون ، البروج اثنتان وعشرون ، الغاشية ستّ وعشرون ، البلد عشرون ، الليل إحدى وعشرون ، ألم نشرح والتين وألهاكم ثمان ، الهمزة تسع ، الفيل والفلق وتبّت خمس ، الكافرون ستّ ، الكوثر والنصر ثلاث .

والقسم الثانى أربع سور : القصص ثمان وثمانون ، عدّ أهل الكوفة « طسم » والباقون بدلها ﴿ أمَّةً مِّن الناس يسْقون ﴾ [(١)] .

العنكبوت تسع وستون ، عدّ أهل الكوفة « الٓمٓ » ، والبصرة بدلها ﴿ مخلصين له الدين ﴾ [(٢)] ، والشام ﴿ وتقطعونَ السبيل ﴾ [(٣)]

الجن ثمان وعشرون ، عدّ المكى ﴿ لن يُجيرَنى من الله أحدٌ ﴾ [(٤)] والباقون بدلها : ﴿ ولنْ أجِدَ مِنْ دُونِه مُلْتَحداً ﴾ .

العصر ثلاث ، عدّ المدنى الأخير : ﴿ وتواصَوْا بالحق ﴾ [(٥)] دون ﴿ والعَصْر ﴾ وعكس الباقون .

والقسم الثالث سبعون سورة :

الفاتحة : الجمهور سبع ، فعدّ الكوفىّ والمكىّ البسلمة دون ﴿ أنعمت عليهم ﴾ وعكس الباقون . وقال الحسن : ثمان ، فعدّهما ، وبعضهم ست فلم يعدّهما ، وآخر تسع فعدّهما و ﴿ إيّاك نعبد ﴾ . ويقوّى الأول ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وابن خُزيمة والحاكم والدّارقطنى وغيرهم عن أمّ سلمَة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ۝ الحمدُ لِله ربِّ العَالَمِينَ ۝ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّين ۝ إيّاك نعبدُ وإيّاكَ نستعينُ ۝ اهدِنَا الصّراط المستقيم ۝ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ ، قطّعها آية آية ، وعَدها عدّ الأعراب ، وعدّ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم﴾ آية ولم يعدّ ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ . وأخرج الدارقطنىّ بسند صحيح عن عبد خير ،

---

(١) سورة القصص ٢٣ .

(٢) سورة العنكبوت ٦٥ .

(٣) سورة العنكبوت ٢٩ .

(٤) سورة الجن ٢٢ .

(٥) سورة العصر ٣ .

قال : سئل عليٌّ عن السَّبْع المثاني ، فقال : ﴿ الحمدُ لله رب العالمين ﴾ ، فقيل له : إنما هي ستّ آيات ، فقال : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ آية .

البقرة : مائتان وثمانون وخمس ، وقيل : ستّ ، وقيل : سبع .

آل عمران : مائتان ، وقيل : إلا آية .

النساء : مائة وسبعون وخمس ، وقيل : ستّ ، وقيل : سبع .

المائدة : مائة وعشرون ، وقيل واثنتان وقيل وثلاث .

الأنعام : مائة وسبعون وخمس ، وقيل : ست ، وقيل : سبْع .

الأعراف : مائتان وخمس ، وقيل : ستّ .

الأنفال : سبعون وخمس ، وقيل : ست وقيل : سبع .

براءة : مائة وثلاثون ، وقيل : إلا آية .

يونس : مائة وعشر ، وقيل : إلا آية .

هود : مائة وإحدى وعشرون ، وقيل : اثنتان ، وقيل : ثلاث .

الرعد : أربعون وثلاث ، وقيل : أربع ، وقيل : سبع .

إبراهيم : إحدى وخمسون ، وقيل : اثنتان ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس.

الإسراء : مائة وعشر ، وقيل : وإحدى عشرة .

الكهف : مائةوخمس ، وقيل : وست ، وقيل : وعشر ، وقيل : وإحدى عشرة .

مريم : تسعون وتسع ، وقيل : ثمان .

طه : مائة وثلاثون واثنتان ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس ، وقيل : وأربعون .

الأنبياء : مائة وإحدى عشرة ، وقيل : واثنتا عشرة .

الحجّ : سبعون وأربع ، وقيل : خمس ، وقيل : ست ، وقيل : ثمان .

قد أفلح : مائة وثمان عشرة ، وقيل : تسع عشرة .

النور : ستون واثنتان ، وقيل : أربع .

الشعراء : مائتان وعشرون وستّ ، وقيل : سبع .

النمل : تسعون واثنتان ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس .

الروم : ستون ، وقيل : إلّا آية .

لقمان : ثلاثون وثلاث ، وقيل : أربع .

السجدة : ثلاثون ، وقيل : إلّا آية .

سبأْ : خمسون وأربع ، وقيل : خمس .

فاطر : أربعون وست ، وقيل : خمس .

يس : ثمانون وثلاث ، وقيل : اثنتان .

الصافات : مائة وثمانون وآية ، وقيل : آيتان .

ص : ثمانون وخمس ، وقيل : ستّ ، وقيل : ثمان .

الزمر : سبعون وآيتان ، وقيل : ثلاث ؛ وقيل : خمس .

غافر : ثمانون وآيتان ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس ، وقيل : ست .

فصِّلت : خمسون واثنتان ، وقيل : ثلاث ، وقيل : أربع .

الشورى : خمسون ، وقيل : ثلاث .

الزُّخرف : ثمانون وتسع ، وقيل : ثمان .

الدخان : خمسون وستّ ، وقيل : سبع ، وقيل : تسع .

الجاثية : ثلاثون وست ، وقيل : سبع .

الأحقاف : ثلاثون وأربع ، وقيل : خمس .

القتال : أربعون ، وقيل : إلا آية ، وقيل : إلاَّ آيتين .

الطور : أربعون وسبع ، وقيل : ثمان ، وقيل : تسع .

النجم : إحدي وستون ، وقيل : اثنتان .

الرحمن : سبعون وسبع ، وقيل : ست ، وقيل : ثمان .

الواقعة : تسعون وتسع ، وقيل : سبع ، وقيل : ست .

الحديد : ثلاثون وثمان ، وقيل : تسع .

قد سمع : اثنتان [وعشرون [1] ، وقيل : إحدى وعشرون .

الطلاق : إحدى ـ وقيل : اثنتا ـ عشرة .

تبارك : ثلاثون ، وقيل : إحدى وثلاثون ، بعدّ ﴿ قالوا بَلَى قدْ جاءنا نذيرٌ ﴾.[2] قال الموصليّ : والصحيح الأول ، قال ابنُ شَنبوذ : ولا يسوغُ لأحدٍ خلافه للأخبار الواردة فى ذلك . أخرج أحمد وأصحاب السنن وحسّنه التِّرمذىّ ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنّ سورةً فى القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها ، حتى غُفر له ، تبارك الذي بيده الملك » . وأخرج الطبرانى بسندٍ صحيح ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سورة فى القرآن ماهى إلا ثلاثون آية ، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة ، وهى سورة تبارك » .

---

(١) اضافة على الأصول .

(٢) سورة الملك ٩ .

الحاقّة : إحدى – وقيل : اثنتان – وخمسون .

المعارج : أربعون وأربع ، وقيل : ثلاث .

نوح : ثلاثون ، وقيل : إلا آية ، وقيل : إلا آيتين .

المزمّل : عشرون ، وقيل : إلا آية ، وقيل : إلا آيتين .

المدثر : خمسون وخمس ، وقيل : ست .

القيامة : أربعون ، وقيل : إلّا آية .

عمّ : أربعون ، وقيل : وآية .

النازعات : أربعون وخمس ، وقيل : ست .

عبس : أربعون ، وقيل : وآية ، وقيل : وآيتان .

الانشقاق : عشرون وثلاث ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس .

الطارق : سبع عشرة ، وقيل : ستّ عشرة .

الفجر : ثلاثون ، وقيل : إلا آية ، وقيل : اثنتان وثلاثون .

الشمس : خمس عشرة ، وقيل : ست عشرة .

اقرأ : عشرون ، وقيل : إلا آية .

القدر : خمس ، وقيل : ستّ .

لم يكن : ثمان ، وقيل : تسع .

الزلزلة : تسع ، وقيل : ثمان .

القارعة : ثمان ، وقيل : عشر ، وقيل : إحدى عشرة .

قريش : أربع ، وقيل : خمس .

أرأيت : سبع ، وقيل : ستّ .

الإخلاص : أربع ؛ وقيل : خمس .

الناس : سبع ، وقيل : ست .

ضوابط

البسملة نزلت مع السورة فى بعض الأحرفِ السبعة ، من قرأ بحرف نزلت فيه عدّها ، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدّها .

وعدّ أهل الكوفة « الٓمٓ » حيث وقع آية ، وكذا الٓمٓصٓ ، وطه ، وكٓهيٓعٓصٓ ، وطسٓمٓ ، ويسٓ ، وحمٓ ، وعدّوا (حمٓ . عٓسٓقٓ) آيتين ؛ ومنْ عداهم لم يعدّ شيئا من ذلك .

وأجمع أهل العدد على أنه لايعدّ الٓر حيث وقع آية ، وكذا الٓمٓر ، وطسٓ ، وص ، وق ، ون . ثم منهم مَنْ علّل بالأثر واتباع المنقول وأنه أمرٌ لاقياس فيه ، ومنهم مَنْ قال : لم يعدّوا ص ، ون ، وق ؛ لأنها على حرف واحد ؛ ولا طسٓ ؛ لأنها خالفت أخويْها بحذف الميم ولأنها تشبه المفرد كقابيل ، ويسٓ وإن كانت بهذا الوزن ، لكن أوّلها ياء فأشبهت الجمع ؛ إذليس لنا مفرد أوّله ياء . ولم يعدّوا الٓر بخلاف الٓمٓ ؛ لأنها أشبه بالفواصل من الٓر ، وكذلك أجمعوا على عدّ ﴿ يأيها المدثر ﴾ آية لمشاكلته الفواصل بعده ، واختلفوا فى ﴿ يأيها المزمّل ﴾ .

قال الموصلىّ : وعدّوا قوله : ﴿ ثُم نَظَرَ ﴾ آية ، وليس فى القرآن أقصر منها ، أما مثلها فعمّ . والفجر ، والضحى .

تذنيب

نظم عليّ بن محمد الفالى أرجوزة فى القرائن والأخوات . ضمّنها السور التى اتفقت فى عدّة الآى كالفاتحة والماعون ، وكالرحمن والأنفال ، وكيوسف والكهف والأنبياء ، وذلك معروف مما تقدم .

فائدة

يترتب على معرفة الآى وعدّها وفواصلها أحكام فقهيّة :

منها : اعتبارها فيمن جهل الفاتحة ، فإنه يجب عليه عدها سبع آيات .

ومنها : اعتبارها فى الخطبة ، فإنه يجب فيها قراءة آية كاملة ، ولا يكفى شطرها إن لم تكن طويلة ، وكذا الطويلة على ما أطلقه الجمهور ، وها هنا بحث ، وهو أن ما اختلف فى كونه آخر آية ، هل تكفى القراءة به فى الخطبة ؟ محلّ نظر ، ولم أر مَنْ ذكره .

ومنها : اعتبارُها فى السُّورة التى تقرأ فى الصلاة ، أو مايقوم مقامها ، ففى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الصّبح بالستّين إلى المائة .

ومنها : اعتبارها فى قراءة قيام الليل ، ففى أحاديث : « مَنْ قرأ بعشر آيات لم يكتب من الغافلين » ، و « مَنْ قرأ بخمسين آية فى ليلة كتب من الحافظين » ، و « مَنْ قرأ بمائة آية كتب من القانتين » ، و « مَنْ قرأ بمائتى آية كتب من الفائزين » ، و « مَنْ قرأ بثلاثمائة آية كتب له قنطار من الأجر » ، و « مَنْ قرأ بخمسمائة وسبعمائة وألف آية ... » أخرجها الدارمى فى مسنده مفرّقة .

ومنها : اعتبارها فى الوقف عليها كما سيأتى .

وقال الهذلىّ فى كامله : اعلم أنّ قومًا جهلوا العدد وما فيه من الفوائد ،

حتى قال الزعفرانيّ : العدد ليس بعلم ، وإنما اشتغل به بعضهم ليروّج به سوقه . قال : وليس كذلك ، ففيه من الفوائد ، معرفة الوقف ، ولأن الإجماع انعقد على أن الصلاة لاتصحّ بنصف آية . وقال جَمْع من العلماء : تجزئ بآية ، وآخرون بثلاث آيات ، وآخرون لابدّ من سبع ، والإعجاز لايقع بدون آية ؛ فللعدد فائدة عظيمة فى ذلك . انتهى .

فائدة ثانية

ذكر الآيات فى الأحاديث والآثار أكثر من أن يُحصى ، كالأحاديث فى الفاتحة ، وأربع آيات من أوّل البقرة ، وآية الكرسى ، والآيتين خاتمة البقرة ، وكحديث اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾[1] و﴿ الٓمٓ ۞ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[2].

وفى البخارى عن ابن عباس : إذا سرّك أن تعلم جهل العرب فاقرأْ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ مُهْتَدِينَ ﴾[3] .

وفى مسند أبى يَعلَى عن المسوَر بن مَخْرمة ، قال : قلت لعبد الرحمن بن عوف يا خال ، أخبرنا عن قصتكم يوم أُحُد ، قال : اقرأْ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا : ﴿ وإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ المؤمنين مقَاعِدَ لِلْقِتَال ﴾[4] .

• • •

---

(١) سورة البقرة ١٦٣ .
(٢) سورة آل عمران ١ ، ٢ .
(٣) سورة الأنعام ١٤٠ .
(٤) سورة آل عمران ١٢١ .

فصل

وعد قوم كلماتِ القرآن سبعة وسبعين ألف كلمة ، وتسعمائة وأربعا وثلاثين كلمة . وقيل : وأربعمائة وسبع وثلاثون ، ومائتان وسبع وسبعون ، وقيل غير ذلك .

قيل : وسبب الاختلاف فى عد الكلمات ، أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم ، واعتبار كلٍّ منها جائز ، وكل من العلماء اعتبر أحد الجوائز .

فصل

وتقدم عن ابن عباس عدُّ حروفه ، وفيه أقوال أُخَر ، والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته ، وقد استوعبه ابن الجوزى فى فنون الأفنان ، وعد الأنصاف والأثلاث إلى الأعشار ، وأوْسع القول فى ذلك ، فراجعه منه ، فإن كتابنا موضوع للمهمات ، لا لمثل هذه البطالات .

وقد قال السخاوي : لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة ، لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد فى كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان ، والقرآن لا يمكن فيه ذلك

ومن الأحاديث فى اعتبار الحروف ما أخرجه الترمذي عن ابن مسعود مرفوعًا : « مَنْ قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول الٓمٓ حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

وأخرج الطَّبَرانى عن عمر بن الخطاب مرفوعًا : « القرآن ألف ألف حرف ، فمن قرأه صابرًا محتسبًا كان له بكل حرف زوجة من الحور العين » . رجاله ثقات إلا شيخ الطبرانى محمد بن عبيد بن آدم

ابن أبي إياس ، تكلَّم فيه الذهبي لهذا الحديث . وقد حُمل ذلك على ما نسخ رسمه من القرآن أيضا ، إذ الموجود الآن لا يبلغ هذا العدد .

فائدة

قال بعض القراء : القرآن العظيم له أنصاف باعتبارات ، فنصفه بالحروف « النون » من ﴿ نُكرًا ﴾ (١) فى الكهف ، و « الكاف » من النصف الثاني .

ونصفه بالكلمات « الدّال » من قوله : ﴿ والجُلُود ﴾ (٢) فى الحج ، وقوله : ﴿ وَلهُم مَّقَامِعُ ﴾ (٣) من النصف الثاني .

ونصفه بالآيات ﴿ يَأْفِكُون ﴾ من سورة الشعراء ، وقوله : ﴿ فَأُلقِيَ السَّحَرَةُ ﴾ (٤) من النصف الثاني .

ونصفه على عداد السور آخر الحديد ، والمجادلة من النصف الثاني ؛

وهو عشرة بالأحزاب . وقيل : إن النِّصف بالحروف « الكاف » من « نكرا » . وقيل : « الفاء » من قوله : ﴿ ولْيَتَلَطَّفْ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الكهف ٧٤ .
(٢) سورة الحج ٢٠ .
(٣) سورة الحج ٢١ .
(٤) سورة الشعراء ٤٥ ، ٤٦ .
(٥) سورة الكهف ١٩ .

النوع العشرون

فى معرفة حفاظه ورواياته

روى البخاريّ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : سمعتُ النبيّ صلى الله عليه وسلَّم يقول : « خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود وسالم ، ومعاذ ، وأُبَى بن كعب » ، أى تعلّموا منهم . والأربعة المذكورون اثنان من المهاجرين وهما المبتدأ بهما ، واثنان من الأنصار . وسالم هو ابن معقل مولَى أبى حذيفة ، ومُعاذ هو ابن جَبَل . قال الكرمانى : يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم أراد الإعلام بما يكون بعده ، أى أنّ هؤلاء الأربعة يبقوْن حتى ينفردوا بذلك .

وتُعقِّب بأنهم لم ينفردوا ، بل الّذين مهروا فى تجويد القرآن بعد العصر النبوىّ أضعاف المذكورين ، وقد قتِل سالم مولى أبى حُذيفة فى وقعة اليمامة ، ومات مُعاذ فى خلافة عمر ، ومات أُبَىّ وابن مسعود فى خلافة عثمان ، وقد تأخَّر زيد بن ثابت ، وانتهت إليه الرياسة فى القراءة وعاش بعدهم زمنا طويلا ، فالظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم فى الوقت الذى صدر فيه ذلك القول ، ولا يلزم من ذلك ألاّ يكون أحد فى ذلك الوقت شاركهم فى حفظ القرآن ، بل كان الّذِين يحفظون مثل الّذِى حفظوه وأزيَد جماعة من الصحابة . وفى الصحيح فى غزوة بئر معونة ، أنّ الذين قُتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القرّاء ، وكانوا سبعين رجلا .

وروَى البخارى أيضا عن قتادة ، قال : سألت أنس بن مالك : مَنْ جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أربعة كلُّهم من الأنصار :

أبيّ بن كعب ، ومُعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ، قلت : مَنْ أبو زيد ؟ قال : أحد عمومتي .

وروى أيضا من طريق ثابت ، عن أنس ، قال : مات النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد ابن ثابت ، وأبوزيد . وفيه مخالفة لحديث قتادة من وجهين : أحدهما التصريح بصيغة الحصر فى الأربعة ، والآخر ذكر أبي الدرداء بدل أُبيّ بن كعب ، وقد استنكر جماعة من الأئمة الحصر فى الأربعة .

وقال المازريّ : لا يلزم من قول أنس : « لم يجمعه غيرهم » أن يكون الواقع فى نفس الأمر كذلك ؛ لأنّ التقدير أنه لا يَعلم أنّ سواهم جمعه ، وإلّا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة ، وتفرّقهم فى البلاد ! وهذا لا يتمّ إلا إن كان لَقِيَ كلّ واحد منهم على انفراده ، وأخبره عن نفسه أنّه لم يكمل له جمع فى عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهذا فى غاية البعد فى العادة ، وإذا كان المرجع إلى ما فى علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك .

قال : وقد تمسّك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسَّك لهم فيه ، فإنّا لا نسلم حملَه على ظاهره ، سلمناه ، ولكن من أين لهم أنّ الواقع فى نفس الأمر كذلك ! سلمناه لكن لا يلزم من كون كل من الجمّ الغفير لم يحفظه كلّه ألا يكون حفظ مجموعه الجمّ الغفير ؛ وليس مِنْ شرط التواتر أن يحفظ كلٌّ فرد جميعَه ، بل إذا حفظ الكلّ ولو على التوزيع كفى .

وقال القرطبيّ : قد قتِل يوم اليمامة سبعون من القراء ، وقتِل فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ببئر معونة مثل هذا العدد . قال : وإنّما خصّ أنس

الأربعة بالذكر لشدّة تعلقه بهم دون غيرهم ، أو لكونهم كانوا فى ذهنه دون غيرهم .

وقال القاضى أبو بكر الباقلانى : الجواب عن حديث أنس من أوجه :

أحدها : أنّه لا مفهوم له ، فلا يلزم ألّا يكون غيرهم جمعه .

الثانى : المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات الّتى نزل بها إلّا أولئك.

الثالث : لم يجمع ما نُسخ منه بعد تلاوته ومالم يُنسخ إلا أولئك .

الرابع : أن المراد بجمعه تلقّيه منْ فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بواسطة ، بخلاف غيرهم ، فيحتمل أن يكون تلقّى بعضَه بالواسطة .

الخامس : أنهم تصدّوا لإلقائه وتعليمه ، فاشتهروا به ، وخفىَ حالُ غيرهم عمن عرف حالهم ، فحصر ذلك فيهم بحسب علمه ، وليس الأمر فى نفس الأمر كذلك .

السادس : المراد بالجمع الكتابة ، فلا ينفى أنْ يكون غيرهم جمعه حفظا عن ظهر قلبه ، وأما هؤلاء فجمعوه كتابةً ، وحفظوه عن ظهر قلب .

السابع : المراد أن أحدًا لم يُفْصِح بأنه جمعه بمعنى أكمل حفظه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلّا أولئك بخلاف غيرهم ، فلم يُفصح بذلك ؛ لأنّ أحدًا منهم لم يكمّله إلا عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت آخر آية ؛ فلعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة ممّن جمع جميع القرآن قبلها ، وإن كان قد حضرها مَنْ لم يجمع غيرها الجمعُ الكثير .

الثامن : أن المراد بجمعه السمع والطاعة له ، والعمل بموجبه ، وقد أخرج

أحمد فى الزّهد من طريق أبى الزاهريّة ، أنّ رجلا أتى أبا الدرداء ، فقال : إن ابنى جمع القرآن ، فقال : اللّهم غفرا ، إنما جمع القرآن مَنْ سمع له وأطاع .

قال ابن حجر : وفى غالب هذه الاحتمالات تكلُّفٌ ، ولا سيما الأخير . قال : وقد ظهر لى احتمالٌ آخر ، وهو أنّ المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوْس فقط ؛ فلا ينفى ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين ، لأنه قال ذلك فى معرض المفاخرة بين الأوس والخزرج ، كما أخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن أبى عَروبة ؛ عن قتادة ، عن أنس ، قال : افتخر الحيّان : الأوس والخزرج ، فقال الأوس : منّا أربعة : مَن اهتزّ له العرش سعد بن معاذ ، ومن عَدلت شهادته رجلين خزيمة بن ثابت ، ومَنْ غسّلته الملائكة حنظلة بن أبى عامر ، ومَنْ حمتْه الدَّبْر عاصم بن أبى ثابت ، فقال الخزرج : منّا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم ، فذكرهم .

قال : والذى يظهر من كثير من الأحاديث أنّ أبا بكر كان يحفظ القرآن فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففى الصّحيح أنه بنى مسجدًا بفناء داره ، فكان يقرأُ فيه القرآن ، وهو محمولٌ على ما كان نزل منه إذ ذاك . قال : وهذا ممّا لا يُرتاب فيه مع شدّة حرص أبى بكر على تلقّى القرآن من النبىّ صلى الله عليه وسلم وفراغ باله له وهما بمكة ، وكثرة ملازمة كلّ منهما للآخر ، حتّى قالت عائشة : إنه صلى الله عليه وسلم كان يأْتيهم بكرة وعشيا . وقد صح حديث : « يؤمّ القوم أقرؤُهم لكتاب الله » ، وقد قدّمه صلى الله عليه وسلم فى مرضه إمامًا للمهاجرين والأنصار ، فدلّ على أنه كان أقرأَهم . انتهى

وسبقه إلى ذلك ابن كثير .

قلت : لكن أخرج ابن أشتة فى المصاحف ، بسند صحيح عن محمد ابن سيرين ، قال : مات أبو بكر ولم يُجمع القرآن ، وقُتِل عمر ولم يُجمع القرآن . قال ابن أشتة : قال بعضهم : يعنى لم يقرأْ جميع القرآن حفظًا ، وقال بعضهم : هو جمع المصاحف .

قال ابن حجر : وقد ورد عن علىّ ، أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبىّ صلى الله عليه وسلم . أخرجه ابن أبى داود .

وأخرج النَّسائى بسند صحيح عن عبد الله بن عمر ، قال : « جمعتُ القرآن ، فقرأت به كلّ ليلة فبلغ النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : اقرأْه فى شهر ... » الحديث .

وأخرج ابن أبى داود بسندٍ حسن عن محمد بن كعب القُرظىّ قال : جَمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسةٌ من الأنصار : معاذ ابن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأُبَىّ بن كعب ، وأبو الدرداء ، وأبو أيّوب الأنصارىّ .

وأخرج البيْهَقىّ فى المدخل ، عن ابن سيرين ، قال : جَمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة ، لا يُختلف فيهم : مُعاذ بن جَبَل ، وأُبَىّ ابن كعب ، وزيد ، وأبو زيد ، واختلفوا فى رجلين من ثلاثة : أبى الدرداء وعثمان . وقيل : عثمان وتميم الدّارىّ .

وأخرج هو وأبو داود ، عن الشعبىّ ، قال : جَمع القرآن فى عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم ستةٌ : أُبَى ، وزيد ، ومُعاذ ، وأبو الدرداء ، وسعد بن عبيد ، وأبو زيد . ومجمِّع بن جارية قد أخذه إلّا سورتين أو ثلاثة .

وقد ذكر أبو عبيد فى كتاب القراءات القرّاء من أصحاب النبىّ صلى الله

عليه وسلم ، فعدَّ من المهاجرين : الخلفاء الأربعة ، وطلحة وسعدًا ، وابن مسعود وحذيفة وسالما وأبا هريرة ، وعبد الله بن السّائب ، والعبادلة وعائشة وحفصة وأُمّ سلمة . ومن الأنصار : عبادة بن الصامت ومُعاذ الذى يكنى أبا حليمة ، ومجمّع بن جارية ،وفضالة بن عبيد ، ومسلمة بن مَخْلَد . وصرّح بأن بعضهم إنما أكمله بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فلا يرد على الحصر المذكور فى حديث أنس . وعدّ ابن أبى داود منهم تميمًا الدارى وَعُقبة بن عامر .

وممّن جمعه أيضا أبو موسى الأشعرىّ ، ذكره أبو عمرو الدانىّ .

تنبيه

أبو زيد المذكور فى حديث أنس ، اختلف فى اسمه ، فقيل : سعد بن عبيد ابن النعمان ، أحد بنى عمرو بن عون ، ورُدَّ بأنه أوسىّ وأنس خزرجىّ . وقد قال إنّه أحد عمومته ، وبأن الشعبىّ عدّه هو وأبو زيد جميعا فيمن جمع القرآن كما تقدم ، فدلّ على أنه غيره .

وقال أبو أحمد العسكرىّ : لم يجمع القرآن من الأوس غير سعد بن عبيد . وقال ابن حبيب فى المحبّر : سعد بن عبيد أحد مَنْ جمع القرآن على عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن حجر : قد ذكر ابن أبى داود فيمن جمع القرآن قيس بن أبى صعصعة ، وهو خزرجىّ يكنى أبا زيد فلعلّه هو . وذكر أيضا سعد بن المنذر ابن أوس بن زهير ، وهو خزرجىّ ، لكن لم أر التّصريح بأنه يكنى أبا زيد .

قال : ثم وجدتُ عند ابن أبى داود ما رفع الإشكال ، فإنّه روي بإسناد على شرط البخارىّ إلى ثمامة عن أنس أنّ أبا زيد الّذى جمع القرآن اسمه قيس

ابن السَّكَن . قال : وكان رجلا منّا من بنى عدىّ بن النجار أحد عمومى ، ومات ولم يدع عَقِبًا ، ونحن ورثناه .

قال ابنُ أبى داود : حدّثنا أنس بن خالد الأنصارىّ ، قال : هو قيس ابن السكن بن زعوراء من بنى عدىّ بن النجار . قال بن أبي داود : مات قريبا من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذهب علمه ، ولم يؤخذ عنه ، وكان عَقَبِيًّا بدريًا . ومن الأقوال فى اسمه : ثابت وأوْس ومُعاذ .

فائدة

ظفرت بامرأة من الصحابيّات جمعت القرآن ، لم يعدّها أحدُ ممّن تكلّم فى ذلك ، فأخرج ابن سعد فى الطبقات : أنبأنا الفضل بن دُكين ، قال : حدّثنا الوليد بن عبدالله بن جَميع ، قال : حدّثتنى جدّتى عن أمّ وَرقة بنت عبد الله ابن الحارث ـ وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم يزورها ، ويسمّيها الشهيدة ، وكانت قد جمعت القرآن ـ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غزا بدرًا قالت له : أتأذن لى فأخرج معك أداوِى جرحاكم وأمرّض مرضاكم ، لعلّ الله يهدِى لى شهادة ؟ قال : إن الله مهدٍ لك شهادة . وكان صلَّى الله عليه وسلم قد أمرها أن تؤمّ أهل دارها ، وكان لها مؤذِّن ، فغمّها غلامٌ لها وجارية كانت دبرتهما ، فقتلاها فى إمارة عمر ، فقال عمر : صدق رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم ، كان يقول : انطلقوا بنا نزور الشهيدة .

• • •

فصل

[في المشتهرين بالإقراء]

المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة سبعة : عثمان ، وعليّ ، وأُبيّ ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدّرداء ، وأبو موسى الأشعرى . كذا ذكرهم الذهبيّ في طبقات القراء . قال : وقد قرأ على أُبيّ جماعةٌ من الصّحابة ، منهم أبو هريرة وابنُ عباس وعبد الله بن السائب ، وأخذ ابنُ عباس عن زيدٍ أيضا ، وأخذ عنهم خلْق من التابعين .

فممّن كان بالمدينة : ابن المسيّب ، وعروة ، وسالم ، وعمر بن عبد العزيز ، وسليمان وعطاء ابنا يسار ، ومُعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارئ ، وعبد الرحمن ابن هُرمز الأعرج ، وابن شهاب الزهريّ ، ومسلم بن جُندَب ، وزيد بن أسلم .

وبمكة : عبيد بن عُمير ، وعطاء بن أبي رباح ، وطاوس ، ومجاهد ، وعِكْرمة ، وابن أبي مُليكة .

وبالكوفة : علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعُبيدة ، وعمرو بن شرحبيل ، والحارث بن قيس ، والرّبيع بن خُثَيم ، وعمرو بن ميمون ، وأبو عبد الرحمن السُّلَميّ ، وزرّ بن حُبيش ، وعبيد بن نُضَيلة ، وسعيد بن جُبير ، والنَّخعيّ والشّعبيّ .

وبالبصرة : أبو العالية ، وأبو رجاء ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمَر ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة .

وبالشام : المغيرة بن أبي شهاب المخزوميّ صاحب عثمان ، وخليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء .

ثم تجرّد قوم ، واعتنوْا بضبط القراءة أتمّ عناية ، حتى صاروا أئِمّةً يُقتَدَى بهم ويُرحَل إليهم ، فكان بالمدينة : أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، ثم شيبة بن نَصَاح ، ثم نافع بن أبي نعيم .

وبمكة : عبد الله بن كَثير ، وحميد بن قيس الأعرج ، ومحمد بن مُحيصن .

وبالكوفة : يحيي بن وثّاب ، وعاصم بن أبي النَّجود ، وسليمان الأعمش ، ثم حمزة ثم الكسائى .

وبالبصرة : عبد الله بن أبي إسحاق ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو ابن العلاء ، وعاصم الجُحْدَرىّ ثم يعقوب الحضْرمىّ .

وبالشام : عبد الله بن عامر ، وعطيّة بن قيس الكلابىّ ، وإسماعيل بن عبد الله ابن المهاجر ، ثمّ يحيي بن الحارث الذمارىّ ، ثمّ شُريح بن يزيد الحضرمىّ .

واشتهر من هؤلاء فى الآفاق الأئمة السبعة :

نافع ، وقد أخذ عن سبعين من التابعين ، منهم أبو جعفر .

وابن كثير ، وأخذ عن عبد الله بن السائب الصحابىّ .

وأبوعمرو ، وأخذ عن التابعين .

وابن عامر ، وأخذ عن أبي الدّرداء ، وأصحاب عثمان .

وعاصم ، وأخذ عن التابعين .

وحمزة ، وأخذعن عاصم والأعمش والسَّبيعىّ ومنصور بن المعتمر وغيره .

والكسائى ، وأخذ عن حمزة وأبي بكر بن عيّاش .

ثم انتشرت القراءات فى الأقطار ، وتفرّقوا أممًا بعد أمم ، واشتهر من رواة كلّ طريق من طرق السبعة راويان :

فعن نافع : قالون وورش ، عنه .

وعن ابن كثير : قَنْبل والبزىّ ، عن أصحابه عنه .

وعن أبي عمرو : الدورى والسّوسىّ ، عن اليزيدىّ ، عنه .

وعن ابن عامر : هشام وابن ذكْوان عن أصحابه ، عنه .

وعن عاصم : أبو بكر بن عيّاش ، وحفص ، عنه .

وعن حمزة : خَلَف وخلّاد ، عن سليم عنه .

وعن الكسائى : الدّوري ، وأبو الحارث .

• • •

ثم لمّا اتسع الخرْق وكاد الباطل يلتبس بالحق ، قام جهابذة الأُمة ، وبالغوا فى الاجتهاد ، وجمعوا الحروف والقراءات . وعزَوْا الوجوه والروايات ، وميّزوا الصحيح والمشهور والشاذّ بأُصولٍ أصّلوها . وأركان فصّلوها .

فأوّل مَنْ صنف فى القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثم أحمد بن جُبير الكوفىّ ، ثم إسماعيل بن إسحاق المالكىّ صاحب قالون . ثم أبوجعفر بن جرير الطبرى ، ثم أبو بكرمحمد بن أحمد بن عمر الداجونى ، ثم أبو بكر بن مجاهد ، ثم قام الناس فى عصره وبعده بالتأليف فى أنواعها ، جامعًا ومفردا ، وموجزا ومسهبا ، وأئمة القراءات لا تحصى .

وقد صنف طبقاتهم حافظ الإسلام أبوعبد الله الذهبي ، ثم حافظ القراءات أبو الخير بن الجزرى .

النوع الحادى والعشرون

ومعرفة العالى والنازل من أسانيده

اعلم أن طلب علوّ الإسناد سنَّة ؛ فإنه قربٌ إلى الله تعالى ؛ وقد قسّمه أهل الحديث إلى خمسة أقسام ورأيتها تأتى هنا :

الأوَّل : القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث العَدد بإسناد نظيف غير ضعيف ؛ وهو أفضل أنواع العلوّ وأجلُّها ؛ وأعلى ما يقع للشيوخ فى هذا الزمان إسنادٌ رجاله أربعة عشر رجلا ؛ وإنما يقع ذلك من قراءة ابن عامر من رواية ابن ذَكْوان ، ثم خمسة عشر ؛ وإنما يقع ذلك من قراءة عاصم من رواية حفْص وقراءة يعقوب من رواية رُوَيْس .

• • •

الثانى من أقسام العلوّ عند المحدّثين : القرب إلى إمام من أئمة الحديث كالأعمش وهُشيم وابن جُريج والأوزاعىّ ومالك ، ونظيره هنا القرب إلى إمام من الأئمة السبعة ، فأعلى ما يقع اليوم للشيوخ بالإسناد المتَّصل بالتلاوة إلى نافع اثنا عشر ، وإلى عامر اثنا عشر .

• • •

الثالث عندالمحدّثين : العلوّ بالنسبة إلى رواية أحد الكتب الستَّة ، بأن يروى حديثًا لو رواه من طريق كتاب من السّتة وقع أنزَل ممّا لورواه من غير طريقها ، ونظيره هنا العلو بالنسبة إلى بعض الكتب المشهورة فى القراءات ؛ كالتيسير والشاطبية . ويقع فى هذا النوع الموافقات ، والإبدال ، والمساواة ، والمصافحات .

فالموافقة : أن تجتمع طريقه مع أحد أصحاب الكتب فى شيخه ، وقد يكون مع علوّ على مالو رواه من طريقه ، وقد لا يكون ، مثاله فى هذا الفنّ قراءة ابن كثير رواية البزّىّ ، طريق ابنُ بنانٍ عن أبى ربيعة عنه ، يرويها ابن الجزرىّ من كتاب المفتاح لأبى منصور محمد بن عبد الملك بن خَيْرون ، ومن كتاب المصباح لأبى الكرم الشهرزورىّ ، وقرأ بها كلٌّ من المذكورين على عبد السيد بن عتاب ، فروايته لها من أحد الطريقين ، تسمّى موافقة للآخر ، باصطلاح أهل الحديث .

والبدل : أن يجتمع معه فى شيخ شيخه فصاعدا ، وقد يكون أيضا بعلوّ وقد لا يكون ، مثاله هنا قراءة أبى عمرو رواية الدورىّ طريق ابن مجاهد ، عن أبى الزّعراء عنه ؛ رواها ابن الجزَرِىّ من كتاب التيسير ، قرأ بها الدّانى على أبى القاسم عبد العزيز بن جعفر البغدادىّ ، وقرأ بها على أبى طاهر عن ابن مجاهد ، ومن المصباح ، قرأ بها أبو الكرم على أبى القاسم يحي بن أحمد السبتى ، وقرأ بها على أبى الحسن الحمّامىّ ، وقرأ على أبى طاهر ؛ فروايته لها من طرق المصباح تسمّى بدلًا للدّانى فى شيخ شيخه .

والمساواة : أن يكون بين الراوي والنّبىّ صلى الله عليه وسلم أو الصحَابى أو مَنْ دُونه إلى شيخ أحدِ أصحاب الكتب ، كما بين أحد أصحاب الكتب والنبىّ صلى الله عليه وسلم أوالصحابى أومَنْ دونه على ما ذكر من العدد .

والمصافحة : أن يكون أكثر عددًا منه بواحد ؛ فكأنه لقىَ صاحب ذلك الكتاب ، وصافحه ، وأخذ عنه ، مثاله قراءة نافع ؛ رواها الشاطبىّ عن أبى عبد الله محمد بن علىّ النّفْرىّ عن أبى عبد الله بن غلام الفرس ، عن سليمان ابن نجاح وغيره ، عن أبى عمر والدانى ، عن أبى الفتح فارس بن أحمد ،

عن عبد الباقى بن الحسن ، عن إبراهيم عن عمر المقرئ ، عن أبى الحسن ابن بويان ، عن أبى بكر بن الأشعث ، عن أبى جعفر الرَّبَعىّ المعروف بأبى] نشيط ، عن قالون ، عن نافع . ورواها ابن الجزرىّ عن أبى بكر الخياط عن أبى محمد البغدادىّ وغيره ، عن الصائغ عن الكمال بن فارس ، عن أبى اليمن الكندى ، عن أبى القاسم هبة الله بن أحمد الحريري ، عن أبى بكر الخياط ، عن الفَرَضى ، عن ابن بُويان . فهذه مساواة لابن الجزرىّ ؛ لأن بينه وبين ابن بويان سبعة ، وهو العدد الذى بين الشاطبىّ وبينه ، وهى لمن أخذ عن ابن الجزرىّ مصافحة للشاطبىّ .

ومما يشبه هذا التقسيم الذى لأهل الحديث ، تقسيم القرّاء أحوال الإسناد ، إلى قراءة ورواية وطريق ووجه ، فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم ، واتفقت عليه الروايات والطرق عنه فهو قراءة ، وإن كان للرواي عنه فرواية ، أو لمن بعده فنازلاً فطريق ، أولا على هذه الصفة مما هو راجع إلى تخيير القارئ فيه ، فوجه .

• • •

الرابع من أقسام العلوّ : تقدّم وفاة الشيخ عن قرينه الذي أخذ عن شيخه ، فالآخذ مثلا عن التاج بن مكتوم أعلَى من الآخذ عن أبى المعالى بن اللَّبّان ، وعن ابن اللَّبّان أعلَى من البرهان الشامىّ ، وإن اشتركوا فى الأخذ عن أبى حيّان ، لتقدم وفاة الأوّل على الثانى ، والثانى على الثالث .

• • •

الخامس : العلوّ بموت الشيخ لا مع التفاتٍ لأمرٍ آخر ، أو شيخ آخر متى يكون . قال بعض المحدّثين : يوصف الإسناد بالعلوّ إذا مضى عليه من موت

الشيخ خمسون سنة . وقال ابن منده : ثلاثون ، فعلى هذا ، الأخذ عن أصحاب ابن الجزرىّ عالٍ من سنة ثلاث وستين وثمانمائة ؛ لأن ابنَ الجزرىّ آخر مَنْ كان سنَّه عاليا ، ومضَى عليه حينئذ من موته ثلاثون سنة .

فهذا ما حرّرته من قواعد الحديث ، وخرّجت عليه قواعد القراءات ، ولم أسبَق إليه ولله الحمد والمنة .

وإذا عرفت العلوّ بأقسامه ، عرفت النزول ، فإنه ضدّه ، وحيث ذم النزول فهو مالم ينجبر بكون رجاله أعلم وأحفظ وأتقن أو أجلّ أوأشهر أوأورع ؛ أما إذا كان كذلك فليس بمذموم ولا مفضول .

النوع الثانى والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والعشرون

معرفة المتواتر والمشهور والآحاد

والشاذ والموضوع والمدرج

اعلم أن القاضىَ جلال الدين البُلقينىّ قال : القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذّ ، فالمتواتر القراءات السبعة المشهورة ، والآحاد قراءات الثلاثة الّتى هى تَمام العشر ، ويلحق بها قراءة الصحابة ، والشاذّ قراءات التّابعين كالأعمش ويحيى بن وثّاب وابن جُبير ونحوهم .

وهذا الكلام فيه نظرٌ يُعرَف ممّا سنذكره ، وأحسنُ مَنْ تكلّم فى هذا النوع إمام القراء فى زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزرىّ ، قال فى أوّل كتابه النشر : كلُّ قراءةٍ وافقت العربيّة ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولواحتمالاً ، وصحَّ مُسنِدها ، فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردُّها ولا يحلُّ إنكارها ، بل هى من الأحرف السبعة الّتِى نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها ؛ سواء كانت عن الأئمة السبعة ، أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختلّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلِق عليها ضعيفة أو شاذّة أو باطلة ، سواء كانت عن السبعة أو عمّن هو أكبر منهم . هذا هو الصّحيح عند أئمة التحقيق من السّلف والخلف ، صرّح بذلك الدانىّ ومكىّ والمهدوىّ وأبو شامة ، وهو مذهب السّلف الذى لايعرف عن أحدٍ منهم خلافه .

قال أبو شامة فى المرشد الوجيز : لا ينبغى أن يُغترّ بكل قراءة تُعْزَى (١)

---

(١) النشر : «تعزى الى واحد» .

إلى أحد السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة ، وأنها انزلت هكذا ، إلا إذا دخلت فى ذلك الضابط ، وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنِّف عن غيره ، ولا يختصّ ذلك بنقلها عنهم ، بل إن نقلت عن غيرهم من القرّاء ، فذلك لا يخرجها عن الصحّة ، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف ، لا علىَ مَن تنسب إليه ؛ فإنَّ القراءة المنسوبة إلى كل قارئٍ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمَع عليه والشاذّ ، غير أنَّ هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عايه فى قراءتهم ، تركن النفس إلى مانقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم .

ثم قال ابنُ الجزريّ : فقولنا فى الضّابط : « ولوبوجه » ، نريد به وجها من وجوه النحو ، سواء كان أفصح أم فصيحًا ، مجمعًا عليْه أم مختَلفًا فيه اختلافًا لا يضرّ مثله ، إذا كانت القراءة ممّا شاع وذاع ، وتلقّاه الأئمة بالإسناد الصحيح ؛ إذ هو الأصل الأعظم ، والركن الأقوم . وكم من قراءةٍ أنكرها بعضُ أهل النَّحو أو كثير منهم ؛ ولم يعتَبر إنكارهم ، كإسكان ﴿ بَارِئْكُم ﴾[(١)] ، و﴿ يأمُرْكم ﴾[(٢)] ، وخفض ﴿ والأرحَامِ ﴾[(٣)] ، ونصب (ليُجْزَى قوما)[(٤)] ، والفصل بين المضافين فى ﴿ قتْلَ أَوْلَادَهِمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾[(٥)] وغير ذلك .

قال الدانيّ : وأئمة القراء لا تعمل فى شىء من حروف القرآن علَى الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية ، بل على الأثبت فى الأثر والأصحّ فى النقل ، وإذا ثبتتِ الرواية لم يردّها قياس عربية ولا فشوّ لغة ؛ لأنّ القراءة سنّة متّبعة ، يلزم قبولها والمصيرُ إليها .

---

(١) انظر سورة البقرة ٥٤ .
(٢) انظر سورة البقرة ٦٧ .
(٣) انظر سورة النساء ١ .
(٤) انظر سورة الجاثية ١٤ قال القرطبى : « بياء مضمومة وفتح الزاى على الفعل المجهول وقوما بالنصب قال الكسائى : معناه ليجزى الجزاء قوما » .
(٥) انظر سورة الأنعام ١٣٧ وانظر القرطبى ٧ : ٩١ .

قلت : أخرج سعيد بن منصور فى سنَنه ، عن زيد بن ثابت ، قال : القراءة سنَّة متَّبعة . قال البيهقى : أراد اتّباع مَنْ قبلنا فى الحروف سنَّة متبعة ، لا يجوز مخالفة المصحف الَّذي هو إمام ، ولا مخالفة القراءات الَّتى هى مشهورة . وإن كان غير ذلك سائغًا فى اللغة أو أظهرَ منها .

ثم قال ابن الجزرىّ : ونعنى بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتًا فى بعضها دون بعض ، كقراءة ابن عامر : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ ﴾[1] فى البقرة بغير واو ، و ﴿ بالزّبر وبالكِتاب ﴾[2] بإثبات الباء فيهما ، فإنَّ ذلك ثابت فى المصحف الشامىّ ، وكقراءة ابن كثير ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحتِها الأَنْهَار ﴾[3] فى آخر براءة ، بزيادة « من » فإنه ثابت فى المصحف المكىّ ، ونحو ذلك ، فإن لم تكن فى شىء من المصاحف العثمانية فشاذٌّ لمخالفتها الرسم المجمَع عليه .

وقولنا : « ولو احتمالا » ، نعنى به ما وافقه ولو تقديرا كـ ﴿ ملك يوم الدين ﴾ ، فإنه كتب فى الجميع بلا ألف ، فقراءة الحذف توافقه تحقيقا ، وقراءة الألف توافقه تقديرًا ، لحذفها فى الخطّ اختصارًا كما كتب : ﴿ مَلِكَ الملك ﴾[4] .

وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقا ، نحو « تعلمون » بالتاء والياء و « يغفر لكم » بالياء والنون ، ونحو ذلك مما يدلّ تجرّده عن النقط والشكل فى حذفه وإثباته على فضلٍ عظيمٍ للصحابة رضى الله عنهم فى علم الهِجاء خاصّة وفهمٍ ثاقب فى تحقيق كلّ علمٍ . وانظر كيف كتبوا « الصراط » بالصاد المبدلة من السين ، وعدلوا عن السين التى هى الأصل لتكون قراءة

(١) انظر سورة البقرة ١١٦ .
(٢) انظر سورة آل عمران ١٨٤ .
(٣) سورة التوبة ١٠٠ .
(٤) سورة آل عمران ٢٦ .

السّين ـ وإن خالفت الرسم من وجه ـ قد أتت على الأصل ، فيعتدلان ، وتكون قراءة الإشمام محتملة ، ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لفات ذلك . وعُدّت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل ؛ ولذلك اختلف في ﴿ بَصْطةً ﴾(١) الأعراف دون ﴿ بسطةً ﴾(٢) البقرة ، لكون حرف البقرة كتب بالسين والأعراف بالصاد ، على أن مخالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعدُّ مخالفا إذا ثبتت القراءة به . ووردت مشهورة مستفاضة ؛ ولذا لم يعدّوا إثبات ياء الزوائد ، وحذف ياء ﴿ فَلا تَسْألْنِي ﴾(٣) في الكهف ، وواو ﴿ وأَكُونَ مِنَ الصالحين ﴾(٤) والظاء من ﴿ بضنين ﴾(٥) ونحوه من مخالفة الرسم المردودة ، فإن الخلاف في ذلك مغتفَر ، إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد ، وتُمشّيه صِحّة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول ، بخلاف زيادة كلمة ونقصانها ، وتقديمها وتأخيرها ، حتى ولو كانت حرفًا واحدًا من حروف المعاني ؛ فإنّ حكمه في حكم الكلمة ، لا تسوغ مخالفة الرّسم فيه ، وهذا هو الحدّ الفاصل في حقيقة اتباع الرّسم ومخالفته .

قال : وقولنا : « وصحّ مسندها » نعني به أن يرويَ تلك القراءة العدلُ الضابط عن مثله ، وهكذا حتى ينتهيَ ؛ وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن ، غيرَ معدودة عندهم من الغَلط ، أوْ مما شذَّ بها بعضُهم .

قال : وقد شرَط بعضُ المتأخّرين التّواتر في هذا الرّكن ، ولم يكتف بصحّة السند ، وزعم أنّ القرآن لا يثبت إلّا بالتّواتر ، وأن ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن .

(١) سورة الأعراف ٦٩ .
(٢) سورة البقرة ٢٣٧ .
(٣) سورة الكهف ٧٠
(٤) سورة المنافقون ١٠ .
(٥) سورة التكوير ٢٤ .

قال : وهذا ممّا لا يخفَى ما فيه ؛ فإنّ التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنيْن الأخيريْن من الرسم وغيره ؛ إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواترًا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم وجب قبوله ، وقُطِع بكونه قرآنًا ، سواء وافق الرسم أم لا . وإذا شرطنا التواتر فى كلّ حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن السبعة . وقد قال أبو شامة : شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخّرين وغيرهم من المقلّدين أنّ السبع كلَّها متواترة ، أى كلّ فردٍ فردٍ فيما روى عنهم .

قالوا : والقطع بأنّها منزّلة من عند الله واجب ، ونحن بهذا نقول ، ولكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق ، واتّفقت عليه الفِرَق من غير نكير له ، فلا أقلّ من اشتراط ذلك إذا لم يتّفق التواتر فى بعضها .

وقال الجعبرىّ : الشرط واحد ، وهو صحّة النقل ، ويلزم الآخران ، فمن أحكم معرفة حال النقَلة وأمعن فى العربية ، وأتقن الرسم ، انحلّت له هذه الشبهة .

وقال مكيّ : ما روى فى القرآن على ثلاثة أقسام :

قسم يُقرَأ به ويكفر جاحده ، وهو ما نقله الثّقات ، ووافق العربية وخطّ المصحف .

وقسم صحّ نقله عن الآحاد ، وصحّ فى العربية ، وخالفَ لفظه الخطّ : فيُقبل ولا يقرأ به لأمرين : مخالفتِه لما أُجمِع عليه ، وأنه لم يؤخذ بإجماع ، بل بخبر الآحاد ولا يثبتُ به قرآن ، ولا يكفر جاحده ، ولبئس ما صنع إذ جحده !

وقسم نقله ثقة ، ولا وجْه له فى العربية ، أو نقله غير ثقة ، فلا يُقبل وإن وافق الخطّ .

وقال ابن الجزرىّ : مثال الأوّل كثير كـ « مالك » و « ملك » ، و « يخدعون » و « يخادعون » ، ومثال الثانى قراءة ابن مسعود وغيره « والذّكرِ والأنثى » ،[(١)] وقراءة ابن عباس : « وكان أمامهم ملكٌ يأخُذُ كلّ سفينة صالحة »[(٢)] ، ونحو ذلك . قال : واختلف العلماء فى القراءة بذلك ، والأكثر على المنع ؛ لأنها لم تتواتر ، وإن ثبتت بالنقل ؛ فهى منسوخة بالعرْضة الأخيرة ، أو بإجماع الصحابة على المصحف العثمانى .

ومثال ما نقله غير ثقة كثيرٌ ممّا فى كتب الشواذّ ، ممّا غالب إسناده ضعيف ؛ وكالقراءة المنسوبة إلى الإمام أبى حنيفة الّتى جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الْخُزاعىّ ، ونقلها عنه أبو القاسم الهذلىّ ، ومنها : « « إنما يخْشَى اللهُ مِنْ عِبادِهِ العلماء »[(٣)] برفع « الله » ونصب « العلماء » ، وقد كتب الدّارقطنى وجماعة بأنّ هذا الكتاب موضوع ، لا أصل له .

ومثال ما نقله ثقة ولا وجَهَ له فى العربية قليل لا يكاد يوجد ، وجعل بعضهم منه رواية خارجة عن نافع « معائش » بالهمز .

قال : وبقَى قسم رابع مردود أيضا ، وهو ما وافق العربيّة والرسم ، ولم ينقل ألبتَّةَ فهذا ردُّه أحقّ ، ومنعه أشدّ ، ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر ، وقد ذُكر جواز ذلك عن أبى بكر بن مِقْسَم ، وعُقد له بسبب ذلك مجلس وأجمعوا على منعه ، ومن ثَمّ امتنعت القراءة بالقياس المطلق الّذِى لا أصل له يُرجع إليه ، ولا ركن يُعتمد فى الأداء عليه .

---

(١) انظر سورة الليل ٣ فى قوله : «وما خلق الذكر والأنثى» .

(٢) انظر سورة الكهف ٧٩ .

(٣) انظر سورة فاطر ٢٨ .

قال : أمّا ما له أصل كذلك ، فإنّه مما يصار إلى قبول القياس عليه كقياس إدغام « قال رجلان » على « قال رب »، ونحوه مما لا يخالف نصًّا ولا أصلا ، ولا يردّ إجماعًا ، مع أنه قليل جدًّا[١] .

• • •

قلت : أتقن الإمام ابن الجزريّ هذا الفصل جدًّا ، وقد تحررّ لى منه أن القراءات أنواع :

الأوّل : المتواتر ، وهو ما نقله جمعٌ لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، عن مثلهم إلى منتهاه ، وغالب القراءات كذلك .

الثانى : المشهور ، وهو ما صحّ سنده ولم يبلغ درجة التّواتر ، ووافق العربيّة والرسم ، واشتهر عند القراء ، فلم يعدّه من الغلط ولا من الشذوذ ، ويُقرأ به على ما ذكر ابن الجزرىّ ويُفهمه كلام ابن شامة السابق . ومثاله ما اختلفت الطرق فى نقله عن السَّبْعة ، فرواه بعضُ الرواة عنهم دون بعضٍ ، وأمثلة ذلك كثيرة فى فرش الحروف من كتب القراءات كالذى قبله ، ومن أشهر ما صُنِّف فى ذلك التيسير للدانى ، وقصيدة الشاطبىّ ، وأوعية النشر فى القراءات العشر . وتقريب النّشر ، كلاهما لابن الجزرىّ .

الثالث : الآحاد ، وهو ما صحّ سنده وخالف الرّسم أو العربية ، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ، ولا يُقرأ به ، وقد عقد التّرمذىُّ فى جامعه ، والحاكم فى مستدركه لذلك بابًا أخرجا فيه شيئا كثيرًا صحيح الإسناد ؛ من ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجُحدرىّ عن أبى بَكْرة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قرأ : « متكئين على رفارف خُضْرٍ وعَبَاقِرِىَّ حسان »[٢] .

---

(١) النشر ١ : ٩ ـ ١٨ مع تصرف واختصار .

(٢) انظر سورة الرحمن ٧٦ . وانظر تفسير القرطبى ١٧ : ١٩١ .

وأخرج من حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قرأ : « فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّاتِ أَعْيُنٍ »[(١)] .

وأخرج عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قرأ : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفَسِكُمْ »[(٢)] بفتح الفاء . وأخرج عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قرأ : « فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ »[(٣)] يعنى بضمّ الراء .

الرابع : الشاذّ ، وهو مالم يصحّ سنده ، وفيه كتب مؤلفه ، من ذلك قراءة « مَلَكَ يومَ الدين » بصيغة الماضى ، ونصب « يوم » ، و « إياك يُعْبَد » ببنائه للمفعول .

الخامس : الموضوع ، كقراءات الخُزاعىّ .

وظهر لى سادس يشبهه من أنواع الحديث المدرَج ؛ وهو ما زيد فى القراءات على وجه التفسير ، كقراءة سعد بن أبى وقاص « وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمّ »[(٤)] أخرجها سعيد بن منصور .

وقراءة ابن عباس . « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فى مواسم الحج »[(٥)] . أخرجها البخارىّ .

وقراءة ابن الزبير : « وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيَسْتَعِينُونَ بالله على ما أصابهم »[(٦)] قال عمر : فما أدرى : أكانت قراءته أم فسّر ؟ أخرجه سعيد بن منصور ، وأخرجه الأنبارى وجزم بأنه تفسير .

(١) سورة الواقعة ٨٩ .
(٢) انظر سورة النساء ١٢ .
(٣) انظر سورة السجدة ١٧ .
(٤) انظر سورة التوبة ١٢٨ .
(٥) انظر سورة البقرة ١٩٨ .
(٦) انظر سورة آل عمران ١٠٤ .

وأخرج عن الحسن أنه كان يقرأ : « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ، الوُرُود الدّخول »[1] . قال ابن الإنباريّ : قوله : « الورود الدخول » ، تفسير من الحسن لمعنى الورود . وغلط فيه بعض الرواة فألحقه بالقرآن .

قال ابن الجزريّ فى آخر كلامه : وربما كانوا يُدخلون التفسير فى القراءة إيضاحًا وبيانا ، لأنهم محققون لما تلقَّوه عن النبى صلَّى الله عليه وسلَّم قرآنا ، فهم آمنون من الالتباس ، وربمَا كان بعضهم يكتبه معه .

وأمامَنْ يقول : إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى ، فقد كذب . انتهى .

وسأُفرد فى هذا النوع – أعنى المدرج – تأليفا مستقلا .

تنبيهات

الأول : لا خلاف أنّ كلّ ما هو من القرآن يجب أن يكون متواترًا فى أصله وأجزائه ، وأمّا فى محله ووضعه وترتيبه فكذلك عند محقِّقى أهل السنَّة ، للقطع بأنّ العادة تقضى بالتواتر فى تفاصيل مثله ؛ لأنّ هذا المعجز العظيم الذى هو أصل الدين القويم والصراط المستقيم ، ممّا تتوفّر الدواعى على نقل جُمَله وتفاصيله ، فما نُقِل آحادًا ولم يتواتر ، يُقطع بأنه ليس من القرآن قطعًا . وذهب كثير من الأُصوليّين إلى أنّ التواتر شرط فى ثبوت ما هو من القرآن بحسب أصله وليس بشرط فى محلّه ووضعه وترتيبه ؛ بل يكثر فيها نقل الآحَاد . قيل : وهو الذى يقتضيه صنع الشافعىّ فى إثبات البسملة من كل سورة .

---

(١) انظر سورة مريم ٧١ .

ورُدَّ هذا المذهب بأنّ الدليل السابق يقتضى التواترَ فى الجميع ، ولأنّه لو لم يشترط لجاز سقوط كثير من القرآن المكرّر وثبوت كثير مما ليس بقرآن ، أمّا الأوّل فلأنّا لو لم نشترط التواتر فى المحل جَاز ألا يتواتر كثير من المتكرّرات الواقعة فى القرآن ، مثل ﴿ فبِأيِّ آلاء ربّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، وأما الثانى فلأنه إذا لم يتواتر بعض القرآن بحسب المحل ، جاز إثبات ذلك البعض فى الموضع بنقل الآحاد .

وقال القاضى أبو بكر فى الانتصار : ذهب قوم من الفقهاء والمتكلّمين إلى إثبات قرآن حكما لا علما بخبر الواحد دون الاستفاضة ، وكره ذلك أهلُ الحقّ وامتنعوا منه .

وقال قوم من المتكلمين : إنّه يسوغ إعمال الرَّأيِ والاجتهاد فى إثبات قراءةٍ وأوجُهٍ وأحرف ، إذا كانت تلك الأوجه صوابا فى العربية ، وإن لم يثبت أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ بها ، وأبى ذلك أهلُ الحقّ ، وأنكروه وخطّئوا من قال به انتهى .

وقد بَنَى المالكيّة وغيرُهم ممن قال بإنكار البسلمة قولَهم على هذا الأصل ، وقرّروه بأنّها لم تتواتر فى أوائل السُّور ، ومالم يتواتر فليس بقرآن .

وأُجيب من قِبَلنا بمنع كونها لم تتوَاتر ، فربّ متواترٍ عند قوم دون آخرين ، وفى وقت دون آخر ، ويكفى فى تواترها إثباتُها فى مصاحف الصّحابة فمن بعدهم بخطّ المصحف ، مع منعهم أن يُكتَب فى المصحف ما ليس منه ، كأسماء السور ، وآمين ، والأعشار ؛ فلو لم تكن قرآنا لَمَا استجازوا إثباتَها بخطِّهِ من غير تمييز ؛ لأنّ ذلك يُحْمَل على اعتقادها ، فيكونون مغرّرين بالمسلمين ، حاملين لهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا . وهذا ممّا لا يجوز اعتقاده فى الصحابة .

فإن قيل : لعلَّها أُثبِتت للفصل بين السُّور ؛ أجيب بأنَّ هذا فيه تغرير ، ولا يجوز ارتكابُه لمجرّد الفصل ؛ ولو كانت له لكُتِبت بين براءة والأنفال .

ويدلُّ لكونها قرآنًا منزلاً ما أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم عن أم سلمة ، أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله ربّ العالمين ﴾ ... الحديث ؛ وفيه : وعدّ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ آية ، ولم يعدّ ﴿ عليهم ﴾ .

وأخرج ابنُ خزيمة والبيهقيّ فى المعرفة بسند صحيح من طريق سعيد ابن جُبير عن ابن عباس ، قال : استرق الشيطان من الناس أعظم آية من القرآن ؛ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وأخرج البيهقيّ فى الشعب وابن مردُويه بسندٍ حسن ، من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : أغفل النَّاس آية من كتاب الله لم تنزل على أحدٍ سوى النبيّ صلى الله عليه وسلّم إلا أن يكون سليمان بن داود ؛ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وأخرج الدارقطنيّ والطبرانيّ فى الأوسط بسند ضعيف عن بُريدة ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « لا أخرج من المسجد حتى أخبرَك بآيةٍ لم تنزل على نبيٍّ بعد سليمان غيرى » . ثم قال : « بأىّ شىء تفتتح القرآن إذا افتتحت الصلاة ؟ » ، قلت : « بسم الله الرحمن الرحيم » قال ، « هي هى » .

وأخرج أبو داود والحاكم والبيهقيّ والبزّار من طريق سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : كان النبيّ صلَى الله عليه وسلّم لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم » . زاد البزّار : « فإذا نزلت عرف أنّ السورة قد ختمت واستقبلت ، أو ابتُدئت سورة أخرى » .

وأخرج الحاكم من وجهٍ آخر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : « كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فإذا نزلتْ علموا أنّ السورة قد انقضت » . إسناده على شرط الشّيخيْن .

وأخرج الحاكم أيضًا من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس ، أنّ النبيّ صلَّى الله عليه وسلم كان إذا جاءه جبريل فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . علم أنّها سورة . إسناده صحيح .

وأخرج البيهقيّ في الشُّعب وغيره عن ابن مسعود ، قال : كنّا لا نعلم فصلاً بين السورتين ، حتى تنزل : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

قال أبو شامة : يحتمل أن يكون ذلك وقت عرضه صلى الله عليه وسلم على جبريل ، كان لا يزال يقرأ في السورة إلى أن يأمره جبريل بالتسمية ، فيعلمُ أنّ السورة قد انقضت . وعبّر صلى الله عليه وسلم بلفظ النزول إشعارًا بأنّها قرآن في جميع أوائل السور . ويحتمل أن يكون المراد أنّ جميع آيات كلّ سورة كانت تنزل قبل نزول البسملة ، فإذا كملت آياتها نزل جبريل بالبسملة واستعرض السُّورة ، فيَعلم النبيّ صلى الله عليه وسلم أنها قد ختمت ، ولا يلحق بها شيء .

وأخرج ابنُ خُزيمة والبيهقيّ بسند صحيح ، عن ابن عباس ، قال : السبع المثاني فاتحة الكتاب ، : قيل : فأين السابعة ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم .

وأخرج الدارقطنيّ بسنَد صحيحٍ ، عن عليّ : أنّه سئل عن السبع المثاني ،

فقال : الحمد لله رب العالمين ، فقيل له : : إنما هى ستّ آيات ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم آية .

وأخرج الدارقطنى وأبو نُعَيم والحاكم فى تاريخه بسندٍ ضعيف عن نافع ، عن ابن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « كان جبريل إذا جاءنى بالوحى أوّل ما يلقى علىّ : بسم الله الرحمن الرحيم » .

وأخرج الواحدىّ من وجهٍ آخر عن نافع عن ابن عمر ، قال : نزلت بسم الله الرحمن الرحيم فى كلّ سورة .

وأخرج البيهقىّ من وجه ثالث ، عن نافع عن ابن عمر ، أنّهُ كان يقرأ فى الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم ، وإذاختم السورة قرأها ، ويقول : ماكتِبت فى المصحف إلّا لتُقرأ .

وأخرج الدارقطنىّ بسند صحيح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قرأتم الحمد ، فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم ، إنّها أم القرآن ، وأمّ الكتاب والسبع المثانى ، وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها » .

وأخرج مسلم عن أنس ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغْفَى إغفاءة ، ثم رفع رأسه متبسّما ، فقال : أنزلت علىّ آنفاسورة ، فقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الْكَوْثَرَ ﴾ ... الحديث .

فهذه الأحاديث تعطى التواتر المعنوىّ بكونها قرآنا منزّلا فى أوائل السُّور .

ومن المشكل على هذا الأصل ما ذكره الإمام فخر الدين ، قال : نُقِل فى بعض الكتب القديمة أن ابنَ مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوّذتين

من القرآن وهو فى غاية الصعوبة ، لأنَّا إن قلنا : إن النَّقل المتواتر كان حاصلاً فى عصر الصحابة بكون ذلك من القرآن ، فإنكاره يوجب الْكُفر ، وإن قلنا : لم يكن حاصلاً فى ذلك الزمان ، فيلزم أنَّ القرآن ليس بمتواتر فى الأصل . قال : وإلَّا غلب على الظنّ أنّ نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل ، وبه يحصل الخلاص عن هذه العقدة . وكذا قال القاضى أبو بكر : لم يصحّ عنه أنها ليست من القرآن ولا حُفظ عنه . إنما حَكَّهَا وأسقطها من مصحفه إنكارا لكتابتها ، لا جَحْدًا لكونها قرآنًا ؛ لأنّه كانت السنّة عنده ألا يُكتب فى المصحف إلا ما أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم بإثباته فيه ، ولم يجده كتب ذلك ولاسمعه أمَرَبه .

وقال النووىّ فى شرح المهذَّب : أجمع المسلمون على أنّ المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وأنّ مَنْ جحد منها شيئا كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح .

وقال ابن حزم فى المحلّى : هذا كذب على ابن مسعود وموضوع ، وإنما صحّ عنه قراءة عاصم عن زِرّعنه ، وفيها المعوّذتان والفاتحة .

وقال ابن حجر فى شرح البخارىّ : قد صحّ عن ابن مسعود إنكار ذلك ، فأخرج أحمد وابن حِبَّان عنه أنّه كان لا يكتب المعوذتين فى مصحفه .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زيادات المسنَد والطبرانىّ وابن مردويه من طريق الأعمش عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد النَّخَعىّ ، قال : كان عبد الله . ابن مسعود يحكّ المعوّذتين من مصاحفه ، ويقول : إنَّهما ليستا من كتاب الله

وأخرج البزار والطبرانىّ من وجه آخر عنه ، أنّه كان يحكّ المعوّذتين من المصحف ويقول : إنّما أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يُتعوّذ بهما ، وكان لا يقرأ بهما . أسانيده صحيحة .

قال البزّار : لم يتابع ابنَ مسعود على ذلك أَحَدٌ من الصحابة ، وقد صحّ أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بهما فى الصلاة .

قال ابنُ حجر : فقول من قال إنه كذب عليه مردود ، والطعن فى الروايات الصحيحة بغير مستَند لا يُقبل ، بل الروايات صحيحة ، والتأويل محتَمل. قال : وقد أوّله القاضى وغيره على إنكار الكتابة كما سبق . قال : وهو تأويل حسن ، إلّا أنّ الرواية الصريحة الّتى ذكرتها تدفع ذلك حيث جاء فيها : « ويقول : إنهما ليستا من كتاب الله » . قال : ويمكن حمل لفظ « كتاب الله » على المصحف فيتم التأويل المذكور. قال : لكن من تأمل سياق الطرق المذكورة ، استبعد هذا الجمع .

قال : وقد أجاب ابن الصّبّاغ ، بأنّه لم يستقرّ عنده القطع بذلك ، ثمَ حصل الاتفاق بعد ذلك ، وحاصله أنّهما كانتا متواترتين ، فى عصره ؛ لكنهما لم يتواترا عنده. انتهى .

وقال ابن قتيبة فى مشكل القرآن : ظنّ ابن مسعود أنّ المعوّذتين ليستا من القرآن لأنه رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم يعوّذبهما الحسَن والحسين ، فأقام على ظنّه ، ولا نقول : إنّه أصاب فى ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار

قال : وأما إسقاطه الفاتحة من مصحفه ، فليس لظنه أنها ليست من القرآن ، معاذ الله ! ولكنّه ذهب إلى أن القرآن إنما كُتب وجمع بين اللوحين مخافَة الشكّ والنسيان والزيادة والنقصان ، ورأى أنّ ذلك مأمون فى سورة الحمد لقصرها ووجوب تعلّمها على كل واحد[1] .

---

(١) مشكل القرآن ص ٣٣ ، ٣٤ مع تصرف فى العبارة واختصار .

قلت : وإسقاطه الفاتحة من مصحفه ، أخرجه أبو عبيد بسند صحيح كما تقدّم فى أوائل النوع التاسع عشر .

التنبيه الثانى

قال الزركشىّ فى البرهان : القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحى المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز ، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى الحروف أو كيفيتها ، من تخفيف وتشديد وغيرهما ، والقراءات السبع متواترة عند الجمهور . وقيل : بل مشهورة .

قال الزركشىّ : والتحقيق أنّها متواترة عن الأئمة السبعة ، أمّا تواترها عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم ففيه نظر ، فإنّ إسنادهم بهذه القراءات السبع موجود فى كتب القراءات ، وهى نقل الواحد عن الواحد .

قلت : فى ذلك نظر لما سيأتى واستثنى أبو شامة ــ كما تقدّم الألفاظ المختلف فيها عن القراء .

واستثنى ابنُ الحاجب ما كان من قبيل الأداء كالمدّ والإمالة وتحقيق الهمزة . وقال غيره : الحقّ أنّ أصلَ المدّ والإمالة متواتر ، ولكن التقدير غير متواتر للاختلاف فى كيفيته . كذا قال الزركشىّ ، قال : وأمّا أنواع تحقيق الهمزة فكلّها متواترة .

وقال ابن الجزرىّ : لا نعلم أحدًا تقدم ابنَ الحاجب إلى ذلك ، وقد نصّ على تواتر ذلك كله أئمة الأُصول كالقاضى أبو بكر وغيره ، وهو الصواب ؛ لأنه إذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر هيئة أدائه ؛ لأنّ اللفظ لا يقوم إلّا به ولا يصحّ إلا بوجوده .

التنبيه الثالث

قال أبو شامة : ظنَّ قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى الَّتى أُريدت فى الحديث ، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبةً ، وإنما يَظنّ ذلك بعض أهل الجهل .

وقال أبو العباس بن عمار : لقد نقل مسبّع هذه السبعة مالا ينبغى له ، وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كلّ من قلّ نظره ، أن هذه القراءات هى المذكورة فى الخبر ؛ وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة . ووقع له أيضا فى اقتصاره عن كلّ إمام على راويين أنَّه صار من سمع قراءة راوٍ ثالث غيرهما أبطلها ، وقد تكون هى أشهر وأصحّ وأظهر . وربّما بالغ من لا يفهم فخطَّأ أو كَفَّر .

وقال أبو بكر بن العربىّ : ليست هذه السبعة متعيّنة للجواز حتى لا يجوز غيرها كقراءة أبى جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم ؛ فإن هؤلاء مثلهم أو فوقهم. وكذا قال غير واحد ؛ منهم مكى وأبو العلاء الهَمَذانىّ وآخرون من أئمة القراء .

وقال أبو حيّان : ليس فى كتاب ابن مجاهد ومَنْ تبعه من القراءات المشهورة إلا النّزر اليسير ، فهذا أبوعمر بن العلاء اشتهرَ عنه سبعة عشر راويًا ثم ساق أسماءهم ، واقتُصر فى كتاب ابن مجاهد على اليزيدىّ ، واشتهر عن اليزيدىّ عشرة أنفس ، فكيف يقتصر على السُّوسىّ والدّورىّ ، وليس لهما مزية على غيرهما ! لأنّ الجميع يشتركون فى الضبط والإتقان والاشتراك فى الأخذ . قال : ولا أعرف لهذا سببا إلا ماقُضِىَ من نقص العلم .

وقال مكىّ : منْ ظنّ أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هى الأحرف

السبعة الّتى فى الحديث فقد غلط غلطًا عظيما . قال : ويلزم من هذا أنّ ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة ممّا ثبت عن الأئمة وغيرهم ، ووافق خط المصحف ، ألّا يكون قرآنا ، وهذا غلط عظيم ؛ فإن الذين صنّفوا القراءات من الأئمة المتقدمين كأبى عُبيد القاسم بن سلّام وأبى حاتم السجستانىّ وأبى جعفر الطبرىّ وإسماعيل القاضى ، قد ذكروا أضعاف هؤلاء ، وكان الناس على رأس المائتين بالبصرة على قراءة أبى عمرو ويعقوب ، وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم ، وبالشام على قراءة ابن عامر ، وبمكّة على قراءة ابن كثير ، وبالمدينة على قراءة نافع ، واستمرّوا على ذلك ، فلمّا كان على رأس الثلاثمائة أثبت ابنُ مجاهد اسمَ الكسائىّ وحذف يعقوب . قال : والسبب فى الاقتصار على السبعة — مع أنّ فى أئمة القراء مَنْ هو أجلُّ منهم قدرًا ومثلهم أكثر من عددهم — أنّ الرواة عن الأئمة كانوا كثيرا جدا ، فلمّا تقاصرت الهمم ، اقتصروا ممّا يوافق خط المصحف على مايسهل حفظه وتنضبط القراءة به ،فنظروا إلى مَن اشتهر بالثّقة والأمانة وطول العمر فى ملازمة القراءة والاتفاق على الأخذ عنه ، فأفردوا من كلّ مصرٍ إمامًا واحدًا ، ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به ، كقراءة يعقوب وأبى جعفروشيبة وغيرهم .

قال :وقد صنف ابن جُبير المكىّ قبل ابن مجاهد كتابا فى القراءات ، فاقتصر على خمسة اختار من كلّ مِصْرٍ إمامًا ؛ وإنما اقتصر على ذلك لأنّ المصاحف الّتى أرسلها عثمان كانت خمسة إلى هذه الأمصار ؛ ويقال : إنه وجّه بسبعة : هذه الخمسة ، ومصحفًا إلى اليمن ، ومصحفا إلى البحرين ، لكن لمّا لم يُسمع لهذين المصحفين خبر ،وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاةَ عدد المصاحف ، استبدلوا من غير البحرين واليمن قارئين كمل بهما العدد ،فصادف ذلك موافقة العدد الّذى ورد الخبرُ بِه ، فوقع ذلك لمن لم يعرف أصل المسألة ؛ ولم تكن له فطنة ،

فظنّ أنّ المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع . والأصل المعتمَد عليه صحّة السند فى السماع ، واستقامة الوجه فى العربيّة وموافقة الرسم . وأصحّ القراءات سندًا نافع وعاصم ، وأفصحها أبو عمرو والكسائى .

وقال القرّاب(١) فى الشافى : التمسك بقراءة سبعة من القرّاء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنّة وإنما هو من جمع بعض المتأخرين ، فانتشر ، وأوهم أنه لا تجوز الزيادة على ذلك ، وذلك لم يقل به أحد .

وقال الكوَاشىّ : كلّ ما صحّ سنده واستقام وجهه فى العربية ، ووافق خطّ المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوصة ، ومتى فُقِد شرط من الثلاثة فهو الشاذّ .

وقد اشتدّ إنكار أئمة هذا الشأن على مَنْ ظنّ انحصار القراءات المشهورة فى مثل ما فى التيسير والشاطبية ، وآخرُ من صرّح بذلك الشيخ تقىّ الدين السبكىّ ، فقال فى شرح المنهاج : قال الأصحاب : تجوز القراءة فى الصّلاة وغيرها بالقراءات السبع ؛ ولا تجوز بالشّاذّة ، وظاهر هذا يُوهم أن غير السبع المشهورة من الشواذّ ، وقد نقل البغوىّ الاتفاق على القراءة بقراءة يعقوب وأبى جعفر مع السبع المشهورة ؛ وهذا القول هو الصواب .

قال : واعلم أنّ الخارج عن السبع المشهورة على قسمين : منه ما يخالف رسم المصحف فهذا لا شك فى أنه لا تجوز قراءته لا فى الصلاة ولا فى غيرها . ومنه مالا يخالف رسم المصحف ، ولم تشتهر القراءة به ؛ وإنّما ورد من طريق غريب لا يعوّل عليها ، وهذا يظهر المنع من القراءة أيضا . ومنه ما اشتهر

(١) هو اسماعيل بن ابراهيم القراب ، وانظر النشر ١ : ٤٦ .

عن أئمة هذا الشأن القراءة به قديماً وحديثاً ، فهذا لا وجه للمنع منه ، ومن ذلك قراءة يعقوب وغيره .

قال : والبغوىّ أَوْلَى مَنْ يُعتمَد عليه فى ذلك ؛ فإنه مقرئ فقيه جامع للعلوم . قال : وهكذا التفصيل فى شواذ السبعة ، فإنّ عنهم شيئاً كثيراً شاذًا . انتهى .

وقال ولده فى منع الموانع : إنما قلنا فى جمع الجوامع : والسبع متواترة ، ثم قلنا فى الشاذ والصحيح : إنه ما وراء العشرة ، ولم نقل : والعشر متواترة ؛ لأنّ السبع لم يختلف فى تواترها ، فذكرنا أوّلاً موضع الإجماع ، ثم عطفنا عليه موضع الخلاف . قال : على أنّ القول بأن القراءات الثلاث غير متواترة فى غاية السقوط ، ولا يصحُّ القول به عمّن يعتبَر قوله فى الدّين ، وهى لا تخالف رسمَ المصحف . قال : وقد سمعتُ أبى يشدِّد النكير على بعض القضاة ، وقد بلغه أنّه منع من القراءة بها ، واستأذنه بعض أصحابنا مرّة فى إقراء السبع ، فقال : أذِنت لك أن تُقرِئ العشر . انتهى .

وقال فى جواب سؤال سأله ابن الجزرىّ : القراءات السبع ، التى اقتصر عليها الشاطبى ، والثلاث التى هى قراءة أبى جعفر ويعقوب وخلَف متواترة معلومة من الدّين بالضرورة ، وكلّ حرف انفرد به واحد من العشرة معلومٌ من الدين بالضرورة أنه منزَّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يكابر فى شىء من ذلك إلّا جاهل .

• • •

التنبيه الرابع

باختلاف القراءات يظهر الاختلاف فى الأحكام ؛ ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة فى ﴿ لَمَسْتُم ﴾ و﴿ لَامَسْتُم ﴾ [1] . وجواز وطء الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على الاختلاف فى ﴿يَطْهُرْنَ﴾[2] وقد حكوا خلافا غريبا فى الآية ، إذا قرئت بقراءتين ، فحكى أبو الليث السمرقندى فى كتاب البستان قولين : أحدهما أنّ الله قال بهما جميعا ، والثانى أنّ الله قال بقراءة واحدة ، إلَّا أنه أذِن أن نقرأ بقراءتين . ثم اختار توسطا ، وهو أنّه إن كان لكلّ قراءة تفسير يغاير الآخر فقد قال بهما جميعًا ، وتصير القراءتان بمنزلة آيتين ، مثل ﴿ حتى يطهرْن ﴾ وإن كان تفسيرهما واحدا كـ﴿ البيُوت ﴾ [3] و (البِيوت) [3] ؛ فإنما قال بإحداهما ، وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة ؛ على ما تعوّد لسانهم .

قال : فإن قيل : إذا قلتم إنه قال بإحداهما ، فأىّ القراءتين هى ؟ قلنا : التى بلغة قريش . انتهى .

وقال بعض المتأخرين : لاختلاف القراءات وتنوعها فوائد :

منها : التهوين والتسهيل والتّخفيف على الأمّة .

ومنها : إظهار فضلها وشرفها على سائر الأمم ، إذ لم ينزل كتابُ غيرهم إلَّا على وجه واحد .

---

(١) سورة النساء ٤٣ ، وانظر تفسير القرطبى ٥ : ٢٢٣ .

(٢) سورة البقرة ٢٢٢ ، وهى قراءة حمزة والكسائى وعاصم ، وقراءة المفضل (يطهرن) بالتشديد .

(٣) سورة البقرة ١٨٩ .

ومنها : إعظام أجرها ، من حيث أنهم يُفرغون جهدهم فى تحقيق ذلك وضبطه لفظةً لفظة ، حتى مقادير المَدّات وتفاوت الإمالات ، ثم فى تتبّع معانى ذلك واستنباط الحِكم والأحكام من دلالة كلّ لفظ ، وإعمالهم الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح .

ومنها : إظهار سرّ الله فى كتابه وصيانته له عن التبديل والاختلاف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة .

ومنها : المبالغة فى إعجازه بإيجازه ؛ إذ تنوّع القراءات بمنزلة الآيات ، ولو جعلت دلالة كل لفظ آيةً على حِدَة ، لم يخْفَ ما كان فيه من التطويل ، ولهذا كان قوله : ﴿ وأرْجُلَكُمْ ﴾ (١) منزَّلاً لغسل الرجل ، والمسح على الخفّ ، واللفظ واحد ، لكن باختلاف إعرابه .

ومنها : أن بعض القراءات يبيّن ما لعله يُجْهَل فى القراءة الأُخري ، فقراءة ﴿ يَطَّهَّرْنَ ﴾ بالتشديد مبيِّنة لمعنى قراءة التخفيف ، وقراءة : ﴿ فامضوا إلى ذكر الله ﴾ (٢) ، تبين أن المراد بقراءة ﴿ فاسْعَوْا ﴾ الذهاب ، لا المشى السريع

وقال أبو عُبيد فى فضائل القرآن : المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها ، كقراءة عائشة وحفصة « والوُسْطَى صلاة العصر » (٣) ، وقراءة ابن مسعود « فَاقطعوا أيْمَانهما » (٤) وقراءة جابر « فَإِنّ الله مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنّ لَهُنّ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (٥) قال : فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسِّرة للقرآن ، وقد كان يُروَى مثل هذا عن التابعين

(١) سورة المائدة ٦ ، بالرفع والنصب والخفض . وانظر تفسير القرطبى ٦ : ٩١ .
(٢) سورة الجمعة ٩ ، وهى قراءة ابن مسعود . (٣) انظر سورة البقرة ٢٣٨ .
(٤) انظر سورة المائدة ٣٨ . (٥) انظر سورة النور ٣٣ .

فى التفسير فيستحسن ، فكيف إذا رُوِى عن كبار الصحابة ثم صار فى نفس القراءة ! فهو أكثر من التفسير وأقوى ؛ فأدنى ما يُستنبط من هذه الحروف معرفة صحّة التأويل . انتهى .

وقد اعتنيت فى كتاب « أسرار التنزيل » ببيان كل قراءة أفادت معنى زائدا على القراءة المشهورة .

• • •

التنبيه الخامس

اختُلف فى العمل بالقراءة الشاذَّة ، فنقل إمام الحرَمين فى البرهان عن ظاهر مذهب الشافعىّ ، أنَّه لا يجوز ، وتبعه أبو نَصْر القشيرى ، وجزم به ابنُ الحاجب ؛ لأنه نقله على أنه قرآن ، ولم يثبت . وذكر القاضيان : أبو الطيب والحسين ، والرّويانىّ والرّافعى العمل بها ، تنزيلا لها منزلة خبر الآحاد ، وصحّحه ابن السبكىّ فى جمع الجوامع وشرح المختصر . وقد احتجّ الأصحاب على قطع يمين السارق بقراءة ابن مسعود ، وعليه أبو حنيفة أيضا . واحتجّ على وجوب التتابع فى صوم كفارة اليمين بقراءته ﴿ متتابعات ﴾[1] ، ولم يحتجّ بها أصحابنا لثبوت نسخها كما سيأتى .

• • •

التنبيه السادس

من المهمّ معرفة توجيه القراءات ؛ وقد اعتنى به الأئمة ، وأفردوا فيه

---

(١) سورة المائدة ٨٩ ، وقراءة الجمهور : ﴿فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم﴾ وزاد ابن مسعود : ﴿ متتابعات ﴾ . وانظر تفسير القرطبى ٦ : ٢٨٣ .

كتبا : منها الحجة لأبى علىّ الفارسىّ ، والكشف لمكىّ ، والهداية للمهدوىّ ، والمحتسب فى توجيه الشواذّ لابن جنى . قال الكواشىّ : فائدته أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه ، أو مرجّحا ؛ إلَّا أنه ينبغى التنبيه على شىء ؛ وهو أنه قد ترجحُ إحدى القراءتين على الأُخرى ترجيحًا يكاد يسقطها ؛ وهذا غير مرضى ؛ لأن كلاًّ منهما متواتر .

وقد حكى أبو عمر الزاهد فى كتاب اليواقيت ، عن ثعلب ، أنه قال : إذا اختلف الإعرابان فى القرآن لم أُفضِّل إعرابًا على إعراب ، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضّلت الأقوى .

وقال أبو جعفر النحاس : السّلامة عند أهل الدين ، إذا صحت القراءتان ألَّا يقال : إحداهما أجود ؛ لأنهما جميعا عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فيأْثَم مَنْ قال ذلك ، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا .

وقال أبو شامة : أكثر المصنّفون من التّرجيح بين قراءة « مالك » و « ملِك » ، حتى إن بعضَهم يبالغ إلى حدٍّ يكاد يسقط وجه القراءة الأُخرى ؛ وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين . انتهى .

وقال بعضهم : توجيه القراءات الشاذّة أقوى فى الصناعة من توجيه المشهورة .

• • •

خاتمة

قال النَّخَعِىّ : كانوا يكرهون أن يقولوا : قراءة عبد الله ؛ وقراءة سالم ؛ وقراءة أُبىّ ، وقراءة زيد ، بل يقال : فلان كان يقرأُ بوجهِ كذا ؛ وفلان كان يقرأُ بوجه كذا . قال النووىّ : والصحيح أن ذلك لا يكرَه .

النوع الثامن والعشرون

فى معرفة الْوقف والابتداء

أفرده بالتصنيف خلائق منهم أبو جعفر النَّحاس ، وابن الأنبارى ، والزجاج ، والدانىّ ، والعُمانى ، والسَّجاوندىّ ، وغيرهم . وهو فنٌّ جليل ، به يعرف كيف أداء القراءة . والأَصلُ فيه ما أخرج النحاس ، قال : حدّثنا محمد بن جعفر الأنبارىّ ، حدثنا هلال بن العلاء عن أبىّ وعبد الله بن جعفر ؛ قالا : حدثنا عبد الله بن عمر الزُّرَقىّ ، عن زيد بن أبى أُنَيسة ، عن القاسم ابن عَوْف البكرىّ ، قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : لقد عشنا برهة من دهرنا ، وإنّ أحدنا ليؤتَى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فنتعلَّم حلالها وحرامها ، وما ينبغى أن يوقَف عنده منها كما تتعلَّمون أنتم القرآن اليوم ، ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتَى أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأُ ما بين فاتحته إلى خاتمته ، ما يدرى ما آمرُه ولا زاجره ، ولا ما ينبغى أن يوقف عنده منه . قال النحاس : فهذا الحديث يدلُّ على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف ، كما يتعلمون القرآن .

وقول ابن عمر : « لقد عشنا برهةً من دهرنا » يدلّ على أن ذلك إجماع من الصحابة . ثابت ، أخرج هذا الأثر البيهقى فى سننه .

وعن علىّ فى قوله تعالى : ﴿ وَرَتِّل القرآنَ تَرتيلاً ﴾ (١) ، قال : الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف .

قال ابنُ الأنبارىّ : من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء فيه .

(١) سورة المزمل ٤ .

وقال النَّكزاويّ [١] : باب الوقف عظيم القَدْر ، جليل الخَطر ؛ لأنَّه لا يتأتَّى لأحدٍ معرفة معانى القرآن ولا استنباط الأدلَّة الشرعية منه إلَّا بمعرفة الفواصِل .

وفى النَّشر لابن الجزَرى : لمّا لم يمكن القارىء أن يقرأ السورة أو القصة فى نفَس واحد ، ولم يجز التنفّس بين كلمتين حالة الوصْل ، بل ذلك كالتنفس فى أثناء الكلمة ، وجب حينئذ اختيارُ وقفٍ للتنفّس والاستراحة ، وتعيّن ارتضاء ابتداء بعده [٢] ، وتحتّم ألَّا يكون ذلك ممّا يحيل المعنى [٣] ، ولا يخلّ بالفهم إذ بذلك يظهر الإعجاز ، ويحصل القصد ؛ ولذلك حضّ الأئمة على تعلُّمه ومعرفته [٤] . وفى كلام علىّ دليل على وجوب ذلك ، وفى كلام ابن عمر برهان على أنّ تعلُّمه إجماع من الصحابة ، وصحّ - بل تواتر - عندنا تعلُّمُه والاعتناء به من السّلف الصالح ، كأبى جعفر يزيد بن القعقاع أحد أعيان التابعين ، وصاحبه الإمام نافع . وأبى عمرو . [٥] ويعقوب [٦] . وعاصم ، [٧] ، وغيرهم من الأئمة ؛ وكلامهم فى ذلك معروف . ونصوصهم عليه مشهورة فى الكتب . ومن ثَمَّ اشترط كثيرمن الخلف على المجيز ألَّا يجيز أحدًا إلا بعد معرفته الوقف والابتداء [٨] ، وصحّ عن الشعبىّ أنّه قال :

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر النكزاوى ، مقرىء من أهل الاسكندرية ، وصاحب كتاب الاقتضاء فى معرفة الوقف والابتداء . توفى سنة ٦٨٣ . طبقات القراء ١ : ٤٥٢ .

(٢) فى النشر : « بعد النفس والاستراحة » . (٣) النشر : « يخل بالمعنى » .

(٤) بعدها فى النشر : « كما قدمنا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قوله : الترتيل معرفة الوقوف وتجويد الحروف . وروينا عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال: لقد عشنا برهة من دهرنا ، وان أحدنا ليؤتى الايمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على النبى صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها ، وما ينبغى أنه يوقف عليه عنده منها » .

(٥) النشر : « وأبى عمرو بن العلاء » . (٦) النشر : « يعقوب الحضرمى » .

(٧) النشر : « عاصم بن أبى النجود » .

(٨) بعدها فى النشر : « وكان أئمتنا يوقفوننا عند كل حرف ، ويشيرون الينا فيه بالأصابع ، سنة أخذوها كذلك عن شيوخهم الأولين » .

إذا قرأت ﴿كلُّ مَنْ عَلَيْهَا فانٍ﴾ فلا تسكت حتى تقرأ : ﴿ وَيَبْقَى وجهُ رَبِّكَ ذُو الجلالِ والإكرام ﴾ (١)

قلت : أخرجه ابن أبي حاتم (٢) .

• • •

فصل

[فى أنواع الوقف]

اصطلح الأئمة على أنّ لأنواع الوقف والابتداء أسماء ، واختلفوا فى ذلك ، فقال ابن الأنباريّ : الوقف على ثلاثة أوجه : تامّ ، وحسَن ، وقبيح .

فالتامّ : الّذى يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، ولا يكون بعده ما يتعلّق به ، كقوله : ﴿ وأولئِكَ هُمُ المُفْلِحُون ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ أمْ لَمْ تنذرْهم لا يُؤْمِنون ﴾ (٤) .

والحسن : هو الذى يحسنُ الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده ، كقوله : ﴿ الحمد لله ﴾ لأن الابتداء بـ ﴿ رب العالمين ﴾ (٥) لا يحسن لكونه صفة لما قبله .

والقبيح : هو الذى ليس بتامّ ولا حسن ، كالوقف على « بسم » من قوله : ﴿ بسم الله ﴾ . قال : ولا يتمّ الوقف على المضاف دون المضاف إليه ، ولا المنعوت دون نعته ، ولا الرافع دون مرفوعه وعكسه ، ولا الناصب دون منصوبه وعكسه ، ولا المؤكّد دون توكيده ، ولا المعطوف دون المعطوف عليه ،

---

(١) سورة الرحمن ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) انظر النشر ١ : ٢٢٤ .
(٣) سورة البقرة ٥ .
(٤) سورة البقرة ٦ .
(٥) سورة الفاتحة ٢ .

ولا البدل دون مبدَله ، ولا إنّ أو كان أو ظنّ وأخواتها دون اسمها ، ولا اسمها دون خبرها ، ولا المستثنى منه دون الاستثناء ، ولا الموصول دون صلته ، اسميًا أو حرفيًا ، ولا الفعل دون مصدره ، ولا الحرفُ دون متعلّقه ، ولا شرط دون جزائه .

• • •

وقال غيره : الوقف ينقسم إلى أربعة أقسام : تامّ مختار ، وكافٍ جائز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك .

فالتامّ : هو الذى لا يتعلّق بشيء ممّا بعده ، فيحسن الوقفُ عليه والابتداء بما بعده ؛ وأكثر ما يوجد عند رءوس الآيِ غالبا ، كقوله : ﴿ وأُولَئِكَ هُمُ المفلِحُون ﴾ (١) .

وقد يوجد فى أثنائها كقوله : ﴿ وَجَعَلُوا أعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ ؛ هنا التام ؛ لأنه انقضى كلام بلقيس ، ثم قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ يفْعَلُونَ ﴾ (٢) .

وكذلك : ﴿ لَقَدْ أَضلَّنِى عن الذِّكْرِ بعْدَ إذْ جَاءَنِى ﴾ (٣) هنا التام ؛ لأنه انقضى كلام الظالم أُبَىّ بن خلَف ، ثم قال تعالى : ﴿ وكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإنْسَانِ خَذُولاً ﴾ .

وقد يوجد بعدها كقوله : ﴿ مُصْبِحِينَ وَباللَّيْلِ ﴾ (٤) هنا التَّمام ؛ لأنه معطوف على المعنى ، أى بالصبح وبالليل (٥) .

ومثله : ﴿ يَتَكِئُونَ ، وزُخْرفًا ﴾ (٦) ، رأس الآية « يتكئون » و « زُخرفا » هو التام ؛ لأنّه معطوفٌ على ما قَبله (٧) .

---

(١) سورة البقرة ٥ .
(٢) سورة النمل ٣٤ .
(٣) سورة الفرقان ٢٩ .
(٤) سورة الصافات ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٥) عبارة البرهان ١ : ٣٥١ : « مصبحين ،راس الآية ، والليل التمام » .
(٦) سورة الزخرف ٣٤ ، ٣٥ .
(٧) بعدها فى البرهان : «من قوله : سقفاً» .

وآخر كلّ قصة وما قبل أولها، وآخر كل سورة [١]، وقبل ياء النداء وفعل الأمر والقَسم ولامه ، دون القول والشرط مالم يتقدّمْ جوابه ، و « كانَ اللهُ » ، و « ما كان » ، و « ذلك » ، و « لولا » ، غالبهنّ تامّ ما لم يتقدمهنّ قَسَمٌ أو قول أو ما فى معناه [٢] .

والكافى منقطع فى اللفظ متعلّق فى المعنى ، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بَعده أيضا ، نحو ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيكُمْ أمهاتكم ﴾ [٣] هنا الوقف ، ويبتدأ بما بعد ذلك ، وهكذا كل رأس آية بعدها « لام كى » و « إلا » بمعنى « لكن » و « إن » الشديدة المكسورة ، والاستفهام ، و « بل » ، و « ألا » المخففة ، و « السين » ، و « سوف » ، للتهديد [٤] ، و « نعم » و « بئس » ، و « كيلا » ، ما لم يتقدمهن قول أو قسم .

والحسن : هو الذى يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده ، نحو ﴿ الحمد لِلهِ ربّ العالمين ﴾ [٥] .

والقبيح : هو الذى لا يفهم منه المراد ، كـ (الحمد) ، وأقبح منه الوقف على : ﴿ لَقَدْ كفر الذين قالوا ﴾ ، ويبتدىء : ﴿ إنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ﴾ [٦] لأن المعنى مستحيل بهذا الابتداء ، ومَنْ تعمّده وقصد معناه فقد كفر . ومثله

---

(١) بعدها فى البرهان : « والأحزاب ، والأنصاف ، والأرباع والأثمان ، والأسباع ، والأتساع والأعشار ، والأخماس » .

(٢) البرهان ١ : ٣٥١ .

(٣) سورة النساء ٢٣ .

(٤) البرهان : « على التهدد » .

(٥) البرهان ١ : ٣٥٢ ، وبقية الكلام : « الرحمن الرحيم » ، والوقف عليه حسن ، لأن المراد مفهوم ، والابتداء بقوله : « رب العالمين » و « الرحمن الرحيم » و « مالك يوم الدين » ، لا يحسن لأن ذلك مجرور ، والابتداء بالمجرور قبيح » .

(٦) سورة المائدة ١٧ .

فى الوقف : ﴿ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ والله ﴾ (١) ﴿ فَلَهَا النِّصفُ ولأبَوَيْهِ ﴾ (٢) .

وأقبح من هذا الوقف على المنفىّ دون حرف الإيجاب ، نحو : ﴿ لا إلَه ﴾ .. ﴿ إلا الله ﴾(٣) ﴿ وما أرسلناك ﴾ .. ﴿ إلا مبشرا ونذيرا﴾ (٤) ؛ فان اضطر لأجل التنفس جاز ، ثم يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما بعده ولا حرج . انتهى .

• • •

وقال السَّجاوندىّ : الوقف على خمس مراتب : لازم ، ومطلَق ، وجائز ، ومجوّز لوجه ، ومرخص ضرورة .

١ – فاللازم : مالو وُصل طرفاه غيّر المراد ، نحو قوله :﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِين﴾(٥) يلزم الوقف هنا ؛ إذ لو وصل بقوله : ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ ﴾ (٦) تُوُهِّم أن الجملة صفة لقوله : ﴿ بِمُؤْمِنِين ﴾ ، فانتفى الخداع عنهم ، وتقرّر الإيمان خالصا عن الخداع ، كما تقول : ما هو بمؤمن مخادع . و(٧)القصدُ فى الآية إثبات الخداع بعد نفى الإيمان (٧) .

وكما فى قوله : ﴿ لاَ ذَلُول تُثِيرُ الأَرْضَ ﴾ (٨) فإن جملة « تثير » صفة لـ « ذلول » ، داخلة فى حيّز النفى ، أى ليست ذلولاً مثيرة للأرض .

ونحو ﴿ سُبْحَانه أن يَكُونَ له ولدٌ ﴾ (٩) ، فلو وصلها بقوله : ﴿ لَهُ

---

(١) سورة البقرة ٢٥٨ .
(٢) سورة النساء ١١ .
(٣) سورة محمد ١٩ .
(٤) سورة الاسراء ١٠٥ .
(٥) سورة البقرة ٨ .
(٦) سورة البقرة ٩ .
(٧-٧) مابين الرقمين منقول الى هنا للمناسبة .
(٨) سورة البقرة ٧١ .
(٩) سورة النساء ١٧١ .

مَا فِي السَّمَوات وَمَا فِي الأَرْض ﴾ ، لأوهم أنه صفة لولد ، وأن المنفىّ ولد موصوف بأن له ما فى السموات ؛ والمراد نفى الولد مطلقا .

٢ ـ والمطلق ؛ : ما يحسن الابتداء بما بعده ، كالاسم المبتدأ به نحو : ﴿ اللهُ يَجْتَبِي ﴾ [١] .

والفعل المستأنف نحو : ﴿ يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شيئًا ﴾ [٢] ، و ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء ﴾ [٣] ، و ﴿ سَيَجْعَلُ اللهُ بعدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [٤] .

ومفعول المحذوف نحو ﴿ وَعْدَ الله ﴾ [٥] ، ﴿ سنّةَ الله ﴾ [٦] .

والشرط نحو : ﴿ مَن يَشَا اللهُ يُضْلِلْهُ ﴾ [٧] .

والاستفهام : ولو مقدرا نحو : ﴿ أتُرِيدُون أن تَهدُوا ﴾ [٨] ، ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾ [٩] .

والنفى : ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَة ﴾ ، [١٠] ﴿ إن يُرِيدونَ إلاَّ فِرارًا ﴾ [١١] حيث لم يكن كل ذلك مقولا لقول سابق .

٣ ـ والجائز : ما يجوز فيه الوصل والفصل لتجاذب الموجبيْن من من الطرفين ، نحو ﴿ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبلِكَ ﴾ [١٢] ؛ فإن واو العطف تقتضى الوصلَ ، وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم ؛ فإن التقدير : « ويوقنون بالآخرة » .

٤ ـ والمجوّز لوجه نحو :﴿ أولئكَ الَّذِين اشتَرَوُا الحيَاة الدُّنْيا بالآخرَةِ ﴾[١٣]

---

(١) سورة الشورى ١٣ .
(٢) النور ٥٥ .
(٣) سورة البقرة ١٤٢ .
(٤) سورة الطلاق ٧ .
(٥) سورة النساء ١٢٢ .
(٦) سورة الأحزاب ٣٨ .
(٧) سورة الأنعام ٣٩ .
(٨) سورة النساء ٨٨ .
(٩) سورة الأنفال ٦٧ .
(١٠) سورة القصص ٦٨ .
(١١) سورة الأحزاب ١٣ .
(١٢) سورة البقرة ٤ .
(١٣) سورة البقرة ٨٦ .

لأن الفاء فى قوله : ﴿ فلا يُخفَّف عنهم ﴾ [١] تقتضى التسبُّب والجزاء ، وذلك يُوجب الوصل ، وكون نظم الفعل على الاستئناف يجعل للفصل وجها .

٥ ــ والمرخَّص ضرورة : مالا يستغنى ما بعده عمّا قبله ؛ لكنه يرخَّص لانْقطاع النفَس وطول الكلام ، ولا يلزمه الوصل بالعَوْد ؛ لأنَّ ما بعده جملة مفهومة ، كقوله : ﴿ والسَّماء بناءً ﴾ [٢] لأن قوله : ﴿ وأنزَلَ ﴾ [٢] لا يستغنى عن سياق الكلام ؛ فإنَّ فاعله ضمير يعود إلى ما قبله ، غير أن الجملة مفهومة .

وأما مالا يجوز الوقفُ عليه ، فكالشرط دون جزائه ، والمبتدأ دون خبره ، ونحو ذلك .

• • •

وقال غيره : الوقف فى التنزيل على ثمانية أضرب : تامّ ، وشبيه به ، وناقص ، وشبيه به ، وحسن ، وشبيه به ، وقبيح ، وشبيه به .

وقال ابن الجزرىّ : أكثر ما ذكر الناس فى أقسام الوقف غير منضبط ولا منحصر ، وأقرب ما قلته فى ضبطه : إن الوقف ينقسم إلى اختيارىّ واضطرارىّ ؛ لأن الكلام إمّا أن يتمّ أولا ، فإن تَمَّ كان اختياريًّا ، وكونه تامًّا لا يخلو : إما ألّا يكون له تعلُّق بما بعده ألبتَّة ــ أى لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى ــ فهو الوقف المسمى بالتام لتمامه المطلق يوقف عليه ويبتدأ بما بعده ، ثم مثَّله بما تقدم فى التامّ[٣] .

قال : وقد يكون الوقف تامًّا فى تفسير وإعراب وقراءة ، غير تامٍّ على آخر ، نحو : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ ﴾[٤] تامّ ، إن كان ما بعده مستأنفا

(١) سورة البقرة ٨٦ .
(٢–٢) سورة البقرة ٢٢ .
(٣) النشر ١ : ٢٢٥ .
(٤) سورة آل عمران ٧ .

غير تامّ إن كان معطوفا . ونحو فواتح السور ، الوقف عليها تامّ إن أُعرِبت مبتدأ والخبر محذوف أو عكسه ، أى الٓمٓ هذه ، أو هذه الٓمٓ ، أو مفعولا بـ « قُلْ » مقدرا غير تام إن كان ما بعدها هو الخبر .

ونحو ﴿ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [1] تام على قراءة ﴿ واتَّخِذوا ﴾ بكسر الخاء ، كاف على قراءة الفتح . ونحو : (إلى صراط العزيز الحميد) [2] تامّ على قراءة مَنْ رفع الاسم الكريم بعدها ، حسن على قراءة من خفض .

وقد يتفاضل التامّ ، نحو ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [3] كلاهما تامٌ ؛ إلا أن الأوّل أتمّ من الثانى ؛ لاشتراك الثانى فيما بعده فى معنى الخطاب بخلاف الأول [4] .

وهذا هو الذى سمّاه بعضهم شبيها بالتامّ .

ومنه ما يتأكد استحسانه لبيان المعنى المقصود به ، وهو الذى سماه السَّجاوندىّ باللازم ، وإن كان له تعلق ، فلا يخلو إما أن يكون من جهة المعنى فقط ، وهو المسمّى بالكافى للاكتفاء به واستغنائه عمّا بعده ، واستغناء ما بعده عنه ، كقوله : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون ﴾ [5] ، وقوله : ﴿ وما أُنزِل من قَبلِك ﴾ ، [6] وقوله : ﴿ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [7] .

أو يتفاضل فى الكفاية كتفاضل التام نحو ﴿ فى قلوبهم مرض ﴾ كاف ، ﴿ فزادَهم الله مرضا ﴾ أكفى منه ، ﴿ بما كانوا يكذِبون ﴾ [8] أكفى منهما .

وقد يكون الوقف كافيا على تفسيروإعراب وقراءة غير كافٍ على آخر .

---

(١) سورة البقرة ١٢٥ .
(٢) سورة ابراهيم ١ .
(٣) سورة الفاتحة ٤ ، ٥ .
(٤) النشر ١ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .
(٥) سورة البقرة ٣ .
(٦) سورة البقرة ٤ .
(٧) سورة البقرة ٥
(٨) سورة البقرة ١٠ .

نحو قوله : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ ، (١) كافٍ إن جعلت « ما » بعده نافية ، حسن إن فُسّرت موصولة .

﴿ وبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُون ﴾ (٢) كافٍ إن اعرب ما بعده مبتدأ خبره ﴿ عَلَى هُدًى ﴾ (٣) . حسن إن جعل خبر ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ (٤) ، أو خبر ﴿ والذين يؤمنون بما أُنزل ﴾ (٥) .

﴿ ونحن له مُخْلِصُون ﴾ ، (٦) كافٍ على قراءة ﴿ أم تقولون ﴾ (٧) بالخطاب . حسن على قراءة الْغَيْبِ .

﴿ يحاسبكم به الله ﴾ كافٍ على قراءة مَنْ رفع ﴿ فيغفرُ ﴾ و ﴿ يُعذِّبُ ﴾ (٨) ، حسن على قراءة مَنْ جزم .

وإن كان التعلُّق من جهة اللفظ ؛ فهو المسمى بالحسن ؛ لأنه فى نفسه حسن مفيد ، يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده للتعلُّق اللفظىّ إلّا أن يكون رأس آية ، فإنه يجوز فى اختيار أكثر أهل الأداء ؛ لمجيئه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث أمّ سلمة الآتى .

وقد يكون الوقف حسنًا على تقدير ، وكافيًا أو تامًّا على آخر ، نحو ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِين ﴾ (٩) حسن إن جعِل ما بعده نعتا ، كافٍ إن جعل خبر مقدّرٍ ، أو مفعول مقدّر ، على القطع . تامّ إن جعل مبتدأ خبره ﴿ أولئك ﴾ .

وإن لم يتمّ الكلام ؛ كان الوقف عليه اضطراريًّا ، وهو المسمّى بالقبيح ،

---

(١) سورة البقرة ١٠٢ .
(٢) سورة البقرة ٤ .
(٣) سورة البقرة ٥ .
(٤) سورة البقرة ٣ .
(٥) سورة البقرة ٤
(٦) سورة البقرة ١٣٩ .
(٧) سورة البقرة ١٤٠ .
(٨) سورة البقرة ٢٨٤
(٩) سورة البقرة ٢ .

لا يجوز تعمّد الوقف عليه إلّا لضرورة ، من انقطاع نَفَس ونحوه ، لعدم الفائدة أو لفساد المعنى ، نحو ﴿ صراط الَّذين ﴾ (١) .

وقد يكون بعضُه أقبح من بعض ، نحو ﴿ فَلَها النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ ﴾ (٢) ، لإيهامه أنهما مع البنت شركاء فى النِّصف .

وأقبح منه نحو : ﴿ إنَّ الله لا يستحيِى ﴾ (٣) ، ﴿ فَوَيْلٌ لِلمُصَلِّين ﴾(٤) ، ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ ﴾ (٥) .

فهذا حكم الوقف اختياريًّا واضطراريًّا .

وأما الابتداء فلا يكون إلا اختياريًّا ؛ لأنه ليس كالوقف تدعو إليه ضرورة ، فلا يجوز الا بمستقلٍّ بالمعنى موفٍ بالمقصود ، وهو فى أقسامه كأقسام الوقف الأربعة ، وتتفاوت تمامًا وكفاية وحسنا وقبحًا ، بحسب التمام وعدمه ، وفساد المعنى وإحالته ، نحو الوقف على ﴿ ومِنَ الناس ﴾ (٦) ، فإنَّ الابتداء بـ « الناس » قبيح ، و ﴿ آمَنَّا ﴾ تامّ ؛ فلو وقف على ﴿ مَنْ يقول ﴾ كان الابتداء بـ « يقول » أحسن من الابتداء بـ « مَنْ » .

وكذا الوقف على ﴿ ختم الله ﴾ (٧) قبيح ، والابتداء بـ « الله » أقبح وبـ « ختم » كافٍ .

والوقف على ﴿ عُزيرٌ ابن الله ﴾ و ﴿ المسيح ابن الله ﴾ (٨) قبيح ، والابتداء بابن أقبح ، وبعزير والمسيح أشدّ قبحا .

---

(١) سورة الفاتحة ٧ .
(٢) سورة النساء ١١ .
(٣) سورة البقرة ٢٦ .
(٤) سورة الماعون ٤ .
(٥) سورة النساء ٤٣ .
(٦) سورة البقرة ٨ .
(٧) سورة البقرة ٧ .
(٨) سورة التوبة ٣٠ .

ولو وقف على ﴿ ما وَعَدَنَا اللهُ ﴾ (١) ضرورة . كان الابتداء بالجلالة قبيحا ، وبـ « وعدنا » أقبح منه وبـ « ما » أقبح منهما .

وقد يكون الوقف حسنا والابتداء به قبيحًا ، نحو : ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسولَ وإيَّاكُمْ ﴾ (٢) الوقف عليه حسن ، والابتداء به قبيح ؛ لفساد المعنى ، إذْ يصير تحذيرا من الايمان بالله .

وقد يكون الوقف قبيحا والابتداء جيِّدا ، نحو ﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِن مَرْقَدِنا هذا ﴾ (٣) ، الوقف على « هذا » قبيح لفصله بين المبتدأ وخبره ؛ ولأنه يوهم أن الإشارة إلى المرقد ، والابتداء بهذا كافٍ أو تامّ لاستئنافه .

• • •

تنبيهات

الأوّل : قولهم : لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف اليه ولا كذا .
قال ابن الجزريّ : إنَّما يريدون به الجواز الأدائي ؛ وهو الذى يحسن في القراءة ويروق في التلاوة ، ولا يريدون بذلك أنَّه حرام ولا مكروه ؛ اللَّهُمَّ إلا أن يُقصد بذلك تحريف القرآن وخلاف المعنى الذى أراده الله ، فإنه يكفر فضلاً عن أن يأثم (٤) .

• • •

الثانى : قال ابن الجزريّ أيضا : ليس كلّما يتعسّفه بعض المعربين ، أو يتكلّفه بعض القراء ، أو يتأوله بعض أهل الأهواء ممّا يقتضى وقفًا أو ابتداء ينبغي أن يُتعمّد الوقفُ عليه ، بل ينبغى تحرّي المعنى الأتمّ ، والوقف الأوجه ؛

---

(١) سورة الأحزاب ١٢ .
(٢) سورة الممتحنة ١ .
(٣) سورة يس ٥٢ .
(٤) النشر ١ : ٢٣ مع اختصار وتصرف .

وذلك نحو الوقف على : ﴿ وَارْحَمْنَا أَنْتَ ﴾ والابتداء ﴿ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا ﴾[(١)] على معنى النداء .

ونحو ﴿ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ ﴾ ، ويبتدىء ﴿ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا ﴾ [(٢)] .

ونحو ﴿ يا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ ﴾ [(٣)] ، ويبتدىء ﴿ بالله إِنَّ الشِّرك ﴾ ، على معنى القسم .

ونحو ﴿ وما تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاء ﴾ ويبتدىء ﴿ اللهُ رَبُّ الْعَالِمِين ﴾ [(٤)] .

ونحو ﴿ فَلَا جُنَاحَ ﴾ ، ويبتدىء ﴿ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بهما ﴾ [(٥)] .

فكلّه تعسف وتمحل وتحريف للكلم عن مواضعه [(٦)] .

الثالث : يغتَفر فى طول الفواصل والقصص والجمل المعترضة ونحو ذلك ، وفى حالة جمع القراءات ، وقراءة التحقيق والتنزيل ما لا يُغْتَفَرُ فى غيرها ، فربّما أُجيز الوقف والابتداء لبعض ما ذكر ، ولو كان لغير ذلك لمْ يُبَحْ ، وهذا الذى سماه السّجاوندىّ : المرخّص ضرورة ، ومثّله بقوله : ﴿والسَّماءَبِنَاءً﴾ [(٧)] .

قال ابن الجزرىّ : والأحسن تمثيله بنحو : ﴿ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [(٨)] وبنحو ؛ : ﴿ والنبيِّين ﴾[(٩)] ، وبنحو : ﴿ وأَقَامَ الصَّلَاة وءاتى الزَّكَاة ﴾ [(١٠)] ، وبنحو : ﴿عَاهَدُوا ﴾ [(١١)] ، وبنحو كلّ من فواصل ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ .. إلى آخر القصة [(١٢)] .

---

(١) سورة البقرة ٢٨٦ .
(٢) سورة النساء ٦٢ .
(٣) سورة لقمان ١٣ .
(٤) سورة التكوير ٨١ .
(٥) سورة البقرة ١٥٨ .
(٦) النشر ١ : ٢٣١ .
(٧) سورة البقرة ٢٢ .
(٨) سورة البقرة ١٧٧ .
(٩) سورة البقرة ٦١ .
(١٠) سورة البقرة ١٧٧ .
(١١) سورة البقرة ١٧٧ .
(١٢) النشر ١ : ٢٣٦ .

وقال صاحب المستوفى [١] : النحويون يكرهون الوقف الناقص فى التنزيل مع إمكان التامّ ، فإن طال الكلام ولم يُوجد فيه وقف تام حسن الأخذ بالناقص ، كقوله : ﴿ قُلْ أُوحِيَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا ﴾ إن كسرت بعده إن ، وإن فتحتها فإلى قوله : ﴿ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[٢]

• • •

قال : ويحسّن الوقف الناقص أمور منها : أنْ يكون لضرب من البيان ، كقوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ فإنّ الوقف هنا يبيّن أن ﴿ قَيِّمًا ﴾ [٣] منفصل عنه ، وأنه حالٌ فى نيّة التقديم . وكقوله : ﴿ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾ [٤] ليفصل به بين التحريم النسبى والسببى . ومنها أن يكونَ الكلام مبنيًّا على الوقف ، نحو ﴿ يا ليتَنى لم أُوتَ كتابِيَهْ ٭ ولم أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾ [٥] .

قال ابن الجزرىّ : وكما اغتفر الوقف لما ذكر ، قد لا يغتفر ولا يحسن فيما قصر من الجمل ، وإن لم يكن التعلّق لفظيا ، نحو : ﴿ وَلَقَدْ آتينا موسى الْكِتَاب ... ﴾ [٦] ، ﴿ وآتَيْنَا عِيسى بن مريم البيّنات ﴾ [٦] ؛ لقرب الوقف على ﴿ بالرُّسل ﴾ [٦] وعلى ﴿ القُدُس ﴾ [٦] . وكذا يراعى فى الوقف الازدواج . فيوصَل ما يوقف على نظيره ممايوجدالتام عليهوانقطع تعلُّقه بمابعده لفظا ، وذلك من أجل ازدواجه ، نحو : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ٭ ـ مع ـ وَلَكُم ما كَسَبْتُم ﴾ [٧] .

---

(١) هو جمال الدين أبوسعد على بن مسعود بن محمود بن أحمد بن الحكيم الفرغانى ، وكتاب المستوفى منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ـ ١٧٦١ ـ نحو .

(٢) سورة الجن ١ ـ ١٩ .

(٣) سورة الكهف ١ ، ٢ .

(٤) سورة النساء ٢٣ .

(٥) سورة الحاقة ٢٥ ، ٢٦ .

(٦) سورة البقرة ٨٧ .

(٧) سورة البقرة ١٣٤ .

ونحو : ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فى يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عليه ـ [١] مع ـ وَمَنْ تَأَخَّرَ فلاَ إِثْمَ عليه ﴾، ونحو : ﴿ يُولِجِ اللَّيلَ فى النهار ـ مع ـ ويولج النَّهار فى الليل ﴾ ، [٢] ونَحو : ﴿ مَنْ عَمِلَ صالِحًا فلنفْسِه ـ مع ـ وَمَنْ أَسَاء فعليها ﴾ [٣]

• • •

الرابع : قد يجيزون الوقف على حرف [ويجيز آخرون الوقف [٤]] على آخر ، ويكون بين الوقفين مراقبة على التضادّ ؛ فإذا وقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر ، كمن أجاز الوقف على ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ فإنه لا يجيزه على ﴿ فيه ﴾ ، والَّذى يُجيزه على ﴿ فيه ﴾ لا يجيزه على ﴿ لاريب ﴾ [٥] .

وكالوقف على ﴿ وَلاَ يَأْبَ كاتبٌ أنْ يكتُبَ ﴾ ، فَإن بينه وبين ﴿ كمَا علَّمه الله ﴾ [٦] مراقبة . والوقف على ﴿ وما يعلم تأويلَه إلا الله ﴾ فإنَّ بينه وبين ﴿ والراسخون فى العلم ﴾ [٧] مراقبة .

قال ابن الجزرىّ :وأوّل مَنْ نبّه على المراقبة فى الوقف أبوالفضل الرازىّ ، أخذه من المراقبة فى العروض [٨] .

• • •

الخامس : قال ابن مجاهد : لا يقوم بالتمّام فى الوقف إلا نحوىّ عالم بالقراءات ، عالم بالتفسير والقصص وتخليص بعضها من بعض ، عالم باللغة التى نزل بها القرآن .

---

(١) سورة البقرة ٢٠٣ .
(٢) سورة فاطر ١٣ .
(٣) سورة فصلت ٤٦، وانظر النشر ١ : ٢٣٧ .
(٤) من النشر .
(٥) سورة البقرة ٢ .
(٦) سورة البقرة ٢٨٢ .
(٧) سورة آل عمران ٧ .
(٨) المراقبة فى العروض ، تأتى فى عروض المضارع والمقتضب ، وهو أن يكون الجزء مرة مفاعيل، ومرة مفاعلن وانظر النشر ١ : ٢٣٧ .

وقال غيره : وكذا علم الفقه ، ولهذا مَنْ لم يقبل شهادة القاذف وإن تاب ، يقف عند قوله : ﴿ وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ (١) . وممن صرح بذلك النكزاويّ ، فقال في كتاب الوقف : لابدّ للقارىء من معرفة بعض مذاهب الأئمة المشهورين في الفقه ، لأن ذلك يعين على معرفة الوقف والابتداء ؛ لأن في القرآن مواضع ينبغي الوقفُ على مذهب بعضهم ، ويمتنع على مذهب آخرين .

فأما احتياجه إلى علم النحو وتقديراته ، فلأنّ مَنْ جعل ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُم ابراهيم ﴾ (٢) منصوبا على الإغراء ، وقف على ما قبله ، أو أعمل فيه ما قبله فلا [يقف] (٣)

وأما احتياجه إلى القراءات ؛ فلِما تقدّم مِنْ أنّ الوقف قد يكون تامًّا على قراءة ، غير تامٍّ على أخرى .

وأما احتياجه إلى التفسير ؛ فلأنه إذا وقف على ﴿ فإنها محرّمةٌ عليهم أربعين سنةً (٤) ﴾ كان المعنى : إنها محرّمة عليهم هذه المدة ، وإذا وقف على ﴿ عَلَيْهِم ﴾ كان المعنى إنّها محرّمة عليهِم أبدًا ، وأنّ التيه أربعين ؛ فرجع في هذا إلى التفسير . وقد تقدّم أيضا أنّ الوقف يكون تامًّا على تفسير وإعراب ، غير تامٍّ على تفسير وإعراب آخر .

وأمّا احتياجه إلى المعنى فضرورة ؛ لأنّ معرفة مقاطع الكلام إنمّا تكون بعد معرفة معناه ، كقوله : ﴿ وَلاَ يحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إنّ العِزَّة لله ﴾ (٥) فقوله : ﴿ إنّ العزّةَ ﴾ استئناف ، لا مقولُهمْ ، وقوله : ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إليكما بآياتِنَا ﴾ (٦) ويبتدىء ﴿ أَنْتُمَا ﴾ ، وقال الشيخ عز الدين : الأحسن الوقف على ﴿ إليكمَا ﴾ ؛

---

(١) سورة النور ٤ .
(٢) سورة الحج ٧٨ .
(٣) اضافة على الأصل .
(٤) سورة المائدة ٢٦ .
(٥) سورة يونس ٦٥ .
(٦) سورة القصص ٣٥ .

لأن إضافة الغلبة إلى الآيات أولى من إضافة عدم الوصول إليها ؛ لأن المراد بالآيات العصا وصفاتها ، وقد غلبوا بها السحرة ، ولم تمنع عنهم فرعون .

وكذا الوقف على قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ به ﴾ ويبتدىء ﴿ وَهَمَّ بهَا ﴾ [١] على أن المعنى : « لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها » ؛ فقدّم جواب « لولا » ، ويكون همّه منتفيا ، فعلِم بذلك أن معرفة المعنى أصل فى ذلك كبير .

• • •

السادس : حكى ابنُ برهان النحويّ عن أبى يوسف القاضى صاحب أبى حنيفة ، أنه ذهب إلى أن تقدير الموقوف عليه من القرآن بالتامّ والناقص والحسن والقبيح ، وتسميته بذلك بدعة ، ومعتمِّد الوقوف على نحوه مُبْتَدِع ، قال : لأنَّ القرآن معجز ، وهو كالقِطعة الواحدة ، فكلّه قرآن وبعضه قرآن ، وكلّه تام حسن ، وبعضه تامّ حسن .

السابع : لأئمة القرّاء مذاهب فى الوقف والابتداء ، فنافع كان يراعى محاسنهما [٢] بحسب المعنى ، وابن كَثير وحمزة حيث ينقطع النَّفَس ، واستثنى ابن كثير ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَه إلا الله ﴾ [٣] ، ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ [٤] ، ﴿ إنما يعلِّمه بشر ﴾ [٥] ، فتعمّد الوقف عليها . وعاصم والكسائى حيث تمّ الكلام ، وأبو عمرو يتعمد رءوس الآى ويقول : هو أحبّ إلىّ فقد قال بعضهم : إن الوقف عليه سنة .

---

(١) سورة يوسف ٢٤ .

(٢) كذا فى الأصل وفى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق سنة ١٣٠٧ هـ « تجانسهما » .

(٣) سورة آل عمران ٧ .

(٤) سورة الأنعام ١٠٩ .

(٥) سورة النحل ١٠٣ .

وقال البيهقيّ في الشُّعب وآخرون : الأفضل الوقف على رءوس الآيات ، وإن تعلّقت بما بعدها ، اتباعًا لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنّته .

روى أبو داود وغيرُه عن أمّ سلمة ، أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ قطّع قراءته آية آية ، يقول ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ، ثم يقف ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ، ثم يقف ، ﴿الرحمن الرحيم﴾ ثم يقف .

• • •

الثامن : الوقْف والقطع والسّكت ، عبارات يُطلقها المتقدّمون غالبًا ، مرادا بها الوقف . والمتأخّرون ، فرّقوا فقالوا :

القطع : عبارة عن قطع القراءة رأسًا فهو كالانتهاء فالقارىء به كالمعرض عن القراءة ، والمنتقل إلى حالة أُخرى غيرها ، وهو الذى يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة ، ولا يكون إلّا على رأس آية ، لأنّ رءوس الآى فى نفسها مقاطع أخرج سعيد بن منصور فى سننه ، حدّثنا أبو الأحوص ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، أنه قال : كانوا يكرهون أن يقرءوا بعض الآية ويدَعوا بعضها . إسناده صحيح . وعبد الله بن أبي الهُذيل تابعيّ كبير ، وقوله : « كانوا » ، يدل على أنّ الصحابة كانوا يكرهون ذلك .

والوقف عبارة عن قطع الصّوْت عن الكلمة زمنًا يتنفّس فيه عادة بنيّة استئناف القراءة لا بنيّة الإعراض ، ويكون فى رءوس الآى وأوساطها ، ولا يأتى فى وسط الكلمة ، ولا فيما اتصل رسما .

والسكت :عبارة عن قَطْع الصوت زمناهودون زمن الوقف عادة من غير تنفس . واختلاف ألفاظ الأئمة فى التأدية عنه مما يدلّ على طوله وقصَره ؛ فعن حمزة فى السكت على الساكنِ قبل الهمزة سكتة يسيرة ، وقال الأشنانى ،

قصيرة ، وعن الكسائىّ . سكتة مختلسة من غير إشباع . وقال ابن غلبون : وقفة يسيرة ، وقال مكىّ : وقفة خفيفة . وقال ابن شريح : وُقَيْفة . وعن قتيبة : من غير قطْع نَفَس ، وقال الدانِىّ : سكتة لطيفة من غير قطع .

وقال الجعبرىّ : قطْع الصوت زمنا قليلاأقصرُ من زمن إخراج النَّفس ، لأنه إن طال صار وقفًا فى عبارات أُخَر.

قال ابن الجزَرىّ : والصحيح أنه مقيَّد بالسَّماع والنقل ، ولا يجوز إلا فيما صحت الرواية به ، لمعنًى مقصود بذاته . وقيل : يجوز فى رءوس الآى ، مطلقا حالة الوصل لقصد البيان . وحمل بعضهم الحديث الوارد على ذلك[١]

• • •

ضوابط.

١ ـ كل ما فى القران من « الَّذى » و « الذين » يجوز فيه الوصل بما قبله نعتًا ، والقطع على أنه خبر ، إلا فى سبعة مواضع ، فإنه يتعيَّن الابتداء بها .

﴿ الَّذِينَ آتيناهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونه ﴾[٢] ، فى البقرة .

﴿ الَّذِينَ آتيناهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَه ﴾[٣] فيها ، وفى الأنعام أيضا .

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا ﴾[٤] فى البقرة .

﴿ الَّذِينَ آمنوا وهاجروا ﴾[٥] فى براءة .

﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُون ﴾ فى الفرقان[٦] .

---

(١) النشر ١ : ٢٤٣ .
(٢) سورة البقرة ١٢١ .
(٣) سورة البقرة ١٤٦ وفى الانعام ٢٠ .
(٤) سورة البقرة ٢٧٥ .
(٥) سورة التوبة ٢٠ .
(٦) سورة الفرقان ٣٤ .

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾ [١] فى غافر .

وفى الكشاف فى قوله : ﴿ الَّذِى يُوَسوِس ﴾ [٢] يجوز أن يقف القارىء على الموصوف ويبتدىء بـ « الذى » إنْ حملتَه على القطع ، بخلاف ما إذا جعلتَه صفة .

وقال الرّمّانيّ : الصّفة إن كانت للاختصاص امتنع الوقف على موصوفها دونها ، وإن كانت للمدح جاز ، لأن عاملها فى المدح غير عامل الموصوف [٣]

• • •

٢ – الوقف على المستثنى منه دون المستثنى ، إن كان منقطعًا فيه مذاهب :

الجواز مطلقا ؛ لأنه فى معنى مبتدأ حرف خبره للدّلالة عليه .

والمنع مطلقًا لاحتياجه إلى ما قبله لفظًا ؛ لأنه لم يعهد استعمال « إلّا » وما فى معناها إلّا متصلة بما قبلها ، ومعنى لأن ماقبلها مشعِرٌ ، بتمام الكلام فى المعنى ، إذ قولك : ما فى الدار أحدٌ هو الّذى صحّح « إلا الحمارَ » ، ولوقلت : « إلا الحمار » على انفراده كان خطأ .

والثالث التفصيل ؛ فإن صُرِّح بالخبر جاز ؛ لاستقلال الجملة واستغنائها عمّا قبلها ، وإن لم يصرَّح به فلا ؛ لافتقارِها . قاله ابن الحاجب فى أماليه .

٣ – الوقف على الجملة الندائية جائز ، كما نقله ابن الحاجب عن المحقِّقين ؛ لأنها مستقلة وما بعدها جملة أخرى ، وإن كانت الأُولى تتعلّق بها .

• • •

(١) سورة غافر ٧ . (٢) سورة الناس ٥

(٣) البرهان ١ : ٣٥٨ .

٤ ـ كلّ ما فى القرآن من القول لايجوز الوقف عليه ؛ لأن ما بعده حكايته . قاله الجوينىّ فى تفسيره .

٥ ـ « كلّا » فى القرآن فى ثلاثة وثلاثين موضعا ؛ منها سبعة للردع اتفاقا ، فيوقف عليها ، وذلك :

﴿ عَهْدًا • كلَّا ﴾ فى مريم (١)

﴿ عزًا • كلَّا ﴾ (٢) فى مريم .

﴿ أنْ يَقْتلُونِ • قَالَ كلَّا ﴾ (٣) فى الشعراء .

﴿ إنَّا لمُدْرَكُون • قالَ كلَّا ﴾ (٤) فى الشعراء .

﴿ شُرَكَاء كلَّا ﴾ (٥) فى سبأ .

﴿ أنْ أزِيدَ • كلَّا ﴾ (٦) فى المدثر .

﴿ أيْنَ المفرّ • كلَّا ﴾ (٧) فى القيامة .

والباق منها ما هو بمعنى حقا قطعا ، فلا يوقف عليه . ومنها ما احتمل الأمرين ففيه الوجهان . وقال مكىّ : هى أربعة أقسام : الأوّل ما يحسن الوقف فيه عليها على معنى الرّدع وهو الاختيار ، ويجوز الابتداء بها على معنى «حقا» وذلك أحد عشر موضعا :

اثنان فى مريم ، وفى قد أفلح وسبأ ، واثنان فى المعارج ، واثنان فى المدّثر : ﴿ أنْ أزِيدَ • كلاَّ ﴾ (٨) ، ﴿ مُنَشَّرَةً • كلاَّ ﴾ (٩) ، وفى المطففين ﴿ أسَاطِيرُ

(١) سورة مريم ٧٨ ، ٧٩ .
(٢) سورة مريم ٨١ ، ٨٢ .
(٣) سورة الشعراء ١٤ ، ١٥ .
(٤) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ .
(٥) سورة سبأ ٢٧ .
(٦) سورة المدثر ١٥ ، ١٦ .
(٧) سورة القيامة ١٠ ، ١١ .
(٨) سورة المدثر ١٥ ١٦ .
(٩) سورة المدثر ٥٢ ، ٥٣ .

الأولينَ . كلاَّ ﴾[1] وفى الفَجر ﴿أَهَانَنِ . كلاَّ ﴾[2] وفى الهمزة ﴿ أَخْلَدَهُ . كلاَّ ﴾[3] .

الثانى : ما يحسن الوقف عليها ولا يجوز الابتداء بها وهو موضعان . فى الشعراء : ﴿ أَنْ يَقْتُلُونِ . قال كلاَّ ﴾[4] ، ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُون . قَالَ كلاَّ ﴾[5]

الثالث : مالا يحسن الوقف عليها ولا الابتداء بها ، بل توصل بما قبلها ، وبما بعدها وهو موضعان ، فى عَمَّ والتكاثر : ﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾[6] . ﴿ ثُمَّ كلاَّ سَوْفَ تَعلمون ﴾[7] .

الرابع : مالا يحسن الوقف عليها ، ولكن يُبتدأ بها ، وهو الثمانية عشر الباقية.

* * *

٦ – « بلى » فى القرآن فى اثنين وعشرين موضعا ، وهى ثلاثة أقسام :

الأوّل ؛ : مالا يجوز الوقف عليها إجماعا ؛ لتعلق ما بعدها بما قبلها ، وهو سبعة مواضع :

فى الأنعام : ﴿ بَلَى وَرَبِّنَا ﴾[8]

فى النحل : ﴿ بَلَى وعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾[9] .

فى سبأ : ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾[10] .

---

(١) سورة المطففين ١٣ ، ١٤ .
(٢) سورة الفجر ١٦ ، ١٧ .
(٣) سورة الهمزة ٣ ، ٤ .
(٤) سورة الشعراء ١٤ ، ١٥ .
(٥) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ .
(٦) سورة النبأ ٥ .
(٧) سورة التكاثر ٤ .
(٨) سورة الأنعام ٣٠ .
(٩) سورة النحل ٣٨ .
(١٠) سورة سبأ ٣ .

فى الزمر : ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ ﴾ (١) .

فى الأحقاف : ﴿ بَلَى وَرَبِّنَا ﴾ (٢) .

فى التغابن : ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّى ﴾ (٣) .

فى القيامة : ﴿ بَلَى قَادِرِينَ ﴾ (٤) .

الثانى : ما فيه خلاف ، والاختيار المنع ، وذلك خمسة مواضع :

فى البقرة : ﴿ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ (٥) .

فى الزمر : ﴿ بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ ﴾ (٦) .

فى الزخرف : ﴿ بَلَى وَرُسُلُنَا ﴾ (٧) .

فى الحديد : ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾ (٨) .

فى تبارك : ﴿ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا ﴾ (٩) .

الثالث : ما الاختيار جواز الوقف عليها ، وهو العشرة الباقية .

• • •

٧ - « نعم » فى القرآن فى أربعة مواضع :

فى الأعراف : ﴿ قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ ﴾ (١٠) . والمختار الوقف عليها ؛ لأن ما بعدها غير متعلّق بما قبلها ؛ إذ ليس من قول أهل النار . [والبواق فيها] (١١) .

(١) سورة الزمر ٥٩ .
(٢) سورة الاحقاف ٣٤ .
(٣) سورة التغابن ٧ .
(٤) سورة القيامة ٤ .
(٥) سورة البقرة ٢٦٠ .
(٦) سورة الزمر ٧١ .
(٧) سورة الزخرف ٨٠ .
(٨) سورة الحديد ١٤ .
(٩) سورة الملك ٩ .
(١٠) سورة الأعراف ٤٤ .
(١١) اضافة من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق سنة ١٣٠٧ هـ . وتشير الى قوله تعالى « قالوا نعم وانكم لمن المقربين » . الأعراف ٧ .

وفي الشعراء : ﴿ قَالَ نَعَمْ وإِنَّكُمْ إِذَنْ لَمِنَ المقرَّبين ﴾ [١] .

وفي الصافات : (قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخرون) [٢] . والمختار لا يوقف عليها ؛ لتعلّق ما بعدها بما قبلها ؛ لاتّصاله بالقول .

ضابط

قال ابن الجزري في النَّشر : كلّ ما أجازوا الوقف عليه أجازوا الابتداء بما بعده [٣] .

• • •

فصل في كيفية الوقف على أواخر الكلم

للوقف في كلام العرب أوجهٌ متعدّدة ، والمستعمل منها عند أئمة القراءة تسعة : السّكون ، والرَّوْم ، والإشمام ، والإبدال ، والنقل ، والإدغام ، والحذف ، والإثبات ، والإلحاق .

فأما السكون ، فهو الأصل في الوقف على الكلمة المحرّكة وصلاً ؛ لأن معنى الوقف التَّرك والقطع ؛ ولأنه ضدّ الابتداء ، فكما لايُبتدأ بساكن لايُوقف على متحرّك وهو اختيار كثير من القراء .

وأما الرَّوْم : فهو عند القرّاء عبارة عن النطق ببعض الحركة ، وقال بعضهم تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها . قال ابن الجزريّ : وكلا القولين واحد . ويختص بالمرفوع والمجزوم والمضموم والمكسور . بخلاف المفتوح ؛ لأنّ الفتحة خفيفة ، إذا خرج بعضها خرج سائرها ، فلا تقبل التبعيض .

---

(١) سورة الشعراء ٤٢ ، وفي الأعراف ١١٤ ،وفيها (وانكم لمن المقربين) .

(٢) سورة الصافات ١٨ . (٣) النشر ١ : ٢٣٤ .

وأمّا الإشمام : فهو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت . وقيل : أنْ تجعل شفتيْك على صورتها ، وكلاهما واحد . ويختص بالضمّة ، سواء كانت حركة إعراب أم بناء إذا كانت لازمة ، أمّا العارضة ، وميم الجمع عند من ضمّ ، وهاءِ التأنيث فلا روْم فى ذلك ولا إشمام . وقيّد ابن الجزري هاء التأنيث بما يوقف عليها بالهاء ، بخلاف ما يوقف عليها بالتاء للرسم ثم إنّ الوقف بالرّوْم والإشمام ورد عن أبي عمرو والكوفيين نصًا ،ولم يأْت عن الباقين فيه شيء ، واستحبه أهل الأداء فى قراءتهم أيضا ؛ وفائدته بيان الحركة الّتى تثبت فى الوصل للحرف الموقوف عليه ؛ ليظهر للسامع أو الناظر كيف تلك الحركة الموقوف عليها .

وأما الإبدال : ففى الاسم المنصوب المنوّن ، يوقف عليه بالألف بدلاً من التنوين ، ومثله إذن ، وفى الإسم المفرد المؤنث بالتاء ، يوقف عليه بالهاء بدلا منها . وفيا آخره همزة متطرّفة بعد حركة أو ألف ، فإنّه يوقف عليه عند حمزة بإبدالها حرف مدّ من جنس ما قبلها . ثم إن كان ألفًا جاز حذفها نحو (اقرأْ)[1] و﴿ نبّىء ﴾[2] و ﴿ يبدأ ﴾[3] و﴿ إن امرؤٌ ﴾[4] و﴿ من شاطىء ﴾[5] و﴿ يشاء ﴾[6] و﴿ من السماء ﴾[7] ، و ﴿ من ماء ﴾[8] .

وأمّا النقل : ففيا آخره همزة بعد ساكن ، فإنّه يوقف عليه عند حمزة بنقل حركتها إليه ، فتحرّك بها ثم تحذف هى ، سواء أكان الساكن صحيحا نحو : (دفء) ، (ملء) ، ﴿ ينظر المرء ﴾[9] ﴿ لكل باب منهم جزء ﴾[10] ، ﴿ بين المرء وقلبه ﴾ ، ﴿ بين المرء وزوجه ﴾[11] ، ﴿ يخرج الخبء ﴾[12] ـ ولا ثامن

(١) سورة اقرأ : ١ .
(٢) سورة الحجر : ٤٩ .
(٣) سورة الروم : ١١ .
(٤) سورة النساء : ١٧٦ .
(٥) سورة القصص : ٣٠ .
(٦) سورة التكوير : ٢٩ .
(٧) سورة البقرة : ٢٢ .
(٨) سورة النور : ٤٥ .
(٩) سورة عم : ٤٠ .
(١٠) سورة الحجر : ٤٤ .
(١١) سورة البقرة : ١٠٢ .
(١٢) سورة النمل : ٢٥ .

لها أم ياء أو واوًا أصليّتين ، سواء كانتا حرف مدّ . ، نحو (المسيء) ، ﴿ وجيء ﴾ ، و﴿ يضيء ﴾ ، ﴿ أن تبوء ﴾ ، ﴿ لتنوء ﴾ ، ﴿ وما عملتْ من سوء ﴾[1] . أم لين نحو : (شيء) ، ﴿ قوم سَوْء ﴾[2] ، ﴿ مثل السوْء ﴾[3]

وأما الإدغام : ففيما آخره همز بعد ياء أو واو زائدتين ، فإنّه يوقف عليه عند حمزة أيضا بالإدغام بعد إبدال الهمز من جنس ما قبله ، نحو : (النبيّ) ، و (بريّ) ، و (قروّ) .

وأما الحذف : ففي الياءات الزوائد عند مَن يثبتها وصْلا ، ويحذفها وقفا . وياءات الزوائد - وهي التي لم ترسم - مائة وإحدى وعشرون ، منها خمس وثلاثون في حشو الآي ، والباقي في رءوس الآي . فنافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو جعفر يثبتونها في الوصل دون الوقف ، وابن كَثير ويعقوبُ يثبتان في الحالَيْن ، وابن عامر وعاصم وخَلَف يحذفون في الحالَيْن ، وربّما خرج بعضهم عن أصله في بعضها .

وأما الإثبات : ففي الياءات المحذوفات وصلاً عند من يثبتها وقفًا ، نحو : (هادٍ) و (والٍ) ، و (واقٍ) و (باقٍ) .

وأما الإلحاق : فما يلحق آخر الكِلم من هاءات السكت عند مَنْ يلحقها في (عمّ) ، و (فيم) ، و (بم) ، و (لم) و (ممّ) . والنون المشدّدة من جمع الإناث ، نحو (هنّ) و (مثلهنّ) ، والنون المفتوحة ، نحو (العالمين) ، و (الذين) و (المفلحون) . والمشدّد ، المبنيّ ، نحو ﴿ ألا تعلُوا عليّ ﴾ ، و ﴿ خلقت بيديّ ﴾ و ﴿ مصرخيّ ﴾ ، و ﴿ لديّ ﴾ .

• •

---

(١) سورة آل عمران : ٣٠ .
(٢) سورة الأنبياء : ٧٧ .
(٣) سورة النحل : ٦٠ .

قاعدة

أجمعوا على لزوم اتّباع رسم المصاحف العثمانية فى الوقف إبدالاً وإثباتا ، وحذفا ووصلا وقطعا ، إلا أنّه ورد عنهم اختلاف فى أشياء بأعيانها ، كالوقف بالهاء على ما كتب بالتاء ، وبإلحاق الهاء فيما تقدّم وغيره ، وبإثبات الياء فى مواضع لم تُرْسم بها ، والواو فى ﴿ ويدْعُ الإنسان﴾ ، ﴿ يوم يدعُ الدّاعِ ﴾ ، ﴿ سندعُ الزبانية ﴾ ، و ﴿ يمح الله الباطل ﴾ والألف فى : ﴿ أيُّهَ المؤمنون ﴾ ، ﴿ أيُّهَ الساحر ﴾ ، ﴿ أيُّهَ الثقلان ﴾ .

وتحذف النونْ فى : ﴿ وكأين ﴾ حيث وقع ، فإن أبا عمرو يقف عليه بالياء ويوصل ﴿ أيًّامًا ﴾ فى الإسراء ، و ﴿ مال ﴾ فى النساء ، والكهف والفرقان وسأل . وقطع ، ﴿ ويكأن ﴾ ، ﴿ ويكأنه ﴾ ، و ﴿ ألا يسجدوا ﴾ .

ومن القرّاء من يتّبع الرسم فى الجميع .

النوع التاسع والعشرون

فى بيان الْمَوصول لفظا المفصول معنًى

هو نوع مهمّ جدير أن يفرد بالتصنيف ؛ وهو أصلٌ كبير فى الوقف ؛ ولهذا جعلته عقيبه، وبه يحصل حلّ إشكالات وكشف معضلات كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ منها زَوْجها لِيَسْكُنَ إليهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فيمَا آتاهُمَا فتعالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [١] ، فإنّ الآية فى قصة آدم وحواء كما يُفهمه السياق ؛ وصُرِّح به فى حديث أخرجه أحمد والترمذىّ وحسّنه ، والحاكم وصححه من طريق الحسن عن سَمُرة مرفوعا ، وأخرجه ابن أبى حاتم وغيره بسندٍ صحيح عن ابن عباس ، لكن آخر الآية مشكل ، حيث نسب الإشراك إلى آدم وحواء ، وآدم نبىٌّ مكلّم ، والأنبياء معصومون من الشِّرْك قبل النبوّة وبعدها إجماعا ، وقد جرّ ذلك بعضهم إلى حمل الآية على غير آدم وحواء ، وأنّها فى رجل وزوجتِه كانا من أهل الملل [٢] ، وتعدّى إلى تعليل الحديث والحكْم بنكارته ؛ وما زِلْتُ فى وقفة من ذلك حتى رأيت ابنَ أبى حاتم قال : أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم ؛ حدثنا أحمد بن مفضّل ، حدثنا أسباط ، عن السدىّ فى قوله : ﴿ فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُون ﴾ قال : هذه فصْل من آية آدم خاصة فى آلهة العرب .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن عُيينة ، سمعت صدقة بن عبد الله بن كثير ـ المكىّ ، يحدّث عن السُّدىّ ، قال : هذا من الموصول المفصول ـ.

---

(١) سورة الأعراف ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٢) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق سنة ١٣٠٧ هـ (من أهل الملك) .

وقال ابنُ أبي حاتم : حدّثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا محمدُ بن أبي حمّاد ، حدثنا مهران ، عن سُفيان ، عن السّديّ ، عن أبي مالك ، قال : هذه مفصولة ، إطاعة في الولد ، ﴿ فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُون ﴾ هذه لقوم محمد ؛ فانحلّتْ عنى هذه العقدة ، وانجلت لى هذه المعضلة واتّضح بذلك أن آخر قصة آدم وحواء ﴿ فيما آتَاهُمَا ﴾ ، وأن ما بعده تخلّص إلى قصة العرب ، وإشراكهم الأصنام . ويوضّح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنية ، ولو كانت القصّة واحدة لقال : « عمّا يشركان » كقوله : ﴿ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا فَلَمَّا آتاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتاهُمَا ﴾ [١] ، وكذلك الضمائر فى قوله بعده : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَالاَ يَخْلُقُ شَيْئًا ﴾ [٢] ، وما بعده إلى آخر الآيات . وحُسْن التخلّص والاستطراد من أساليب القرآن .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ ... ﴾ [٣] الآية ، فإنه على تقدير الوصل يكون : « الراسخون يعلمون تأويله » وعلى تقدير الفصل بخلافه . وقد أخرج ابنُ أبي حاتم عن أبي الشعْثاء وأبي نهيك ، قالا : إنكم تصلون هذه الآية وهى مقطوعة . ويؤيد ذلك كون الآية دلت على ذم متّبعي المتشابه ووصفهم بالزيْغ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وإذَا ضَرَبْتُم فِى الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [٤] فإنَّ ظاهر الآية يقتضى أنّ القصر مشروط بالخوف ، وأنّه لا قصْر مع الأَمْن وقد قال به لظاهر الآية جماعة منهم عائشة ، لكن بيّن سببُ النزول أنّ هذا من الموصول [٥] ،

---

(١) سورة الأعراف ١٩٠ . (٢) سورة الأعراف ١٩١ .
(٣) سورة آل عمران ٧ . (٤) سورة النساء ١٠١ .
(٥) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق سنة ١٣٠٧ هـ «من الموصول المفصول» .

فأخرج ابنُ جرير من حديث عليّ ، قال : سأل قوم من بنى النَّجار [١] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسولَ الله ، إنَّا نضرب فى الأرض ، فكيف نصلِّ ؟ فأنزل الله : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُم فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ ثم انقطع الوحىُ ، فلمّا كان بعد ذلك بحوْل ، غزا النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فصلَّى الظهر ، فقال المشركون : لقد أمكنكم محمّد وأصحابُه من ظهورهم ، هلَّا شدّدتم عليهم ! فقال قائل منهم : إن لهم أُخرى مثلها فى أثرها ، فأنزل الله بين الصلاتين : ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ إلى قوله . ﴿ عذابًا مهينًا ﴾ ، فنزلت صلاة الخوف ؛ فتبيّن بهذا الحديث أنّ قوله : ﴿ إن خِفْتُمْ ﴾ شرط فيما بعده ، وهو صلاة الخوف لا فى صلاة القصر ، وقد قال ابن جرير : هذا تأويلٌ فى الآية حسن ؛ لو لم تكن فى الآية « إذَا » [٢]

قال ابن الفرَس [٣] : ويصحّ مع « إذا » على جعل الواو زائدة .

قلت : يعنى ويكون من اعتراض الشرط على الشرط ، وأحسن منه أن تجعل « إذَا » زائدة بناءً على قول مَنْ يجيز زيادتها .

وقال ابن الجوزىّ فى كتابه التفسير : قد تأتى العرب بكلمة إلى جانب كلمة أُخرى كأنّها معها ، وهى غير متصلة بها ، وفى القرآن : ﴿ يُرِيدُ أن يُخرِجَكُم مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ [٤] هذا قول الملا ، فقال فرعون : ﴿ فماذَا تَأْمُرُون ﴾ [٤] .

ومثله : ﴿ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِين ﴾ [٥] . انتهى كلامها ، فقال يوسف : ﴿ ذلك لِيَعْلَم أَنِّى لم أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ [٥] .

---

(١) فى الطبرى : «من النجار» .　　(٢) تفسير الطبرى ٩ : ١٢٧ .

(٣) هو عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجى ، أبو عبد الله المعروف بابن الفرس له كتاب «أحكام القرآن» الأعلام للزركلى ٤ : ٣١٧ .

(٤-٤) سورة الأعراف ١١٠ .

(٥-٥) سورة يوسف ٥١ ، ٥٢ .

ومثله : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إذا دخلوا قرية أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ (١) هذا منتهى قولها ، فقال تعالى : ﴿ وكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ . (١)

ومثله : ﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ (٢) انتهى قول الكفار ، فقالت الملائكة : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ﴾ (٢) . وأخرج ابن أبي حاتم عن قتاده فى هذه الآية ، قال : آيةٌ من كتاب الله : أولها أهل الضلالة وآخرها أهل الهدى ، قالوا : ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ (٢) ، هذا قول أهل النفاق ، وقال أهل الهدى حين بُعثوا من قبورهم : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٢) .

وأخرج عن مجاهد فى قوله : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) قال : وما يدريكم أنهم يؤمنون إذا جاءت ! ثم استقبل بخبر فقال : ﴿ إنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ (٣) .

(١-١) سورة النمل ٣٤ . (٢) سورة يس ٥٢ .

(٣) سورة الأنعام ١٠٩ ، بكسر همزة ان ، وهى قراءة أبى عمرو بن كثير أيضا . وانظر تفسير القرطبى ٧ : ٦٤ .

النوع الثلاثون

في الإمالة والفتح وما بينهما

أفرده بالتّصنيف جماعة من القرّاء منهم ابن القاصح [١] عمل كتابه : قرّة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين .

قال الدانيّ : الفتح والإمالة لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الّذِين نزل القرآن بلغتهم ، فالفتح لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة عامّة أهل نجد من تميم وأسد وقيْس ، قال : والأصل فيها حديث حُذيفة مرفوعا : « اقرءوا القرآن بلحُون العرب وأصوَاتِها ، وإياكم وأصوات أهل الفسْق وأهل الكتابين » ، قال : فالإمالة لاشكّ من الأحرف السبعة ، ومن لحون العرب وأصواتها .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدّثنا وكيع ، حدّثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كانوا يروْن أن الألف والياء في القراءة سواء ، قال : يعني بالألف والياء التفخيم والإمالة .

وأخرج في تاريخ القرّاء من طريق أبي عاصم الضرير الكوفيّ ، عن محمد ابن عبيد الله [٢] ، عن عاصم ، عن زرّ بن حُبيش ، قال : قرأ رجل على عبد الله ابن مسعود « طهَ » ولم يكسر ، فقال عبد الله : « طِهِ » وكسر الطاء والهاء ، فقال الرجل « طَهَ » ولم يكسر ، فقال عبد الله : « طِهِ » وكسر الطاء والهاء ،

---

(١) هو علي بن عثمان بن محمد ، المعروف بابن القاصح ، شارح الشاطبية وكتاب قرة العين وغيرهما من القراءات ، توفي سنة ٨٠١ . الجواهر المضية ١ : ٢٦٦ .

(٢) كذا في الأصول .. في النشر «عبده» وانظر التعليق التالي .

فقال الرجل : « طَهَ » ولم يكسر ، فقال عبد الله : « طِهِ » وكسر ثم قال : هكذا علّمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن الجزرىّ : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، ورجاله ثقات إلا محمد عبيد الله ، وهو العزْرمىّ [١] ، فإنه ضعيف عند أهل الحديث ، وكان رجلا صالحا ، لكن ذهبت كتبه فكان يحدّث من حفظه ، فأُتِىَ عليه من ذلك [٢] .

قلت : وحديثه هذا أخرجه ابن مَرْدويه فى تفسيره وزاد فى آخره : وكذا نزل بها جبريل .

وفى جمال القراء ، عن صفوان بن عسّال ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ : ﴿ يا يحيى ﴾ ، فقيل له : يا رسول الله ، تميل وليس هى لغة قريش ؟ فقال : هى لغة الأخوال بنى سعد .

وأخرج ابن أشتة ، عن أبى حاتم قال : احتجّ الكوفيُّون فى الإمالة بأنّهم وجدوا فى المصحف الياءات فى موضع الألفات ، فاتّبعوا الخط. وأمالوا ليقربوا من الياءات .

الإمالة : أن ينحُوَ بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء كثيرا ، وهو المحض . ويقال له أيضا : الإضجاع والبطح والكسر قليلاً وهو بين اللفظين ، ويقال له أيضا : التقليل والتلطيف ، وبين بين ، فهى قسمان : شديدة ومتوسطة ، وكلاهما جائز فى القراءة ، والشديدة يجتنب معها القلْب الخالص ، والإشباع المبالَغ فيه ، والمتوسطة بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة .

---

(١) فى النشر : "وأبو عاصم هذا هو محمد بن عبد الله يقال له : المكتوب ويعرف بالمسجدى ، ومحمد ابن عبيد الله شيخه هو العزرمى الكوفى" .

(٢) النشر ٢ : ٣١ .

قال الدّانى : وعلماؤنا مختلفون أيّهما أوْجه وأولى ؟ وأنا أختار الإمالة الوسطى التى هى بيْن بيْن لأنّ الغرض من الإمالة حاصل بها ، وهو الإعلام بأن أصل الألف الياء ، والتنبيه على انقلابها إلى الياء فى موضع ، أو مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء .

وأمّا الفتح : فهو فتح القارىء فاه بلفظ الحرف ، ويقال له التفخيم ، وهو شديد ومتوسط ؛ فالشديد هو نهاية فتح الشخص فاه بذلك الحرف ، ولا يجوز فى القرآن بل هو معدوم فى لغة العرب ، والمتوسط ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة . قال الدّانى : وهذا هو الذى يستعمله أصحاب الفتح من القرّاء .

واختلفوا : هل الإمالة فرْع عن الفتح ، أو كلّ منهما أصل برأسه ؟ ووجه الأوّل أنّ الإمالة لا تكون إلاّ لسبَب ، فإن فُقِد لزم الفتح ، وإن وُجد جاز الفتح والإمالة ؛ فما من كلمة تُمال إلا فى العرب مَنْ يفتحها ، فدلّ اطّراد الفتح على أصالته وفرعيّتها .

• • •

والكلام فى الإمالة من خمسة أوجه : أسبابها ، ووجوهها ، وفائدتها ، ومَنْ يُميل ، وما يُمَال [(١)] .

أما أسبابها فذكرها القراء عشرة ، قال ابن الجزريّ : وهى ترجع إلى شيئين : أحدهما الكسرة ، والثانى الياء ؛ وكلٌّ منهما يكون متقدّمًا على محلّ الإمالة من الكلمةِ أوْ متأخرا عنه ، ويكون أيضًا مقدّرا فى محلّ الإمالة . وقد تكون الكسرة والياء غيرَ موجودتيْن فى اللفظ ولا مقدّرتيْن فى محل الإمالة ، ولكنّهما ممّا يعرض فى بعض تصاريف الكلمة . وقد تُمال الألف أو الفتحة لأجل ألف

(١) انظر النشر ٢ : ٣٢ وما بعدها .

أخري أو فتحة أخرى ممالة ،وتسمَّى هذه إمالة لأجل إمالة ،وقد تمال الألف تَشبيهًا بالألف الممالة .

قال ابنُ الجزرىّ : وتمال أيضا بسبب كثرة الاستعمال . وللفرق بين الاسم والحرف ، فتبلغ الأسباب اثنى عشر سببا .

فأمَّا الإمالة لأجل الكسرة السابقة ، فشرطها أن يكون الفاصل بينها وبين الألف حرفا واحدا ، نحو كتاب وحساب - وهذا الفاصل إنمّا حصل باعتبار الألف ، وأما الفتحة الممالة فلا فاصل بينها وبين الكسرة - أو حرفين أوّلهما ساكن نحو إنسان ، أو مفتوحيْن والثانى هاء لخفائها .

وأما الياء السابقة فإمّا ملاصقة للألف كالحياة ، والأيامى ، أو مفصولة بحرفين أحدهما الهاء كيَدها .

وأمّا الكسرة المتأخّرة ، فسواء كانت لازمة نحو عابِد ، أم عارضة نحو من الناس ، وفى النار . وأمّا الياء المتأخرة فنحو : مبايع ، وأمّا الكسرة المقدرة فنحو : خاف ، إذ الأصل « خَوِف » . .

وأما الياء المقدرة فنحو : يخشى ، والهدي ، وأبى ، والثّرى ، فإنّ الألف فى كلّ ذلك منقلبة عن ياء ، تحرّكت وانفتح ما قبلها .

وأما الكسرة العارضة فى بعض أحوال الكلمة ، فنحو : طاب ، وجاء ، وشاء ، وزاد ، لأنّ الفاء تكسر من ذلك مع ضمير الرفع المتحرّك .

وأمّا الياء العارضة كذلك نحو : تلا ، وغزا ، فإن أَلِفَهما عن واو ، وإنمّا أُميلت لا نقلابها ياء فى تُلِىَ وغُزِي .

وأمّا الإمالة لأجل الإمالة ، فكإمالة الكسائى الألف بعد النو ن من « إنا لله »

لإمالة الألف من « لله » ، ولم يمل « وإنا إليه » لعدم ذلك بعده ، وجعل من ذلك إمالة : الضحى ، والقرى ، وضحاها ، وتلاها .

وأمّا الإمالة لأجل الشبه : ؛ فإمالة : ألف التأنيث فى نحو : الحسنى ، ألف : موسى ، وعيسى لشبهها بألف الهدى .

وأمّا الإمالة لكثرة الاستعمال ، فكإمالة : النّاس فى الأحوال الثلاث ، على ما رواه صاحب المبْهج [١]

وأمّا الإمالة للفرق بين الاسم والحرف ، فكإمالة الفواتح كما قال سيبويه : إن إمالة باء وتاء فى حروف المعجم لأنها أسماء ما يلفظ به ، فليست مثل : ما ، ولا ، وغيرهما من الحروف [٢]

• • •

وأما وجوهها : فأربعة ، ترجع إلى الأسباب المذكورة . أصلها اثنان : المناسبة والإشعار . فأمّا المناسبة فقسم واحد ، وهو فيا أميل لسبب موجود فى اللّفظ ، وبما أميل لإمالة غيره ، فإنّهم أرادوا أن يكون عمل اللسان ومجاورة النطق بالحرف الممَال ولسبب الإمالة من وجه واحدٍ ، وعلى نمَط واحد .

وأما الإشعار فثلاثة أقسام : إشعار بالأصل [٣] ، وإشعار بما يعرض فى الكلمة فى بعض المواضع [٤] ، وإشعار بالشَّبَه [٥] المشعر بالأصل .

• • •

(١) هو أبو محمد عبد الله بن علي بن احمد المعروف بسبط الخياط البغدادي المتوفى سنة ٥٤١ . (كشف الظنون ١٥٨٢) .

(٢) انظر (الكتاب) لسيبويه ٢ : ٢٦٧ .

(٣) النشر : « وذلك اذا كانت الألف الممالة منقلبة عن ياء أو عن واو مكسورة .

(٤) النشر : « الاشعار بما يعرض فى الكلمة فى بعض المواضع من ظهور كسرة أو ياء حسبما تقتضية التصاريف دون الأصل » .

(٥) النشر : « الاشعار بالشبه المشعر بالأصل، وذلك كامالة الف التانيث والملحق بها » .

وأما فائدتها فسهولة اللفظ ، وذلك أنّ اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة ، والانحدار أخفُّ على اللسان من الارتفاع ، فلهذا أمال مَنْ أمال ، وأمّا مَن فتح فإنه راعَى كونَ الفتح أمتنَ أو الأصل .

• • •

أمّا مَن أمال فكلّ القراء العشرة إلا ابن كثير ، فإنه لم يملْ شيئا فى جميع القرآن .

• • •

وأمّا ما يمال فموضع استيعابه كتب القراءات والكتب المؤلفة فى الإمالة .

ونذكر هنا ما يدخل تحت ضابط :

فحمزة والكسائىّ وخلَف أمالوا كلّ ألفٍ منقلبة عن ياء ، حيث وقعت فى القرآن ، فى اسم أو فعل ؛ كالهدى ، والهوى ، والفتى ، والعمى ، والزنا ، وأتى ، وأبى ، وسعى ، ويخشى ، ويرضى ، واجتبى ، واشترى ، ومثوى ، ومأوى ، وأدنى ، وأزكى .

وكلّ ألف تأنيث على « فُعْلى » بضم الفاء أو كسرها أو فتحها ، كطُوبَى ، وبُشرى ، وقُصْوَى ، والقُربَى ، والأُنثى ، والدنيا ، وإحدَى ، وذكْرى ، وسيما ، وضِيزى ، وموتى ، ومرضى ، والسلوى ، والتقوى . وألحقوا بذلك موسى ، وعيسى ، ويحيى .

وكلّ ماكان على وزن « فُعالى » بالضم أو الفتح ، كسكارى ، وكُسالى ، وأسارى ، ويَتامى ، ونصارى ، والأيامى .

وكلّ ما رسم فى المصاحف بالياء ، نحو بلي ، ومتى ، ويا أسفي ، ويا ويلتي ،

ويا حسرتى ، وأنّى للاستفهام . واستثنى من ذلك : حتى ، وإلى ، وعلى ، ولدى ، ومازكى ؛ فلم تُمَلْ بحالٍ .

وكذلك أمالوا من الواوىّ ما كُسر أوّله أو ضمّ ، وهو الرِّبا كيف وقع ؛ والضحى كيف جاء ، والقُوى والعُلَى .

وأمالوا رءوس الآى من إحدى عشرة سورة جاءت على نَسق ، وهى : طه ، والنّجم ، وسأل ، والقيامة ، والنازعات ، وعبس ، والأعلى ، والشمس ، والليل ، والضحى والعلق . ووافق على هذه السُّور أبو عمرو وورش .

وأمال أبو عمرو كلّ ما كان فيه راء بعدها [1] ألف بيأىّ وزن كان ؛ كذكرى ، وبشرى ، وأسرى ، وأراه ، واشترى ، ويرى ، والقرى ، والنصارى ، وأسارى ، وسكارى ، ووافق على ألفات « فُعلى » كيف أتتْ .

وأمال أبو عمرو والكسائى كلّ ألف بعدها راء متطرفة ، مجرورة ، نحو الدار ، والنار ، والقهار ، والغفار ، والنهار ، والديار ، والكفار ، والأبكار ؛ وبقنطار ، وأبصارهم ، وأوبارها ، وأشعارها ، وحمارك ؛ سواء كانت الألف أصلية أم زائدة .

وأمال حمزة الألف من عين الفعل الماضى من عشرة أفعال ، وهى : زاد ، وشاء ، وجاء ، وخاب ، وران ، وخاف ، وزاغ ، وطاب ، وضاق ، وحاق حيث وقعت ، وكيف جاءت .

وأمال الكسائى هاء التأنيث وما قبلها وقفا مطلقا بعد خمسة عشر حرفا يجمعها قولك : « فجثت زينب لذود شمس » ، فالفاء كخليفة ورأفة ، والجيم كوليجة ولجّة ، والثاء كثلاثة وخبيثة ، والتاء كبغتة والميتة ، والزاى

(١) فى الأصل بعد الألف ، والصواب ما اثبتناه.

كبارزة وأعزة ، والياء كخشية وشيبة ، والنون كسنّة وجنّة ، والباء كحبة والتوبة ، واللام كليلة وثلّة ، والذال كلذّة والموقوذة ، والواو كقسوة والمروة ، والدال كبلدة وعدّة ، والشين كالفاحشة وعيشة ، والميم كرحمة ونعمة ، والسين كالخامسة وخمسة .

ويفتح مطلقا بعد عشرة أحرف ، وهي : جاع ، وحروف الاستعلاء « قط خص ضغط » ، والأربعة الباقية وهي « أكهر » إن كان قبل كل منها ياء ساكنة أو كسرة متصلة أو منفصلة بساكن يميل ، وإلا يفتح .

وبقي أحرف فيها خُلْف وتفصيل ، ولا ضابط يجمعها ؛ فلتنظر من كتب الفنّ .

وأما فواتح السور ، « فأمال « الر » في السور الخمسة حمزة والكسائيُّ وخلفُ وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر ، وبينَ بيْن ورش .

وأمال الهاء من فاتحة «مريم» و « طه » أبوعمرو والكسائيّ وأبو بكر .

وأمال حمزة وخلَف « طه » دون « مريم » .

وأمال الياء من أول « مريم » مَنْ أمال « الر » ، إلا أبا عمرو على المشهور عنــه .

ومن أوّل « يس » الثلاثة الأوّلون وأبو بكر .

وأمال هؤلاء الأربعة الطاء من « طه » و « طسم » ، و « طس » والحاء من « حم » في السور السّبْع ، ووافقهم في الحاء ابن ذكْوان .

• • •

خاتمة

كره قوم الإمالة لحديث « نزل القرآن بالتفخيم » ، وأجيب عنه بأوجه :

أحدها : أنه نزل بذلك ثم رخّص فى الإمالة .

ثانيها : أن معناه أنه يقرأ على قراءة الرجال ، لا يخضّع الصوت فيه ككلام النساء .

ثالثها : أن معناه أنزل بالشدّة والغلظة على المشركين ، قال فى جمال القراء : وهو بعيد فى تفسير الخبر ، لأنه نزل أيضا بالرحمة والرأفة .

رابعها : أن معناه بالتعظيم والتبجيل ، أى عظّموه ، وبجّلوه ، فحضّ بذلك على تعظيم القرآن وتبجيله .

خامسها : أن المراد بالتفخيم تحريك أوساط الكلم بالضمّ والكسر فى المواضع المختَلَف فيها دون إسكانها ، لأنه أشبع لها وأفخم .

قال الدانىّ : وكذا جاء مفسرا عن ابن عباس ، ثم قال : حدثنا ابن خاقان ، حدثنا أحمد بن محمد ، حدثنا على بن عبد العزيز ، حدثنا القاسم ، سمعت الكسائى يخبر عن سلمان : عن الزهرىّ ، قال : قال ابن عباس : نزل القرآن بالتثقيل والتفخيم ، نحو قوله : « الجُمعة » وأشباه ذلك من التثقيل ، ثم أورد حديث الحاكم عن زيد بن ثابت مرفوعا : « نزل القرآن بالتفخيم » .

وقال محمد بن مقاتل أحد رواته : سمعت عمارا يقول : ﴿ عُذُرًا أو نُذُرًا ﴾[1] ﴿ الصَّدَفَيْنِ ﴾[2] يعنى بتحريك الأوسط فى ذلك .

---

(١) سورة المرسلات ٦ . وهى قراءة روح والحسن . وانظر اتحاف فضلاء البشر ٤٣٠ وتفسير القرطبى ١٩ : ١٥٤ .

(٢) سورة الكهف ٩٦ . وانظر تفسير القرطبى ١١ : ٦١ .

قال : ويؤيده قول أبي عبيدة : أهل الحجاز يفخِّمون الكلام كله إلاحرفا واحدا : « عشْرة » فإنهم يجزمونه ، وأهل نجد يتركون التفخيم فى الكلام ؛ إلا هذا الحرف فإنهم يقولون « عشِرة » بالكسر .

قال الداقّ : فهذا الوجه أولى فى تفسير الخبر .

• • •

النوع الحادى والثلاثون

• • •

فى الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب

أفرد ذلك بالتصنيف جماعة من القراء .

الإدغام : هو اللّفظ بحرفين حَرْفًا كالثانى ، مشدّدًا . وينقسم إلى كبير وصغير :

• • •

[الإدغام الكبير]

فالكبير ما كان أول الحرفين فيه متحركا ، سواء كانا مِثْلين أم جنسين أم متقاربين ، وسمّىَ كبيرًا لكثرة وقوعه ؛ إذ الحركة أكثر من السكون ، وقيل : لتأثيره فى إسكان المتحرّك قبل إدغامه . وقيل : لما فيه من الصّعوبة ، وقيل : لشموله نوعى المثلين والجنسين والمتقاربين . والمشهور بنسبته إليه من الأئمة العشرة هو أبو عمرو بن العلاء ، وورد عن جماعة خارج العشرة ، كالحسن البصرىّ ، والأعمش ، وابن مُحيصن ، وغيرهم .

ووجهه : طلب التخفيف ، وكثير من المصنِّفين فى القراءات لم يذكروه البتّةَ كأبى عبيد فى كتابه [1] ، وابن مجاهد فى مسبّعته [2] ، ومكىّ فى

---

(١) هو الكتاب المسمى بالامام . قال صاحب النشر : كان أول امام معتبر جمع القراءات فى كتاب هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، وجعلها فيما أحسب خمسة وعشرين قارئا » .

(٢) هو كتاب السبعة لأبى بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، المتوفى سنة ٣٢٤ . ذكره صاحب النشر فى ١ : ٨١ ، وذكر طريق روايته عنه .

تبصرته [١] ، والطَّلَمنكيّ فى روضته [٢] ، وابن سفيان فى هاديه [٣] ، وابن شُريح فى كافيه [٤] ، والمهدوى فى هدايته [٥] وغيرهم .

قال فى تقريب النشر : ونعنى بالمماثلَيْن ما اتَّفقا مخرجًا وصفة ، والمتجانسين ما اتَّفقا مخرجا واختلفا صفة ، والمتقاربين ما تقاربا مخرجا أوصفة فأمَّا المدغم من المماثلين ، فوقع فى سبعة عشر حرفا : وهى الباء ، والتاء ، والثاء ، والحاء ، والراء ، والسين ، والعين ، والغين ، والفاء ، والقاف ، والكاف . واللام ، والميم ، والنون ، والواو ، والهاء ، والياء ، نحو ﴿ الكتاب بالحق ﴾ ، ﴿ الموت تحبسونهما ﴾ ، ﴿ حيث ثقفتموهم ﴾ ، ﴿ النكاح حتى ﴾ ، ﴿ شهر رمضان ﴾ ، ﴿ الناس سكارى ﴾ ، ﴿ يشفع عنده ﴾ ، ﴿ يبتغ غير الإسلام ﴾ ، ﴿ اختلف فيه ﴾ ، ﴿ أفاقَ قال ﴾ ، ﴿ أنك كنتَ ﴾ ، ﴿ لا قبل لهم ﴾ ، ﴿ الرحيم مالك ﴾ ، ﴿ نحن نسبح ﴾ ﴿ فهو وليّهم ﴾ ، ﴿ فيه هدى ﴾ ، ﴿ يأْتى يوم ﴾ .

وشرطه أن يلتقِى المثلان خطًّا ؛ فلا يدغم [٦] فى نحو ﴿ أنَا نَذِير ﴾ من أجل وجود الألف خطًّا ، [٧] وأن يكونا من كلمتين ، فإن التقيا من

---

(١) التبصرة فى القراءات السبع ، لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيسى المتوفى سنة ٤٣٧ . ذكره صاحب كشف الظنون ، وقال : «فى خمسة أجزاء، وهو من أشهر مصنفاته» .

(٢) كتاب الروضة لأبى عمر أحمد بن عبد الله بن لب الطلمنكى الأندلسى المتوفى سنة ٤٢٩ . ذكره صاحب النشر فى الجزء الأول ص ٧١ .

(٣) الهادى فى القراءات السبع لأبى عبد الله محمد بن سفيان القيروانى المتوفى سنة ٤١٥ ، ذكره صاحب كشف الظنون .

(٤) الكافى فى القراءات السبع لأبى عبد الله محمد بن شريح المتوفى سنة ٤٨٦ . ذكره صاحب كشف الظنون .

(٥) الهداية فى القراءات لأبى العباس أحمد بن عمار المتوفى سنة ٤٣٠ . ذكره فى كشف الظنون .

(٦) عبارة تقريب النشر: «فيدغم نحو (انه هو)»، ولايمنع الصلة ويظهر فى نحو (أنا نذير) .

(٧) «خطاء هذا اللفظ من نسخة الشيخ عثمان الرزاق ، وهو مثبت أيضا فى «التقريب» .

كلمة فلا يدغم ، إلا فى حرفين نحو : ﴿ مناسِككُم ﴾ فى البقرة ، و﴿ ماسلككم ﴾ فى المدثر ، وألاَّ يكون الأول تاءَ ضميرًا لمتكلِّم أو خطابًا ، فلا يدغم ، نحو ﴿ كنتُ تُرابا ﴾ ، ﴿ أفأنْتَ تُسمع ﴾ ، ولامشدَّدًا ، فلا يدْغم نحو ﴿ مسّ سقر ﴾ ، ﴿ ربّ بما ﴾ ولا منونًا ، فلا يُدْغم نحو ﴿ غفور رحيم ﴾ ، ﴿ سميع عليم) ،[1]

وأما المدغم من المتجانسين والمتقاربين فهو ستة عشر حرف . يجمعها : « رض سنشدّ حجتك بذلّ قثم » ؛ وشرطه ألاّ يكون الأول مشدّدا نحو ﴿ أشدّ ذكرا ﴾ ، ولا منوّنًا نحو ﴿ فى ظلمات ثلاث ﴾ ؛ ولا تاء ضمير نحو ﴿ خلقت طينا ﴾ ، فالباء تدغم فى الميم فى ﴿ يعذب من يشاء ﴾ فقط .

والتاء فى عشرة أحرف : الثّاء ﴿ بالبينات ثم ﴾ ، والجيم ﴿ الصالحات جنات ﴾ ، والذال ﴿ السيئات ذلك ﴾ ، والزاى ﴿ الجنة زمرا ﴾ ، والسين ﴿ الصالحات سندخلهم ﴾ ، ولم يدْغم ﴿ ولم يؤت سعةً ﴾ للجزم مع خفة الفتحة ، والشين ﴿ بأربعة شهداء ﴾ ، والصاد ﴿ والملائكة صفا ﴾ ، والضاد ﴿ والعاديات ضَبْحًا ﴾ ، والطاء ﴿ أقم الصلاة طرفى النهار ﴾ ، والظاء ﴿ الملائكة ظالمى ﴾ .

والثاء فى خمسة أحرف : التاء ﴿ حيث تؤمرون ﴾ ، والذال ﴿ الحرث ذلك ﴾ والسين ﴿ وورث سليمان ﴾ ، والشين ﴿ حيث شئتما ﴾ ، والضاد ﴿ حديث ضيف ﴾ .

والجيم فى حرفين : الشين ﴿ أخرج شطأه ﴾ ، والتاء ﴿ ذى المعارج تعرج ﴾ . والحاء فى العين فى ﴿ زحزح عن النار ﴾ فقط .

والدال فى عشرة أحرف : التاء ﴿ المساجد تلك ﴾ ، ﴿ بعد توكيدها ﴾ ،

---

(١) تقريب النشر ٩ ، ١٠ .

والثاء ﴿يريد ثواب﴾ ، والجيم ﴿داود جالوت﴾ ، والذال ﴿القلائد ذلك﴾ والزاى ﴿يكاد زيتها﴾ والسين ﴿الأصفاد سرابيلهم﴾ ، والشين ﴿وشهد شاهد﴾ ، والصاد ﴿نفقد صواع﴾ ، والضاد ﴿من بعد ضراء﴾ ، والظاء ﴿يريد ظلما﴾ . ولا تدغم مفتوحة بعد ساكن إلا فى التاء لقوّة التجانس .

والذال فى السين فى قوله : ﴿فاتخذ سبيله﴾ ، والصاد فى قوله : ﴿ما اتخذ صاحبة﴾ .

والراء فى اللام ، نحو ﴿هنّ أطهر لكم﴾ ، ﴿المصير لا يكلف﴾ ، ﴿والنهار لآيات﴾ . فإن فتحت وسكن ما قبلها لم تدغم ، نحو : ﴿والحميرَ لتركبوها﴾ .

والسين فى الزاى فى قوله : ﴿وإذا النفوس زوِّجت﴾ ، والشين فى قوله : ﴿الرأس شيبا﴾ .

والشين فى السين فى ﴿ذى العرش سبيلا﴾ فقط . والضاد فى ﴿لبعض شأنهم﴾ فقط .

والقاف فى الكاف إذا تحرّك ما قبلها نحو : ﴿ينفق كيف يشاء﴾ ، وكذا إذا كانت معها فى كلمة واحدة وبعدها ميم ، نحو : ﴿خلقكم﴾ .

والكاف فى القاف إذا تحرك ما قبلها نحو : ﴿نقدس لك قال﴾ ، لا إن سكن نحو : ﴿وتركوك قائما﴾ (١) .

واللام فى الراء إذا تحرك ما قبلها ، نحو : ﴿رسل ربك﴾ ، أو سكن وهى مضمومة أو مكسورة نحو : ﴿لقول رسول﴾ ، ﴿إلى سبيل ربك﴾ ، لا ان فتحت نحو : ﴿فيقول رب﴾ ، إلا لام قال فإنها تدغم حيث وقعت ، نحو ﴿قال رب﴾ ، ﴿قال رجلان﴾ .

---

(١) أى لم تدغم .

والميم تسكن عند الباء إذا تحرّك ما قبلها فتخفى بغُنة نحو : ﴿ أعلم بالشاكرين ﴾ ، ﴿ يحكم بينهم ﴾ ، ﴿ مريم بهتانا ﴾ ؛ وهذا نوع من الإخفاء المذكور فى الترجمة . وذكر ابن الجزرىّ له فى أنواع الإدغام ، تبِع فيه بعض المتقدمين ، وقد قال هو فى النشر : إنّه غير صواب فإن سكن ما قبلها أظهرت ، نحو : ﴿ إبراهيم بنيه ﴾ .

والنون تدغم إذا تحرك ما قبلها فى الراء وفى اللام ؛ نحو : ﴿ تأذّن ربُّك ﴾ ، ﴿ لن نؤمن لك ﴾ ، فإن سكن أظهرت عندهما ، نحو ﴿ يخافون ربهم ﴾ . ﴿ أن تكون لهم ﴾ إلّا نون نحن ، فإنها تدغم نحو : ﴿ نحن له ﴾ ﴿ وما نحن لك ﴾ ، لكثرة ورودها وتكرار النون فيها ، ولزوم حركتها وثقلها [١] .

• • •

تنبيهان

الأول : وافق أبو عمرو حمزة ويعقوب فى أحرف مخصوصة استوعبها ابن الجزرىّ فى كتابيه : النشر والتقريب .

الثانى : أجمع الأئمة العشرة على إدغام ﴿ مالك لا تأمنّا على يوسف ﴾ [٢] . واختلفوا فى اللفظ به ، فقرأ أبو جعفر بإدغامه مَحْضًا بلا إشارة ، وقرأ الباقون بالإشارة رَوْما وإشماما .

• • •

---

(١) «تقريب النشر» ١٠ ، ١١ .   (٢) سورة يوسف آية ١١ .

ضابط

قال ابن الجزرىّ : جميع ما أدغمه أبو عمرو من المِثليْن والمتقاربيْن إذا وصل السورة بالسورة ، ألفُ حرف وثلاثمائة وأربعة أحرف ، لدخول آخر « القدْر » بـ « لم يكن » ، وإذا بسمل ووصل آخر السورة بالبسملة ، ألف وثلاثمائة ، وخمسة ، لدخول آخر « الرعْد » بأوّل « إبراهيم » ، وآخر « إبراهيم » بأوّل « الحجر » ، وإذا فصل بالسكت ولم يبسمل ، ألف وثلاثمائة وثلاثة .

• • •

[الإدغام الصغير]

وأمّا الإدغام الصغير : فهو ما كان الحرف الأوّل فيه ساكنا . وهو واجب وممتنع وجائز ، والّذى جرتْ عادة القرّاء بذكره فى كتب الخلاف ، هو الجائز لأنّه الذى اختلف القرّاء فيه ، وهو قسمان :

الأوّل إدغام حرف من كلمة فى حروف متعددة من كلمات متفرقة ، وتنحصر فى : إذ ، وقد ، وتاء التأْنيث ، وهل ، وبلْ .

فإذْ اختلف فى إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف : التاء ﴿ إذ تبرّأ ﴾ والجيم ﴿ إذْ جعل ﴾ ، والدال ﴿ إذ دخلت ﴾ ، والزاى ﴿ إذ زاغَتْ ﴾ ، والسين ﴿ إذْ سَمِعتموه ﴾ ، والصاد ﴿ وإذ صرفنا ﴾ .

وقد : اختلف فيها عند ثمانية أحرف : الجيم ﴿ ولقد جاءكم ﴾ ، والذال ﴿ ولقد ذرأْنا ﴾ ، والزاى : ﴿ ولقد زيّنا ﴾ والسين ﴿ قَدْ سأَلها ﴾ ،

والشين ﴿ قد شغفها ﴾ ، والصاد ﴿ ولقد صَرفْنَا ﴾ ، والضاد ﴿ فقدْ ضلُّوا ﴾ والظاء ﴿ فقدْ ظَلَم ﴾ .

وتاء التأْنيث : اختلف فيها عند ستة أحرف : الثاء ﴿ بعِدتْ ثمود ﴾ ، والجيم ﴿ نَضِجَتْ جلودُهُمْ ﴾ والزاى : ﴿ خبَتْ زِدْنَاهم ﴾ ، والسين ﴿ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابل ﴾ ، والصاد ﴿ هُدِّمَتْ صَوَامِعُ ﴾ ، والظاء ﴿كانت ظالمة ﴾ .

ولام « هل » ، و « بل » اختُلف فيها عند ثمانية أحرف ، تختصّ بل منها بخمسة : الزاى ﴿ بل زيّن ﴾ ، والسين ﴿ بَلْ سَوّلت ﴾ ، والضاد ﴿ بَلْ ضَلُّوا ﴾ ، والطاء ﴿ بَلْ طبَعَ ﴾ ، والظاء ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ ﴾ .

وتختص هل بالثاء ﴿ هل ثُوِّب ﴾ ، ويشتركان فى التاء والنون ﴿ هلْ تَنْقِمُون ﴾ ، ﴿ بَلْ تأْتيهم ﴾ ، ﴿ هَلْ نحن ﴾ ﴿ بَلْ نَتَّبع ﴾ .

القسم الثانى : إدغام حروف قرُبت مخارجها وهى ، سبعة عشر حرفا اختلف فيها :

أحدها : الباء عند الفاء فى ﴿ أو يغلب فسوف ﴾ ﴿ وإن تعجب فعجب ﴾ ﴿ اذهَبْ فمن ﴾ ، ﴿ فاذهب فإن ﴾ ، ﴿ ومن لمْ يَتُبْ فأُولئك ﴾ .

الثانى : ﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاء ﴾ فى « البقرة » .

الثالث : ﴿ اركب معنا ﴾ فى « هود » .

الرابع : ﴿ نخسف بهم ﴾ فى « سبأ » .

الخامس : الراء الساكنة عند اللام نحو ﴿ يَغْفِرْ لكُمْ ﴾ ، ﴿ وَاصْبِرْ لُحِكم رَبِّك ﴾ .

السادس : اللام الساكنة فى الذال ﴿ مَنْ يفعلْ ذلك ﴾ حيث وقع .

السابع : الثاء فى الذال فى ﴿ يَلْهثْ ذلك ﴾ .

الثامن : الدال فى الثاء ﴿ من يرد ثواب ﴾ حيث وقع .

التاسع : الذال فى التاء من ﴿ اتخذتم ﴾ ، وما جاء من لفظه .

العاشر : الذال فيها من ﴿ فنبذتها ﴾ فى « طه » .

الحادى عشر : الذال فيها أيضا فى ﴿ عُذْت بربّ ﴾ فى « غافر » و « الدخان »

الثانى عشر : الثاء من ﴿ لَبِثْتُمْ ﴾ و ﴿ لبثت ﴾ كيف جاءا .

الثالث عشر : الثاء فيها فى ﴿ أورثْتُمُوها ﴾ فى « الأعراف » و « الزخرف »

الرابع عشر : الدال فى الذال فى ﴿ كهيعص * ذِكْر ﴾ .

الخامس عشر : النّون فى الواو من ﴿ يس * والقرآن ﴾ .

السادس عشر : النون فيها من ﴿ ن والقلم ﴾ .

السابع عشر : النون عند الميم من ﴿ طسم ﴾ أوّل « الشعراء » و « القصص »

قاعدة

كلّ حرفين التقيا ، أولهما ساكن وكانا مثلين ، أو جنسين وجب إدغام الأوّل منهما لغةً وقراءةً .

فالمِثْلان نحو : ﴿ اضْرِبْ بعصاكَ ﴾ ، ﴿ رَبِحَتْ تجارتهم ﴾ ، ﴿ وقد دخلوا ﴾ ، ﴿ اذهب بكتابى ﴾ ﴿ وقل لهم ﴾ ﴿ وهم من ﴾ ﴿ عن نفس ﴾ ، ﴿ يدرككم ﴾ ، ﴿ يوجّهه ﴾ .

والجنسان نحو ﴿ قالت طائفة ﴾ ، ﴿ وقد تبين ﴾ ، ﴿ إذْ ظلمتم ﴾ ، ﴿ بَلْ ران ﴾ ، ﴿ هل رأيتم ﴾ ، ﴿ قل رب ﴾ ، مالم يكن أوّل المثلين حرف مدّ

نحو : ﴿ قالوا وهم ﴾ ، ﴿ الذى يوسوس ﴾ ، أو أوّل الجنسين حرف حلْق نحو ﴿ فاصفح عنهم ﴾ .

• • •

فائدة

كره قوم الإدغام فى القرآن ، وعن حمزة أنه كرهه فى الصلاة ، فتحصلنا على ثلاثة أقوال .

تذنيب

يلحق بالقسمين السابقين قسم آخر اختلف فى بعضه ، وهو أحكام النون الساكنة والتنوين . ولهما أحكام أربعة : إظهار ، وإدغام ، وإقلاب ، وإخفاء .

فالإظهار لجميع القراء عند ستة أحرف ، وهى حروف الحلق : الهمزة والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء ، نحو : ﴿ يَنْأَوْنَ ﴾ ، ﴿ مَنْ آمن ﴾ ، ﴿فَانْهَار ﴾ ، (من هادٍ) ، ﴿ جُرُف هار ﴾ ﴿ أنعمت ﴾ ، ﴿ من عمل ﴾ ، ﴿ عذاب عظيم ﴾ ، ﴿ وانحر ﴾ ، ﴿ من حكيم حميد ﴾ ، ﴿ فيسنْغضون ﴾ ﴿ من غلّ ﴾ ، ﴿ إله غيره ﴾ ، ﴿ والمنخنقة ﴾ ، ﴿ من خير ﴾ ، ﴿ قوم خصمُون ﴾

وبعضهم يخفى عند الخاء والغين .

والإدغام فى ستة : حرفان بلا غنّة ؛ وهما اللام والراء ، نحو : ﴿ فإن لم تفعلوا ﴾ ، ﴿ هُدًى للمتقِين ﴾ ، ﴿ مِنْ ربِّهم ﴾ ، ﴿ ثمرة رزقا ﴾ . وأربعة بغنّة وهى : النون ، والميم ، والياء ، والواو ، نحو ﴿ عن نفْس ﴾ ، ﴿ حطّة نغفر ﴾ ، ﴿ من مال ﴾ ، ﴿ مثلاً ما ﴾ ، ﴿ من والٍ ﴾ ، ﴿ رعدوبرق ﴾ ، ﴿ من يقول ﴾ ، ﴿ وبرقٍ يجعلون ﴾ .

والإقلاب عند حرف واحد ، وهو الباء نحو : ﴿ أنبئهم ﴾ ، ﴿ من بعدهم ﴾ ، ﴿ صمّ بكم ﴾ بقلب النون والتنوين عند الباء ميا خاصة فتخفى بغنّة .

• • •

والإخفاء عند باقى الحروف ، وهى خمسة عشر : التاء ، والثاء ، والجيم ، والدال ، والذال ، والزاى ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والفاء ، والقاف ، والكاف ، نحو : ﴿ كنتم ﴾ ، ﴿ من باب ﴾ ، ﴿ جنات تجرى ﴾ ، ﴿ الأُنثى ﴾ ، ﴿ من ثمرة ﴾ ، ﴿ قولا ثقيلا ﴾ ، ﴿ أنجيتنا ﴾ ، ﴿ أن جعل ﴾ ، ﴿ خلقا جديدا ﴾ ، ﴿ أندادا ﴾ ، ﴿ أن دعوا ﴾ ، ﴿ كأسًا دهاقا ﴾ ، ﴿ أنذرتهم ﴾ ، ﴿ من ذهب ﴾ ، ﴿ وكيلا ذرية ﴾ ، ﴿ تنزيل من ﴾ ، ﴿ من زوال ﴾ ، ﴿ صعيدا زلقا ﴾ ، ﴿ الإنسان ﴾ ، ﴿ من سوء ﴾ ، ﴿ رَجُلاً سَلَمًا ﴾ ، ﴿ ثمّ إذا أنشره ﴾ ، ﴿ إن شاء ﴾ ، ﴿ غفور شكور ﴾ ، ﴿ الأنصار ﴾ ، ﴿ أن صدّوكم ﴾ ، ﴿ جمالات صفر ﴾ ، ﴿ منضود ﴾ ، ﴿ من ضلّ ﴾ ، ﴿ وكلا ضربنا ﴾ ، ﴿ مقنطرة ﴾ ، ﴿ من طين ﴾ ، ﴿ صعيدا طيبا ﴾ ، ﴿ ينظرون ﴾ ، ﴿ من ظهير ﴾ ، ﴿ ظلا ظليلا ﴾ ، ﴿ فانفلق ﴾ ، ﴿ من فضله ﴾ ، ﴿ خالدا فيها ﴾ ، ﴿ انقلبوا ﴾ ، ﴿ من قرار ﴾ ، ﴿ سميع قريب ﴾ ، ﴿ المنكر ﴾ ، ﴿ من كتاب ﴾ ، ﴿ كتاب كريم ﴾ .

والإخفاء حالة بين الإدغام والإظهار ، ولابدّ من الغنّة معا .

• • •

النوع الثانى والثلاثون

فى المد والقصر

أفرده جماعة من القراء بالتصنيف ، والأصل فى المدّ ما أخرجه سعيد ابن منصور فى سننه ، حدثنا شهاب بن خِراش ، حدثنى مسعود بن يزيد الكنديّ ، قال : كان ابن مسعود يقرئ رجلا ، فقرأ الرجل : ﴿ إِنَّما الصدَقَاتُ للفقراء والمساكين ﴾[1] مرسلة ، فقال ابن مسعود : ما هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : أقرأنيها : ﴿ إِنَّما الصَّدَقَاتُ للفُقَرَاء والمَساكين) فمدّ . وهذا حديث جليل حجة ، ونصٌّ فى الباب ، رجال إسناده ثقات ، أخرجه الطبرانىّ فى الكبير .

المدّ : عبارة عن زيادة مطٍّ فى حرف المدّ على المدّ الطبيعى ؛ وهو الذى لا تقوم ذات حرف المدّ دونه[2] .

والقصر : ترك تلك الزيادة ، وإبقاء المدّ الطبيعىّ على حاله .

وحرف المدّ الألف مطلقا ، والواو الساكنة المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها .

وسببه لفظىّ ومعنوىّ ، فاللفظىّ إما همز أو سكون ، فالهمز يكون بعد حرف المدّ وقبله ، والثانى نحو آدم ، ورأى ، وإيمان ، وخاطئين ، وأوتوا ، والموءودة .

---

(١) سورة التوبة ٦٠ .

(٢) تقريب النشر ١٨ .

والأول إن كان معه فى كلمة واحدة فهو المتّصل ، نحو : أُولئك ، شاء الله ، والسوءِ ، ومن سوء ، ويضىء .

وإن كان حرف المدّ آخر كلمة والهمز أول أُخرى فهو المنفصل نحو بما أُنزل ، بأَيها ، قالوا آمنا ، أمره إلى الله ، فى أنفسكم ، به إلا الفاسقين .

ووجه المدّ لأجل الهمز أنّ حرف المدّ خفىّ ، والهمز صعب ، فزيد فى الخفىّ ليُتمكنَ مِنَ النطق بالصعب .

والسكون إمّا لازم : وهو الذي لا يتغيّر فى حاليه ، نحو : الضالّين ، ودابّة ، والّم ، وأتحاجّونى . أو عارض : وهو الذى يعرض للوقف ونحوه ، نحو : العباد ، والحساب ، ونستعين ، والرحيم ، ويوقنون ــ حالة الوقف ــ وفيه هدى ، وقال لهم ، ويقول ربنا ــ حالة الإدغام ــ

ووجه المدّ للسكون التمكّن من الجمع بين الساكنين ، فكأنّه قام مقام حركة .

• • •

وقد أجمع القراءُ على مدّ نوعَيِ المتّصل وذى الساكن اللّازم ، وإن اختلفوا فى مقداره . واختلفوا فى مدّ النوعين الآخرين : وهما المنفصل وذو الساكن العارض ، وفى قصْرهما .

فأمّا المتصل فاتّفق الجمهور على مدّه قدرًا واحدا مشبَعا من غير إفحاش .

وذهب آخرون إلى تفاضله كتفاضل المنفصل ، فالطولىّ لحمزة وورش ، ودونها لعاصم ، ودونها لابن عامر والكسائى وخلف ، ودونها لأبى عمرو والباقين .

وذهب بعضهم إلى أنه مرتبتان فقط : الطولىّ لمن ذكر ، والوسطى لمن بقى .

وأما ذو الساكن – ويقال له مدّ العدل لأنه يعدل حركة – فالجمهور أيضا على مدّه مشبعا قدرا واحدًا من غير إفراط ، وذهب بعضهم إلى تفاوته .

وأما المنفصل – ويقال له مدّ الفصل ؛ لأنه يفصل بين الكلمتين ، ومدّ البسط ؛ لأنه يُبسط بين الكلمتين ، ومدّ الاعتبار ؛ لاعتبار الكلمتين من كلمة ، ومدّ حرف بحرف ، أىْ مدّ كلمة بكلمة ، والمدّ الجائز ، من أجل الخلاف فى مدّه وقصره – فقد اختلفت العبارات فى مقدار مدّه اختلافا لا يمكن ضبطه .

والحاصل أن له سبع مراتب :

الأُولى : القصر وهو حذف المدّ العَرَضىّ ، وإبقاء ذات حرف المدّ على ما فيها من غير زيادة ، وهى فى المنفصل خاصّة لأبى جعفر وابن كثير ، ولأبى عمرو عند الجمهور .

الثانية : فُويق القصر قليلا ، وقدّرت بألِفَيْن . وبعضهم بألِفٍ ونصف وهى لأبى عمرو ، فى المتصل والمنفصل عند صاحب التيسير[1] .

الثالثة : فويقها قليلا ، وهى التوسّط عند الجميع ، وقدّرت بثلاث ألفات ، وقيل بألفيْنِ ونصف ، وقيل بألفين ، على أنّ ما قبلها بألف ونصف ، وهى لابن عامر والكسائى فى الضربيْن عند صاحب التيسير .

الرابعة : فويقها قليلا ، وقدّرت بأربع ألِفات ، وقيل : بثلاث ونصف ، وقيل : بثلاث على الخلاف فيما قبلها ؛ وهى لعاصم فى الضربيْن عند صاحب التيسير .

---

(١) ط : «التفسير» ، وهو خطأ ، صوابه من الأصل والتيسير لأبى عمرو الدانى .

الخامسة : فويقها قليلا ، وقُدّرت بخمس ألفات ، وبأربع ونصف ، وبأربع على الخلاف – وهى فيها لحمزة وورش عنده .

السادسة : فوق ذلك ، وقدّرها الهذلىّ بخمس ألِفات على تقدير الخامسة بأربع ، وذكر أنها لحمزة .

السابعة : الإفراط ، قدّرها الهذلىّ بستّ ، وذكرها لورش . قال ابن الجزرىّ : وهذا الاختلاف فى تقدير المراتب بالألِفات لا تحقيق وراءه ، بل هو لفظىّ ؛ لأن المرتبة الدنيا – وهى القصر – إذا زيد عليها أدنى زيادة صارت ثانية ، ثم كذلك حتى تنتهى إلى القصوى .

• • •

وأما العارض فيجوز فيه – لكلّ من القراء – كلٌّ من الأوجه الثلاثة : المدّ ، والتوسط ، والقصر ، وهى أوجه تخيير ؛ وأما السبب المعنوىّ فهو قصد المبالغة فى النفى ، وهو سبب قوىٌّ مقصود عند العرب ، وإن كان أضعفَ من اللفظىّ عند القراء ، ومنه مد التعظيم فى نحو : « لا إله إلا هو » ، « لا إله إلا الله » ، « لا إله إلا أنت » . وقد ورد عن أصحاب القصر في المنفصل لهذا المعنى ، ويسمّى مدّ المبالغة . قال ابن مِهْران فى كتاب المدّات : إنما سُمِّىَ مدّ المبالغة لأنه كلبٌ[1] للمبالغة فى نفى الإلهيّة سوى الله تعالى . قال : وهذا مذهب معروف عند العرب ، لأنها تُمدّ عند الدعاء وعند الاستغاثة ، وعند المبالغة فى نفى شىء ، ويمدّون مالا أصل له بهذه العلّة . قال ابن الجزرىّ : وقد ورد عن حمزة مدّ المبالغة للنفى فى « لا » التى للتبرئة ، نحو : ﴿ لا ريب

(١) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق سنة ١٣٠٧ هـ «طلب» .

فيه ﴾ ﴿ لا شية فيها ﴾ ، ﴿ لا مردّ له ﴾ ، ﴿ لا جرم ﴾ ، وقدره في ذلك وسط ، لا يبلغ الإشباع لضعف سببه . نصّ عليه ابن القصاع [١] .

وقد يجتمع السببان : اللفظيّ والمعنويّ ، في نحو ﴿ لا إله إلا ﴾ ، و ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ و ﴿ لا إثم عليه ﴾ ، فيُمَدّ لحمزة مدًا مشبعاً على أصله في المدّ ، لأجل الهمز ، ويلغى المعنوي ، إعمالا للأقوى وإلغاء للأضعف .

قاعدة

إذا تغير سبب المدّ جاز المدّ مراعاة للأصل ، والقصر نظرًا للفظ ، سواء كان السبب همزا أو سكونا ، سواء تغيّر الهمز ببيْن بين ، أو بإبدال ، أو حذف ، والمدُّ أولَى فيما بقى لتغيّر أثره ، نحو : ﴿ هؤلاء إن كنتم ﴾ [٢] في قراءة قالون والبزىّ ، والقصر فيما ذهب أثره نحوها في قراءة أبي عمرو [٣] .

قاعدة

متى اجتمع سببان : قويّ وضعيف عُمِل بالقويّ ، وأُلغِيَ الضعيف إجماعا ويتخرّج عليها فروع :

منها الفرع السابق في اجتماع اللفظيّ والمعنويّ .

ومنها : نحو « جاءوا أباهم » و « رأى أيديهم » إذا قرىء لورش لايجوز

---

(١) هو محمد بن اسرائيل بن أبي بكر ، أبو عبد الله السلمي المعروف بابن القصاع ، مقرىء من أهل دمشق . وهو صاحب كتابي الاستبصار والمغني، وكلاهما في القراءات . توفي سنة ٦٧١ هـ . طبقات القراء ٢ : ١٠ .

(٢) سورة البقرة ٣١ .

(٣) قراءة قالون والبزى «تسهيل الهمزة الأولى بين الهمزة والياء وتحقيق الثانية . وقرأ أبو عمرو باسقاط الأولى وتحقيق الثانية » . وانظر اتحاف فضلاء البشر ١٣٢ .

فيه القصر ولا التوسط بل الإشباع ؛ عملا بأقوى السببين ، وهو المدّ لأجل الهمز بعده ، فإن وقف على « جاءوا » أو « رأى » جازت الأوجه الثلاثة بسبب تقدم الهمز على حرف المدّ وذهاب سببيّة الهمز بعده .

قاعدة

قال أبو بكر أحمد بن الحسين بن مِهران النيسابوريّ : مدّات القرآن على عشرة أوجه :

مدّ الحجز فى نحو : ﴿ ءأنذرتهم ﴾ ، ﴿ ءأنت قلت للناس ﴾ ، ﴿ أئِذا متنا ﴾ ، ﴿ أءُلقِىَ عليه الذكر ﴾ ؛ لأنه أدخل بين الهمزتين حاجزا بينهما [1] لاستثقال العرب جمعهما ، وقدره ألف تامّة بالإجماع ، فحصول الحجز بذلك .

ومدّ العدل فى كلّ حرف مشدّد وقبله حرف مدّ ولين نحو : ﴿ الضالين ﴾ ؛ لأنه يعدل حركة ؛ أى يقوم مقامها فى الحجز بيْن الساكنين .

ومدّ التمكين فى نحو : ﴿ أولئك ﴾ ، و ﴿ الملائكة ﴾ و ﴿ شعائر ﴾ من [2] المدّات الّتى تليها همزة لأنه جُلِب ليتمكن به من تحقيقها وإخراجها من مخرجها .

ومدّ البسط ويسمّى أيضا مدّ الفصل فى نحو : ﴿ بما أنزل ﴾ ؛ لأنه يبسط بين كلمتين ، ويفصل به بين كلمتين متصلتين .

ومدّ الرَّوْم فى نحو : ﴿ ها أنتم ﴾ ؛ لأنهم يرومون الهمزة من « أنتم »

---

(١) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق سنة ١٣٠٧ هـ «خلفهما» .
(٢) ط : «وسائر» .

ولا يحققونها ولا يتركونها أصلا ، ولكن يليّنونها؛ ويشيرون إليها ؛ وهذا على مذهب من لا يهمز « ها أنتم » ، وقدره ألف ونصف .

ومدّ الفرق في نحو : ﴿ الآن ﴾ لأنه يفرق به بين الاستفهام والخبر ، وقدره ألِف تامة بالإجماع . فإن كان بين ألف المدّ حرف مشدّد زيد ألف أخرى ليتمكن به من تحقيق الهمزة نحو : ﴿ الذاكرين الله ﴾ .

ومدّ البنية في نحو : ماء ، ودعاء ، ونداء ، وزكرياء ، لأن الاسم ، بُني على المدّ ، فرقا بينه وبين المقصور .

ومدّ المبالغة في نحو : « لا إله إلا الله » .

ومدّ البدل من الهمزة في نحو : آدم ، وآخر ، وآمن ، وقدره ألِف تامّة بالإجماع .

ومدّ الأصل في الأفعال الممدودة ، نحو جاء ، وشاء ، والفرق بينه وبين مدّ البنية أنّ تلك الأسماء بُنيت على المدّ ، فرقًا بينها وبين المقصور ، وهذه مدّات في أصول أفعال أحدِثت لمعانٍ . انتهى .

• • •

النوع الثالث والثلاثون

فى تخفيف الهمز

فيه تصانيف مفردة :

اعلم أنّ الهمْز لما كان أثقل الحروف نطقًا ، وأبعدها مخرَجا ، تنوّع العرب فى تخفيفه بأنواع التخفيف ، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرَهم له تخفيفا ؛ ولذلك أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم ؛ كابن كثير من رواية ابن فُليح ، وكنافع من رواية وَرْش ،وكأبى عمرو ؛ فإن مادة قراءته عن أهل الحجاز . وقد أخرج ابن عدّى من طريق موسى بن عبيدة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ما هَمَزَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر ، ولا الخلفاء ، وإنّما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم .

قال أبو شامة : هذا حديث لا يحتجّ به ، وموسى بن عبيدة الرَّبَذىّ ضعيف عند أئمة الحديث .

قلتُ : وكذا الحديث الَّذى أخرجه الحاكم فى المستدرَك ، من طريق حمران بن أعيَن ، عن أبى الأسود الدؤلىّ ، عن أبى ذرّ ، قال : جاء أعرابىٌّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبىء الله ،فقال : لست بنبىء الله ، ولكنى نبىّ الله . قال الذهبىّ : حديث منكر ، وحمران رافضىّ ليس بثقة .

وأحكام الهمز كثيرة لا يحصيها أقلّ من مجلَّد ، والذى نورده هنا أن تخفيفه أربعة أنواع :

أحدها : النقل لحركته إلى الساكن قبله ، فيسقط نحو : ﴿ قَدَ افْلَح ﴾ بفَتح الدال ، وبه قرأ نافع من طريق ورش وذلك حيث كان الساكن

صحيحا آخرًا والهمزة أولا . واستثنى أصحاب يعقوب عن ورش ﴿ كتابِيَهْ • إِنِّى ظننت ﴾ [1] ؛ فسكّنوا الهاء وخففوا الهمزة ، وأما الباقون فخفّفوا وسكنوا فى جميع القرآن .

وثانيها : الإبدال ، بأن تُبدَل الهمزة الساكنة حرف مدٍّ من جنس حركة ما قبلها ، فتبدل ألفًا بعد الفتح نحو : ﴿ وامُرْ أَهْلَكَ ﴾ واوا بعد الضمّ ، نحو ﴿ يومنون ﴾ ، وياء بعد الكسر نحو ﴿ جيتَ ﴾ ، وبه يقرأ أبو عمرو ، وسواء كانت االهمزة فاء أم عينا أم لامًا ، إلا أن يكون سكونها جزمًا ، نحو ﴿ نَنْسَأْهَا ﴾ أو بناء نحو ﴿ أَرْجِئْهُ ﴾ ، أو يكون ترك الهمز فيه أثقل ، وهو ﴿ تُؤْوِى إِلَيْكَ ﴾ فى الأحزاب ، أو يوقع فى الالتباس وهو ﴿ رِئْيًا ﴾ فى مريم ؛ فإنْ تحرّكت فلا خلاف عنه فى التحقيق نحو « يؤدّه » .

ثالثها : التسهيل بينها وبين حركتها . فإن اتفق الهمزتان فى الفتح سهّل الثانية الحرميّان وأبو عمرو وهشام ، وأبدلّها ورش ألفًا ، وابن كثير لا يدخل قبلها ألفا ، وقالون وهشام وأبو عمرو يدخلونها ، والباقون من السبعة يحقّقون . وإن اختلفا بالفتح والكسر سهّل الحرميّان وأبو عمرو الثانية ، وأدخل قالون وأبو عمرو قبلها ألفا ، والباقون يحققون . أو بالفتح والضم ، وذلك فى ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكم ﴾ ، ﴿ أَؤُ أُنْزِلَ عليه الذِّكْر ﴾ ، ﴿ أَؤُلْقِى ﴾ فقط . فالثلاثة يسهّلون ، وقالون يدخل ألفًا ، والباقون يحققون .

قال الدانىّ : وقد أشار الصّحابة إلى التسهيل بكتابة الثانية واوا .

رابعها : الإسقاط بلا نقل ، وبه قرأ أبو عمرو . إذا اتفقا فى الحركة وكانا فى كلمتين ، فان اتفقا كسرا نحو : ﴿ هؤلاء إن كنتم ﴾ جعل ورش

---

(١) سورة الحاقة ١٩ ، ٢٠ .

وقنبل الثانية كياء ساكنة وقالون والبزىّ الأولى كياء مكسورة ، وأسقطها أبو عمرو ، والباقون يحققون . وإن اتفقا فتحا نحو : ﴿ جاءِ أجلهم ﴾ جعل ورش وقنبل الثانية كمدّة ، وأسقط الثلاثة الأولى ، والباقوى يحققون . أو ضما وهو ﴿ أولياءُ أولئك ﴾ فقط أسقطها أبوعمرو ، وجعلها قالون والبزىّ كواو مضمومة ، والآخران يجعلان الثانية كواو ساكنة ، والباقون يحقّقون .

ثم اختلفوا فى الساقط : هل هو الأُولى أو الثانية ؟ الأوّل عن أبى عمرو ، والثانى عن الخليل من النحاة .

وتظهر فائدة الخلاف فى المدّ ، فإنْ كان الساقط الأولى فهو منفصل ، أو الثانية فهو متّصل .

النوع الرابع والثلاثون

فى كيفية تحمُّله

اعلم أن حفظ القرآن فرضُ كفاية على الأُمة ؛ صرّح به الجرجانىّ فى الشافى[(١)] والعبادىّ وغيرهما . قال الجُوينى والمعنى فيه ألاَّ ينقطع عدد التواتر فيه ، فلا يتطرّق إليه التبديل والتحريف ، فإن قام بذلك قومٌ يبلغون هذا العدد سقط عن الباقين ، وإلاَّ أثِمَ الكلّ .

وتعليمه أيضا فرضُ كفاية ، وهو من أفضل[(٢)] القُرَب ، ففى الصحيح : « خَيْرُكُمْ مَنْ تعلّم القرآن وعلّمه »[(٣)]

وأوجه التحمّل عند أهل الحديث ، السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه ، والسماع عليه بقراءة غيره ، والمناولة والإجازة والمكاتبة والوصية[(٤)] والإعلام والوِجادة ، فأمّا غير الأوّلين فلا يأْتى هنا ، لما يعلم ممّا سنذكره .

وأما القراءة على الشيخ فهى المستعملة سَلفًا وخَلَفًا ، وأما السماع من لفظ الشيخ فيحتمل أن يقال به هنا ؛ لأنّ الصحابة رضى الله عنهم إنّما أخذوا القرآن من النبىّ صلى الله عليه وسلم ، لكن لم يأْخذ به أحدٌ من القراء ، والمنع فيه ظاهر ؛ لأنّ المقصود هنا كيفيّة الأداء ، وليس كلّ من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته ، بخلاف الحديث ، فإنّ المقصود فيه المعنى أو اللفظ لا بالهيئات المعتبَرة فى أداء القرآن ، وأمّا الصّحابة فكانت

---

(١) كتاب الشافي في فروع الشافعي ، لأبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني ، المتوفى سنة ٤٨٢ ، ذكره صاحب كشف الظنون . ونقل الزركشي عنه في البرهان ١ : ٤٥٦ .

(٢) عبارة طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق سنة ١٣٠٧ هـ ص ١٠٤ «وهو أفضل القرب» .

(٣) نقله في البرهان ١ : ٣٥٦ .

(٤) فى طبعة الشيخ عثمان ص١٠٤ «المرضية» .

فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضى قدرتهم على الأداء ، كما سمعوه من النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ لأنّه نزل بلغتهم

وممّا يدل للقراءة على الشيخ عَرْض النبىّ صلى الله عليه وسلم القرآنَ على جبريل فى رمضان كلّ عام ؛ ويحكى أن الشيخ شمس الدين بن الجزرىّ لَمّا قدم القاهرة وازدحمت عليه الخَلْقُ ، لم يتسع وقته لقراءة الجميع ، فكان يقرأ عليهم الآية ، ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة ، فلم يكتفِ بقراءته .

وتجوز القراءة على الشيخ ؛ ولو كان غيره يقرأ عليه فى تلك الحالة ، إذا كان بحيث لا يخفى عليه حالهم . وقد كان الشيخ علم الدين السخاوىّ يقرأ عليه اثنان وثلاثة فى أماكن مختلفة ، ويردّ علَى كلٍّ منهم ، وكذا لو كان الشيخ مشتغلاً بشغلٍ آخر كنسخ ومطالعة .

وأما القراءة من الحفظ فالظاهر أنها ليست بشرط بل يكفى ولو من المصحف .

• • •

فصل

كيفيات القراءة ثلاث :

أحدها : التحقيق ، وهو إعطاء كلّ حرف حقّه من إشباع المدّ ، وتحقيق الهمزة ، وإتمام الحركات ، واعتماد الإظهار ، والتشديدات ، وبيان الحروف ، وتفكيكها ، وإخراج بعضها من بعض ، بالسكت ، والترتيل ، والتُّؤدة : وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصْر ولا اختلاسٍ ولا إسكان محرّك ولا إدغامه ؛ وهو يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ . ويستحبّ الأخذُ به على المتعلّمين من غير أن يتجاوز فيه إلى حدّ الإفراط بتوليد الحروف من الحركات ، وتكرير الرّاءات ، وتحريك السَّواكن ، وتطنين النُّونات بالمبالغة فى الغنَّات ، كما قال

حمزة لبعض مَنْ سمعه يبالغ فى ذلك : أمَا علمت أنَّ ما فوق البياض بَرَص ، وما فوق الجُعودة قَطَط ، وما فوق القراءة ليس بقراءة ؟ !

وكذا يحترز من الفصْل بين حروف الكلمة ، كمن يقف على التاء من « نستعين » وقفة لطيفة ، مدّعيًا أنه يرتّل ؛ وهذا النوع من القراءة مذهب حمزة وورش ، وقد أخرج فيه الدانىّ حديثًا فى كتاب التجويد مسلسَلاً إلى أبىّ بن كعب ، أنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم التحقيق ، وقال : إنه غريب مستقيم الإسناد .

الثانية : الحَدْر ، بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين ؛ وهو إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصْر والتسكين ، والاختلاس والبدل والإدغام الكبير ، وتخفيف الهمزة ، ونحو ذلك ممّا صحت به الرواية ، مع مراعاة إقامة الإعراب وتقويم اللفظ ، وتمكُّن الحروف بدون بتْر حروف المدّ ، واختلاس أكثر الحركات ، وذهاب صوت الغنة ، والتفريط إلى غاية لاتصحّ بها القراءة ، ولا توصف بها التلاوة ؛ وهذا النوع مذهب ابن كثير وأبى جعفر . ومن قَصْر المنفصل كأبى عمرو ويعقوب .

الثالثة : التدوير : وهو التوسط بين المقامين من التحقيق والحَدْر ، وهو الذى ورد عن أكثر الأئمة ممن مدّ المنفصل ، ولم يبلغ فيه الإشباع ، وهو مذهب سائر القراء ، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء .

• • •

تنبيه

سيأتى فى النوع الذى يَلِى هذا استحباب الترتيل فى القراءة ، والفرق بينه وبين التحقيق ـ فيما ذكره بعضهم ـ أن التحقيق يكون للرياضة والتعليم

والتمرين ، والترتيل يكون للتدبّر والتفكر والاستنباط ؛ فكلّ تحقيق ترتيل ، وليس كلّ ترتيل تحقيقا .

• • •

فصل

من المهمّات تجويد القرآن ، وقد أفرده جماعة كثيرون بالتصنيف ؛ ومنهم الدّانيّ وغيره . أخرَج عن ابن مسعود أنه قال : « جوِّدُوا القرآن » .

قال القرّاء : التجويد حِلْية القراءة ، وهو إعطاء الحروف حقوقَها وترتيبَها ، وردُّ الحرْف إلى مخرجه وأصله ، وتلطيف النُّطق به على كمال هيئته ، من غير إسرافٍ ولا تعسّف ولا إفراط ولا تكلُّف ، وإلى ذلك أشار صلَّى الله عليه وسلم بقوله : « مَنْ أحبَّ أن يقرأ القرآن غَضاً كما أُنزِل ، فليقرأه على قراءة ابن أمّ عَبْد » ـ يعني ابن مسعود ـ وكان رضى الله عنه قد أُعْطِيَ حظا عظيماً في تجويد القرآن ، ولا شك أن الأمة ، كما هُمْ متعبَّدون بفهم معانى القرآن وإقامة حدوده ، هم متعبّدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصِّفة المتلقاة من أئمة القراء ، المتصلة بالحضرة النبويّة ، وقد عدَّ العلماء القراءة بغير تجويد لحنًا ، فقسموا اللحن إلى جليّ وخفيّ ، فاللحن خَلَلٌ يطرأ على الألفاظ فيخلّ ، إلاّ أنّ الجليّ يُخلّ إخلالاً ظاهرا ؛ يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم . وهو الخطأُ في الإعراب ، والخفيّ يخلّ إخلالاً يختصّ بمعرفته علماء القراءة وأئمة الأداء الذين تلقَّوه من أفواه العلماء ، وضبطوه من ألفاظ أهل الأداء [1] .

قال ابن الجزريّ : ولا أعلم لبلُوغ النهاية في التجويد مثل رياضة الألسنِ

---

(١) انظر النشر ١ : ٢١٢ والعبارة فيه : «وكان رضى الله عنه قد أعطى حظا عظيما فى تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله كما أنزله الله تعالى ، وناهيك برجل أحب النبى صلى الله عليه وسلم أن يسمع القرآن منه» .

والتكرار على اللَّفظ المُتَلَقَّى من فم المحسنِ . وقاعدتُه ترجع إلى معرفة كيفيّة الوقف والإمالة والإدغام وأحكام الهمز والترقيق والتفخيم ومخارج الحروف ؛ وقد تقدمت الأربعة الأُوَل ، وأمّا الترقيق فالحروف المستفِلة كلُّها مرقَّقة ، لا يجوز تفخيمُها ، إلا الّلام من اسم الله بعد فتحةٍ أو ضمة إجماعًا ، أو بعد حروف الإطباق فى رواية ، إلا الرّاء المضمومة أو المفتوحة مطلقًا ، أو الساكنة فى بعض الأحوال . والحروف المستعلية كلّها مفخَّمة لا يستثنى منها شىء فى حال من الأحوال[1] .

وأمّا مخارج الحروف ؛ فالصحيح عند القرّاء ومتقدّمى النحاة كالخليل أنّها سبعة عشر .

وقال كثيرٌ من الفريقين : ستّةَ عشر ، فأسقطوا مخرج الحروف الجوفيّة ، وهى حروف المدّ واللّين ، وجعلوا مخرج الألف من أقصى الحلْق والواو من مخرج المتحركة ، وكذا الياء .

وقال قوم : أربعة عشر[2] ، فأسقطوا مخرج النُّون والّلام والرّاء ، وجعلوها من مخرج واحد .

قال ابنُ الحاجب : وكلّ ذلك تقريب ، وإلاَّ فلكلّ حرف مخرج على حدة ؛

قال القراء : واختبار مخرج الحرف محققا ، أن تلفظ بهمزة الوصل وتأتى بالحرف بعده ساكنا أو مشددًا ، وهو أبين ، ملاحظًا فيه صفات ذلك الحرف[3] :

---

(١) النشر ١ : ٢٣٤ .

(٢) فى النشر : «وذهب قطرب والجرمى والفراءوابن دريد وابن كيسان الى أنها اربعة عشر

(٣) النشر ١ : ١٩٨ .

المخرج الأوّل : الجوف للألف ، والواو والياء الساكنتين بعد حركة تجانسهما [١] .

الثانى : أقصى الحلق ، للهمزة والهاء .

الثالث : وسطه ، للعين والحاء المهملتين .

الرابع : أدناه للفم [٢] ، للغين والخاء .

الخامس : أقصى اللسان ممّا يَلِي الحلق وما فوقه من الحنك للقاف .

السادس : أقصاه من أسفل مخرج القاف قليلاً ، وما يليه من الحنك للكاف [٣] .

السابع : وسطه [٤] ، بينه وبين وسط الحنك ، الجيم والشين والياء .

الثامن ؛ للضاد المعجمة ، من أوّل حافّة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر ، وقيل : الأيمن .

التاسع : الّلام من حافّة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه ، وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى [٥] .

العاشر : للنون من طرفه ، أسفل الّلام قليلا .

الحادى عشر : للراء من مخرج النون ، لكنها أدخل فى ظهر اللسان [٦] .

---

(١) عبارة النشر : «وهو للألف والواو الساكنةالمضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، وهذه الحروف تسمى حروف المد واللين . وتسمى الهوائية والجوفية ، وانما نسبن الى الجوف لأنه انقطاع مخرجهن» .

(٢) النشر : «أدنى الحلق الى الفم» .

(٣) النشر : «وهذان الحرفان يقال لكل منهما لهوى ، نسبة الى اللهاة ، وهي بين الفم والحلق» .

(٤) أى وسط اللسان .

(٥) النشر : «مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية» .

(٦) النشر : «وهذه الثلاثة يقال لها الذلقية . نسبة الى موضع مخرجها ، وهو طرف اللسان ، اذ طرف كل شىء ذلقه» .

الثانى عشر : للطاء والدال والتاء من طرف االلسان وأصول الثنايا العليا مصعدًا إلى جهة الحنَك [١] .

الثالث عشر : الحرف الصغير : الصاد والسين والزّاى ، من بين طرف اللسان وفُويق الثنايا السفلى [٢] .

الرابع عشر : للظاء والثاء والذال ، من بين طرفه ، وأطراف الثنايا العليا [٣] .

الخامس عشر : للفاء ، من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا .

السادس عشر : للباء والميم والواو غير المدّيَة بين الشفتين [٤] .

السابع عشر : الخيشوم للغنَّة فى الإدغام والنون أو الميم الساكنة [٥] .

قال فى النشر : فالهمزة والهاء اشتركا مخرجًا وانفتاحًا واستفالا ، وانفردت الهمزة بالجهر والشدّة ، والعين والحاء اشتركا كذلك ، وانفردت الحاء بالهمس والرخاوة الخالصة . والغين والخاء اشتركا مخرجًا ورخاوة واستعلاء وانفتاحا ، وانفردت الغين بالجهر . والجيم والشين والياء اشتركت مخرجًا وانفتاحا واستفالاً ، وانفردت الجيم بالشدّة ، واشتركت مع الياء فى الجهر ، وانفردت الشين بالهمس والتفَشى ، واشتركت مع اليـــاء فى الرّخاوة . والضاد والظاء اشتركا صفة جهرا ورخاوة واستعلاء ، وإطباقا ، وافترقا

(١) النشر : «ويقال لهذه الثلاثة النطعية ، لأنها تخرج من نطع الغار الأعلى ، وهو سقفه» .

(٢) النشر: «وهذه الثلاثة الأحرف هى الأسلية، لأنها تخرج من أسلة اللسان ، وهو مستدقه» .

(٣) النشر : «ويقال لها : اللثوية ، نسبة الى اللثة ، وهو اللحم المركب فيه الأسنان» .

(٤) النشر : «وهذه الأحرف الأربعة يقال لها الشفهية ، نسبة الى الموضع الذى تخرج منه ، وهو الشفتان» .

(٥) النشر ١ : ١٩٩ ـ ٢٠١ ـ وفى طبعـــة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٠٦ «الادغام والنون والميم الساكنة» .

مخرجًا ، وانفردت الضّاد بالاستطالة . والطاء والدال والتاء اشتركت مخرجًا وشدّة ، وانفردت الطاء بالإطباق والاستعلاء ، واشتركت مع الدال فى الجهر ، وانفردت التاء بالهمس ، واشتركت مع الدال فى الانفتاح والاستفال . والظاء والذال والثاء اشتركت مخرجًا ورخاوة ، وانفردت الظّاء بالاستعلاء والإطباق ، واشتركت مع الذال فى الجهر ، وانفردت الثاء بالهمس ، واشتركت مع الذال انفتاحا واستفالاً . والصاد والزاى والسين اشتركت مخرجًا ورخاوة وصفيرًا ، وانفردت الصاد بالإطباق والاستعلاء واشتركت مع السين فى الهمس ، وانفردت الزّاىُ بالجهر ، واشتركت مع السين فى الانفتاح والاستفال ؛ فإذا أحكم القارئ النُّطق بكلّ حرف على حدته مُوفًّى حقّه ، فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب لأنه ينشأ عن التركيب مالم يكن حالة الإفراد ، بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب ، وقوىّ وضعيف ، ومفخّم ، ومرقّق ، فيجذب القوىُّ الضعيف ، ويغلب المفخَّمُ المرقّق ، ويصعب على اللسان النطق بذلك على حقّه إلا بالرياضة الشديدة : فمن أحكم صحّة التلفُّظ حالة التركيب ، حصل حقيقة التجويد [1] .

ومن قصيدة الشيخ علَم الدين فى التجويد ـ ومن خطه نقلت :

لا تحسب التَّجْويد مدًّا مفرِطًا   أوْ مدّ مالا مدّ فيه لوانِ
أو أن تشدّد بعد مدٍّ همزة   أو أنْ تلوكَ الحرفَ كالسّكرانِ
أو أنْ تفوه بهمزةٍ متهوّعًـــــا   فيفرُّ سامعُها من الغَثيـان
للحرف ميزانٌ فلاتكُ طاغيًـا   فيه ولاتكُ مخسِر الميزانِ

---

(١) النشر ١ : ٢١٤ .

فإذا همزت فجيء به متلَطفًا   من غير ما بُهْرٍ وغير توانِ
وامْددْ حروف المدّ عند مسكنٍ   أو همزة حسنًا أخا إحسان

فائدة

قال فى جمال القراء : قد ابتدع النّاس فى قراءة القرآن أصوات الغناء ، ويقال : إن أوّل ما غُنّىَ به من القرآن قوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِى البَحْرِ ﴾ [١] ، نقلوا ذلك من تغنِّيهم بقول الشاعر :

أمّا القطاة فإنى سوف أنعتُها   نعتًا يوافق عندى بعض مافيها

وقد قال صلى الله عليه وسلم فى هؤلاء : « مفتونة قلوبهم وقلوب مَنْ يعجبهم شأْنهم » .

وممّا ابتدعوه شىءٌ سمّوهُ الترعيد ، وهو أن يرعد صوته كالذى يرعد من برد أو ألم .

وآخر سموه الترقيص ، وهو أن يروم السّكوت على الساكن ، ثم ينفر مع الحركة كأنّه فى عَدْوٍ أو هرْولة .

وآخر يسمَّى التطريب ، وهو أن يترنّم بالقرآن ويتنغّم بِه فيمدّ فى غير مواضع المدّ ، ويزيد فى المدّ على مالا ينبغى .

وآخر يسمى التَّحزِين ، وهو أن يأْتى على وجهٍ حزين يكاد يُبكى مع خشوع وخضوع .

ومن ذلك نوع أحدثه هؤلاء الذين يجتمعون فيقرءون كلّهم بصوت واحد فيقولون فى قوله تعالى : ﴿ أَفَلاَ تَعْقِلونَ ﴾ « أفل تعقلون » . بحذف الألف ،

(١) سورة الكهف ٧٩ .

و « قالُ آمنا » بحذف الواو ، ويعدّون مالا يمدّ ، ليستقيم لهم الطريق التى سلكوها ، وينبغى أن يسمَّى التحريف . انتهى .

• • •

فصل

فى كيفية الأخذ بإفراد القراءات ، وجمعها

الذى كان عليه السلف أخْذ كلّ ختمة برواية ، لايجمعون رواية إلى غيرها إلا أثناء المائة الخامسة ، فظهر جمع القراءات فى الختمة الواحدة ، واستقرّ عليه العمل ، ولم يكونوا يسمحون به إلّا لمن أفرد القراءات ، وأتقن طرقها ، وقرأ لكلّ قارئ بختمة على حدَة ؛ بل إذا كان للشيخ راويانِ قرءوا لكلّ راوٍ بختمة ، ثم يجمعون له ، وهكذا .

وتساهل قوم ، فسمحوا أن يقرَأ لكل قارئ من السبعة بختمة ، سوى نافع وحمزة ، فإنّهم كانوا يأخذون بختمةٍ لقالون ، ثم ختمةٍ لورش ، ثم ختمةٍ لخلَف، ثم ختمة لخلّاد ، ولا يسمح أحدبالجمع إلا بعدذلك ، نعم إذا رأَوْا شخصًا أفرد وجمع على شيخ معتَبر ، وأُجِيز وتأهّل ،وأراد أن يجمع القراءات فى ختمة ، لا يكلفونه الإفراد ؛ لعلمهم بوصوله إلى حدّ المعرفة والإتقان . ثم لهم فى الجمع مذهبان :

أحدهما : الجمع بالحرف بأن يشرع فى القراءة ، فإذا مرّ بكلمة فيها خُلْفٌ أعادها بمفردها ، حتى يستوفِىَ ما فيها ، ثم يقف عليها إن صلَحت للوقف ، وإلاّ وصلها بآخر وجهٍ حتّى ينتهى إلى الوقف . وإن كان الخلف يتعلّق بكلمتين كالمدّ المنفصل وقف علي الثانية ، واستوعب الخلاف ، وانتقل إلى

مابعدها ، وهذا مذهب المصريين ، وهو أوثق في الاستيفاء وأخفّ على الآخذ لكنه يخرج عن رَوْنق القراءة وحسن التلاوة .

الثانى : الجمع بالوقف بأن يشرع بقراءة مَن قدّمه حتى ينتهى إلى وقفٍ ، ثم يعود إلى القارئ الذى بعده إلى ذلك الوقف ، ثم يعود ، وهكذا حتى يفرغ ؛ وهذا مذهب الشاميّين ، وهو أشدّ استحضارًا ، وأشدّ استظهارًا ، وأطول زمنًا ، وأجود مكانا . وكان بعضهم يجمع بالآية على هذا الرسم (١) ، وذكر أبو الحسن القيجاطىّ (٢) فى قصيدتِه وشرحها : لجامع القراءات شروطا سبعة ، حاصلها خمسة :

أحدها : حسن الوقف .

ثانيها : حسن الابتداء .

ثالثها : حسن الأداء .

رابعها : عدم التركيب ؛ فإذا قرأ لقارئ لا ينتقل إلى قراءة غيره حتى يتمّ ما فيها ، فإن فعل لم يدَعه الشيخ بل يشير إليه بيده ؛ فإن لم يتفطّن ، قال : لم تصل ، فإن لم يتفطّن مكث حتى يتذكّر ، فإن عجز ذكر له .

الخامس : رعاية الترتيب فى القراءة والابتداء بما بدأ به المؤلفون فى كتبهم فيبدأ بنافع قبل ابن كثير ، وبقالون قبل ورش .

قال ابن الجزرى : والصواب أنّ هذا ليس بشرط بل مستحبّ ، بل الذين أدركناهم من الأُستاذِين لا يعدّون الماهر إلاَّ مَنْ يلتزم تقديم شخص

---

(١) انظر النشر ٢ : ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٢) هو الامام أبو الحسن على بن عمر بن ابراهيم الكتانى القيجاطى ، المتوفى سنة ٧٢٣ وقصيدته على وزن الشاطبية . نظم فيها مازاد عليها من التبصرة لمكى والكافى لابن شريح والوجيز للأهوازى النشر ١ : ٩٧ .

بعينه ، وبعضهم كان يراعى فى الجمع التَّناسب ، فيبدأُ بالقصر ، ثم بالرتبة التى فوقه ، وهكذا إلى آخر مراتب المدّ ، ويبدأ بالمشبَع ، ثم بما دونه إلى القصر ؛ وإنما يُسْلَكُ ذلك مع شيخ بارع عظيم الاستحضار ، أمّا غيره فيُسلك معه ترتيب واحد .

قال : وعلى الجامع أن ينظر ما فى الأَحرف من الخلاف أُصولاً وفَرْشًا ، فما أمكن فيه التداخل اكتفى منه بوجهٍ ، وما لم يمكن ، فيه نظر ، فإن أمكن عطفه على ما قبله بكلمة أو كلمتين أو بأَكثر من غير تَخليط ولا تركيب اعتمده ، وإن لم يحسن عطفه رجع إلى موضع ابتدائه حتى يستوعب الأَوجه كلها من غير إهمال ولا تركيب ولا إعادة ما دخل ؛ فإن الأَوَّل ممنوع ، والثانى مكروه ، والثالث معيب[1] .

وأما القراءة بالتلفيق وخلط قراءة بأُخرى ، فسيأتى بسطه فى النوع الذى يلى هذا .

وأما القراءات والروايات والطرق والأَوجه فليس للقارئ أن يدَع منها شيئا أو يخلّ به ؛ فإنه خللٌ فى إكمال الرواية ، إلاَّ الأَوجه ، فإنها على سبيل التخيير ، فأىّ وجه أتى به أجزأه فى تلك الرواية .

وأما قدر ما يقرأ حال الأخذ ، فقد كان الصدر الأوّل لا يزيدون على عشر آيات لكائنٍ من كان ، وأمّا مَنْ بعدهم فرأوه بحسب قوّة الآخذ .

قال ابن الجزرىّ : والذى استقرّ عليه العمل الأَخذ فى الإفراد بجزء من أجزاء مائة وعشرين ، وفى الجمع بجزء من أجزاء مائتين وأربعين ، ولم يحدّ له آخرون حدًّا ، وهو اختيار السخاوىّ

---

(١) النشر ٢ : ٢٠٤ .

وقد لخَّصت هذا النوع ، ورتبّت فيه متفرقات كلام أئمة القراءات ، وهو نوع مهمّ يحتاج إليه القارئ ، كاحتياج المحدّث إلى مثله من علم الحديث .

فائدة

ادّعى ابن خير الإجماعَ على أنه ليس لأحدٍ أن ينقل حديثًا عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، مالم يكن له به رواية ، ولو بالإجازة ؛ فهل يكون حكم القرآن كذلك ؛ فليس لأحدأن ينقل آية أو يقرأها مالم يقرأها على شيخ ؟ لم أر فى ذلك نَقْلاً ، ولذلك وجهٌ من حيث إنّ الاحتياط فى أداء ألفاظ القرآن أشدّ منه فى ألفاظ الحديث . ولعدم اشتراطه فيه وجه ؛ من حيث إن اشتراط ذلك فى الحديث إنما هو لخوف أن يدخل فى الحديث ما ليس منه ، أو يُتقوّل على النبي صلى الله عليه وسلم مالم يقله ، والقرآن محفوظ متلقّى متداوَل ميسّر ، وهذا هو الظاهر .

• • •

فائدة ثانية

الإجازة من الشيخ غير شرط فى جواز التصدّى للإقراء والإفادة ، فمن علم من نفسه الأهليَّة جاز له ذلك وإن لم يُجِزْهُ أحد ، وعلى ذلك السلف الأوّلُون والصدْر الصالح ، وكذلك فى كلّ علم ، وفى الإقراء والإفتاء ؛ خلافا لما يتوهمه الأغبياء من اعتقاد كونها شرطا . وإنما اصطلح الناس على الإجازة ؛ لأنّ أهلية الشخص لا يعلمها غالبًا من يريد الأخذَ عنه من المبتدئين ونحوهم ؛ لقصور مقامهم عن ذلك والبحثُ عن الأهليّة قبل الأخذ شرط ، فجُعلت الإجازة كالشهادة من الشيخ للمُجَاز بالأهلية .

• • •

فائدة ثالثة

ما اعتاده كثير من مشايخ القرّاء ، من امتناعهم من الإجازة إلا بأخْذ مالٍ في مقابلها ، لا يجوز إجماعًا ، بل إن عَلِم أهليّتَه وجب عليه الإجازة ، أو عدمها حَرُم عليه ، وليست الإجازة ممّا يقابلُ بالمال ، فلا يجوز أخذه عنها ، ولا الاجرة عليها . وفى فتاوى الصدر موهوب الجزرىّ من أصحابنا • أنّه سُئِل عن شيخ طَلَب من الطالب شيئا على إجازته ، فهل للطالب رفعه إلى الحاكم وإجباره على الإجازة ؟ فأجاب : لا تجب الإجازة على الشيخ ، ولا يجوز أخذُ الأُجرة عليها .

وسُئل أيضا عن رجل أجازه الشيخ بالإقراء ، ثم بان أنّه لا دين له . وخاف الشيخ من تفريطه ، فهل له النزول عن الإجازة ؟ فأجاب : لا تبطل الإجازة بكونه غير ديِّن . وأما أخذ الأُجرة على التعليم فجائز ؛ ففى البخاريّ : « إنّ أحقّ ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله » . وقيل : إن تعيّن عليه لم يجز ، واختاره الحليميّ . وقيل : لايجوز مطلقًا ، وعليه أبو حنيفة ؛ لحديث أبي داود عن عبادة بن الصامت ، أنه علّم رجلا من أهل الصُّفّة القرآن ، فأهدى له قوسًا ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : « « إن سَرّك أنْ تُطَوّق بها طوقًا من نار فاقبلها » .

وأجاب من جوّزه بأنّ فى إسناده مقالا ، ولأنه تبرع بتعليمه ، فلم يستحقّ شيئا ، ثم أهدى إليه على سبيل العِوَض ، فلم يجز له الأخذ ، بخلاف من يعقد معه إجازة قبل التعليم .

وفى البستان [1] لأبى الليث : التعليم على ثلاثة أوجه :

أحدها : للحِسْبة . ولايأخذ به عوَضا .

والثانى : أن يعلِّم بالأجرة .

والثالث : أن يعلِّم بغير شرط ، فإذا أهدى إليه قبِل .

فالأوَّل مأْجور وعليه عمل الأَنبياء ، والثانى مختلف فيه ، والأَرجح الجواز ، والثالث يجوز إجماعا ؛ لأَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان معلِّمًا للخلق ؛ وكان يقبل الهديّة .

فائدة رابعة

كان ابن بصْخَان إذا ردَّ على القارىء شيئا فاته فلم يعرفه ؛ كتبه عليه عنده ، فإذا أكمل الختمة وطاب الإجازة ، سأله عن تلك المواضع ، فإن عرفها أجازه ، وإلا تركه يجمع ختمة أخرى .

• • •

فائدة أخرى

على مريد تحقيق القراءات وإحكام تلاوة الحروف أن يحفظ كتابا كاملا يستحضر به اختلاف القراءة ، وتمييز الخلاف الواجب من الخلاف الجائز .

• • •

(١) هو كتاب بستان العارفين لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندى المتوفى سنة ٣٥٥ ، ذكره صاحب كشف الظنون وقال: «هو كتاب مختصر مفيد على مائة وخمسين بابا في الأحاديث والآثار الواردة فى الآداب الشرعية والخصال والأخلاق وبعض الأحكام الفرعية».

فائدة أخرى

قال ابن الصلاح فى فتاويه [(١)] : قراءة القرآن كرامةٌ أكرم الله بها البشَر ، فقد ورد أنّ الملائكة لم يعطَوْا ذلك ، وأنها حريصة لذلك على استماعه من الإنس .

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن نصر الدمشقى المعروف بابن الصلاح . المتوفى سنة ٦٤٣ ، وصاحب المقدمة المعروفة باسمه فى علوم الحديث ، قال ابن خلكان « وكانت فتاويه مسددة ، وهو أحد أشياخى » . وقال صاحب كشف الظنون . فتاوى ابن الصلاح جمعها بعض طلبته .. وهى فى مجلد كثير الفوائد . وانظر طبقات الشافعية ٥ : ١٣٧ .

النوع الخامس والثلاثون

فى آداب تلاوته وتاليه

أفرده بالتصنيف جماعة ، منهم النووىّ فى التبيان [١] ، وقد ذكر فيه ، وفى شرح المهذّب ، وفى الأذكار ، جملة من الآداب ، وأنا ألخصها هنا ، وأزيد عليها أضعافَها ، وأفصِّلها مسألة مسألة ليسهل تناوُلُها .

• • •

مسألة

يُستحبّ الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته ، قال تعالى مثنيا على من كان ذلك دأبه : ﴿ يتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ [٢] .

وفى الصحيحين من حديث ابن عمر : « لاحسدَ إلاّ فى اثنتيْن : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ... » [٣] .

وروى الترمذىّ من حديث ابن مسعود : « مَنْ قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها » .

وأخرج من حديث أبي سعيد عن النبىّ صلى الله عليه وسلّم : « يقول الربُّ سبحانه وتعالى : مَن شغله القرآن وذِكْرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكَلاَمِ كفضل الله على سائر خلقه » .

---

(١) هو الامام محيى الدين يحيى بن برى بن برى النووى الشافعى ، أحد علماء الشام وحفاظ الحديث بها ، ولد بنوى من أعمال دمشق سنة ٦٣١ ، وتوفى بها سنة ٦٧٧ • وكتاب التبيان فى آداب حملة القرآن ، مرتب على عشرة أبواب ، وكتاب الأذكار منتخب من كلام سيد الأبرار ، والمهذب فى فروع فقه الشافعية • وانظر ترجمته فى طبقات الشافعية ٥: ١٦٥ •

(٢) سورة آل عمران ١١٣ •

(٣) بقية الحديث كما فى لفظ مسلم ٥٢٨ : «ورجل آتاه الله مالا ، فهو ينفقه آناء الليل والنهار» •

وأخرج مسلم من حديث أبي أمامة : « اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه » .

وأخرج البيهقيّ من حديث عائشة : « البيتُ الذى يُقرأُ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض » .

وأخرج من حديث أنس : « نَوِّرُوا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن » .

وأخرج من حديث النعمان بن بشير : « أفضل عبادة أمّتى قراءة القرآن » .

وأخرج من حديث سَمُرة بن جُنْدب : « كلّ مؤدِبٍ يُحبّ أن تؤتى مأدبته ، ومأدبة الله القرآن فلا تهجروه » .

وأخرج من حديث عبيدة المكيّ مرفوعًا وموقوفًا : « يا أهل القرآن ، لا تَتَوسّدوا القرآن واتلُوه حقّ تلاوته آناء الليل والنهار وأفشوه ، وتدبَّروا ما فيه ، لعلكم تفلحون » .

وقد كان للسلف في قَدْر القراءة عادات ، فأكثر ما ورد فى كثرة القراءة : « مَنْ كان يختم فى اليوم والليلة ثمانى ختمات : أربعًا فى الليل ، وأربعا فى النهار » ، ويليه : « من كان يختم فى اليوم والليلة أربعا » ، ويليه ثلاثا ، ويليه ، ختمين ، ويليه ختمة .

وقد ذمّت عائشة ذلك ، فأخرج ابنُ أبي داود عن مسلم بن مخراق ، قال : قلت لعائشة : إن رجالاً يقرأ أحدهم القرآن فى ليلة مرتين أو ثلاثا .

فقالت : قرءوا ولم يقرءوا ، كنت أقوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التمام ، فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء ، فلا يمرّ بآية فيها استبشار إلاّ دعا ورَغِب ، ولا بآية فيها تخويف إلاّ دعا واستعاذ » .

ويلى ذلك مَنْ كان يختم فى ليلتين ، ويليه من كان يختم فى كلّ ثلاث .
وهو حسن .

وكره جماعات الختم فى أقلّ من ذلك ، لما روى أبو داود والتِّرمذىّ — وصحّحه — من حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا : « لا يفقه مَنْ قرأ القرآن فى أقلّ من ثلاث » .

وأخرج ابن أبي داود وسعيد بن منصور عن ابن مسعود موقوفا ، قال : « لا تقرءوا القرآن فى أقلّ من ثلاث » .

وأخرج أبو عبيد عن مُعاذ بن جبل أنه كان يكره أن يُقرأ القرآن فى أقلّ من ثلاث .

وأخرج أحمد وأبو عبيد عن سعيد بن المنذر — وليس له غيره — قال : قلت : يا رسول الله ، أقرأ القرآن فى ثلاث ؟ قال : نعم ، إن استطعت .

ويليه : مَنْ ختم فى أربع ، ثم فى خمس ، ثم فى ست ، ثم فى سبع . وهذا أوسط الأمور وأحسنها ، وهو فعل الأكثرين من الصحابة وغيرهم .

أخرج الشيخان عن عبد الله بن عمر ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ القرآن فى شهر » ، قلت : إنى أجد قوّة ، قال : اقرأه فى عشر ، قلت : إنى أجد قوّة ، قال : اقرأه فى سبع ، ولا تزد على ذلك .

وأخرج أبو عبيد وغيره من طريق واسع بن حبّان ، عن قيس بن أبي صعصعة — وليس له غيره — أنه قال : يا رسولَ الله ، فى كم أقرأ القرآن ؟ قال : فى خمسة عشر ، قلت : إنّى أجدنى أقوى من ذلك ، قال : اقرأه فى جمعة .

ويلى ذلك : مَنْ ختم فى ثمان ، ثم فى عشر ، ثم فى شهر ، ثم فى شهرين .

أخرج ابن أبي داود ، عن مكحول ، قال : كان أقوياء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرءون القرآن فى سبع ، وبعضهم فى شهر ، وبعضهم فى شهرين ، وبعضهم فى أكثر من ذلك .

وقال أبوالليث فى البستان : ينبغى للقارىء أن يختم فى السنة مرّتين ، إن لم يقدر على الزيادة .

وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة ، أنه قال : مَنْ قرأ القرآن فى كلّ سنة مرتين ، فقد أدّى حقّه ؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم عرض على جبريل فى السّنة التى قبض فيها مرتيْن .

وقال غيره : يُكره تأخير ختمة أكثر من أربعين يوما بلا عذْر ، نص عليه أحمد ، لأنّ عبد الله بن عمر سأل النبيّ صلى الله عليه وسلم : فى كَم نختم القرآن ؟ قال : فى أربعين يوما . رواه أبو داود .

وقال النووىّ فى الأذكار : المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف ، فليقتصر على قَدْرٍ يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ ، وكذلك مَنْ كان مشغولا بنشر العلم ، أو فصل الحكومات ، أو غير ذلك من مهمّات الدّين والمصالح العامة ، فلْيقتصِر على قَدْرٍ لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصَد له ، ولا فوات كماله ؛ وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فلْيستكثِر ما أمكنه ، من غير خروج إلى حدّ الملل أو الهذْرمة [1] فى القراءة .

• • •

(١) الهذرمة : السرعة في القراءة .

مسألة

نسيانه كبيرة ، صرّح به النوويّ فى الروضة وغيرها ، لحديث أبى داود وغيره : « عرضت علىّ ذنوبُ أُمّتِى فلم أر ذنبًا أعظم من سورة من القرآن أو آية ، أُوتِيها رجل ثم نسيَها » .

وروى أيضا حديث : « مَنْ قرأ القرآن ثم نسيَه لقى الله يوم القيامة أجذم » .

وفى الصحيحين : « تعاهدوا القرآن ، فوالذى نفس محمد بيده ، لهو أشدّ تَفَلُّتًا من الإبل فى عُقُلِها »[1] .

• • •

مسألة

يستحَبّ الوضوء لقراءة القرآن لأنه أفضل الأذكار ، وقد كان صلَّى الله عليه وسلم يكره أن يذكر الله إلا على طُهر ، كما ثبت فى الحديث .

قال إمام الحرَمين : ولا تكرَه القراءة للمحدِث ، لأنه صحّ أنَّ النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يقرأ مع الحدَث . قال فى شرح المهذّب : وإذا كان يقرأ فعرضت له ريح أمسك عن القراءة حتى يستقيم خروجها . وأما الجنَب ، والحائض فتحرُم عليهما القراءة ؛ نعم يجوز لهما النظر فى المصحف وإمراره على القلب ، وأمّا متنجّس الفم فتكره له القراءة .

وقيل : تحرُم كمسّ المصحف باليد النَّجسة .

---

(١) صحيح مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ولفظه : « فى عقالها » ؛ وتعاهدوا القرآن أى جددوا عهدا بملازمة تلاوته .

مسألة

وتسنّ القراءة في مكان نظيف ، وأفضله المسجد ، وكره قوم القراءة في الحمّام والطريق . قال النوويّ : ومذهبنا لا تكره فيهما . قال : وكرّهها الشّعبيّ في الحُشّ (١) ، وبيت الرّحا وهي تدور ، قال : وهو مقتضى مذهبنا .

• • •

مسألة

ويستحب أن يجلس مستقبِلا متخشعا بسكينة ووقار ، مطرِقا رأسه .

• • •

مسألة

ويُسَنّ أن يستاك تعظيما وتطهيرًا ، وقد روى ابن ماجة عن عليّ موقوفا ، والبزار بسند جيّد عنه مرفوعا : « إنّ أفواهكم طرق للقرآن فطيّبُوها بالسّواك » .

قلت : ولو قطع القراءة وعاد عن قرب ، فمقتَضى استحباب التعوّذ إعادة السواك أيضا .

• • •

مسألة

ويسنّ التعوّذ قبل القراءة ، قال تعالى : ﴿ فإذا قرأتَ القرآن فاستعذْ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ (٢) ، أي أردت قراءته .

وذهب قوم إلى أنّه يتعوذ بعدها لظاهر الآية ، وقوم إلى وجوبها لظاهر الأمر .

---

(١) الحش : الموضع البعيد عن النظافة .

(٢) سورة النحل ٩٨ .

قال النووىّ : فلو مرّ على قوم سلّم عليهم وعاد إلى القراءة ، فإن أعاد التعوّذ كان حسنا . قال : وصفته المختارة : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ؛ وكان جماعة من السلف يزيدون : « السميع العليم » . انتهى .

وعن حمزة : أستعيذ ونستعيذ واستعذت ، واختاره صاحب الهداية من الحنفيّة لمطابقة لفظ القرآن .

وعن حميد بن قيس : « أعوذ بالله القادر ، من الشيطان الغادر » .

وعن أبى السّمال : « أعوذ بالله القوىّ ، من الشيطان الغوىّ » .

وعن قوم : « أعوذ بالله العظيم ، من الشيطان الرجيم » :

وعن آخرين : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، إن الله هو السميع العليم » .

وفيها ألفاظ أُخَر .

قال الحُلوانىّ فى جامعه : ليس للاستعاذة حدّ يُنتهى إليه ، من شاء زاد ومن شاء نَقَص .

وفى النشر لابن الجزرىّ : المختار عند أئمّة القراءة الجهر بها ، وقيل : يُسِرّ مطلقا ، وقيل : فيما عدا الفاتحة . قال : وقد أطلقوا اختيار الجهر ، وقيّده أبو شامة بقيد لابد منه ؛ وهو أن يكون بحضرة من يسمعه . قال : لأن الجهر بالتعوّذ إظهار شعار القراءة كالجهر بالتلبية وتكبيرات العيد . ومن فوائده أنّ السامع ينصت للقراءة من أوّلها ، لايفوته منها شىء ، وإذا أَخفَى التعوّذ لم يعلم السامع بها إلا بعد أن فاته من المقروء شىء ؛ وهذا المعنى هو الفارق بين القراءة فى الصلاة وخارجها .

قال : واختلف المتأخرون فى المراد بإخفائها ، فالجمهور على أنّ المرَاد به

الإسرار ، فلا بدّ من التلفظ وإسماع نفسه ، وقيل : الكتمان بأن يذكرها بقلبه بلا تلفّظ .

قال : وإذا قطع القراءة إعراضًا أو بكلام أجنبيّ - ولو ردّ السلام استأنفها ، أو يتعلّق بالقراءة فلا[١] . قال : وهل هى سنة كفاية أو عين حتى لو قرأ جماعة جملة ، فهل يكفى استعاذة واحد منهم كالتسمية على الأكل أولا ؟ لم أر فيه نصًا ، والظاهر الثانى ، لأن المقصودَ اعتصام القارئ والتجاؤه بالله من شرّ الشيطان ، فلا يكون تعوّذ واحد كافيًا عن آخر . انتهى كلام ابن الجزرى [٢] .

• • •

مسألة

وليحافَظ على قراءة البسملة أول كلّ سورة ؛ غير براءة ؛ لأنّ أكثر العلماء على أنها آية فإذا أخلّ بها كان تاركًا لبعض الختمة عند الأكثرين ، فإن قرأ من أثناء سورة استُحِبّت له أيضًا ، نصّ عليه الشافعىّ فيما نقله العبادىّ ، قال القراء : ويتأكد عند قراءة نحو : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعة ﴾[٣] و ﴿ وهو الَّذِى أنشأ جنّاتٍ ﴾[٤] لما فى ذكر ذلك بعد الاستعاذة من البشاعة ، وإيهام رجوع الضمير إلى الشيطان .

قال ابن الجزرىّ : الابتداء بالآى وسط براءة ، قلّ مَنْ تعرّض له ، وقد صرح بالبسملة فيه أبو الحسن السخاوى ، وردّ عليه الجعبرى [٥] .

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى النشر : «أو كلام يتعلق بالقراءة لم يعد الاستعاذة» وهذا يفسر عبارة المصنف .

(٢) انظر النشر ١ : ٢٥٢ ومابعدها ، نقله بتصرف .

(٣) سورة فصلت ٤٧ . (٤) سورة الأنعام ١٤١ .

(٥) النشر ١ : ٢٦٦ بتصرف .

مسألة

لا تحتاج قراءة القرآن إلى نيّة كسائر الأذكار ، إلا إذا نذرها خارج الصلاة ، فلا بدّ من نية النَّذْر أو الفرْض ، ولو عيّن الزمان ، فلو تركها لم تجز . نقله القمولىّ فى الجواهر .

• • •

مسألة

يسنّ الترتيل فى قراءة القرآن ، قال تعالى : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ .

وروى أبو داود وغيره عن أمّ سلمة ، أنّها نَعَتَتْ قراءة النبىّ صلى الله عليه وسلم : « قراءة مفسّرة ، حرفًا حرفًا » .

وفى البخارىّ عن أنس ، أنه سُئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كانت مدًّا ، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، يمدّ «الله» ، ويمدّ « الرحمن » ، ويمدّ « الرحيم » .

وفى الصحيحين عن ابن مسعود ، أنّ رجلاً قال له : إنى أقرأ المفصّل فى ركعة واحدة ، فقال : « هذًّا كهذّ الشّعر ، إنّ قَوْمًا يقرءُون القرآن لايجاوز تراقيَهم ، ولكن إذا وقع فى القلْب ، فرَسخ فيه نفع »[1] .

وأخرج الآجُرّىّ فى حملة القرآن ، عن ابن مسعود قال : « لا تنثروه نثر الدَّقَل[2] ، ولا تهذّوه هذا الشّعر ، قفوا عند عجائبه ، وحرّكوا به القلوب ، ولا يكون همّ أحدكم آخر السورة » .

---

(١) صحيح مسلم ٥٦٣ .

(٢) الدقل : ردىء التمر . وانظر

وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعًا : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارْقَ فى الدرجات ، ورتِّل كما كنت ترتِّل فى الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها » .

قال فى شرح المهذب : واتَّفقوا على كراهة الإفراط فى الإسراع .

قالوا : وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزءين فى قدر ذلك الزمان بلا ترتيل .

قالوا : واستحباب الترتيل للتدبّر ، ولأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير ، وأشدّ تأثيرا فى القلب ، ولهذا يستحبّ للأعجمىّ الذى لا يفهم معناه . انتهى .

وفى النَّشر : اختلف ؛ هل الأفضل الترتيل وقلة القراءة أو السّرعة مع كثرتها ؟ وأحْسَنَ بعض أئمتنا ، فقال : إنَّ ثواب قراءة الترتيل أجَلّ قدرًا وثواب الكثرة أكثر عددًا لأنَّ بكل حرف عشر حسنات [1] .

وفى البرهان للزركشىّ : كمال الترتيل تفخيم ألفاظه والإبانة عن حروفه ، وألَّا يُدْغَم حرف فى حرف . وقيل : هذا أقله ، وأكمله أن يقرأه على منازله ، فإن قرأ تهديدا لفظ به لفظ المتهدِّد ، أو تعظيما لفظ به على التعظيم [2] .

• • •

مسألة

وتسنّ القراءة بالتدبر والتفهّم ، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهمّ ، وبه تنشرح الصدور ، وتستنير القلوب ، قال تعالى : ﴿ كتابٌ أنزلْنَاه إليك مُبَاركٌ ليدَّبّروا آياتِه ﴾ [3] .

---

(١) النشر ١ : ٢٠٨ . (٢) البرهان ١ : ٢٥٠ .
(٣) سورة ص ٢٩ .

وقال ﴿ أفَلا يتدبَّرُونَ القرآن ، ﴾ [١] وصفة ذلك أن يشغل قلبَه بالتفكر في معنى ما يلفظ به ، فيعرف معنى كلّ آية ، ويتأمل الأوامر والنّواهى ، ويعتقد قبول ذلك ؛ فإن كان ممّا قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر ، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل ، أو عذابٍ أشفق وتعوّذ ، أو تنزيهٍ نزّه وعظّم ، أو دعاءٍ تضرّع وطلب .

أخرج مسلم عن حُذيفة ، قال : صليتُ مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم ذاتَ ليلة ، فافتتح البقرة فقرأها ، ثم النساء فقرأها ، ثم آل عمران فقرأها ؛ يقرأ مترسِّلاً ، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح ، وإذا مرّ بسؤال سأل ، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ .

وروى أبو داود والنّسائى وغيرهما ، عن عوف بن مالك ، قال : قمت مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلة ، فقام فقرأ سورة البقرة ، لا يمرّ بآية رحمة إلّا وقف وسأل ، ولا يمرّ بآية عذابٍ إلّا وقف وتعوّذ .

وأخرج أبو داود والتّرمذيّ حديث : « من قرأ ، ﴿ والتّين والزيتون ﴾ ، فانتهى إلى آخرها ، فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . ، ومَنْ قرأ ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ ، فانتهى إلى آخرها ﴿ أليسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ ، فليقل : بلىَ ، ومَنْ قرأ ﴿ والمرسلات ﴾ ، فبلغ ﴿ فبأىّ حديث بعده يؤمنون ﴾ ، فليقل : آمنا بالله » .

وأخرج أحمد وأبو داود عن ابن عباس ، أنّ النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ ﴿ سبّح اسم ربك الأعلى ﴾ ، قال : سبحان ربّى الأعلى .

وأخرج التّرمذيّ والحاكم ، عن جابر ، قال : خرجَ رسول الله صلي الله

---

(١) سورة النساء ٨٢ .

عليه وسلم على أصحابه ، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أوّلها إلى آخرها ، فسكتوا ، فقال : لقد قرأتُها على الجنّ ، فكانوا أحسنَ مردودًا منكم ، كنتُ كلمّا أتيتُ على قوله : ﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان ﴾ قالوا : ولا بشيء مِن نعمك ربّنا نكذب : فلك الحمد .

وأخرج ابنُ مردُويه والديلميّ وابن أبي الدنيا فى الدعاء وغيرهم بسند ضعيف جدًا ، عن جابر أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ : ﴿ وإذَا سَألكَ عِبَادى عَنِّى فإنّى قريبٌ . . . ﴾ [1] الآية ، فقال : اللهمّ أمرتَ بالدعاء ، وتكفّلت بالإجابة ، لبيك اللهم لبيّك ، لبيّك لاشريك لك لبيّك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك ، أشهد أنّك فرد أحدٌ صمَدٌ ، لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفوًا أحدٌ ، وأشهد أنّ وعدك حقّ ، ولقاءك حقّ ، والجنّة حقّ ، والنار حقّ ، والساعة آتية لا ريب فيها ، وأنّك تبعث من فى القبور .

وأخرج أبو داود وغيرُه عن وائل بن حُجْر ، سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ : ﴿ ولا الضالين ﴾ ، فقال ، : « آمين » يمدّ بها صوته .

وأخرجه الطبرانى بلفظ قال : « آمين » ثلاث مرات ، وأخرجه البيهقىّ بلفظ : قال : « ربٍّ اغفر لى آمين » .

وأخرج أبو عبيد ، عن أبي ميسرة ، أنّ جبريل لقّنَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عند خاتمة البقرة « آمين » .

وأخرج عن مُعاذ بن جبل أنّه كان إذا ختم سورة البقرة قال : آمين

قال النووىّ : ومن الآداب إذا قرأ نحو : ﴿ وقالت اليهود عزيرٌ ابن الله ﴾ [2]

---

(١) سورة البقرة ١٨٦ . (٢) سورة التوبة ٣٠ .

﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾[(١)] ، أن يخفض بها صوته . كذا كان النخعيّ يفعل .

• • •

مسألة

لا بأس بتكرير الآية وترديدها ، روى النسائيّ وغيره عن أبي ذرّ ، أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قام بآية يردّدها حتى أصبح : ﴿ إِنْ تعذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُك ... ﴾ [(٢)] الآية .

• • •

مسألة

يستحبّ البكاء عند قراءة القرآن والتّباكي لمن لا يقدر عليه ، والحزن والخشوع قال تعالى : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ [(٣)] .

وفي الصحيحين حديث قراءة ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه « فإذا عيناه تذرِفان » .

وفي الشُّعب للبيهقيّ عن سعد بن مالك مرفوعا : « إنّ هذا القرآن نزل بحُزْن وكآبة فإذا قرأتموه فابكوا ، فإنْ لم تبكوا فتباكوْا » .

وفيه من مرسل عبد الملك بن عمير ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنّي قارئٌ عليكم سورَة ، فمن بكى فله الجنّة ، فإن لم تبكوا فتباكوْا » .

وفي مسنَد أبي يعلَى حديث : « اقرءوا القرآن بالحُزْن فإنه نزل بالحزن » .

---

(١) سورة المائدة ٦٤ .

(٢) سورة المائدة ١١٨ .

(٣) سورة الاسراء ١٠٩ .

وعند الطبرانى : « أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القرآن يتحزّن به » .

قال فى شرح المهذب : وطريقه فى تحصيل البكاء أن يتأمّل ما يقرأ من التهديد والوعيد الشديد ، والمواثيق والعهود ؛ ثم يفكرّ فى تقصيره فيها ، فإن لم يحضره عند ذلك حزن وبكاء فليبكِ على فقد ذلك ، فإنه من المصائب.

• • •

مسألة

يسنّ تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها لحديث ابن حبّان وغيره : « زيّنوا القرآن بأصواتكم » . وفى لفظ عند الدارمىّ : « حسّنوا القرآن بأصواتكم ، فإنّ الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا » .

وأخرج البزار وغيره حديث : «حُسْنُ الصوت زينة القرآن » .

وفيه أحاديث صحيحة كثيرة ، فإنلم يكن حَسَن الصوت حسّنه ما استطاع ، بحيث لا يخرج إلى حدّ التمطيط .

وأما القراءة بالألحان ؛ فنصّ الشافعىّ فى المختصر أنهلا بأس بها ، وعن رواية الربيع الجيزىّ أنها مكروهة .

قال الرافعىّ : قال الجمهور ليست على قولين ، بل المكروه أن يُفْرِط فى المدّ ، وفى إشباع الحركات ، حتى يتولّد من الفتحة ألف ، ومن الضمة واو ، ومن الكسرة ياء ، أو يدغم فى غير موضع الإدغام ، فإن لم ينتهِ إلى هذا الحدّ فلا كراهة .

قال فى زوائد الروضة : والصحيح أنّ الإفراط على الوجه المذكور حرام يفسُق به القارئ ويأثم المستمع ؛ لأنه عدل به عن نهجه القويم . قال : وهذا مراد الشافعىّ بالكراهة .

قلت : وفيه حديث : « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الكتابيْنِ وأهل الفسق ، فإنه سيجىء أقوام يرجِّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم » . أخرجه الطبرانىّ والبيهقىّ .

قال النووى : ويستحبّ طلب القراءة من حَسَن الصوت والإصغاء إليها ، للحديث الصحيح ، ولا بأس باجتماع الجماعة فى القراءة ولا بإدارتها ، وهى أن يقرأ بعض الجماعة قطعة ثم البعض قطعة بعدها .

• • •

مسألة

يستحبّ قراءته بالتفخيم لحديث الحاكم : « نزل القرآن بالتفخيم » ، قال الحليمىّ : ومعناه أنه يقرؤه على قراءة الرجال ، ولا يخضَع الصوت فيه ككلام النساء . قال : ولا يدخل فى هذا كراهة الإمالة التى هى اختيار بعض القراء . وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم فرُخِّص مع ذلك فى إمالة ما يحسن إمالته .

• • •

مسألة

وردت أحاديث تقتضى استحباب رفع الصوت بالقراءة ، وأحاديث تقتضى الإسرار وخفض الصوت ، فمن الأوّل حديث الصحيحين : « ما أذِن الله لشىء ما أذِن لنبىٍّ حسن الصوت ، يتغنّى بالقرآن ، يجهر به » .

ومن الثانى حديث أبى داود والترمذى والنسائى : « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمسرُّ بالقرآن كالمسرِّ بالصدقة » .

قال النووىّ : والجمع بينهما أنّ الإخفاء أفضل ، حيث خاف الرياء ، أو تأذّى مصلّون أو نيام بجهره ، والجهر أفضل فى غير ذلك ، لأن العمل فيه أكثر ، ولأنّ فائدته تتعدّى إلى السامعين ، ولأنّه يوقظ قلبَ القارئ ، ويجمع همّه إلى الفكر ، ويصرف سمعه إليه ، ويطرد النوم ، ويزيد فى النّشاط ويدلّ لهذا الجمع حديث أبى داود بسندٍ صحيح ، عن أبى سعيد : اعتكف رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم فى المسجد ، فسمعهم يجهرون بالقراءة ، فكشف السّتر ، وقال : « ألا إنّ كُلّكُمْ مناجٍ لربّه ، فلا يؤذينّ بعضُكم بعضًا ، ولا يرفع بعضكم على بعضكم فى القراءة » .

وقال بعضهم : يستحبّ الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها ؛ لأن المسرّ قد يملّ فيأنس بالجهر ، والجاهر قد يكلّ فيستريح بالإسرار » .

• • •

مسألة

القراءة فى المصحف أفضل من القراءة من حفظه ، لأنّ النّظر فيه عبادة مطلوبة ، قال النووىّ : هكذا قاله أصحابُنا والسلف أيضا ، ولم أرَ فيه خلافا . قال : ولو قيل إنه يختلف باختلاف الأشخاص ، فيُختار القراءة فيه لمن استوى خشوعه وتدبره فى حالتَى القراءة فيه ومن الحفظ ، ويُختار القراءة من الحفظ لمن يكمل بذلك خشوعُه ويزيد على خشوعه وتدبّره لو قرأ من المصحف ؛ لكان هذا قولاً حسنا .

قلت : ومن أدِلّة القراءة فى المصحف ما أخرجه الطّبرانىّ والبَيْهقىّ فى الشُّعب من حديث أوس الثقفىّ مرفوعا : « قراءة الرجل فى غير المصحف ألف درجة ، وقراءته فى المصحف تضاعف ألفى درجة » .

وأخرج أبو عُبيد بسند ضعيف : « فضل قراءة القرآن نظرًا ، على مَن يقرؤه ظاهرا كفضل الفريضة على النافلة » .

وأخرج البيهقىّ عن ابن مسعود مرفوعا : « منْ سرّه أن يحبّ الله ورسوله ؛ فليقرأ فى المصحف » ، وقال : إنّه منكر

وأخرج بسندٍ حسن موقوفا : « أديموا النّظر فى المصحف » .

وحكى الزركشى فى البُرْهان ما بحثه النووى قولاً ، وحكى معهُ قولا ثالثا : إن القراءة من الحفظ أفضل مطلقا ، وإن ابنَ عبد السلام اختاره ؛ لأن فيه من التدبر مالا يحصل بالقراءة فى المصحف(١) .

• • •

مسألة

قال فى التبيان (٢) : إذا أُرْتِج على القارىء فلم يدر ما بعد الموضع الذى انتهى إليه ، فسأل عنه غيره ، فينبغى أن يتأدّب بما جاء عن ابن مسعود والنّخعىّ وبشير بن أبى مسعود ، قالوا : إذا سأل أحدكم أخاه عن آية ، فليقرأ ما قبلها ثم يسكت ، ولا يقول كيف كذا وكذا ، فإنه يلبّس عليه . انتهى .

وقال ابن مجاهد : إذا شك القارئ فى حرف : هل هو بالتاء أو بالياء ؟ فليقرأه بالياء فإن القرآن مذكّر ، وإن شك فى حرف : هل هو مهموز أوْ غير مهموز ؟ فليترك الهمز ، وإن شكّ فى حرف : هل يكون موصولا أو مقطوعا ؟

---

(١) البرهان ١ : ٤٦٣ ، وهو الامام أبو محمد عز الدين بن عبد السلام الشافعى شيخ الاسلام ، المتوفى فى سنة ٦٦٠ .

(٢) كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن ، للامام محيى الدين يحيى بن شرف النووى الشافعى ، المتوفى سنة ٦٧٦ ، ذكره فى كشف الظنون ٣٤٠ .

فليقرأ بالوصل ، وإن شكَّ فى حرف : هل هو ممدود أو مقصور ؟ فليقرأ بالقصر ، وإن شكّ فى حرف : هل هو مفتوح أو مكسور ؟ فليقرأ بالفتح ؛ لأنّ الأوّل غير لحن فى موضع ، والثانى لحن فى بعض المواضع .

قلت : أخرج عبدُ الرزاق عن ابن مسعود ، قال : إذا اختلفتم فى ياء وتاء ، فاجعلوها ياء ، ذكّروا القرآن . ففهم منه ثعلب أن ما احتمل تذكيرُه وتأنيثه كان تذكيره أجود . ورُدّ بأنه يمتنع إرادة تذكير غير الحقيقى التأنيث لكثرة ما فى القرآن منه بالتأنيث نحو ﴿ النارُ وَعدها الله ﴾ [1] ، ﴿ والتفَّتِ الساق بالساق ﴾ [2] ، ﴿ قالت لهم رسلهم ﴾ [3] ، وإذا امتنع إرادة غير الحقيقى فالحقيقى أولىَ ، قالوا : ولا يستقيم إرادة أن ما احتمل التذكير والتأنيث غلب فيه التذكير ، كقوله تعالى : ﴿ والنَّخلَ باسقَاتٍ ﴾ [4] ، ﴿ أعْجَازُ نخل خاويةٍ ﴾ [5] ، فأنَّث مع جواز التذكير ، قال تعالى : ﴿ أعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ [6] ، ﴿ من الشَّجَر الأخضر ﴾ [7] .

قالوا : فليس المراد ما فهم بـ « ذكروا » الموعظة والدعاء كما قال تعالىَ : ﴿ فذكرْ بالقرآن ﴾ [8] إلا أنه حذف الجار ، والمقصود : ذكِّرُوا الناس بالقرآن ، أى ابعثوهم على حفظه كيلا ينسوه .

قلت : أوّل الأثر يأبَى هذا الحمل .

وقال الواحدىّ : الأمر ما ذهب إليه ثعلب ، والمراد أنه إذا احتمل اللفظ التذكير والتأنيث ولم يحتجْ فى التذكير إلى مخالفة المصحف ذكّر ، نحو

---

(١) سورة الحج ٧٢ .
(٢) سورة القيامة ٢٩ .
(٣) سورة ابراهيم ١١ .
(٤) سورة ق ١٠ .
(٥) سورة الحاقة ٧ .
(٦) سورة القمر ٢٠ .
(٧) سورة يس ٨٠ .
(٨) سورة ق ٤٥ .

﴿ ولا يقبل منها شَفَاعَةٌ ﴾ [١] قال : ويدلّ على إرادة هذا أن أصحاب عبد الله من قراء الكوفة كحمزة والكسائىّ ، ذهبوا إلى هذا فقرءوا ما كان من هذا القبيل ، بالتذكير نحو : ﴿ يَوْمَ يَشْهَدُ عليهم ألسنتهم ﴾ [٢] وهذا فى غير الحقيقىّ .

• • •

مسألة

يكره قطع القراءة لمكالمة أحد ، قال : الحليمىّ : لأن كلام الله لا ينبغى أن يُؤْثر عليه كلامُ غيره .

وأيّده البيهقىّ بما فى الصحيح : كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلّم حتى يفرغ منه .

ويكره أيضا الضحك والعبث والنظر إلى ما يلهى .

• • •

مسألة

ولا يجوز قراءة القرآن بالعجميّة مطلقًا ، سواء أحسن العربية أم لا ، فى الصلاة أم خارجها . وعن أبى حنيفة أنّه يجوز مطلقا ، وعن أبى يوسف ومحمد لِمَنْ لا يحسن العربية ، لكن فى شارح البزدوىّ أنّ أبا حنيفة رجع عن ذلك ، ووجه المنع أنه يُذهِبُ إعجازه المقصودَ منه .

وعن القفّال [٣] من أصحابنا ؛ : إنّ القراءة بالفارسية لاتتصوّر ، قيل له :

---

(١) سورة البقرة ٤٨ . (٢) سورة النور ٢٤ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن اسماعيل الفقيه الشافعى الشاشى المعروف بالقفال الكبير . صاحب المصنفات فى الفقه والأصول والتفسير والحديث والكلام ، توفى سنة ٣٦٥ . شذرات الذهب ٣ : ٥٢ .

فإذَنْ لا يقدر أحد أن يفسر القرآن ، قال : ليس كذلك ، لأن هناك يجوز أن يأتيَ ببعض مراد الله ويعجز عن البعض ، أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتى بجميع مراد الله تعالى ، لأن الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها ، وذلك غير ممكن ، بخلاف التفسير .

• • •

مسألة

لا تجوز القراءة بالشّاذ : نقل ابنُ عبد البر الإجماع على ذلك ، لكن ذكر موهوب الجزرىّ جوازها فى غير الصلاة ، قياسًا على رواية الحديث بالمعنى .

• • •

مسألة

الأَوْلَى أن يقرأ على ترتيب المصحف ، قال فى شرح المهذب : لأنّ ترتيبه لحكمة ، فلا يتركها إلا فيما ورد فيه الشرع ، كصلاة صبح يوم الجمعة بـ « الٓم تنزيل » و « هلْ أتَى » ونظائره ، فلو فرق السُّور أو عكسها جاز وترك الأفضل . قال : وأمّا قراءة السورة من آخرها إلى أوّلها فمتّفق على منعه ، لأنه يذهب بعض نوع الإعجاز ، ويزيل حكمة الترتيب .

قلت : وفيه أثر ، أخرج الطبرانىّ بسندٍ جيّد ، عن ابن مسعود ، أنّه سئل عن رجل يقرأُ القرآن منكوسًا ، قال : ذاك منكوس القلْب .

• • •

وأما خلط سورة بسورة ، فعدّ الحليمىّ تركه من الآداب ، لما أخرجه أبو عبيد عن سعيد بن المسيّب ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ ببلال

وهو يقرأ مِنْ هذه السورة ومن هذه السورة ، فقال : يا بلال ، مررتُ بكَ وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة ، قال : أخلطت الطيّب بالطيّب ؛ فقال : « اقرأ السورة على وجهها – أو قال – على نحوها » . مرسل صحيح ، وهو عند أبي داود موصول عن أبي هريرة بدون آخره .

وأخرجه أبو عبيد من وجه آخر ، عن عمر مولى غُفْرة ، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال : « إذا قرأت السورة فانفُذها » .

وقال : حدثنا معاذ عن ابن عون ، قال : سألت ابن سيرين عن الرّجل يقرأ من السورة آيتين ثم يدعها ، ويأخذ في غيرها ، قال : ليتّق أحدُكم أن يأثم إثما كبيرا وهو لا يشعر .

وأخرج عن ابن مسعود ، قال : اذا ابتدأت في سورة ، فأردت تتحوّل منها إلى غيرها فتحوّل إلى « قل هو الله أحد » ، فإذا ابتدأت فيها فلا تتحوّل منها حتى تختمها .

وأخرج عن ابن أبي الهذيل . قال . كانوا يكرهون أن يقرءوا بعض الآية ويدَعوا بعضها .

قال أبو عبيد : الأمر عندنا على كراهة قراءة الآيات المختْلفة ، كما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال ، وكما كرهه ابن سيرين .

وأما حديث عبد الله ، فوجهه عندى أن يبتدئ الرجل في السورة يريد إتمامَها ، ثم يبدو له في أخرى ، فأمّا من ابتدأ القراءة وهو يريد التنقُّل من آية إلى آية ، وترك التأليف لآى القرآن ، فإنما يفعله من لا علم له ؛ لأن الله لو شاء لأنزله على ذلك . انتهى .

وقد نقل القاضى أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة .

قال البيهقى : وأحسن ما يحتجّ به أن يقال : إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأخذه عن جبريل ، فالأوْلى للقارىء أن يقرأه على التأليف المنقول ، وقد قال ابن سيرين : تأليف الله خير من تأليفكم .

• • •

مسألة

قال الحليمىّ : يسن استيفاء كلّ حرف أثبته قارئ ليكون قد أتى على جميع ما هو قرآن . وقال ابن الصلاح والنووىّ ، إذا ابتدأ بقراءة أحد من القرّاء فينبغى ألا يُزاد على تلك القراءة مادام الكلام مرتبطًا ، فإذا انقضى ارتباطه ، فله أن يقرأ بقراءة أخرى . والأوْلى دوامُه على الأُولى فى هذا المجلس .

وقال غيرهما بالمنع مطلقا .

قال ابن الجزرىّ : والصواب أن يقالَ : إن كانت إحدى القراءتين مرتبة[(١)] على الأُخرى مُنِع ذلك مَنْعَ تحريم ، كمن يقرأ : ﴿ فتلقَّى آدم من ربه كلمات ﴾ برفعهما أو نصبهما ، أخذ رفع « آدم » من قراءة غير ابن كثير ورفع « كلمات » من قراءته ، ونحو ذلك مما لا يجوز فى العربية واللغة ، ومالم يكن كذلك فرّق فيه بين مقام الرّواية وغيرها ، فإن كان على سبيل الرّواية حرُم أيضا ، لأنه كذبٌ فى الرواية وتخليط ، وإن كان على سبيل التلاوة جاز .

• • •

(١) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق سنة ١٣٠٧ «مرتبطة» .

مسألة

يسنّ الاستماع لقراءة القرآنُ وترك اللغط والحديث بحضور القراءة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) .

• • •

مسألة

يسنّ السجود عند قراءة آية السجدة ، وهي أربع عشرة : فى الأعراف والرعد ، والنحل ، والإسراء ، ومريم ، وفى الحجّ سجدتان ، والفرقان ، والنّمل ، والٓمٓ تنزيل ، وفُصّلت ، والنجم ، وإذا السماء انشقت ، واقرأ باسم ربّك ، وأماصّ فمستحبّة . وليست من عزائم السجود : أى متأكداته . وزاد بعضهم آخرَ الحِجر . نقله ابن الفرس فى أحكامه .

• • •

مسألة

قال النووىّ : الأوقات المختارة للقراءة ، أفضلُها ما كان فى الصّلاة ثم الليل ، ثم نصفه الأخير . وهى بين المغرب والعشاء محبوبة . وأفضلُ النّهار بعد الصبح . ولاتكره فى شىء من الأوقاتلمعنىً فيه ، وأما ما رواه ابن أبى داود عن مُعاذ بن رفاعة عن مشايخه ، : أنهم كرهوا القراءة بعد العصر – وقالوا : هو دراسة يهود – فغير مقبول ، ولا أصل له .

ويُختار من الأيام يوم عرفة ثم الجمعة ، ثم الاثنين ، والخميس . ومن الأعشار العشر الأخير من رمضان والأوّل من ذى الحجة ، ومن الشهور رمضان .

---

(١) سورة الأعراف ٢٠٤ .

ويُختار لابتدائه ليلة الجمعة ، ولختمه ليلة الخميس ، فقدْ روى ابنُ أبي داود ، عن عثمان بن عفان ، أنّه كان يفعل ذلك .

والأفضل الختم أوّل النهار أو أوّل الليل ؛ لما رواه الدارمىّ بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص ، قال : إذا وافق ختم القرآن أوّل الليل صلّت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإن وافق ختمه أوّل النهار صلّتْ عليه الملائكة حتى يُمسِى . قال فى الإحياء : ويكون الختم أول النهار فى ركعتى الفجر ، وأوّل الليل فى ركعتى سنة المغرب .

مسألة

وعن ابن المبارك ، يستحبّ الختم فى الشتاء أول الليل ، وفى الصيف أول النّهار .

مسألة

يسنّ صوم يوم الختم ، أخرجه ابن أبي داود عن جماعة من التابعين ، وأن يحضر أهله وأصدقاؤه . أخرج الطّبرانىّ ، عن أنس ، أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا .

وأخرج ابنُ أبي داود عن الحكم بن عتيبة ، قال : أرسل إلىّ مجاهد وعنده ابن أبي أمامة ، وقالا : إنا أرسلنا إليك لأنا أردنا أن نختم القرآن ، والدعاء يُستجاب عند ختم القرآن .

وأخرج عن مجاهد ، قال : كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ويقول : عنده تنزل الرحمة .

• • •

مسألة

يستحبّ التكبير من الضحى إلى آخر القرآن ، وهى قراءة المكّيين . أخرج البيهقىّ فى الشّعب وابنُ خزيمة من طريق ابن أبى بَزَّة ، سمعت عِكرمة بن سليمان قال : قرأتُ على إسماعيل بن عبد الله المكىّ ، فلما بلغتُ الضحى ، قال : كبِّر حتى تختم ، فإنّى قرأت على عبد الله بن كثير ، فأمرنى بذلك وقال : قرأت على مجاهد فأمرنى بذلك وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك.

وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أبىّ بن كعب ، فأمره بذلك . كذا أخرجناه موقوفا .

ثم أخرجه البيهقىّ من وجه آخر عن ابن بَزّة مرفوعا .

وأخرجه من هذا الوجه - أعنى المرفوع - الحاكمُ فى مستدركه ، وصححه ، وله طرق كثيرة عن البزّىّ .

وعن موسى بن هارون قال : قال لى البزّىّ : قال لى محمد بن إدريس الشافعىّ : إن تركت التكبير فقدتَ سنة من سنن نبيكَ ، قال الحافظ عماد الدين بن كثير : وهذا يقتضى تصحيحه للحديث .

وروى أبو العلاء الهمْدانىّ ، عن البزّى أنّ الأصل فى ذلك أنّ النبى صلى الله عليه وسلم انقطع عنه الوحى ، فقال المشركون : قَلا محمّدًا ربُّه ، فنزلت سورة الضحى ، فكبّر النبىّ صلى الله عليه وسلم . قال ابنُ كثير : ولم يروَ ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف .

وقال الحليمىّ : نكتة التكبير التشبيه للقراءة بصوم رمضان إذا أكمل عدته يكبّر ، فكذا هنا يكبّر إذا أكمل عدة السورة . قال . وصفته أنْ يَقِف بعد كلّ سورة وقفة ، ويقول : الله أكبر .

وكذا قال سُلَيم الرازى من أصحابنا فى تفسيره : يُكبِّر بين كلّ سورتين تكبيرة ، ولا يصل آخر السورة بالتكبير ، بل يفصل بينهما بسكتة . قال : ومَنْ لا يكبّر من القراء ، حجّتهم أن فى ذلك ذريعة إلى الزيادة فى القرآن بأن يداوَم عليه فيتوهم أنه منه .

وفى النشر : اختلف القراء فى ابتدائه ، هل هو من أوّل الضحى أو من آخرها ؟ وفى انتهائه : هل هو أوّل سورة الناس أو آخرها ؟ وفى وصله بأوّلها أو آخرها وقطعه ، والخلاف فى الكلّ مبنىٌّ على أصل ، وهو أنه : هل هو لأوّل السورة أو لآخرها ، وفى لفظه فقيل : الله أكبر ، وقيل : لا إله إلا الله والله أكبر ؛ وسواء فى التكبير فى الصلاة وخارجها ـ صرح به السَّخاوىّ وأبو شامة .

* * *

مسألة

يسنّ الدعاء عقب الختم ، لحديث الطَّبرانى وغيره عن العِرْباض بن سارية مرفوعا : « مَنْ ختم القرآن فله دعوة مستجابة » .

وفى الشُّعب من حديث أنس مرفوعا : « مَنْ قرأ القرآن وحمد الرّب ، وصلَّى على النبىّ صلى الله عليه وسلم واستغفر ربّه ، فقد طلب الخير مكانه » .

مسألة

يسنّ إذا فرغ من الختمة أن يشرع فى أخرى عقب الختم ، لحديث الترمذىّ وغيره : « أحبُّ الأعمال إلى الله الحالّ المرتحل ، الّذى يضرب من أوّل القرآن إلى آخره ، كلمّا أحلّ ارتحل » .

وأخرج الدارمىّ بسند حسن ، عن ابن عباس ، عن أبىّ بن كعب أنّ النبىّ صلَّى الله عليه وسلّم كان إذا قرأ : « قل أعوذ برب الناس » افتتح

من الحمد ، ثم قرأ من البقرة إلى : « أولئك هم المفلحون » ، ثم دعا بدعاء الختمة ، ثم قام .

• • •

مسألة

عن الإمام أحمد ، أنه منع من تكرير سورة الإخلاص عند الختم ، لكن عمل الناس على خلافه . قال بعضهم : والحكمة فيه ما ورد أنها تعدِل ثلث القرآن ، فيحصل بذلك ختمة .

فإن قيل : فكان ينبغى أن تقرأ أربعا ليحصل له ختمتان !

قلنا : المقصود أن يكون على يقين من حصول ختمة ، إمّا التى قرأها . وإمّا التى حصل ثوابها بتكرير السورة . انتهى .

قلت : وحاصل ذلك يرجع إلى جبر ما لعله حصل فى القراءة من خلل ، وكما قاس الحليمى التكبيرَ عند الختم عَلى التكبير عند إكمال رمضان . فينبغى أن يقاس تكرير سورة الإخلاص على إتباع رمضان بستٍّ من شوّال .

• • •

مسألة

يُكْرَه اتِّخاذ القرآن معيشة يتكسّب بها . وأخرج الآجرىّ من حديث عمران ابن الحصين مرفوعا : « مَنْ قرأ القرآن ، فليسأل الله به ، فإنّه سيأتى قوم يقرءون القرآنَ يسألون الناس به » .

وروى البخارىّ فى تاريخه الكبير بسند صالح حديث : « من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع منه ، لُعِنَ بكل حرف عشر لعنات » .

• • •

مسألة

يكره أن يقول : نسيت آية كذا ، بل أنسِيتها ، لحديث الصحيحين فى النهى عن ذلك .

• • •

مسألة

الأئمة الثلاثة على وصول ثواب القراءة للميّت ، ومذهبنا خلافه ، لقوله تعالى : ﴿ وأنْ لَيْسَ لِلإنْسَانِ إلَّا مَا سَعَى ﴾ (١)

• • •

فصل فى الاقتباس وما جرى مجراه

الاقتباس تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن ، لا على أنه منه ، بألاَّ يقال فيه قال الله تعالى ونحوه ، فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباسا . وقد اشتهر عن المالكيّة تحريمهُ وتشديدُ النكير على فاعله ، وأما أهل مذهبنا فلم يتعرّض له المتقدمون ولا أكثر المتأخرين ، مع شيوع الاقتباس فى أعصارهم واستعمال الشعراء له قديما وحديثا . وقد تعرّض له جماعة من المتأخّرين ؛ فسئل عنه الشيخ عز الدين عبد السلام ، فأجازه ، واستدلّ له بما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من قوله فى الصلاة وغيرها : « وجّهت وجهى : » إلى آخره وقوله . « اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ، اقض عنى الدَّين ، واغننى من الفقر » .

وفى سياق كلام لأبى بكر : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أىَّ منقلب ينقلبون ﴾ .

---

(١) سورة النجم ٣٩ .

وفى آخر حديث لابن عمر : « قد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » . انتهى .

وهذا كلّه إنّما يدلّ على جوازه فى مقام المواعظ والثناء والدعاء ، وفى النثر لا دِلالة فيه على جوازه فى الشعر ، وبينهما فرق ، فإنّ القاضى أبا بكر من المالكيّة صرح بأن تضمينه فى الشعر مكروه وفى النثر جائز .

واستعمله أيضا فى النثر القاضى عياض فى مواضع من خطبة الشفا .

وقال الشرف إسماعيل بن المقرئ اليمنىّ صاحب مختصر الروضة فى شرح بديعيّته : ما كان منه فى الخطب والمواعظ ومدحه صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ولو فى النظم فهو مقبول ؟ وغيره مردود .

وفى شرح بديعية ابن حجّة : الاقتباس ثلاثة أقسام : مقبول ، ومباح ، ومردود .

فالأول : ما كان فى الخطب والمواعظ والعهود .

والثانى : ما كان فى القول والرسائل والقصص .

والثالث : على ضربين : أحدهما ما نسبه الله إلى نفسه – ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه ، كما قيل عن أحد بنى مروان أنه وقّع على مطالعة فيها شكاية عمّاله : ﴿ إن إلينا إيابهم ، ثم إنّ علينا حسابهم ﴾ – والآخر تضمين آية فى معنى هزل ، ونَعوذ بالله من ذلك ، كقوله :

أَوْحَى إلى عشاقــه طَرْفُــهُ « هَيهات هيهات لما توعدون »
ورِدْفُه ينطقُ من خلفِــه « لمثل ذا فليعمل العاملون »

قلت : وهذا التقسيم حسنٌ جدا ، وبه أقول .

وذكر الشيخ تاج الدين بن السُّبكيّ فى طبقاته فى ترجمة الإمام أبى منصور عبد القاهر بن الطاهر التميميّ البغداديّ من كبار الشافعية وأجِلّائهم أن من شعره قوله :

يا من عَدَى ثم اعتدى ثم اقترف ثم انتهى ثمّ ارعوى ثم اعترفْ
أبشرْ بقولِ الله فى آياتـــــه : إن ينتهوا يغفرْ لهم ما قَدْ سَلَفْ

وقال : استعمال مثل الأستاذ أبى منصور مثل هذا الاقتباس فى شعره له فائدة ، فإنه جليل القدر ، والناس ينهوْن عن هذا ، وربما أدّى بحث بعضهم إلى أنه يجوز .

وقيل إنّ ذلك إنّما يفعله من الشعراء الّذين هم فى كلّ وادٍ يهيمون ، ويثبُون على الألفاظِ وثبةَ مَنْ لايبالى ، وهذا الأُستاذ أبو منصور من أئمة الدِّين ، وقد فعل هذا وأسند عنه هذين البيتين الأُستاذ أبو القاسم بن عساكر .

قلت : ليس هذان البيْتان من الاقتباس لتصريحه بقول الله ، وقد قدّمنا أن ذلك خارج عنه .

وأما أخوه الشيخ بهاء الدين ، فقال فى عروس الأفراح : الورع اجتناب ذلك كله ، وأن ينزّه عن مثله كلام الله ورسوله .

قلت : رأيت استعمال الاقتباس لأئمة أجّلاء ، منهم الإمام أبو القاسم الرافعيّ ، قال : وأنشده فى أماليه ، ورواه عنه أئمة كبار :

الملكُ لله الّذِى عَنتِ الوجـــــو ه له وذلّتْ عنده الأربـــابُ
متفرّدٌ بالملك والسلطان قـــــدْ خَسِر الذينَ تجاذبوه وخابُـوا
دعْهم وزعم الملك يـوم غـرورِهم فسيعلمون غدًا مَن الكـذابُ !

وروى البَيهقىّ فى شُعب الإيمان ، عن شيخه أبى عبد الرحمن السُلَمى ، قال : أنشدنا أحمد بن يزيد لنفسه :

سلِ الله مِنْ فضلِهِ واتقِــهْ فإنّ التقى خير مَا تكْتَسِبْ
ومَنْ يتّق الله يصنع لَــهُ ويرزقه من حيث لايحتسِبْ

ويقرب من الاقتباس شيئان :

أحدهما : قراءة القرآن يراد بها الكلام . قال النووىّ فى التبيان : ذكر ابن أبى داود فى هذا اختلافا ، فروى عن النَّخَعِى ، أنه كان يكره أن يتأوّل القرآن لشىء يعرض من أمر الدنيا .

وأخرج عن عمر بن الخطاب ، أنه قرأ فى صلاة المغرب بمكة : ﴿ والتِّين والزيتون وطور سينين ﴾ ، ثم رفع صوته ، فقال : ﴿ وهَذَا البَلدِ الأمين ﴾ . وأخرج عن حكيم بن سعيد أن رجلا من المحكّمة أتى عليًا وهو فى صلاة الصبح . فقال : ﴿ لئِن أشركت لَيحْبَطنَّ عَمَلُكَ ﴾(١) ، فأجابه فى الصلاة : ﴿ فاصبِرْ إنَّ وعد الله حقّ ولا يستَخفّنك الذين لايوقنون ﴾(٢) . انتهى . وقال غيره : يكره ضرب الأمثال من القرآن ، صرح به من أصحابنا العمادُ البيهقىّ تلميذ البغوىّ . كما نقله ابن الصلاح فى فوائد رحلته .

الثانى : التوجيه بالألفاظ القرآنية فى الشعر وغيره ، وهو جائزٌ بلا شك ، وروينا عن الشريف تقىّ الدين الحسينىّ أنه لمّا نظم قوله :

مجازٌ حقيقتُها فاعبــروا ولا تَعْمرُوا هوِّنوها تهنْ
وما حُسْنُ بَيتٍ لَهُ زخرفٌ تراهُ إذا زلزلت لم يكنْ !

(١) سورة الزمر ٦٥ . (٢) سورة الروم ٦٠ .

خَشِيَ أن يكون ارتكب حرامًا ، لاستعماله هذه الألفاظَ القرآنيَّةَ فى الشّعر ، فجاء إلى شيخ الإسلام تقيِّ الدِّين بن دقيق العيد يسأله عن ذلك ، فأنشده إياهما ، فقال له : قل : « وما حسن كهف » ، فقال : يا سيِّدى أفدتَنِى وأفتيتَنِى .

• • •

خاتمة

قال الزركشىّ فى البرهان : لا يجوز تعدّى أمثلة القرآن : ولذلك أنكر على الحريرىّ قوله [1] : « فأدخلنِى بيتًا أَحْرَجَ [2] من التابوت ، وأَوْهى من بيت العنكبوت » .

وأىّ معنًى أبلغ من معنًى أكده الله من ستَّة أوجه ؛ حيث قال : ﴿ وإنَّ أَوْهَنَ البيوت لبيتُ العنكبوت﴾ [3] ، فأدخل « إنَّ » ، وبنى أفعل التفضيل ، وبناه من الوهَنَ ، وأضافه إلى الجمع ، وعرَّف الجمع باللام ، وأتى فى خبر « إنَّ » باللام [4] .

لكن استشكل هذا بقوله تعالى : ﴿ إنَّ الله لا يَسْتَحْيِى أن يضرب مثلاً ما بعوضَةً فمَا فَوْقَهَا ﴾ [5] ؛ وقد ضرب النبىّ صلَّى الله عيه وسلَّم المثل بما دون

(١) فى مقامته الفرضية ، وهى الخامسة عشرة ١ : ٢٣ — بشرح الشريشى .

(٢) أحرج : أضيق . (٣) سورة العنكبوت ٤١ .

(٤) بعدها فى البرهان : وقد قال الله تعالى : « واذا قلتم فاعدلوا » وكان اللائق بالحريرى الا يتجاوز هذه المبالغة ، وما بعد تمثيل الله تمثيل وقول الله أقوم قيل ، وأوضح سبيل .. »

(٥) سورة البقرة ٢٦ :

البعوضة ، فقال : « لَوْ كانتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عند الله جناح بعوضة [١] ... » .

قلت : قد قال قوم فى الآية : إن معنى قوله : ﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ فى الخِسّة . وعبّر بعضهم عن هذا بقوله : معناه : « فما دونها » ، فزال الإشكال [٢] .

* * *

تمّ الجزء الأول من كتاب الإتقان فى علوم القرآن

للإمام السيوطى ويليه الجزء الثانى وأوله :

الباب السادس والثلاثون فى معرفة غريبه .

* * *

---

(١) نقله السيوطى فى الجامع الصغير ١ : ٢٢١ عن الترمذى . ولفظه فيه : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء » .

(٢) البرهان ١ : ٤٨٤ .

فهرس الموضوعات — الصفحة

• • •

• • •

النوع السابع عشر

• • •

النوع الثامن عشر

• • •

النوع التاسع عشر

النوع العشرون ...

• • •

النوع الحادى والعشرون

• • •

النوع الثانى والثالث والرابع والخامس

والسادس والسابع والعشرون

• • •

النوع الثامن والعشرون

• • •

النوع التاسع والعشرون

• • •

النوع الثلاثون

• • •

النوع الحادى والثلاثون

• • •

النوع الثانى والثلاثون

• • •

النوع الثالث والثلاثون

النوع الرابع والثلاثون

النوع الخامس والثلاثون

الإتقان في علوم القرآن

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثانى

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٥

الكتاب	الاتقان فى علوم القرآن
المؤلّف	جلال الدين الاسيوطى
المحقّق	محمّد أبوالفضل ابراهيم
الطبعة	الثانية
التأريخ	١٣٦٣ـ هـ ـ ش
الجزء	الأول والثانى
عدد الصفحات	٨٠٠
الناشر	منشورات الرضى ـ بيدار
المطبعة	مطبعة أمير
عدد النسخ	١٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

النوع السادس والثلاثون

فى مَعرفة غرِيبه

أفرده بالتَّصنيف خلائق لايُحْصَوْن : منهم أبو عُبيدة ، وأبو عُمَر الزاهد ، وابن دُرَيد . ومن أشهرها كتاب العُزَيزىّ ؛ فقد أقام فى تأليفه خمس عشرة سنة ، يحرِّره هو وشيخه أبو بكْر بن الأنبارىّ .

ومن أحسنِها المفردات للرّاغب . ولأبي حيّان في ذلك تأليف مختصر فى كرّاسين .

قال ابن الصّلاح : وحيث رأيْتَ في كتب التفسير : « قال أهل المعانى » ، فالمراد به مصنِّفو الكتب في معانى القرآن ، كالزَّجّاج . والفرّاء . والأخفش . وابن الأنبارِيّ . انتهى .

وينبغى الاعتناء به ، فقد أخرج البيهقىٌّ من حديث أبي هريرة مرفوعا : « أعْرِبوا القرآن ، والتمِسُوا غرائبه » .

وأخرج مثله عن عمر وابن عمر ، وابن مسعود موقوفًا .

وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعًا : « مَنْ قرأ القرآن فأعربه ، كان له بكلّ حرفٍ عشرون حسنة ، ومَنْ قرأه بغير إعراب كان له بكلّ حرفٍ عشر حسنات » . المراد بإعرابه معرفةُ معانى ألفاظه . وليس المرادُ به الإعرابَ المصطلح عليه عند النُّحاة ؛ وهو ما يقابل اللّحن ؛ لأنّ القراءة مع فقدِه ليست قراءةً ، ولا ثوابَ فيها .

وعلى الخائض في ذلك التَّثبُّت والرُّجوع إلى كتب أهل الفنّ ، وعدمُ الخوض بالظنّ ؛ فهذه الصحابة ـ وهم العرب العَرْباء ، وأصحاب اللُّغة الفصحَى ، ومَنْ نزل القرآن عليهم وبِلغتِهم ـ تَوقَّفوا في ألفاظٍ لم يعرفوا معناها ، فلم يقولوا فيها شيئاً ؛ فأخرج أبو عبيد في الفضائل ، عن إبراهيم التَّيْميّ أنّ أبا بكر الصديق سئل عن قوله : ﴿ وفَاكِهَةً وأَبًّا ﴾ [(١)] ، فقال : أيُّ سماء تُظلّني ، أو أيّ أرض تُقِلُّني إن أنا قلت في كتاب الله مالا أعلم !

وأخرج عن أنسٍ أنّ عمر بن الخطاب قرأ على المنبر : ﴿ وفَاكِهَةً وأَبًّا ﴾ ، فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها ، فما الأَبّ ؟ ثم رجع إلى نفسه ؛ فقال : إن هذا لهو الكلَف يا عمر !

وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس ، قال : كنتُ لا أدرى ما فاطر السموات [(٢)] ، حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئرٍ ، فقال أحدهما : أنا فَطَرْتُهَا ، يقول : أنا ابتدأتُها .

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير أنّه سئل عن قوله : ﴿ وَحنانًا من لَدُنَّا ﴾ [(٣)] ، فقال : سألتُ عنها ابنَ عبَّاسٍ ، فلم يُجِبْ فيها شيئًا .

وأخرج من طريق عِكْرِمةَ عن ابن عباس ، قال : لا والله ، ما أدرى ما حنانا !

وأخرج الفرْيابيّ ، حدّثنا إسرائيل ، حدثنا سِماك بن حَرْب ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : كلُّ القرآن أعلَمُه إلاَّ أربعًا : ﴿ غِسْلِين ﴾ [(٤)] ، ﴿ وَحَنَانًا ﴾ ، و ﴿ أوّاهٌ ﴾ [(٥)] ، و ﴿ الرَّقِيم ﴾ [(٦)] .

(١) سورة عبس ٣١ .
(٢) من قوله تعالى فى أول سورة فاطر : (الحمد لله فاطر السموات والأرض ..) .
(٣) سورة مريم ١٣ .
(٤) سورة الحاقة ٣٦ ، وهو قوله تعالى : (ولا طعام الا من غسلين) .
(٥) سورة التوبة ١١٤ ، وهو قوله تعالى : (ان ابراهيم لأواه حليم) .
(٦) سورة الكهف ٩ ، وهو قوله تعالى : (ام حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال : قال ابن عباس : ما كنت أدرى ما قوله : (رَبَّنَا افْتَحْ بيننَا وَبَيْنَ قَومِنا بالحق) (١) ، حتى سمعت قول بنت ذى يزن : « تعال أفاتحك » ، تقول : تعال أخاصمك .

وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس ، قال : ما أدرى ما الغسلين ! ولكنى أظنه الزَّقُّوم .

• • •

فصل

معرفة هذا الفنّ [أمرٌ] (٢) ، ضروريّ للمفسّر كما سيأتى فى شروط المفسّر . قال في البرهان : ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة : أسماء وأفعالا وحروفا ؛ فالحروف لقلّتِها تكلّم النحاة على معانيها ، فيؤخذُ ذلك من كتبهم ، وأمّا الأسماء والأفعال فتؤخذ من كتب علم اللغة ، وأكبرها كتاب ابن السِّيد .

ومنها التهذيب للأزهريّ والمحكَم لابن سِيده ، والجامع للقزّاز ، والصّحاح للجوهريّ ، والبارع للفارابيّ ، ومجمع البحرين للصاغانى .

ومن الموضوعات في الأفعال كتاب ابن القوطيّة ، وابن طَريف ، والسَّرَقُسطيّ. ومن أجمعها كتاب ابن القَطّاع (٣) .

• • •

قلت : وأوْلَى ما يُرْجَعُ إليه في ذلك ما ثبتَ عن ابن عباس وأصحابه

---

(١) سورة الأعراف ٨٩ .
(٢) اضافة على الأصول .
(٣) البرهان ١ : ٢٩٢ .

الآخذين عنه ؛ فإنه ورد عنهم ما يستوعبُ تفسيرَ غريب القرآن ، بالأسانيد الثابتة الصحيحة .

وها أنا أسوق هنا ما ورَد من ذلك عن ابن عباس ، من طريق ابن أبى طَلْحة خاصة ؛ فإنَّها من أصحّ الطُّرق عنه ، وعليها اعتمد البخاريّ فى صحيحه ، مرتبًا على السُّور .

(سورة البقرة)

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى - (ح) وقال ابن جرير : حدثنا المثنّى - قالا : حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح ؛ حدّثنى معاوية بن صالح عن علىّ ابن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، فى قوله تعالى :

﴿ لا يُؤْمِنُون ﴾ (١) ، قال : لا يصدّقون .

﴿ يَعْمَهُون ﴾ (٢) : يتمادَوْن .

﴿ مُطَهَّرَةٌ ﴾ (٣) : من القذر والأذى .

﴿ الْخَاشِعِين ﴾ (٤) : المصدّقين بما أنزل الله .

﴿ وفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ ﴾ (٥) : نعمة .

﴿ وَفُومِهَا ﴾ : (٦) الحِنْطة .

﴿ إلَّا أَمَانِيَّ ﴾ (٧) : أحاديث .

﴿ قُلُوبُنا غُلْفٌ ﴾ (٨) فى غطاء .

(١) آية ٦ .
(٢) آية ١٥ .
(٣) آية ٢٥ .
(٤) آية ٤٥ .
(٥) آية ٤٩ .
(٦) آية ٦١ .
(٧) آية ٧٨ .
(٨) آية ٨٨

﴿ ما نَنْسَخْ ﴾ (١) : نبدّل .

﴿ أو نُنْسِهَا ﴾ (٢) : نتركها فلا نبدّلها .

﴿ مَثَابَةً ﴾ (٣) : يثوبون إليه ، ثمّ يرجعون .

﴿ حَنِيفًا ﴾ (٤) : حاجًا .

﴿ شَطْرَهُ ﴾ (٥) : نحوه .

﴿ فلا جُنَاحَ ﴾ (٦) : فلا حرجَ .

﴿ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ (٧) : عمله .

﴿ أُهِلَّ به لغَيْرِ الله ﴾ (٨) : ذُبح للطواغيت .

﴿ وابْنَ السَّبِيل ﴾ (٩) : الضيف الذى ينزل بالمسلمين .

﴿ إن تَرَك خَيرًا ﴾ (١٠) : مالاً .

﴿ جَنَفًا ﴾ (١١) : إثماً .

﴿ حُدُودَ الله ﴾ (١٢) : طاعة الله .

﴿ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ (١٣) : شِرْك .

﴿ فَمَنْ فَرَضَ ﴾ (١٤) : أحرم .

---

(١) آية ١٠٦ . (٢) آية ١٠٦ .
(٣) آية ١٢٥ . (٤) آية ١٣٥ .
(٥) آية ١٤٤ . (٦) آية ١٥٨ .
(٧) آية ٢٠٨ . (٨) آية ١٧٣ .
(٩) آية ١٧٧ . (١٠) آية ١٨٠ .
(١١) آية ١٨٢ . (١٢) آية ٢٢٩ .
(١٣) آية ١٩٣ . (١٤) آية ١٩٧ .

﴿ قُلِ العَفْوَ ﴾[١] : مالا يتبيّن في أحوالكم .

﴿ لأَعْنَتَكُمْ ﴾ [٢] : لأحرجكم وضيّق عليكم .

﴿ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أو تَفْرِضوا ﴾ [٣] : المسّ : الجماع ، والفريضة : الصداق .

﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ ﴾ [٤] : رحمة .

﴿ سِنَةٌ ﴾ [٥] : نعاس .

﴿ ولا يَئُودُهُ ﴾ [٦] : يثقل عليه .

﴿ كَمثَلِ صَفْوَانٍ ﴾ [٧] : حجر صُلْد ليس عليه شيء .

• • •

(آل عمران)

﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ [٨] : مميتك .

﴿ رِبِّيُّونَ ﴾ [٩] جموع .

• • •

(النساء)

﴿ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [١٠] : إثما عظيما .

﴿ نِحْلَةً ﴾ [١١] : مهراً .

---

(١) آية ٢١٩ (٢) آية ٢٢٠ .
(٣) آية ٢٣٦ . (٤) آية ٢٤٨ .
(٥) آية ٢٥٥ . (٦) آية ٢٥٥ .
(٧) آية ٢٦٤ . (٨) آية ٥٥ .
(٩) آية ١٤٦ . (١٠) آية ٢ .
(١١) آية ٤ .

﴿ وابْتَلُوا الْيَتَامَى ﴾ [١] : اختبروا .

﴿ آنَسْتُمْ ﴾ [٢] : عرفتم .

﴿ رُشْدًا ﴾ [٣] : صلاحًا .

﴿ كَلاَلَةً ﴾ [٤] : من لم يترك والدًا ولا ولدًا .

﴿ ولاَ تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ [٥] : تَقْهرُوهُنَّ .

﴿ والْمُحْصَنَاتُ ﴾ [٦] :كلّ ذات زوجٍ .

﴿ طَوْلاً ﴾ [٧] سعةً .

﴿ مُحْصَناتٍ ﴾ [٨] : غير مسافحاتٍ ، عفائف غير زوانٍ في السر والعلانية .

﴿ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ [٩] : أخِلاَّء .

﴿ فإذا أُحْصِنَّ ﴾ [١٠] : تزوّجنَ .

﴿ الْعَنَتَ ﴾ [١١] : الزِّنا .

﴿ مَوَالِيَ ﴾ [١٢] عصبة .

﴿ قَوَّامُون ﴾ [١٣] : أمرَاء .

﴿قَانِتَات ﴾ [١٤] : مطيعات.

---

(١) آية ٦ .
(٢) آية ٦ .
(٣) آية ٦ .
(٤) آية ١٢ .
(٥) آية ١٩ .
(٦) آية ٢٤ .
(٧) آية ٢٥ .
(٨) آية ٢٥ .
(٩) آية ٢٥ .
(١٠) آية ٢٥ .
(١١) آية ٢٥ .
(١٢) آية ٣٣ .
(١٣) آية ٣٤ .
(١٤) آية ٣٤ .

﴿ والْجَارِ ذِى الْقُرْبَى ﴾ [١] : الذى بينك وبينه قرابة

﴿ وَالْجَارِ الجُنُب ﴾ [٢] الذى ليس بينك وبينه قرابة .

﴿ وَالصَّاحِبِ بالْجَنْب ﴾ [٣] : الرفيق .

﴿ فَتِيلاً ﴾ [٤] : الذى فى الشقّ الذي فِي بطن النواة .

﴿ الجِبْتِ ﴾ [٥] : الشّرك .

﴿ نَقِيرًا ﴾ [٦] : النقطة التى فى ظهر النواة .

﴿ وَأولِي الأمْرِ ﴾ [٧] . أهل الفقه والدين .

﴿ ثُباتٍ ﴾ [٨] عُصَبًا سرايا متفرّقين .

﴿ مُقِيتًا ﴾ [٩] : حفيظا

﴿ أرْكَسَهم ﴾ [١٠] أوقعهم .

﴿ حَصِرَتْ صُدُورهمْ ﴾ [١١] : ضاقت

﴿ أولِي الضَّرَرِ ﴾ [١٢] : العُذْر .

﴿ مُرَاغَمًا ﴾ [١٣] : التحوّل من الأرض إلى الأرض

﴿ وَسَعَةً ﴾ [١٤] : الرزق .

﴿ مَوْقوتًا ﴾ [١٥] : مفروضا .

---

(١) آية ٣٦ . (٢) آية ٣٦
(٣) آية ٣٦ (٤) آية ٤٩ .
(٥) آية ٥١ . (٦) آية ٥٣ .
(٧) آية ٥٩ . (٨) آية ٧١ .
(٩) آية ٨٥ (١٠) آية ٨٨ .
(١١) آية ٩٠ . (١٢) آية ٩٥ .
(١٣) آية ١٠٠ . (١٤) آية ١٠٠
(١٥) آية ١٠٣ .

﴿ تَأْلَمُونَ ﴾ [١] : توجعون .

﴿ خَلْقَ اللهِ ﴾ [٢] . دين الله .

﴿ نشوزًا ﴾ [٣] بغضا .

﴿ كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ [٤] : لا هيَ أيِّمٌ ولا هيَ ذات زوج .

﴿ وإن تَلْوُوا ﴾ [٥] : ألسنتكم بالشهادة أو تعرضوا عنها .

﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا ﴾ [٦] : يعني رَمَوْها بالزنا .

• • •

(المائدة)

﴿ أوفُوا بالعُقُودِ ﴾ [٧] : ما أحَلَّ وما حرّم وما فرض وما حدّ في القرآن كله .

﴿ يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ [٨] : يَحْمِلَنَّكُمْ

﴿ شَنَآن ﴾ [٩] : عداوة .

﴿ على البر والتقوى ﴾ [١٠] : البر ما أُمرت به والتقوى مانهيت عنه .

﴿ المنخنقة ﴾ [١١] : التي تُخنَق فتموت .

﴿ والموقُوذَة ﴾ [١٢] : التي تضرب بالخشب فتموت .

﴿ والمتَردِّية ﴾ [١٢] : التي تتردى من الجبل .

---

(١) آية ١٠٤ .
(٢) آية ١١٩ .
(٣) آية ١٢٨ .
(٤) آية ١٢٩ .
(٥) آية ١٣٥ .
(٦) آية ١٥٦ .
(٧) آية ١ .
(٨) آية ٨ .
(٩) آية ٨ .
(١٠) آية ٢ .
(١١) آية ٣ .
(١٢) آية ٣ .

﴿ النَّطِيحَةَ ﴾ [١] : الشاة التى تنطح الشاة .

﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ ﴾ [٢] : ما أخذ .

﴿ إِلا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ [٣] : ذَبَحْتُمْ وبه روح .

﴿ بالأزلام ﴾ [٤] : القِدَاح .

﴿ غيرَ متجَانفٍ ﴾ [٥] متعدٍّ لإثمٍ .

﴿ مِنَ الجوارِحِ ﴾ [٦] : الكلاب والفهود والصقور وأشباهها .

﴿ مُكلِّبِين ﴾ [٧] : ضوارى .

﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب ﴾ [٨] : ذبائحهم

(فَافْرَق) [٩] : فافصل

﴿ وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ ﴾ [١٠] : ضلالته .

﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [١١] : أمينًا ؛ القرآن أمين على كلِّ كتاب قبله .

﴿ شرعة ومنهاجا ﴾ [١٢] : سبيلاً وسنة .

﴿ أَذِلَّةٍ على المؤْمنِينَ ﴾ [١٣] : رحماء .

﴿ مغلولةٌ ﴾ [١٤] : يعنون : بخيلٌ أمسك ما عنده ، تعالى الله عن ذلك !

﴿ بَحِيرَةٍ ﴾ [١٥] : هى الناقة إذا أنتجَتْ خمسة أبطن نظروا إلى الخامس ، فإن كان ذكراً ذبحوه فأكله الرِّجال (دون النساء) [١٦] ، وإن كانت أنثى

---

(١) آية ٣ .
(٢) آية ٣ .
(٣) آية ٣ .
(٤) آية ٣ .
(٥) آية ٣ .
(٦) آية ٤ .
(٧) آية ٤ .
(٨) آية ٥ .
(٩) آية ٢٥ .
(١٠) آية ٤١ .
(١١) آية ٤٨ .
(١٢) آية ٤٨ .
(١٣) آية ٥٤ .
(١٤) آية ٦٤ .
(١٥) آية ١٠٣ .
(١٦) عن نسخة الشيخ عثمان عبد الرازق طه سنة ١٣٠٧ ص ١٢٠ .

جَدَعوا آذانها . وأمّا السَّائِبَةُ فكانوا يَسِيبون من أنْعامهم لآلهتهم لايركبون لها ظهرًا ، ولا يَحْلِبُون لها لبنًا ، ولا يجزُّون لها وبرًا ، ولا يحمِلُون عليها شيئًا. وأمّا الوَصِيلَةُ فالشاة إذا نُتِجَتْ سبْعَةَ أبطن ، نظروا السَّابعَ ، فإن كان ذكرًا أو أنثى وهو ميّت [1] اشترك فيه الرّجال والنِّساء ، وإن كانت أنثىوذكرًا فِي بطن استحْيَوها وقالوا : وَصلَتْه أختُه ، فحرَّمَتْه علينا . وأمّا الحامُ فالفحلُ منِ الإبل إذا وُلد لِولده قالوا : حَمَىهذا ظهره ، فلايحمِلون عليه شيئًا ، ولا يجزُّون له وَبَرًا ، ولا يمنعونه من حمى رعْى ، ولا من حَوْضٍ يشرب منه ، وان كان الحوض لغير صاحبه .

• • •

(الأنعام)

﴿ مِدْرَارًا ﴾ [2] : يتبع بعضها بعضًا .

﴿ وَيَنْأَوْنَ ﴾ [3] : يتباعدون .

﴿ فلما نسُوا ﴾ [4] : تركوا

﴿ مُبْلِسُون ﴾ [5] : آيسون .

﴿ يَصْدِفُونَ ﴾ [6] : يعدلون .

﴿ يدْعُونَ ﴾ [7] : يعبدون .

---

(١) اى قد ذبح . وانظر لسان العرب مادة (وصل) وفى رواية على بن أبى طلحة عن ابن عباس هى الشاة اذا نتجت سبعة أبطن نظروا الى السابع . فان كان ذكرا وهو ميت اشترك فيه الرجال دون النساء ، وان كان انثى استحيوها ، وان كان ذكراوانثى فى بطن واحد استحيوهما ، وقالوا وصلته أخته فحرمته علينا تفسير ابن كثير ٣ : ٢٥٥ . وانظر ماجاء فى تفسير البغوى بهامشه .

(٢) آية ٦ . (٣) آية ٣٦ .

(٤) آية ٤٤ . (٥) آية ٤٤ .

(٦) آية ٤٦ . (٧) آية ٥٢ .

﴿ جَرَحْتُمْ ﴾ (١) : كسبتم من الاثم .

﴿ يُفَرِّطُونَ ﴾ (٢) : يضيّعون .

﴿ شِيَعًا ﴾ (٣) : أهواء مختلفة .

﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ ﴾ (٤) : حقيقة .

﴿ أَنْ تُبْسَلَ ﴾ (٥) تُفْضَحَ .

﴿ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ﴾ (٦) : البسط : الضرب .

﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ ﴾ (٧) ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل .

﴿ حُسبانًا ﴾ (٨) : عدد الأيام والشهور والسّنين .

﴿ قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ (٩) : قصار النخل اللاصقة عروقها بالأرض .

﴿ وخَرَقُوا له ﴾ (١٠) : تخرّصوا .

﴿ قُبُلاً ﴾ (١١) : معاينةً .

﴿ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاه ﴾ (١٢) : ضالا فهديناه .

﴿ عَلَى مَكَانَتِكُمْ ﴾ (١٣) : ناحيتكم .

﴿ وحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ (١٤) : حرام .

﴿ حَمُولَةً ﴾ (١٥) : الإبل والخيل والبغال والحمير ، وكل شىء يُحْمَل عليه .

---

(١) آية ٦٠ . (٢) آية ٦١ .
(٣) آية ٦٥ . (٤) آية ٦٧ .
(٥) آية ٧٠ . (٦) آية ٩٣ .
(٧) آية ٩٦ . (٨) آية ٩٦ .
(٩) آية ٩٩ . (١٠) آية ١٠٠ .
(١١) آية ١١١ . (١٢) آية ١٢٢ .
(١٣) آية ١٣٥ . (١٤) آية ١٣٨ .
(١٥) آية ١٤٢ .

﴿ وفَرْشا ﴾ (١) : الغَنَم .

﴿ مَّسْفُوحًا ﴾ (٢) : مُهراقًا .

﴿ مَا حَملَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ (٣) ما علق بها من الشحم .

﴿ الحَوَايَا ﴾ (٤) : المبْعَر . (٥)

﴿ مِّن اِمْلاقٍ ﴾ (٦) : الفقر .

﴿ عن دِرَاسَتهم ﴾ (٧) : تلاوتهم .

﴿ وصَدَفَ عَنهَا ﴾ (٨) : أعرض .

• • •

(الأعراف)

﴿ مَذْءومًا ﴾ (٩) : مَلُومًا .

﴿ وَرِيشًا ﴾ (١٠) : مالاً .

﴿ حَثِيثًا ﴾ (١١) : سريعًا .

﴿ رِجْسٌ ﴾ (١٢) : سخط .

﴿ بِكُلِّ صِرَاطٍ ﴾ (١٣) : الطريق .

---

(١) آية ١٤٢ . (٢) آية ١٤٥ .

(٣) آية ١٤٦ . (٤) آية ١٤٦ .

(٥) المبعر : ويجمع على مباعر وهى بنات اللبن . ويقال الحوية : ما تحوى من الأمعاء - وهى بنات اللبن أو الدوارة منها (تاج العروس-حوو) .

(٦) آية ١٥١ . (٧) آية ١٥٦ .

(٨) آية ١٥٧ . (٩) آية ١٨ .

(١٠) آية ٢٦ . (١١) آية ٥٤ .

(١٢) آية ٧١ . (١٣) آية ٨٦ .

﴿ رَبَّنَا افْتَحْ ﴾ (١) : اقْضِ .

﴿ آسَى ﴾ (٢) : أحزن .

﴿ حَتَّى عَفَوْا ﴾ (٣) : كثروا .

﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ (٤) : يترك عبادتك .

﴿ الطوفَان ﴾ (٥) : المطر .

﴿ مُتَبَّرٌ ﴾ (٦) : خسران .

﴿ أَسِفًا ﴾ (٧) : [الأَسِف] : الحزين .

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ (٨) : إن هو إلَّا عذابُك .

﴿ وَعَزَّرُوه ﴾ (٩) : حموه ووقَّروه .

﴿ ذَرَأْنَا ﴾ (١٠) : خلقنا .

﴿ فَانْبَجَسَتْ ﴾ (١١) : انفجرتْ .

﴿ وإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ ﴾ (١٢) : رفعناه .

﴿ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عنها ﴾ (١٣) : لطيف بها .

﴿ مَسَّهُمْ طائفٌ ﴾ (١٤) [الطائف] : اللمَّة .

﴿ لَوْلَا اجْتَبَيْتَها ﴾ (١٥) : لولا أحدثتها ، لولا تلقَّنْتَها فأنشأْتَها .

(١) آية ٨٩ . (٢) آية ٩٣ .
(٣) آية ٩٥ . (٤) آية ١٢٧ .
(٥) آية ١٣٣ . (٦) آية ١٣٩ .
(٧) آية ١٥٠ . (٨) آية ١٥٥ .
(٩) آية ١٥٧ . (١٠) آية ١٧٩ .
(١١) آية ١٦٠ . (١٢) آية ١٧١ .
(١٣) آية ١٨٧ . (١٤) آية ٢٠١ .
(١٥) آية ٢٠٣ .

(الأنفال)

﴿ كُلَّ بنانٍ ﴾ (١) : [البنان] : الأطراف .

﴿ جاءكُمُ الْفَتْحُ ﴾ (٢) : [الفتح] : المدد .

﴿ فُرْقَانًا ﴾ (٣) : مخرجا .

﴿ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ (٤) : ليوثقوك .

﴿ يَوْمَ الفُرْقَانِ ﴾ (٥) : يوم بدر ، فرق الله فيه بين الحق والباطل .

﴿ فَشرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ ﴾ (٦) : نَكِّلْ بهم من بعدهم .

﴿ من وَلَايَتِهِمْ ﴾ (٢) : ميراثهمْ .

• • •

(سورة التوبة)

﴿ يُضَاهِئُونَ ﴾ (٨) : يشبهون

﴿ كَافَّة ﴾ (٩) : جميعًا .

﴿ لِيُوَاطِئُوا ﴾ (١٠) يشبّهوا .

﴿ ولَا تَفْتِنِّى ﴾ (١١) : ولا تحرجنى .

﴿ إحدَى الحُسنَيين ﴾ (١٢) : فتح أو شهادة .

---

(١) آية ١٢ . (٢) آية ١٩ .
(٣) آية ٢٩ . والباتها عن نسخة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٢١ ط سنة ١٣٠٧ .
(٤) آية ٣٠ . (٥) ٤١ .
(٦) آية ٥٧ . (٧) آية ٧٢ .
(٨) آية ٣٠ . (٩) آية ٣٦ .
(١٠) آية ٣٧ . (١١) آية ٤٩ .
(١٢) آية ٥٢ .

﴿ أو مَغَارات ﴾ (١) : الغيران فى الجبل .

﴿ مُدَّخَلاً ﴾ (٢) : السَّرَب .

﴿ هُوَ أُذُنٌ ﴾ (٣) : يسمع من كلّ أحدٍ .

﴿ واغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ (٤) : أذهب الرِّفْق عنهم .

﴿ وصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ﴾ (٥) : صلوات الرسول : استغفاره .

﴿ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ (٦) : رحمة .

﴿ رِيبَةً فى قُلُوبِهِم ﴾ (٧) : شكٌّ

﴿ إلّا أنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٨) : يعنى الموت .

﴿ لأَوَّاهٌ ﴾ (٩) : [الأوَّاه] : المؤمن التوّاب .

﴿ مِنْهُمْ طائفةٌ ﴾ (١٠) : عصبة .

• • •

(يونس)

﴿ أنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ ﴾ (١١) : سبق لهم السعادة في الذكر الأول .

﴿ ولا أدْرَاكُمْ ﴾ (١٢) : أعلمكم .

﴿ تَرْهَقُهُمْ ﴾ (١٣) : تغشاهم .

---

(١) آية ٥٧ . (٢) آية ٥٧ .
(٣) آية ٦١ . (٤) آية ٧٣ .
(٥) آية ٩٩ . (٦) آية ١٠٣ .
(٧) آية ١١٠ . (٨) آية ١١٠ .
(٩) آية ١١٤ . (١٠) آية ١٢٢ .
(١١) آية ٢ . (١٢) آية ١٦ .
(١٣) آية ٢٧ .

﴿ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ [١] : مانع .

﴿ إِذْ تُفِيضُونَ ﴾ [٢] : تفعلون .

﴿ وَمَا يَعْزُبُ ﴾ [٣] : يغيب .

• • •

(هود)

﴿ يَثْنُونَ ﴾ : [٤] يكنُون .

﴿ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾ [٥] يُغَطون رءوسهم .

﴿ لَا جَرَمَ ﴾ [٦] : بَلَى .

﴿ أَخْبَتُوا ﴾ [٧] : خافوا

﴿ فَارَ التَّنُّورُ ﴾ [٨] : نَبَع .

﴿ أَقْلِعِي ﴾ [٩] : اسكني .

﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا ﴾ [١٠] : [يغْنوا] : يعيشوا .

﴿ حَنِيذٍ ﴾ [١١] : نضيج .

﴿ سِيءَ بِهِمْ ﴾ [١٢] : ساء ظنا بقومِهِ .

﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ [١٣] : بأضيافه .

---

(١) آية ٢٧ .
(٢) آية ٦١ .
(٣) آية ٦١ .
(٤) آية ٥ .
(٥) آية ٥ .
(٦) آية ٢٢ .
(٧) آية ٢٣ .
(٨) آية ٤٠ .
(٩) آية ٤٤ .
(١٠) آية ٦٨ .
(١١) آية ٦٩ .
(١٢) آية ٧٧ .
(١٣) آية ٧٧ .

﴿ عَصِيبٌ ﴾ [١] : شديد .

﴿ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ [٢] يُسْرِعُون .

﴿ بِقِطَعٍ ﴾ [٣] : سواد .

﴿ مُسَوَّمَةً ﴾ [٤] : مُعْلَمة .

﴿ عَلَى مكانَتِكُمْ ﴾ [٥] : ناحيتكم .

﴿ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ ﴾ [٦] : موجع .

﴿ زَفِيرٌ ﴾ [٧] : صوت شديد .

﴿ وشَهِيقٌ ﴾ [٨] : صوت ضعيف.

﴿ غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [٩] غير منقطع .

﴿ وَلَا تَرْكَنُوا ﴾ [١٠] : تذهبوا .

• • •

(يوسف)

﴿ شَغَفَهَا ﴾ [١١] : غلبها .

﴿ مُتَّكأً ﴾ [١٢] : مجلسا .

﴿ أَكْبَرْنَهُ ﴾ [١٣] : أعظمنه .

---

(١) آية ٧٧ .
(٢) آية ٧٨ .
(٣) آية ٨١ .
(٤) آية ٨٣ .
(٥) آية ٩٣ .
(٦) آية ١٠٢ .
(٧) آية ١٠٦ .
(٨) آية ١٠٦ .
(٩) آية ١٠٨ .
(١٠) آية ١١٣ .
(١١) آية ٣٠ .
(١٢) آية ٣١ .
(١٣) آية ٣١ .

﴿ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ (١) : امتنع .

﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (٢) : حين .

﴿ مِما تُحْصِنُونَ ﴾ (٣) : تخزنون .

﴿ يَعْصِرُونَ ﴾ (٤) : الأعناب والدهن .

﴿ حَصْحَصَ ﴾ (٥) : تبيَّن .

﴿ زَعِيمٌ ﴾ (٦) : كفيل .

﴿ لَفِى ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ (٧) : خطئك .

• • •

(الرعد)

﴿ صِنْوَانٌ ﴾ (٨) : مجتمع .

﴿ ولِكُلِّ قومٍ هادٍ ﴾ (٩) : داعٍ .

﴿ مُعَقِّباتٌ ﴾ (١٠) : الملائكة يحفظونه من أمر الله بإذنه .

﴿ بِقَدَرِها ﴾ (١١) : على قَدْرِ طاقتها .

﴿ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّار ﴾ (١٢) : سوء العاقبة .

---

(١) آية ٣٢ (٢) آية ٤٥ .
(٣) آية ٤٨ . (٤) آية ٤٩ .
(٥) آية ٥١ . (٦) آية ٧٢ .
(٧) آية ٩٥ . (٨) آية ٤ .
(٩) آية ٧ . (١٠) آية ١١ .
(١١) آية ١٧ . (١٢) آية ٢٥ .

﴿ طُوبَى لَهُمْ ﴾ (١) : فرح وقرّة عين .

﴿ أَفَلَمْ يَيْأَس ﴾ (٢) : يعلم .

• • •

(إبراهيم)

﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ (٣) : ناظرين .

﴿ فى الأصفاد ﴾ (٤) : فى وثاق .

﴿ مِنْ قَطِرَانٍ ﴾ (٥) : النحاس المذاب .

• • •

(الحجر)

﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (٦) : يتمنى .

﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ (٧) : موحّدين .

﴿ فِى شِيَعِ الأَوَّلِينَ ﴾ (٨) : أمم .

﴿ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ (٩) : معلوم .

﴿ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ (١٠) : طين رطب .

﴿ أَغْوَيْتَنِى ﴾ (١١) : أضللتنى .

﴿ فاصْدَعْ بما تُؤْمَرُ ﴾ (١٢) : فامضه .

---

(١) آية ٢٩ .
(٢) آية ٣١ .
(٣) آية ٤٣ .
(٤) آية ٤٩ .
(٥) آية ٥٠ .
(٦) آية ٢ .
(٧) آية ٢ .
(٨) آية ١٠ .
(٩) آية ١٩ .
(١٠) آية ٢٦ .
(١١) آية ٣٩ .
(١٢) آية ٩٤ .

(النحل)

﴿ بالرُّوحِ ﴾ [١] : بالوحى .

﴿ فيها دفء ﴾ [٢] : الثياب .

﴿ ومنها جَائرٌ ﴾ [٣] : الأهواء المختلفة .

﴿ تُسِيمُونَ ﴾ [٤] : ترعون .

﴿ مَوَاخِرِ ﴾ [٥] : جوارىَ .

﴿ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾ [٦] : تخالفون .

﴿ يَتَفَيَّأُ ﴾ [٧] : يتميل .

﴿ حَفَدَةً ﴾ [٨] : الأصهار .

﴿ عَنِ الْفَحْشَاء ﴾ [٩] : الزِّنا .

﴿ يَعِظُكُمْ ﴾ [١٠] : يوصيكم .

﴿ هِىَ أَرْبَى ﴾ [١١] : أكثر .

• • • •

(الإسراء)

﴿ وَقَضَيْنَا ﴾ [١٢] : أعلمنا .

﴿ فَجَاسُوا ﴾ [١٣] : فمشوا .

---

(١) آية ٢ . (٢) آية ٥ .
(٣) آية ٩ (٤) آية ١٠ .
(٥) آية ١٤ . (٦) آية ٢٧ .
(٧) آية ٤٨ . (٨) آية ٧٢ .
(٩) آية ٩٠ . (١٠) آية ٩٠ .
(١١) آية ٩٢ . (١٢) آية ٤ .
(١٣) آية ٥ .

﴿ حَصِيرًا ﴾ (١) : سجنا .

﴿ فَصَّلْنَاهُ ﴾ (٢) : بيّناه .

﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ (٣) : سَلَّطْنَا شرارها .

﴿ فَدَمَّرْنَاهَا ﴾ (٤) : أهلكناها .

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ ﴾ (٥) : أمَر .

﴿ ولا تَقْفُ ﴾ (٦) : ولا تقل .

﴿ رُفَاتًا ﴾ (٧) غبارًا .

﴿ فَسَيُنْغِضُون ﴾ (٨) : يَهُزُونَ .

﴿ بَحَمْدِهِ ﴾ (٩) : بأمره .

﴿ لأحْتَنِكَنَّ ﴾ (١٠) : لأستولين .

﴿ يُزْجِي ﴾ (١١) : يجرى .

﴿ قَاصِفًا ﴾ (١٢) : عاصفا .

﴿ تَبِيعًا ﴾ (١٣) : نظيرا .

﴿ زَهُوقًا ﴾ (١٤) : ذاهبا .

﴿ يَئُوسا ﴾ (١٥) : قنوطا .

---

(١) آية ٨ . (٢) آية ١٢ .
(٣) آية ١٦ . (٤) آية ١٦ .
(٥) آية ٢٣ . (٦) آية ٣٦ .
(٧) ٤٩ . (٨) آية ٥١ .
(٩) آية ٤٤ . (١٠) آية ٦٢ .
(١١) آية ٦٦ . (١٢) آية ٦٩ .
(١٣) آية ٦٩ (١٤) آية ٨١ .
(١٥) آية ٨٣ .

﴿ شَاكِلَتِهِ ﴾ [١] : ناحيته .

﴿ كِسَفًا ﴾ : قطعا .

﴿ مَثْبُورًا ﴾ [٢] : ملعونا .

﴿ فَرَقْنَاه ﴾ [٣] : فصّلناه .

(الكهف)

﴿ عِوَجًا ﴾ [٤] : ملتبسًا .

﴿ قَيِّمًا ﴾ [٥] : عدلا .

﴿ والرَّقِيمِ ﴾ [٦] : الكتاب .

﴿ تَزَاوَرُ ﴾ [٧] : تميل .

﴿ تَقْرِضُهُمْ ﴾ [٨] : تذرهم

﴿ بِالْوَصِيدِ ﴾ [٩] : بالفناء .

﴿ ولا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ [١٠] : لا تتعدّاهم إلى غيرهم .

﴿ كالمُهْلِ ﴾ [١١] : عكر الزيت .

﴿ والباقِيات الصَّالِحَاتُ ﴾ [١٢] : ذكرى الله .

﴿ مَوْبِقًا ﴾ [١٣] : مهلكا .

(١) آية ٨٤ . (٢) آية ٩٢ .
(٣) آية ١٠٢ (٤) آية ١٠٦ .
(٥) آية ١ . (٦) آية ٢ .
(٧) آية ٩ . (٨) آية ١٧ .
(٩) آية ١٧ . (١٠) آية ١٨ .
(١١) آية ٢٨ . (١٢) آية ٢٩ .
(١٣) آية ٤٦ . (١٤) آية ٥٢ .

﴿ مَوْئِلا ﴾ [١] : ملجأ .

﴿ حُقُبًا ﴾ [٢] : دهرًا .

﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [٣] علمًا .

﴿ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ [٤] : حارَّة .

﴿ زُبَرَ الحَدِيدِ ﴾ : [٥] :قطع الحديد .

﴿ بَيْنَ الصَدَفَيْنِ ﴾ [٦] : الجبلَيْنِ .

(مريم)

﴿ سَوِيا ﴾ [٧] من غير خَرَسٍ.

﴿ وحنانًا من لَدُنًّا ﴾ [٨] : رحمة من عندنا .

﴿ سَرِيا ﴾ [٩] : هو عيسى .

﴿ جَبَّارًا شَقِيًا ﴾ [١٠] : عصيا .

﴿ وَاهجُرْنِي ﴾ [١١] : اجتنبنى .

﴿ بِي حَفِيًّا ﴾ [١٢] : لَطِيفًا .

﴿ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيا ﴾ [١٣] : الثناء الحسن .

﴿ غَيا ﴾ [١٤] : خسرانا .

---

(١) آية ٥٨ .
(٢) آية ٦٠ .
(٣) آية ٨٤ .
(٤) آية ٨٦ .
(٥) آية ٩٦ .
(٦) آية ٩٦ .
(٧) آية ١٠ .
(٨) آية ١٣ .
(٩) آية ٢٤ .
(١٠) آية ٣٢ .
(١١) آية ٤٦ .
(١٢) آية ٤٧ .
(١٣) آية ٥٠ .
(١٤) آية ٥٩ .

﴿ لَغْوًا ﴾ [١] : باطلاً .

﴿ أَثَاثًا ﴾ [٢] : مالاً .

﴿ ضِدا ﴾ [٣] : أعوانًا .

﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [٤] : تغويهم إغواء .

﴿ نَعُدُّ لَهُم عَدًّا ﴾ [٥] : أنفاسهم التى يتنفّسون في الدّنيا .

﴿ وِرْدًا ﴾ [٦] : عِطاشًا .

﴿ عَهْدًا ﴾ [٧] : شهادة ألّا إله إلّا الله .

﴿ إِدًّا ﴾ [٨] : عظيمًا .

﴿ هَدًّا ﴾ : [٩] هَدْمًا .

﴿ رِكْزًا ﴾ [١٠] : صوتًا .

• • •

(طـه)

﴿ بِالوَادِ المُقَدَّسِ ﴾ [١١] : المبارك ، واسمه طُوى .

﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [١٢] : لا أظهِرُ عليهَا أحدًا غيرى .

﴿ سِيرَتَها ﴾ [١٣] : حالتها .

---

(١) آية ٦٢ .
(٢) آية ٧٤ .
(٣) آية ٨٢ .
(٤) آية ٨٣ .
(٥) آية ٨٤ .
(٦) آية ٨٦ .
(٧) آية ٨٧ .
(٨) آية ٨٩ .
(٩) آية ٩٠ .
(١٠) آية ٩٨ .
(١١) آية ١٢ .
(١٢) آية ١٥ .
(١٣) آية ٢١ .

﴿ وفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ [١] : اختبرناك اختباراً .

﴿ وَلَا تَنِيَا ﴾ [٢] : لاتبطئا .

﴿ أعطَى كلَّ شيء خَلْقَهُ ﴾ [٣] : خلق لكل شيء روحَهُ . ثم هداه لمنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه .

﴿ لايَضِلُّ ﴾ [٤] : لا يخطِيء .

﴿ تَارَةً ﴾ [٥] : مرّةً .

﴿ فَيُسحِتكم ﴾ [٦] : فيهلككم .

﴿ والسلْوَى ﴾ [٧] : طائر شبيه بالسّمانى .

﴿ ولَا تَطْغَوْا ﴾ [٨] : تظلموا .

﴿ فَقَد هَوَى ﴾ [٩] : شقى .

﴿ بِمَلْكِنا ﴾ [١٠] : بِأَمْرِنا .

﴿ ظَلْتَ عَلَيه ﴾ [١١] : أقمتَ .

﴿ لَنَنسِفَنَّهُ فى اليَمِّ ﴾ [١٣] : لنذرينّه فى البحر .

﴿ سَاءَ ﴾ [١٢] : بئس .

﴿ يَتَخَافَتُونَ ﴾ [١٤] : يتسارون .

---

(١) آية ٤٠ .
(٢) آية ٤٢ .
(٣) آية ٥٠ .
(٤) آية ٥٢ .
(٥) آية ٥٥ .
(٦) آية ٦١ .
(٧) آية ٨٠ .
(٨) آية ٨١ .
(٩) آية ٨١ .
(١٠) آية ٨٧ .
(١١) آية ٩٧ .
(١٢) آية ٩٧ .
(١٣) آية ١٠١ .
(١٤) آية ١٠٣ .

﴿ قَاعًا ﴾ [١] : مستويًا .

﴿ صَفْصَفًا ﴾ [٢] : لاثبات فيه .

﴿ عِوَجًا ﴾ [٣] : واديا .

﴿ أَمْتًا ﴾ [٤] : رابيةً .

﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ ﴾ [٥] : سكتت .

﴿ هَمْسًا ﴾ [٦] : الصوت الخفىّ .

﴿ وعَنَتِ الوُجُوهُ ﴾ [٧] : ذَلَّتْ .

﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا ﴾ [٨] : أن يُظلم فيزداد فى سيئاته .

• • •

(الأنبياء)

﴿ فَلَكٍ ﴾ [٩] : دوران .

﴿ يَسْبَحُون ﴾ [١٠] : يجرُون .

﴿ نَنْقُصُها من أطرَافِها ﴾ [١١] : تَنْقُصُ أهلها وبركتها .

﴿ جُذَاذًا ﴾ [١٢] : حطامًا .

﴿ فَظَنَّ أن لَن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [١٣] : أن لن يأخذه العذاب الذى أصابه .

---

(١) آية ١٠٦ . (٢) آية ١٠٦ .
(٣) آية ١٠٧ . (٤) آية ١٠٧ .
(٥) آية ١٠٨ . (٦) آية ١٠٨ .
(٧) آية ١١١ . (٨) آية ١١٢ .
(٩) آية ٣٣ . (١٠) آية ٣٢ .
(١١) آية ٤٤ . (١٢) آية ٥٨ .
(١٣) آية ٨٧ .

﴿ مِن كُلِّ حَدَبٍ ﴾ [١] : شرف .

﴿ يَنسِلُونَ ﴾ [٢] : يقبلون .

﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [٣] : شجر .

﴿ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ ﴾ [٤] : كطىِّ الصحيفة على الكتاب .

• • •

(الحج)

﴿ بَهِيجٍ ﴾ [٥] : حسن .

﴿ ثَانِىَ عِطْفِهِ ﴾ [٦] : مستكبرًا فى نفسه .

﴿ وَهُدُوا ﴾ [٧] : أُلْهِمُوا .

﴿ تَفَثَهُمْ ﴾ [٨] : وضع إحرامهم من حلْق الرأس ولبس الثياب وقصِّ الأظفار ونحو ذلك .

﴿ مَنسَكًا ﴾ [٩] : عيدًا .

﴿ الْقَانِعَ ﴾ [١٠] : المتعفِّف .

﴿ الْمُعْتَرَّ ﴾ [١١] : السائل .

﴿ إِذَا تَمَنَّى ﴾ [١٢] : حدَّث .

---

(١) آية ٩٦ . (٢) آية ٩٦ .
(٣) آية ٩٨ . (٤) آية ١٠٤ .
(٥) آية ٥ . (٦) آية ٩ .
(٧) آية ٢٤ . (٨) آية ٢٩ .
(٩) آية ٣٤ . (١٠) آية ٣٦ .
(١١) آية ٣٦ . (١٢) آية ٥٢ .

﴿ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ [١] : حديثه .

﴿ يَسْطُونَ ﴾ [٢] : يبطشون .

• • •

(المؤمنون)

﴿ خاشِعُون ﴾ [٣] : خائفون ساكنون .

﴿ تنْبُتُ بالدُّهنِ ﴾ [٤] : هو الزيت .

﴿ هَيْهات هيْهات ﴾ [٥] : بعيد بعيد .

﴿ تتْرَى ﴾ [٦] : يتبع بعضها بعضا .

﴿ وقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [٤] : خائفين .

﴿ يَجأَرُون ﴾ [٧] : يستغيثون

﴿ تنكِصُون ﴾ [٨] : تُدْبِرون .

﴿ سَامِرًا تهجُرُونَ ﴾ [٩] تسمرون حول البيت وتقولون هجرًا .

﴿ عنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبونَ ﴾ [١٠] : عن الحق عادلون .

﴿ تسْحرُون ﴾ [١١] : تكذبون .

﴿ كَالِحُونَ ﴾ [١٢] : عابسون .

• • •

---

(١) آية ٥٢ .
(٢) آية ٨٢ .
(٣) آية ٢٠ .
(٤) آية ٣٦ .
(٥) آية ٤٤
(٦) آية ٦٠ .
(٧) آية ٦٤ .
(٨) آية ٦٦ .
(٩) آية ٦٧ .
(١٠) آية ٧٤ .
(١١) آية ٨٩ .
(١٢) آية ١٠٤ .

النــور

﴿ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾[١] : الحرائر .

﴿ ما زكَى مِنْكُمْ ﴾ [٢] : ما اهتدى .

﴿ ولا يأتَلِ ﴾ [٣] : لا يقسم .

﴿ دِينهُمْ ﴾ [٤] : حسابهُم .

﴿ تَسْتَأْنِسُوا ﴾ [٥] : تستأْذنوا .

﴿ ولا يُبدِينَ زينَتَهُنَّ إلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾[٦] : لا تبْدِى خلاخيلها ومعضديها ونحرها وشعرها إلا لزَوْجِها .

﴿ غَيْرِ أُولِى الإِرْبَةِ ﴾ [٧] : المغفل الذى لايشتهى النساء .

﴿ إن عَلِمتُم فِيهِم خَيرا ﴾ [٨] : إن علمتم لهم حيلة .

﴿ وآتُوهُم من مَّالِ اللهِ ﴾ [٩] : ضعوا عنهم من مكاتبتهم .

﴿ فَتَيَاتِكُم ﴾ [١٠] : إمائكم .

﴿ البِغَاء ﴾ [١١] : الزِّنا .

﴿ نُورُ السَّمَوَاتِ ﴾ [١٢] : هادِى أهل السموات .

﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ [١٣] : هُدَاه فى قلب المؤمن .

(١) آية ٤ .
(٢) آية ٢١ .
(٣) آية ٢٢ .
(٤) آية ٢٥ .
(٥) آية ٢٧ .
(٦) آية ٣١ .
(٧) آية ٣١ .
(٨) آية ٣٣ .
(٩) آية ٣٣ .
(١٠) آية ٣٣ .
(١١) آية ٣٣ .
(١٢) آية ٣٥ .
(١٣) آية ٣٥

﴿ كَمِشْكَاةٍ ﴾ [١] : موضع الفتيلة .

﴿ فِى بُيُوت ﴾ [٢] : المساجد .

﴿ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ [٣] : تكرَم .

﴿ وَيذْكَرَ فِيها اسْمُهُ ﴾ [٤] : يتلَى فيها كتابهُ .

﴿ يُسَبِّحُ ﴾ [٥] : يُصَلَّى .

﴿ بالغُدُوِّ ﴾ [٦] : صلاة الغداة .

﴿ والآصالِ ﴾ [٧] : صلاة العصر .

﴿ بِقِيعَةٍ ﴾ [٨] : أرض مستوية .

﴿ تَحِيَّةً ﴾ [٩] : [التحية] السلام .

• • •

(الفرقان)

﴿ ثُبُورًا ﴾ [١٠] : وَيْلاً .

﴿ بُورًا ﴾ [١١] : هَلْكَى .

﴿ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [١٢] : الماء المهراق .

﴿ سَاكِنًا ﴾ [١٣] : دائما .

---

(١) آية ٣٥ .
(٢) آية ٣٦ .
(٣) آية ٣٦ .
(٤) آية ٣٦ .
(٥) آية ٣٦ .
(٦) آية ٣٦ .
(٧) آية ٣٦ .
(٨) آية ٣٩ .
(٩) آية ٦١ .
(١٠) آية ١٣ .
(١١) آية ١٨ .
(١٢) آية ٢٣ .
(١٣) آية ٤٥ .

﴿ قَبْضًا يسيرًا ﴾ [١] : سريعا .

﴿ جَعَلَ الليلَ والنَّهارَ خِلْفَةً ﴾[٢] : مَنْ فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار [أو من النهار أدركه بالليل] *

﴿ وعِبَادُ الرَّحمَنِ ﴾[٣] : المؤمنون .

﴿ هَوْنًا ﴾ [٤] : بالطاعة والعفاف والتواضع .

﴿ لَوْلَا دُعَاؤُكُم ﴾ [٥] :إيمانكم .

• • •

(الشعراء)

﴿ كالطَّوْدِ ﴾ [٦] : كالجبل .

﴿ فكُبْكِبُوا ﴾ [٧] : جمعوا .

﴿ ريعٍ ﴾ [٨] : شرف .

﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾ [٩] : كأنكم .

﴿ خُلُق الأوَّلينَ ﴾ [١٠] دين الأولين .

﴿ هَضِيمٌ ﴾ [١١] : معشبة .

﴿ فَارِهِينَ ﴾ [١٢] : حاذقين .

(١) آية ٤٦ . (٢) آية ٦٢ .
(٣) آية ٦٣ . (٤) آية ٦٣ .
(٥) آية ٧٧ . (٦) آية ٦٣ .
(٧) آية ٩٤ . (٨) آية ١٢٨ .
(٩) آية ١٢٩ . (١٠) آية ١٣٧ .
(١١) آية ١٤٨ . (١٢) آية ١٤٩ .
(*) اضافة من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٢٢ .

﴿ الأَيْكَةِ ﴾ [١] : الغيضة .

﴿ والجِبِلَّةَ ﴾ [٢] : الخُلقِ .

﴿ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمونَ ﴾ [٣] : في كل لغو يخوضُون .

• • •

(النمل)

﴿ بُورِك ﴾ [٤] : قُدِّس .

﴿ أَوْزِعْنِى ﴾ [٥] : اجعلنى .

﴿ يُخرِجُ الخَبْء ﴾ [٦] : يعلم كلَّ خفيَّة في السماء والأَرض .

﴿ طائِرُكُمْ ﴾ [٧] : مصائبكم .

﴿ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ ﴾ [٨] : غاب علمهم .

﴿ رَدِفَ ﴾ [٩] : قرب .

﴿ يُوزَعُونَ ﴾ [١٠] : يُدفعون .

﴿ دَاخِرِينَ ﴾ [١١] : صاغرين .

﴿ جَامِدَةً ﴾ [١٢] : قائمة .

﴿ أَتْقَنَ ﴾ [١٣] أحكم .

• • •

---

(١) آية ١٧٦ .
(٢) اية ١٨٤ .
(٣) آية ٢٢٥ .
(٤) آية ٨ .
(٥) آية ١٩ .
(٦) آية ٢٥ .
(٧) آية ٤٧ .
(٨) آية ٦٦ .
(٩) آية ٧٢ .
(١٠) آية ٨٣ .
(١١) آية ٨٧ .
(١٢) آية ٨٨ .
(١٣) آية ٨٨ .

(القصص)

﴿ جَذْوَة ﴾ (١) : شهاب .

﴿ سَرْمَدا ﴾ (٢) : دائما .

﴿ لَتَنُوءُ ﴾ (٣) : تُثْقِل .

• • •

(العنكبوت)

﴿ وتَخْلُقُونَ ﴾ (٤) : تصنعون .

﴿ إفْكًا ﴾ (٥) : كذبا .

(الروم)

﴿ أَدْنَى الأَرْضِ ﴾ (٦) : طرف الشام .

﴿ وهُوَ أهوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (٧) : أيسر .

﴿ يَصدَّعُونَ ﴾ (٨) : يتفرقون .

• • •

(لقمان)

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾(٩) : لاتتكبر فَتَحْقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك .

---

(١) آية ٢٩ ـ وهذه المادة والتى بعدها من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٢٢ .

(٢) آية ٧١ . (٣) آية ٧٦ .

(٤) آية ١٧ . (٥) آية ١٧ .

(٦) آية ٣ . (٧) آية ٢٧ .

(٨) آية ٤٣ . (٩) آية ١٨ .

﴿ الغَرُورُ ﴾ [١] : الشيطان .

• • •

(السجدة)

﴿ إِنَّا نَسِينَاكُم ﴾ : [٢] تركناكم .

﴿ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى ﴾ [٣] : مصائب الدنيا وأسقامها وبلائها .

• • •

(الأحزاب)

﴿ سَلَقُوكُمْ ﴾ [٤] : استقبلوكم .

﴿ تُرْجِي ﴾ [٥] : تؤخر .

﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ [٦] : لنسلطنَّك عليهم.

﴿ الأَمَانَةَ ﴾ [٧] : الفرائض .

﴿ جَهُولاً ﴾ [٨] غِرًا بأَمْرِ الله .

(سبأ)

﴿ إِلَّا دابَّةُ الأَرض ﴾ [٩] : الأَرَضة .

﴿ مِنْسَأَتَهُ ﴾ [١٠] : عصاه .

(١) آية ٣٣ . (٢) آية ١٤ .
(٣) آية ٢١ . (٤) آية ١٩ .
(٥) آية ٥١ . (٦) آية ٦٠ .
(٧) آية ٧٢ . (٨) آية ٧٢ .
(٩) آية ١٤ . (١٠) آية ١٤ .

﴿ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ [١] : الشديد .

﴿ خَمْطٍ ﴾ [٢] : الأَراك .

﴿ حتَّى إذا فُزِّعَ ﴾ [٣] : جُلِّىَ .

﴿ الفتَّاحُ العَلِيمُ ﴾ [٤] : القاضى .

﴿فَلَافَوْتَ ﴾ [٥] : فلا نجاة .

﴿ وأنَّى لهم التَّنَاوُشُ ﴾ [٦] : فكيف لهم بالرَّدِّ .

• • •

(فاطِــر)

﴿ الْكَلِمُ الطيِّبُ ﴾ [٧] : ذكر الله .

﴿ والْعَمَلُ الصالِحُ ﴾ [٨] : أداء الفرائض .

﴿ مِنْ قِطْمِير ﴾ [٩] : الجلد الذى يكون على ظهر النواة .

﴿ فِيهَا لُغوبٌ ﴾ [١٠] : إعياء .

• • •

(يس)

﴿ يا حَسْرَةً ﴾ [١١] : ويل .

﴿ كالعرجُونِ : القَديمِ ﴾ [١٢] :أصل العذق العتيق .

---

(١) آية ١٦ . (٢) آية ١٦ .

(٣) آية ٢٣ . (٤) آية ٢٦ .

(٥) آية ٥١ . (٦) آية ٥٢ .

(٧) آية ١٠ وهـذه المادة مضـافة من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٢٢ .

(٨) آية ١٠ . (٩) آية ١٣ .

(١٠) آية ٣٥ . (١١) آية ٣٠ .

(١٢) آية ٣٩ .

﴿ الْمَشْحُونِ ﴾ [١] : الممتلىء .

﴿ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾ [٢] : [الأجداثُ] : القُبور .

﴿ فاكِهُونَ ﴾ [٣] : فرحون .

• • •

(الصافات)

﴿ فاهْدُوهُمْ ﴾ [٤] : وجّهوهم .

﴿ لا فيها غَوْلٌ ﴾ [٥] : صداعٌ .

﴿ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ [٦] : اللؤلؤ المكنون .

﴿ سَوَاءِ الجَحِيمِ ﴾ [٧] : وسط الجحيم .

﴿ أَلفَوْا آباءَهُم ﴾ [٨] : وجدوا .

﴿ وتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِين ﴾ [٩] : لسان صدق للأنبياء كلّهم .

﴿ مِنْ شِيعتِهِ ﴾ [١٠] : أهل دينه .

﴿ بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ [١١] : العمل .

﴿ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ [١٢] : صرَعه .

﴿ فَنَبَذْنَاه ﴾ [١٣] : ألقيناه .

---

(١) آية ٤١ .
(٢) آية ٥١ .
(٣) آية ٥٥ .
(٤) آية ٢٣ .
(٥) آية ٤٧ .
(٦) آية ٤٩ .
(٧) آية ٥٥ .
(٨) آية ٦٩ .
(٩) آية ٧٨ .
(١٠) آية ٨٣ .
(١١) آية ١٠٢ .
(١٢) آية ١٠٣ .
(١٣) آية ١٤٥ .

﴿ بالْعَرَاءِ ﴾ [١] : بالساحل .

﴿ بِفَاتِنِينَ ﴾ [٢] : مُضلِّين .

• • •

(ص)

﴿ ولاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [٣] : ليس حين فرار .

﴿ اخْتِلَاقٌ ﴾ [٤] : تخريص .

﴿ فَلْيَرْتَقُوا فى الأَسْبَابِ ﴾ [٥] : السماء .

﴿ مِنْ فوَاقٍ ﴾ [٦] : تَرْداد .

﴿ عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾ [٧] : العذاب .

﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا ﴾ [٨] : جعل يمسح .

﴿ جَسَدًا ﴾ [٩] : شيطانا .

﴿ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [١٠] : مطيعة له حيث أراد .

﴿ ضِغْثًا ﴾ [١١] : حُزمة.

﴿ أُولِى الأَيْدِى ﴾ [١٢] : القوّة .

﴿ والأَبْصَارِ ﴾ [١٣] : الفقه فى الدين .

---

(١) آية ١٤٥ . (٢) آية ١٦٢ .
(٣) آية ٣ . (٤) آية ٧
(٥) آية ١٠ . (٦) آية ١٥ .
(٧) آية ١٦ . (٨) آية ٣٣ .
(٩) آية ٣٤ . (١٠) آية ٣٦ .
(١١) آية ٤٤ . (١٢) آية ٤٥ .
(١٣) آية ٤٥ .

﴿ قَاصِرات الطَّرف ﴾ (١) : عن غير أزواجهن .

﴿ أَتْرَابٌ ﴾ (٢) مستويات .

﴿ وَغَسَّاقٌ ﴾ (٣) . الزمهرير .

﴿ أَزْوَاجٌ ﴾ (٤) : ألوان من العذاب .

• • •

(الزمر)

﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ ﴾ (٥) : يحمل .

﴿ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ (٦) : المخوفين .

﴿ مِنَ المُحْسِنين ﴾ (٧) : المهتدين .

• • •

(غافر)

﴿ ذِي الطَّوْل ﴾ (٨) : السعة والغنى .

﴿ مِثْلَ دأْب قَوم نُوحٍ ﴾ (٩) : حال .

﴿ فى تَباب ﴾ (١٠) : خسران .

﴿ ادْعُونِى ﴾ (١١) : وحّدونى .

• • •

---

(١) آية ٥٢ .
(٢) آية ٥٢ .
(٣) آية ٥٧ .
(٤) آية ٥٨ .
(٥) آية ٥
(٦) آية ٥٦ .
(٧) آية ٥٨ .
(٨) آية ٣ .
(٩) آية ٣١ .
(١٠) آية ٣٧ .
(١١) آية ٦٠ .

(فصلت)

﴿ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ [١] : بينا لهم .

• • •

(الشورى)

﴿ رَوَاكِدَ ﴾ [٢] : وقوفًا .

﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ ﴾ [٣] : يهلكهنَّ .

• • •

(الزخرف)

﴿ وَمَا كُنا لَهُ مُقْرِنِين ﴾ [٤] : مطيقين .

﴿ ومَعَارِجَ ﴾ [٥] : الدَّرَج .

﴿ وَزُخْرُفًا ﴾ [٦] : الذهب.

﴿ وإنَّهُ لَذِكرٌ ﴾ [٧] : شرف .

﴿ تُحْبَرُون ﴾ [٨] : تكرمون .

• • •

(الدخان)

﴿ واتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ [٩] : سمتًا .

• • •

---

(١) آية ١٧ .
(٢) آية ٣٢ .
(٣) آية ٣٤ .
(٤) آية ١٣ .
(٥) آية ٣٣ .
(٦) آية ٣٥ .
(٧) آية ٤٤ .
(٨) آية ٧٠ .
(٩) آية ٢٤ .

(الجاثية)

﴿ وأَضلَّه اللهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ [١] : فى سابق علمه .

• • •

(الأحقاف)

﴿ فِيمَا إِنْ مَكَّنَاكُمْ فِيهِ ﴾ [٢] : لم نمكنكمْ فيه .

• • •

(محمد)

﴿ مِن مَّاءٍ غَيرِ آسنٍ ﴾ [٣] : متغيِّر .

• • •

(الحجرات)

﴿ لاتُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [٤] : لا تقولوا خلاف الكتاب والسُّنَّة .

﴿ ولا تَجَسَّسُوا ﴾ [٥] : هو أن تُتبع عورات المؤمن .

• • •

(ق)

﴿ المَجِيدِ ﴾ [٦] : الكريم .

﴿ مَرِيجٍ ﴾ [٧] : مختلف .

---

(١) آية ٢٣ .
(٢) آية ٣٦ .
(٣) آية ١٥ .
(٤) آية ١ .
(٥) آية ١٢ .
(٦) آية ١ .
(٧) آية ٥ .

﴿ وَالنَّخل بَاسِقَاتٍ ﴾[١] : طوال .

﴿ فى لَبْسٍ﴾ [٢] : شك .

﴿ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [٣] : [الوريد] : عرق العنق .

• • •

(الذاريات)

﴿ قُتِلَ الخرَّاصُونَ ﴾ [٤] : يعنى المرتابون .

﴿ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾ [٥] : في ضلالتهم يتمادَوْن .

﴿ يُفْتَنُون ﴾ [٦] : يعذَّبون .

﴿ ما يَهْجَعُون﴾ [٧] : ينامون .

﴿ فِي صَرَّةٍ ﴾ [٨] : صيحةٍ .

﴿ فصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ [٩] : لطمت .

﴿ فَتَولَّى بِرُكْنِهِ ﴾[١٠] : بقوتِهِ .

﴿ بَنَيْنَاهَا بأَيْدٍ﴾[١١] : بقوةٍ .

﴿ ذُو القُوَّةِ المتينُ ﴾ [١٢] : الشديد .

﴿ ذَنُوبًا ﴾ [١٣] : دلوًا .

• • •

---

(١) آية ١٠ .
(٢) آية ١٥ .
(٣) آية ١٦ .
(٤) آية ١٠ .
(٥) آية ١١ .
(٦) آية ١٣ .
(٧) آية ١٧ .
(٨) آية ٢٩ .
(٩) آية ٢٩ .
(١٠) آية ٣٩ .
(١١) آية ٤٧ .
(١٢) آية ٥٨ .
(١٣) آية ٥٩ .

(الطور)

﴿ والْبَحْرِ المسْجُورِ ﴾ [١] : المحبوس [٢] .

﴿ يَومَ تمُورُ ﴾ [٣] : تحرّك .

﴿ يوم يُدَعُّونَ ﴾ [٤] : يدفعون .

﴿ فاكِهِين ﴾ [٥] : مُعْجَبين

﴿ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ ﴾ [٦] : ما نَقَصْناهُمْ .

﴿ وَلَا تأْثِيمٌ ﴾ [٧] : كذب .

﴿ رَيْبَ المَنُونِ ﴾ [٨] : [المنون] :الموت .

﴿ الْمُسَيْطِرُون ﴾ [٩] : المسلَّطُون .

• • •

(النجم)

﴿ ذو مِرَّةٍ ﴾ [١٠] منظر حسن .

﴿ أغْنَى وأقْنَى ﴾ [١١] : أعطى وأرضى .

﴿ الآزِفَةُ ﴾ [١٢] : من أسماء يوم القيامة .

﴿ سَامِدُون ﴾ [١٣] : لاهون .

• • •

(١) آية ٦ .

(٢) فى الأصل « الموقد » والمثبت عن طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٢٣ .

(٣) آية ٩ .

(٤) آية ١٣ .

(٥) آية ١٨ .

(٦) آية ٢١ .

(٧) آية ٢٣ .

(٨) آية ٣٠ .

(٩) آية ٣٧ .

(١٠) آية ٦ .

(١١) آية ٤٨ .

(١٢) آية ٥٧ .

(١٣) آية ٦١ .

(الرحمن)

﴿ والنَّجْمُ والشَّجَرُ ﴾ (١) : النجم ما ينبسط على الأرض ، والشجر : ما ينبت على ساق .

﴿ للأنَامِ ﴾ (٢) : الخَلْقَ .

﴿ ذُو العَصْفِ ﴾ (٣) : التبن .

﴿ والرَّيْحَانِ ﴾ (٤) : خضرة الزرع .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما ﴾ (٥) : بأَيِّ نعمة الله .

﴿ مِنْ مَّارِجٍ ﴾ (٦) : خالص النار .

﴿ مَرَجَ ﴾ (٧) : أَرْسَل .

﴿ بَرْزَخٌ ﴾ (٨) : حاجزٌ .

﴿ ذُو الجَلَالِ ﴾ (٩) : ذو العظمة والكبرياء .

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ ﴾ (١٠) : هذا وعيد من الله لعباده وليس بالله شغل .

﴿ لَاتَنْفُذُونَ ﴾ (١١) : لا تخرجون من سلطان .

﴿ شُوَاظٌ ﴾ (١٢) : لهب النار .

﴿ ونُحاسٌ ﴾ (١٣) : دخان النار :

---

(١) آية ٦ .
(٢) آية ١٠ .
(٣) آية ١٢ .
(٤) آية ١٢ .
(٥) آية ١٣ .
(٦) آية ١٥ .
(٧) آية ١٩ .
(٨) آية ٢٠ .
(٩) آية ٢٧ .
(١٠) آية ٣١ .
(١١) آية ٣٣
(١٢) آية ٣٥ .
(١٣) آية ٣٥ .

﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ ﴾ (١) : ثمار .

﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ ﴾ (٢) : يَدْنُ مِنهنَّ .

﴿ نضَّاخَتَان ﴾ (٣) : فائضتان .

﴿ رَفْرَفٍ خُضْرٍ ﴾ (٤) : المجالس .

• • •

(الواقعة)

﴿ مُتْرَفِينَ ﴾ (٥) : منعَّمين .

﴿ لِلْمُقْوِينَ ﴾ (٦) : المسافرين .

﴿ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ (٧) : محاسبين .

﴿ فَرَوْحٌ ﴾ (٨) : راحةٌ .

(الحديد)

﴿ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ (٩) : نخلقها .

• • •

(الممتحنة)

﴿ لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (١٠) : لاتسلطهم علينا فيفتنوننا .

﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ ﴾ (١١) : لا يلحقن بأزواجهنَّ غير أولادهم .

---

(١) آية ٥٤ . (٢) آية ٥٦ .
(٣) آية ٦٦ . (٤) آية ٧٦ .
(٥) آية ٤٥ . (٦) آية ٧٣ .
(٧) آية ٨٦ . (٨) آية ٨٩ .
(٩) آية ٢٢ . (١٠) آية ٥ .
(١١) آية ١٢ .

(المنافقون)

﴿ قَاتَلَهُمُ اللهُ ﴾ [١] : لعنهم ، وكل شيء في القرآن قَتْل فهو لَعْن .

﴿ وأنفِقُوا ﴾ [٢] : تصدّقوا .

• • •

(الطلاق)

﴿ ومَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ـ [٣] : ينجيه من كل كربٍ في الدنيا والآخرة .

﴿ عَتَتْ ﴾ ـ [٤] : عصت .

• • •

(الملك)

﴿ تَمَيَّزُ ﴾[٥] : تَتَفَرَّقُ .

﴿ فَسُحْقًا ﴾ [٦] : بعدًا .

• • •

(القلم)

﴿ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ ـ [٧] : لو ترخص لهم فيرخصون .

﴿ زَنِيمٍ ﴾ [٨] : ظلوم .

﴿ قال أَوْسَطُهُمْ ﴾ [٩] : أعدلهم .

---

(١) آية ٤ .
(٢) آية ١٠ .
(٣) آية ٢ .
(٤) آية ٨ .
(٥) آية ٨ .
(٦) آية ١١ .
(٧) آية ٩ .
(٨) آية ١٣ .
(٩) آية ٢٨ .

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾[١] : هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة .

﴿ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾[٢] : مغموم .

﴿ مذمومٌ ﴾[٣] : ملوم .

﴿ لَيُزْلِقُونَكَ ﴾[٤] : يعاتونك* .

• • •

(الحاقّة)

﴿ لَمَّا طَغَى الماءُ ﴾[٥] : [طغى] : كثر .

﴿ أُذُن وَاعِيَةٌ ﴾[٦] : [واعية] : حافظة .

﴿ إِنِّى ظَنَنْتُ ﴾[٧] : أيقنت .

﴿ مِنْ غِسْلِينٍ ﴾[٨] : صديد .

﴿ الخاطِئُون ﴾[٩] : أهل النار .

• • •

(المعارج)

﴿ ذى الْمَعَارِجِ ﴾[١٠] العلوّ والفواضل .

• • •

---

(١) آية ٤٢ . (٢) آية ٤٨ .
(٣) آية ٤٩ . (٤) آية ٥١ .
(٥) آية ١١ . (٦) آية ٣٧ .
(٧) آية ٢٠ . (٨) آية ٣٦ .
(٩) آية ٣٧ . (١٠) آية ٣ .

(*) كذا فى الأصل . وفى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٢٣ «يتقدونك» وهى توافق ما جاء بتفسير ابن كثير .

(نوح)

﴿ سُبُلًا ﴾ [١] : طرقا .

﴿ فِجَاجًا ﴾ [٢] : مختلفة .

• • •

(الجن)

﴿ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ [٣] : فعله وأمره وقدرته

﴿ فلا يَخَافُ بَخْسًا ﴾ [٤] : نقصا من حسناته .

﴿ ولا رَهقًا ﴾ [٥] : زيادة فى سيئاته .

• • •

(المزّمّل)

﴿ كَثِيبًا مهيلاً ﴾ [٦] : الرمل السائل .

﴿ وَبِيلاً ﴾ [٧] : شديدًا .

• • •

(المدثر)

﴿ يومٌ عَسِيرٌ ﴾ [٨] : شديد .

﴿ لوّاحةٌ لِلبَشَرِ ﴾ [٩] : مغيِّرة .

• • •

(١) آية ٢٠ . (٢) آية ٢٠ .
(٣) آية ٣ . (٤) آية ١٣ .
(٥) آية ١٣ . (٦) آية ١٤ .
(٧) آية ١٦ . (٨) آية ٩ .
(٩) آية ٢٩ .

(القيامة)

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ ﴾[1] : بيّناه .

﴿ فاتَّبِعْ قرآنه ﴾[2] : اعمل به .

﴿ والتفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾[3] : آخر يومٍ من أيام الدنيا وأول يومٍ من أيام الآخرة ، فتلتقِى الشِّدَّة بالشدّة .

﴿ سُدًى ﴾[4] : هملا .

(الإنسان)

﴿ أمْشَاجٍ ﴾[5] : مختلفة الألوان .

(مُسْتَطِيرًا)[6] : فاشيا .

(عَبُوسًا)[7] : ضيقا .

(قَمطَرِيرًا)[8] : طويلا .

• • •

(المرسلات)

(كِفَاتًا)[9] : كفاء .

(رَوَاسِىَ)[10] : جبالاً .

(شَامخَاتٍ)[11] : مشرفات .

---

(١) آية ١٨ .
(٢) آية ١٨ .
(٣) آية ٢٩ .
(٤) آية ٣٦ .
(٥) آية ٢ .
(٦) آية ٧ .
(٧) آية ١٠ .
(٨) آية ١٠ .
(٩) آية ٢٥ .
(١٠) آية ٢٧ .
(١١) آية ٢٧ .

(مَاءً فُرَاتًا) (١) : عذبًا .

• • •

(النبأ)

(سِرَاجًا وَهَّاجًا) (٢) : مضيئا .

(مِنَ المعصِرَاتِ) (٣) : السحاب .

(ثجّاجًا) (٤) : منصبًا .

﴿ ألفَافًا ﴾(٥) : مجتمعة .

﴿ جَزَاءً وِفاقًا ﴾ (٦) : وفق أعمالهم .

﴿ مَفَازًا ﴾(٧) : متنزهًا .

﴿ وكَوَاعِبَ ﴾ (٨) : نواهد .

﴿ يَقُومُ الرّوحُ﴾ (٩) : ملك من أعظم الملائكة خلقا .

﴿ وقَالَ صَوابًا ﴾ (١٠) : لا إله إلا الله .

• • •

(النازعات)

﴿ الرَّادِفَةُ ﴾ (١١) : النفخة الثانية .

﴿ وَاجِفَةٌ ﴾ (١٢) خائفة .

---

(١) آية ٢٧ .
(٢) آية ١٣ .
(٣) آية ١٤ .
(٤) آية ١٤ .
(٥) آية ١٦ .
(٦) آية ٢٦ .
(٧) آية ٣١ .
(٨) آية ٣٣ .
(٩) آية ٣٨ .
(١٠) آية ٣٨ .
(١١) آية ٧ .
(١٢) آية ٨ .

﴿ فِى الحافِرَةِ ﴾ (١) : الحياة .

﴿ سَمْكَهَا ﴾(٢) : بناها .

﴿ وأَغْطَشَ ﴾(٣) : أظلم .

• • •

(عبس)

﴿ وُجُوه يَومَئِذٍ مُسْفِرةٌ ﴾ (٤) : مشرقة .

• • •

(التكوير)

﴿ كُوِّرَت ﴾(٥) : أظلمت .

﴿ انكَدَرَتْ ﴾ (٦) : تغيّرتْ .

﴿ إذا عَسْعَسَ ﴾ (٧) : أدبر .

• • •

(الانفطار)

﴿ فُجِّرَت ﴾ (٨) :بعضها فى بعض .

﴿ بُعْثِرَت ﴾ (٩) : بُحثت (*) .

• • •

(١) آية ١٠ .
(٢) آية ٢٨ .
(٣) آية ٢٩ .
(٤) آية ٣٨ .
(٥) آية ١ .
(٦) آية ٢ .
(٧) آية ١٧ .
(٨) آية ٣ .
(٩) آية ٤ .

(*) أى بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء ، يقال بعثرت الحوض اذا قلبته فجعلت أسفله اعلاه .

(المطففين)

﴿ لفِى عِلِّيِّين ﴾ [١] : الجنة .

• • •

(الانشقاق)

﴿ لن يَحُورَ ﴾ [٢] : لن يبعث .

﴿ بِمَا يُوعُونَ ﴾ [٣] : يُسرّونَ .

• • •

(البُرُوج)

﴿ الوَدُودُ ﴾ [٤] : الحبيب .

• • •

(الطارق)

﴿ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ [٥] : حقّ .

﴿ بالهزْلِ ﴾ [٦] : بالباطلِ .

• • •

(الأعلى)

﴿ غُثَاءً ﴾ [٧] : هشِيمًا .

﴿ أَحْوَى ﴾ [٨] : أسود .

﴿ مَنْ تزكّى ﴾ [٩] : من الشرك

(١) آية ١٨ .
(٢) آية ١٤ .
(٣) آية ٢٣ .
(٤) آية ١٤ .
(٥) آية ١٣ .
(٦) آية ١٤
(٧) آية ٥ .
(٨) آية ٥ .
(٩) آية ١٤ .

﴿ وذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ ﴾[١] : وحَّد الله .

﴿ فَصَلَّىٰ ﴾[٢] : الصلوات الخمس .

• • •

(الغاشية)

﴿ الغَاشِيةِ ﴾[٣] ، و (الطامّة) و (الصاخّة) ، و (الحاقّة) ، و ﴿ القارعة ﴾ من أسماء يوم القيامة .

﴿ مِنْ ضَرِيعٍ ﴾[٤] : شجر ذو شوك .

﴿ ونَمارِقُ ﴾[٥] : المرافق .

﴿ بِمُصَيْطِرٍ ﴾[٦] : بجبّار .

• •

(الفجر)

﴿ لَبِالمِرصَادِ ﴾[٧] : يسمع ويرى .

﴿ جَمًّا ﴾[٨] : شديدًا .

﴿ وأنّى لَهُ الذِّكْرى ﴾[٩] : كيف له .

• • •

---

(١) آية ١٥ .
(٢) آية ١٥ .
(٣) آية ١ .
(٤) آية ٦ .
(٥) آية ١٥ .
(٦) آية ٢٢ .
(٧) آية ١٤ .
(٨) آية ٢٠ .
(٩) آية ٢٣ .

(البلـــد)

﴿ النَّجْدَيْنِ ﴾ (١) : الضلالة والهدى .

• • •

(الشمس)

﴿ طَحَاهَا ﴾ (٢) : قسمها .

﴿ فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (٣) : بيّن الخير والشرّ .

﴿ ولا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ (٤) : لا يخاف من أحدٍ عاقبة .

(الضحى)

﴿ سَجَى ﴾ (٥) : ذهب .

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وما قَلَى ﴾ (٦) : ما تركك وما أبغضك .

• • •

(الشرح)

﴿ فانصبْ ﴾ (٧) : فى الدعاء .

• • •

(قريش)

﴿ إيلافِهِم ﴾ (٨) : لزومهم .

• • •

---

(١) آية ١٠ . (٢) آية ٦ .
(٣) آية ٨ . (٤) آية ١٥ .
(٥) آية ٢ . (٦) آية ٣ .
(٧) آية ٧ . (٨) آية ٢ .

(الكوثر)

﴿ شَانِئَكَ ﴾ (١) : عدوّك .

• • •

(الإخلاص)

﴿ الصَّمَدُ ﴾ (٢) : السيد الذى كمل فى سؤدُدِه .

• • •

(العَلق)

﴿ الفَلَقِ ﴾ (٣) : الخلق .

• • •

هذا لفظ ابن عباس ، أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيرهما مفرقا ، فجمعته ، وهو وإن لم يستوعب غريب القرآن فقد أتى على جملة صالحة منه .

وهذه ألفاظ لم تذكر فى هذه الرواية سقتها من نسخة الضحاك عنه .

قال ابن أبى حاتم : حدّثنا أبو زُرْعة ، حدثنا منجاب بن الحارث ـ (ح) ، وقال ابن جرير : حُدِّثتُ عن المنجاب ـ حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روْق ، عن الضّحاك ، عن ابن عباس فى قوله تعالى :

﴿ الحمدُ للهِ ﴾ (٤) : قال الشكر لله .

﴿ ربِّ العالمين ﴾ (٤) : قال : الخلق كلّه .

﴿ للمتّقين ﴾ (٥) : المؤمنين الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعتى .

(١) آية ٣ .
(٢) آية ٢ .
(٣) آية ١ .
(٤) سورة الفاتحة ٢ .
(٥) سورة البقرة ٢ .

﴿ ويُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ [١] : إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال عليها .

﴿ مَرَضٌ ﴾ : [٢] نفاق .

﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٢] : نكال موجع .

﴿ يَكْذِبُونَ ﴾ [٢] : يبدّلون ويحرّفون .

﴿ السُّفَهَاء ﴾ [٣] : الجهّال .

﴿ طُغْيَانِهِمْ ﴾ [٤] : كفرهم .

﴿ كَصَيِّبٍ ﴾ [٥] : المطر .

﴿ أَندَادًا ﴾ [٦] : أشباهًا .

﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [٧] : التقديس : التطهير .

﴿ رَغَدًا ﴾ [٨] : سعة المعيشة .

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ﴾ [٩] : تخلطوا .

﴿ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [١٠] : يضرّون .

﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ [١١] : قولوا هذا الأمر حق كما قيل لكم .

﴿ الطُّورَ) [١٢] : ما أنبت من الجبال ، وما لم ينبت فليس بطور

﴿ خَاسِئِينَ ﴾ [١٣] : ذليلين .

---

(١) سورة البقرة ٣ .
(٢) سورة البقرة ١٠ .
(٣) سورة البقرة ١٣ .
(٤) سورة البقرة ١٥ .
(٥) سورة البقرة ١٩ .
(٦) سورة البقرة ٢٢ .
(٧) سورة البقرة ٣٠ .
(٨) سورة البقرة ٣٥ .
(٩) سورة البقرة ٤٢ .
(١٠) سورة البقرة ٥٧ .
(١١) سورة البقرة ٥٨ .
(١٢) سورة البقرة ٦٣ .
(١٣) سورة البقرة ٦٥ .

﴿ نَكالاً ﴾ (١) : عقوبةً .

﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ (٢) : من بعدهم .

﴿ وما خَلْفَهَا ﴾ (٣) : الذين بقوا معهم .

﴿ وَمَوْعِظَةً ﴾ (٤) : تذكرة .

﴿ بِمَافَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ ﴾ (٥) : بمَا أكرمكم . به .

﴿ بِرُوحِ الْقُدُسِ) (٦) : الاسم الذى كان عيسى يحيِي به الموتى .

﴿ قَانِتُونَ ﴾ (٧) مطيعون .

﴿ القَوَاعِدَ) (٨) : أساس البيت .

﴿ صِبْغَةَ اللهِ ﴾ (٩) : دين الله .

﴿ أَتُحَاجُّونَنَا ﴾ (١٠) : أتخاصموننا .

﴿ يُنْظَرُونَ ﴾ (١١) : يؤخرون .

﴿ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (١٢) : شديد الخصومة .

﴿ فى السِّلْمِ ﴾ (١٣) : فى الطاعة .

﴿ كافةً ﴾ (١٣) : جميعا .

﴿ كَدَأْبِ ﴾ (١٤) : كصنع .

---

(١) سورة البقرة ٦٦ .
(٢) سورة البقرة ٦٦ .
(٣) سورة البقرة ٦٦ .
(٤) سورة البقرة ٦٦ .
(٥) سورة البقرة ٧٦ .
(٦) سورة البقرة ٨٧ .
(٧) سورة البقرة ١١٦ .
(٨) سورة البقرة ١٢٧ .
(٩) سورة البقرة ١٣٨ .
(١٠) سورة البقرة ١٣٩ .
(١١) سورة البقرة ١٦٢ .
(١٢) سورة البقرة ٢٠٤ .
(١٣) سورة البقرة ٢٠٨ .
(١٤) سورة آل عمران ١١ .

﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ [١] : بالعدلِ .

﴿ الأَكْمَه ﴾ [٢] : الذى يولَد وهو أعمى .

﴿ رَبَّانِيِّينَ ﴾ [٣] : علماء فقهاء .

﴿ وَلَا تَهِنُوا ﴾ [٤] : ولا تضعفوا .

﴿ وَاسمَعْ غيرَ مُسْمَعٍ ﴾ [٥] : يقولون : اسمع لاسمعت .

﴿ ليًّا بِأَلْسِنَتِهِم ﴾ [٥] : تحريفا بالكذب .

﴿ إلا إِنَاثًا ﴾ [٦] : موتى (*)

﴿ وعَزَّرْتُمُوهم ﴾ [٧] : أعنتموهم .

﴿ لَبِئْسَ ماقَدَّمَت أنفُسُهُم ﴾ [٨] : قال : أمرتهم .

﴿ ثُمَّ لَم تكُن فِتنَتُهُمْ ﴾ [٩] : حجّتهم .

﴿ بِمُعجِزِينَ ﴾ [١٠] : بمسابقين

﴿ قَومًا عَمِينَ ﴾ [١١] : كفَّارًا .

﴿ بَسْطَةً ﴾ [١٢] : شدَّةً .

﴿ وَلَا تَبخَسُوا ﴾ [١٣] : لاتظلموا .

---

(١) سوره آل عمران ١٨ .
(٢) سورة آل عمران ٤٩ .
(٣) سورة آل عمران ٧٩ .
(٤) سورة آل عمران ١٣٩ .
(٥) سورة النساء ٤٦ .
(٦) سورة النساء ١١٧ .
(٧) سورة المائدة ١٢ .
(٨) سورة المائدة ٨٠ .
(٩) سورة الأنعام ٢٣ .
(١٠) سورة الأنعام ١٣٤ .
(١١) سورة الأعراف ٦٤ .
(١٢) سورة الأعراف ٦٩ .
(١٣) سورة الأعراف ٨٥ .

(*) فى الأصل «مواتا» والمثبت عن طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٢٤ . وتفسير ابن كثير ٢ ٥٨٣ .

﴿ والقُمَّلَ ﴾ (١) : الجراد الذى ليس له أجنحة .

﴿ يَعْرِشُون ﴾ (٢) : يبنون .

﴿ مُتَبَّر ﴾ (٣) : هالك .

﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ (٤) : بجدٍّ وحزم .

﴿ إِصْرَهُمْ ﴾ (٥) : عهدهم ومواثيقهم .

﴿ مُرْسَاها ﴾ (٦) : منتهاها .

﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ (٧) : أنفق الفضل .

﴿ وأْمُرْ بالعرْف ﴾ (٧) : بالمعروف .

﴿ وَجِلَتْ ﴾ (٨) : فَرَقت .

﴿ البُكْمُ ﴾ (٩) : الخرس .

﴿ فُرْقَانًا ﴾ (١٠) : نصرا .

﴿ بِالعُدوَةِ الدُّنيَا ﴾ (١١) : شاطىء الوادى .

﴿ إِلاًّ وَلَا ذِمَّةً ﴾ (١٢) : الإلّ : القرابة ، والذمّة : العهد .

﴿ أَنَّى يُؤفَكُونَ ﴾ (١٣) : كيف يكذبون

﴿ ذَلِكَ الدِّينُ ﴾ (١٤) : القضاء .

(١) سورة الأعراف ١٣٢ .
(٢) سورة الأعراف ١٣٧ .
(٣) سورة الأعراف ١٣٩ .
(٤) سورة الأعراف ١٤٥ .
(٥) سورة الأعراف ١٥٧ .
(٦) سورة الأعراف ١٨٧ .
(٧) سورة الأعراف ١٩٩ .
(٨) سورة الأنفال ٢ .
(٩) سورة الأنفال ٢٢ .
(١٠) سورة الأنفال ٢٩ .
(١١) سورة الأنفال ٤٢ .
(١٢) سورة التوبة ٨ .
(١٣) سورة التوبة ٣٠ .
(١٤) سورة التوبة ٣٦ .

﴿ عَرَضًا ﴾[١] : غنيمة .

﴿الشُّقَّةُ ﴾ [١] : المسير .

﴿ فَثَبَّطَهُم ﴾[٢] : حبسهم .

﴿ مَلْجأً ﴾[٣] : الحرز في الجبل .

﴿ أو مَغَارَاتٍ ﴾ [٣] :الأسراب فى الأرض المخيفة .

﴿ أو مُدَّخَلاً ﴾ [٣] : المأوى .

﴿ والعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ [٤] : السعاة .

﴿ نَسُوا اللهَ﴾ [٥] : تركوا طاعة الله .

﴿ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [٥] : تركهم من ثوابه وكرامته .

﴿ بِخَلَاقِهِمْ ﴾ [٦] : بدينهم .

﴿ المُعَذِّرُون ﴾[٧] : أهل العذر .

﴿ مَخمَصَةٌ ﴾ [٨] : مجاعة .

﴿ غِلْظَةً﴾ [٩] : شدّة .

﴿ يُفتَنُون ﴾ [١٠] : يبتلوْن .

﴿ عَزِيز ﴾[١١] : شديد .

---

(١) سورة التوبة ٤٢ .
(٢) سورة التوبة ٥٧ .
(٣) سورة التوبة ٤٦ .
(٤) سورة التوبة ٦٠ .
(٥) سورة التوبة ٦٧ .
(٦) سورة التوبة ٦٩ .
(٧) سورة التوبة ٩٠ .
(٨) سورة التوبة ١٢٠ .
(٩) سورة التوبة ١٢٣ .
(١٠) سورة التوبة ١٢٦ .
(١١) سورة التوبة ١٢٨ .

﴿ ماعَنِتُّمْ ﴾[1] : ماشقَّ عليكما .

﴿ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ ﴾[2] : انهضوا إلىَّ .

﴿ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [2] : تؤخِّرون .

﴿ حقَّتْ ﴾[3] : سبقت .

﴿ وَيَعلَم مُسْتَقَرَّهَا ﴾ [4] : يأتيها رزقها حيث كانت .

﴿ مُنيب ﴾ [5] : المقبل إلى طاعة الله .

﴿ ولا يَلْتَفِتْ ﴾[6] : يتخلَّف .

﴿ ولاتَعْثَوْا ﴾ [7] تسعَوْا .

﴿ هيْتُ لك ﴾ [8] : تهيَّأت لكـ وكان يقرؤها مهموزة .

﴿ وَأَعتَدَتْ ﴾ [9] : هيَّأت .

﴿ عَلَى العَرشِ ﴾[10] : السرير .

﴿ هَذِهِ سَبِيلِى ﴾ [11] : دعوتى .

﴿ الْمَثُلَاتُ ﴾ [12] ما أصاب القرون الماضية من العذاب .

﴿ الغَيْبِ والشَّهادَةِ ﴾[13] : السرّ والعلانية .

﴿ شَدِيدُ المِحَالِ ﴾ [14] : شديد المكر والعداوة .

---

(١) سورة التوبة ١٢٨ .
(٢) سورة يونس ٧١ .
(٣) سورة يونس ٣٣ .
(٤) سورة هود ٦ .
(٥) سورة هود ٧٥ .
(٦) سورة هود ٨١ .
(٧) سورة هود ٨٥ .
(٨) سورة يوسف ٢٣ .
(٩) سورة يوسف ٣١ .
(١٠) سورة يوسف ١٠٠ .
(١١) سورة يوسف ١٠٨ .
(١٢) سورة الرعد ٦ .
(١٣) سورة الرعد ٩ .
(١٤) سورة الرعد ١٣ .

﴿ عَلَى تَخَوفٍ ﴾ [١] نقص من أعمالهم .

﴿ وأوحَى : رَبُّكَ إلى النَّحلِ ﴾[٢] : ألهمها .

﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [٣] : أبعد حجّة .

﴿ قَبِيلاً ﴾ [٤] : عيانا .

﴿ وابتغِ بَيْنَ ذَلِكَ سبِيلاً ﴾ [٥] : اطلب بين الإعلان والجهر ، وبين التخافت والخفض طريقا لا جهرًا شديدا ولا خفضًا لايُسمع أذنيك .

﴿ رُطَبًا جنيا ﴾[٦] : طريًا .

﴿ أَنْ يَفْرُطَ ﴾ [٧] : يعجل .

﴿ يَطْغَى ﴾[٧] يعتدى .

﴿ لا تظمأ ﴾ [٨] : لا تعطش .

﴿ ولَا تَضحَى ﴾ [٨] : لا يصيبك حرّ .

﴿ إلَى رَبوَةٍ ﴾ [٩] : المكان المرتفع .

﴿ ذَاتِ قَرَارٍ ﴾ [٩] : خصب .

﴿ وَمَعِين ﴾ [٩] : ماء طاهر .

﴿ أُمَّتُكُمْ ﴾ [١٠] : دينكم .

﴿ تَبَارَكَ ﴾ [١١] تفاعل من البركة .

---

(١) سورة النحل ٤٧ .

(٢) سورة النحل ٦٨ .

(٣) سورة الاسراء ٧٢ .

(٤) سورة الاسراء ٩٢ .

(٥) سورة الاسراء ١١٠ .

(٦) سورة مريم ٢٥ .

(٧) سورة طه ٤٥ .

(٨) سورة طه ١١٩ .

(٩) سورة المؤمنون ٥٠ .

(١٠) سورة المؤمنون ٥٢ .

(١١) سورة الفرقان ١ .

﴿ كَرَّةً ﴾ (١) : رجعةً .

﴿خَاوِيَةً ﴾ (٢) : سقط. أعلاها على أسفلها .

﴿ فَلَهُ خَيرٌ ﴾ (٣) : ثواب .

﴿ يُبْلِسُ ﴾ (٤) : ييأس .

﴿ جُدَدٌ ﴾(٥) : طرائق .

﴿ إِلَى صِرَاطِ الجَحِيم ﴾ (٦) : طريق النار .

﴿ وَقِفُوهُم ﴾ (٧) : احبسوهم .

﴿ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ (٧) : محاسبون .

﴿ مَالَكُم لا تَنَاصَرُونَ ﴾(٨) : تمانعون .

﴿ مُسْتَسلِمُونَ ﴾ (٩) : مستنجدون .

﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ (١٠) : مسيء مذنب.

﴿ فُصِّلَتْ ﴾ (١١) : بنيت .

﴿ وَالغَوْا فِيهِ ﴾(١٣) : عيبوه .

﴿ مُهطِعِينَ ﴾ (١٢) :مقبلين .

﴿ وبُسَّت ﴾ (١٤) : فتّتْ .

---

(١) سورة الشعراء ١٠٢ .
(٢) سورة النمل ٥٢ .
(٣) سورة النمل ٨٩ .
(٤) سورة الروم ١٢ .
(٥) سورة فاطر ٢٧ .
(٦) سورة الصافات ٢٣ .
(٧) سورة الصافات ٢٤ .
(٨) سورة الصافات ٢٥ .
(٩) سورة الصافات ٢٦ .
(١٠) سورة الصفات ١٤٢ .
(١١) سورة فصلت ٣ .
(١٢) سورة فصلت ٢٦ .
(١٣) سورة القمر ٨ .
(١٤) سورة الواقعة ٥ .

﴿ ولا يُنْزِفُونَ ﴾(١) :لا يقيئون كما يقىء صاحب خمر الدنيا .

﴿ الْحِنْثِ العَظِيمِ ﴾(٢) : الشِّرْك .

﴿ المُهَيمِنُ ﴾(٣) : الشاهد .

﴿ العَزِيزُ ﴾ (٣) : المقتدر على ما يشاء .

﴿ الحَكِيمُ ﴾ (٤) : المحكِم لما أراد .

﴿ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ﴾ (٥) : نخل .

﴿ مِن فُطُورٍ ﴾ :(٦) تشقّق .

﴿ وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ (٧) : كليل ضعيف .

﴿ لَا ترجون لله وقارا ﴾(٨) : لا تخافون له عظمةً .

﴿ جَدُّ رَبِنَا ﴾ (٩) : عظمته .

﴿ أَتَانَا اليَقِينُ ﴾ (١٠) : الموت .

﴿ يَتَمطَّى ﴾ (١١) : يختال .

﴿ أَترَابًا ﴾ (١٢) : فى سِنٍّ واحد ، ثلاثٍ وثلاثين سنة .

﴿ مُرْسَاهَا ﴾ (١٣) : منتهاها .

﴿ مَتَاعًا لَّكُم ﴾ (١٤) : منفعة .

﴿ مَمْنُونٍ ﴾(١٥) : منقوص .

---

(١) سورة الواقعة ١٩ .
(٢) سورة الواقعة ٤٦ .
(٣) سورة الحشر ٢٣ .
(٤) سورة الحشر ٢٤ .
(٥) سورة المنافقون ٤ .
(٦) سورة الملك ٣ .
(٧) سورة الملك ٤ .
(٨) سورة نوح ١٣ .
(٩) سورة الجن ٣ .
(١٠) سورة المدثر ٤٧ .
(١١) سورة القيامة ٣٣ .
(١٢) سورة النبأ ٣٣ .
(١٣) سورة النازعات ٤٢ .
(١٤) سورة عبس ٣٢ .
(١٥) سورة الانشقاق ٢٥ .

فصل

قال أبو بكر بن الأنبارى : قد جاء عن الصحابة والتّابعين ـ كثيرا ـ الاحتجاجُ على غريب القرآن ومشكله بالشّعر ، وأنكر جماعة ـ لا علم لهم ـ على النحويّين ذلك ، وقالوا : إذا فعلتم ذلك جعلتم الشّعر أصلاً للقرآن ؛ قالوا : وكيف يجوز أن يُحْتَجَّ بالشّعر على القرآن ، وهو مذموم في القرآن والحديث ! قال : وليس الأمرُ كما زعموه من أنّا جعلنا الشّعر أصلاً للقرآن ، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشّعر ؛ لأنّ الله تعالى قال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ،[1] وقال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[2] .

وقال ابنُ عباس : الشّعر ديوان العرب ؛ فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الّذى أنزله الله بلغة العرب رجعْنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه .

ثم أخرج من طريق عكْرمة عن ابن عباس ، قال : إذا سألتمونى عن غَريبِ القرآن فالتمسوه فى الشعر ، فإنّ الشّعر ديوان العرب .

وقال أبو عبيد فى فضائله : حدّثنا هُشيم ؛ عن حُصين بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عبد الله بن عُتْبة ؛ عن ابن عباس ، أنّه كان يُسْألُ عن القرآن فينْشِد فيه الشعر .

قال أبو عبيد : يعنى كان يستشهد به على التفسير .

قلت : قد روينا عن ابن عباس كثيرا من ذلك ؛ وأوْعب ما رويناه عنه مسائل نافع بن الأزرق ؛ وقد أخرج بعضَها ابنُ الأنبارىّ فى كتاب الوقف ، والطّبرانى فى معجمه الكبير ، وقد رأيتُ أن أسوقَها هنا بتمامها لتُستفاد :

---

(١) سورة الزخرف ٣ . (٢) سورة الشعراء ١٩٥ .

أخبرنى أبو عبد الله محمد بن على الصالحىّ بقراءتى عليه ، عن أبى إسحاق التَّنُوخىّ ،عن القاسم بن عساكر ، أخبرنا أبو نصر محمد بن عبد الله الشّيرازىّ ، أخبرنا أبو المظفر محمد بن أسعد العراقىّ ، أخبرنا أبو علىّ محمد بن سعيد ابن نَبْهان الكاتب ،أخبرنا أبو علىّ بن شاذان ، حدثنا أبو الحسين عبد الصمد ابن علىّ بن مكرم المعروف بابن الطسىّ ، حدثنا أبو سهل السرىّ بن سهل الجنديسابورىّ ، حدثنا يحيى بن أبى عبيدة بحر بن فَرُّوخ المكىّ ، أخبرنا سعد بن أبى سعيد ، أخبرنا عيسى بن دأب ، عن حُميد الأعرج وعبد الله ابن أبى بكر بن محمد عن أبيه قال : بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه النّاس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع بن الأزرق [1] لنجدَة بن عُويمر [2] : قم بنا إلى هذا الذى يجترىء على تفسير القرآن بما لا عِلْم له به : فقاما إليه فقالا : إنّا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسّرها لنا ، وتأتينا بمصادقةٍ من كلام العرب ؛ فإنّ الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربىّ مبين ، فقال ابن عباس : سَلانى عمّا بدا لكما ، فقال نافع : ؛ أخبرْنى عن قول الله تعالى : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ ، [3] قال : العِزُون :الحَلق الرِّقاق ،قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نَعم ؛ أما سَمعت عَبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يُهْرَعونَ إليـــه حتّى   يكونُوا حَوْلَ مِنْبَره عِزِينا [4]

---

(١) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى ، الحرورى رأس الأزارقة الخوارج ، واليه نسبتهم • كان أمير قومه وفقيههم • توفى سنة ٦٥ • وانظر لسان الميزان للذهبى ٦ : ١٤٤ •

(٢) نجدة بن عامر الحرورى الحنفى ، رأس الفرقة النجدية من الخوارج ، وكان من أصـــحاب الثورات فى الاسلام • توفى سنة ٦٩ • وانظر مرآة الجنان ١ : ١٤٤ •

(٣) سورة المعارج ٣٧ •   (٤) لم أجده فى ديوانه •

قال . أخبرنى عن قوله : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيهِ الْوَسِيلة ﴾ ،[١] قال : الوسيلة الحاجة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت عَنْتَرة وهو يقول :

إنَّ الرجال لَهُمْ إليك وسيلةٌ إنْ يأخذوك تكحلي وتَخَضَّبِى [٢]

قال : أخبرنى عن قوله : ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ ، [٣] قال : الشِّرْعة : الدِّين ، والمنهاج : الطريق . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وهو يقول :

لَقَدْ نَطَقَ المأمونُ بِالصِّدْقِ وَالْهُدَى وَبَيَّن للإسلام دِينًا وَمِنْهَاجَـا

قال : أخبرنى عن قوله : (إذا أثْمَرَ ويَنْعه) [٤] ، قال : نضجه وبلاغه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

إذا ما مَشَتْ وسْطَ النِّساء تأوَّدَتْ كما اهتزَّ غُصْنٌ ناعم النَّبْت يانعُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَرِيشا ﴾ [٥] . قال : الريش المال ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

فرِشْنى بخيرٍ طالَمَا قَدْ بَرَيْتَنى وخَيرُ الموالى مَنْ يَرِيشُ وَلاَ يَبْرِى

قال : أخبرنى عن قوله تعالى :﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ فى كَبَدٍ ﴾ ،[٦] قال : فى اعتدال واستقامة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟قال : نعم ، أما سمعت لَبِيد بن ربيعة وهو يقول :

ياعَيْنُ هَلَّا بكيتِ أرْبَد إذْ قُمْنَا وقام الخصوم فى كَبَـدِ [٧]

---

(١) سورة المائدة ٣٥ .
(٢) ديوانه (٣٥ ضمن كتاب العقد الثمين) .
(٣) سورة المائدة ٤٨ .
(٤) سورة الأنعام ٩٩
(٥) سورة الأعراف ٢٦ .
(٦) سورة البلد ٤ .
(٧) ديوانه ١٦٠ ، والكبد : القيام على الأمر الشديد .

قال : أخبرنى عن قوله تعالى :﴿ يَكَادُ سَنَا برقه ﴾،[١] قال : السنًا الضوء قال : وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم ،أماسمعت أبا سفيان بن الحارث يقول :

يَدْعُو إلى الحقِّ لا يبغى به بَدَلاً   يجلُو بِضَوْء سَناهُ داجىَ الظُّلَم

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَحَفَدَةً ﴾ ، [٢] قال : وَلَد الولد ، وهم الأعوان ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

حفد الولائدِ حَوْلَهُنَّ وأسلَمَتْ   بأكفهنْ أزِمَّةُ الأجْمَـــالِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَحنانًا مِنْ لَدُنَّا ﴾ ، [٣] قال : رحمة من عندنا ، قال :وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ طرفة ابن العبد يقول :

أبا مُنْذِرٍ أفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا   حَنَانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أهونُ مِنْ بَعْضِ[٤]

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ، [٥] قال : أفلم يعلم ، بلغة بنى مالك ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت مالك بن عوف يقول :

لَقَدْ يئِسَ الأقْوَامُ أنِّى أنا ابنُهُ   وإن كنتُ عن أرْض العشيرةِ نائِيـــا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ مَثْبُورًا ﴾ [٦] قال : ملعونا محبوسا من الخير ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ عبد الله ابن الزبعرى يقول :

(١) سورة النور ٤٣ .
(٢) سورة النحل ٧٢ .
(٣) سورة مريم ١٣ .
(٤) ديوانه ١٢٠ .
(٥) سورة الرعد ٣١ .
(٦) سورة الاسراء ١٠٢ .

إِذْ أَتَانِيَ الشَّيْطَانُ فى سِنَةِ النَّوْ م ِ وَمَنْ مَالَ مَيْلَه مَثْبُــــورَا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ ،[1] قال : ألجأها ، قال . وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ حسّان ابن ثابت يقول :

إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صَادِقَـــــةً فأَجَأْناكُم إلى سَفْحِ الْجَبَـلْ[2]

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ نَدِيًّا ﴾[3] قال : النَّادى : المجلس ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

يَوْمَانِ يوم مُقامات وَأَنْدِيَة وَيَوْمُ سيرٍ إلى الأَعداء تَأْوِيب

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴾ ،[4] قال : الأَثاث : المتاع ، والري مِن الشرابِ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

كَأَنَّ على الحَمولِ غَداةَ ولَّوْا مِنْ الرِّئْيِ الكريمِ من الأَثاثِ[5]

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ فَيَذَرُهَا قاعًا صَفْصَفًا ﴾ ،[6] قال : القاع : الأملس ، والصفصف المستوى ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

بملمومةٍ شَهْباء لو قَذَفُــوا بهـا شَمَارِيخَ مِنْ رضوى إذَنْ عادَ صَفْصَفَا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ ،[7] :

---

(١) سورة مريم ٢٢ .
(٢) ديوانه ٣٠٢ .
(٣) سورة مريم ٧٣ .
(٤) سورة مريم ٧٤ .
(٥) اللسان « رأى » . وأورد البيت بنسبته لمحمد نمير الثقفى بهذه الرواية :

أَشاقَتْكَ الظعائن يومَ بانوا بِذِى الرِّئْيِ الجَميلِ مِنَ الأَثاث

(٦) سورة طه ١٠٦ .
(٧) سورة طه ١١٩ .

قال : لا تعرقُ فيها من شدّة حرّ الشمس ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟
قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

رأتْ رجلاً أمّا إذاالشّمْسُ عارَضَتْ فَيَضْحَىَ وأمّا بالعَشِيّ فيخصِرُ (١)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : (له خُوَارٌ) ، (٢) قال : له صِيَاح ،
قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول الشاعر :

كأنّ بَنِى معاويةَ بن بكْـر إلى الإسلام صائحةٌ تَخُـور

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾ (٣) قال : لا تضعفا عن أمرى ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

إنّى وَجَدِّكَ ما وَنَيْتُ ولَمْ أَزَلْ أبغى الْفَكَاكَ لَهُ بكلّ سبيـل

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ الْقَانِعَ والمُعْتَرّ ﴾ ، (٤) قال : القانع الذى يَقْنَع بما أُعْطِىَ ، والمعترّ : الذى يعترض الأبواب ، قال : وهل نعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول الشاعر :

عَلَى مُكْثِرِيهِمْ حَقّ مَنْ يعْتريهمُ وَعِنْدَ المقِلّين السَّمَاحَةُ وَالْبَـذْلُ (٥)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ (٦) قال : مشيد بالجص والآجرّ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ عدىّ بن زيد يقول :

شَادَه مَرْمَرًا وَجَلّلَهُ كِلْسًـا فللطيْرِ فِى ذُرَاهُ وُكُـورُ (٧)

(١) لعمر بن أبى ربيعة ، ديوانه ٩٤ .
(٢) سورة الأعراف ١٤٨ .
(٣) سورة طه ٤٢ .
(٤) سورة الحج ٣٦ .
(٥) لزهير ، ديوانه ١١٤ .
(٦) سورة الحج ٤٥ .
(٧) الأغانى ٢ : ١٣٩ .

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ شُوَاظٌ ﴾ [١] قال : الشواظ : اللهب الذي لا دخان له ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت :

يظلّ يَشبّ كِيرًا بعد كيرٍ ... وينفخ دائبًا لهب الشُّواظِ [٢]

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون ﴾ . [٣] قال : فازوا وسعِدوا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعتَ قول لَبيد بن ربيعة :

فاعقلي إن كنت لَمّا تَعْقِلِي ... وَلَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ كانَ عَقَلْ [٤]

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاء ﴾ ، [٥] قال : يقوّى ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول حسان بن ثابت :

برجال لَسْتُمُو أمثالَهُمْ ... أُيِّدُوا جبريل نَصْرًا فَنَزَلْ [٦]

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَنُحَاسٌ ﴾ . [٧] قال : هو الدّخان الذى لا لهب فيه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول الشاعر :

يُضيء كضوء سِراج السَّلِيطِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاسَا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ أَمْشَاجٍ ﴾ [٨] قال : اختلاط ماء

(١) سورة الرحمن ٣٥ .
(٢) ديوانه ٣٩ .
(٣) سورة «المؤمنون» ١ .
(٤) ديوانه ١٧٧ .
(٥) سورة آل عمران ١٣ .
(٦) ديوانه ٣٠٤ .
(٧) سورة الرحمن ٣٥ .
(٨) سورة الانسان ٢ .

الرجل وماء المرأة إذا وقع فى الرَّحِمِ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول أبى ذُويب :

كَأَنَّ الرِّيشَ والفُوقَ منـــهُ خِلالَ النَّصْلِ خَالَطَهُ مُشِيجُ [١]

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وفُومِها ﴾ [٢] : قال : الحنطة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول أبى محْجَن الثَّقفىّ :

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبنِى كَأَغْنى واحدٍ قدم المدِينةَ عَنْ زِرَاعَة فُوم [٣]

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ ، [٤] قال : السُّمود اللهو والباطل ، قال :وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول هزيلة بنت بكر ، وهى تبكى قوم عاد :

لَيْتَ عَادًا قَبِلُوا الحـــق وَلَمْ يُبْدُوا جُحِــودَا [٥]

قبل فقُمْ فانظر إليهـــم ثم دَعْ عنك السُّمـــودَا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ ، [٦] قال : ليس فيها نَتَن ولا كراهية كخمر الدنيا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول امرىء القيس :

ربَّ كأسٍ شربتُ لا غَوْلَ فِيهَا وَسَقَيْتُ النَّدِيمَ مِنْهَا مِزَاجَــــا [٧]

---

(١) نسبه فى ديوان الهذليين ٣ : ١٠٤ الى عمرو بن الداخل الهذلى ، ورواه :

كانَّ الرِّيشَ والفُوقَيْن مِنْهُ خِلالَ النَّصْلِ خالَطَهُ مُشيجُ

وانظره فى اللسان (مشج) بنسبة أخرى .

(٢) سورة البقرة ٦١ .

(٣) اللسان (فوم) بهذه النسبة .

(٤) سورة النجم ٦١ .

(٥) البيت الثانى فى اللسان من غير نسبة ، قال : السامد القائم فى تحير .

(٦) سورة الصافات ٤٧ .

(٧) لم يرد فى ديوانه .

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرِ إذا اتَّسَقَ ﴾ ، [١] قال : اتساقه اجتماعه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم ، أما سمعت قول طَرَفة ابن العبْد :

إنَّ لَنَا قلائصًا نَقَانقَـــــا مُسْتَوْسِقات لَوْ تَجِدْنَ سَائِقَا [٢]

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، [٣] قال : باقون ، لا يخرجون منها أبدا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عديّ بن زيد :

فَهَلْ مِنْ خالدٍ إمَّا هَلَكْنَـا وَهَلْ بالموتِ يا للناس عـــار !

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَجِفانٍ كَالجَوَابِ ﴾ [٤] ، قال : كالحياض ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول طَرَفة بن العبد :

كالجوابي لا تَنِي مترعـةً لِقرَى الأضْياف أو للمحتضِرْ [٥]

قال : أخبرني عن قوله تعالى : (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) ، [٦] قال : الفجور والزني : قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول الأعشى :

حافظٌ للفرج راضٍ بالتُّـقى ليس ممن قلبه فيه مرضْ [٧]

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ ، [٨] قال : الملتزق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعْتَ قولَ النابغة :

---

(١) سورة الانشقاق ١٨ .
(٢) اللسان (وسق) ، دون نسبة .
(٣) سورة البقرة ٣٩ .
(٤) سورة سبأ ١٣ .
(٥) ديوانه ٨٠ .
(٦) سورة الأحزاب ٣٢ .
(٧) لم أجده في ديوانه .
(٨) سورة الصافات ١١ .

فَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَاشَرَّ بَعْدَهُ وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبِ (١)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ أنداداً ، ﴾ (٢) قال : الأشباه والأمثال ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول لَبيد بن رَبيعة :

أَحْمَدُ اللهَ فلا ندَّ لـــهُ بيديْهِ الخيرُ ماشاء فَعَلْ (٣)

قال : أخبِرْني عن قوله تعالى : ﴿ لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴾ ، (٤) قال : الخلط. بماء (*) الحميم والغساق ، قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

تِلْكَ المكارِمُ لاَ قَعْبَـــانِ مِنْ لبن شِيبَا بماء فَعَادَا بَعْدُ أبْوَالاَ (٥)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى ﴿ عَجِّلْ لَنَاقِطَّنَا ﴾ ، (٦) قال : القطّ الجزاء ، قال :وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الأعشى :

وَلَا الملكُ النَّعمان يَوْمَ لقيتُـــه بنعمته يُعْطى القُطوط ويُطلِـقُ (٧)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (٨) ، قال : الحمأ السواد ، والمسنون :المصوَّر ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول حمزة بن عبد المطلب :

أغرُّ كأنَّ البدرَ شقة (**) وَجْهِهِ جلا الغيمَ عنه ضوءه فتبدَّدا

---

(١) ديوانه ٩ .
(٢) سورة البقرة ٢٢ .
(٣) ديوانه ١٧٤ .
(٤) سورة الصافات ٦٧ .
(٥) لأبى الصلت ، طبقات الشعراء ٤٨ .
(٦) سورة ص ١٦ .
(٧) ديوانه ٢١٩ .
(٨) سورة الحجر ٢٦ .
(*) هذا اللفظ من طبعة الشيخ عثمان عبدالرازق ص ١٢٩ .
(**) فى الأصل «سنة» والمثبت عن طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٢٩ .

قال : فأخبرني عن قوله تعالى : ﴿ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ (١) قال : الَّذِي لايجدُ شيئًا من شدّة الحال ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول طَرَفة :

يغشاهُمْ البائس المدقع والضَّيْف وجارٌ مجاورٌ جُنُبُ (٢)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : (مَاء غَدَقًا) (٣) قال : كثيرًا جاريا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول الشاعر :

تدْني كراديس ملتفا حَدَائِقُهَـــا كالنَّبْتِ جَادَتْ بها أنهارُها غَدَقَـــا

قال : أخبرنا عن قوله تعالى : (بِشِهابٍ قَبَسٍ) (٤) قال :شُعْلة من نار يقتبسون منه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم، أما سمعتَ قول طرفة بن العبد :

هَمٌّ عَرَانِى فَبِتُّ أَدْفَعُـــــهُ دون سُهادِى كشُعْلَةِ الْقَبَسِ (٥)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : (عَذَابٌ أَلِيم) (٦) [قال : الألِيم :] الوجيع ، قال : وهل تعرف العرب ذلك : قال : نعم ،أما سمعتَ قول الشاعر :

نَامَ مَنْ كَانَ خَلِيًّا مِنْ أَلَمْ وَبقِيتُ اللَّيلَ طُولاً لَمْ أَنَمْ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : (وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ) (٧) ، قال : اتبعنا على آثار الأنبياء ، أى بعثنا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عدىّ بن زيد :

---

(١) سورة الحج ٢٨ .
(٢) لم أجده في ديوانه .
(٣) سورة الجن ١٦ .
(٤) سورة النمل ٧ .
(٥) لم أجده في ديوانه .
(٦) سورة البقرة ١٠ .
(٧) سورة المائدة ٤٦ .

يَوْمَ قَفَّتْ عِيرُهُمْ مِنْ عيرنَا ... واحتمال الحىّ فِي الصُّبح فَلَــقْ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ إِذَا تَرَدَّى ﴾(١) ، قال : إذا مات وتردّى فى النار قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعتَ قول عدىّ ابن زيد :

خَطَفَتْهُ مِنيَّـــــةٌ فَتَرَدَّى ... وَهُوَ فِي المِلك يَأْمُلُ التَّعْمِيـرَا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ فِى جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾(٢) ، قال : النَّهر : السَّعة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول لَبيد ابن ربيعة :

مَلَكْتُ بهَا كَفِّى فَأَنْهرْتُ فَتْقَهَا ... يَرى قائمٌ من دُونها مَا وَرَاءهَا (٣)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ ﴾ (٤) ، قال : الخلق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول لَبيد بن ربيعة :

فإِنْ تسأَلينا مِمّ نحنُ فإِنَّنَـــا ... عَصَافيرُ من هذى الأَنَامِ المسحَّرِ (٥)

قال : فأخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾ (٦) ، قال : أن لن يرجع ، بلغة الحَبَشة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعرَ :

وَمَا الْمَرْءُ إِلاَّ كالشِّهابِ وضوئِـهِ ... يَحُورُ رَمَادًا بعد إِذْ هُوَ سَاطِـعُ (٧)

قال : أخبرْنى عن قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ لاَتَعُولُوا ﴾ (٨) ، قال :

---

(١) سورة الليل ١١ .
(٢) سورة القمر ٥٤ .
(٣) لم أجده فى ديوانه .
(٤) سورة الرحمن ١٠ .
(٥) ديوانه ٥٦ . والمسحر : المعلل بالطعام والشراب .
(٦) سورة الانشقاق ١٤ .
(٧) للبيد . ديوانه ١٦٩ .
(٨) سورة النساء ٣ .

أجْدَى ألا تميلوا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

إنَّا تبعنا رَسُولَ اللهِ واطَّرَحُـوا قَوْلَ النَّبِيّ وغَالَوْا فى الْمَوازيـــنِ

قال : أخبْرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ (١) قال : المسىء المذنب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال :نعم ، أما سمعتَ قول أميَّة بن أبي الصلت :

مِنَ الآفات لَيْسَ لها بأهْلٍ ولكنَّ المسىء هُـــو المليمُ (*)

قال : أخبْرنى عن قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ (٢) قال : تقتلونهم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

ومِنَّا الَّذِى لاَقى بسيف محمَّـدٍ فَحَسَّ به الأعداء عُرْضَ العساكـــر

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ ما أَلفَيْنا ﴾ (٣) قال : يعنى وجدنا ، قال : وهل تعرف العرب ذَلِكَ : قال نعم أما سمعتَ قول نابغة بنى ذبيان :

فحسَّبُوه فَأَلفَوْه كما زعمـــتْ تِسْعًا وتسعينَ لَمْ تَنْقُص وَلَمْ تَزِدِ(٤)

قال : أخبْرنى عن قوله تعالى : ﴿ جَنَفًا ﴾(٥) قال : الجوْر والميل فِي الوصيَّة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول عدى بنّ زيد :

وأُمُّكَ يا نعمان فى أخْواتهـا تأتينَ ما يأتينَهُ جَنَفَـــا

قال : أخبْرنى عن قوله تعالى : ﴿ بَالبَأْسَاء والضَّرَّاء ﴾(٦) قال : البأساء

(١) سورة الصافات ١٤٢ . (٢) سورة آل عمران ١٥٢

(٣) سورة البقرة ١٧٠ . (٤) ديوانه ٢٤ .

(٥) سورة البقرة ١٨٢ . (٦) سورة الأنعام ٤٢ .

(*) كذا فى الأصل . وفى ديوانه ص ٥٥ ط بيروت

برى، النفس ليس لها بأهل ولكن المسيء هو الملـــوم

وهو مستقيم المعنى .

الخِصب ، والضّراء : الجدب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول زيد بن عمرو :

إنّ الإله عزيزٌ واسـع حَكَمٌ بكفّه الضُّرُّ والبأساء والنِّعَـمُ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ إِلَّا رَمْزًا ﴾ (١) قال : الإشارة باليد والوحْيُ بالرّأس . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال؟ نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

مَا فِي السّماء من الرحمن مرتَمَزٌ إلّا إليه ومافِي الأرْض مِنْ وَزَرِ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ فَازَ ﴾ (٢) ، قال : سعِد ونجا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول عبد الله ابن رَوَاحة :

وَعَسَى أنْ أفوز ثمّتَ ألقى حجة أتّقى بهـا الفُتّانـا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ (٣) قال : عَدْل ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول الشاعر :

تَلَاقَيْنا فقاضينا سـواءً وَلَكِنْ جُرَّ عَنْ حالٍ بحـالِ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ الْفُلْكِ الْمَشْحُون ﴾ (٤) قال : السفينة الموقرة الممتلئة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول عَبيد بن الأبرص :

شَحَنّا أرْضَهُمْ بِالْخَيْلِ حتّى تركناهُمْ أذَلّ مِنَ الصّرَاطِ (٥)

---

(١) سورة آل عمران ٤١ .
(٢) سورة آل عمران ١٨٥ .
(٣) سورة آل عمران ٦٤ .
(٤) سورة الشعراء ١١٩ .
(٥) لم اجده في ديوانه .

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ زَنِيمٍ ﴾ ،(١) قال : ولد الزنى ، قال · وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول الشاعر :

زَنِيمٌ تَدَاعَتْهُ الرِّجَالُ زِيَــــادَةً كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الأَدِيمِ الأَكَارِعُ(٢)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ ،(٣) قال : المنقطعة في كلّ وجه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول الشاعر :

وَلَقَدْ قُلْتُ وَزَيْدٌ حَاسِــــرٌ يَوْمَ وَلَّتْ خَيْلُ زَيْدٍ قِدَدَا

قال أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ،(٤) قال الصبح إذا انفلق من ظلْمة الليل ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول زُهير بن أبي سُلمَى :

الفارجُ الهمّ مسدولاً عساكـرهُ كما يُفرِّجُ غمّ الظُّلْمةِ الْفَلَـقُ (٥)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ (٦) ، قال : نصيب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول أميّة بن أبي الصلت :

يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ فيها لاخلاق لهمْ إلاّ سرابيلُ من قَطْر وأغْـــلَالِ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ لَهُ قَانتون ﴾ ،(٧) قال : مقرّون ؛ قال : وهل تَعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول عديّ بن زيد :

قانتًا لِلّهِ يرجُـو عَفْــوهُ يَوْمَ لايُكْفَرُ عَبْدٌ ما ادّخَـــرْ

---

(١) سورة القلم ١٣ ·
(٢) اللسان (زنم) ونسبه للخطيم التميمى ·
(٣) سورة الجن ١١ ·
(٤) سورة الفلق ١ ·
(٥) لم أجده فى ديوانه ·
(٦) سورة البقرة ١٠٢ ·
(٧) سورة البقرة ١١٦ ·

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ جَدُّ رَبِّنا ﴾ (١) ، قال : عظمة رَبّنا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول أميَّة بن أبى الصلت :

لَكَ الْحَمْدُ والنَّعْماء والمُلْكُ رَبَّنَا فلا شىء أعلى مِنْكَ جَدا وأمْجَدُ (٢)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ حَمِيمٍ آنٍ ﴾ (٣) ، قال : الآن الذى انتهى طبْخه وحرُّه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول نابغة بنِى ذبيان :

ويخضب لحية غَدَرَتْ وخَانَتْ بأَحْمَى من نجيع الْجَوْف آنِ (٤)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ سَلَقُوكُمْ بأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ (٥) ، قال : الطَّعْن باللسان ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الأعشى :

فِيهِمُ الْخِصْبُ والسَّماحَة والنَّجْدَةُ فيهمْ والخاطِبُ المِسْلَاقُ (٦)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَأَكْدَى ﴾ (٧) ، قال : كدَّره بمنّه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول الشاعر :

وأَعْطَى قليلاً ثُمّ أَكْدَى بمنِّـــه وَمَنْ ينشر المعروفَ فِي النَّاسِ يُحْمَدِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ لاوَزَرَ ﴾ (٨) ، قال : الوزَر : الملجأ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عمرو بن كلثوم :

لَعَمْرُك ما إنْ لَهُ صَخْـرَةٌ لَعَمْرُكَ ما إنْ لَهُ من وَزَرْ

(١) سورة الجن ٣ .
(٢) ديوانه ٣٧ .
(٣) سورة الرحمن ٤٤ .
(٤) ديوانه ٧٨ .
(٥) سورة الأحزاب ١٩ .
(٦) ديوانه ٢١٥ .
(٧) سورة النجم ٣٤ .
(٨) سورة القيامة ١١ .

قال : أخبرني عن قوله تعالى . ﴿ قَضَى نَحْبَه ﴾ ، [١] قال : أجله الذى قُدِّرله ، قال : وهل تعرف العربُ ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول لَبِيد ابن ربيعة :

ألاَ تَسْأَلانِ المرْء مَاذا يحاول أنَحْب فيقضَى أم ضلاَلٌ وباطِلُ ! [٢]

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ ذُومِرةٍ ﴾ ، [٣] قال : ذو شدّة في أمر الله ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول نابغة بني ذبْيان :

• وهنا قِرَى ذِي مِرَّةٍ حَازِم •

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ الْمعْصِرَاتِ ﴾ [٤] ، قال : السَّحاب يعصر بعضُها بعضا فيخرج الماء من بين السَّحابتين ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول النابغة :

تُجَرُّ بها الأرْواحُ من بين شَمْألٍ وَبَيْنَ صَباها المعصِرَاتُ الدَّوَامِسُ [٥]

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ ﴾ ، [٦] قال : العَضُد المعين الناصر ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم . أما سمعت قول النابغة :

فى ذمّةٍ من أبي قَابُوس منقـذة للخائفين ومَنْ ليست له عضُدُ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ فِى الْغَابِرِين ﴾ [٧] قال : فى الباقين ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول عَبيد بن الأبرص :

---

(١) سورة الأحزاب ٢٣ .
(٢) ديوانه ٢٥٤ .
(٣) سورة النجم ٦ .
(٤) سورة النبأ ١٤ .
(٥) لم أجده فى ديوانه .
(٦) سورة القصص ٣٥ .
(٧) سورة الشعراء ١٧١ .

ذهَبُوا وخلفنى المخلَّفُ فِيهِمُ فكأننى في الغابرينَ غَــــريبُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَأْسَ ﴾ ، (١) قال : لا تحزن ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول امرىء القيس :

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِى عَلَىَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لاَ تَهْلِكْ أسى وتجمَّلِ (٢)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ يَصْدِفُونَ ﴾ (٣) ، قال : يعرضون عن الحقّ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول أبي سفيان :

عجبت لحِلْم الله عنَّا وقد بَــدَا له صَدْفُنَا عَنْ كُلِّ حــقٍّ مُنَزَّلِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ أَنْ تُبْسَلَ ﴾ ، (٤) قال : تحبس ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول زهير :

وَفَارَقَتْكَ بِرَهْنٍ لاَ فَكَاكَ لَــهُ يَوْمَ الوداعِ فَقَلْبِى مُبْسَلٌ غَلِقَا (٥)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَفَلَتْ ﴾ (٦) ، قال : زالت الشمس عن كبد السماء ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول كعب بن مالك :

فتغيّر القمــر المنير لفقده والشمْسُ قد كُسِفَتْ وكادت تأفُلُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ كَالصَّرِيمِ ﴾ (٧) ، قال : الذاهب ، أما سمعتَ قول الشاعر :

غدوتُ عليه غَدْوَةً فوجدْتُــهُ قعودًا لَدَيْهِ بالصريم عواذلــه

(١) سورة المائدة ٢٦ .
(٢) ديوانه ٧ .
(٣) سورة الأنعام ٤٦ .
(٤) سورة الأنعام ٧٠ .
(٥) ديوانه ٣٣ مع اختلاف في الرواية .
(٦) سورة الأنعام ٧٨ .
(٧) سورة القلم ٢٠ .

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ تَفْتَؤُ ﴾ [١] ، قال : لاتزال ، أما سمعت قول الشاعر :

لَعَمْرُك ما تفتأ تذكرُ خالـدًا   وقد غالَهُ ماغال تُبَّعَ مِنْ قَبْلُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ [٢] ، قال : مخافة الفقر ، أما سمعت قول الشاعر :

وَإِنِّى عَلَى الإِمْلَاقِ يَا قَوْمُ مَاجِدٌ   أعدُّ لأضيافِى الشِّواء المُضهَّبَا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ حَدَائِقَ ﴾ [٣] ، قال ، البساتين ، أما سمعت قول الشاعر :

بلادٌ سَقَاهَا اللهُ ، أمَّا سهولها   فَقُضْبٌ ودُرٌّ مُغدِقٌ وحَدَائِــقُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : (مُقِيتًا) [٤] ، قال : قادرا مقتدرا ، أما سمعتَ قول أُحيْحَة الأنصارىّ :

وَذِى ضِغْنٍ كففتُ النفس عَنْهُ   وكُنْتُ عَلَى مساءته مُقِيتَــــا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَئُودُهُ ﴾ [٥] ، قال : لا يثقله ، أما سمعت قول الشاعر :

يُعْطِى المئين ولا يؤدُه حَمْلُهَا   مَحْضُ الضَّرائِب ماجدُ الأخْلاقِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ سَرِيًّا ﴾ [٦] ، قال : النَّهْر الصغير ، أما سمعت قول الشاعر :

سَهْل الخليقةِ ماجدٌ ذو نائلٍ   مثل السرِىِّ تمدّه الأنْهــــارُ

(١) سورة يوسف ٨٥ .
(٢) سورة الاسراء ٣١ .
(٣) سورة النمل ٦٠ .
(٤) النساء ٨٥ .
(٥) سورة البقرة ٢٥٥ .
(٦) سورة مريم ٢٤ .

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وكَأْسًا دِهاقاً ﴾ (١) ، قال : ملأى ، أما سمعت قول الشاعر :

أتانا عامرٌ يرجو قِرَانَـــا فأترَعْنا له كأْسا دِهَاقَـــا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ لَكَنُودٌ ﴾ (٢) ، قال : كفورٌ للنِّعم ، وهو الذي يأكل وحده ، ويمنع رِفْدَه ، ويُجيع عبده ، أما سمعت قول الشاعر :

شَكَرْتُ لَهُ يَوْمَ العُكَاظ نَوَالَهُ وَلَمْ أكُ للمعروفِ ثم كَنُــــودَا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إليكَ رُءُوسَهم ﴾ (٣) . قال : يحرّكون رءوسهم استهزاء ، أما سمعت قول الشاعر :

أتُنْغِضُ لِي يَوْمَ الْفَخَارِ وَقَدْ تَرَى خُيُولاً عَلَيْهَا كالأُسودِ ضَوارِيَـا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ يُهْرَعُونَ ﴾ (٤) ، قال : يقبلون إليه بالغَضَب ، أما سمعت قول الشاعر :

أتَونا يُهْرَعُونَ وهم أسَـــارَى نَسُوقُهُمُ عَلَى رَغْمِ الأُنُــوفِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُود ﴾ (٥) ، قال : بئس اللعنة بعد اللَّعنة ، أما سمعت قول الشاعر :

لاتقذفَنَّ بركن لا كِفَاءَ لَهُ وإن تأثَّفَكَ الأعْدَاء بالرِّفَـــدِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ (٦) ، قال : تخسير ، أما سمعتَ قول بِشْر بن أبي خَازِم :

هُمُ جدَعوا الأُنوف فأوْعَبُــوهَا وهم تركوا بنى سَعْدٍ تبابا (٧)

(١) سورة النبأ ٣٤ .
(٢) سورة العاديات ٦ .
(٣) سورة الاسراء ٥١ .
(٤) سورة هود ٧٨ .
(٥) سورة هود ٩٩ .
(٦) سورة هود ١٠١ .
(٧) لم أجده في ديوانه .

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ﴾ [١] ، ما القِطْع ؟ قال : آخر الليل سَحرًا ، قال مالك بن كنانة :

ونائحة تقومُ بقِطْعِ ليلٍ ... على رجلٍ أصابته شَعوبُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ [٢] : قال : تهيأتُ لك ، أما سمعت قول أحَيحَة الأنصاريّ ؛ :

بِهِ أحْمِى المضاف إذا دعَانِى ... إذا ما قيل للأبطال هَيْتَا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [٣] ، قال : شديد ، أما سمعت قول الشاعر :

هُمُ ضَرَبُوا قَوَانِس خيل حُجْرٍ ... بجنب الرِّدْهِ فى يَوْمٍ عَصِيبِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ مُؤْصَدة ﴾ [٤] ، قال : مطبقة ، أما سمعت قول الشاعر

تحنّ إلى أجْبَالِ مكّةَ ناقَتِى ... ومِنْ دُونِنَا أبواب صنعاء مُؤْصَدَهْ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ [٥] ، قال : لا يَفتُرُون ولا يملُّون ، أما سمعت قول الشاعر :

من الخوفِ لا ذُو سَأْمَةٍ مِنْ عبادةٍ ... وَلَا هُوَ من طول التعبُّد يُجْهَدُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ طَيْرًا أَبَابِيل ﴾ [٦] ، قال : ذاهبة وجائية تنقل الحجارة بمناقيرها وأرجلها فتبلبل عليهم فوق رءوسهم ، أما سمعت قول الشاعر :

(١) سورة هود ٨١ .
(٢) سورة يوسف ٢٣ .
(٣) سورة هود ٧٧ .
(٤) سورة الهمزة ٨ .
(٥) سورة فصلت ٣٨ .
(٦) سورة الفيل ٣ .

وبالفوارسِ مِنْ وَرْقَاء قد عَلِموا أَحْلاس خيلٍ على جُرْدٍ أبابيلِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ (١) ، قال : وجدتموهم ، أما سمعت قول حسان :

فإمَّا تَثْقَفَنَّ بنى لُؤَىٌّ جذيمة إنَّ قتلهمُ دَواءُ (٢)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ فَأَثَرْنَ به نَقْعًا ﴾ (٣) ، قال : النَّقع ما يسطع من حوافر الخيل ، أما سمعت قول حسان :

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِير النَّقْعَ مَوْعِدُها كَدَاءُ (٤)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ فى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ (٥) ، قال : وسط الجحيم ، أما سمعت قول الشاعر :

رَمَاهَا بسهمٍ فاسْتَوَى فِى سَوَائِها وكان قبولا للهوادِى الطَّوارِقِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾ (٦) ، قال : الذى ليس له شوك ، أما سمعت قول أُميّة بن أبى الصلت .

إنَّ الْحَدَائِقَ فى الْجِنانِ ظَلِيلَةٌ فيها الْكَواعِب سِدْرُهَا مَخْضُودُ (٧)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ طَلْعُهَا هَضِيم ﴾ (٨) ، قال : منضم بعضه إلى بعض ، أما سمعتَ قول امرىء القيس :

دارٌ لبيضاء الْعَوَارِض طفلَةٍ مَهْضُومَةِ الْكَشْحَيْنِ رَيَّا المِعْصمِ (٩)

(١) سورة البقرة ١٩١ .
(٢) لم أجده في ديوانه .
(٣) سورة العاديات ٤ .
(٤) ديوانه ٤ .
(٥) سورة الصافات ٥٥ .
(٦) سورة الواقعة ٢٨ .
(٧) ديوانه ٢٦ .
(٨) سورة الشعراء ١٤٨ .
(٩) لم يرد في ديوانه .

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ [1] ، قال : قولاً عَدْلاً حقًّا ، أما سَمعتَ قول حمزة :

أمينٌ على ما استودع الله قَلْبَــهُ فإنْ قالَ قَوْلاً كان فيه مسدّدا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ إلاًّ وَلاَ ذِمَّةً ﴾ [2] ، قال : الإلّ القرابة ، والذّمّة العهد ، أماسمعت قول الشاعر :

جَزَى اللهُ إلاًّ كَانَ بينِى وبَيْنَهُـمْ جزاءَ ظَلومٍ لا يؤخّـر عاجِــلاَ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ خَامِدِينَ ﴾ [3] ، قال : ميّتين ، أما سمعتَ قول لَبيد :

حلُّوا ثيابَهُم علَى عــوراتِهمْ فهمْ بأفْنِيَةِ البيُوتِ خُمُودُ [4]

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ [5] ، قال : قطع الحديد . أما سمعت قول كعب بن مالك :

تلظّى عليهمْ حين أن شدّ حمْيها بِزُبْرِ الحديد والحِجارة ساجِرُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ فَسُحْقًا ﴾ [6] ، قال : بعدًا ، أما سمعت قول حسان :

ألاَ مَنْ مبلغٌ عَنّى أبيًــا فقد أُلقِيتُ فِى سُحْقِ السَّعِير [7]

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ إلاَّ فِى غُرُورٍ ﴾ [8] ، قال : فى باطل ، أما سمعتَ قول حَسّان :

---

(١) سورة الأحزاب ٧٠ .
(٢) سورة التوبة ٨ .
(٣) سورة الأنبياء ١٥ .
(٤) لم أجده فى ديوانه .
(٥) سورة الكهف ٩٦ .
(٦) سورة الملك ١١ .
(٧) لم أجده فى ديوانه .
(٨) سورة الملك ٢٠ .

تَمَنَّتْكَ الأَمانى من بعيـــدٍ وقول الكُفْرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ [(١)]

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ [(٢)] ، قال : الَّذِى لا يأتى النساء ؛ أما سمعت قول الشاعر :

وَحَصُورٍ عن الخنا يأمُرُ النَّـا سَ بفعل الخيرات والتَّشْمِيـرِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) [(٣)] ، قال : الذى ينقبص وجهه من شدّة الوجع ، أما سمعت قول الشاعر :

وَلَا يَوْمَ الْحِسَاب وكان يومًـا عبوسًا فى الشَّدَائِدِ قَمْطَرِيـرا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ [(٤)] ، قال : عن شدّة الآخرة ، أما سمعت قول الشاعر :

• قَدْ قامت بنا الحربُ عَلَى ساقٍ •

قال : أخبرنى عن قوله تعالى :﴿ إِيابَهُمْ ﴾[(٥)] ، قال : الإياب : المرجع ؛ أما سمعتَ قول عَبيد بن الأبرص :

وكلُّ ذي غيبـــةٍ يئـــوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَئُوبُ [(٦)]

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ حُوبًا ﴾ [(٧)] قال : إثماً ، بلغة الحبشة ؛ قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول الأعشى :

فَإِنِّى وما كلفتمونى مِنْ أَمْـرِكُمْ لِيُعلم من أَمْسَى أَعَقَّ وأَحْوَبَـا [(٨)]

---

(١) لم أجده فى ديوانه .
(٢) سورة آل عمران ٣٩ .
(٣) سورة الانسان ١٠ .
(٤) سورة القلم ٤٢ .
(٥) سورة الغاشية ٢٥ .
(٦) ديوانه ١٣ .
(٧) سورة النساء ٢ .
(٨) ديوانه ١١٥ ، وروايته : « وأحربا » .

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ الْعَنَتَ ﴾ [١] قال : الإثم ، أما سمعت قول الشاعر .

رأيتك تبتغي عنتي وتسعى   مع الساعي عليّ بغير دخل

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ فَتِيلاً ﴾ [٢] قال : التي تكون في شق النواة ، أما سمعت قول النابغة :

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو   ثم لا يرزأ الأعادي فتيلا [٣]

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [٤] قال : الجلدة البيضاء التي على النواة ، أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت :

لم أنل منهم فسيطا ولا زبدا   ولا فوفة ولا قطميرا [٥]

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ أَرْكَسَهُمْ ﴾ [٦] ، قال : حبسهم ، أما سمعت قول أمية :

أركسوا في جهنم إنهم كا   نوا عتاة تقول كذبا وزورا [٧]

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ [٨] ، قال : سلطنا ، أما سمعت قول لبيد :

إن يغبطوا يبسروا وإن أمروا   يوما يصيروا للهلك والفقد [٩]

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [١٠] قال :

(١) سورة النساء ٢٥ .
(٢) سورة النساء ٤٩ .
(٣) لم أجده في ديوانه .
(٤) سورة فاطر ١٣ .
(٥) ديوانه ٣٦ .
(٦) سورة النساء ٨٨ .
(٧) ديوانه ٣٥ .
(٨) سورة الاسراء ١٦ .
(٩) لم أجده في ديوانه .
(١٠) سورة النساء ١٠١ .

يُضِلُّكم بالعذاب والجهد ، بلغة هوازن ، أما سمعتَ قول الشاعر :

كلُّ امرىء من عباد الله مُضطَهدٌ ببطن مكة مقهورٌ ومفتونُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا ﴾ (١) ، قال : كأَنْ لم يكونوا ، أما سمعتَ قولَ لَبيد :

وغنيتَ سَبْتًا قبل مَجْرَى دَاحِسٍ لَو كَانَ للنَّفْس اللجوج خُلودُ (٢)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ (٣) قال : الهوان ؛ أما سمعتَ قول الشاعر :

إنَّا وَجَدْنَا بلَادَ الله وَاسِعَةً تنجى من الذُّلِّ والمخزاة والهونِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (٤) قال : النقير : مافى شق النواه ، ومنه تنبت النخلة ، أما سمعتَ قول الشاعر :

وَلَيْسَ الناس بَعْدَكَ فِى نَقِيرٍ وليسُوا غير أصداء وَهَامِ (٥)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ لَا فَارِضٌ ﴾ (٦) قال الهرمة ، أما سمعتَ قول الشاعر :

لَعَمْرِى لَقَدْ أَعْطَيْتَ ضَيْفَكَ فَارِضًا يُساق إليه ، مايَقُوم على رجْلِ (٧)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسود ﴾ (٨) ، قال : بياض النهار من سواد الليل ؛ وهو الصبح إذا انفلق ، أما سمعت قول أُميَّة :

---

(١) سورة الأعراف ٩٢ .
(٢) ديوانه ٣٥ .
(٣) سورة الأنعام ٩٤ .
(٤) سورة النساء ١٢٤ .
(٥) للبيد ، ديوانه ٢٠٩ ، ولسان العرب (نقر) .
(٦) سورة البقرة ٦٨ .
(٧) اللسان ـ فرض ، ونسبه الى علقمة .
(٨) سورة البقرة ١٨٧ .

الخيطُ الأبْيَضُ ضَوْء الصُّبْح مُنْفَلِقٌ والخيطُ الأَسودُ لونُ الليل مَكْمُومُ[١]

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ بِئْسَمَا اشتَرَوْا بِهِ أنْفُسَهُمْ ﴾ [٢] قال : باعوا نصيبهم من الآخرة بطمع يسير من الدنيا ، أما سمعت قولَ الشاعر :

يُعْطَى بهـا ثمنًا فيَمْنَعُهَــا ويقولُ صاحِبهَا ألا تَشْـرِى

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [٣] قال : نار من السماء ، أما سمعتَ قول حسّان :

بَقِيَّةُ معشرٍ صُبَّتْ عَلَيْهِـمْ شآبيبٌ من الْحُسْبَانِ شُهْبُ[٤]

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ ﴾ [٥] ، قال : استسلمت وخضعت ، أما سمعتَ قول الشاعر :

لِيَبْكِ عَلَيْكَ كُلُّ عَانٍ بِكُرْبَـةٍ وَآلُ قصىَ مِنْ مُقِلٍّ وَذِى وَفْـرِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى: ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [٦] ، قال : الضنك الضيق الشديد ، أما سمعتَ قول الشاعر :

والخيلُ قَدْ لَحِقَتْ بها فى مأْزِقٍ ضَنْكٍ نواحيه شديدِ المقْدَمِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ مِنْ كُلِّ فَجٍّ ﴾ [٧] ، قال : طريق ، أما سمعتَ قول الشاعر :

وحازوا العيال وسدّوا الفجـاج بأجساد عاد لها آيدان (*)

---

(١) لم اجده فى ديوانه .
(٢) سورة البقرة ٩٠ .
(٣) سورة الكهف ٤٠ .
(٤) لم أجده فى ديوانه .
(٥) سورة طه ١١١ .
(٦) سورة طه ١٢٤ .
(٧) سورة الحج ٢٧ .

(*) فى الأصل «ايدات» والمثبت من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٣٦ . والأيدان جناحا الجيش (تاج العروس) .

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ (١) ، قال : ذات طرائق ، والخلق الحسن ، أما سمعتَ قول زُهير بن أبي سُلْمَى :

هُمْ يضربونَ حبيكَ البيض إذْ لَحِقُوا لاينكِصُون إذا ما اسْتُرْحِمُوا رحموا (٢)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ حَرَضًا ﴾ (٣) ، قال : المُدْنَف الهالك من شدّة الوجع ، أما سمعتَ قول الشاعر :

أمِنْ ذِكْرِ لَيْلَى أنْ نأَتْ غُرْبَةٌ بهـا كأنّكَ حُمٌّ لِلأَطِبَّاء محرَضُ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾ (٤) ، قال : يدفعه عن حقّه ، أما سمعتَ قول أبي طالب :

يُقَسِّمُ حقًّا لليتيم ولَمْ يكـن يَدُعُّ لَدَى أيسارهنّ الأصاغرا (٥)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ به﴾ (٦) قال : منْصدع من خوف يوم القيامة ، أما سمعتَ قول الشاعر :

طباهنّ حتّى أعرضَ اللّيلَ دُونَهـا أفاطيرَ وَسْمِيٌّ رواءٌ جذورُهـا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ فَهُمْ يُوزَعونَ ﴾ (٧) ، قال : يحبس أوّلُهُمْ على آخرهم ، حتّى تنام الطير ، ، أما سمعتَ قول الشاعر :

وَزَعتُ رعيلها بأقبَّ نَهْـــدٍ إذا ما القوم شدُّوا بَعْدَ خَمْسِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ ﴾ (٨) ، قال : : الخبْو الّذى يطْفَأُ مرّة ، ويسعَّر أخرى ، أما سمعت قول الشاعر :

---

(١) سورة الذاريات ٧ .

(٢) لم أجده في ديوانه وفي طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص١٣٦٠لاينكصون اذا ما استلحموا وحموا .

(٣) سورة يوسف ٨٥ .

(٤) سورة الماعون ٢ .

(٥) لم أجده في ديوانه .

(٦) سورة المزمل ١٨ .

(٧) سورة النمل ١٧ .

(٨) سورة الاسراء ٩٧ .

وتخبُو النارُ عن آذان قَومِي وأضرمها إذا ابْتردوا سعيرا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ كالْمُهْلِ ﴾ (١) ، قال : كدردِىّ الزيت ، أما سمعتَ قول الشاعر :

تَبارِي بها العِيسُ السُّمومَ كأنَّها تبطنت الأَقْراب من عَرَقٍ مُهلا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿أَخْذًا وَبِيلاً﴾ (٢) ،قال : شديدًا ليس له ملجأ ، أما سمعتَ قول الشاعر :

وخِزْىُ الحياة وخِزْىُ الممات وكلاًّ أراه طعامًا وبيـــلا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ فنقَّبُوا فِى الْبِلَادِ ﴾ (٣) ، قال : هربوا ، بلغة اليمن ، أما سمعتَ قول عدىّ بن زيد :

نَقَّبُوا فى البلادِ مِنْ حَذَرِ المـو ت وجالُوا فى الأَرْضِ أىَّ مَجَالِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالَى : ﴿ إِلَا هَمْسًا ﴾ (٤) ، قال : الوطء الخفىّ والكلام الخفىّ ، أما سمعتَ قول الشاعر :

فباتُوا يُدْلِجُونَ وَباتَ يَسْرِى بصيرٌ بالدُّجَا هَادٍ هَمُوسُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ مُقْمَحُونَ ﴾ (٥) ، قال المقمَح : الشامخ بأنفه ، المنكّس رأسه ، أما سمعتَ قول الشاعر :

وَنَحْنُ عَلى جوَانِبِهَا قُعُـودٌ نغضّ الطرف كالإبل القِمَاحِ (٦)

(١) سورة الكهف ٢٩ .
(٢) سورة المزمل ١٦ .
(٣) سورة ق ٣٦ .
(٤) سورة طه ١٠٨ .
(٥) سورة يس ٨ .
(٦) لبشر بن أبى خازم ، ديوانه ٤٨ . لسان العرب ـ قمح .

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ فى أمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ (١) ، قال : المريج الباطل ، أما سمعتَ قول الشاعر :

فراعت فابْتَدَرَتْ بِهَا حَشَاهَا فَخرَّ كَأَنَّهُ خُوط مرِيجُ (٢)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (٣) ، قال : الحتْم : الواجبُ ، أما سمعت قول أميّة :

عبادك يُخطِئون وأنْت ربٌّ بِكَفّيْكَ المَنَايا والحتُومُ (٤)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَأَكْوَابٍ ﴾ (٥) ، قال : القلال التى لاعُرى لها ، أما سمعت قول الهذلىّ

فلم ينطق الدّيك حتى مَلأْتُ كؤوب الدّنان لَهُ فاسْتَدَارَا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَلَاهُمْ عَنْهَا يُنْزَفُون ﴾ (٦) ، قال : لا يسكرون ، أما سمعت قول عبد الله بن رواحة :

ثُمَ لَا يُنزَفُونَ عَنْهَا وَلكِن يذهب الْهمُّ عنهمُ وَالْغَلِيلُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : كَانَ غَرَامًا ﴾ (٧) ، قال : ملازمًا شديدًا كلزوم الغريم الغريم ، أما سمعتَ قول بشر بن أبى حازم :

وَيَوْمَ النِّسَارِ وَيَوْمَ الجِفَارِ كَانَا عَذَابًا وَكَانَا غَرَامًا (٨)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ والترائِبِ ﴾ (٩) قال : هو موضع القلادة من المرأة ، أما سمعتَ قول الشاعر :

---

(١) سورة ق ٥ .
(٢) اللسان - مرج ، ونسبه لبعض الهذليين .
(٣) سورة مريم ٧١ .
(٤) ديوانه ٥٤ .
(٥) سورة الزخرف ٧١ .
(٦) سورة الصافات ٤٧ .
(٧) سورة الفرقان ٦٥ .
(٨) ديوانه ١٩٠ .
(٩) سورة الطارق ٧ .

والزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَـــا شرقا به اللَّبَّـــاتُ والنَّحْـرُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ (١) ، قال : هلكى : بلغة عُمان ، وهم من اليمن أما سمعت قول الشاعر :

فلا تَكْفُرُوا مَا قَدْ صنعنا إليكمو وكَافُوا به فالكُفْرُ بُورٌ لِصَانِعِهْ

قال أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ نَفَشَتْ ﴾ (٢) ، قال : النفش الرَّعى بالليل ، أما سمعت قول لَبِيد :

بُدِّلْنَ بَعْدَ النَّفْشِ الوَجِيفَـــا وبعد طول الجرَّةِ الصَّرِيفَا (٣)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ أَلَدُّ الخِصَام ﴾ (٤) . قال الجَدِلِ : المخاصم فى الباطل ، أما سمعت قول مهلهل :

إن تَحتَ الأَحْجَارِ حَزْمًا وَجُـودًا وَخَصِيمًا أَلَدَّ ذا مِغْـــلَاقِ (٥)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ (٦) ، قال : النضيج مما يشوى بالحجارة ، أما سمعتَ قول الشاعر :

لهم راحٌ وفارُ المِسْكِ فِيهِمْ وشاوِيهم إذا شاءُوا حَنِيـــذَا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ مِنَ الأَجْدَاثِ ﴾ (٧) ، قال : القبور ، أما سمعتَ قول ابن رَوَاحَة :

حِينًا يقولون إذْ مَرُّوا على جَـدَثِى أَرْشِدْهُ يارَبُّ مِنْ غَانٍ وَقَدْ رَشَدَا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ هَلُوعًا ﴾ (٨) ، قال : ضَجِرًا جَزُوعًا ، أما سمعتَ قول بشر بن أبى خازم :

---

(١) سورة الفتح ١٢ .
(٢) الأنبياء ٧٨ .
(٣) ديوانه ٣٥١ .
(٤) البقرة ٢٠٤ .
(٥) اللسان ـ علق .
(٦) هود ٦٩ .
(٧) يس ٥١ .
(٨) المعارج ١٩ .

لَا مَانِعًا لِلْيَتِيمِ نِحْلَتَــــهُ ولا مُكِبًّا لخلقِــه هَلِعَا (١)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ (٢) ، قال : ليس بحين قرار ، أما سمعتَ قول الأعشى :

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى حِينَ لَاتَ تَذَكُّــرٍ وقد بنتُ منها والمناصُ بعَيد (٣)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَدُسُرٍ ﴾ (٤) ، قال : الدُّسر الذى تُخْرَزُ به السفينة ، أما سمعتَ قول الشاعر :

سَفِينة نُوتِىٍّ قدِ احْكم صُنْعها مُنْحَنَةٌ (*) الألواح منسوجَة الدُّسْرْ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ رِكْزًا ﴾ (٥) ، قال : حِسًّا ، أما سمعتَ قول الشاعر :

وقد توَجَّسَ ركزًا مُقْفِرٌ نَــدُسٌ بنبأَة الصَّوْتِ ما فى سَمعِه كَذِبُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿بَاسِرَةٌ﴾ (٦) ، قال : كالحة ، أما سمعتَ قولة عبيد بن الأبرص :

صبحنا تَميمًا غـداة النِّسَـــا رشهباء مَلْمُومةٌ باسِـرَةْ (٧)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ ضِيزَى ﴾ (٨) ، قال : جائرة ، أما سمعتَ قول امرىء القيس :

ضازَتْ بَنُو أســد بحكمهمُ إذْ يعْدِلُونَ الرأسَ بالذَّنَبِ (٩)

---

(١) لم أجده فى ديوانه .
(٢) ص ٣ .
(٣) لم أجده فى ديوانه .
(٤) القمر ١٣ .
(٥) مريم ٩٨ .
(٦) القيامة ٢٤ .
(٧) لم أجده فى ديوانه .
(٨) النجم ٢٢ .
(٩) لم يرد فى ديوانه .
(*) كذا فى الأصل ، وفى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٣٧ « منحتة » .

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّه ﴾ (١) ، قال : لم تغيّره السنون ، أما سمعتَ قول الشاعر :

طَابَ مِنْهُ الطَّعْمُ وَالرِّيحُ مَعًــا ... لَنْ تَرَى متغيِّرًا مِن أَسَــنْ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ ختّار ﴾ (٢) ، قال : الغدار الظلوم الغشوم ، أما سمعتَ قول الشاعر :

لقد علمتْ واستيقنتْ ذات نفسها ... بألّا تخاف الدّهر صَرْمى ولَاختَرى

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ عَيْنَ الْقِطْر ﴾ (٣) ، قال : الصُّفْر ، أما سمعتَ قول الشاعر :

فألقى فى مراجــل من حديدٍ ... قدورَ الْقِطْرِ لَيْسَ مِن الْبَرَاةِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ أُكُلٍ خَمْطٍ ﴾ (٤) ، قال : الأراك ، أما سمعتَ قول الشاعر :

وما مُغْزِلٌ فردٌ تُراعِى بعينهــــا ... أَغَنٌّ غَضيضَ الطَّرْف من خَلَل الخَمْط.

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ اشْمَأَزَّتْ ﴾ (٥) ، قال : نفرت ، أما سمعتَ قول عمرو بن كلثوم :

إِذا عَضَّ الثِّقَافُ بها اشمأزَّتْ ... وولَّتْهُ عَشَوْزَنَةً زَبونَا (٦)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ جُدَدٌ ﴾ (٧) ، قال طرائق ، أما سمعتَ قول الشاعر :

قد غادر النِّسْعُ فى صفحاتها جدَدا ... كأنّها طــرقٌ لَاحَتْ عَلَى أَكَمٍ

---

(١) البقرة ٢٥٩ .
(٢) لقمان ٣٢ .
(٣) سبا ١٢ .
(٤) سبا ١٦ .
(٥) الزمر ٤٥ .
(٦) من المعلقة ـ بشرح التبريزى ٢٢٧ .
(٧) فاطر ٢٧ .

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴾ (١) ، قال : أغنى من الفقر ، وأقنى من الغنى فقنع به ، أما سمعتَ قول عنترة العبسى :

فاقْنَىْ حَيَــاءك لا أبَالِكِ وَاعلَمى أنِّى امرُؤٌ سَأمُوت ان لمْ أُقْتلِ (٢)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ لَا يَلِتْكُمْ ﴾ (٣) ، قال : لا ينقصكم ، بلغة بنى عبس ، أما سمعتَ قول الحطيئة العبسىّ :

أَبْلِغْ سَرَاةَ بنِى سَعْدٍ مُغَلْغَلَــةً جَهْدَ الرِّسَالَةِ لَا أَلْتًا ولا كذبا (٤)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَأَبًّا ﴾ (٥) : قال : الأبّ ما تَعتلف منه الدواب ، أما سمعتَ قول الشاعر :

تَرَى به الأبَّ واليَقْطِين مختلطًــا على الشَّرِيعَةِ يجرى تحتها الغَرَبُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ (٦) ، قال : السِّر الجماع ، أما سمعتَ قول امرىء القيس :

ألا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليَوْم أنَّنى كَبِرْتُ وألاَّ يحسنُ السِّرَّ أمثالى (٧)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ فيه تُسِيمُون ﴾ (٨) ، قال : تَرْعَوْنَ ؛ أما سمعتَ قول الأعشى :

وَمَشَى القَوْمُ بِالعِمَادِ إلَى الــرَّزْ حَى وأعيَا المسِيمُ أيْنَ المَسَاقُ (٩)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ لَا تَرْجُونَ لِلهِ وَقَارًا ﴾ (١٠) ، قال : لا تخشون لله عظمة ، أما سمعتَ قول أبى ذؤيب :

---

(١) النجم ٤٨ .
(٢) ديوانه ٤٢ (من مجموعة العقد الثمين) .
(٣) الحجرات ١٤ .
(٤) ديوانه ٧ .
(٥) عبس ٣١ .
(٦) البقرة ٢٣٥ .
(٧) ديوانه ٢٨ .
(٨) النحل ١٠ .
(٩) ديوانه ٢١٣ .
(١٠) نوح ١٣ .

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِى بَيْتٍ نُوبٍ عَوَاسِلِ [١]

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ [٢] ، قال : ذا حاجة وجهد : أما سمعتَ قول الشاعر :

تَرِبَتْ يَدَاكَ (*) ثُمَّ قَلَّ نَوَالُهَا وَتَرَفَعَتْ عَنْكَ السَّمَاءُ سِجَالُهَا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ [٣] ، قال : مذعنين خاضعين ، أما سمعتَ قول تُبَّع :

تَعَبَّدَنِى نمر بن سعدٍ وقد دَرى ونمر بن سعدٍ لى مذيعٌ (**) وَمُهْطِعُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [٤] ، قال : ولدا . أما سمعتَ قول الشاعر :

أما السَّمِىُّ فأنت منه مُكْثِرٌ وَالْمَالُ فيه تَغْتَدِي وَتَروحُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ يُصْهَر ﴾ [٥] ، قال : يذابُ ، أما سمعت قول الشاعر :

سَخُنَتْ صهارتُه فظل عُثَانُهُ فى سيطلٍ كُفِيتْ به يتَرَدَّدُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ ﴾ [٦] قال : لَتَثْقُل . أما سمعتَ قول امرىء القيس :

تمشى فتُثقلها عجيزَتُهَا مَشْىَ الضَّعِيف ينوء بالوَسْقِ [٧]

---

(١) ديوانه الهذليين ١ : ١٤٣ .
(٢) البلد ١٦ .
(٣) ابراهيم ٤٣ .
(٤) مريم ٦٥ .
(٥) الحج ٢٠ .
(٦) القصص ٧٦ .
(٧) ليس فى ديوانه .
(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٣٨ «يدلك» .
(**) فى المرجع السابق «مدين» .

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (١) ، قال : أطراف الأصابع أما سمعتَ قول عنترة :

فَنِعْمَ فوارسُ الهيجاء قـومى إذا عَلِقُوا الأسنَّةَ بالبَنَـانِ (٢)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ إِعْصَارٌ ﴾ (٣) ، قال : الريح الشديدة ، أما سمعتَ قول الشاعر :

فَلَهُ فِى آثَارِهِنَّ خُـوَارٌ وحفيفٌ كأنَّهُ إعْصَـارُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ مُرَاغَمًا ﴾ (٤) ، قال : منفسحا ، بلغة هذيل ، أما سمعت قول الشاعر :

وأترك أرض جهرةَ إنَّ عِنْـدى رجاءً فى المراغم والتَّعَـادِى

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ صَلْدًا ﴾ (٥) ، قال : أملس ، أما سمعتَ قول أبى طالب :

وإنى لَقَرْمٌ وابنُ قَرْمٍ لهاشم لآباء صدْقٍ مجدهم مَعْقِلُ صَلْدُ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ (٦) ، قال : غير منقوص ، أما سمعتَ قول زهير :

فَضْلَ الجوادِ على الخَيْلِ البطاء فلا يُعْطِى بذلك مَمْنُونًا ولا نَزِقـا (٧)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ جَابُوا الصَّخْرَ ﴾ (٨) ، قال : نقبوا الحجارة فى الجبال ، فاتخذوها بيوتًا ، أما سمعتَ قول أمية :

وَشَقَّ أَبْصَارَنَا كيما نعيشُ بهـا وَجَابَ لِلسَّمْعِ أَصْمَاخًا وَآذَانَا

---

(١) الأنفال ١٢ .
(٢) ديوانه ٤٠ .
(٣) البقرة ٢٦٦ .
(٤) النساء ١٠٠ .
(٥) البقرة ٢٦٤ .
(٦) القلم ٣ .
(٧) ديوانه ٤٩ .
(٨) الفجر ٩ .

قال : أخبرنى عن قوله تعالى :﴿حُبا جَما﴾ [١] ، قال :كثيراً ، أما سمعت قول أمية :

إن تغفرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّــا وَأَىّ عبــدٍ لَكَ لا أَلَمَّـا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿غَاسِقٍ﴾ [٢] ، قال : الظلمة ، أما سمعت قول زهير :

ظَلَّتْ تَجُوب يَدَاهَا وَهْىَ لَاهِيَــةٌ حَتّى إذا جنح الإظلام وَالْغَسَقُ

قال أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [٣] ، قال : النفاق ، أما سمعتَ قول الشاعر :

أُجامِلُ أَقْوَامًا حَيَاءً وَقَدْ أَرَى صُدُورَهُمْ تَغْلِى علىّ مِرَاضُهــا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [٤] ، قال يلعبون ويترددون ، أما سمعت قول الأعشى :

أرانى قَدْ عَمِهْتُ وَشابَ رَأْسِى وَهَذَا اللَّعْبُ شَيْنٌ بالْكَبِيـرِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ [٥] ، قال : خالقكم ، أما سمعتَ قولِ تُبَّع :

شهدت على أحمــدٍ أنّــهُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ بارِى النَّسَمْ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿لَا رَيْبَ فيه﴾ [٦] ، قال : لا شكّ فيه ، أما سمعتَ قول ابن الزِّبَعْرَى :

لَيْسَ فى الحقِّ يا أمامةُ ريبٌ إنَّما الرَّيْبُ مايَقُولُ الكَـذُوبُ

(١) الفجر ٢٠ . (٢) الفلق ٣ .
(٣) البقرة ١٠ . (٤) البقرة ١٥ .
(٥) البقرة ٥٤ . (٦) البقرة ٢ .

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (١) ، قال : طبع عليها ، أما سمعت قول الأعشى :

وَصَهْبَاء طافَ يَهُودِيُّهَـــا فأبْرَزَهَا وعليها خَتَمْ (٢)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ صفْوَانٍ ﴾ (٣) ، قال : الحجر الأملس ، أما سمعتَ قول أوس بن حجر :

عَلَى ظَهْرِ صفوانٍ كأنَّ مُتُونَـهُ عُلِلْنَ بِدُهْنٍ يُزْلِقُ المُتَنَـزِّلَا (٤)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ فِيهَا صِرٌّ ﴾ (٥) ، قال : برد ، أما سمعت قول نابغة :

لَا يبْرمُون إذا مالأَرضُ جلَّلها صِرُّ الشتاء من الإمحال كالأُدُمِ

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ تُبَوِّىءُ المُؤْمِنِين مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ (٦) . قال : توطّن المؤمنين ، أما سمعت قول الأعشى :

وما بوَّأ الرَّحْمنُ بيتَكَ منـزِلاً بأجياد غَرْبِيَّ الصَّفَا والمحرَّم (٧)

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ ربِّيُّونَ ﴾ (٨) ، قال : جموع كثيرة ، أما سمعت قول حسّان :

وإذا معشرٌ تجافَوْا عَن القَصْدِ حملنا عليهمُ ربِّيَّـــا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى: ﴿مَخمَصَةٌ ﴾(٩) ، قال : مجاعة ، أما سمعت قول الأعشى:

---

(١) البقرة ٧ .
(٢) ديوانه ٣٥ .
(٣) البقرة ٢٦٤ .
(٤) ديوانه ٨٦ .
(٥) آل عمران ١١٧ .
(٦) آل عمران ١٢١ .
(٧) ديوانه ١٢٣ .
(٨) آل عمران ١٤٦ .
(٩) المائدة ٣ .

تَبيتونَ فى المشتَى مِلاءً بطـــونكُمْ وجاراتُكُمْ غَرْثَى (*) يَبِتْنَ خَمائِصَا[1]

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ وَلْيقْتَرِفُوا مَاهُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾[2] . قال : ليكتسبُوا ماهم مكتسبون ، أما سمعت قولَ لبيد :

وإنى لآتى ما أتيـــت وإننى لِمَا اقْتَرَفَتْ نفسِى علىَّ لَرَاهِبُ

هذا آخر مسائل نافع بن الأزرق ، وقد حذفت منها يسيرا نحو بضعة عشر سؤالا ، أسئلة مشهورة . وأخرج الأئمة أفرادًا منها بأسانيد مختلفة إلى ابن عباس .

وأخرج أبو بكر بن الأنبارى فى كتاب الوقف والابتداء منها قطعة . وهى المعلَم عليها بالحمرة (**) صورة «ك» ، قال : حدّثنا بشر بن أنس . أنبأنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق ، أنبأنا أبو صالح هُدْبة بن مجاهد . أنبأنا مجاهد بن شجاع ، أنبأنا محمد بن زياد اليشكرىَ . عن ميمون ابن مهران ، قال : دخل نافع بن الأزرق المسجدَ ... فذكره .

وأخرج الطبرانىّ فى معجمه الكبير منها قطعة وهى المعلم عليها صورة «ط.» من طريق جُويبر ، عن الضّحاك بن مزاحم ، قال : خرج نافع بن الأزرق ... فذكره .

---

(١) ديوانه ١٤٩ (٢) الأنعام ١١٣ .

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص١٣٩ « سغب » .

(**) فى الأصل « بالجزة » والمثبت عن المرجع السابق ص ١٤٠ .

النوع السابع والثلاثون

فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز

تقدم الخلاف فى ذلك فى النَّوع السادس عشر ، ونُورد هنا أمثلة ذلك . وقد رأيت فيه تأليفا مفردًا .

أخرج أبو عبيد من طريق عِكْرِمة ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ سامِدُون ﴾ [١] ، قال : الغناء ، وهى يمانية .

وأخرج ابن أبى حاتم عن عِكْرمة : هى بالحميريَّة .

وأخرج أبو عبيد ، عن الحسن قال : كنا لا ندرى ما الأرائك ، حتى لقينَا رجلٌ من أهل اليمن ، فأخبرنا أن الأريكة عندهم : الحَجَلة [٢] فيها السرير .

وأخرج عن الضحاك فى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَلْقَى مَعاذِيرَهُ ﴾ [٣] ، قال : سُتوره بلغة أهل اليمن .

وأخرج ابن أبى حاتم ، عن الضحاك فى قوله تعالى : ﴿ لاَ وَزَرَ ﴾ [٤] ، قال : لا حيَل ، وهى بلغة أهل اليمن .

وأخرج عن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُور ﴾ [٥] ، قال : هى لغة يمانية ، وذلك أنَّ أهلَ اليمن يقولون : زوّجنا فلانا بفلانة ، قال الرّاغب فى مفرداته . ولم يجىء فى القرآن : « زَوَّجْناهم حورا » ، كما يقال : زوجته امرأة ، تنبيها أنَّ ذلك لا يكون على حسب المتعارف فيما بيننا بالمناكحة .

---

(١) النجم ٦١ .
(٢) الحجلة : كالقبة ، أو موضع يزين بالثياب .
(٣) القيامة ١٥ .
(٤) القيامة ١١ .
(٥) الدخان ٥٤ .

وأخرج عن الحسن فى قوله تعالى ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا ﴾ [١] ، قال : اللَّهو بلسان اليمن : المرأة .

وأخرج عن محمد بن علىّ فى قوله تعالى : ﴿ وَنَادَى نُوح ابْنَهُ ﴾ [٢] ، قال : هى بلغة طيّىء : ابن امرأته .

قلت : وقد قرىء : (ونادَى نوحٌ ابنها) .

وأخرج عن الضحاك فى قوله تعالى : ﴿ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ [٣] ، قال : عِنبا بلغة أهل عمان ، يسمّون العنب خمرا .

وأخرج ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ [٤] ، قال : ربًّا بلغة أهل اليمن . وأخرج عن قتادة قال : بعلا : ربًّا ، بلغة أزْدشنوءة .

وأخرج أبو بكر بن الأنبارىّ فى كتاب الوقف عن ابن عباس قال : الوزَر : ولد الولد ، بلغة هذيل .

وأخرج فيه عن ابن الكلبىّ قال : المرجان صغار اللؤلؤ ، بلغة اليمن .

وأخرج فى كتاب الردّ على من خالف مصحف عثمان عن مجاهد ، قال ؛ الصَّوّاع الطَّرجهَالة ، بلغة حميرَ .

وأخرج فيه عن أبى صالح ، فى قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ ييأَس الَّذين آمنوا ﴾ [٥] ، قال : أفلم يعلموا ، بلغة هوازن ، . وقال الفرّاء ؛ : قال الكلبىّ : بلغة النَّخَع .

* * *

وفى مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس : ﴿ يَفتِنَكُم ﴾ [٦] ، يضلكم ، بلغة هوازن .

---

(١) الأنبياء ١٧ .
(٢) هود ٤٢ .
(٣) يوسف ٣٦ .
(٤) الصافات ١٢٥ .
(٥) الرعد ٣١ .
(٦) النساء ١٠١ .

وفيها : ﴿ بُورًا ﴾ (١) : هَلْكى ، بلغة عمان .

وفيها : ﴿ فَنَقَّبُوا ﴾ (٢) : هربوا ، بلغة اليمن .

وفيها : ﴿ لَا يَلِتْكُمْ ﴾ (٣) :لا يَنْقُصكم ، بلغة بنى عبس .

وفيها : ﴿ مُرَاغَمًا ﴾ (٤) : منفسحًا ، بلغة هذيل .

• • •

وأخرج سعيد بن منصور فى سننه ، عن عمرو بن شرحبيل فى قوله تعالى : ﴿ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ (٥) : المسنَّاة بلغة أهل اليمن .

وأخرج جُويبِر فى تفسيره عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ فى الكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾(٦) قال : مكتوبا ، وهى لغة حميرية ، يسمون الكتاب (أسطورًا) .

• • •

وقال أبو القاسم فى الكتاب الذى ألفه فى هذا النوع فى القرآن .

بلغة كنانة

﴿ السُّفَهَاءُ ﴾ (٧) : الجهال .

﴿ خَاسِئِينَ ﴾ (٨) : صاغرين .

﴿ شَطْرَهُ ﴾ (٩) : تلقاءه .

﴿ لَا خَلَاقَ ﴾ (١٠) لا نصيب .

---

(١) الفرقان ١٨ .
(٢) ق ٣٦ .
(٣) الحجرات ١٤ .
(٤) النساء ١٠٠ .
(٥) سبا ١٦ .
(٦) الاسراء ٥٨ .
(٧) البقرة ١٣ .
(٨) البقرة ٦٥ .
(٩) البقرة ١٤٤
(١٠) آل عمران ٧٧ .

﴿ وَجَعَلَكُم مُلُوكا ﴾ [١] : أحرارا .

﴿ قَبِيلاً ﴾ [٢] : عيانا .

﴿ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [٣] : سابقين .

﴿ يَعْزُبُ ﴾ [٤] : يغيب .

﴿ ولا تَرْكَنُوا ﴾ [٥] : ولا تميلوا .

﴿ فى فَجوَةٍ ﴾ [٦] : ناحية .

﴿ مَوْئِلاً ﴾ [٧] : ملجأ .

﴿ مُبلسُونَ ﴾ [٨] : آيسون .

﴿ دُحُورًا ﴾ [٩] : طردا .

﴿ الخرّاصُونَ ﴾ [١٠] : الكذّابون .

﴿ أسفَارًا ﴾ [١١] : كتبا .

﴿ أُقِّتَتْ ﴾ [١٢] جمعت .

﴿ لَكَنُود ﴾ [١٣] : كفورٌ للنعم .

---

(١) المائدة ٢٠ .
(٢) الاسراء ٩٢ .
(٣) الأنعام ١٣٤ .
(٤) يونس ٦١ .
(٥) هود ١١٣ .
(٦) الكهف ١٧ .
(٧) الكهف ٥٨ .
(٨) الأنعام ٤٤ .
(٩) الصافات ٩ .
(١٠) الذاريات ١٠ .
(١١) الجمعة ٥ .
(١٢) المرسلات ١١ .
(١٣) العاديات ٦ .

وبلغة هذيل :

﴿ والرُّجْزَ ﴾ (١) : العذاب .

﴿ شَرَوْا ﴾ (٢) : باعوا .

﴿ عَزَمُوا الطَّلاقَ ﴾ (٣) : حققوا .

﴿ صَلْدًا ﴾ (٤) : نقيا .

﴿ آنا ء الليلِ ﴾ (٥) : ساعاته .

﴿ مِنْ فَوْرِهِمْ ﴾ (٦) : وجههم .

﴿ مِدْرَارًا ﴾ (٧) : متتابعا .

﴿ فُرْقانا ﴾ (٨) : مخرجا .

﴿ حَرِّضِ ﴾ (٩) : حضّ .

﴿ عَيْلَةً ﴾ (١٠) : فاقة .

﴿ وَلِيجَةً ﴾ (١١) : بطانة .

﴿ انفِرُوا ﴾ (١٢) : اغزوا .

﴿ السَّائِحُونَ ﴾ (١٣) . الصائمون .

﴿ العَنَتَ ﴾ (١٤) : الإثم .

---

(١) المدثر ٥ .
(٢) البقرة ١٠٢ .
(٣) البقرة ٢٢٧ .
(٤) البقرة ٢٦٤ .
(٥) طه ١٣٠ .
(٦) آل عمران ١٢٥ .
(٧) الأنعام ٦ .
(٨) الأنفال ٢٩ .
(٩) الأنفال ٦٥ .
(١٠) التوبة ٢٨ .
(١١) التوبة ١٦ .
(١٢) التوبة ٣٨ .
(١٣) التوبة ١١٢ .
(١٤) النساء ٢٥ .

﴿ بِبَدَنِكَ ﴾ [١] : بدرعك .

﴿ غُمَّةً ﴾ [٢] : شبهة .

﴿ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ [٣] : زوالها .

﴿ شَاكِلَتِهِ ﴾ [٤] : ناحيته .

﴿ رَجْمًا ﴾ [٥] : ظنا .

﴿ مُلْتَحَدًا ﴾ [٦] : ملجأ .

﴿ يَرْجُو ﴾ [٧] : يخاف .

﴿ هَضْمًا ﴾ [٨] : نقصا .

﴿ هَامِدَةً ﴾ [٩] مغبرّة .

﴿ واقْصِد فى مَشيِكَ ﴾ [١٠] : أسرع .

﴿ الْأَجْدَاثِ ﴾ [١١] القبور .

﴿ ثَاقِبٌ ﴾ [١٢] : مضىء .

﴿ بالَهُمْ ﴾ [١٣] : حالهم .

﴿ يَهْجَعُونَ ﴾ [١٤] : ينامون .

﴿ ذَنُوبًا ﴾ [١٥] : عذابا .

---

(١) يونس ٩٢ .
(٢) يونس ٧١ .
(٣) الاسراء ٧٨ .
(٤) الاسراء ٨٤ .
(٥) الكهف ٢٢ .
(٦) الكهف ٢٧ .
(٧) الكهف ١١٠ .
(٨) طه ١١٢ .
(٩) الحج ٥ .
(١٠) لقمان ١٩ .
(١١) يس ٥١ .
(١٢) الصافات ١٠ .
(١٣) القتال ١ .
(١٤) الذاريات ١٧ .
(١٥) الذاريات ٥٩ .

﴿ دُسُرٍ ﴾ (١) : المسامير .

﴿ من تَفَاوُتٍ ﴾ (٢) : عَيْب .

﴿ أَرْجَائِهَا ﴾ (٣) : نواحيها .

﴿ أَطْوَارًا ﴾ (٤) : ألوانا .

﴿ بَرْدًا ﴾ (٥) : نومًا .

﴿ وَاجِفَةٌ ﴾ (٦) : خائفة .

﴿ مَسْغَبَةٍ ﴾ (٧) : مجاعة .

﴿ المبذّرين ﴾ (٨) : المسرفين .

وبلغة حمير

﴿ أَنْ تَفْشَلا ﴾ (٩) : أن تَجْبنا .

﴿ عُثِرَ ﴾ (١٠) : اطّلع .

﴿ في سَفَاهَةٍ ﴾ (١١) : جنون .

﴿ فَزَيَّلْنَا ﴾ (١٢) : فميّزنا .

﴿ مَرْجُوًّا ﴾ (١٣) : حقيرا .

---

(١) القمر ١٣ .
(٢) الملك ٣ .
(٣) الحاقة ١٧ .
(٤) نوح ١٤ .
(٥) النبأ ٢٤ .
(٦) النازعات ٨ .
(٧) البلد ١٤ .
(٨) الاسراء ٢٧ .
(٩) آل عمران ١٢٢ .
(١٠) المائدة ١٠٧ .
(١١) الأعراف ٦٦ .
(١٢) يونس ٢٨ .
(١٣) هود ٦٢ .

﴿ السِّقَايَةَ ﴾ [(١)]. الإناء .

﴿ مَسْنُونٍ ﴾ [(٢)] : مُنتن .

﴿ إمام ﴾ [(٣)] : كتاب .

﴿ فَسَيُنْغِضُونَ ﴾ [(٤)] : يحرّكونَ .

﴿ حُسْبَانًا ﴾ [(٥)] : بَرَدًا .

﴿ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًا ﴾ [(٦)] : نحولا

﴿ مآرِبَ ﴾ [(٧)] : حاجات .

﴿ خَرْجًا ﴾ [(٨)] : جُعْلاً .

﴿ غَرَامًا ﴾ [(٩)] : بلاء .

﴿ الصَّرح ﴾ : [(١٠)] البيت .

﴿ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ ﴾ [(١١)] : أقبحها .

﴿ يَتِرَكُمْ ﴾ [(١٢)] : ينقصكم .

﴿ مَدِينِين ﴾ [(١٣)] محاسبين .

﴿ رَابِيةً ﴾ [(١٤)] : شديدة .

﴿ وَبِيلاً ﴾ [(١٥)] : شديدا .

(١) يوسف ٧٠ .
(٢) الحجر ٢٦ .
(٣) يس ١٢ .
(٤) الاسراء ٥١ .
(٥) الكهف ٤٠ .
(٦) مريم ٨ .
(٧) طه ١٨ .
(٨) الكهف ٩٤ .
(٩) الفرقان ٦٥ .
(١٠) النمل ٤٤ .
(١١) لقمان ١٩ .
(١٢) محمد ٣٥ .
(١٣) الواقعة ٨٦ .
(١٤) الحاقة ١٠ .
(١٥) المزمل ١٦ .

بلغة جُرْهم

﴿ بجَبَّار ﴾ (١) : بمسلط .

﴿ مَرَضٌ ﴾ (٢) : زنا .

﴿ القِطْرِ ﴾ (٣) النحاس .

﴿ محشورة ﴾ (٤) : مجموعة .

﴿ مَعْكُوفًا ﴾ (٥) : محبوسا .

﴿ فَبَاءُوا ﴾ (٦) : استوجبوا .

﴿ شِقَاقٍ ﴾ (٧) : ضلال .

﴿ خَيرًا ﴾ (٨) : مالا .

﴿ كَدَأْبِ ﴾ (٩) : كأشباه .

﴿ أَنْ تَعُولُوا ﴾ (١٠) : تميلوا .

﴿ لَمْ يَغْنَوْا ﴾ (١١) : لم يتمتعوا .

﴿ فَشَرِّدْ ﴾ (١٢) : نكّل .

﴿ أَرَاذِلُنَا ﴾ (١٣) : سفلتنا .

﴿ عَصِيب ﴾ (١٤) : شديد .

---

(١) ق ٤٥ وهذه المادة والأربع التى بعدها من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٤١ .

(٢) الأحزاب ٦٠ . (٣) سبا ١٢ .

(٤) ص ١٩ . (٥) الفتح ٢٥ .

(٦) البقرة ٩٠ . (٧) البقرة ١٣٧ .

(٨) البقرة ١٨٠ . (٩) آل عمران ١١ .

(١٠) النساء ١٢٩ . (١١) الأعراف ٩٢ .

(١٢) الأنفال ٥٧ . (١٣) هود ٢٧ .

(١٤) هود ٧٧ .

﴿ لَفِيفًا ﴾ (١) : جميعا .

﴿ مَحْسُورًا ﴾ (٢) :منقطعا .

﴿ حَدَبٍ ﴾ (٣) : جانب .

﴿ مِنْ خلاَله ﴾ (٤) : السحاب .

﴿ الوَدْقَ ﴾ (٥) : المطر .

﴿ لَشِرْذِمَة ﴾ (٦) : عصابة .

﴿ رِيعٍ ﴾ (٧) : طريق .

﴿ يَنْسِلُونَ ﴾ (٨) : يخرجون .

﴿ لَشَوْبًا ﴾ (٩) : مزجًا .

﴿ الْحُبُكِ ﴾ (١٠) : الطرائق .

﴿ بِسُورٍ ﴾ (١١) : الحائط .

وبلغة أزدشنوءة

﴿ لاَشِيَةَ ﴾ (١٢) : لا وضَح .

﴿ تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ (١٣) : العضل : الحبْس .

﴿ أُمَّةٍ ﴾ (١٤) : سنين .

---

(١) الاسراء ١٠٤ .
(٢) الاسراء ٢٩ .
(٣) الأنبياء ٩٦ .
(٤) النور ٤٣ .
(٥) النور ٤٣ .
(٦) الشعراء ٥٤ .
(٧) الشعراء ١٢٨ .
(٨) الأنبياء ٩٦ .
(٩) الصافات ٦٧ .
(١٠) الذاريات ٧ .
(١١) الحديد ١٣ .
(١٢) البقرة ٧١ .
(١٣) البقرة ٢٣٢ .
(١٤) هود ٨ .

﴿ الرَّسِّ ﴾ [١] : البئر .

﴿ كَاظِمِينَ ﴾ [٢] : مكروبين .

﴿ غِسْلِينٍ ﴾ [٣] : الحارّ الّذى تناهى حرّه .

﴿ لوَّاحةٌ ﴾ [٤] : حرّاقة .

وبلغة مذحج

﴿ رَفَثَ ﴾ جِماع [٥] .

﴿ مُقِيتًا ﴾ : مُقْتَدرًا [٦] .

﴿ بِظَاهِرٍ من القَوْلِ ﴾ [٧] : بكذب .

﴿ بِالْوَصِيدِ ﴾ [٨] : الفناء .

﴿ حُقُبًا ﴾ [٩] : دهرًا .

﴿ الخُرْطُومِ ﴾ [١٠] : الأنف .

وبلغة خثعم

﴿ تُسِيمُونَ ﴾ [١١] : ترعَوْن .

﴿ مَّرِيجٍ ﴾ [١٢] : منتشر .

﴿ صَغَتْ ﴾ [١٣] : مالت .

---

(١) الفرقان ٣٨ .
(٢) غافر ١٨ .
(٣) الحاقة ٣٦ .
(٤) المدثر ٢٩ .
(٥) البقرة ١٩٧ .
(٦) النساء ٨٥ .
(٧) الرعد ٣٣ .
(٨) الكهف ١٨ .
(٩) الكهف ٦٠ .
(١٠) القلم ١٦ .
(١١) النحل ١٠ .
(١٢) ق ٥ .
(١٣) التحريم ٤ .

﴿ هَلُوعًا ﴾ [١] : ضجوراً .

﴿ شَطَطًا ﴾ [٢] : كذبا .

وبلغة قيس عيلان

﴿ نِحْلَةً ﴾ [٣] : فريضة .

﴿ حَرَجًا ﴾ [٤] : ضيّقًا .

﴿ لَخَاسِرُونَ ﴾ [٥] : مُضَيِّعُون .

﴿ تُفَنِّدُونَ ﴾ [٦] : تستهزئون .

﴿ صَيَاصِيهِمْ ﴾ [٧] : حصونهم .

﴿ تُحْبَرُونَ ﴾ [٨] : تنعَمون .

﴿ رَجِيمٍ ﴾ [٩] : ملعون .

﴿ يَلِتْكُمْ ﴾ [١٠] : يَنْقُصُكم .

وبلغة سعد العشيرة

﴿ حَفَدَةً ﴾ [١١] : أختان .

﴿ كَلٌّ ﴾ [١٢] : عيال .

(١) المعارج ١٩ .
(٢) الكهف ١٤ .
(٣) النساء ٤
(٤) النساء ٦٥ .
(٥) الأعراف ٩٠ .
(٦) يوسف ٩٤ .
(٧) الأحزاب ٢٦ .
(٨) الزخرف ٧٠ .
(٩) الحجر ١٧ .
(١٠) الحجرات ١٤ .
(١١) النحل ٧٢ .
(١٢) النحل ٧٦ .

وبلغة كندة

﴿ فجاجًا ﴾ [١] : طرقا .

﴿ وبُسَّتْ ﴾ [٢] : فُتِّتَتْ .

﴿ تَبتَئِسْ ﴾ [٣] : تحزن .

وبلغة عذرة

﴿ اخْسَئُوا ﴾ [٤] : اخزوا .

وبلغة حضرموت

﴿ رِبِّيُّونَ ﴾ [٥] : رجال .

﴿ دمَّرْنَا ﴾ [٦] : أهلكنا .

﴿ لُغُوبٍ ﴾ [٧] : إعياء .

﴿ مِنْسَأَتَهُ ﴾ [٨] : عصاه .

وبلغة غسان

﴿ طَفِقَا ﴾ [٩] : عمدًا .

﴿ بَئِيسٍ ﴾ [١٠] : شديد .

﴿ سِيءَ بِهِمْ ﴾ [١١] : كرههم .

---

(١) الأنبياء ٣١ .
(٢) الواقعة ٥ .
(٣) هود ٣٦ .
(٤) المؤمنون ١٠٨ .
(٥) آل عمران ١٤٦ .
(٦) الأعراف ١٣٧ .
(٧) فاطر ٣٥ .
(٨) سبأ ١٤ .
(٩) الأعراف ٢٢ .
(١٠) الأعراف ١٦٥
(١١) هود ٧٧ .

وبلغة مزينة

﴿ لا تَغْلُوا ﴾ (١) : لا تزيدوا .

وبلغة لخم

﴿ إِمْلَاقٍ ﴾ (٢) : جوع .

﴿ وَلَتَعْلُنَّ ﴾ (٣) : ولتقهرن .

وبلغة جُذام

﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾ (٤) : تخللوا الأزقة .

وبلغة بنى حنيفة

﴿ بالعُقُودِ ﴾ (٥) : العهود .

﴿ جَنَاحَ ﴾ (٦) : الجَنَاح : اليد .

﴿ الرَّهْبِ ﴾ (٧) : الفزع .

وبلغة اليمامة

﴿ حَصِرَتْ ﴾ (٨) : ضاقت .

وبلغة سبأ

﴿ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا ﴾ (٩) : تخطئوا خطأ بيّنًا .

﴿ تَبَّرْنَا ﴾ (١٠) : أهلكنا .

---

(١) النساء ١٧١ . (٢) الأنعام ١٥١ .
(٣) الاسراء ٤ . (٤) الاسراء ٥ .
(٥) المائدة ١ . (٦) الاسراء ٢٤ .
(٧) القصص ٣٢ . (٨) النساء ٩ .
(٩) النساء ٢٧ . (١٠) الفرقان ٣٩ .

وبلغة سليم

(نَكَصَ)[١] : رجع .

وبلغة عمارة

(الصَّاعِقَةُ)[٢] : الموت .

وبلغة طيء (*)

(يَنْعِقُ)[٣] : يصيح .

(رَغَدًا)[٤] : خصبا .

(سَفِهَ نَفْسَهُ)[٥] : خسرها .

(يس)[٦] : يا إنسان .

وبلغة خزاعة

(أَفِيضُوا)[٧] : انفروا ، والإفضاء : الجماع .

وبلغة عمان

﴿ خَبَالًا ﴾[٨] : غيًّا .

﴿ نَفَقًا ﴾[٩] : سربًا .

﴿ حَيْثُ أَصَابَ ﴾[١٠] : أراد ؛

---

(١) الأنعام ٣٥ .
(٢) البقرة ٥٥ .
(٣) البقرة ١٩٩ .
(٤) النحل ١١٢ .
(٥) البقرة ١٣٠ .
(٦) يس ١ .
(٧) الأنفال ٤٨ .
(٨) آل عمران ١١٨ .
(٩) البقرة ١٧١ .
(١٠) ص ٣٦ .
(*) هذا العنوان وماورد تحته من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٤١ .

وبلغة تميم

﴿ أُمَّةٍ ﴾(١) : نسيان .

﴿ بَغْيًا ﴾(٢) : حسدًا

وبلغة أنمار

﴿ طَائِرَهُ ﴾(٣) : عمله .

﴿ وأَغْطَش ﴾(٤) : أظلم .

وبلغة الأشعريين

﴿ لأَحْتَنِكَنَّ ﴾(٥) : لأستأصلن .

﴿ تَارَةً ﴾(٦) : مرة ن

﴿ اشْمأَزَّت ﴾(٧) : مالت ونفرت .

وبلغة الأوس

﴿ لينة ﴾(٨) : النخل .

وبلغة الخزرج

﴿ يَنْفَضُّوا ﴾(٩) : يذهبوا .

وبلغة مدين

﴿ فافْرُق ﴾(١٠) : فاقض .

انتهى ماذكره أبو القاسم ملخَّصا .

---

(١) يوسف ٢٥ .
(٢) البقرة ٢١٣ .
(٣) الاسراء ١٣ .
(٤) النازعات ٢٩ .
(٥) الاسراء ٦٢ .
(٦) طه ٥٥ .
(٧) الزمر ٤٥ .
(٨) الحشر – ٥ .
(٩) المنافقون ٧ .
(١٠) المائدة ٢٥ .

وقال أبو بكر الواسطيّ فى كتابه : الارشاد فى القراءات العشر : فى القرآن من اللُّغات خمسون لغة : لغة قُريش ، وهُذيل ، وكِنانة ، وخَثعم ، والخَزْرج ، وأشْعَر ، ونُمير ، وقيْس عَيْلان ، وجُرْهُم ، واليَمن ، وأزْد شَنُوءة ، وكِنْدة ، وتَميم ، وحمْير ، ومَدْيَن ، ولَخْم ، وسَعد العَشِيرة ، وحَضْرَموْت ، وسَدُوس ، والعمالقة ، وأنْمار ، وغسان ، ومَذْحج ، وخزاعة ، وغَطَفَان ، وسَبأ ، وعُمَان ، وبنوا حَنِيفة ، وثعلبة ، وطَيِّئ ، وعَامر بن صَعْصعة ، وأوْس ، ومُزَيْنة ، وثقِيف ، وجُذَام وَبلِيّ ، وعَذْرة ، وهوازِن ، والنَّمِر ، واليمامة .

ومن غير العربية : الفُرس ، والرُّوم ، والنَّبط ، والحبشة ، والبَرْبر ، والسُّريانية ، والعِبْرانية ، والقِبْط . ثم ذكر فى أمثلة ذلك غالب ما تقدم عن أبى القاسم ، وزاد :

﴿ الرِّجْزَ ﴾(١) : العذاب ، بلغة بَلِيّ .

﴿ طَائِفٌ مِنَ الشَّيطَانِ ﴾(٢) : نخسة ، بلغة ثقيف .

﴿ بِالأَحْقَافِ ﴾(٣) : الرمال ، بلغة ثعلبة .

• • •

وقال ابن الجوزيّ فى فنون الأفنان : فى القرآن بلغة همذان :

﴿ ورَيحَانٌ ﴾(٤) : الرزق .

﴿ عِين ﴾(٥) : بيض .

﴿ وَعَبْقَرِى ﴾ العبقرى : الطنافس(٦) .

---

(١) الأعراف ١٣٤ .
(٢) الأعراف ٢٠١ .
(٣) الأحقاف ٢١ .
(٤) الرحمن ١٢ .
(٥) الدخان ٥٤ .
(٦) الرحمن ٧٦ .

وبلغة نصر بن معاوية

﴿ خَتَّارٍ ﴾[١] الختار : الغدار

وبلغة عامر بن صعصعة

﴿ حَفَدَة ﴾[٢] الحفدة : الخدم .

وبلغة ثقيف

﴿ تَعُولُوا ﴾[٣] العول : الميل

وبلغة علّ

﴿ الصُّورِ ﴾[٤] : القرن .

• • •

وقال ابن عبدالبرّ فى التمهيد : قول من قال : نزل بلغة قريش معناه عندى الأغلب ؛ لأن غير لغة قريش موجودة فى جميع القراءات . من تحقيق الهمزة ونحوها ، وقريش لا تهمز .

• • •

وقال الشيخ جمال الدين بن مالك : أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلّا قليلا ، فإنه نزل بلغة التميميين كالإدغام فى ﴿وَمَنْ يُشَاقَّ اللهَ﴾[٥] ، وفى ﴿ مَنْ يرتدّ منكم عن دينه ﴾[٦] ؛ فإن إدغام المجزوم لغة تميم ، ولهذا قلّ ؛ والفكّ لغة الحجاز ؛ ولهذا كثر ، نحو ﴿ وَلْيُمْلِلِ ﴾[٧] ، ﴿ يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾[٨] ،

---

(١) لقمان ٣٢ .
(٢) النحل ٧٢ .
(٣) النساء ٣ .
(٤) الأنعام ٧٣ .
(٥) الأنفال ١٣ .
(٦) البقرة ٢١٧ .
(٧) البقرة ٢٨٢ .
(٨) آل عمران ٣١ .

﴿ اشدُد به أزرِى ﴾[١] ، ﴿ وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيه غَضَبِى ﴾[٢] .

قال : وقد أجمع القراء على نصب : ﴿ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾[٣] ؛ لأن لغةالحجاز بين التزام النصب فى المنقطع ، كما أجمعوا على نصب (مَاهَذَا بَشَرًا)[٤] ؛ لأن لغتهم إعمال « ما » .

وزعم الزمخشرىّ فى قوله : ﴿ قُلْ لَايَعْلَمُ مَنْ فى السموات والأرض الْغَيْبَ إلا اللهُ ﴾[٥] ، أنه استثناء منقطع جاء على لغة بنى تميم .

• • •

فائدة

قال الواسطىّ : ليس فى القرآن حرف غريب من لغة قريش غير ثلاثة أحرف ؛ لأن كلام قريش سهل لين واضح . وكلام العرب وحشىّ غريب ، فليس فى القرآن إلا ثلاثة أحرف غريبة : ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ ﴾[٦] ، وهو تحريك الرأس ، ﴿ مُقِيتاً ﴾[٧] : مقتدرا ، ﴿ فَشرِّدْبِهِمْ ﴾[٨] : سَمِّع (*) .

---

(١) طه ٣١ .
(٢) طه ٨١ .
(٣) النساء ١٥٧ .
(٤) يوسف ٣١ .
(٥) النملة ٦٥ .
(٦) الاسراء ٥١ .
(٧) النساء ٨٥ .
(٨) الأنفال ٥٧ .
(*) هذا اللفظ من طبعة الشيخ عثمان عبدالرازق ص ١٤٢ .

النوع الثامن والثلاثون

فيما وقع فيه بغير لغة العَرَب

قد أفردت في هذا النوع كتابا سمّيته : «المهذب فيما وقع في القرآن من المعَرّب» ، وها أنا ألخّص هنا فوائده ، فأقول : اختلف الأئمة في وقوع المعرّب في القرآن : فالأكثرون ، ومنهم الإمام الشافعيّ وابن جَرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس على عَدَم وقوعه فيه ؛ لقوله تعالى : ﴿ قُرْآنًا عَرَبيًّا ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاه قُرْآنا أعْجَمِيًّا لقالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آياتُه أأعجمي وعَرَبِيٌّ ﴾[2] ، وقد شددّ الشافعيُّ النكير على القائل بذلك .

وقال أبو عبيدة : إنّما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فَمَنْ زعم أنّ فيه غير العربيّة فقد أعظم القولَ ، ومَنْ زعم أن كذا بالنَّبَطيّة ، فقد أكبر القول .

وقال ابن فارس : لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهّم متوهِّم أنّ العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله ، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها .

وقال ابن جرير : ماورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظٍ من القرآن إنها بالفارسية أو الحبشية أو النَّبَطية أو نحو ذلك ، إنما اتفق فيها توارد اللغات ، فتكلّمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد .

وقال غيره : بل كان للعرب العاربة الّتى نزل القرآن بلغتهم بعضُ مخالطةٍ لسائر الألسنة في أسفارهم ، فعلّقت من لغاتهم ألفاظًا غيّرت بعضَها بالنقّص

(١) يوسف ٢ . (٢) فصلت ٤٤ .

من حروفها ، واستعملتها فى أشعارها ومحاوراتها ؛ حتى جرت مجرى العربىّ الفصيح ، ووقع بها البيان ، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن .

وقال آخرون : كلّ هذه الألفاظ عربيّة صِرْفة ، ولكن لغة العرب متّسعة جدًّا ؛ ولا يبعد أن تخفى على الأكابرِ الجلّة ، وقد خفى على ابن عباس معنى « فاطر » و « فاتح » .

قال الشافعىّ فى الرسالة : لا يحيط باللغة إلاّ نبىّ .

وقال أبو المعالى عُزَيزى بن عبد الملك : إنما وَجدت هذه الألفاظ فى لغة العرب ؛ لأنها أوسع اللغات ، وأكثرها ألفاظًا ويجوز أن يكونوا سُبقوا إلى هذه الألفاظ .

وذهب آخرون إلى وقوعه فيه ، وأجابوا عن قوله تعالى : ﴿ قُرآنًا عربيًّا ﴾ (١) ، بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيًّا ، والقصيدة الفارسيّة لاتخرج عنها بلفظة فيها عربية ، وعن قوله تعالى : ﴿ أأعْجَمىٌّ وعَرَبىٌّ ﴾ (٢) بأن المعنى من السياق : « أكلام أعجمىٌّ ومخاطَب عربىّ !) » . واستدلّوا باتفاق النحاة على أنّ منع صرف نحو « إبراهيم » للعلميّة والعجمة ، ورُدّ هذا الاستدلال بأن الأعلام ليستْ محلّ خِلاف ، فالكلام فى غيرها موجّه بأنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس . وأقوى ما رأيته للوقوع – وهو اختيارى – ما أخرجه ابنُ جرير بسند صحيح عن أبى مَيْسرة التابعىّ الجليل قال : فى القرآن من كلّ لسان .

وروى مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبّه .

فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ فى القرآن أنه حوى علوم

(١) يوسف ٢ . (٢) فصلت ٤٤ .

الأوّلين والآخرين ، ونَبأَ كلّ شيء ، فلابدّ أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتمّ إحاطته بكلّ شيء ، فاختير له من كلّ لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا للعرب . ثم رأيت ابن النقيب صرّح بذلك ، فقال : من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزّلة أنها نزلت بلغة القوم الّذين أُنزلت عليهم ، ولم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم ، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب ، وأُنزِل فيه بلغات غيرهم من الرُّوم والفرس والحبشة شيء كثير . انتهى .

وأيضا فالنبيّ صلى الله عليه وسلم مرسَلٌ إلى كل أُمة ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بلسان قومه ﴾ (١) ، فلابدّ وأن يكون فى الكتاب المبعوث به من لسان كلّ قوم ، وإن كان أصله بلغة قومه هو .

وقد رأيت الخُوَيّى (٢) ذكر لوقوع المعرّب فى القرآن فائدة أُخرى ، فقال : إن قيل إنّ « إستبرق » ليس بعربىّ وغير العربى من الألفاظ دون العربىّ فى الفصاحة والبلاغة ، فنقول : لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ويأتوا بلفظٍ يقوم مقامها فى الفصاحة لعجزوا عن ذلك ، وذلك لأنّ الله تعالى إذا حثّ عباده على الطاعة ، فإن لم يرغّبهم بالوعد الجميل ويخوّفهم بالعذاب الوبيل لا يكون حثّه على وجه الحكمة ، فالوعد والوعيد نظرًا إلى الفصاحة واجب . ثم إن الوعد بما يرغبُ فيه العقلاء ، وذلك منحصر فى أمور : الأماكن الطيبة ، ثم المآكل الشهيّة ، ثم المشارب الهنية ، ثم الملابس الرفيعة ،

---

(١) ابراهيم ٤ .

(٢) الخويى – بضم الخاء وفتح الواو وتشديد الياء . وهو شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة الخويى الشافعى صاحب الامام فخر الدين الرازى كان فقيها مناظرا واستاذا فى الطب والحكمة . توفى سنة ٦٣٨ هـ وتسبة الى خوى مدينة بأذربيجان (شذرات الذهب ٥ : ١٨٣) .

ثم المناكح اللذيذة ، ثم ما بعده ممّا يختلف فيه الطباع ، فإذنْ ذِكْرُ الأماكن الطيبة والوعد به لازمٌ عند الفصيح ، ولو تركه لقال من أمِر بالعبادة ووعِد عليها بالأكل والشرب : إنّ الأكل والشرب لا ألتذُّ به إذا كنتُ فى حَبس أو موضع كريه ، فإذن ذكَر الله الجنّة ومساكن طيبة فيها ، وكان ينبغى أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها ، وأرفع الملابس فى الدّنيا الحرير ، وأما الذهب فليس ممّا ينسج منه ثوب . ثم إنّ الثوب الذى من غير الحرير لا يعتبر فيه الوزن والثقل ، وربّما يكون الصفيق الخفيف أرفَع من الثقيل الوزن ، وأمّا الحرير فكلّما كان ثوبه أثقل كان أرفع ؛ فحينئذ وجب على الفصيح أن يذكر الأثقل الأثخن ، ولا يتركه فى الوعد لئلا يُقصر فى الحثّ والدعاء . ثم هذا الواجب الذّكر ، إمّا أن يذكر بلفظ واحد موضوعٍ له صريح ، أولا يذكر بمثل هذا ؛ ولا شكّ أنّ الذّكر باللفظ الواحد الصريح أوْلى ؛ لأنه أوجز وأظهر فى الإفادة ؛ وذلك « إستبرق » فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتى بلفظ آخر لم يمكنه ؛ لأنّ ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة ، ولا يجد العربىّ لفظا واحدا يدلّ عليه ؛ لأنّ الثّياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ، ولم يكن لهم بها عهد ، ولا وُضِعَ فى اللغة العربية للدّيباج الثخين اسمٌ ، وإنما عرّبوا ما سمعوا من العجم واستغنْوا به عن الوضع لقلّة وجوده عندهم ونُدرة تلفّظهم به ، وأما إنْ ذكره بلفظين فأكثر ، فإنه يكون قد أخلّ بالبلاغة ؛ لأنّ ذكرَ لفظين لمعنى يمكن ذكرُه بلفظ تطويلٌ ، فعلم بهذا أن لفظ « إستبرق » يجب على كلّ فصيح أن يتكلّم به فى موضعه ولا يجد ما يقوم مقامه ، وأىّ فصاحة أبلغ من ألايوجد غيره مثله ! . انتهى .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء

والمنع عن العربية : والصواب عندى مذهب فيه تصديق القَوْلَيْن جميعا ؛ وذلك أنّ هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ، لكنها وقعت للعرب ، فعرّبتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنّها عربية فهو صادق ، ومن قال : أعجمية فصادق . ومال إلى هذا القول الجواليقىُّ وابن الجوزىّ وآخرون .

• • •

وهذا سرد الألفاظ الواردة فى القرآن من ذلك مرتبة على حروف المعجم :

﴿ أباريق ﴾ : حكى الثعالبىّ فى فقه اللغة أنها فارسية ، وقال الجواليقىّ : الإبريق فارسىّ معرب ، ومعناه طريق الماء أو صبّ الماء على هينة .

(أبّ) : قال بعضهم : هو الحشيش بلغة أهل الغرب حكاه شيذلة .

﴿ ابلعى ﴾ : أخرج ابن أبى حاتم عن وهب بن مُنَبِّه فى قوله تعالى : ﴿ ابْلَعِى مَاءَكِ ﴾[(١)] قال : بالحبشية « أزدرديه » . وأخرج أبو الشيخ من طريق جَعْفر بن محمد ، عن أبيه قال : اشربى بلغة الهند .

﴿ أخلد ﴾ : قال الواسطىّ فى الإرشاد : أخلد إلى الأرض ، ركن بالعبرية .

﴿ الأرائك ﴾ : حكى ابن الجوزىّ فى فنون الأفنان ، أنها السُّرر بالحبشية .

﴿ آزر ﴾ : عدّ فى المعرب على قول من قال : إنه ليس بعلم لأبى إبراهيم ولا للصنم . وقال بن أبى حاتم : ذكر عن معتمر بن سليمان قال : سمعتُ أبى يقرأ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزر ﴾[(٢)] يعنى بالرفع . قال : بلغنى أنها أعوج وأنها أشدّ كلمة قالها إبراهيم لأبيه . وقال بعضهم : هى بلغتهم يامخطىء

(١) هود ٤٤ . (٢) الأنعام ٧٤

﴿ أسباط ﴾ : حكى أبو الليث فى تفسيره أنّها بلغتهم كالقبائل بلغة العرب .

﴿ إستبرق ﴾ : أخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك أنه الديباج الغليظ ، بلغة العجم .

﴿ أسفار ﴾ : قال الواسطىّ فى الإرشاد : هى الكتب بالسريانية ، وأخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك قال : هى الكتب بالنَّبَطية .

﴿ إصْرِى ﴾ : قال أبو القاسم فى لغات القرآن : معناه عهدى بالنَّبَطية .

﴿ أكواب ﴾ : حكى ابن الجوزىّ أنها الأكواز بالنَّبَطيّة . وأخرج ابن جرير عن الضحاك أنّها بالنَبطية جرار ليست لها عُرَى .

﴿ إلّ ﴾ : قال ابن جنى : ذكروا أنه اسم الله تعالى بالنَّبَطِيّة .

﴿ أليم ﴾ : حكى ابن الجوزىّ أنّه الموجع بالزنجيّة . وقال شيذلة : بالعبرانية .

﴿ إناه ﴾ : نضجُه بلسان أهل المغرب ، ذكره شيذلة . وقال أبو القاسم : بلغة البربر ، وقال فى قوله تعالى : ﴿ حَمِيمٍ آن ﴾ [(١)] : هو الذى انتهى حرّه بها ، وفى قوله تعالى : ﴿ مِنْ عَيْنٍ آنية ﴾ [(٢)] أى حارّة بها .

﴿ أوّاه ﴾ : أخرج أبو الشيخ بن حبّان من طريق عِكْرِمة ، عن ابن عبّاس قال : الأوّاه الموقن بلسان الحبشة . وأخرج ابنُ أبى حاتم مثله عن مجاهد وعكرمة . وأخرج عن عمرو بن شرحبيل ، قال : الرحيم بلسان الحبشة ، وقال الواسطىّ : الأوّاه الدعاء بالعبرية .

﴿ أوّاب ﴾ : أخرج ابنُ أبى حاتم عن عمرو بن شرحبيل قال : الأوّاب

---

(١) الرحمن ٤٤ . (٢) الغاشية ٥ .

المسبّح بلسان الحبشة وأخرج ابن جَرير عنه فى قوله تعالى : ﴿ أَوِّبِى مَعَهُ ﴾ ،[١] قال : سبّحى بلسان الحبشة .

﴿ الملة الآخرة ﴾ : قال شيذلة : الجاهلية الأُولى ؛ أى الآخرة فى الملّة الآخرة ، اى الأُولى بالقبطية والقِبْط يسمُّون الآخرة الأُولىٰ ، والأُولى الآخرة . وحكاه الزركشى فى البرهان[٢] .

(بطائنها) : قال شيذلة فى قوله تعالى : (بَطَائِنُهَا من إِستَبرَقٍ)[٣] أى ظواهرها بالقبطية . وحكاه الزركشى .[٤] .

(بعير) : أخرج الفريابىّ عن مجاهد فى قوله تعالى : (كَيْلَ بَعِيرٍ)[٥] أى كيل حمار ، وعن مقاتل : إنّ البعير كُل مايحمَل عليه بالعبرانية .

(بِيَع) : قال الجواليقى فى كتاب المعرب : البِيعة والكنيسة جعلهما بعض العلماءُ فارسيّين معرّبين[٦] .

(تَنُّور) : ذكر الجواليقى والثعالبىّ أنه فارسى معرب .[٧] .

(تَتْبِيرًا) أخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى : (وَلِيُتَبِّرُوا ماعَلَوْا تَتْبيرا)[٨] قال : تبّره بالنَّبَطية .

(تحت) : قال أبو القاسم فى لغات القرآن فى قوله تعالى : (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا)[٩] أى بطنها بالنَّبَطية . ونقل الكرمانى فى العجائب مثله عن مؤرّج .

---

(١) سبا ١٠ .
(٢) البرهان ١ : ٢٨٨ .
(٣) الرحمن ٥٤ .
(٤) البرهان ١ : ٢٨٩ .
(٥) يوسف ٦٥ .
(٦) المعرب ٨١ .
(٧) المعرب ٨٤ .
(٨) الاسراء ٧ .
(٩) مريم ٢٤ .

(الجِبْت) : أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس ، قال : الجِبْت اسم الشيطان بالحبشيّة. وأخرج عن ابن حميد عن عِكْرِمة ، قال : الجِبْت بلسان الحبشة الشيطان ، وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير ، قال : الجبْت : الساحر ، بلسان الحبشة .

(جهنم) : قيل : أعجميّة ، وقيل : فارسية وعبرانيّة ، أصلها « كهنام »

(حرم) : أخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة ، قال : وحرم وجب بالحبشية .

(حصب) : أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس ، فى قوله تعالى : (حَصَبُ جَهَنَّم)[1] . قال : حطب جهنم ، بالزنجية .

(حِطَّة) : قيل : معناه : قولوا صوابا ، بلغتهم .

(حَواريون) : أخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك قال : الحواريّون : الغَسّالون بالنَّبَطية ، وأصله « هوارى » .

(حوب) : تقدّم فى مسائل نافع بن الأزرق عن ابن عباس ؛ أنه قال حوبًا : إثما بلغة الحبشة .

(دارست) : معناه قارأت بلغة اليهود .

(دُرّىّ) : معناه المضىء بالحبشية ، حكاه شيذلة وأبو القاسم .

(دينار) : ذكر الجواليقى وغيره أنه فارسىّ .

(رَاعِنَا) : أخرج أبو نعيم فى دلائل النبوة عن ابن عباس قال : راعنا سبٌّ بلسان اليهود .

(ربانيّون) : قال : الجواليقى : قال أبو عبيدة : العرب لا تعرف

(١) الأنبياء ٩٨ .

الربانيِّين ، وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم . قال : وأحسب الكلمة ليست بعربيّة وإنما هى عبرانية أو سريانية ، وجزم القاسم بأنها سريانية [١] .

﴿ رِبِّيُّون ﴾ : ذكر أبو حاتم أحمد بن حمدان اللّغوى فى كتاب الزينة أنها سريانية .

﴿ الرحمن ﴾ : ذهب المبرِّد وثعلب إلى أنه عبرانى ، وأصله بالخاء المعجمة

﴿ الرسّ ﴾ : فى العجائب للكرمانىّ : إنه عجمىّ ومعناه البئر.

﴿ الرّقيم ﴾قيل : إنهّ اللوح بالرّومية حكاه شيذلة . وقال أبو القاسم : هو الكتاب بها ، وقال الواسطىّ : هو الدواة بها .

﴿ رَمْزًا ﴾ : عَدَّه ابن الجوزى فى فنون الأفنان من المعرَّب. وقال الواسطىّ هو تحريك الشفتين بالعبريّة .

﴿ رَهْوًا ﴾ : قال أبو القاسم فى قوله تعالى : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ [٢] أى سهلا دمثًا ، بلغة النَّبط. وقال الواسطىّ : أى ساكنًا بالسريانيّة .

﴿ الرُّوم ﴾ : قال الجواليقىّ : هو أعجمىّ اسم لهذا الجيل من الناس [٣]

﴿ زَنْجَبِيل ﴾ : ذكر الجواليقىّ والثعالبى أنهُ فارسىّ [٤] .

﴿ السِّجلّ ﴾ : أخرج ابن مردويه من طريق أبى الجوزاء عن ابن عباس قال : السجلّ بلغة الحبشة الرجل . وفى المحتسب لابن جنى السّجلّ : الكتاب قال قوم : هو فارسى معربَ [٥] .

---

(١) المعرب ١٦١ .
(٢) الدخان ٢٤ .
(٣) المعرب ١٦٣ .
(٤) المعرب ١٧٤ .
(٥) المعرب ١٩٤ .

﴿ سجّيل ﴾ : أخرج الفريابىّ عن مجاهد ، قال : سِجّيل بالفارسية ، أوّلها حجارة ، وآخرها طين .

﴿ سِجّين ﴾ : ذكر أبو حاتم فى كتاب الزينة أنّه غير عربىّ .

﴿ سُرادق ﴾ : قال الجواليقى : فارسىّ معرّب ، وأصله سرادر ، وهو الدهليز. وقال غيرُه . الصّواب أنّه بالفارسيّة سَرِدَار * ، أى ستر الدار .

﴿ سرىّ ﴾ : أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ سَرِيًّا ﴾(١) قال نهرا ، بالسريانية . وعن سعيد بن جبير بالنَّبطيّة ، وحكى شيذلة أنه باليونانية .

﴿ سَفرَةٍ ﴾ : أخرج ابن أبي حاتم : من طريق ابن جريج ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴾ (٢) قال : بالنَّبطية : القرّاء .

﴿ سقر ﴾ : ذكر الجواليقى أنها أعجمية (٣)

﴿ سُجَّدًا ﴾ : قال الواسطى فى قوله تعالى : (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا) (٤) أى مقنّعى الرءوس ، بالسريانية .

﴿ سَكَر ﴾ : أخرج ابن مردوية ، من طريق العَوفىّ ، عن ابن عباس ، قال : السَّكر بلسان الحبشة الخَلّ

﴿ سلسبيل ﴾ : حكى الجواليقى أنه عجمى (٥) .

﴿ سنًا ﴾ : عدّه الحافظ ابن حجر فى نظمه ، ولم أقف عليه لغيره .

---

(١) مريم ٢٤ . (٢) عبس ١٥ .

(٣) المعرب ١٩٨ ، وقال : اسم لنار الآخرة . (٤) الأعراف ١٦١ .

(٥) المعرب ١٨٩ .

(*) وفى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٤٥ «سرابرده» ـ ومعنى هذه اللفظة : الخيمة الكبيرة .

﴿ سُندُس ﴾ : قال الجواليقى هو رقيق الديباج بالفارسيّة، وقال الليث لم يختلف أهل اللغة والمفسرون فى أنّه معرّب . وقال شيذلة : هو بالهندية .

﴿ سيّدها ﴾ : قال الواسطىّ فى قوله تعالى : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البَاب ﴾(١) أى ، زوجها بلسان القِبْط : قال أبو عمرو : لاأعرفها فى لغة العرب.

﴿ سينين ﴾ : أخرج ابن أبى حاتم، وابنُ جرير عن عِكْرمة قال : سينين الحسن بلسان الحبشة .

﴿ سِيناء ﴾ : أخرج ابن أبى حاتم ، عن الضّحاك ، قال : سيناء بالنَّبَطية الحسن .

﴿ شَطر ﴾ : أخرج ابنُ أبى حاتم ، عن رُفيع فى قوله تعالى : « شَطْرَ المَسجِدِ »(٢) ، قال : تلقاء ، بلسان الحبش .

﴿ شهرْ ﴾ : قال الجواليقىّ : ذكر بعض أهل اللغة أنه بالسريانية (٣) .

﴿ الصراط ﴾ : حكى النقّاش وابن الجوزىّ أنه الطريق بلغة الرّوم ، ثم رأيته فى كتاب الزّينة لأبى حاتم .

﴿ صُرْهُنّ ﴾ : أخرج ابن جرير ،عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ فَصُرْهُنّ ﴾(٤) قال : هى نَبَطِيّة ، فشقّقهنّ . وأخرج مثله عن الضحاك . وأخرج ابن المنذر عن وهب ابن منبّه قال : مامن اللغة إلا شىء إلا منها فى القرآن شىء ، قيل : وما فيه من الرومية ؟ قال : « فَصِرْهُنّ » يقول : قَطِّعْهنّ .

﴿ صَلَواتٌ ﴾ : قال الجواليقىّ : هى بالعبرانيّة كنائس اليهود ، وأصلها « صلوتا » (٥) . وأخرج ابن أبى حاتم نحوه عن الضحاك .

---

(١) يوسف ٢٥ .
(٢) البقرة ١٤٤ .
(٣) المعرب ٢٠٧ .
(٤) البقرة ٢٦٠ .
(٥) المعرب ٢١١ .

﴿طه﴾ : أخرج الحاكم فى المستدرك ، مِن طريق عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالَى (طهَ) قال : هو كقولك : يا محمد ، بلسان الحبش ، وأخرج ابن أبي حاتم ، من طريق سعيد بن جبير عن بن عبّاس قال : « طه » بالنَّبَطِيَّة .

وأخرج عن سعيد بن جبير قال : طه : يا رجل بالنَّبَطِيَّة . وأخرج عن عكرمة قال : طه : يارَجل بلسان الحبشَة .

﴿الطاغوت﴾ : هو الكاهن بالحبشية .

﴿طفِقا﴾ : قال بعضهم : معناه قَصَدًا بالروميّة ، وحاكاه شيذلة .

﴿طُوبَى﴾ : أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير ، قال : بالهندية .

﴿طور﴾ : أخرج الفريابىّ ، عن مجاهد . قال : الطور : الجبل بالسريانية وأخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك ، أنه بالنَّبَطيّة .

﴿طوى﴾ فى العجائب للكرمانى قيل هو معرب معناه ليلا وقيل هو رجل بالعبرانية * .

﴿عبّدت﴾ : قال أبوالقاسم فى قوله تعالى : « عَبَّدْتَ بنى إسْرَائيل »[1] ، معناه قتلت بلغة النبَط .

﴿ عَدن ﴾ : أخرج ابنُ جرير ، عن ابن عباس أنه سأل كعبا عن قوله تعالى : ﴿جَنَّات عَدْنٍ﴾[2] قال : جنَّات كرُوم وأعناب بالسريانية ، ومن تفسير جُويبر أنه بالرّومية .

---

(١) الشعراء ٢٢ . (٢) التوبة ٧٢ .

(*) هذه المادة عن طبعة الشيخ عثمان عبدالرازق ص ١٤٦ .

﴿ العَرِم ﴾ : أخرج ابن أبي حاتم ، عن مجاهد ، قال : العرِم بالحبشيّة ، وهى المسنَّاة التى يُجمع فيها الماء ثم ينبثق .

﴿ غسّاق ﴾ : قال الجواليقىّ والواسِطِىّ : هو البارد المنتِن بلسان الترك . وأخرج ابنُ جرير عن عبد الله بن بُرَيدة قال : الغسّاق : المنتِن ، وهو بالطخاريّة [1] .

﴿ غِيض ﴾ : قال أبو القاسم : غيضَ : نقص ، بلغة الحبشة .

﴿ فردوس ﴾ : أخرج ابنُ أبى حاتم عن مجاهد ، وقال : الفِرْدوس بُسْتان بالرّومية . وأخرج عن السدىّ ، قال : الكَرْم بالنَّبَطِيّة . وأصله « فرداسا » .

﴿ فُوم ﴾ : قال الواسطىّ : هو الحنْطة بالعبريّة . .

﴿ قراطيس ﴾ : قال الجواليقىّ : يقال إن القرطاس أصله غير عربىّ [2] .

﴿ قسط ﴾ : أخرج ابنُ أبى حاتم ، عن مجاهد قال : القِسْط العَدْل . بالروميّة .

﴿ قِسْطاس ﴾ : أخرج الفريابىّ ، عن مجاهد ، قال : القِسْطَاس : العدل بالروميّة . وأخرج ابن أبى حاتم ، عن سعيد بن جُبير ، قال : القِسْطاس بلغة الروم : الميزان .

﴿ قَسْوَرَة ﴾ : أخرج ابنُ جريرٍ ، عن ابن عباس ، قال : الأَسد ، يقال له بالحبشيّة : قسورة .

﴿ قِطَّنا ﴾ : قال أبو القاسم : معناه كتابنا ، بالنَّبَطية .

﴿ قُفْل ﴾ : حكى الجواليقىّ عن بعضهم أنه فارسى معرب [3]

---

(١) الطخارية : منسوب الى طخارستان .
(٢) المعرب ٢٧٦ .
(٣) المعرب ٢٧٦ ، قال : « أصله كفل » .

﴿ قُمَّل ﴾ : قال الواسطىّ : الدَّبَا [١] بلسان العبرية والسريانية . قال أبو عمرو : لا أعرفه فى لغة أحدٍ من العرب .

﴿ قنطار ﴾ : ذكر الثعالبىّ فى فقه اللغة أنه بالرومية اثنتا عشرة ألف أوقية : وقال الخليل : زعموا أنه بالسريانيّة ملء جلد ثور ذهبا أو فضة . وقال بعضهم : إنه بلغة بربر ألف مثقال . وقال ابن قتيبة : قيل إنه ثمانية آلاف مثقال ، بلسان أهل إفريقية .

﴿ القيّوم ﴾ : قال الواسطىّ : هو الذى لا ينام بالسُّرْيانية .

﴿ كافور ﴾ : ذكر الجواليقىّ وغيره أنه فارسى معرّب [٢] .

﴿ كَفِّرْ ﴾ : قال ابن الجوزى : كفِّر عنَّا معناه : امحُ عنَّا بالنَّبَطية . وأخرج إبن أبى حاتم عن أبى عمران الجوْنىّ فى قوله تعالى : ﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ [٣] قال : بالعبرانية [محا عنهم] (*)

﴿ كِفْلَيْن ﴾ : أخرج ابن أبى حاتم ، عن أبى موسى الأشعرىّ ، قال : كفلين : ضِعْفَين بالحبشية .

(كنز) : ذكر الجواليقىّ أنه فارسى معرب [٤] .

﴿ كُوِّرَتْ ﴾ : أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير : كورت : غُوِّرَتْ ، وهى بالفارسية .

﴿ لِينة ﴾ : فى الإرشاد للواسطى : هى النَّخلة ، وقال الكلبىّ : لا أعلمها إلا بلسانِ يهود يثرب .

---

(١) الدبا : نوع من الجراد .
(٢) المعرب ٢٧ .
(٣) محمد ٢ .
(٤) المعرب ٢٩٧ .
(*) هذه المادة عن طبعة الشيخ عثمان عبدالرازق ص ١٤٦ .

﴿ مُتَّكَأً ﴾ : أخرج ابن أبي حاتم ، عن سلمة بن تمام الشقرىّ ، قال : مُتَّكَأً بلسان الحبش ، يسمّون التّرنج مُتَّكأً .

﴿ مَجُوس ﴾ : ذكر الجواليقىّ أنه أعجمى [1] .

﴿ مرجان ﴾ : حكى الجواليقىّ عن بعض أهل اللغة أنه أعجمى .

﴿ مِسْك ﴾ ذكر الثعالبى أنه فارسى (*) .

﴿ مِشْكاة ﴾ : أخرج ابنُ أبي حاتم عن مجاهد قال : المشكاة : الكُوَّة ، بلغة الحبشة .

﴿ مقاليد ﴾ : أخرج الفريابىّ عن مجاهد : قال : مقاليد : مفاتيح بالفارسية . وقال ابن دُريد والجواليقىّ : الإقليد والمِقْليد : المفتاح فارسىّ معرب [2] .

﴿ مَرْقوم ﴾ : قال الواسطىّ فى قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ [3] ، أى مكتوب ، بلسان العبرية .

﴿ مُزْجاة ﴾ : قال الواسطىّ : مزجاة : قليلة ، بلسان العجم ، وقيل بلسان القِبْط

﴿ مَلَكُوت ﴾ : أخرج ابن أبي حاتم ، عن عِكْرمة فى قوله تعالى : ﴿ مَلَكُوت ﴾ [4] قال : هو المَلك ، ولكنه بكلام النَّبَطيّة « مَلَكُوتا » .

وأخرجه أبو الشيخ عن ابن عباس . وقال الواسطىّ فى الإرشاد : هو الملك بلسان النَّبَط .

---

(١) المعرب ٣٢٠ .

(٢) المعرب ٣١٤ وعبارته : « المقليد : المفتاح ،فارسى معرب لغة فى الاقليد» .

(٣) المطففين ٩ . (٤) الأنعام ٧٥ .

(*) هذه المادة عن نسخة الشيخ عثمان عبدالرازق ص ١٤٦ .

﴿ مناص ﴾ : قال : أبو القاسم : معناه فرار بالنبَطيّة .

﴿ منسأة ﴾ : أخرج ابن جرير عن السُّدىّ ، قال : المنسأة : العصا بلسان الحبشة .

﴿ مُنْفَطِرٌ ﴾ : أخرج ابنُ جرير عن ابن عباس ، فى قوله تعالى : ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ به ﴾ [(١)] قال : ممتلئة به ، بلسان الحبشة .

﴿ مُهْل ﴾ : قيل : هو عكَر الزيت بلسان أهل المغرب ، حكاه شيذلة . وقال أبو القاسم : بلغة البربر .

﴿ ناشئة ﴾ : أخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن مسعود ، قال : ناشئة الليل : قيام الليل بالحبشية . وأخرج البيهقىّ عن ابن عباس مثله .

﴿ ن ﴾ : حكى الكرْمانىّ فى العجائب ، عن الضحاك أنه فارسىّ ، أصله النون*، ومعناه : اصنع ما شئت .

﴿ هُدْنا ﴾ : قيل معناه تُبْنا بالعبرانيّة ، حكاه شيذلة وغيره .

﴿ هود ﴾ : قال الجواليقىّ : الهود اليهود ، أعجمى .

﴿ هَوْن ﴾ : أخرج ابنُ أبى حاتم عن ميمون بن مهران فى قوله تعالىٰ : ﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [(٢)] قال : حكماء بالسّريانية . وأخرج عن الضّحاك مثله ، وأخرج عن أبى عمران الجوْنىّ أنه بالعبرانية .

﴿ هَيْتَ لك ﴾ : أخرج ابن أبى حاتم ، عن ابن عباس ، قال : هَيْتَ لكَ ، هلمّ لك بالقِبْطيّة . وقال الحسن : هى بالسريانية كذلك ، أخرجه ابن جرير .

---

(١) المزمل ١٨ . (٢) الفرقان ٦٣ .

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٤٧ «النون» .

وقال عِكرمة : هى بالحُورانية ، كذلك أخرجه أبو الشيخ . وقال أبو زيد الأنصارىّ : هى بالعبرانية ، وأصله « هيتلج » أى تعاله .

﴿ وراء ﴾ : قيل : معناه أمَام بالنبطيّة ، وحكاه شيذلة وأبو القاسم ، وذكر الجواليقى أنها غير عربية .

﴿ وَرْدة ﴾ : ذكر الجواليقى أنها غير عربية [1] .

﴿ وَزَر ﴾ : قال أبو القاسم : هو الجبل والملجأ ، بالنَّبطِيّة .

﴿ ياقوت ﴾ : ذكر الجواليقىّ والثّعالِبىّ وآخرون أنه فارسى [2] .

﴿ يحور ﴾ : أخرج ابنُ أبى حاتم ، عن داود بن هند ، فى قوله تعالى : ﴿ إنّه ظنّ أنْ لَنْ يَحُورَ ﴾ [3] ، قال : بلغة الحبشة « يرجع » . وأخرج مثله عن عكرمة ، وتقدّم فى أسئلة نافع بن الأزرق عن ابن عباس .

﴿ يَس ﴾ : أخرج ابنُ مردويه ، عن ابن عباس ، فى قوله تعالى : ﴿ يسٓ ﴾ قال : ياإنسان بالحبشية ، وأخرج ابن أبى حاتم عن سَعيد بن جُبير ، قال يس : يارجل بلغة الحبشة .

﴿ يَصِدُّون ﴾ : قال ابن الجوزىّ : معناه يضجّون بالحبشية .

﴿ يصهر ﴾ : قيل معناه ينضج ، بلسان أهل المغرب ، حكاه شيذلة .

﴿ اليَمّ ﴾ : قال ابن قتيبة : اليمّ البحر بالسريانية ، وقال ابن الجوزىّ : بالعبرانية ، وقال شيذلة : بالقبطية .

---

(١) المعرب ٣٤٤ .

(٢) المعرب ٣٥٦ ، وقال : الياقوت ، والجمع اليواقيت ، قال مالك بن نويرة :

لَنْ يُذْهِبَ اللُّؤْمَ تاجٌ قَدْ حُبِيتَ بِهِ ... من الزَّبَرْجَدِ والْيَاقُوتِ والذَّهَبِ

(٣) الانشقاق ١٤ .

﴿ اليهود ﴾ : قال الجواليقىّ : أعجمى معرّب ، منسوبون إلى يهوذا بن يعقوب ، فعرّب بإهمال الدال (١) .

فهذا ماوقفتُ عليه من الألفاظ المعرّبة فى القرآن بعد الفحْص الشديد سنين ، ولم تجتمع قبلُ فى كتاب قبل هذا .

• • •

وقد نظم القاضى تاج الدين بن السبكى منها سبعة وعشرين لفظا فى أبيات ، وذيل عليها الحافظ أبو الفضل بن حجر بأبيات فيها أربعة وعشرون لفظا وذيّلت عليها بالباقى ، وهو بضع وستون ، فتمّت أكثر من مائة لفظة فقال ابنُ السبكىّ :

السَّلْسَبِيل وَطهَ كُوِّرتْ بِيَعٌ ... رومٌ وطوبَى وسِجّيلٌ وكَافُورُ
والزَّنْجَبِيل ومِشْكَاةٌ سُرَادِقُ مَعْ ... إستبرقٍ صلواتٌ سُنْدُسٌ طُورُ
كَذَا قراطيسُ ربانيّهم وَغَسّا ... قٌ ودينارُ والقسطاسُ مَشْهُورُ
كَذَاكَ قَسْوَرَةٌ واليَمُّ نَاشِئَةٌ ... ويُؤْتَ كِفْلَيْنِ مَذْكُورٌ وَمَسْطُورُ
له مقاليدُ فردوسٌ يعدّ كذا ... فيما حكى ابنُ دُريدٍ منه تنُّورُ

وقال ابن حجر :

وزدت حِرْمٌ ومُهل والسِّجلُّ كذا ... السّريّ والأبُّ ثم الجِبْتُ مذكور
وقطنـا وإناهُ ثم متكئا ... دارست يصْهَرُ منه فهومَصْهُورُ
وهيت والسكر الأوّاه مع حَصَبٍ ... وأوّبِى مَعْهُ والطاغوت مَسْطُورُ
صُرْهنّ إصْرِى وغِيضَ الماء مع وَزَرٍ ... ثمَّ الرقيمُ مَنَاصُ والسّنا النُّورُ

---

(١) المعرب ٢٥٧ .

وقلت أيضا :

وزدت يس والرَّحْمنُ مع مَلَكُو ت ثم سينينَ شَطْرالبيتِ مَشْهُور

ثم الصِّراط ودرىٌّ يحورُ ومَرْ جانٌ ويَمٌّ مع القِنْطارِ مَذْكُورُ

ورَاعِنَا طَفِقَا هُدْنَا ابلَعِى وَوَرَا ء والأرائكُ والأكْوابُ مأثورُ

هُودٌ وقِسْطٌ كَفِرٌ رَمْـزُه سَقَرٌ هَوْنٌ يَصِدُّون والمِنْسَاة مسطورُ

شهر مجوس وأقفال يَهُود حَوَا رِيونَ كَنْزٌ وسِجِّينٌ وتَتْبِيرُ

بَعِيرُ آزَرُ حُوبٌ وَرْدَةٌ عَـرِمَ إلٌّ ومِنْ تَحْتِهَا عَبَّدْت والصُّورُ

ولِينَةٌ فُومُهَا رَهْوٌ وَأخلَـدَ مزْ جاةٌ وسيِّدَهَا القَيُّومُ مَوْفُورُ

وقُمَّلٌ ثم أسْفار عَنَى كُتُبًـا وسُجَّدًا ثم رِبِّيُّـون تَـكْثِيرُ

وحِطَّةٌ وطُوًى والرَّس نون كَذَا عَدْنٌ ومنفطِرُ الأسبـاط مَذْكُورُ

مسك أباريقُ ياقوت رَوَوْا فهنا مَاقَاتَ مِنْ عَدَدِ الألفاظ محصورُ

وبعضهم عد الأولى مع بطائنها والآخرةُ لمعانى الضد مقصور

• • •

النوع التاسع والثلاثون

فى مَعرفة الوجُوه والنَّظائِر

صنف فيها قديما مقاتل بن سليمان ، ومن المتأخرين ابن الجوزىّ وابن الدامغانى وأبو الحسين محمد بن عبد الصمد المصرى وابن فارس وآخرون .

فالوجوهُ للفظ المشترك الّذى يُسْتَعمَلُ فى عدّة معان كلفْظ الأمّة ، وقد أفردت فى هذا الفن كتاباً سميته « معترك الأقران فى مشترك القرآن » .

والنظائر كالألفاظ المتواطئة . وقيل : النَّظائر فى اللفظ ، والوجوه فى المعانى وضُعِّف ، لأنه لو أريد هذا لكان الجمع فى الألفاظ المشتركة ، وهم يذكرون فى تلك الكتب اللفظ الذى معناه واحد فى مواضع كثيرة ، فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام ، والنَّظائر نوعاً آخر .

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن ، حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجها وأكثر وأقلّ ، ولايوجد ذلك فى كلام البشر .

وذكر مقاتل فى صدر كتابه حديثاً مرفوعا : «لا يكون الرَّجل فقيها كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة » .

قلت : هذا أخرجه ابن سعد وغيره عن أبى الدرداء موقوفا ، ولفظه : « لا يفقه الرجل كل الفقه » : وقد فسّره بعضهم بأنَّ المراد أن يَرى اللفظ الواحد يحتمل معانى متعددة ، فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد .

وأشار آخرون إلى أنّ المراد به استعمال الإشارات الباطنة ، وعدم الاقتصار على التفسير الظاهر .

وقد أخرجه ابن عساكر فى تاريخه من طريق حمّاد بن زيد ، عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى الدرداء ، قال : « إنّك لن تفقه كلّ الفقه حتى ترى للقرآن وجوها » .

قال حمّاد : فقلت لأيّوب : أرأيت قوله : « حتى ترى للقرآن وجوها » أهو أن يرى له وجوها فيهاب الإقدام عليه قال : نعم ، هو هذا .

وأخرج ابن سعد من طريق عِكْرمة ، عن ابن عباس أن علىّ بن أبى طالب أرسله إلى الخوارج ، فقال : « اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجّهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ، ولكن خاصمهم بالسنة » .

وأخرج من وجهٍ آخر أنّ ابن عباس قال له : يا أمير المؤمنين ، فأنا أعلمُ بكتاب الله منهم ، فى بيوتنا نزل ، قال : صدقت ، ولكن القرآن حمّال ذو وُجوه ، تقول ويقولون ، ولكن خاصمهم بالسنن ، فإنهم لن يجدوا عنها محيصًا . فخرج إليهم فخاصمهم بالسُّنن فلم تبق بأيديهم حجّة .

• • •

وهذه عيون من أمثلة هذا النوع .

من ذلك :

﴿ الهدى ﴾ : يأتى على تسعة (*) عشر وجها :

بمعنى الثبات : ﴿ اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١)

(*) فى الاصول «سبعة» والمثبت يتفق مع ما ورد من الأنواع وأمثلتها .

(١) الفاتحة ٦ .

والبيان : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ (١) .

والدين : ﴿ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ ﴾ (٢) .

والإيمان : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ (٣) .

والدعاء : ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(٤) ، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(٥)

وبمعنى الرسل والكتب : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾(٦) .

والمعرفة : ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾(٧) .

وبمعنى النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾ (٨) .

وبمعنى القرآن : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾(٩) .

والتوراة : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ ﴾ (١٠) .

والاسترجاع : ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (١١) .

والحجة : ﴿ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٢) ، بعد قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ (١٢) أى لايهديهم حجة .

والتوحيد : ﴿ إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ ﴾ (١٣) .

والسنة : ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (١٤) ، ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ (١٥)

---

(١) البقرة ٥ .
(٢) آل عمران ٧٣ .
(٣) مريم ٧٦ .
(٤) الرعد ٧ .
(٥) الأنبياء ٧٣ .
(٦) البقرة ٣٨ .
(٧) النحل ١٦ .
(٨) البقرة ١٥٩ .
(٩) النجم ٢٣ .
(١٠) غافر ٥٣ .
(١١) البقرة ١٥٧ .
(١٢) البقرة ٢٥٨ .
(١٣) القصص ٥٧ .
(١٤) الأنعام ٩٠ .
(١٥) الزخرف ٢٢ .

والإصلاح : ﴿ وأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ الْخَائِنِين ﴾[(١)].

والإلهام : ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾[(٢)] ، أى ألهمهم المعاش .

والتوبة : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾[(٣)] .

والإرشاد : ﴿ أَنْ يَهْدِيَنِى سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[(٤)] .

• • •

ومن ذلك :

﴿ السوء ﴾ : يأتى على أوجه :

الشدة : ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾[(٥)] .

وَالْعَقْرِ : ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ﴾[(٦)].

والزنى : ﴿ ماجَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾[(٧)] ، ﴿ ماكَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ ﴾[(٨)] .

والبرص : ﴿ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾[(٩)] .

والعذاب : ﴿ إِنَّ الْخِزْىَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ ﴾[(١٠)]

والشِّرْك : ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾[(١١)] .

والشدة : ﴿ لايُحبُّ اللهُ الْجهر بالسوء ﴾[(١٢)]

---

(١) يوسف ٥٢ . (٢) طه ٥٠ .
(٣) الأعراف ١٥٦ . (٤) القصص ٢٢ .
(٥) البقرة ٤٩ . (٦) الأعراف ٧٣ .
(٧) يوسف ٢٥ . (٨) مريم ٢٨ .
(٩) القصص ٣٢ . (١٠) النحل ٢٧ .
(١١) النحل ٢٨ . (١٢) النساء ١٤٨ :

﴿ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ ﴾ [١] .

والذنب : ﴿ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ [٢]

وبمعنى : بئس ﴿ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [٣] .

والضرّ : ﴿ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [٤] ، ﴿ وَمَامَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ [٥] .

والقتل والهزيمة : ﴿ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ [٦] .

• • •

ومن ذلك :

(الصلاة) : تأتى على أوجه :

الصلوات الخمس : ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ﴾ [٧] .

وصلاة العصر : ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاَةِ ﴾ [٨]

وصلاة الجمعة : ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلاَةِ ﴾ [٩] .

والجنازة : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴾ [١٠] .

والدعاء : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [١١] .

والدين : ﴿ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾ [١٢] .

والقراءة : ﴿ وَلاَتَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ ﴾ [١٣] .

---

(١) الممتحنة ٢ .
(٢) النساء ١٧ .
(٣) الرعد ٢٥ .
(٤) النمل ٦٢ .
(٥) الأعراف ١٨٨ .
(٦) آل عمران ١٧٤ .
(٧) البقرة ٣ .
(٨) المائدة ١٠٦ .
(٩) الجمعة ٩ .
(١٠) التوبة ٨٤ .
(١١) التوبة ١٠٣ .
(١٢) هود ٨٧ .
(١٣) الاسراء ١١٠ .

والرحمة والاستغفار ؛ ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ (١) .

ومواضع الصلاة : ﴿ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ﴾ (٢) ، ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ ﴾ (٣)

• • •

ومن ذلك :

(الرحمة) : وردت على أوجه :

الإسلام : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٤) .

والإيمان : ﴿ وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ ﴾ (٥) .

والجنة : ﴿ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٦) .

والمطر : ﴿ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ (٧) .

والنعمة : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ (٨)

والنبوّة : ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ﴾ (٩) ، ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾ (١٠) والقرآن : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾(*) .

والرزاق : ﴿ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ (١١) .

والنّصروالفتح : ﴿ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ (١٢)

والعافية : ﴿ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ ﴾ (١٣) .

---

(١) الأحزاب ٥٦ .
(٢) الحج ٤٠ .
(٣) النساء ٤٣ .
(٤) آل عمران ٧٤ .
(٥) هود ٢٨ .
(٦) آل عمران ١٠٧ .
(٧) الأعراف ٥٧ .
(٨) النور ١٠ .
(٩) ص ٩ .
(١٠) الزخرف ٣٢ .
(١١) الاسراء ١٠٠ .
(١٢) الأحزاب ١٧ .
(١٣) الزمر ٣٨ .

(*) يونس ٥٨ (هذه المادة) عن نسخة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٤٩ .

والمودة : ﴿ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [١] ، ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [٢] .

والسعة : ﴿ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [٣] .

والمغفرة : ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [٤] .

والعصمة : ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ [٥] .

• • •

ومن ذلك :

(الفتنة) : وردت على أوجه :

الشرك : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [٦] ، ﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [٧]

والإضلال : ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ [٨] .

والقتل : ﴿ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [٩] .

والصد : ﴿ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ ﴾ [١٠] .

والضلالة : ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ ﴾ [١١] .

والمعذرة : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ ﴾ [١٢] .

والقضاء : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ [١٣] .

والإثم : ﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ [١٤] .

---

(١) الحديد ٢٧ . (٢) الفتح ٢٩ .
(٣) البقرة ١٧٨ . (٤) الأنعام ١٢ .
(٥) هود ٤٣ . (٦) البقرة ١٩١ .
(٧) الأنفال ٣٩ . (٨) آل عمران ٧ .
(٩) النساء ١٠١ . (١٠) المائدة ٤٩ .
(١١) المائدة ٤١ . (١٢) الأنعام ٢٣ .
(١٣) الأعراف ١٥٥ . (١٤) التوبة ٤٩ .

والمرض : ﴿ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ ﴾[١]

والعبرة : ﴿ لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً ﴾[٢] .

والاختبار : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾[٣] .

والعذاب : ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ ﴾[٤] .

والإحراق : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾[٥] .

والجنون : ﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾[٦] .

• • •

ومن ذلك :

(الرّوح) ، ورد على أوجه[٧] :

الأمر : ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾[٨] .

والوحى : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ ﴾[٩] .

والقرآن : ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾[١٠] .

والرّحمة : ﴿ وَأَيَّدَهُمْ بروحٍ مِنْهُ ﴾[١١] .

والحياة : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾[١٢] .

وجبريل : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾[١٣] ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾[١٤]

---

(١) التوبة ١٢٦ . (٢) يونس ٨٥ .
(٣) النور ٦٣ . (٤) العنكبوت ٣ .
(٥) العنكبوت ١٠ . (٦) الذرايات ١٣ .
(٧) القلم ٦ . (٨) النساء ١٧١ .
(٩) النحل ٢ . (١٠) الشورى ٥٢ .
(١١) المجادلة ٢٢ . (١٢) الواقعة ٨٩ .
(١٣) مريم ١٧ . (١٤) الشعراء ١٩٣ .

وَملكَ عظيم : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ ﴾ (١) .

وجيش من الملائكة : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ والرُّوحُ فِيهَا ﴾ (٢) .

وروح البدَن : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ (٣) .

• • •

ومن ذلك :

(القضاء) : ورد على أوجه :

الفَرَاغ ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ ﴾ (٤) .

والأمر : ﴿ إِذَا قَضَى أَمْرًا ﴾ (٥) .

والأجل : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ﴾ (٦) .

والفصل : ﴿ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وبَيْنَكُم ﴾ (٧) .

والمضىّ : ﴿ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كانَ مَفْعُولاً ﴾ (٨) .

والهلاك : ﴿ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ (٩) .

والوجوب : ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ ﴾ (١٠) .

والإبرام : ﴿ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾ (١١) .

---

(١) النبا ٣٨ .
(٢) القدر ٤ .
(٣) الاسراء ٨٥ .
(٤) البقرة ٢٠٠ .
(٥) آل عمران ٤٧ .
(٦) الأحزاب ٢٣ .
(٧) الأنعام ٥٨ .
(٨) الأنفال ٤٢ .
(٩) يونس ١١ .
(١٠) يوسف ٤١ .
(١١) يوسف ٦٨ .

والإعلام : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرائيل ﴾[١] .

والوصية : ﴿ وقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾[٢] .

والموت : ﴿ فَقَضَى عَلَيْه ﴾[٣] .

والنزول : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ﴾[٤] .

والخلق : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ ﴾[٥] .

والفعل : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ ما أَمَرَهُ ﴾[٦] ، يعنى حقا لم يفعل .

والعهد : ﴿ إِذْ قَضَيْنَا إلى مُوسَى الأَمْرَ ﴾[٧] .

• • •

ومن ذلك :

(الذكر) : ورد على أوجه :

ذكر اللسان : ﴿ فاذْكروا الله كذِكْرِ كم آباءكم ﴾[٨] .

وذكر القلب : ﴿ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾[٩] .

والحفظ : ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾[١٠] .

والطاعة والجزاء : ﴿ فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ ﴾[١١] .

والصلوات الخمس : ﴿ فإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ ﴾[١٢] .

(١) الاسراء ٤ .
(٢) الاسراء ٢٣ .
(٣) القصص ١٥ .
(٤) سبأ ١٤ .
(٥) فصلت ١٢ .
(٦) عبس ٢٣ .
(٧) القصص ٤٤ .
(٨) البقرة ٢٠٠ .
(٩) آل عمران ١٣٥ .
(١٠) البقرة ٦٣ .
(١١) البقرة ١٥٢ .
(١٢) البقرة ٢٣٩ .

والعظة : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ (١) ، ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى ﴾ (٢)

والبيان : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (٣) .

والحديث : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ (٤) ، أى حدّثه بجمالى .

والقرآن : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ﴾ (٥) ، ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ ﴾ (٦) .

والتوراة : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ (٧) .

والخبر : ﴿ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ (٨) .

والشرف : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ ﴾ (٩) .

والعيب : ﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾ (١٠) .

واللوح المحفوظ. : ﴿ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ (١١) .

والثناء : ﴿ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١٢) .

والوحى : ﴿ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ . (١٣)

والرسول : ﴿ ذِكْرًا رَسُولاً ﴾ (*) .

والصلاة : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (١٤) .

وصلاة الجمعة : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (١٥) .

---

(١) الأعراف ١٦٥ . (٢) الذاريات ٥٥ .
(٣) الأعراف ٦٩ . (٤) يوسف ٤٢ .
(٥) طه ١٢٤ . (٦) الأنبياء ٢ .
(٧) النحل ٤٣ . (٨) الكهف ٨٣ .
(٩) الزخرف ٤٤ . (١٠) الأنبياء ٣٦ .
(١١) الأنبياء ١٠٥ . (١٢) الأحزاب ٢١ .
(١٣) الصافات ٣ . (١٤) العنكبوت ٤٥ .
(١٥) الجمعة ٩ .
(*) الطلاق ١٠ ، ١١ — وهمه المادة مثبت عن طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٥٠ .

وصلاة العصر : ﴿ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى ﴾ (١) .

• • •

ومن ذلك :

(الدعاء) : ورد على أوجه :

العبادة : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَالَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ (٢) .

والاستعانة : ﴿ وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾ (٣) .

والسؤال : ﴿ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٤) .

والقول : ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ﴾ (٥)

والنداء : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾ (٦) .

والتسمية : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ (٧)

• • •

ومن ذلك :

(الإحصان) : ورد على أوجه :

العفة : ﴿ والَّذِينَ يَرْمُونَ المحصَناتِ ﴾ (٨) .

والتزوّج : ﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ ﴾ (٩) .

والحرّية : ﴿ نِصْفُ مَا عَلَى المحْصنَات مِنَ العَذَابِ ﴾ (١٠) .

---

(١) ص ٣٢ .
(٢) يونس ١٠٦ .
(٣) البقرة ٢٣ .
(٤) غافر ٦٠ .
(٥) يونس ١٠ .
(٦) الاسراء ٥٢ .
(٧) النور ٤ .
(٨) النور ٦٣ .
(٩) النساء ٢٥ .
(١٠) النساء ٢٥ .

فصل

قال ابن فارس فى كتاب الأفراد : كلّ ما فى القرآن من ذكر الأسف ، فمعناه الحزن إلا ﴿ فلمّا آسفُونَا ﴾ (١) فمعناه أغضبونا .

وكل ما فيه من ذكر « البرُوج » فهى الكواكب إلا : ﴿ ولَوْ كُنْتُمْ فِى بُرُوجٍ مُشيَّدَةٍ ﴾ (٢) ، فهى القصور الطوال الحصينة .

وكل ما فيه من ذكر « البر والبحر » فالمراد بالبحر الماء ، وبالبر التراب اليابس ، إلا ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى البَرّ والْبَحْرِ ﴾ (٣) فالمراد به البرية والعمران .

وكل ما فيه من « بخس » (٤) ، فهو النقص إلا ﴿ بثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ (٤) أى حرام .

وكل مافيه من « الْبَعْلِ » فهو الزوج إلا ﴿ أَتَدْعُونَ بعلاً ﴾ (٥) فهو الصنم .

وكل مافيه من « البكم » فالخرس عن الكلام بالإيمان إلا ﴿ عُمْيًا وبكْما وَصُمًّا ﴾ (٦) .فى الإسراء ، و ﴿ أحدُهُما أَبكَمُ ﴾ (٧) فى النحل ، فالمراد به عدم القدرة على الكلام مطلقًا .

وكل مافيه « جِثِيًّا » فمعناه جميعا ، إلا ﴿ وَتَرَىٰ كلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ (٨) فمعناه تجثو على ركبها .

وكل ما فيه من « حُسْبَان » فهو العدد إلا ﴿ حُسْبَانًا مِن السَّمَاء ﴾ (٩) فى الكهف فهو العذاب .

---

(١) الزخرف ٥٥ .
(٢) النساء ٧٨ .
(٣) الروم ٤١ .
(٤) يوسف ٢٠ .
(٥) الصافات ١٢٥ .
(٦) الاسراء ٩٧
(٧) النحل ٧٦ .
(٨) الجاثية ٢٨ .
(٩) الكهف ٤٠ .

وكلّ ما فيه « حسرة » فالندامة إلا ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (١) فمعناه الحزن .

وكلّ مافيه من « الدحض » فالباطل إلا ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ (٢) . فمعناه من المقروعين .

وكل ما فيه من « رجز » فالعذاب إلا ﴿ والرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ (٣) ، فالمراد به الصنم .

وكل مافيه من « ريب » فالشك إلا ﴿ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ (٤) ، يعنى حوادث الدهر .

وكل مافيه من « الرجم » فهو القتل إلا ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ (٥) . فمعناه لأشتمنك و ﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ (٦) [أى] ظنا .

وكل ما فيه من « الزور » فالكذب مع الشرك إلا ﴿ مُنكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾ (٧) فإنه كذب غير الشرك .

وكل ما فيه من « زكاة » فهو المال إلا ﴿ وَحَنَانًا مِن لَدُنَّا وَزَكَاةً ﴾ (٨) . أى طهرة .

وكل ما فيه من « الزيغ » فالميل إلا ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ﴾ (٩) أى شخصت .

وكل مافيه من « سخر » فالاستهزاء إلا ﴿ سُخْرِيًّا ﴾ (١٠) فى الزخرف فهو من التسخير والاستخدام

---

(١) آل عمران ١٥٦ .
(٢) الصافات ١٤١
(٣) المدثر ٥ .
(٤) الطور ٣٠ .
(٥) مريم ٤٦ .
(٦) الكهف ٢٢ .
(٧) الفرقان ٤ .
(٨) مريم ١٣ .
(٩) الأحزاب ١٠ .
(١٠) الزخرف ٣٢ .

وكل « سكينة » فيه طمأنينة إلا التى فى قصة طالوت فهو شىء كرأس الهرة له جناحان[١] .

وكل « سعير » فيه فهو النار والوقود إلا ﴿ فى ضَلَال وَسُعُرٍ ﴾[٢] فهو العناء .

وكل « شيطان » فيه فإبليس وجنوده إلا ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شياطِينِهِمْ ﴾[٣] [فهم رؤساء المنافقين وسادتهم] (*) .

وكل « شهيد » فيه غير القتلى فمن يشهد فى أمور الناس إلا ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم ﴾[٤] فهو شركاؤكم .

وكل ما فيه من « أصحاب النار » فأهلها إلا ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾[٥] فالمراد خزنتها .

وكل « صلاة » فيه عبادة ورحمة إلا ﴿ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ﴾[٦] فهى الأماكن .

وكل « صمم » فيه ، ففى سماع الإيمان والقرآن خاصة إلا الذى فى الإسراء[٧] .

---

(١) وهو قوله تعالى فى البقرة ٢٤٨ .

﴿ أَنْ يَأْتِيَكُم التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾

(٢) القمر ٤٧ .

(٣) البقرة ١٤ .

(٤) البقرة ٢٣ .

(٥) المدثر ٣١ .

(٦) الحج ٤٠ .

(٧) وهو قوله تعالى فى الاسراء ٩٧ :

﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾

وانظر معنى «صما» فى تفسير ابن كثير ٥ : ٢٣٨ .

(*) اضافة على الأصول ، وانظر تفسير الآية فى تفسير ابن كثير وما جاء بصدد شياطينهم .

وكل « عذاب » فيه فالتعذيب إلا ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا ﴾ [(١)] فهو الضرب.

وكل « قنوت » فيه طاعة إلا ﴿ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ [(٢)] فمعناه مقرّبون.

وكل « كنز » فيه مال إلا الذى فى الكهف فهو صحيفة علم [(٣)].

وكل « مصباح » فيه كوكب إلا الذى فى النور فالسراج [(٤)].

وكل « نكاح » فيه تزوّج إلا ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ [(٥)] فهو الحلم.

وكل « نبأ » فيه خبر إلا ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ ﴾ [(٦)] فهى الحجج.

وكل « ورود » فيه دخول إلا ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ [(٧)] يعنى هجم عليه ولم يدخله.

وكل مافيه من [تكليف] ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ فالمراد من العمل، إلا التى فى الطلاق [(٨)] فالمراد من النفقة.

وكل « يأس » فيه قنوط. إلا التى فى الرعد [(٩)] فمن العلم.

---

(١) النور ٢ . (٢) البقرة ١١٦ ، الروم ٢٦ .

(٣) وهو قوله تعالى فى الكهف ٨٢ :

﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا ﴾

(٤) وهو قوله تعالى فى سورة النور ٣٥ :

﴿ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾

(٥) النساء ٦ . (٦) القصص ٦٦ .

(٧) القصص ٢٣ .

(٨) الطلاق ٧ ولفظ الآية :

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾

(٩) هو قوله تعالى فى آية ٣١ منها :

﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

وكل « صبر » فيه محمود إلا ﴿ لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾[١] ، ﴿ وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ﴾[٢] .

هذا آخر ما ذكره ابن فارس .

• • •

وقال غيره : كل « صوم » فيه فمن العبادة إلا ﴿ نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾[٣] أى صمتا .

وكل ما فيه من « الظلمات والنور » فالمراد الكفر والإيمان إلا التى فى أول الأنعام فالمراد ظلمة الليل ونور النهار (*) .

وكل « إنفاق » فيه فهو الصدقة إلا ﴿ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ﴾[٤] ، فالمراد به المهر

• • •

وقال الدانى : كل ما فيه من « الحضور » بالضاد فهو من المشاهدة إلا موضعًا واحدًا ، فإنه بالظاء من الاحتظار وهو المنع ، وهو قوله تعالى : ﴿ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾[٥] .

• • •

وقال ابن خالويه : ليس فى القرآن « بعْد » بمعنى « قبل » إلا حرف واحد ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾[٦] .

---

(١) الفرقان ٤٢ .
(٢) ص ٦ .
(٣) مريم ٢٦ .
(٤) الممتحنة ١١ .
(٥) القمر ٣١ .
(٦) الأنبياء ١٠٥ .

(*) وهو قوله تعالى فى الأنعام :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾

قَال مغلطاىْ فى كتاب الميسر : قد وجدنا حرفًا آخر وهو قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ [١] .

قال أبو موسى فى كتاب المغيث : معناه هنا « قبل » لأنه تعالى خلق الأرض فى يومين ، ثم استوى إلى السماء ؛ فعلى هذا خلق الأرض قبل خلق السماء . انتهى .

• • •

قُلت : قد تعرّض النبىّ صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون لشىء من هذا النوع .

فأخرج الإمام أحمد فى مسنده . وابن أبى حاتم وغيرهما من طريق درّاج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرىّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كلّ حرف فى القرآن يُذكر فيه القنوت فهو الطاعة . هذا إسناده جيّد وابن حِبّان يصححه .

وأخرج ابنُ أبى حاتم من طريق عِكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « كلّ شىء فى القرآن أليم » فهو الموجع .

وأخرج من طريق علىّ بن أبى طلحة . عن ابن عباس . قال : كل شىء فى القرآن « قتل » فهو لعن .

وأخرج من طريق الضّحّاك عن ابن عباس ، قال : كل شىء فى كتاب الله من « الرجز » يعنى به العذاب .

وقَال الفريابىّ : حدثنا قيس ، عن عمّار الدهنىّ ، عن سعيد بن جبير ،

---

(١) النازعات ٣٠ .

عن ابن عباس قال : « كل تسبيح فى القرآن صلاة ، وكل سلطان فى القرآن حُجَّة » .

وأخرج ابن أبى حاتم من طريق عِكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كل شيء فى القرآن « الدين » فهو الحساب .

وأخرج ابن الأنبارىّ فى كتاب « الوقف والابتداء » من طَريق السُّدِّى ، عن أبى مالك عن ابن عباس قال : كل ريب شك إلا مكانا واحدًا فى الطور ﴿ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ [1] يعنى حوادث الأُمور .

وأخرج ابن أبى حاتم وغيره عن أبى بن كعب ، قال : كل شيء فى القرآن من « الرِّياح » فهى رحمة ، وكل شيء فيه من « الريح » فهو عذاب .

وأخرج عن الضحّاك ، قال : كلّ « كأس » ذكره الله فى القرآن إنما عنى به الخمر .

وأخرج عنه قال : كل شيء فى القرآن « فاطر » فهو خالق .

وأخرج عن سعيد بن جبير ، قال : كلّ شيء فى القرآن « إفك » فهو كذب .

وأخرج عن أبى العالية قال : كل آية فى القرآن فى الأمر بالمعروف فهو الإسلام ، والنهى عن المنكر فهو عبادة الأوثان* .

وأخرج* عن أبى العالية ، قال : كل آية فى القرآن يذكر فيها « حِفْظ

---

(١) آية ٣٠ .

(*ـ*) الاثبات عن نسخة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٥١ .

الْفَرْج » فهو من الزنى إلا قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنَ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ (١) فالمراد ألاَّ يراها أحد .

وأخرج عن مجاهد ، قال : كلّ شيء في القرآن « إن الإنسان كفور » إنما يعني به الكفار .

وأخرج عن عمر بن عبد العزيز ، قال : كل شيء في القرآن « خلود » فإنه لا توبة له .

وأخرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال : كل شيء في القرآن « يَقْدِر » فمعناه يُقِلّ .

وأخرج عنه ، قال : « التزكي » في القرآن كلّه الإسلام .

وأخرج عن أبي مالك ، قال : « وراء » في القرآن « أمام » كله غير حرفين ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾ (٢) ، يعني سوى ذلك ، ﴿ وأُحِلَّ لَكُمْ مَاوَرَاءَ ذَلِكُمْ ﴾ (٣) ، يعني سوى ذلكم .

وأخرج عن أبي بكر بن عياش ، قال : ماكان « كِسْفًا » فهو عذاب وما كان « كِسَفًا » فهو قطع السحاب .

وأخرج عن عكرمة ، قال : ماصنع الله فهو « السُّدّ » وماصنع الناس فهو « السَّدّ » (٤) .

وأخرج ابن جرير عن أبي رَوْق ، قال : كل شيء في القرآن « جعل » فهو خلق .

وأخرج عن مجاهد ، قال : « المباشرة » في كلّ كتاب الله الجماع .

---

(١) النور ٣٠ .
(٢) المؤمنون ٧ .
(٣) النساء ٢٤ .
(٤) انظر اللسان — سدد .

وأخرج عن ابن زيد ، قال : كل شىء فى القرآن « فاسق » فهو كاذب إلا قليلا .

وأخرج ابن المنذر ، عن السُّدِّى ، قال : ماكان فى القرآن « حنيفًا مسلمًا » وما كان فى القرآن « حنفاء مسلمين » حُجَّاجًا .

وأخرج عن سعيد بن جبير ، قال : « العفو » فى القرآن على ثلاثة أنحاء : نحوٌ تجاوزٌ عن الذنب ، ونحوٌ فى القصد فى النفقة ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾[1] ونحوٌ فى الإحسان فيما بين الناس ﴿ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾[2] .

وفى صحيح البخارىّ قال سفيان بن عيينة : ما سمَّى الله المطر فى القرآن إلا عذابًا ، وتسمّيه العرب الغيث .

قلت : استثنى من ذلك ﴿ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ ﴾[3] ، فإن المراد به الغيث قطعًا .

وقال أبو عبيدة : إذا كان فى العذاب فهو « أمطرت » وإذا كان فى الرحمة فهو « مطرت » .

* * *

فرع

أخرج أبو الشيخ عن الضحّاك قال : قال لى ابن عباس : احفظ عنى كل شىء فى القرآن ﴿ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ فهو للمشركين فأما المؤمنون فما أكثر أنصارهم وشفعاءهم .

---

(١) البقرة ٢١٩ . (٢) البقرة ٢٣٧ .

(٣) النساء ١٠٢ .

وأخرج : سعيد بن منصور عن مجاهد ، قال : كل طعام فى القرآن فهو نصف صاع .

وأخرج ابن أبى حاتم ، عن وهب بن مُنَبِّه ، قال : كل شىء فى القرآن « قليل » و « إلا قليل » فهو دون العشرة .

وأخرج عن مسروق ، قال : ما كان فى القرآن « على صلاتهم يحافظون » « حافظوا على الصلوات » فهو على مواقيتها .

وأخرج عن سفيان بن عيينة ، قال : كل شىء فى القرآن : « وما يدريك » فلم يخبر « وما أدراك » فقد أخبر به .

وأخرج عنه قال : كل « مكرٍ » فى القرآن فهو عمل .

وأخرج عن مجاهد ، قال : ما كان فى القرآن « قتِل ، لُعِن » فإنما عنى به الكافر .

وقال الراغب فى مفرداته : قيل : كل شىء ذكره الله بقوله « وما أدراك » فَسَّره ، وكل شىء ذكره بقوله: « وما يدريك » تركه . وقد ذكر ﴿ وَمَآ أَدْرَاكَ مَاسِجِّينٌ ﴾ (١) . ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ماعِلِّيُّون ﴾ (١) ثُمَّ فسّر الكتاب ، لا السِّجّين ولا العِلّيُّون . وفى ذلك نكتة لطيفة (٢) . انتهى ولم يذكرها .

وبقيت أشياء تأتى فى النوع الذى يلى هذا إن شاء الله تعالى :

---

(١) المطففين ٨ ، ١٩ .

(٢) مفردات الراغب ٢٢٥

النوع الاربعون

فى معرفة معانِى الأدَواتِ التى يحتاج إليها المفسر

وأعنى بالأدوات الحروف وماشاكلها من الأسماء والأفعال والظروف .

اعلم أن معرفة ذلك من المهمّات المطلوبة لاختلاف مواقعها ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها كما فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (١) فاستعملت « على » فى جانب الحق ، و « فى » فى جانب الضلال ؛ لأنّ صاحب الحق كأنه مستعلٍ يصرّف نظره كيف شاء ، وصاحب الباطل كأنه منغمسٌ فى ظلام منخفض لايدرى أين يتوجه .

وقوله تعالى : ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذه إِلَى المَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكم بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ (٢) عطف على الجُمل . الأول بالفاء والأخيرة بالواو ، لما انقطع نظام الترتّب ؛ لأن التلطّف غير مرتّب على الإتيان بالطعام كما كان الإتيان به مترتبًا على النظر فيه ، والنظر فيه مترتبا على التّوجّه فى طلبه ، والتوجه فى طلبه مترتبًا على قطع الجدال فى المسألة عن مدة اللّبث وتسليم العلم له تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ... ﴾ (٣) ، الآية عدل عن اللام إلى (فى) فى الأربعة الأخيرة إيذانًا إلى أنهم أكثر استحقاقًا للمتصدّق عليهم بِمَنْ سبق ذكره باللاّم ؛ لأن فى للوعاء ، فنبّه باستعمالهما على أنهم أحقّاء بأن يجعلوا مظنّة لوضع الصدقات فيهم ؛ كما يوضع الشىء فى وعائه مستقرًا فيه .

---

(١) سبأ ٢٤ . (٢) الكهف ١٩ .

(٣) التوبة ٦٠ .

وقال الفارسيّ : إنما قال : ﴿ وَفِى الرِّقَابِ ﴾ ، ولم : يقل « وللرقاب » ليدلّ على أن العبد لا يُملك .

وعن ابن عباس قال : الحمد لله الذى قال : ﴿ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[١] ولم يقل : ﴿ فى صلاتهم ﴾ .

وسيأتى ذكر كثير من أشباه ذلك .

وهذا سردها مرتبة على حروف المعجم ، وقد أفرد هذا النوع بالتصنيف خلائق من المتقدمين كالهروىّ فى الأُزْهِيَة ، والمتأخرين كابن أمّ قاسم فى الجَنَى الدانى .

• • •

الهمزة

تأتى على وجهين :

(أحدهما) : الاستفهام وحقيقة طلب الإلهام ، ومن ثم اختصت بأمور :

(أحدها) : جواز حذفها كما سيأتى فى النوع السادس والخمسين .

ثانيها : ترد لطلب التصوّر والتصديق بخلاف هل ، فإنها للتصديق خاصة وسائر الأدوات للتصوّر خاصة

ثالثها : إنها تدخل على الإثبات نحو ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾[٢] . ﴿ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ ﴾[٣] . وعلى النفى نحو (أَلَمْ نَشْرَحْ)[٤] ، وتفيد حينئذ معنيين أحدهما التَّذكُّر والتنبيه كالمثال المذكور ، وكقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ

(١) الماعون ٥ . (٢) يونس ٢ .
(٣) الأنعام ١٤٣ . (٤) الشرح ١ .

إلى ربك كيف مد الظل ﴾ (١) ، والآخر : التعجب من الأمر العظيم ، كقوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ﴾ (٢) . وفى كلا الحالين هى تحذير نحو ﴿ ألم نهلك الأولين ﴾ (٣) .

رابعها : تقديمها على العاطف تنبيها على إصالتها فى التصدير ، نحو ﴿ أو كلما عاهدوا عهدا ﴾ (٤) ، ﴿ أو أمن أهل القرى ﴾ (٥) . ﴿ أفأمن أهل القرى ﴾ (*) ﴿ أثم إذا ما وقع ﴾ (٦) وسائر أخواتها يتأخر عنه . كما هو قياس جميع أجزاء الجملة المعطوفة نحو ﴿ فكيف تتقون ﴾ (٧) ، ﴿ فأين تذهبون ﴾ (٨) ، ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ (٩) ، ﴿ فهل يهلك ﴾ (١٠) ، ﴿ فأى الفريقين ﴾ (١١) ، ﴿ فما لكم فى المنافقين ﴾ (١٢) .

خامسها : أنه لايستفهم بها حتى يهجس فى النفس إثبات مايستفهم عنه بخلاف هل فإنه لما لا يترجح عنده فيه نفى ولا إثبات . حكاه أبوحيان عن بعضهم .

سادسها : أنها تدخل على الشرط ، نحو ﴿ أفإن مت فهم الخالدون ﴾ (١٣) ﴿ أفإن مات أو قتل انقلبتم ﴾ (١٤) بخلاف غيرها .

وتخرج عن الاستفهام الحقيقى فتأتى لمعان تذكر فى النوع السابع والخمسون .

---

(١) الفرقان ٤٥ . (٢) البقرة ٢٤٣ .
(٣) المرسلات ١٦ . (٤) البقرة ١٠٠ .
(٥) الاعراف ٩٨ . (٦) يونس ٥١ .
(٧) المزمل ١٧ . (٨) التكوير ٢٦ .
(٩) الأنعام ٩٥ . (١٠) الأحقاف ٣٥ .
(١١) الأنعام ٨١ . (١٢) النساء ٨٨ .
(١٣) الأنبياء ٣٤ . (١٤) آل عمران ١٤٤ .
(*) الأعراف ٩٧ ـ والاثبات عن طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٥٣ .

فائدة : إذا دخلت على « رأيت » امتنع أن تكون من رؤية البصر أوالقلب وصار بمعنى « أخبرني » وقد تبدل « ها » ، وخرّج على ذلك قراءة قنبل ﴿ هَأَنتُمْ هَؤُلَاءِ ﴾[1] بالقصر ، وقد تقع في القسم ومنه ماقرئ ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةً ﴾ بالتنوين ﴿ اللهِ ﴾[2] بالمدّ .

(الثاني) : من وجهى الهمزة أن تكون حرفا ينادى به القريب . وجعل منه الفراء : قوله تعالى ﴿ أَمَنْ هو قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾[3] على قراءة تخفيف الميم ، أى صاحب هذه الصفات .

قال هشام : ويبعده أنه ليس فى التنزيل نداء بغير ياء ؛ ويقربه سلامته من دعوى المجاز ، إذ لايكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته ؛ ومن دعوى كثرة الحذف إذ التقدير عند من جعلها للاستفهام :أمن هو قانت خير أم هذا الكافر . أى المخاطب بقوله : ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً ﴾[4] ، فحذف شيئان : معادل الهمزة والخبر .

• • •

أحـــد

قال أبو حاتم فى كتاب الزينة : هو اسم أكمل من الواحد ؛ ألا ترى أنك إذا قلت فلان لايقوم له واحد ؛ جاز فى المعنى أن يقوم اثنان فأكثر بخلاف قولك : لايقوم له أحد .

وفى الأحد خصوصيّة ليست فى الواحد ؛ تقول : ليس فى الدار واحد ، فيجوز أن يكون من الدوابّ والطير والوحش والإنس ، فيعمّ الناس وغيرهم بخلاف ليس فى الدار أحدٌ ، فإنه مخصوص بالآدميين دون غيرهم .

---

(١) آل عمران ١١٩ . (٢) المائدة ١٠٦ .
(٣) الزمر ٩ . (٤) الزمر ٨ .

قال : ويأتى الأحد فى كلام العرب بمعنى الأوّل وبمعنى الواحد ، فيستعمل فى الإثبات وفى النفى ، نحو ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ [١] أى واحد ، وأوّل ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ ﴾ [٢] ، وبخلافهما فلا يستعمل إلاّ فى النفى . تقول : ما جاءنى من أحد ، ومنه : (أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) [٣] و ﴿ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ [٤] ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ [٥] ، ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ ﴾ [٦] .

وواحد يستعمل فيهما مطلقا ، وأحد يستوى فيه المذكر والمؤنث ، قال تعالى : ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [٧] بخلاف الواحد ، فلا يقال : كواحد من النساء بل كواحدة وأحد يصلح فى الإفراد والجمع .

قلت : ولهذا وصف قوله تعالى : ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ بخلاف الواحد .

والأحد له جمع من لفظه وهو ، الأحدون والآحاد ، وليس للواحد جمع من لفظه ، فلا يقال : واحدون ، بل اثنان وثلاثة .

والأحدُ ممتنع الدخول فى الضرب والعدد والقسمة وفى شىء من الحساب بخلاف الواحد . انتهى ملخصا وقد تحصّل من كلامه بينهما سبعة فروق .

• • •

وفى أسرار التنزيل للبارزىّ فى سورة الإخلاص : فإن قيل : المشهور فى كلام العرب أنّ الأحد يستعمل بعد النفى ، والواحد بعد الإثبات ، فكيف جاء أحدٌ هنا بعد الإثبات . .

---

(١) الاخلاص ١ .
(٢) الكهف ١٩ .
(٣) البلد ٥ .
(٤) البلد ٧ .
(٥) الحاقة ٤٧ .
(٦) التوبة ٨٤ .
(٧) الأحزاب ٣٢ .

قلنا : قد اختار أبو عبيد أنهما بمعنى واحد وحينئذ فلا يختصّ أحدهما بمكان دون الآخر وإن غلب استعمال أحد فى النفى ، ويجوز أن يكون العدول هنا عن الغالب رعاية للفواصل . انتهى .

وقال الراغب فى مفردات القرآن : أحد يستعمل على ضربين : أحدهما فى النفى فقط ، والآخر فى الإثبات .

فالأول لا ستغراق جنس الناطقين ، ويتناول الكثير والقليل ، ولذلك صحّ أن يقال : مامن أحد فاضلين ، كقوله تعالى : ﴿ فما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاَجِزِين ﴾ . والثاني ، على ثلاثة أوجه :

الأول : المستعمل فى العدد مع العشرات نحو أحد عشر ، أحدٍ وعشرين.

والثانى : المستعمل مضافًا إليه بمعنى الأول ، نحو ﴿ أمّا أَحَدُ كُماَ فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْرًا ﴾ [1] .

والثالث : المستعمل وصفًا مطلقًا ، ويختص بوصف الله تعالى ، نحو ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ [2] ، وأصله وحد ، إلاَّ أنّ وحَدًا ، يستعمل فى غيره انتهى

• • •

إذْ

ترد على أوجه :

أحدهما : أن تكون اسمًا للزمن الماضى وهو الغالب ، ثم قال الجمهور : لا تكون إلا ظرفًا ، نحو ﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إذْ أَخْرجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [3] ؛

---

(١) يوسف ٤١ .
(٢) الاخلاص ١ .
(٣) التوبة ٤٠ .

أو مضافًا إليها الظرف نحو ﴿ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾(١) ، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ ﴾(٢) ﴿ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ ﴾(٣) .

وقال غيرهم : تكون مفعولا به ، نحو ﴿ واذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً ﴾(٤) وكذا المذكورة فى أوائل القصص كلها مفعول به بتقدير : (اذكر) .

وبدلا منه ، نحو ﴿ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ ﴾(٥) ، فإذْ بدل اشتمال من مريم على حدّ البدل فى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾(٦) ، ﴿ وأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاء ﴾(٧) ، أى اذكروا النعمة التى هى الجعْل المذكور . فهى بدل كلٍّ من كلّ ، والجمهور يجعلونهافى الأول ظرفا لمفعول محذوف أى واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم قليلا . وفى الثانى ظرفًا لمضاف إلى المفعول محذوف ، أى واذكر قصة مريم ، ويؤيد ذلك التصريحُ به فى ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾(٨) .

وذكر الزمخشرىّ أنها تكون مبتدأ ، وخرج عليه قراءة بعضهم « لَمِنْ مَنِّ اللهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ »(٩) قال : التقدير : « منْه إذ بعث » ، فإذ فى محلّ رفع كإذا فى قولك : أخطَبُ مايكون الأمير إذا كان قائما ، أى لَمِنْ مَنِّ الله على المؤمنين وقت بعثه . انتهى قال ابن هُشام : ولا نَعْلَمُ بذلك قائلا .

وذكر كثير أنها تخرج عن المضىّ إلى الاستقبال ، نحو ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾(١٠) ، والجمهور أنكروا ذلك ، وجعلوا الآية من باب ﴿ وَنُفِخَ

(١) آل عمران ٨ .
(٢) الزلزلة ٤ .
(٣) الواقعة ٨٤ .
(٤) الأعراف ٨٦ .
(٥) مريم ١٦ .
(٦) البقرة ٢١٧ .
(٧) المائدة ٢٠ .
(٨) آل عمران ١٠٣
(٩) آل عمران ١٦٤ ونصها فى المصحف الشريف« لقد من الله .. الخ » .
(١٠) الزلزلة ٤ .

فِى الصُّورِ) (١) . أعنى من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الماضى الواقع . واحتج المثبتون . منهم ابن مالك بقوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ، إِذِ الأَغْلَالُ فِى أَعْنَاقِهِمْ ﴾ (٢) فإن « يعلمون » مستقبل لفظا ومعنى لدخول حرف التنفيس عليه ، وقد عمل فى « إذ » فيلزم أن تكون بمنزلة « إذا » .

وذكر بعضهم أنها تأتى فى الحال . نحو ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ (٣) . أى حين تفيضون فيه .

فائدة : أخرج ابنُ أبى حاتم من طريق السُّدِّىّ عن أبى مالك . قال : ماكان فى القرآن « إن » بكسر الألف فلم يكن . وما كان « إذ » فقد كان .

(الوجه الثانى) : أن تكون للتعليل . نحو ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (٤) . أى ولن ينفعكم اليوم اشتراككم فى العذاب ، لأجل ظلمكم فى الدنيا . وهلْ هى حرف بمنزلة لام العلة أو ظرف بمعنى وقت والتعليل مستفاد من قوة الكلام لامن اللفظ قولان ؟. المنسوب إلى سيبويه الأول . وعلى الثانى فى الآية إشكال . لأن « إذ » لاتبدل من اليوم لاختلاف الزمانين . ولاتكون ظرفاً لـ« ينفع » لأنه لايعمل فى ظرفين . ولا« لمشتركون» لأن معمول خبر « إنّ » وأخواتها لايتقدم عليها . ولأن معمول الصلة لايتقدم على الموصول . ولأن اشتراكهم فى الآخرة . لا فى زمن ظلمهم

ومما حمل على التعليل ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ (٥) ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَايَعْبُدُونَ إِلا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ (٦) . وأنكر الجمهور هذا القسم ، وقالوا : التقدير « بعد إذ ظلمتم » .

---

(١) الكهف ٩٩ .
(٢) غافر ٧٠ ، ٧١ .
(٣) يونس ٦١ .
(٤) الزخرف ٣٩ .
(٥) الأحقاف ١١ .
(٦) الكهف ١٦ .

وقال ابن جنّى : راجعت أبا علىّ مرارًا فى قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ اليوم .. ﴾ الآية ، مستشكلا إبدال « إذ » من « اليوم » ، وآخر ما تحصّل منه أن الدنيا والآخرة متّصلتان ، وأنهما فى حكم الله سواء ، فكأنّ اليوم ماض . انتهى .

(الوجه الثالث) : التوكيد بأن تحمل على الزيادة . قاله أبو عبيدة ، وتبعه ابن قتيبة ، وحملا عليه آيات منها : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ (١) .

(الرابع) : التحقيق كقد ، وحملت عليه الآية المذكورة . وجعل منه السُّهيلى قوله : ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) ، قال ابن هشام : وليس القولان بشىء .

مسألة

تلزم إذْ الإضافة إلى جملة ، إما إسمية نحو ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾ (٣) ، أو فعلية فعلها ماض لفظا ومعنى ، نحو ﴿ وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ ، ﴿ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّه ﴾ (٤) ، أومعنى لالفظا نحو : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ ﴾ (٥) وقد اجتمعت الثلاثة فى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِه ﴾ (٦) . وقد تحذف الجملة للعلم بها ، ويعوّض عنها التنوين وتكسر الذّال لالتقاء الساكنين ، نحو ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُون ﴾ (٧) ، ﴿ وَأَنْتُم حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ ﴾ (٨) .

وزعم الأخفش أنّ « إذ » فى ذلك معربة لزوال افتقارها إلى الجملة .

---

(١) البقرة ٣٠
(٢) آل عمران ٨٠ .
(٣) الأنفال ٢٦ .
(٤) البقرة ١٢٤ .
(٥) الأحزاب ٣٧ .
(٦) التوبة ٤٠ .
(٧) الروم ٤ .
(٨) الواقعة ٨٤ .

وأن الكسرة إعرابٌ ؛ لأن اليوم والحين مضافان إليها . ورُدّ بأن بناءها لوضعها على حرفين ، وبأنّ الافتقارَ باقٍ فى المعنى كالموصول تحذف صلته .

• • •

إذا

على وجهين :

(أحدهما) : أن تكون للمفاجأة ، فتختص بالجمل الإسمية ، ولا تحتاج لجواب ، ولاتقع فى الابتداء ، ومعناها الحال لا الاستقبال ، نحو ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ (١) ، ﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ﴾ (٣)

قال ابن الحاجب : ومعنى المفاجأة حضور الشىء معك فى وصفٍ من أوصافك الفعلية ، تقول : خرجتُ فإذا الأسد بالباب ، فمعناه حضور الأسد معكَ فى زمن وصفك بالخروج أو فى مكان خروجك ، وحضورُه معك فى مكان خروجك ألصق بك من حضوره فى خروجك ؛ لأن ذلك المكان يخصّك دون ذلك الزمان ، وكلّما كان ألصق كانت المفاجأة فيه أقوى . واختلف فى « إذا » هذه فقيل : إنها حرف ، وعليه الأخفش ، ورجّحه ابن مالك . وقيل : ظرفُ مكان ، وعليه المبرّد ورجّحه ابن عصفور . وقيل : ظرفُ زمانٍ ، وعليه الزّجاج ورجّحه الزّمخشرىّ ، وزعم أن عاملها فعل مقدّر مشتق من لفظ المفاجأة قال : التقدير : ثم إذا دعاكم فاجأتم الخروج فى ذلك الوقت ، ثُمّ قال ابن هشام : ولا يُعرَف ذلك لغيْره ، وإنما يعرف ناصبها عندهم الخبر المذكورَ أو المقدّر ، قال : ولم يقع الخبر معها فى التنزيل إلاّ مصرّحا به .

---

(١) طه ٢٠ .
(٢) يونس ٢٣ .
(٣) يونس ٢١ .

(الثانى) : أن تكون لغير المفاجأة ، فالغالب أن تكون ظرفًا للمستقبل مضمّنة معنى الشرط ، وتختصّ بالدخول على الجمل الفعلية ، وتحتاج لجواب ، وتقع فى الابتداء عكس الفجائيّة . والفعل بعدها إمّا ظاهر نحو ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ ﴾ (١) ، أو مقدر ، نحو ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ (٢) . وجوابها إما فعل نحو ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ ﴾ (٣) . أو جملة إسمية مقرونة بالفاء ، نحو ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى النَّاقُورِ ۝ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ (٤) ، ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ ﴾ (٥) أو فعلية طلبية كذلك ، نحو ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ (٦) ، أو إسمية مقرونة بإذا الفجائية ، نحو ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ (٧) ، ﴿ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٨)

وقد يكون مقدرًا لدلالة ما قبله عليه ، أو لدلالة المقام ، وسيأتى فى أنواع الحذف .

وقد تخرج إذا عن الظرفية ، قال الأخفش فى قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا ﴾ (٩) : إنّ إذا جرّ بحتّى . وقال ابن جنّى فى قوله تعالى : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ... ﴾ (١٠) الاية فيمن نصب ﴿ خَافِضَةً رَافِعَةً ﴾ (١١) : إنّ إذا الأولى مبتدأ والثانية خبر ، والمنصوبان حالان ، وكذا جملة ليس ومعمولاها . والمعنى : وقت الواقعة خافضة لقوم رافعةً لآخرين ، هو وقت رجّ الأرض . والجمهور

---

(١) النصر ١ .
(٢) الانشقاق ١ .
(٣) غافر ٧٨ .
(٤) المدثر ٨ ، ٩ .
(٥) المؤمنون ١٠١ .
(٦) سورة النصر ٣ . والجملة هنا جواب قوله تعالى (اذا جاء نصر الله والفتح) .
(٧) الروم ٢٥ .
(٨) الروم ٤٨ .
(٩) الزمر ٧١ .
(١٠) الواقعة ١ .
(١١) الواقعة ٣ .

أنكروا خروجها عن الظرفية وقالوا فى الآية الأولى : إنّ « حتّى » حرف ابتداء . داخل على الجملة بأسرها ولا عمل له . وفى الثانية إنّ إذا الثانية بدل من الأولى . والأولى ظرف وجوابها محذوف لفهم المعنى . وحسّنه طولُ الكلام وتقديره بعد إذا الثانية : أى انقسمتم أقساما و كنتم أزواجًا ثلاثة .

وقد تخرج عن الاستقبال فترد للحال . نحو ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ ، فإن الغشيان مقارن لِلَّيْلِ ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ [١] ، ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ [٢] . وللماضى نحو ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ... ﴾ الآية [٣] . فإن الآية نزلت بعد الرؤية والانفضاض . وكذا قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ [٤] . ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ﴾ [٥] . ﴿ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ [٦] .

وقد تخرج عن الشرطية . نحو ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [٧] . ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ [٨] ﴾ . فإذا فى الآيتين ظرف لخبر المبتدأ بعدها ، ولو كانت شرطية والجملة الإسمية جواب لاقترنت بالفاء. وقول بعضهم : إنه على تقديرها . مردود بأنّها لاتحذف إلا لضرورة . وقول آخر : إن الضمير توكيد لامبتدأ . وأنّ ما بعده الجواب تعسّف ، وقول آخر : جوابها محذوف مدلول عليه بالجملة بعدها تكلّف من غير ضرورة .

° ° °

---

(١) الليل ٢ . (٢) النجم ١ .
(٣) الجمعة ١١ . (٤) التوبة ٩٢ .
(٥) الكهف ٩٠ . (٦) الكهف ٩٦ .
(٧) الشورى ٣٧ . (٨) الشورى ٣٩ .

تنبيهات

(الأول) : المحققون على أنّ ناصب إذا شرطها ، والأكثرون أنه ماف جوابها من فعل أو شبهه .

(الثانى) : قد تستعمل إذا للاستمرار فى الأحوال الماضية والحاضرة والمستقبلة ، كما يستعمل الفعل المضارع لذلك ؛ ومنه ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[1] ، أى هذا شأنهم أبدًا ، وكذا قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ ﴾[2]

(الثالث) : ذكر ابن هشام فى المغنى « إذ ما » ولم يذكر « إذا ما » . وقد ذكرها الشيخ بهاء الدين السبكىّ فى عروس الأفراح فى أدوات الشرط . فأمّا « إذ ما » ، فلم تقع فى القرآن ، ومذهب سيبويه أنها حرف . وقال المبرِّد وغيره : إنها باقية على الظرفية ، وأما « إذا ما » فوقعت فى القرآن فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا ﴾[3] ، ﴿ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾[4] ، ولم أر من تعرّض لكونها باقية على الظرفية أو محوّلة إلى الحرفية . ويحتمل أن يجرى فيها القولان فى « إذ ما » . ويحتمل أن يُجزَم ببقائها على الظرفية ؛ لأنها أبعد عن التركيب بخلاف « إذ ما » .

(الرابع) : تختصّ إذا بدخولها على المتيقَّن والمظنون والكثير الوقوع ، بخلاف إنْ فإنها تستعمل فى المشكوك والموهوم والنادر ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا ﴾ ثم قال : ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾[5] . فأتى بإذا فى الوضوء لتكرره وكثرة أسبابه ، وبإن فى الجنابة لندرة وقوعها

---

(١) البقرة ١٤ . (٢) النساء ١٤٢ .
(٣) الشورى ٣٧ . (٤) التوبة ٩٢ .
(٥) المائدة ٦ .

بالنسبة إلى الحدث . وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا ﴾ (١) ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ (٢) أتى فى جانب الحسنة بإذا ؛ لأن نعم الله على العباد كثيرة ومقطوع بها ، وبإن فى جانب السَّيِّئة لأنها نادرة الوقوع ومشكوك فيها .

نعم أشكل على هذه القاعدة آيتان : الأُولى قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ مِتُّمْ ﴾ (٣) ، ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ ﴾ (٤) ، فأتى بإن مع أن الموتَ محقَّق الوقوع ، والأُخرى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثم إِذَا أَذَاقَهُمْ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ﴾ (٥) فأتى بإذا فى الطرفين . وأجاب الزمخشرىّ عن الأُولى ، بأن الموت لمَّا كان مجهول الوقت أُجْرِىَ مجرى غير المجزوم . وأجاب السَّكَّاكى عن الثانية ، بأنه قصد التوبيخ والتقريع ، فأتى بإذا ليكون تخويفًا لهم وإخبارًا بأنهم لا بدّ أن يمسّهم شىء من العذاب ، واستفيد التقليل من لفظ « المسّ » وتنكير « ضرّ » .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا على الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ (٦) فَأُجِيبَ عنه بأن الضمير فى (« مسّه » للمعرض المتكبر ، لا لمطلق الإنسان ، ويكون لفظ « إذا » للتنبيه على أن مثل هذا المعرض يكون ابتلاؤه بالشرّ مقطوعا به .

وقال الخُوَيِّى : الذى أظنُّه أنّ إذا يجوز دخولها على المتيقن والمشكوك ،

---

(١) الأعراف ١٣١ .
(٢) الروم ٣٦ .
(٣) آل عمران ١٥٨ .
(٤) آل عمران ١٤٤ .
(٥) الروم ٣٣ .
(٦) فصلت ٥١ .

لأنها ظرف وشرط ، فبالنظر إلى الشرط تدخل على المشكوك ، وبالنظر إلى الظرف تدخل على المتيقَّنِ كسائر الظروف

(الخامس) : خالفت « إذا » ، « إنْ » أيضا فى إفادة العموم . قال ابن عصفور : فإذا قلت إذا قام زيد قام عمرو . أفادت أنّه كلما قام زيد قام عمرو . قال : هذا هو الصحيح ، وفى أنّ المشروط بها إذا كان عدمًا يقع الجزاء فى الحال ، وفى إنْ لايقع حتى يتحقق اليأس من وجوده ، وفى أنّ جزاءها مستعقِب لشرطها على الاتصال ، لا يتقدّم ولا يتأخرّ ، بخلاف إن ، وفى أنّ مدخولها لا تجزمه ، لأنها لا تتمخض شرطًا .

خاتمة

قيل : قد تأتى إذا زائدة . وخرّج عليه ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ [١] . أى انشقت السماء . كما قال : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ [٢] .

• • •

إذًا

قال سيبويه : معناها الجواب والجزاء . فقال الشلوبين : فى كل موضع . وقال الفارسىّ : فى الأكثر . والأكثر أن تكون جوابا لإن أو لَوْ ، ظاهرتين أو مقدّرتين . قال الفراء : وحيث جاءت بعدها اللام فقبلها لَوْ مقدرةً إن لم تكن ظاهرة نحو ﴿ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ [٣] . وهى حرف ينصب المضارع بشرط تصديرها واستقباله واتصالها أو انفصالها بالقسم أو بلا النافية . قال النحاة : وإذا وقعت بعد الواو والفاء جاز فيها الوجهان . نحو ﴿ وَإِذًا لَايَلْبَثُونَ

(١) الانشقاق ١ . (٢) القمر ١

(٣) المؤمنون ٩١ .

خِلَافَكَ ﴾ (١) ، ﴿ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ ﴾ (٢) وقرىء - شاذًا - بالنصب فيهما .

وقال ابن هشام : التحقيق أنه إذا تقدمها شرط وجزاء وعطفت ، فإن قدرت العطف على الجواب جزمت وبطل عمل إذًا ؛ لوقوعها حشوا ، أو على الجملتين جميعا جاز الرفع والنصب ، وكذا إذا تقدمها مبتدأ خبره فعل مرفوع ، إن عطفت على الفعلية رفعت أو الاسمية فالوجهان (٣) .

وقال غيره : إذًا نوعان :

الأول : أن تدل على إنشاء السببية والشرط ، بحيث لا يفهم الارتباط من غيرها ، نحو أزورك غدًا ، فتقول : إذًا أكرمَك ، وهى فى هذا الوجه عاملة تدخل على الجمل الفعلية فتنصب المضارع المستقبل المتصل إذا صدِّرت .

والثانى : أن تكون مؤكدة لجواب ارتبط بمقدّم أو منبِّهةً على مسبَّب حصل فى الحال ، وهى حينئذ غير عاملة ؛ لأنّ المؤكدات لا يعتمد عليها ، والعامل يعتمد عليه ، نحو إن تأتنى إذًا آتيك ، والله إذًا لأفعلنّ ، ألا ترى أنها لوسقطت لفُهم الارتباط ، وتدخل هذه على الإسمية فتقول إذًا أنا أكرمك ، ويجوز توسّطها وتأخرها . ومن هذا قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا ﴾ (٤) فهى مؤكدة للجواب مرتبطة بما تقدم

تنبيهان

(الأول) : سمعت شيخنا العلامة الكافيَجى يقول فى قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾ (٥) : ليست إذًا هذه الكلمة

---

(١) الاسراء ٧٦ .
(٢) النساء ٥٣ .
(٣) المغنى ١ : ٢٤ .
(٤) البقرة ١٤٥ .
(٥) المؤمنون ٣٤ .

المعهودة ، وإنما هى إذا الشرطية ، حذفت جملتها التى تضاف إليها ، وعوِّض عنها بالتنوين كما فى يومئذٍ . وكنت أستحسن هذا جدًا ، وأظن أن الشيخ لا سلف له فى ذلك . ثم رأيت الزركشىّ قال فى البرهان [1] بعد ذكره لإذًا المعنيين السابقين :

وذكر لها بعض المتأخِّرين معنى ثالثا ، وهى أن تكون مركَّبة من إذا التى هى ظرف زمن ماض ، ومن جملة بعدها تحقيقاً أوتقديرًا ، لكن حذفت الجملة تخفيفًا ؛ وأبدل منها التنوين ، كما فى قولهم فى حينئذ ، وليست هذه الناصبة للمضارع ؛ لأنّ تلك تختصّ به ولذا عملت فيه ، ولايعمل الّا ما يختصّ ، وهذه لاتختص ، بل تدخل على الماضى كقوله تعالى : ﴿ وإذًا لآتَيْنَاهُمْ ﴾ [2] ، ﴿ إذًا لأَمْسَكْتُمْ ﴾ [3] ، ﴿ إذًا لأذقناكَ ﴾ [4] وعلى الاسم نحو ﴿ وإنَّكُمْ إذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [5] قال : وهذا المعنى لم يذكره النُّحاة ، لكنه قياس ما قالوه فى إذ .

وفى التذكرة لأبى حيّان : ذكر لى علم الدين القمنىّ أن القاضى تقى الدين ابن رزين كان يذهب إلى أن إذًا عوض من الجملة المحذوفة ، وليس هذا قول نحوىّ .

وقال الخُوبِّى : وأنا أظن أنه يجوز أن تقول لمن قال : أنا آتيك : إذًا أكرمُك ، بالرفع على معنى إذا أتيتنى أكرمُك ، فحذفت أتيتنى ، وعوضت التنوين من الجملة ، فسقطت الألف لالتقاء الساكنين ، قال : ولا يقدح فى ذلك اتفاق النحاة ، على أن الفعل فى مثل ذلك منصوب بإذًا لأنهم يريدون

---

(١) البرهان ٤ : ١٧٧ .
(٢) النساء ٦٧ .
(٣) الاسراء ١٠٠ .
(٤) الاسراء ٧٥ .
(٥) الشعراء ٤٢ .

بذلك ما إذا كانت حرفًا ناصبًا له ، ولا ينفي ذلك رفع الفعل بعدها إذا أريد بها إذا الزمانية معوّضًا من جملتها التنوين ، كما أنّ منهم مَنْ يجزم ما بعد « مَنْ » إذا جعلها شرطية ، ويرفعه إذا أريد بها الموصولة . انتهى .

فهؤلاء قد حاموا حوْل ما حام عليه الشيخ ، إلاّ أنه ليس أحدٌ منهم من المشهورين بالنحو ، وممن يعتمد قوله فيه ؛ نعم ذهب بعض النحاة إلى أنّ أصل إذًا الناصبة اسم والتقدير فى إذا أكرمَك : إذا جئتنى أكرمك ، فحذفت الجملة وعوّض منها التنوين ، وأضمرت « أن » . وذهب آخرون إلى أنها حرف مركّبة من إذ وإن ؛ حكى القولين ابنُ هشام فى المغنى .

(التنبيه الثانى) : الجمهور على أن إذًا يُوقف عليها بالألف المبدلة من النون ، وعليه إجماع القراء ، وجوّز قوم ، منهم المبرّد والمازنىّ فى غير القرآن الوقوف عليها بالنون ، كلنْ وإنْ ، وينبنى على الخلاف فى الوقوف عليها كتابتها ، فعلى الأوّل تكتب بالألف كما رُسمت فى المصاحف ، وعلى الثانى بالنوّن .

وأقول : الإجماع فى القرآن على الوقف عليها ، وكتابتها بالألف دليل على أنها اسم منوّن لا حرف آخره نون ، خصوصًا أنها لم تقع فيه ناصبة للمضارع ، فالصواب إثبات هذا المعنى لها ، كما جنح إليه الشيخ ومَنْ سبق النقل عنه .

• • •

أفّ

كلمة تستعمل عند التضجّر والتكرّه ، وقد حكى أبو البقاء فى قوله تعالى : ﴿ فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾ [(١)] قولين :

(أحدهما) : أنه اسم لفعل الأمر ، أى كفّ واترك .

(والثانى) : أنه اسم لفعل ماض ، أى كَرِهت وتضجّرت .

وحكى غيره [(٢)] ثالثاً : أنه اسم لفعل مضارع ، أي أتضجر منكما .

وأما قوله تعالى فى سورة الأنبياء :﴿ أُفٍّ لَكُمْ ﴾ [(٣)] ، فإحالة أبو البقاء على ماسبق فى الإسراء ، ومقتضاه تساويهما فى المعنى .

وقال العُزَيزىّ فى غريبه : هنا ، أى بئسًا لكم [(٤)]

وفسر صاحب الصحاح : أفٍّ بمعنى قذرًا [(٥)]

وقال فى الارتشاف : أفٍّ ، أتضجّر .

وفى البسيط : معناه التضجّر ، وقيل الضجر ، وقيل : تضجَرت ؛ ثم حكى فيها تسعًا وثلاثين لغة .

قلت : قرئ منها فى السبع « أفِّ » بالكسر بلاتنوين ، و « أفٍّ » بالكسر والتنوين « وأفَّ » بالفتح بلا تنوين . وفى الشاذ « أفٌّ » بالضم منوّنًا وغير منوّن ، وأفْ بالتخفيف .

---

(١) الاسراء ٢٣ .
(٢) املاء مامن به الرحمن ٢ : ٩٤ .
(٣) الأنبياء ٦٧ .
(٤) نقله فى البرهان ٤ : ٢٤٨ ، ولفظ « أى تلقاكم » .
(٥) الصحاح ٣ : ١٣٣١ .

أخرج ابن أبي حاتم ، عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾ قال : لاتقذرهما .

• • •

وأخرج عن أبي مالك ، قال : هو الردئ من الكلام .

• • •

أل

على ثلاثة أوجه :

(أحدهما) : أن تكون اسماً موصولاً بمعنى الّذى وفروعه ، وهى الداخلة على أسماء الفاعلين والمفعولين ، نحو ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ والْمُسْلِمَاتِ . . . ﴾[١] إلى آخر الآية ، ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ . . ﴾[٢] الآية .

وقيل : هى حينئذ حرف تعريف ، وقيل : موصول حرفىّ .

(الثانى) : أن تكون حرف تعريف ، وهى نوعان : عهديّة وجنسيّة .

وكل منهما على ثلاثة أقسام :

فالعهدية إما أن يكون مصحوبُهَا معهوداً ذِكريا ، نحو ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ، فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾[٣] . ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ المصباحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ ﴾[٤] ، وضابطهذه أن يسدّ الضمير مسدّها مع مصحوبها . أو معهوداً ذهنيا . نحو ﴿ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ ﴾[٥] ، ﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[٦] . أو معهوداً حضوريّاً ، نحو ﴿ الْيَوْمَ

(١) الأحزاب ٣٥ .
(٢) التوبة ١١٢ .
(٣) المزمل ١٥ ، ١٦ .
(٤) النور ٣٥ .
(٥) التوبة ٤٠ .
(٦) الفتح ١٨ .

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [١] ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ [٢] قال ابن عصفور : وكذا كل واقعة بعد اسم الإشارة أو أىّ فى النداء ، وإذا الفجائية أو فى اسم الزمان الحاضر نحو الآن .

والجنسية ، إمّا لاستغراق الأفراد وهى التى تَخلفها « كُلٌّ » حقيقةً ، نحو ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [٣] ، ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [٤] ومن دلائلها صحة الاستثناء من مدخولها ، نحو ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [٥] ووصفُه بالجمع ، نحو ﴿ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا ﴾ [٦] . وإماالاستغراق خصائص الأفراد وهى التى تخلفها « كلّ » مجازا ، نحو ﴿ ذلك الكتاب ﴾ [٧] أى الكتاب الكامل فى الهداية الجامع لصفات جميع الكتب المنزلة وخصائصها ، وإمّا لتعريف الماهيّة والحقيقة والجنس ، وهى التى لاتخلفها « كلّ » لاحقيقة ولامجازا ، نحو ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كل شَىْءٍ حَيٍّ ﴾ [٨] ، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ والنبوة ﴾ [٩] . قيل : والفرق بين المعرّف بأَل وبين اسم الجنس النكرة هو الفرق بين المقيّد والمطلق ؛ لأن المعرّف بها يدلّ على الحقيقة بقيد حضورها فى الذهن ، واسم الجنس النكرة يدلّ على مطلق الحقيقة لا باعتبار قيد .

(الثالث) : أن تكون زائدة ، وهى نوعان : لازمة كالتى فى الموصولات على القول بأَن تعريفها بالصلة ، وكالتى فى الأَعلام المقامة لنقلها كاللاَّت والعزَّى ، أو لغلَبتها كالبيت للكعبة ، والمدينة لطيبة ، والنجم للثريّا ،

---

(١) المائدة ٣ .
(٢) المائدة ٥ .
(٣) النساء ٢٨ .
(٤) الرعد ٩ .
(٥) العصر ٢ ، ٣ .
(٦) النور ٣١ .
(٧) البقرة ٢ .
(٨) الأنبياء ٣٠ .
(٩) الأنعام ٨٩ .

وهذه فى الأصل للعهد . أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ والنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ (١) ، قال : الثُّريَّا . وغير لازمة كالواقعة فى الحال ، وخرّج عليه قراءة بعضهم : ﴿ لَيَخْرُجَنَ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ (٢) ، بفتح الياء ، أى ذليلا ، لأن الحال واجبة التنكير ، إلا أنّ ذلك غير فصيح ، فالأحسن تخريجها على حذف مضاف ، أى خروج الأذلّ ، كما قدّرة الزمخشرى .

• • •

مسألة

اختلف فى أل فى اسم الله تعالى فقال سيبويه : هى عوض من الهمزة ، المحذوفة بناء على أن أصله « إله » . دخلت أل فنقلت حركة الهمزة إلى اللام ثم أدغمت . قال الفارسىّ : ويدلّ على ذلك قطع همزها ولزومها .

وقال آخرون : هى مزيدة للتعريف تفخيما وتعظيما ، وأصل « إله » « أولاه » . وقال قوم : هى زائدة لازمة لا للتعريف .

وقال بعضهم : أصله هاء الكناية ؛ زيدت فيه لام المِلْك ، فصار « له » ثم زيدت « أل » تعظيما ؛ وفخّموه توكيدا .

وقال الخليل وخلائق : هى من بنية الكلمة ، وهو اسم علم لاشتقاق له ولا أصل .

خاتمة

أجاز الكوفيّون وبعض البصريين وكثير من المتأخرين نيابة « أل » عن الضمير المضاف إليه ، وخرّجوا على ذلك ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾(٣)

---

(١) النجم ١ . (٢) المنافقون ٨ .

(٣) النازعات ٤١ .

والمانعون يقدّرون له ، وأجاز الزمخشرىّ نيابتها عن الظاهر أيضا ، وخرج عليه ، ﴿ وعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّهَا ﴾[١] ؛ فإنّ الأصل أسماء المسمّيات

• • •

ألاَ

بالفتح والتخفيف ، وردت فى القرآن على أوجه :

(أحدها) : للتنبيه ، فتدلّ على تحقيق مابعدها ، قال الزمخشرىّ : ولذلك قلّ وقوعُ الجمل بعدها إلّا مصدّرة بنحوما يُتلقّى به القسم ، وتدخل على الاسمية والفعلية ، نحو ﴿ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾[٢] ، ﴿ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾[٣] ، قال فى المغْنى : ويقول المعربون فيها : حرف استفتاح فيبينون مكانها ويهملون معناها ، وإفادتُها التحقيق من جهة تركيبها من الهمزة ولا ، وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفى أفادت التحقيق : نحو ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ ﴾[٤] .

(الثانى والثالث) : التحضيض والعرض ، ومعناهما طلب الشىء ، لكن الأوّل طلبٌ بحثٌّ ، والثانى طلب بلين ، وتختص فيهما بالفعلية ، نحو ﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا﴾[٥] ، ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلاَ يَتَّقُونَ﴾[٦] ﴿أَلاَ تَأْكُلُونَ﴾[٧] ﴿ أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ﴾[٨].

• • •

(١) البقرة ٣١ .

(٢) البقرة ١٣ .

(٣) هود ٨ .

(٤) القيامة ٤٠ وانظر المغنى ٢ : ٦٩ .

(٥) التوبة ١٣ .

(٦) الشعراء ١١ .

(٧) الذاريات ٢٧ .

(٨) النور ٢٢ .

أَلاَّ

بالفتح والتشديد . حرف تحضيض ؛ لم يقع فى القرآن لهذا المعنى فيما أعلم ، إلاّ أنه يجوز عندى أن يخرّج عليه قوله : ﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا للهِ ﴾[١]. وأما قوله تعالى : ﴿ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ ﴾[٢] ، فليست هذه ، بل هى كلمتان أن الناصبة ولا النافية ، أو أن المفسرة ولا الناهية .

• • •

إِلاَّ

بالكسر والتشديد على أوْجه :

(أحدها) : الاستثناء متصلا ، نحو ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[٣] ﴿ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾[٤] . أو منقطعا ، نحو ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجر إِلاَّ مَنْ شاء أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾[٥] ، ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى • إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ﴾[٦] .

(الثانى) : بمعنى غير فيوصف بها وبتاليها جمعٌ منكرٌ أو شبهه ؛ ويعرَّب الاسم الواقع بعدها بإعراب غير ، نحو ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلهة إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾[٧] ، فلا يجوز أن تكون هذه الآية للاستثناء ؛ لأن « آلهة » جمع منكَّر فى الإثبات ، فلا عموم له ، لا يصحّ الاستثناء منه ، ولأنه يصير المعنى حينئذ « لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا » وهو باطل باعتبار مفهومه .

---

(١) النمل ٢٥ .
(٢) النمل ٣١ .
(٣) البقرة ٢٤٩ .
(٤) النساء ٦٦ .
(٥) الفرقان ٥٧ .
(٦) الليل ١٩ ، ٢٠ .
(٧) الأنبياء ٢٢ .

(الثالث) : أن تكون عاطفة بمنزلة الواو فى التشريك ، ذكره الأخفش والفرّاء وأبو عبيدة ، وخرّجوا عليه ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾(١) ، ﴿ لاَ يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ ﴾(٢) ، أى ولا الذين ظلموا ولا من ظلم .وتأوّلهما الجمهور على الاستثناء المنقطع .

(الرابع) : بمعنى « بل » ، ذكره بعضهم ، وخرّج عليه : ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۞ إلا تذكِرَةً ﴾(٣) أى بل تذكرة .

(الخامس) : بمعنى « بدل » ، ذكره ابن الصائغ ، وخرّج عليه ﴿ آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ ﴾(٤) أى بدل الله أو عوضه ، وبه يخرج عن الإشكال المذكور فى الاستثناء وفى الوصف بإلّا من جهة المفهوم .

وغلِط ابن مالك فعدّ من أقسامها نحو (إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ) وليست منها ، بل هى كلمتان : إن الشرطية ولا النافية

فائدة

قال الرّمّانىّ فى تفسيره : معنى إلا اللازم لها الاختصاص بالشىء دون غيره ، فإذا قلت : جاءنى القوم إلا زيدا ، فقد اختصصت زيدًا بأنه لم يجىء ، وإذا قلت : ماجاءنى إلازيد ،فقد اختصصته بالمجىء ، وإذا قلت ماجاءنى زيد إلا راكبا ، فقد اختصصته بهذا الحالة دون غيرها من المشى والعدْو ونحوه .

• • •

(١) البقرة ١٥٠ . (٢) النمل ١٠ ، ١١ .
(٣) طه ٢ ، ٣ . (٤) التوبة ٤٠ .

الآن

اسم للزمن الحاضر ، وقد يستعمل فى غيره مجازًا . وقال قوم : هى مَحَلٌ للزمانين ، أيْ ظرف للماضى وظرف للمستقبل ، وقد يُتجوّز بها عمّا قرب من أحدهما .

وقال ابن مالك : لوقتٍ حضر جميعه ، كوقت فعل الإنشاء حال النطق به أوبعضه نحو ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُم ﴾ (١) ، ﴿ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾ (٢) قال : وظرفيته غالبة لالازمة .

واختلف فى « أل » التى فيه ، فقيل : للتعريف الحضورىّ ، وقيل : زائدة لازمة .

• • •

إلى

حرف جرّ له معان :

أشهرها انتهاء الغاية زمانًا نحو ثُمَّ ﴿ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾(٣) . أو مكانا نحو ﴿ إِلَى المسجدِ الأَقْصى ﴾(٤).

أو غيرهما ، نحو ﴿ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾(٥) ، أى منتهٍ إليك ، ولم يذكرلها الأكثرون غير هذا المعنى .

وزاد ابن مالك وغيره تبعا للكوفيين معانِىَ أُخَر ، منها المعيّة . وذلك إذا ضَمَمْتَ شيئًا إلى آخر فى الحكم به أو عليه أو التعلّق ، نحو ﴿ مَنْ

(١) الأنفال ٦٦ .
(٢) الجن ٩ .
(٣) البقرة ١٨٧ .
(٤) الاسراء ١ .
(٥) النمل ٣٣ .

أنصارِى إلَى اللهِ ﴾ (١) ، ﴿ وَأيديَكم إلَى المَرَافِقِ ﴾ (٢) ، ﴿ وَلاَ تَأْكُلُوا أمْوَالَهُمْ إلَى أمْوَالِكُمْ ﴾ (٣) ، قال الرَّضى : والتحقيق أنها للانتهاء ، أى مضافة إلى المرافق ، وإلى أموالكم .

وقال غيره : ما ورد من ذلك مؤوّل على تضمين العامل وإبقاء إلى على أصلها والمعنى فى الآية الأولى : مَنْ يضيف نصرته إلى نصرة الله أومَنْ ينصرنى حال كونى ذاهبًا إلى الله

ومنها الظرفية كفى ، نحو ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إلَى يَوْمِ القِيامَةِ ﴾ (٤) أى فيه ، ﴿ هَلْ لَكَ إلَى أنْ تزكّى ﴾ ، (٥) أى فى أنْ .

ومنها مرادفة اللام ، وجعل منه ﴿ وَالأمْرُ إلَيْكَ ﴾ ، أى ، لك ، وتقدّم أنه من الانتهاء .

ومنها التبيين ، قال ابن مالك : وهى المبيِّنة لفاعليّة مجرورها بعد ما يفيد حبًا أو بغضًا من فعل تعجب أو اسم تفضيل ، نحو ﴿ رَبِّ السِّجنُ أحَبُّ إلَىَّ ﴾ (٦) .

ومنها التوكيد ، وهى الزائدة ، نحو ﴿ فَاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إلَيْهِمْ ﴾ (٧) فى قراءة بعضهم بفتح الواو ، أى تهواهم قاله الفرّاء وقال غيره : هو على تضمين « تهوَى » معنى « تميل » .

---

(١) آل عمران ٥٢ .
(٢) المائدة ٦ .
(٣) النساء ٢ .
(٤) النساء ٨٧ .
(٥) النازعات ١٨ .
(٦) يوسف ٣٣ .
(٧) ابراهيم ٣٧ .

تنبيه

حكى ابن عصفور فى شرح أبيات الإيضاح عن ابن الأنبارى : أنّ إلى تستعمل اسما فيقال : انصرفت من إليك كما يقال : غدوت من عليه وخرّج عليه من القرآن قوله تعالى ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ (١) وبه يندفع إشكال أبى حيّان فيه بأن القاعدة المشهورة أن الفعل لايتعدّى إلى ضمير يتّصل بنفسه أو بالحرف ، وقد رفع المتصل. وهما لمدْلول واحد فى غير باب ظنّ .

• • •

اللهمّ

المشهور أنّ معناه : ياألله ، حذفت ياء النداء ، وعوّض عنها الميم المشدّدة فى آخره

وقيل : أصله ياألله أمّنا بخير ، فركب تركيب حيّهلا .

وقال أبو رجاء العُطاردىّ : الميم فيها تجمع سبعين اسما من أسمائه .

وقال ابن ظَفَر : قيل إنها الاسم الأعظم ، استدلّ لذلك بأن الله دالّ على الذّات والميم دالّة على الصفات التسع والتسعين ، ولهذا قال الحسن البصرى : اللهمّ تجمع الدعاء .

وقال النَّضر بن شُميل : من قال : اللهمّ ، فقدْ دعا الله بجميع أسمائه .

• • •

(١) مريم ٢٠ .

أمْ

حرف عطف وهى نوعان :

متصلة وهى قسمان :

(الأول) : أن يتقدم عليها همزة التسوية ، نحو ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ ﴾ (١) ، ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا ﴾ (٢) ، ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُم ﴾ (٣) .

(والثانى) : أن يتقدم عليها همزة يُطْلَب بها وبأم التعيين ، نحو ﴿ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ (٤) .

وسمّيت فى القسمين متّصلة ، لأنّ ماقبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر . وتسمّى أيضامعادلة لمعادلتها للهمزة ، فى إفادة التسوية فى القسم الأول والاستفهام فى الثانى.

ويفترق القسمان من أربعة أوجه :

أحدها وثانيها : أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تستحقُّ جوابا ، لأن المعنى معها ليس على الاستفهام ،وأن الكلام معها قابل للتصديق والتكذيب لأنه خبر ، وليستْ تلك كذلك؛ لأن الاستفهام منهاعلى حقيقته . والثالث والرابع : أن الواقعة بعد همزة التسوية لاتقع إلا بين جملتين ، ولا تكون الجملتان معها إلا فى تأويل المفردين وتكون الجملتان فعليتين واسميتين ومختلفتين . نحو (سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُون ﴾ (٥) ، وأم الأخرى تقع

---

(١) البقرة ٦ .
(٢) ابراهيم ٢١ .
(٣) المنافقون ٦ .
(٤) الأنعام ١٤٤ .
(٥) الأعراف ١٩٣ .

بين المفردين ، وهوالغالب فيها نحو ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ﴾ (١) .

وبين جملتين ليسا فى تأويلهما .

(النوع الثانى) : منقطعة ، وهى ثلاثة أقسام :

مسبوقة بالخبر المحض ، نحو ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) . ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ (٣) .

ومسبوقة بالهمزة لغير الاستفهام ، نحو ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ﴾ (٤) . إذ الهمزة فى ذلك للإنكار ، فهى بمنزلة النفى . والمتصلة لا تقع بعده .

ومسبوقة باستفهام بغير الهمزة . نحو ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمَاتُ وَالنُّور ﴾ (٥) .

ومعنى أم المنقطعة . الذى لا يفارقها الإضراب ، ثم تارة تكون له مجرّدًا وتارة تضمن مع ذلك استفهامًا إنكاريًا .

فمن الأول : ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمَاتُ وَالنُّور ﴾ (٦) . لأنه لا يدخل الاستفهام على استفهام .

ومن الثانى : ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُون ﴾ . (٧) تقديره : بل أله البنات إذ لو قدّرت الاضراب المحض لزم المحال .

---

(١) النازعات ٢٧ .
(٢) السجدة ٢ .
(٣) يونس ٣٨ .
(٤) الأعراف ١٩٥ .
(٥) الرعد ١٦ .
(٦) الرعد ١٦ .
(٧) الطور ٣٩ .

تنبيهان

الأول : قد ترد أم محتملة للاتصال وللانقطاع ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ ﴾(١) قال الزمخشرى : يجوز فى أم أن تكون معادلة بمعنى أىُّ الأمرين كائن على سبيل التقرير لحصول العلم بكون أحدهما ، ويجوز أن تكون منقطعة .

الثانى : ذكر أبو زيد ، أن أم تقع زائدة ، وخرّج عليه قوله تعالى : ﴿ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾ (٢) ، قال : التقدير : أفلا يبصرون أنا خير .

• • •

أمَّا

بالفتح والتشديد ، حرف شرط وتفصيل وتوكيد .

أمّا كونها حرف شرط ، فبدليل لزوم الفاء بعدها ، نحو ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ﴾ (٣) وأما قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ ﴾(٤) . فعلى تقدير القول أى فيقال لهم : أكفرتم ، فحذف القول استغناء عنه بالقول ، فتبعته الفاء فى الحذف . وكذا قوله ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِى تُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾(٥)

وأما التفصيل فهو غالب أحوالها كما تقدم ، وكقوله : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ ﴾(٦) ، ﴿ وَأَمَّا الْغُلاَمُ ﴾(٧) ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ ﴾ (٨) . وقد يترك تكرارها استغناء بأحد القسمين عن الآخر ، وسيأتى فى أنواع الحذف .

---

(١) البقرة ٨٠ .
(٢) الزخرف ٥١ ، ٥٢ .
(٣) البقرة ٢٦ .
(٤) آل عمران ١٠٦ .
(٥) الجاثية ٣١ .
(٦) الكهف ٧٩ .
(٧) الكهف ٨٠ .
(٨) الكهف ٨٢ .

وأما التوكيد فقال الزمخشريّ :فائدة : أمّافى الكلام أن تعطيَه فضل توكيد ، تقول : زيد ذاهب ، فإذا قصدت توكيد ذلك ، وأنه لا محالة ذاهب ، وأنه بصدد الذهاب ، وأنه منه عزيمة ، قلت : أما زيد فذاهب . ولذلك قال سيبويه فى تفسيره : مهما يكن من شىء فزيد ذاهب .

ويفصَل بين أما والفاء إما بمبتدأ كالآيات السابقة ، أوخبر ، نحو أما فى الدار فزيد ،أوجملة شرط نحو ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ • فَرَوْحٌ..﴾[١] الآيات ، أو اسم منصوب بالجواب ، نحو ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾[٢] أواسم معمول لمحذوف يفسره ما بعد الفاء ، نحو﴿وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾[٣] ، فى قراءة بعضهم بالنصب .

تنبيه

ليس من أقسام أمّا التى فى قوله تعالى ﴿ أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٤] ، بل هى كلمتان أم المنقطعةوما الاستفهامية .

• • •

إمّا

بالكسر والتشديد ، ترد لمعان :

الإبهام نحو : ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾[٥] والتخيير نحو ﴿ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾[٦] ، ﴿ إِمَّا أَنْ

(١) الواقعة ٨٨ ، ٨٩ .
(٢) الضحى ٩ .
(٣) فصلت ١٧ .
(٤) النمل ٨٤ .
(٥) التوبة ١٠٦ .
(٦) الكهف ٨٦ .

تُلْقِيَ وإمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴾(١) ، ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾(٢) .

والتفصيل ، نحو ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾(٣) .

تنبيهات

الأول : لاخلاف أن إمّا الأولى فى هذه الأمثلة ونحوها غير عاطفة ، واختلف فى الثانية . فالأكثرون على أنها عاطفة . وأنكره جماعة منهم ابن مالك ؛ لملازمتها غالباً الواو العاطفة . وادّعى ابن عصفور الإجماعَ على ذلك ، قال وإنما ذكروها فى باب العطف لمصاحبتها لحرفه . وذهب بعضهم إلى أنها عطفت الاسم على الاسم والواو عطفت إمّا على إمّا . وهو غريب .

الثانى : سيأتى أن هذه المعانى تكون « لأوْ » . والفرق بينها وبين إمّا ، أن إما يبنى الكلام معها من أوّل الأمرعلى ماجىء بهالأجله ، ولذلك وجب تكرارها وأو يفتتح الكلام معها على الجزم ، ثم يطرأ الإبهام أو غيره ولهذا لم يتكرر .

الثالث : ليس من أقسام إمّا ، التى فى قوله : ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا ﴾(٤) بل هى كلمتان : إن الشرطية وما الزائدة .

• • •

إنْ

بالكسر والتخفيف ، على أوجه :

الأول : أن تكون شرطية ، نحو ﴿ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾(٥) ﴿ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ ﴾(٦) ، وإذا دخلت على « لم » فالجزم بلم

(١) طه ٦٥ . (٢) محمد ٤ .
(٣) الانسان ٣ . (٤) مريم ٢٦ .
(٥) الأنفال ٣٨ . (٦) الأنفال ٣٨ .
(*) هذا اللفظ من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٦١ .

لابها . نحو ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾ (١) ، أوعلى لا ، فالجزم بها لا ، بلا ، نحو ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْلِي ﴾ (٢) ، ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوه ﴾ (٣) ، والفرق أن لم عامل يلزم معموله ، ولا يفصل بينهما بشيء ، وإنْ يجوز الفصل بينها وبين معمولها بمعموله ، ولا لا تعمل الجزم إذا كانت نافية ، فأضيف العمل إلى إن .

(الثانى) : أن تكون نافية ، وتدخل على الاسمية والفعلية ، نحو ﴿ إِنِ الْكَافِرونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ (٤) ، ﴿ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِى وَلَدْنَهُمْ ﴾ (٥) . ﴿ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى ﴾ (٦) ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا ﴾ (٧) . قيل : ولا تقع إلَّا وبعدها إلَّا كما تقدم أوْ لمَّا المشددة نحو ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ (٨) ، فى قراءة التشديد ورد بقوله : ﴿ إِنْ عِنْدَكُم مِن سُلْطَانٍ بِهَذَا ﴾ (٩) ، ﴿ وإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ ﴾ (١٠) .

ومما حمل على النافية قوله : ﴿ إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (١١) ، ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ ﴾ (١٢) . وعلى هذا فالوقف هنا . ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيه ﴾ (١٣) : أى فى الذى ما مكَّنَّاكُمْ فيه . وقيل : هى زائدة . ويؤيد الأول قوله : ﴿ مَكَّنَّاهُم فِى الْأَرْضِ مَالَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ ﴾ (١٤) . وعدل عن « ما » لئلا تتكرر فيثقل اللفظ .

قلت : وكونها للنفى هو الوارد عن ابن عباس كما تقدم فى نوع الغريب من طريق ابن أبى طلحة ، وقد اجتمعت الشرطية والنافية فى قوله : ﴿ وَلَئِنْ

---

(١) البقرة ٢٤ . (٢) هود ٤٧ .
(٣) التوبة ٤٠ . (٤) الملك ٢٠ .
(٥) المجادلة ٢ . (٦) التوبة ١٠٧ .
(٧) النساء ١١٧ . (٨) الطارق ٤ .
(٩) يونس ٦٨ . (١٠) الأنبياء ١١١ .
(١١) الأنبياء ١٧ . (١٢) الزخرف ٨١ .
(١٣) الأحقاف ٢٦ . (١٤) الأنعام ٦ .

زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا من أحد مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [١] ، وإذا دخلت النافية على الإسمية لم تعمل عند الجمهور ، وأجاز الكسائى والمبرِّد إعمالها عمل ليس ، وخرّج عليه قراءة سعيد بن جبير : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تدعون مِنْ دُونِ اللهِ عبادٌ أمثالكُمْ ﴾ [٢] .

فائدة أخرج : ابن أبى حاتم عن مجاهد ، قال : كلّ شىء فى القرآن « إن » فهو إنكار .

(الثالث) : أن تكون مخففة من الثقيلة ، فتدخل على الجملتين . ثم الأكثر إذا دخلت على الإسمية إهمالها ، نحو ﴿ وَإِنْ كُلّ ذَلِكَ لَما مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [٣] ، ﴿ وإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُون ﴾ [٤] ، ﴿ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ [٥] ، فى قراءة حفص وابن كثير .

وقد تعمل نحو ﴿ وَإِنْ كُلاًّ لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ ﴾ [٦] فى قراءة الحرميين ، وإذا دخلت على الفعل ، فالأكثر كونه ماضيا ناسخًا ، نحو ﴿ وإِنْ كَانَتَ لَكَبِيرَةً ﴾ [٧] ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [٨] ، ﴿ وإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُم لَفَاسِقِينَ ﴾ ، ودونه أن يكون مضارعا ناسخا ، نحو ﴿ وَإِنْ يكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ ﴾ [٩] ﴿ وإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الكَاذِبِين ﴾ [١٠] ، وحيث وجدت إنْ وبعدها اللام المفتوحة فهى المخففة من الثقيلة .

(الرابع) : أن تكون زائدة ، وخرّج عليه : ﴿ فِيمَا إِن مَكَّنَّاكُم فِيه ﴾ [١١]

(١) فاطر ٤١ .
(٢) الأعراف ١٩٤ .
(٣) الزخرف ٣٥ .
(٤) يس ٣٢ .
(٥) طه ٦٣ .
(٦) هود ١١١ .
(٧) البقرة ١٤٣ .
(٨) الاسراء ٧٣ .
(٩) القلم ٥١ .
(١٠) الشعراء ١٨٦ .
(١١) الأحقاف ٢٦ .

(*-*) اضافة عن طبعة الشيخ عثمـان عبدالرازق ص ١٦٢ .

(الخامس) : أن تكون للتعليل كإذ قاله الكوفيون ، وخرّجوا عليه قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ، ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ﴾(٢) ، ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٣) ونحو ذلك مما الفعل فيه محقّق الوقوع .

وأجاب الجمهور عن آية المشيئة بأنه تعليم للعباد كيف يتكلمون إذا أخبروا عن المستقبل، أو بأن أصل ذلك الشرط ، ثم صار يُذكر للتبرّك، أو أن المعنى : لتدخلن جميعا إن شاء الله ألاّ يموت منكم أحد قبل الدخول ، وعن سائر الآيات بأنه شرط جيء به للتهييج والإلهاب، كما تقول لابنك :إن كنت ابنى فأطعنى .

(السادس) : أن تكون بمعنى قد ، ذكره قطرب ، وخرّج عليه : ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾ (٤) . أى قد نفعت ، ولا يصح معنى الشرط فيه . لأنه مأمور بالتذكير على كل حال .

وقال غيره : هى للشرط ، ومعناه ذمّهم واستبعادٌ لنفع التذكر فيهم ، وقيل لتقدير :

وإن لم تنفع ، على حدّ قوله : ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ (٥) .

فائدة

قال : بعضهم : وقع فى القرآن إن بصيغة الشرط وهو غير مراد فى ستة مواضع :

---

(١) المائدة ٥٧ . (٢) الفتح ٢٧ .
(٣) آل عمران ١٣٩ . (٤) الأعلى ٩ .
(٥) النحل ٨١ .

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ (١) .

﴿ واشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُون ﴾ (٢) .

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ ولَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ ﴾ (٣) .

﴿ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ﴾ (٤) .

﴿ أَن تَقْصُروا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ ﴾ (٥) .

﴿ وبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا ﴾ (٦)

• • •

(أَنْ)

بالفتح والتخفيف على أوجه :

(الأول) : أن تكون حرفا مصدريا ناصبا للمضارع ، ويقع فى موضعين فى الإبتداء فيكون فى محلّ رفع ، نحو : ﴿ وأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (٧) ، ﴿ وأن تَعْفُوا أقربُ للتقْوَى ﴾ (٨) وبعد لفظ دالٌ على معنى اليقين فيكون فى محل رفع ، نحو ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ ﴾ (٩) ، ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ﴾ (١٠) .

ونصب نحو ﴿ نَخْشَى أن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ (١١) ، ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآن أَنْ يُفْتَرَى ﴾ (١٢) ، ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ (١٣) .

---

(١) النور ٣٣ .
(٢) النحل ١١٤ .
(٣) البقرة ٢٨٣ .
(٤) الطلاق ٤ .
(٥) النساء ١٠١ .
(٦) البقرة ٢٢٨ .
(٧) البقرة ١٨٤ .
(٨) البقرة ٢٣٧ .
(٩) الحديد ١٦ .
(١٠) البقرة ٢١٦ .
(١١) المائدة ٥٢ .
(١٢) يونس ٣٧ .
(١٣) الكهف ٧٩ .

وخفض نحو : ﴿ أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا ﴾ [1] ، ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُم الْموْتُ ﴾ [2] .

وأن هذه موصول حرفيّ وتُوصل بالفعل المتصرّف . مضارعًا كما مرّ . وماضيًا نحو ﴿ لَوْلاَ أَنْ منَّ اللهُ عَلَيْنَا ﴾ [3] ، ﴿ ولَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ ﴾ [4] .

وقد يرفع المضارع بعدها إهْمَالاً لها ، حملا على « ما » أختها كقراءة ابن محيصن : ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمُّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [5] .

الثانى : أن تكون مخففة من الثقيلة ، فتقع بعد فعل اليقين أو ما نُزِّل منزلته نحو ﴿ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ﴾ [6] . ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ ﴾ [7] ﴿ وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونُ ﴾ [8] ، فى قراءة الرفع .

الثالث : أن تكون مفسرة بمنزلة أيْ ، نحو ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [9] ، ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ ﴾ [10] . وشرطها أن تسبق بجملة ، فلذلك غلط من جعل منها : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [11] .

وَأَنْ يَتَأَخَّر عنها جملة ، وأن يكون فى الجملة السابقة معنى القول . ومنه ﴿وَانْطلقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾ [12] . إِذْ لَيْسَ الْمُرَاد بالانطلاق المشى ، بل انطلاق ألسنتهم بهذا الكلام ، كما أنه ليس المراد المشى المتعارَف بل الاستمرار على المشى .

---

(١) الأعراف ١٢٩ .
(٢) المنافقون ١٠ .
(٣) القصص ٨٢ .
(٤) الاسراء ٧٤ .
(٥) البقرة ٢٣٣ .
(٦) طه ٨٩ .
(٧) المزمل ٢٠ .
(٨) المائدة ٧١ .
(٩) المؤمنون ٢٧ .
(١٠) الأعراف ٤٣ .
(١١) يونس ١٠ .
(١٢) ص ٦ .

وزعم الزمخشرىّ أنّ التى فى قوله : ﴿ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ (١) مفسّرة ، بأن قبله : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النحل ﴾ ، والوحى هنا إلهام باتّفاق ، وليس فى الإلهام معنى القول ، وإنما هى مصدرية ، أى باتخاذ الجبال ، وألاّ يكون فى الجملة السابقة أحرف القول .

وقال الزمخشرىّ فى قوله : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِى بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ (٢) : إنه يجوز أن تكون مفسّرة للقول على تأويله بالأمر ، أى ما أمرتهم إلا بما أمرتنى به أن اعبدوا الله .

قال ابن هشام : وهو حسن ، وعلى هذا فيقال فى الضابط ألا تكون فيه حروف القول (*) إلا القول مؤوّل بغيره .

قلت : وهذا من الغرائب ، كونهم يشرطون أن يكون فيها معنى القول فإذا جاء لفظه أوّلوه بما فيه معناه مع صريحه ، وهو نظير ماتقدّم من جعلهم أل فى الآن زائدة مع قولهم بتضمّنها معناها ، وألاّ يدخل عليها حرف جرّ .

الرابع : أن تكون زائدة ، والأكثر أن تقع بعد لمّا التوقيتية ، نحو ﴿ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا ﴾ (٣) .

وزعم الأخفش أنها تنصب المضارع وهى زائدة ، وخرّج عليه ﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٤) ، : ﴿ وَمَالَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٥) ، قال : فهى زائدة بدليل : ﴿ وَمَالَنَا لانُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ (٦) .

الخامس : أن تكون شرطية كالمكسورة ، قاله الكوفيّون . وخرجوا عليه :

---

(١) النحل ٦٨ .
(٢) المائدة ١١٧ .
(٣) العنكبوت ٣٣ .
(٤) البقرة ٢٤٦ .
(٥) ابراهيم ١٢ .
(٦) المائدة ٨٤ .

(*) هذا اللفظ ساقط من الأصل والاضافة من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٦٣ .

﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾ (١) ، ﴿ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (٢) ، ﴿ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾ (٣) . قال ابن هشام : ويرجّحه عندى تواردُهما على محل واحد ، والأصل التوافق . وقد قرئ بالوجهين فى الآيات المذكورة ، ودخول الفاء بعدها فى قوله : ﴿ فَتُذَكِّرَ ﴾ .

السادس : أنْ تكون نافية ، قال بعضهم . فى قوله : ﴿ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ (٤) ، أى لا يؤتى ، والصحيح أنها مصدرية ، أى ولا تؤمنوا أن يؤتى ، أى بإيتاء أحد .

السابع : أن تكون للتعليل كإذْ ؛ قاله بعضهم فى قوله تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴾ (٥) ، ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا ﴾ (٦) والصواب أنها مصدرية ، وقبْلها لام العلة مقدّرة.

الثامن : أن تكون بمعنى لئلاّ ، قاله بعضهم فى قوله : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ (٧) ، والصواب أنها مصدرية ، والتقدير : كراهة أن تضلُّوا .

* * *

إنَّ

بالكسر والتشديد ، على أوجه :

أحدها : التأكيد والتحقيق ، وهو الغالب نحو ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٨) ، ﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ (٩) : قال عبد القاهر : والتأكيد بها أقوى من التأكيد

(١) البقرة ٢٨٢ .
(٢) المائدة ٢ .
(٣) الزخرف ٥ ، وانظر المغنى ٣٥ .
(٤) آل عمران ٧٣ .
(٥) ق ٢ .
(٦) الممتحنة ١ .
(٧) النساء ١٧٦ .
(٨) البقرة ١٧٣ .
(٩) يس ١٦ .

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص١٦٣ «كما» .

بالام ، قال : وأكثر مواقعها بحسب الاستقراء ، والجواب لسؤال ظاهر أومقدّر إذا كان للسائل فيه ظنّ .

والثانى : التعليل ، أثبته ابن جنّى وأهل البيان ، ومثّلوه بنحو ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [١] ، ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ [٢] ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِى إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [٣] ، وهو نوع من التأكيد

الثالث : معنى نعم ، أثبته الأكثرون ، وخرّج عليه قوم منهم المبرّد : ﴿ إنَّ هذان لَسَاحِرَانِ ﴾ [٤] .

• • •

أنّ

بالفتح والتشديد على وجهين :

أحدهما : أن تكون حرف تأكيد ، والأصحّ أنها فرع المكسورة ، وأنها موصول حرفىّ تؤوّل مع اسمها وخبرها بالمصدر ، فإن كان الخبر مشتقًّا فالمصدر المؤوّل به من لفظه نحو ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٥] أى قدرته ، وإن كان جامدا قُدِّرَ بالكون .

وقد استشكل كونُها للتأكيد ، بأنّك لو صرّحت بالمصدر المنسبِك منها لم يفد تأكيدًا ، وأجيب بأن التأكيد للمصدر المنحلّ ، وبهذا يُفرق بينها وبين المكسورة لأن التأكيد فى المكسورة للإسناد ، وهذه لأحد الطرفين .

الثانى : أن يكون لغة فى « لعلّ » وخرّج عليها : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٦] ، فى قراءة الفتح ، أى لعلها .

---

(١) المزمل ٢٠ . (٢) التوبة ١٠٣ .
(٣) يوسف ٥٣ . (٤) طه ٦٣ .
(٥) الطلاق ١٢ . (٦) الأنعام ١٠٩ .

أنَّى

اسم مشترك بين الاستفهام والشرط ، فأمّا الاستفهام فترد فيه بمعنى كيف نحو ﴿ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ (١) ، ﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٢) . ومن أين ، نحو ﴿ أَنَّى لَكِ هَٰذَا ﴾ (٣) ، أى : من أين أتى هذا : أى من أين جاءنا .

قال فى عروس الأفراح : والفرق بين أين ومن أين ، أن أين سؤال عن المكان الذى حلّ فيه الشىء ، ومن أين سؤال عن المكان الذى برز منه الشىء وجعل من هذا المعنى ماقرئ شاذًّا ﴿ أَنَّى صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾(٤) .

وبمعنى متى . وقد ذكرت المعانى الثلاثة فى قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ (٥) .

وأخرج ابن جرير الأول من طريق عن ابن عباس . وأخرج الثانى عن الربيع بن أنس واختاره ، وأخرج الثالث عن الضحّاك . وأخرج قولا رابعا عن ابن عمر وغيره ، أنها بمعنى « حيث شئتم » . واختار أبو حيّان وغيره أنها فى الآية شرطيّة ، وحذف جوابها لدلالة ماقبلها عليه ؛ لأنها لو كانت استفهامية لاكتفت بما بعدها ، كما هو شأن الاستفهامية ، أن تكتفىَ بما بعدها ؛ أى تكون كلامًا يحسُن السكوت عليه إن كان اسما أو فعلًا .

• • •

(أَوْ)

حرف عطف ترد لمعان :

الشك من المتكلم ، نحو ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ (٦) .

---

(١) البقرة ٢٥٩ .　　(٢) التوبة ٣٠ .

(٣) آل عمران ٣٧ .

(٤) عبس ٢٥ وفى البرهان ٤ : ٢٤٩ : « أى من أين » . فيكون الوقف على قوله : « إلى طعامه » .

(٥) البقرة ٢٢٣ .　　(٦) المؤمنون ١١٢ .

والإبهام على السّامع ، نحو ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبين﴾(١)

والتخيير بين المعطوفين ، بأن يمتنع الجمع بينهما .

والإباحة بألّا يمتنع الجمع .

ومثل الثانى بقوله : ﴿وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوت آبَائِكُمْ ..﴾(٢) الآية ، ومثل الأول بقوله تعالى : ﴿فَفِدْيَةٌ مِن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾(٣) ، وقوله : ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾(٤) .

واستشكل بأن الجمع فى الآيتين غير ممتنع .

وأجاب ابنُ هشام بأنه ممتنع بالنسبة إلى وقوع كلّ كفارة أو فدية ، بل يقع واحدمنهنّ كفارة أو فدية ، والباقى قربة مستقلة خارجة عن ذلك .

قلت : وأوضح من هذا التمثيل قوله : ﴿أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ...﴾(٥) الآية ، على قول منْ جعل الخيرة فى ذلك إلى الإمام ، فإنه يمتنع عليه الجمع بين هذه الأمور بل يفعل منها واحدا يؤدّى اجتهاده إليه .

والتفصيل بعد الإجمال ، نحو ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾(٦) ﴿إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾(٧) ، أى قال بعضهم كذا وبعضهم كذا .

والإضراب كبل ، وخرّج عليه : ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾(٨) ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾(٩) ، وقراءة بعضهم : ﴿أَوْ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾(١٠) ، بسكون الواو .

(١) سبأ ٢٤ .
(٢) النور ٦١ .
(٣) البقرة ١٩٦ .
(٤) المائدة ٨٩ .
(٥) المائدة ٣٣ .
(٦) البقرة ١٣٥ .
(٧) الذاريات ٥٢ .
(٨) الصافات ١٤٧ .
(٩) النجم ٩ .
(١٠) البقرة ١٠٠ .

ومطلق الجمع كالواو ، نحو﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (١) ، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (٢) .

والتقريب ، ذكره الحريرى وأبو البقاء ، وجعل منه : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ (٣) .

ورُدّ بأنَّ التقريب مستفاد من غيرها .

ومعنى إلا فى الاستثناء ومعنى إلى ، وهاتان ينصب المضارع بعدهما بأن مضمرة ، وخرّج عليها ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ (٤) . فقيل : إنه منصوب لامجزوم بالعطف على « تمسوهُنّ » ، لئلا يصير المعنى : لاجناح عليكم فيما يتعلق بمهور النساء إن طلقتموهنّ فى مدة انتفاء أحد هذين الأمرين ، مع أنه إذا انتفى الفرض دون المسيس لزم مهر المثل ، وإذا انتفَى ، المسيس دون الفرض لزم نصف المسمّى ؛ فكيف يصحّ دفع الجناح عند انتفاء أحد الأمرين ! ولأنَّ المطلّقات المفروض لهنّ قد ذُكرن ثانيًا بقوله : (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ ...) الآية ،وترك ذكر الممسوسات لما تقدم من المفهوم ، ولو كانت « تفرضوا » مجزومًا لكانت الممسوسات والمفروض لهنّ مستويات فى الذكر .وإذا قدّرت «أو» بمعنى « إلاّ » خرجت المفروض لهنّ عن مشاركة الممسوسات فى الذكر ، وكذا إذا قدّرت بمعنى « إلى » وتكون غاية لنفى الجناح لالنفى المسيس .

وأجاب ابن الحاجب عن الأول بمنع كون المعنى مدّة انتفاء أحدهما ، بل مدّة لم يكن واحد منهما ، وذلك بنفيهما جميعًا ، لأنه نكرة فى سياق النفى الصريح .

---

(١) طه ٤٤ .
(٢) طه ١١٣ .
(٣) النحل ٧٧ .
(٤) البقرة ٢٣٦ .

وأجاب بعضهم عن الثانى ، بأنّ ذكْر المفروض لهنّ ، إنما كان لتيقُّن النصف لهنّ لالبيان أن لهنّ شيئا فى الجملة .

وممّا خرّج على هذا المعنى قراءة أبىّ : ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوَ يُسْلِمُوا﴾(١)

تنبيهات

(الأول) : لم يذكر المتقدمون لأوْهذه المعانى بَل قالوا : هى لأحد الشيئين أو الأشياء ، قال ابن هشام : وهو التحقيق والمعانى المذكورة مستفادة من القرائن (٢) .

(الثانى) : قال أبو البقاء : « أو » فى النّهى نقيضة « أو » فى الإباحة فيجب اجتناب ، الأمرين كقوله : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً ﴾ (٣) ، فلا يجوز فعل أحدهما ، فلو جمع بينهما كان فعلا للمنهى عنه مرتين ، لأن كل واحدمنهما أحدهما (٤) .

وقال غيره : « أو » فى مثل هذا بمعنى الواو ، تفيد الجمع .

وقال الطيبى : الأوْلى أنها على بابها ، وإنما جاء التعميم فيها من النهى الذى فيهمعنى النفى ، والنّكرة فىسياق النّفى تعمّ ، لأن المعنى قبل النهى : « تطيع آثمًا أو كفورًا » ، أى واحداً منهما ، فإذا جاء النّهى ورد على ما كان ثابتاً فالمعنى : لاتطع واحدا منهما ، فالتعميم فيهما من جهة النهى ، وهى على بابها

(الثالث) : لكون مبناهاعلى عدم التشر يك عادالضمير إلى مفردها بالإفراد ، بخلاف الواو ، وأما قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فقيراً فالله أولى بهما ﴾ (٥) فقيل : إنها بمعنى الواو ، وقيل : المعنى إن يكن الخصمان غنيّين أو فقيرين .

---

(١) الفتح ١٦ .
(٢) المغنى ١ : ٦٧ .
(٣) الانسان ٢٤ .
(٤) انظر املاء مامن به الرحمن لأبى البقاء ١ : ١٤٩ .
(٥) النساء ١٣٥ .

فائدة

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس : كلّ شيء فى القرآن « أو » فهو مخير فإذا كان « فمن لم يجد » فهو الأول فالأول .

وأخرج البيهقىّ فى سننه عن ابن جريج ، قال : كل شىء فى القرآن فيه « أو » فللتخيير إلا قوله : ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْيُصَلَّبُوا ﴾[1] ليس بمخيّر فيها . قال الشافعى : وبهذا أقول .

أَوْلَى

فى قوله تعالى : ﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾[2] ،وفى قوله تعالى : ﴿ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴾[3] .

قال فى الصحاح : قولهم : « أولى لك » كلمة تهديد ووعيد ، قال الشاعر :

« فَأَوْلَى لَهُ ثُمَّ أَوْلَى لَهُ »

قال الأصمعىّ : فمعناه قاربه مايهلكه ، أى نزل به . قال الجوهرىّ : ولم يقل أحد فيها أحسن ممّا قال الأصمعىّ .

وقال قومٌ : هو اسم فعل مبنىّ ، ومعناه : وَلِيَكَ شرّ بعد شر . و « لك » تبيين .

وقيل : هو عَلَم للوعيد غير مصروف ، ولذا لم ينوّن ، وإنّ محله رفع على الابتداء ولك الخبر ، ووزنه على هذا « فَعْلَى » ، والألف للإلحاق وقيل « افعل »

وقيل : معناه الويل لك ، وأنه مقلوب منه ، والأصل « أوَيل » ، فأُخّر حرف العلة ، ومنه قول الخنساء :

هَمَمْتُ لِنَفْسِيَ بعضَ الهمـــوم   فأولى لنفسى أولى لها[4]

(١) المائدة ٣٣ .
(٢) القيامة ٣٤ .
(٣) محمد ٢٠ .
(٤) ديوانها ٢٠٤ .

وقيل : معناه : الذمّ لك أولى من تركه ، فحذف المبتدأ لكثرة دورانه فى الكلام . وقيل : المعنى : أنت أولى وأجدر بهذا العذاب .

وقال ثعلب : أولى لك فى كلام العرب معناه مقاربة الهلاك ، كأنه يقول : قد وليت الهلاك ، أو وقد دانيت الهلاك ، وأصله من الوَلْيِ وهو القرب ، ومنه : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ ﴾ (١) ، أي يقربُون منكم .

وقال النحّاس : العرب تقول : أولى لك ، أى كدت تهلك ، وكأنّ تقديره : أولى لك الهلكة .

إى

بالكسر والسكون ، حرف جواب بمعنى نعم ، فتكون لتصديق المخبر ، ولإعلام المستخبر ، ولوَعْدِ الطالب ، قال النحاة : ولا تقع إلاّ قبل القسَم

قال ابن الحاجب : وإلاّ بعد الاستفهام ، نحو : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي ﴾ (٢) .

• • •

أىّ

بالفتح والتشديد ، على أوجه :

(الأول) : أن تكون شرطية ، نحو ﴿ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ﴾ ، (٣) ﴿ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (٤) .

(الثانى) :استفهامية نحو ﴿ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ﴾ (٥) ، وإنّما يُسْأَلُ

(١) التوبة ١٢٣ .
(٢) يونس ٥٣ .
(٣) القصص ٢٨ .
(٤) الاسراء ١١٠ .
(٥) التوبة ١٢٤ .

بها عمّا يميّز أحد المتشاركين فى أمرٍ يعمّهما ، نحو ﴿ أىُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا ﴾(١) أى أنحن أم أصحاب محمد !

(الثالث) : موصولة ، نحو ﴿ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ ﴾(٢) .

وهى فى الأوجه الثلاثة معربة ، وتبنى فى الوجه الثالث على الضمّ إذا حذف عائدها وأضيفت كالآية المذكورة . وأعربها الأخفش فى هذه الحالة أيضا ، وخرّج عليه قراءة بعضهم بالنّصب ، وأوّلَ قراءة الضمّ على الحكاية ، وأوّلها غيرُه على التعليق للفعل ، وأوّلها الزمخشرى على أنها خبر مبتدأ محذوف ، وتقدير الكلام : لننزِعَنَّ بعض كل شيعة ، فكأنّه قيل : مَنْ هذا البعض ؛ فقيل : هو الذى أشدّ ، ثم حذف المبتدآن المكتنفان لأىّ .

وزعم ابنُ الطّراوة أنها فى الآية مقطوعة عن الإضافة مبنية ؛ وأنّ « همْ أشدّ » مبتدأ وخبر . ورُدّ برسم الضمير متصلا بأىْ ، وبالإجماع على إعرابها إذا لم تُضَف .

الرابع : أن تكون وصلة إلى نداء مافيه أل ، نحو ﴿ يـأَيها النـاس ﴾ ، ﴿ يـأَيها النبىّ ﴾ .

• •

إيّا

زعم الزجّاج أنها اسم ظاهر ، والجمهور ضمير ، ثم اختلفوا فيه على أقوال :

(أحدها) : أنه كله ضمير هو وما اتّصل به .

(والثانى) : أنه وحده ضمير وما بعده اسم مضاف له يفسّر مايراد به

---

(١) مريم ٧٣ (٢) مريم ٦٩ .

من تكلّم وغيبة وخطاب ، نحو ﴿ فإيَّاىَ فارْهَبُونِ ﴾ [(١)] ، ﴿ بَل إيّاهُ تَدْعُونَ ﴾ [(٢)] ﴿ إيّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [(٣)] .

(والثالث) : أنه وحده ضمير ومابعده حروف تُفَسِّر المراد .

(والرابع) : أنه عماد ، وما بعده هو الضمير . وقد غلط مَنْ زعم أنه مشتق ، وفيه سبع لغات قرئ بها : بتشديد الياء وتخفيفها مع الهمزة ، وإبدالها ها مكسورة ومفتوحة ، هذه ثمانية يسقط منها بفتح الهاء التشديد .

• • •

أيَّان

اسم استفهام ، وإنما يُستفهم به عن الزمان المتقبل ، كما جزم به ابن مالك وأبو حيّان ، ولم يذكر فيه خلافا .

وذكر صاحب إيضاح المعانى مجيئَها للماضى .

وقال السكاكىّ : لاتستعمل إلا فى مواضع التفخيم ، نحو ﴿ أيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ [(٤)] ، ﴿ أيَّانَ يَوْمُ الدِّين ﴾ [(٥)] .

والمشهور عند النُّحاة أنها كَمَتَى تستعمل فى التفخيم وغيره .

وقال بالأول من النُّحاة علىّ بن عيسى الرَّبَعىّ ، وتبعه صاحب البسيط فقال : إنما تستعمل فى الاستفهام عن الشىء المعظَّم أمره .

وفى الكشاف : قيل إنها مشتقّةمن أىّ ، « فَعْلان » منه لأن معناه أىّ وقت وأىّ فعل ، من آويت إليه ، لأن البعض آوٍ إلى الكلّ ومتساند ، وهو بعيد

---

(١) النحل ٥١ .
(٢) الأنعام ٤١ .
(٣) الفاتحة ٤ .
(٤) الأعراف ١٨٧ .
(٥) الذاريات ١٢ .

وقيل : أصله أيُّ آنٍ .

وقيل : أيّ أوانٍ ، حذفت الهمزة من « أوان » ، والياء الثانية من « أيّ » ، وقلبت الواوياء وأدغمت الساكنة فيها ، وقرئ بكسر همزتها .

• • •

أيْنَ

اسم استفهام عن المكان ، نحو ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُون ﴾ (١) ، وتردُ شرطًا عامًا فى الأمكنة ، وأينما أعمّ منها ، نحو ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ (٢)

• • •

الباء المفردة

حرف جرّ له ، معانٍ ، أشهرها الإلصاق ، ولم يذكر لها سيبويه غيره

وقيل : إنه لايفارقها ، قال فى شرح اللبّ : وهو تعلق أحد المعنيين بالآخر ، ثم قد يكون حقيقة ، نحو ﴿ وامْسَحُوا بِرُءوسِكُمْ ﴾ (٣) أى ألصقوا المسْحَ برءوسكم ، ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ (٤) . وقد يكون مجازا ، نحو ﴿ وإِذَا مَرُّوا بِهِمْ ﴾ (٥) أى بمكانٍ تقربون منه .

(الثانى) : التعدية كالهمزة ، نحو ﴿ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ ﴾ (٦) ، ﴿ وَلَوْ شاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾ (٧) ، أى أذهبه كما قال : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ﴾ (٨) .

---

(١) التكوير ٢٦ .
(٢) النحل ٧٦ .
(٣) المائدة ٦ .
(٤) المائدة ٦ .
(٥) المطففين ٣٠ .
(٦) البقرة ١٧ .
(٧) البقرة ٢٠ .
(٨) الأحزاب ٣٣ .

وزعم المبرّد والسّهيلىّ أن بين تعدية الباء والهمزة فرقًا ، وأنك إذا قلت ذهبت بزيد كنت مصاحبا له فى الذهاب ، وردّ بالآية .

(الثالث) : الاستعانة ، وهى الداخلة على آلة الفعل كباء البسملة .

(الرابع) السببية وهى التى تدخل على سبب الفعل ، نحو ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾ (١) ﴿ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم باتّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ﴾ (٢) ، ويعبّر عنها أيضا بالتعليل .

(الخامس) : المصاحبة كمع ، نحو ﴿ اهْبِطْ بِسَلَامٍ ﴾ (٣) ، ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ ﴾ (٤) ، ﴿ فَسَبِّحْ بحمد رَبِّكَ ﴾ (٥) .

(السادس) : الظرفية كفى ، زمانا ومكانا ، نحو ﴿ نَجَّيْنَاهم بِسَحَرٍ ﴾ (٦) ﴿ ولَقَدْ نَصَرَكُمْ اللهُ بِبَدْرٍ ﴾ (٧) .

(السابع) : الاستعلاء كعَلَى ، نحو ﴿ مَنْ إنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ ﴾ (٨) ، أى عليه ، بدليل ﴿ إلاَّ كما أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ ﴾ (٩) .

(الثامن) : المجاوزة كعن ، نحو : ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرا ﴾ (١٠) . أى عنه ، بدليل : ﴿ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ﴾ (١١) ، ثم قيل : تَختصّ بالسؤال وقيل : لا ، نحو ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ (١٢) ، أى وعن أيمانهم ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بالْغَمَامِ ﴾ (١٣) ، أى عنه .

(١) العنكبوت ٤٠ .
(٢) البقرة ٥٤ .
(٣) هود ٤٨ .
(٤) النساء ١٧٠ .
(٥) الحجر ٩٨ .
(٦) القمر ٣٤ .
(٧) آل عمران ١٢٣ .
(٨) آل عمران ٧٥ .
(٩) يوسف ٦٤ .
(١٠) الفرقان ٥٩ .
(١١) الاحزاب ٢٠ .
(١٢) التحريم ٨ .
(١٣) الفرقان ٢٥ .

(التاسع) : التبعيض كمن ، نحو : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ (١) أي منها .

(العاشر) : الغاية كإلى نحو : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي ﴾ (٢) ، أي إلي .

(الحادى عشر) : المقابلة ، وهي الداخلة على الأعواض . نحو : ﴿ أُدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) ، وإنما لم نقدرها باء السببية كما قال المعتزلة لأن المعطى بعوض قد يعطى مجانًا ، وأمّا المسبَّب فلا يوجد بدون السبب .

(الثاني عشر) : التوكيد ، وهي الزائدة ، فتزاد في الفاعل وجوبًا في نحو : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وأَبْصِرْ ﴾ (٤) ، وجوازًا غالبًا في ، نحو ﴿ وكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (٥) ، فإن الاسم الكريم فاعل ، و «شهيدا» نصبٌ على الحال أو التمييز ، والباء زائدة ودخلت لتأكيد الاتصال ، لإن الاسم في قوله : ﴿ كَفَى بِاللَّهِ ﴾ متصل بالفعل اتصال الفاعل .

قال ابن الشجري : وفعل ذلك إيذانًا بأن الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره في عُظْم المنزلة ، فضوعف لفظها لتضاعف معناها . وقال الزجّاج : دخلت لتضمّن « كفى » معنى « أكتفى » .

قال ابن هشام : وهو من الحسن بمكان (٦)

وقيل الفاعل مقدّر والتقدير كفى الاكتفاء بالله ، فحذف المصدر وبقي معموله دالاً عليه .

---

(١) الانسان ٦ .
(٢) يوسف ١٠٠ .
(٣) النحل ٣٢ .
(٤) مريم ٣٨ .
(٥) النساء ٧٩ .
(٦) المغنى ١ : ١٠٦ .

ولا تزاد فى فاعل « كفى » بمعنى وقى : نحو ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ ﴾ (١) ، ﴿ وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ (٢) .

وفى المفعول نحو : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (٣) ، ﴿ وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ (٤) ، ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ (٥) ، ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ ﴾ (٦) .

وفى المبتدأ نحو : ﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ (٧) ، أى أيكم . وقيل : هى ظرفية ، أى فى أىّ طائفة منكم .

وفى اسم ليس فى قراءة بعضهم : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا ﴾ (٨) ، بنصب « البرّ » .

وفى الخبر المنفىّ نحو : ﴿ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ ﴾ (٩) ، قيل : والموجَب ، وخرّج عليه : ﴿ جزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ (١٠) .

وفى التوكيد ، وجعل منه : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾ (١١)

فائدة

اختلف فى الباء ، من قوله : ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ (١٢) . فقيل : للإلصاق ، وقيل : للتبعيض ، وقيل : زائدة ، وقيل : للاستعانة ، وإن فى الكلام حذفًا وقلبا ، فإن « مسح » يتعدّى إلى المزال عنه بنفسه ، وإلى المزيل بالباء ، فالأصل « امسحوا رءوسكم » بالماء .

---

(١) البقرة ١٣٧ .
(٢) الأحزاب ٢٥ .
(٣) البقرة ١٩٥ .
(٤) مريم ٢٥ .
(٥) الحج ١٥ .
(٦) الحج ٢٥ .
(٧) القلم ٦ .
(٨) البقرة ١١٧ ، وهى قراءة حمزة وحفص .
(٩) البقرة ٧٤ .
(١٠) يونس ٢٧ .
(١١) البقرة ٢٢٨ .
(١٢) المائدة ٦ .

بل

حرف إضراب إذا تلاها جملة :

ثم تارة يكون معنى الإضراب الإبطال لما قبلها ، نحو : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ ولَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ (١) ، أى بل هم عباد ، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾ (٢) .

وتارة يكون معناه الانتقال من غرض إلى آخر ، نحو : ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بالحقِّ وهُمْ لَا يُظْلَمُون • بل قلوبهم فى غَمْرَةٍ مِنْ هَٰذَا ﴾ (٣) ، فما قبْل « بل » فيه على حاله ، وكذا ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى • وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى • بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (٤) .

وذكر ابن مالك فى شرح كافيته : أنَّها لاتقع فى القرآن إلا على هذا الوجه ، ووهمّه ابن هشام ، وسبق ابن مالك إلى ذلك صاحبُ البسيط ، ووافقة ابن الحاجب . فقال فى شرح المفصل : إبطال الأوّل وإثباته للثانى إن كان فى الإثبات من باب الغلط ، فلا يقع مثله فى القرآن . انتهى .

أمّا إذا تلاها مفرد فهى حرف عطف ، ولم تَقع فى القرآن كذلك .

• • •

بَلَى

حرف أصليّ الألف ، وقيل : الأَصل « بل » والألف زائدة ، وقيل : هى للتأنيث بدليل إمالتها .

---

(١) الأنبياء ٢٦ .

(٢) المؤمنون ٧٠ .

(٣) المؤمنون ٦٢ ، ٦٣ .

(٤) الأعلى ١٥ — ١٦ .

ولها موضعان :

أحدهما : أن تكون ردًا لنفى يقع قبلها ، نحو ﴿ مَاكُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى ﴾[١] أي عملتم السوء ، ﴿ لَايَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى ﴾[٢] أى يبعثهم ، ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بلى وربى لَتُبْعَثُنَّ ﴾[٣] ، ﴿ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾[٤] ثم قال : ﴿ بَلَى ﴾[٥] أى عليهم سبيل ، ﴿ وقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نصارَى ﴾[٦] ، ثم قال ﴿ بَلَى ﴾[٧] أى ، يدخلها عليهم ، ﴿وقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾[٨] ثم قال : ﴿ بَلَى ﴾[٩] ، أى تمسّهم ويخلدون فيها .

الثانى : أن تقع جوابًا لاستفهام دخل على نفى فتفيد إبطاله ؛ سواء كان الاستفهام حقيقيًا نحو : أليس زيد بقائم ؟ فتقول : بلى ، وتوبيخًا نحو : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَانَسْمَعُ سِرَّهُمْ ونَجْوَاهُمْ بلى ﴾[١٠] ، ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ٠ بَلَى ﴾[١١] ، أو تقريريًا نحو : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾[١٢] : قال ابن عباس وغيره : لو قالوا : نعم ، كفروا ، ووجهه أنّ نعم تصديق للمخبر بنفى أو إيجاب ، فكأنهم قالوا لستَ ربَّنا ، بخلاف بلى، فإنها لإبطال النفى ، فالتقدير : أنت ربّنا .

ونازع فى ذلك السهيلىّ وغيره بأنَّ الاستفهام التقريرىّ خبر موجب ، ولذلك امتنع سيبويه من جعل أم متّصلة فى قوله : ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُون ٠ أَمْ أَنَا

(١) النحل ٢٨ ٠
(٢) النحل ٣٨ ٠
(٣) التغابن ٧ ٠
(٤) آل عمران ٧٥ ٠
(٥) آل عمران : ٧٦ ٠
(٦) البقرة : ١١١ ٠
(٧) البقرة : ١١٢ ٠
(٨) البقرة : ٨٠ ٠
(٩) البقرة : ٨١ ٠
(١٠) الزخرف ٨٠ ٠
(١١) القيامة ٣ ، ٤ ٠
(١٢) الأعراف ١٧٢ ٠

خَيْرٌ ﴾[١] ، لأنها لاتقع بعد الإيجاب ، وإذا ثبت أنَّه إيجاب فَنَعمَ بعد الإيجاب تصديق له . انتهى . .

قال ابن هشام : ويشكل عليهم أن بَلَى لايجاب بها عن الإيجاب اتفاقا [٢]

• • •

بئس

فعلٌ لإنشاء الذم لايتصرّف .

• • •

بين

قال الراغب : هي موضوعة للخلل بين الشيئين ووسطهما ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ [٣]

وتارة تستعمل ظرفًا وتارة اسمًا ، فمن الظرف ﴿ لَا تقدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [٤] . ﴿ فقدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ [٥] ، ﴿ فاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالحَقِ ﴾ [٦] .

ولا تستعمل إلا فيما له مسافة نحو بين البلدين أوله عدد ما : اثنان فصاعدا ، نحو : وبين الرجلين . وبين القوم . ولا يضاف إلى ما يقتضي معنى الوحدة إلاَّ إذا كرِّر نحو : ﴿ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ [٧] ، ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعدًا ﴾ [٨] . وقرئ قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ [٩] ، بالنصب على أنه ظرف ، وبالرفع على إنه اسم مصدر بمعنى الوصل .

---

(١) الزخرف ٥١ ، ٥٢ .
(٢) المغنى ١ : ١١٥
(٣) الكهف ٣٢ .
(٤) الحجرات ١ .
(٥) المجادلة ١٢ .
(٦) ص ٢٢ .
(٧) فصلت ٥ .
(٨) طه ٥٨ .
(٩) الأنعام ٩٤ .

ويحتمل الأمرين قوله تعالى : ﴿ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا ﴾ (٢) ، أى فراقهما .

• • •

التاء

حرف جر معناه القسم ، يختصّ بالتعجب وباسم الله تعالى ؛ قال فى الكشاف فى قوله : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾ (٣) : الباء أصل حرف القسم ، والواو بدل منها ، والتاء بدل من الواو ، وفيها زيادة معنى التعجّب ، كأنّه تعجّب من تسهّل الكيد على يديه وتأتّيه مع عُتُوّ نمروذ وقهره . انتهى .

• • •

تبارك

فعل لايستعمل إلاّ بلفظ الماضى ولا يستعمل إلاّ لله .

• • •

تعال

فعل أمر(*) ، لايتصّرف ، ومن ثمّ قيل : إنه اسم فعل .

• • •

ثُمَّ

حرف يقتضى ثلاثة أمور :

التشريك فى الحكم ، والترتيب ، والمهلة ، وفى كلٍّ خلافٌ .

أما التشريك فزعم الكوفيوّن والأخفش أنه قد يتخلّف بأن تقع زائدة

---

(١) الأنفال ١ . (٢) الكهف ٦١ .

(٣) الأنبياء ٥٧ .

(*) هذا اللفظ من طبعة الشيخ عثمان عبدالرازق ص ١٦٧ .

فلا تكون عاطفة البتَّة ، وخرّجوا على ذلك : ﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَامَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾(١) .

وأجيب بأن الجواب فيها مقدَّر .

وأمَّا الترتيب والمهلة فخالف قومٌ فى اقتضائها إيَّاهما تمسُّكًا بقوله : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (٢) ، ﴿ وبَدَأَخَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ ﴾ (٣) ، ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾(٤) . والاهتداء سابق على ذلك ، ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ (٥) .

وأجيب : عن الكل بأنَّ ثم لترتيب الأخبار لا لترتيب الحكم .

قال ابن هشام : وغير هذا الجواب أنفع منه لأنه يصحِّح الترتيب فقط لا المهلة ، إذ لا تراخيَ بين الإخبارين . والجواب المصحِّح لهما ما قيل فى الأولى : إن العطف على مقدّر ، أي من نفس واحد أنشأها ثم جعل منها زوجها ، وفى الثانية ، أن « سوّاه » عطف على الجملة الأولى لاالثانية ، وفى الثالثة أنَّ المراد : ثمَّ دام على الهداية(٦) .

فائدة

أجرى الكوفيّون « ثُمَّ » مجرى الفاء والواو ، فى جواز نصب المضارع

---

(١) التوبة ١١٨ .
(٢) الزمر ٦ .
(٣) السجدة ٧ ــ ٩ .
(٤) طه ٨٢ .
(٥) الأنعام ١٥٣ ، ١٤٥ .
(٦) المغنى ١ : ١١٨ .

المقرون بها بعد فعل الشرط ، وخرّج عليه قراءة الحسن : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ ﴾(١) بنصب « يدركه » (٢)

• • •

ثَمَّ

بالفتح ، اسم يُشار به إلى المكان البعيد ، نحو ﴿ وأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴾(٣) وهو ظرف لايتصرّف ، فلذلك غلط من أعربه مفعولا لـ « رأيت » ، فى قوله : ﴿ وإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾(٤) . وقرئ : ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثَمَّ اللهُ ﴾(٥) ، أي هنالك الله شهيد بدليل ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾(٦) .

وقال الطبرىّ فى قوله : ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَاوَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ﴾(٧) : معناه : هنالك ؛ وليست ثُمَّ العاطفة .

وهذا وهم أشبه عليه المضمومة بالمفتوحة .

وفى التوشيح لخطاب : ثَمَّ ظرف فيه معنى الإشارة إلى حيث ، لأنه هو فى المعنى

• • •

جعل

قال الراغب : لفظ عام فى الأفعال كلّها ، وهو أعمّ من فعل وصنع ، وسائر أخواتها ، ويتصرف على خمسة أوجه :

(١) النساء ١٠٠ .
(٢) انظر المغنى لابن هشام ١ : ١١٩ .
(٣) الشعراء ٦٤ .
(٤) الانسان ٢٠ .
(٥) يونس ٤٦ .
(٦) الكهف ٤٤ .
(٧) يونس ٥١ .

(أحدها) : يجرى مجرى صار وطفق ، ولا يتعدّى . نحو : جعل زيد يقول كذا .

(والثانى) : مجرى أوجَدَ ؛ فيَتعدىَ لمفعول واحد : نحو : ﴿ وجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ ﴾ (١) .

(والثالث) : فى إيجاد شىء من شىء وتكوينه منه ، نحو : ﴿ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ (٢) ، ﴿ وجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾ (٣)

(والرابع) : فى تصيير الشىء على حالة دون حالة ، نحو ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ (٤) ، ﴿ وجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ (٥) .

(الخامس) : الحكم بالشىء على الشىء ، حقًا كان نحو ﴿ وجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٦) ، أو باطلا نحو ﴿ ويَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَاتِ ﴾ (٧) ، ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ (٨) .

• • •

حاشا

اسم بمعنى التنزيه فى قوله تعالى : ﴿ حَاشَا للهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ (٩) ﴿ حَاشَا للهِ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ (١٠) ، لافعلٌ ولاحرف ، بدليل قراءة بعضهم : ﴿ حاشًا لله ﴾ بالتنوين ، كما يقال : « براءةً من الله » وقراءة ابن مسعود . ﴿ حاشَا اللهِ ﴾ بالإضافة كمعاذ الله ، وسبحان الله ، ودخولها على اللام فى قراءة

(١) الأنعام ١ .
(٢) النحل ٧٢ .
(٣) النحل ٨١ .
(٤) البقرة ٢٢ .
(٥) نوح ١٦ .
(٦) القصص ٧ .
(٧) النحل ٥٧ .
(٨) الحجر ٩١ وانظر مفردات الراغب ٩٤ .
(٩) يوسف ٥١ .
(١٠) يوسف ٣١ .

على اللام فى قراءة السبعة ، والجار لايدخل على الجار وإنما ترك التنوين فى قراءتهم لبنائها ، لشبهها بحاشا الحرفية لفظًا .

وزعم قوم أنها اسم فعل معناه : أتبرأ وتبرأت ؛ لبنائها .

ورُدّ بإعرابها فى بعض اللغات .

وزعم المبرِّد وابن جنّى أنها فِعْلٌ وأنّ المعنى فى الآية : جانب يوسف المعصية لأجل الله ، وهذا التأويل لايتأتّى فى الآية الأخرى .

وقال الفارسىّ : حاشا فعل من الحَشا ، وهو الناحية ، أي صار فى ناحية ، أى بَعُد مما رُمِيَ به وتنحّى عنه فلم يغشه ولم يلابسه ، ولم يقع فى القرآن حاشا إلا استثنائية .

• • •

حتّى

حرف لانتهاء الغاية كـ« إلى » ، لكن يفترقان فى أمور :

فتنفرد حتّى بأنّها لاتجرّ إلاالظاهر وإلاّ الآخِرِ المسبوق بذى إجزاء أو الملاقى له نحو : ﴿ سَلَامٌ هِىَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (١) .

وأنها لإفادة تَقَضِّى الفعل قبلها شيئًا فشيئًا .

وأنها لايقابَل بها ابتداء الغاية .

وأنها يقع بعدها المضارع المنصوب بأن المقدرة ، ويكونان فى تأويل مصدر مخفوض .

---

(١) القدر ٥ .

ثم لها حينئذ ثلاثة معان :

مرادفة إلى ، نحو ﴿ لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ (١) ، أي إلى رجوعه .

ومرادفة كي التعليلية ، نحو : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ ﴾(٢) وَ ﴿ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا ﴾ (٣) .

وتحتملهما نحو ﴿ فقَاتلوا التى تَبغِى حَتَّى تَفِيء إِلَى أَمْرِ اللهِ ﴾ (٤) .

ومرادفة إلاَّ فى الاستثناء ، وجعَلَ منه ابنُ مالك وغيرُه ﴿ ومَا يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يقُولاَ ﴾ (٥) .

• • •

مسألة

متى دلّ دليل على دخول الغاية التى بعد إلى وحتى فى حكم ما قبلها . أو على عدم دخوله فواضح أنَّهُ يُعمل به .

فالأول نحو : ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ (٦) ، ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَين ﴾ (٦) ، دلَّت السنة على دخول المرافق والكعبين فى الغسل .

والثاني : نحو : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ (٧) ، دلّ النهى عن الوصال على عدم دخول الليل فى الصيام ، ﴿ فنِظرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةَ ﴾ (٨) . فإن الغاية لو دخلت هنا لوجب الإنظار حال اليَسار أيضًا ، وذلك يؤدّي إلى عدم المطالبة وتفويت حقّ الدائن .

---

(١) طه ٩١ .
(٢) البقرة ٢١٧ .
(٣) المنافقون ٧ .
(٤) الحجرات ٩ .
(٥) البقرة ١٠٢ .
(٦) المائدة ٦ .
(٧) البقرة ١٨٧ .
(٨) البقرة ٢٨٠ .

وإن لم يدلّ دليل على واحد منهمًا ففيها أربعة أقوال :

أحدها - وهو الأصحّ : تدخل مع « حتى » دون « إلى » حملا على الغالب فى البابين ؛ لأن الأكثر مع القرينة عدم الدخول مع إلى والدخول مع حتى . فوجب الحمل عليه عند التردّد .

والثانى : تدخل فيهما عليه .

والثالث : لا فيهما ، واستدل القولان فى استوائهما بقوله : ﴿ وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (١) . وقرأ ابن مسعود ﴿ حتَّى حِين ﴾ (٢) .

• • •

تنبيه

ترد حتى ابتدائية ، أى حرفا يُبتدأ بعده الجمل ، أى تُستأنف ، فتدخل على الإسمية والفعلية المضارعية والماضية ، نحو : ﴿ حَتَّىٰ يَقُولُ الرَّسُولُ ﴾ (٣) ، بالرفع ، ﴿ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا ﴾ (٤) ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (٥)

وادعى ابن مالك أنها فى الآيات جارّة لإذا ولأنْ مضمرةً فى الآيتين ، والأكثرون على خلافه .

وترد عاطفة ، ولا أعلمه فى القرآن ؛ لأن العطف بها قليل جدًا ، ومن ثَمّ أنكره الكوفيون البتّة .

فائدة

إبدال حائها عينًا لغة هذيل ، وبها قرأ ابن مسعود ، أخرج (*) .

---

(١) يونس ٩٨ .
(٢) لم يذكر الرابع .
(٣) البقرة ٢١٤ .
(٤) الأعراف ٩٥ .
(٥) آل عمران ١٥٢ .

(*) بعدها بياض فى الأصل وهذا اللفظ غيرموجود فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص١٦٩ .

حيث

ظرف مكان . قال الأخفش : وترد للزمان مبنيّة على الضم تشبيها بالغايات ؛ فإنّ الإضافة إلى الجمل كلا إضافة ، ولهذ قال الزّجاج فى قوله : ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (١) : ما بعد حيث صلة لها ، وليست بمضافة إليه ، يعنى أنها غير مضافة للجملة بعدها ، فصارت كالصلة لها ، أي كالزيادة وليست جزءًا منها . وفهم الفارسىّ أنه أراد أنها موصولة فردّ عليه .

ومن العرب مَنْ يعربها ، ومنهم من يبنيها على الكسر لالتقاء الساكنين وعلى الفتح للتخفيف ، وتحتملها قراءة من قرأ ﴿ مِنْ حَيْثِ لَايَعْلَمُون ﴾ (٢) بالكسر ، ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثَ يَجْعَلُ رِسَالَاته ﴾ (٣) ، بالفتح ، والمشهور أنها لا تتصرّف .

وجوز قوم فى الآية الأخيرة كونَها مفعولا به على السعة ، قالوا : ولا تكون ظرفًا ؛ لأنه تعالى لا يكون فى مكان أعلَم منه فى مكان ، ولأن المعنى : أنه (*) يعلم نفس المكان المستحَق لوضع الرسالة لا شيئًا فى المكان ، وعلى هذا فالناصب لها « يعلم » محذوفًا مدلولا عليه بـ « أعلم » لابه ، لأن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به إلاّ إن أوّلته بعالم .

وقال أبو حيّان : الظّاهر إقرارها على الظرفيّة المجازية وتضمين « أعلم » معنى ما يتعدّى إلى الظرف ، فالتقدير : الله أنفذ علما حيث يجعل ، أي هو نافذ العلم فى هذا الموضع (٤) .

* * *

(١) الأعراف ٢٧ .
(٢) الأعراف ١٨٢ .
(٣) الأنعام ١٢٤ .
(٤) نقله فى البرهان ٤ : ٢٧٥ .
(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص١٦٩ «الله يعلمه» .

دون

ترد ظرفًا نقيض « فوق » فلا تتصرّف على المشهور .

وقيل : تتصرّف ، وبالوجهين قرىء ﴿ ومِنَّا دُونَ ذَلِكَ ﴾ (١) بالرفع والنصب .

وترد اسماً بمعنى « غير » نحو : ﴿ أَمِ اتَّخذوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾(٢) ، أى غيره .

وقال الزمخشريّ : معناه : أدنى مكان من الشىء .

وتستَعمل للتفاوت فى الحال ، نحو زيد دون عمرو ، أى فى الشرف والعلم .

واتسع فيه فاستعمل فى تجاوز حدّ إلى حدّ ، نحو : ﴿ لاتتَّخِذُوا الكافرين أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) ، أى لا تجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين .

• • •

ذو

اسم بمعنى صاحب ، وضِع للتَوَصّل إلى وصف الذوات بأسماء الأجناس ، كما أن « الذى » وُضعت صلة إلى وصف المعارف بالجمل ولايستعمل إلا مضافًا.

ولايضاف إلى ضمير ولامشتق ، وجوّزه بعضهم وخرّج عليه قراءة ابن مسعود ﴿ وفَوْقَ كُلِّ ذِى عَالِمٍ عَلِيم ﴾ (٤).

---

(١) الجن ١١ .
(٢) الأنبياء ٢٤ .
(٣) النساء ١٤٤ .
(٤) يوسف ٧٦ .

وأجاب الأكثرون عنها بأن العالِم هنا مصدر كالباطل ، أو بأن « ذي » زائدة .

قال السهيليّ : والوصف بـ « ذو » أبلغ من الوصف بصاحب ، والإضافة بها أشرف ، فإن « ذو » يضاف للتابع وصاحب يضاف إلى المتبوع ، تقول : أبو هريرة صاحب النبيّ ، ولا تقول : النبيّ صاحب أبي هريرة . وأمّا ذو فإنك تقول : ذو المال وذو الفرس ، فتجد الاسم الأول متبوعًا غير تابع ، وبنى على هذا الفرق أنه تعالى قال في سورة الأنبياء : ﴿ وَذَا النُّونِ ﴾ [1] ، فأضافه إلى النون وهو الحوت ، وقال في سورة « ن » : ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾[2] ، قال : والمعنى واحد ، لكن بين اللفظين تفاوت كثير في حسن الإشارة إلى الحالتين ، فإنه حين ذكره في معرض الثناء عليه أتى بذي ؛ لأن الإضافة بها أشرف ، وبالنُّون ؛ لأنَّ لفظه أشرَف من لفظ الحوت ، لوجوده في أوائل السور ؛ وليس في لفظ الحوت ما يشرفه لذلك ، فأتى به وبصاحب حين ذكره في معرض النهي عن اتِّباعه [3] .

• • •

رويدا

اسم لا يُتكلم به إلا مصغَّرا مأموراً به ، وهو تصغير (رَوَد) وهو المَهَل .

• • •

(١) الأنبياء ٨٧ .

(٢) آية ٤٨ وتسمى السورة بسورة القلم .

(٣) نقله في البرهان ٤ : ٣٧٩ .

ربّ

حرف فى معناه ثمانية أقوال :

أحدها : أنها للتقليل دائماً ، وعليه الأكثرون .

الثانى : للتكثير دائماً ، كقوله تعالى : ﴿ رُبَّمَا يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ [١] . فإنه يكثر منهم تمنّى ذلك ، وقال الأولون : هم مشغولون بغمرات الأهوال ، فلا يفيقون بحيث يتمنّون ذلك إلا قليلا .

الثالث : أنها لهما على السّواء .

الرابع : للتقليل غالبًا ، والتكثير نادرًا ، وهو اختيارى .

الخامس : عكسه .

السادس : لم توضع لواحد منهما ، بل هى حرف إثبات لايَدُلّ على تكثير ولا تقليل ، وإنّما يفهم ذلك من خارج .

السابع : للتكثير فى موضع المباهاة والافتخار ، وللتقليل فيما عداه .

الثامن : لمبهم العدد ، تكون تقليلا وتكثيرًا ، وتدخل عليها « ما » فتكفُّها عن عمل الجرّ وتدخلها على الجمل ، والغالب حينئذ دخولها على الفعلية الماضى فعلها لفظًا ومعنى ، ومن دخولها على المستقبل الآية السابقة . قيل إنه على حدّ : ﴿ ونُفِخَ فِى الصُّورِ ﴾ [٢] .

• • •

(١) الحجر ٢ . (٢) الكهف ٩٩ .

السين

حرف يختص بالمضارع ويخلِّصه للاستقبال ،ويتنزَّل منه منزلة الجزء ، فلذا لم تعمل فيه. وذهب البصريون إلى أن مدة الاستقبال معه أضيق منها مع سوف ، وعبارة المعربين : حرف تنفيس ، ومعناها حرف توسُّع ،لأنها نقلت المضارع من الزمن الضيِّق – وهو الحال– إلى الزمن الواسع ، وهو الاستقبال .

وذكر بعضهم أنها قد تأتى للاستمرار لا للاستقبال ،كقوله تعالى : ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ ... ﴾ (١) . الآية ، ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء . . . ﴾ (٢) الآية ، لأن ذلك إنما نزل بعد قولهم : ﴿ مَا وَلَّاهُمْ ﴾ فجاءت السين إعلامًا بالاستمرار لا للاستقبال .

قال ابن هشام : وهذا لا يعرفه النحويون (٣) . بل الاستمرار مستفاد من المضارع ،والسين باقية على الاستقبال إذ الاستمرار إنما يكون فى المستقبل.

قال : وزعم الزمخشريّ أنها إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة ، ولم أرَ من فهم وجْهَ ذلك ، ووجهه أنَّها تفيد الوعدفى (*) محصول الفعل ، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت معناه ،وقد أومأ إلى ذلك فى سورة البقرة فقال :﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ ﴾(٤) ، معنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخَّر إلى حين وصرّح به فى سورة براءة ، فقال فى قوله : ﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ ﴾(٥) : السين مفيدة وجود

(١) النساء ٩١ .
(٢) البقرة ١٤٢ .
(٣) المغنى ١ : ٣٨١ .
(٤) البقرة ١٣٧ .
(٥) التوبة ٧١ .
(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٧٠ « الوعد بحصول الفعل » .

الرحمة لا محالة ، فهى تؤكد الوعدَ كما تؤكد الوعيد فى قولك : سأنتقم منك .

• • •

سَوْفَ

كالسِّين وأوسع زمانًا منها عند البصريِّين؛لأن كثرة الحروف تدلّ على كثرة المعنى ، ومرادفة لها عند غيرهم . وتنفرد عن السين بدخول اللاَّم عليها نحو : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ﴾ (١) .

قال أبو حيان : وإنما امتنع إدخال اللاَّم على السين كراهة توالِي الحركات فى : « لَسَيُدَخْرِج » ثم طرد الباق .

قال ابن بابشاذ : والغالب على (سوف) استعمالها فىالوعيد والتهديد ، وعلى السين استعمالها فى الوعد ، وقد تستعمل (سوف) فى الوعد والسين فى الوعيد .

• • •

سواء

تكون بمعنى مستوٍ فتقصَر مع الكسر ،نحو : ﴿ مَكَانًا سُوىً ﴾ (٢) ، وتمدّ مع الفتح نحو : ﴿ فِى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ (٣) .

---

(١) الضحى ٥ .

(٢) طه ٥٨ وضبطت فى المصحف بضم السين . وقد جاء فى تاج العروس ١٠ : ١٨٧ «إن ضممت السين أو كسرت ، قصرت فيهما» .

(٣) الصافات ٥٥ .

وبمعنى التَّمام فكذلك ، نحو ﴿ فى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً ﴾[١] ، أى تماماً .
ويجوز أن يكون منه ﴿ وَاهْدِنا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾[٢] .

ولم ترد فى القرآن بمعنى غير . وقيل : وردت ، وجعل منه فى البرهان : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[٣] ، وهو وهم ، وأحسن منه قول الكلبى فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴾[٤] : إنَّها استثنائية ، والمستثنى محذوف أى مكانا سوى هذا المكان ، حكاه الكرمانى فى عجائبه ، قال : وفيه بُعْد ، لأنها لا تستعمل غير مُضافة .

• • •

ساء

فعل للذم لايتصرّف .

• • •

سبحان

مصدر بمعنى التسبيح لازم النصب والإضافة إلى مفرد ظاهر ، نحو ﴿ وسُبْحَانَ اللهِ ﴾[٥] ، ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى ﴾[٦] ، أو مضمر ، نحو ﴿ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾[٧] ، ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا ﴾[٨] ، وهو مما أُمِيتَ فعله .

---

(١) فصلت ١٠ .
(٢) سورة ص ٢٢ .
(٣) المائدة ١٢ .
(٤) طه ٥٨ .
(٥) يوسف ١٠٨ .
(٦) الاسراء ١ .
(٧) النساء ١٧١ .
(٨) البقرة ٣٢ .

وفى العجائب للكرمانىّ : من الغريب ما ذكره المفضّل أنه مصدر « سبّح » إذا رفع صوته بالدعاء والذّكْر . . وأنشد :

قبّح الإِلَهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ كلّما سَبَحَ الحجيج وكَبَّرُوا إهْلالاً

أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ سُبْحَانَ اللهِ ﴾ ، قال : تنزيه الله نفسَه عن السوء .

• • •

ظنّ

أصلة للاعتقاد الراجح ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ﴾[١] وقد تستعمل بمعنى اليقين ، كقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ ﴾[٢] .

أخرج ابن أبى حاتم وغيره عن مجاهد ، قال : كل ظن فى القرآن يقين ؛ وهذا مشكل بكثير من الآيات لم تستعمل فيها بمعنى اليقين كالآية الأولى .

وقال الزركشى فى البرهان : الفرق بينهما فى القرآن ضابطان :

أحدهما : أنه حيث وجد الظّنّ محمودًا مثابًا عليه فهو اليقين ، وحيث وجد مذمومًا متوعّدًا عليه بالعقاب فهو الشك .

والثانى : أن كلّ ظَنٍّ يتصل بعده أن الخفيفة فهو شك ، نحو : ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ ﴾[٣] ؛ وكل ظن يتصل به أنّ المشدّدة فهو يقين كقوله : ﴿ إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾[٤] ، ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾[٥] وقرىء : « وأيقن أنه الفراق » ، والمعنى فى ذلك أن المشدّدة للتأكيد فدخلت

(١) البقرة ٢٣٠ .
(٢) البقرة ٤٦ .
(٣) الفتح ١٢ .
(٤) الحاقة ٢٠ .
(٥) القيامة ٢٨ .

على اليقين ، والخفيفة بخلافها فدخلت فى الشك . ولهذا دخلت الأُولى فى العلم (*) نحو : ﴿ فاعْلَمْ أنَّهُ لَا إلَهَ إلاَّ اللهُ ﴾(١) . ﴿ وعَلِمَ أنَّ فِيكمْ ضَعْفًا ﴾(٢)

والثانية فى الحُسبان نحو : ﴿ وحَسِبُوا ألاَّ تكونَ فِتْنَةٌ ﴾ (٣) .

ذكر ذلك الراغب فى تفسيره ، وأورد على هذا الضابط ﴿ وظَنُّوا أنْ لاَمَلْجَأ مِنَ اللهِ ﴾(٤) .

وأُجيب بأنها هنا اتَّصلت بالاسم ، وهو ملجأ ، وفى الأمثلة السابقة اتَّصلت بالفعل . ذكره فى البرهان قال : فتمسّك بهذا الضابط ؛ فهو من أسرار القرآن (٥) .

وقال ابن الأنبارى : قال ثعلب : العرب تجعل الظنّ علمًا وشكا وكذبًا ، فإن قامت براهين العلم ، فكانت أكبر من براهين الشكّ ، فالظن يقين . وإن اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشكّ ، فالظنّ شكّ ، وإن زادت براهين الشكّ على براهين اليقين ، فالظن كذب ، قال الله تعالى : ﴿ إن هُمْ إلاَّ يَظنُّونَ ﴾(٦) أراد يكذبون . انتهى .

• • •

على

حرف جرّ له معان : أشهرها الاستعلاء حسا أو معنىً ، نحو : ﴿ وعَلَيْهَا

---

(١) محمد ١٩ .

(٢) الأنفال ٦٦ .

(٣) المائدة ٧١ .

(٤) التوبة ١١٨ وانظر البرهان ٤ : ١٥٦ .

(٥) البرهان ٤ : ١٥٦ .

(٦) الجاثية ٢٤ .

(*) هذا اللفظ من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٧١ .

وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ (١) ، ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾(٢) ، ﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (٣) ، ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ ﴾ (٤) .

(ثانيها) : للمصاحبة كمع ، نحو : ﴿ وآتى الْمالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ (٥) ، أى مع حُبّه ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذو مَغْفِرَةٍ لِلْناسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾ (٦) .

(ثالثها) : للابتداء كَمِنْ . نحو ﴿ إِذَا اكْتَالوا عَلَى النَّاسِ ﴾ (٧) ، أى من الناس ، ﴿ لِفروجِهِمْ حَافِظون ﴿ إلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ ﴾ (٨) أى منهم . بدليل : احفظ عورتك إلاَّ من زوجتك .

(رابعها) : التعليل كاللام ، نحو : ﴿ وَلِتكَبِّروا اللهَ عَلَى مَا هداكُمْ ﴾(٩) ، أى لهدايته إيّاكم .

(خامسها) : الظرفية كفي . نحو : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ (١٠) ، أى فى حين ، ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ (١١) ، أى فى زمن ملكه .

(سادسها) : معنى الباء ، نحو : ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أن لَا أَقُولَ ﴾ (١٢) ، أى بأن . كما قرأ أُبَيّ .

---

(١) المؤمنون ٢٢ .
(٢) الرحمن ٢٦ .
(٣) البقرة ٢٥٣ .
(٤) الشعراء ١٤ .
(٥) البقرة ١٧٧ .
(٦) الرعد ٦ .
(٧) المطففين ٢ .
(٨) المؤمنون ٥ ، ٦ .
(٩) البقرة ١٨٥ .
(١٠) القصص ١٥ .
(١١) البقرة ١٠٢ .
(١٢) الأعراف ١٠٥ .

فائدة

هي في نحو: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾(١) بمعنى الإضافة والإسناد ، أي أضف توكلك وأسنده إليه كذا قيل ، وعندي أنها فيه بمعنى باء الاستعانة . وفي نحو : ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ (٢) . لتأكيد التفضل لا الايجاب والاستحقاق ، وكذا في نحو : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ (٣) لتأكيد المجازاة .

قال بعضهم : وإذا ذكرت النعمة في الغالب مع الحمد لم تقترن بعلى ، وإذا أريدت النعمة أتيَ بها ، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم إذا رأى مايعجبهُ . قال : « الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات » ، وإذا رأى ما يكره قال : « الحمد لله على كل حال » .

تنبيه

ترد « على » اسماً فيما ذكره الأخفش إذا كان مجرورها وفاعل متعلقها ضميرين لمسمًّى واحد . نحو : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ (٤) ، لما تقدمت الإشارة إليه في إلى . وتردُ فعلاً من العلوّ ، ومنه ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾(٥)

• • •

(١) الفرقان ٥٨ . (٢) الأنعام ١٢ .

(٣) الغاشية ٢٦ . (٤) الأحزاب ٣٧ .

(٥) القصص ٤ .

عن

حرف جرّ له معانٍ :

أشهرها المجاوزة ، نحو : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ (١) ، أى يجاوزونه ويبعدون عنه .

(ثانيها) : البدل ، نحو : ﴿ لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ (٢) :

(ثالثها) : التعليل ، نحو : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ ﴾ (٣) . أى لأجل موعدة ، ﴿ وما نَحْنُ بتارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ﴾ (٤) أى لقولك .

(رابعها) : بمعنى على ، نحو : ﴿ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ (٥) . أى عليها .

(خامسها) : بمعنى من ، نحو : ﴿ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ (٦) ، أى ، منهم ، بدليل ﴿ فتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا ﴾ (٧) .

(سادسها) : بمعنى بعد ، نحو : ﴿ يحرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ (٨) بدليل أنَّ فى آية أخرى : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ (٩) ، ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ (١٠) ، أى حالة بعد حالة .

تنبيه

ترد اسماً إذا دخل عليها من ، وجعل ابن هشام : ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ

---

(١) النور ٦٣ . (٢) البقرة ٤٨ .
(٣) التوبة ١١٤ . (٤) هود ٥٣ .
(٥) محمد ٣٨ . (٦) التوبة ١٠٤ .
(٧) المائدة ٢٧ . (٨) المائدة ١٣ .
(٩) المائدة ٤١ . (١٠) الانشقاق ١٩ .

أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وعَنْ أَيْمَانِهِمْ وعن شمائلهم ﴾[1] ، قال : فتقدّر معطوفة على مجرور مِنْ ، لا على مِنْ ومجرورها .

• • •

عسى

فعل جامد لايتصرّف ، ومن ثم ادّعى قوم أنه حرف ، ومعناه التَّرجّي فى المحبوب والإشفاق فى المكروه ، وقد اجتمعتا فى قوله تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُو خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شيئًا وهُوَ شَرٌ لكم ﴾[2] .

قال ابن فارس . وتأتي للقرب والدنُوّ ، نحو : ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ﴾[3] .

وقال الكسائى : كلُّ ما فى القرآن من « عسى » على وجه الخبر ، فهو موحّد كالآية السابقة ، ووحّدَ عَسَى على معنى الأمر أن يكون كذا . وما كان على الاستفهام فإنه يجمع . نحو : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتم إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾[4] قال أبو عبيدة : معناه هل عَدَوْتُم ذلك ، وهل جُزْتموه ؟ .

وأخرج ابنُ أبي حاتم والبَيْهقىّ وغيرهما عن ابن عباس ، قال : كلُّ عسى فى القرآن فهى واجبة .

وقال الشافعىّ : يقال : عسى من الله واجبة .

وقال ابن الأنبارىّ : عسى فى القرآن واجبة إلاّ فى موضعين

أحدهما : ﴿ عَسَى ربُّكم أَنْ يَرْحَمَكُم ﴾[5] . يعنى بنى النَّضِير ، فما رحمهم الله ، بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوقع عليهم العقوبة .

---

(١) الأعراف ١٧ .
(٢) البقرة ٢١٦ .
(٣) النمل ٧٢ .
(٤) محمد ٢٢ .
(٥) الاسراء ٨ .

والثانى : ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَه أَزْوَاجًا﴾ [١] ، فلم يقع التبديل .

وأبطل بعضهم الاستثناء ، وعمم القاعدة ؛ لأنَّ الرحمة كانت مشروطة بألَّا يعودوا ، كما قال : ﴿وإن عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [٢] ، وقد عادوا ، فوجب عليهم العذاب ، والتَّبديل مشروطًا بأَن يُطَلَق وَلَمْ يُطْلَق ، فلا يجب .

وفى الكشاف ، فى سورة التحريم : « عسى » إطماع من الله تعالى لعباده ، وفيه وجهان :

أحدهما : أن يكون ما جرتْ به عادة الجبابرة من الإجابة بلعلَّ وعسَى ، ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبَتّ .

والثانى : أن يكون جىء به تعليمًا للعباد أن يكونوا بين الخوف والرجاء .

وفى البرهان : عَسَى ولعلَّ من الله واجبتان ، وإن كانتا رجاء وطمعا فى كلام المخلوقين ؛ لأن الخلق هم الذين يعرض لهم الشُّكوك والظنون ، والبارىء منزّه عن ذلك ، والوجه فى استعمال هذه الألفاظ أن الأمور الممكنة لمّا كان الخلق يشكُّون فيها ولايقطعون على الكائن منها ، والله يعلم الكائن منها على الصحّة ، صارت لها نسبتان : نسبة إلى الله تسمَّى نسبة قَطْع ويقين . ونسبة إلى المخلوقين تسمَّى نسبة شكّ وظن ، فصارت هذه الألفاظ لذلك ترد تارةً بلفظ القطع بحسب ما هى عليه عند الله تعالى نحو : ﴿فَسوفَ يأتِى اللهُ بقومٍ يحبُّهم ويُحبونه﴾ [٣] ، وتارة بلفظ الشكّ بحسب ما هى عليه عند الخلق ، نحو : ﴿فَعَسَى اللهُ أن يأتِىَ بالْفَتْح أو أمرٍ من عِندِه﴾ [٤] ، ونحو : ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لعلَّهُ يتذكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [٥] ، وقد عَلِم الله

(١) التحريم ٥ . (٢) الاسراء ٨ .

(٣) المائدة ٥٤ وليس فيها شاهد لأى من اللفظين كما ترى .

(٤) المائدة ٥٢ . (٥) طه ٤٤ .

حال إرسالهما . مايفضي إليه حالُ فرعون ؛ لكن وَرَدَ اللَّفظُ بصورة مايختلج في نفس موسى وهارون من الرَّجاء والطمع . ولمّا نزل القرآنِ بلغة العرب جاء على مذاهبهم في ذلك ، والعرب قد تخرج الكلام المتيقَّن في صورة المشكوك لأغراض . [1] .

وقال ابن الدّهان : عسى فعل ماضى اللفظ. والمعنى ؛ لأنه طمع قدحصل في شيء مستقبل .

وقال قوم : ماضى اللَّفظ. مستقبلَ المعنى ؛ لأنه إخبارٌ عن طمع يريد أن يقع .

تنبيه

وردت في القرآن على وجهين :

أحدهما : رافعة لاسم صريح بعده فعل مضارع مقرون بأن ، والأشهر في إعرابها حينئذ أنها فعل ماضٍ ناقص عاملٌ عمل كان : فالمرفوع اسمها وما بعده الخبر . وقيل : متعدٍ بمنزلة قارَب معنىً وعملا ، أو قاصرٌ بمنزلة قَرُب من أن يفعل ، وحُذِف الجارُ توسعًا ؛ وهو رأي سيبويه والمبرّد . وقيل قاصر بمنزلة قَرُب ، وأن يفعل بدل اشتمَال من فاعلها .

الثانى : أن يقع بعدها أن والفعل ؛ فالمفهوم من كلامهم أنها حينئذ تامّة . وقال ابن مالك : عِندِى أنّها ناقصة أبدًا ، وأنَّ وصلتها سدّت مسدّ الجزأين كما في ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا ﴾ [2] .

* * *

(١) البرهان ٤ : ١٥٨ .

(٢) العنكبوت ٢ .

عنـــد

ظرف مكان تُستعمل فى الحضور والقُرْب ؛ سواء كانا حسيين ؛ نحو : ﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾(١) ، ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾(٢) أو معنويتَيْن ، نحو : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾(٣) ، ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ ﴾(٤) ، ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ ﴾(٥) ، ﴿ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾(٦) . ﴿ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾(٧) ، فالمراد بهذه الآيات قُرْب التشريف ، ورفعة المنزلة .

ولا تستعمل إلا ظرفًا أو مجرورة بمِنْ خاصة . نحو : ﴿ فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾(٨) . ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾(٩) .

وتُعاقِبها لَدَى ولَدُن ، نحو : ﴿ لَدَى الْحَنَاجِرِ ﴾(١٠) ، ﴿ لَدَى الْبَابِ ﴾(١١) ، ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾(١٢) . ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾(١٢) .

وقد اجتمعتا فى قوله : ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾(١٣)

ولو جىء فيها بعند أو لَدُن صحّ ، لكن تُرك دفعًا للتكرار ، وإنما حسن تكرار لدى فى : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾ ، لتباعدُ ما بينهما .

(١) النمل ٤٠ .
(٢) النجم ١٤ ، ١٥ .
(٣) النمل ٤٠ .
(٤) سورة ص ٤٧ .
(٥) القمر ٥٥ .
(٦) آل عمران ١٦٩ .
(٧) التحريم ١١ .
(٨) القصص ٢٧ .
(٩) البقرة ٨٩ .
(١٠) غافر ١٨ .
(١١) يوسف ٢٥ .
(١٢) آل عمران ٤٤ .
(١٣) الكهف ٦٥ .

وتفارق عند ولدَي لَدُن من ستة أوجه :

فعند ولدَي تصلُح فى محل ابتداء غاية وغيرها ؛ ولا يصلح لَدُن إلا فى ابتداء غاية .

وعند ولدي يكونان فضلة ؛ نحو : ﴿ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ [1] ، ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ﴾ [2] ، ولدن لاتكون فضلة .

وجرُّ لدن بمِن أكثر من نصبها ، حتى أنها لم تجىء فى القرآن منصوبة ، وجرُّ عند كثير ، وجرّ لدي ممتنع .

وَعِنْد وَلَدَى يُعربان ، ولدن مبنية فى لغة الأكثرين .

ولَدُن قد لاتضاف ، وقد تضاف للجملة ؛ بخلافهما .

وقال الراغب : لَدُنْ أخصُّ من عِنْد وأبلغ ، لأنه يُدَل على ابتداء نهاية الفعل انتهى .

و« عِنْدَ » أمكن من « لَدُن » من وجهين : أنها تكون ظرفًا للأعيان والمعانى ، بخلاف لدن . وعند تستعمل فى الحاضر والغائب ولاتستعمل لَدن إلاَّ فى الحاضر ، ذكرهما ابن الشجريّ وغيره .

غير

اسم ملازم للإضافة والإبهام ، فلا تتعرّف ما لم تقع بين ضدّين ، ومن ثم جاز وصفُ المعرفة بها فى قوله : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [3] ، والأصل أن تكون وصفًا للنكرة ، نحو : ﴿ فَنَعْمَلَ غيرَ الذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [4]

---

(١) ق ٤ . (٢) المؤمنون ٦٢ .

(٣) الفاتحة ٧ . (٤) الأعراف ٥٣ .

وتقع حالا إن صلح موضعها « لا » ، واستثناء إن صلح موضعها « إلاّ » فتعرب بإعراب الاسم التالى إلاّ فى ذلك الكلام ، وقرىء قوله تعالى : ﴿ لاَ يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ ﴾ [1] ، بالرفع على أنها صفة « القاعدون » .

أو استثناء وأبدِل ، على حَدّ ﴿ مَافَعَلُوهُ إلاَّ قَلِيلٌ ﴾ [2] ، وبالنَّصب على الاستثناء ، وبالجرِّ خارج السَّبْع ، صفة للمؤمنين .

وفى المفردات للراغب [3] : غير تقال على أوجه :

الأول : أن تكونَ للنفى المجرّد من غير إثبات معنى به ، نحو مررت برجل غير قائم ؛ : أى لا قائم ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى ﴾ [4] ، ﴿ وَهُوَ فِى الخصامِ غيرُ مُبِينٍ ﴾ [5] .

الثانى بمعنى « إلا » فيستثنى بها ، وتوصف به النكرة ، نحو ﴿ مَالَكُمْ مِنْ إلهٍ غَيْرُهُ ﴾ [6] ، ؟ ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غيرُ اللهِ ﴾ [7] .

الثالث : لنفى الصورة من غير مادتها ، نحو « الماء إذا كان حارًا غيرُه إذا كان باردًا » ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [8] .

الرابع : أن يكون ذلك متناولا لذات ، نحو : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تقولُون عَلى اللهِ

---

(١) النساء ٩٥ .
(٢) النساء ٦٦ .
(٣) المفردات ٣٦٧ .
(٤) القصص ٥٠ .
(٥) الزخرف ١٨ .
(٦) الأعراف ٨٥ .
(٧) فاطر ٣ .
(٨) النساء ٥٦ .

ـ غَيرَ الحقِّ ﴾[١] ، ﴿ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾[٢] ، ﴿ ائْتِ بِقُرآنٍ غَيْرِ هَذَا ﴾[٣] ﴿ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾[٤] . انتهى .

• • •

الفاء

ترد على أوجه :

(أحدهما) : أن تكون عاطفة ، فتفيد ثلاثة أمور :

أحدهما : الترتيب ، معنويا كان نحو : ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾[٥] أو ذِكْريًّا ، وهو عطف مفَصَّلٍ على مجمَل ، نحو : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾[٦] . ﴿ سأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً ﴾[٧] ، ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ . . . ﴾[٨] الآية . وأنكره ـ أي الترتيب ـ الفراء . واحتج بقوله : ﴿ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ﴾[٩] .

وأجيب بأن المعنى : أردنا إهلاكها .

ثانيها : التَّعقيب وهو في كل شيء بحسبه ، وبذلك ينفصل عن التراخي في نحو : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾[١٠] . ﴿ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً .... ﴾[١١] . الآية .

ثالثها : السببيّة غالبا . نحو : ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فقضى عليْهِ ﴾[١٢] .

---

(١) الأنعام ٩٣ . (٢) الأنعام ١٦٤ .
(٣) يونس ١٥ . (٤) محمد ٣٨ .
(٥) القصص ١٥ . (٦) البقرة ٣٦ .
(٧) النساء ١٥٣ . (٨) هود ٤٥ .
(٩) الأعراف ٤ . (١٠) الحج ٦٣ .
(١١) المؤمنون ١٤ . (١٢) القصص ١٥ .

﴿ فتلقَّى آدمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[١] ﴿ لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ • فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ • فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴾[٢] .

وقد تجيء لمجرد الترتيب ، نحو : ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ • فقرَّبَهُ إليهمْ ﴾[٣] ، ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ ﴾[٤] ، ﴿ فالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا • فالتَّالياتِ ... ﴾[٥] .

(الوجه الثانى) أن : يكون لمجرد السببيّة ، من غير عطف نحو : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ • فَصَلِّ ﴾[٦] إذ لا يعطف الإنشاء على الخبر وعكسه .

(الثالث) : أن تكون رابطةً للجواب حيث لا يصلح لأن يكون شرطًا ، بأن كان جملة إسمية ، نحو : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾[٧] ، ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٨] ، أو فعلية فعلها جامد نحو : ﴿ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مالاً وَوَلَدًا • فَعَسَى رَبِّى أن يُؤْتِيَنِ ﴾[٩] ، ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِى شَىْءٍ ﴾[١٠] ، ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فنِعِمَّا هِىَ ﴾[١١] ، ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاء قَرِينًا ﴾[١٢] . أو إنشائىّ نحو : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُونِى ﴾[١٣] ، ﴿ فَإِنْ شَهِدُوا فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ ﴾[١٤] ، واجتمعت الإسمية والإنشائية ، فى قوله : ﴿ إِن أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكم بماءٍ مَعِينٍ ﴾[١٥] ، أو ماضٍ لفظا ومعنى ، نحو : ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ

(١) البقرة ٣٧ .
(٢) الواقعة ٥٢ ــ ٥٤ .
(٣) الذاريات ٢٦ ، ٢٧ .
(٤) الذاريات ٢٩ .
(٥) الصافات ٢ ، ٣ .
(٦) الكوثر ١ ، ٢ .
(٧) المائدة ١١٨ .
(٨) الأنعام ١٧ .
(٩) الكهف ٣٩ ، ٤٠ .
(١٠) آل عمران ٢٨ .
(١١) البقرة ٢٧١ .
(١٢) النساء ٣٨ .
(١٣) آل عمران ٣١ .
(١٤) الأنعام ١٥٠ .
(١٥) الملك ٣٠ .

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ [1] ، أو مقرون بحرف استقبال ، نحو : ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِ اللهُ بِقَوْمٍ﴾ [2] ، ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ...﴾ [3]

وكما تربط الجواب بشرطه تربط شبه الجواب بشبه الشرط ، نحو : ﴿إِنَّ الذِين يَكْفُرُونَ بآياتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ إلى قوله : ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ [4]

(الوجه الرابع) : أن تكون زائدة ، وحمل عليه الزَّجّاج ﴿هَذا فَلْيَذُوقُوهُ﴾ [5] ، وردّ بأن الخبر ﴿حميمٌ﴾ [5] ، وما بينهما معترض ، وخرّج عليه الفارسيّ ﴿بَلِ اللهَ فاعْبُدْ﴾ [6] ، وغيره ﴿وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [7] ، إلى قوله : ﴿فَلَمَّا جاءَهُمْ مَاعَرَفُوا﴾ [7] .

(الخامس) : أن تكون للاستئناف ، وخرج عليه ﴿كن فَيَكُونُ﴾ [8] بالرفع .

• • •

في

حرف جرله معان :

أشهرُها الظرفية ، مكانًا أو زمانًا ، نحو : ﴿غُلِبَتْ الرُّومُ • فِى أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ • فِى بِضْعِ سِنِين﴾ [9] ، حقيقة كالآية ، أو مجازًا نحو : ﴿وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [10] ، ﴿لَقَدْ كَانَ

(١) يوسف ٧٧ .
(٢) المائدة ٥٤ .
(٣) آل عمران ١١٥ .
(٤) ال عمران ٢١ .
(٥) ص ٥٧ .
(٦) الزمر ٦٦ .
(٧) البقرة ٨٩ .
(٨) البقرة ١١٧ .
(٩) الروم ٢ ــ ٤ .
(١٠) البقرة ١٧٩ .

فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٢) .

ثانيها : المصاحبة كمع ، نحو : ﴿ ادْخُلُوا فى أُمَمٍ ﴾ (٣) ، أى معهم ، ﴿ فِى تِسْعِ آيَاتٍ ﴾ (٤) .

ثالثها : التعليل ، نحو : ﴿ فَذَالِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾ (٥) ، ﴿ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ ﴾ (٦) أى لأجله .

رابعها : الاستعلاء ، نحو : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ (٧) ، أى عليها .

خامسها : معنى الباء ، نحو : ﴿ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾ (٨) ، أى بسببه .

سادسها : معنى « إلى » نحو : ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فى أَفْوَاهِهِمْ ﴾ (٩) ، أى إليها .

سابعها : معنى « من » نحو : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ (١٠) ، أى منهم بدليل الآية الآخرى .

ثامنها : معنى « عن » نحو : ﴿ فَهُوَ فِى الآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ (١١) ، أى عنها وعن محاسنها .

تاسعها : المقايسة ، وهى الداخلة بين مفضول سابق وفاضل لاحق ، نحو : ﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فى الآخرة إلا قليلٌ ﴾ (١٢) .

---

(١) يوسف ٧ . (٢) الأعراف ٦٠ .
(٣) الأعراف ٣٨ . (٤) النمل ١٢ .
(٥) يوسف ٣٢ . (٦) النور ١٤ .
(٧) طه ٧١ . (٨) الشورى ١١ .
(٩) ابراهيم ٩ . (١٠) النحل ٨٩ .
(١١) الاسراء ٧٢ . (١٢) التوبة ٣٨ .

عاشرها : التوكيد وهى الزائدة ، نحو : ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فيها ﴾ [١] ، أى اركبوها .

* * *

قد

حرف مختصّ بالفعل المتصرف الخبريّ المثبت المجرّد من ناصب وجازم وحرف تنفيس ، ماضيًا كان أو مضارعًا ، ولها معانٍ :

(الأول) التحقيق مع الماضى ، نحو : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [٢] . ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ [٣] ، وهى فى الجملة الفعلية المجاب بها القسم ، مثل إنّ واللام فى الإسمية المجاب بها فى إفادة التوكيد .

(الثانى) والتقريب مع الماضى أيضا تقرّبه من الحال ، تقول : قام زيد ، فيحتمل الماضى القريب والماضى البعيد ؛ فإن قلت : قد قام ، اختصّ بالقريب ، قال النحاة : وانبنى على إفادتها ذلك أحكام :

منها منع دخولها على ليس وعسى ونعم وبئس ، لأنهنّ للحال ، فلا معنى لذكر مايقرب ما هو حاصل ، ولأنهنّ لايفدن الزمان .

ومنها وجوب دخولها على الماضى الواقع حالا ، إما ظاهرةً ، نحو : ﴿ ومَالَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فى سَبيلِ اللهِ وقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنا ﴾ [٤] ، أو مقدّرة نحو : ﴿ هذِهِ بضاعتُنا رُدَّتْ إلينَا ﴾ [٥] ، ﴿ أَوْ جاءُوكم حَصِرتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [٦] ، وخالف فى ذلك الكوفيّون والأخفش ، وقالوا : لا تحتاج لذلك لكثرة وقوعه حالاً بدون قد .

---

(١) هود ٤١ .
(٢) المؤمنون ١ .
(٣) الشمس ٩ .
(٤) البقرة ٢٤٦ .
(٥) يوسف ٦٥ .
(٦) النساء ٩٠ .

وقال السيد الجرجانىّ وشيخنا العلامة الكافيَجىّ : ماقاله البصريّون غلط ، سببه اشتباه لفظ الحال عليهم ، فإنَّ الحال الذى تقرّبه « قد » حالُ الزمان ، والحال المبيّن للهيئة حال الصفات ، وهما متغايران فى المعنى .

المعنى الثالث : التقليل مع المضارع . قال فى المغْنى : وهو ضربان : تقليل وقوع الفعل نحو : « قد يصدق الكذوب » وتقليل متعلقة ، نحو : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ (١) ، أي أن ما هم عليه هو أقل معلوماته تعالى : قال : وزعم بعضُهم أنها فى هذه الآية ونحوها للتحقيق (٢) ، انتهى .

وممن قال بذلك الزمخشري ، قال : إنها ادخلت لتوكيد العلم ، ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد .

الرابع : التكثير ، ذكره سيبويه وغيره ، وخرّج عليه الزمخشريّ قوله ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ ﴾(٣) قال : أى ربمّا نرى ، ومعناه تكثير الرؤية .

الخامس : التوقّع نحو : قد يقدم الغائب ، لمن يتوقع قدومه وينتظره ، وقد قامت الصلاة ؛ لأن الجماعه منتظرون ذلك ، وحمل عليه بعضهم : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ . . . ﴾ (٤) ، لأنها كانت تتوقع إجابة الله لدعائها .

---

(١) النور ٦٤ .
(٢) المغنى ١ : ١٣٤ .
(٣) البقرة ١٤٤ .
(٤) المجادلة ١ .

الكاف

حرف جرّ له معان :

أشهرها التشبيه ، نحو : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِى الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (١)

والتعليل نحو : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً ﴾ (إلى قوله تعالى) ﴿ فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ ﴾ (٢) قال الأخفش : أى لأجل إرسالنا فيكم رسولا منكم ﴿ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ (٣) ، أى لأجل هذا هدايته إياكم ، ﴿ وَىْ كَأَنَّهُ لايُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٤) أى أعجب لعدم فلاحهم ، ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَـٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ (٥).

والتوكيد وهى الزائدة ، وحمل عليه الأكثرون : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ﴾ (٦) ولو كانت غير زائدة لزم إثبات المثل وهو محال ، والقصد بهذا الكلام نفيه ، قال ابن جنّى : وإنما زيدت لتوكيد نفى المِثْل ؛ لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانيا .

وقال الراغب : إنما جمع بين الكاف والمثل لتأكيد النفى ، تنبيها على أنه لايصح استعمال الْمِثْل ولا الكاف ، فنفَى بلَيْس الأمرين جميعًا (٧) .

وقال ابن فورك : ليست زائدة ، والمعنى . ليس مثله شيء ، وإذا نفيت التماثل عن المثل ، فلامثل لله فى الحقيقة (٨) .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : مِثْل تطلق ويراد بها الذات . كقولك : مثلك لايفعل هذا أى أنت لاتفعله ، كما قال :

ولم أقُل مثلك أعْنى به   سواكَ يا فرداً بلا مُشْبِهِ

---

(١) الرحمن ٢٤ .

(٢) البقرة ١٥١ ، ١٥٢ وقد نقلنا بقية الشاهد من مكانه الى هنا للمناسبة .

(٣) البقرة ١٩٨ .

(٤) القصص ٨٢ .

(٥) الأعراف ١٣٨ .

(٦) الشورى ١١ .

(٧) المفردات ٤٦٢ .

(٨) نقله فى البرهان ٤ : ٣١ .

وقد قال تعالى : ﴿ فإنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فَقَد اهْتَدوا ﴾ [١] ، أى بالذى آمنتم به إياه ، لأن إيمانهم لامثل له ، فالتقدير فى الآية : ليس كذاته شىء .

وقال الراغب : المِثْل هُنا بمعنى الصفة ، ومعناه : ليس كصفته صفة ؛ تنبيها على أنّه وإن كان وصف بكثير مِمّا وُصف به البشر ، فليس تلك الصفات له على حسب ماتستعمل فى البشر ، ولله المثل الأعلى [٢] .

تنبيه

ترد الكاف اسمًا بمعنى « مثل » فتكون فى محلّ إعراب ويعود عليها الضمير .

قال الزمخشرىّ فى قوله تعالى : ﴿ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فأَنْفُخُ فِيهِ ﴾ [٣] : إن الضمير فى « فيه » للكاف فى « كهيئة » ، أى فأنفخ فى ذلك الشىء المماثل فيصير كسائر الطيور . انتهى .

مسألة

الكاف فى « ذلك » أى فى اسم الإشارة ، وفروعه ونحوه حرف خطاب لا محل له من الإعراب وفى « إيّاك » ، قيل : حرف ، وقيل : اسم مضاف إليه ، وفى « أرأيتك » قيل : حرف ، وقيل اسم فى محل رفع ، وقيل نصب والأوّل أرجح .

• • •

---

(١) البقرة ١٣٧ . (٢) المفردات ٤٦٢ .

(٣) آل عمران ٤٩ .

كاد

فعل ناقص أتى منه الماضي والمضارع فقط ، له اسم مرفوع وخبر مضارع مجرد من أن ، ومعناها قارب ، فنفيها نفي للمقاربة ، وإثباتها إثبات للمقاربة واشتهر على ألسنة كثير أن نفيها إثبات وإثباتها نفي ، فقولك : كاد زيد يفعل معناه لم يفعل ، بدليل ﴿ وإن كَادُوا ليَفْتِنُونك ﴾ [1] ، « وما كادُوا يفعل » معناه فَعَلَ بدليل ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [2] .

أخرج ابنُ أبي حاتم ، من طريق الضحاك ، عن ابن عباس قال ، : كل شيء في القرآن كاد ، وأكادُ ، ويكادُ فإنه لايكون أبدًا . وقيل إنها تفيد الدّلالة على وقوع الفعل بعسر ، وقيل : نفي الماضي إثبات ، بدليل ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [3] . ونفي المضارع نفي بدليل ﴿ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ [4] مع أنه لم ير شيئًا . والصحيح الأول أنها كغيرها نفيُهَا نفي ، وإثباتُها إثبات ، فمعنى كاد يفعل قارب الفعل ولم يفعل وما كاد يفعل ، ما قارب الفعل فضلا عن أن يفعل ، فنفيُ الفعِل لازم من نِفي المقاربة عقْلاً .

وأما آية ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ، فهو إخبار عن حالهم في أول الأمر ، فإنهم كانوا أولاً بُعداء من ذبحها ، وإثباتُ الفعل إنَّما فُهِم من دليل آخر ، وهو قوله : ﴿ فَذَبَحوها ﴾ .

وأما قوله : ﴿ لَقَدْ كِدْتَ تركَنُ ﴾ [5] مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يركن لاقليلا ولا كثيرًا ، فإنه مفهوم من جهة أن « لولا » الامْتِنَاعِيّة تقتضي ذلك .

---

(١) الاسراء ٧٣ .
(٢) البقرة ٧١ .
(٣) البقرة ٧١ .
(٤) النور ٤٠ .
(٥) الاسراء ٧٤ .

فائدة

ترد كاد بمعنى أراد ، ومنه ﴿ كذلك كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ (١) ، ﴿ أَكَادُ أُخْفِيها ﴾ (٢) ، وعكسه ، كقوله : ﴿ جِدارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ﴾ (٣) ، أى يكاد .

• • •

كان

فعل ناقص متصرّف ، يرفع الاسم وينصب الخبر ، ومعناه فى الأصل المضىّ والانقطاع ، نحو ﴿ كانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا ﴾ (٤) . وتأتى بمعنى الدوام والاستمرار ، نحو : ﴿ وَكَانَ اللهُ غَفوراً رَّحِيما ﴾ (٥) ، ﴿ وكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَالِمِين ﴾ (٦) ، أى لم يزل كذلك ، وعلى هذا المعنى تتخرّج جميع الصفات الذاتية المقترنة بكان .

قال أبو بكر الرازى : كان فى القرآن على خمسة أوجه :

بمعنى الأزل والأبد ، كقوله :﴿ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٧) .

بمعنى المضىّ المنقطع وهو الأصل فى معناها ، نحو : ﴿ وَكَانَ فِى الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ (٨) .

وبمعنى الحال ، نحو : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس ﴾ (٩) ، ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (١٠) .

---

(١) يوسف ٧٦ . (٢) طه ١٥ .
(٣) الكهف ٧٧ . (٤) التوبة ٦٩ .
(٥) النساء ٩٦ . (٦) الأنبياء ٨١ .
(٧) النساء ١٧ . (٨) النمل ٤٨ .
(٩) آل عمران ١١٠ . (١٠) النساء ١٠٣ .

وبمعنى الاستقبال ، نحو : ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ (١) .

وبمعنى صار نحو : ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) . انتهى .

قلت : أخرج ابنُ أبي حاتم ، عن السُّدِّيِّ ، قال : عمر بن الخطاب : لو شاء الله لقال : « أنتم » (*) فكنّا كلنا ، ولكن قال : « كنتم » في خاصّة أصحاب محمد .

وترد كان بمعنى « ينبغي » نحو : ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ (٣) ، ﴿ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ﴾ (٤) .

وبمعنى حضر أو وجد ، نحو : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ (٥) ، ﴿ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً ﴾ (٦) ، ﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً ﴾ (٧) .

وترد للتأكيد ، وهي الزائدة وجعل منه ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٨) أي بما يعملون .

• • •

كَأَنَّ

بالتشديد . حرف للتشبيه المؤكَّد ؛ لأن الأكثر على أنه مركب من كاف التشبيه وأنّ المؤكدة . والأصل في كأنّ زيدا أسدٌ « أن زيدا كأسد » قُدِّم حرف التشبيه اهتماما به ، ففتحت همزة أنّ لدخول الجار .

---

(١) الانسان ٧ .
(٢) البقرة ٣٤ .
(٣) النمل ٦٠ .
(٤) النور ١٦ .
(٥) البقرة ٢٨٠ .
(٦) البقرة ٢٨٢ .
(٧) النساء ٤٠ .
(٨) الشعراء ١١٢ .
(*) أي في آية (كنتم خير أمة . الخ ..) .

قال حازم : وإنَّما تستعمل حيث يقوى الشبه ، حتى يكاد الرائى يشكّ فى أن المشبه هو المشبَّه به أو غيره ولذلك قالت بلقيس : ﴿ كأنَّه هُوَ ﴾ (١)

قيل : وتردُ للظنّ والشكّ فيما إذا كان خبرها غير جامد .

وقد تخفف نحو : ﴿ كَأَنْ لم يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّه ﴾ (٢)

• • •

كأَيِّنْ

اسم مركب من كاف التشبيه وأيّ المنونه للتكثير فى العدد ، نحو : ﴿ وَكَأَيِّن مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ ﴾ (٣) .

وفيها لغات منها كائن ، بوزن بائع ، وقرأبها ابنُ كثير حيث وقعتْ وكأيِّن بوزن ، كعيِّن وقرئ بها ﴿ وكأيِّنْ من نَبِيٍّ قُتِلَ ﴾ ، وهى مبنية لازمة الصدر ملازمة للإبهام مفتقرة للتمييز ، وتمييزها مجرور بمن غالبا ، وقال ابن عصفور : لازما .

• • •

كذا

لم ترد فى القرآن إلا للإشارة ، نحو : ﴿ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ﴾ (٤) .

• • •

---

(١) النمل ٤٢ . (٢) يونس ١٢ .
(٣) آل عمران ١٤٦ . (٤) النمل ٤٢ .

كلّ

اسم موضوع لاستغراق أفراد المُنكَّر* المضاف هو إليه ، نحو : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموت ﴾ (١)

والمعرّف المجموع نحو : ﴿ وكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ (٢) ، ﴿ كلّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ ﴾ (٣) ، وأجزاء المفرد المعرّف نحو : ﴿ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ ﴾ (٤) بإضافة « قلب » إلى « متكبّر » أي على كل أجزائه ، وقراءة التنوين لعموم أفراد القلوب .

وترد باعتبار ما قبلها وما بعدها على ثلاثة أوجه :

(أحدها) : أن تكون نعتًا لنكرة أو معرفة ، فتدلّ على كماله ، وتجب إضافتها إلى اسم ظاهر يماثله لفظًا ومعنى ، نحو : ﴿ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ (٥) أي بسطا كل البسط ، أي تامًّا ، ﴿ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ ﴾ (٦) .

(ثانيها) : أن تكون توكيدًا لمعرفة ، ففائدتها العموم ، وتجب إضافتها إلى ضمير راجع للمؤكد نحو : ﴿ فَسَجَدَ الملاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (٧) وأجاز الفراء والزمخشرى قطعها حينئذ عن الإضافة لفظا ، وخرّج عليه قراءة بعضهم ﴿ إِنَّا كُلاًّ فِيها ﴾ (٨) .

(ثالثها) : ألا تكون تابعةً بل تالية للعوامل ، فتقع مضافة إلى الظّاهر وغير

---

(١) آل عمران ١٨٥ . (٢) مريم ٩٥ .
(٣) آل عمران ٩٣ . (٤) غافر ٣٥ .
(٥) الاسراء ٢٩ . (٦) النساء ١٢٩ .
(٧) الحجر ٣٠ . (٨) الزخرف ٤٨ .
(*) فى الأصول «المذكر» والصواب ما أثبته .

مضافة ، نحو : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (١) ، ﴿ وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ﴾ (٢) .

وحيث أضيفت إلى مُنكَّر وجب فى ضميرها مراعاة معناها ، نحو : ﴿ وكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ ﴾ (٣) ، ﴿ وكُلَّ إنسانٍ أَلْزَمْنَاهُ ﴾ (٤) ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (٥) ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بما كسبتْ رهينةٌ ﴾ ، ﴿ وَعَلَى كُلِّ ضامرٍ يَأْتِينَ ﴾ (٦) .

أو إلى مُعَرَّفَ جاز مراعاة لفظها فى الإفراد والتذكير ، ومراعاة معناها ، وقد اجتمعا فى قوله : ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إلاَّ آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا ۝ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وكُلُّهُم آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ (٧) .

أو قطعت فكذلك ، نحو : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ (٨) ، ﴿ فَكُلاًّ أخذنا بِذَنْبِهِ ﴾ (٩) ، ﴿ وكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (١٠) ، ﴿ وكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (١١) .

وحيث وقعت فى حيّز النفى ، بأنْ تقدّمت عليها أداته أو الفعل المنفىّ فالنفى مُوَجَّهٌ إلى الشمول خاصة . ويفيد بمفهومه إثبات الفعل لبعض الأفراد .

وإن وقع النفى فى خبرها فهو موجَّهٌ إلى كل فرد ؛ هكذا ذكره البيانيون وقد أشكل على هذه القاعدة قوله : ﴿ إنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١٢) إذ يقتضى إثبات الحبّ لمن فيه أحد الوصفين .

---

(١) المدثر ٣٨ .
(٢) الفرقان ٣٩ .
(٣) القمر ٥٢ .
(٤) الاسراء ١٣ .
(٥) آل عمران ١٨٥ .
(٦) الحج ٢٧ .
(٧) مريم ٩٣ ـ ٩٥ .
(٨) الاسراء ٨٤ .
(٩) العنكبوت ٤٠ .
(١٠) النمل ٨٧ .
(١١) الأنفال ٥٤ .
(١٢) لقمان ١٨ .

وأُجيب : بأن دلالة المفهوم إنما يعوَّلَ عليها عند عدم المُعَارِض ، وهو هنا موجود إذْ دَلَّ الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقا .

مسألة

تتَّصِل « ما » بِكُل ، نحو : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِزْقًا ﴾ (١) ، وهى مصدريّة ولكنها نابت بصلتها عن ظرف زمان ؛ كما ينوب عنه المصدر الصريح ، والمعنى : كلّ وقت ، ولهذا تسمى « ما » هذه المصدريّة الظرفية ؛ أى النائبة عن الظرف ، لأنها ظرف فى نفسها ؛ فكلٌّ مِنْ « كلما » منصوبٌ على الظرف لإضافته إلى شئْ هوقائمٍ مقامه ، وناصبه الفعل الذي هو جوابٌ فى المعنى .

وقد ذكر الفقهاء والأُصوليون أن « كلَّما » للتكرار . قال أبو حيان وإنما ذلك من عموم « ما » لأن الظرفية مرادٌ بها العموم ، وكلٌّ أكَّدَتْه .

كِلاَ وكلتا

اسمان مفردان لفظًا مثنَّيان معنًى . مضافان أبدًا لفظا ومعنى إلى كلمة واحدة معرَّفة دالَّة على اثنين . قال الراغب : وهما فى التثنية ككل فى الجمع . قال تعالى : ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ ﴾ (٢) ، ﴿ أَحدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا ﴾ (٣)

• • •

كَلاَّ

مركَّبة عند ثعلب من كاف التشبيه ولا النافية ، شُدِّدت لامها لتقوية المعنى . ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين .

---

(١) البقرة ٢٥ .   (٢) الكهف ٣٣ .

(٣) الاسراء ٢٣ .

وقال غيره : بسيطة . فقال سيبويه والأكثرون : حرف معناه الرَّدْع والزَّجر ، لا معنى لها عندهم إلا ذلك ؛ حتى إنَّهُمْ يجيزون أبدًا الوقف عليها والابتداء بما بعدها ؛ وحتى قال جماعة منهم : متى سمعتَ كَلاًّ فى سورة فاحكم بأنها مكيّة ؛ لأن فيها معنى التهديد والوعيد، وأكثر ما نزل ذلك بمكّة ؛ لأن أكثرُ العُتوّ كان بها .

قال ابن هشام : وفيه نظر ؛ لأنه لا يظهر معنى الزَّجْر فى نحو : ﴿ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝ كَلاَّ ﴾ [١] ، ﴿ يَوْمَ يَقُومَ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ كَلاَّ ﴾ [٢] ، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه ۝ كَلاَّ ﴾ [٣] ، وقولُهُمْ : انْتَهِ عن ترك الإيمان بالتصوير فى أىّ صورة شاء الله ، وبالبعث . وعن العجلة بالقرآن ، تعسُّفٌ ؛ إذ لم تتقدم فى الأوليين حكاية نفى ذلك عن أحدٍ . ولطول الفصل فى الثالثة بين كَلاَّ وذكر العجلة . وأيضا فإنّ أوّل ما نزل خمس آيات من أول سورة العلَق ، ثم نزل : ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى ﴾ [٤] فجاءت فى افتتاح الكلام .

ورأى آخرون أنّ معنى الرَّدْع والزَّجْر ليس مستمرًّا فيها ، فزادوا معنى ثانيا يصحّ عليه أن يوقف دونها ويبتدأ بها .

ثم اختلفوا فى تعيين ذلك المعنى . فقال الكسائى : تكون بمعنى حقًّا . وقال أبو حاتم : بمعنى ألاَ الاستفتاحية ؛ قال أبو حيان : ولم يسبقه إلى ذلك أحدٌ ، وتابعه جماعة ، منهم الزَّجاج . وقال النَّضر بن شميل : حرف جواب بمنزلة أىْ ونَعَم ، وحملوا عليه ﴿ كَلاَّ وَالْقَمَرِ ﴾ [٥] . وقال الفراء وابن سعدان : بمعنى سوف ، وحكاه أبو حيان فى تذكرته .

---

(١) الانفطار ٨ ، ٩ . (٢) المطففين ٦ ، ٧ .
(٣) القيامة ١٩ ، ٢٠ . (٤) العلق ٦ .
(٥) المدثر ٣٢ .

قال مكىّ : وإذا كان بمعنى حقًّا فهى اسم ، وقرىء : ﴿ كَلًّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ (١) بالتنوين ، ووُجِّه بأنّه مصدر كَلَّ إذا أعيا ، أى كلُّوا فى دعواهم وانقطعوا ، أوْ من الكلّ وهو الثقل ، أى حملوا كَلًّا .

وجوز الزمخشرىّ كونه حرفَ ردعٍ نُوِّنَ كما فى ﴿ سَلاَسِلاً ﴾ (٢) .

وردّه أبوحيان بأن ذلك إنما صح فى ﴿ سلاَسِلاً ﴾ لأنه اسم أصله التنوين ، فرُجع به إلى أصله للتناسب .

قال ابن هشام : وليس التوجيه منحصرًا عند الزمخشَرِي فى ذلك ، بل جَوز كون التنوين بدلاً من حرف الإطلاق المزيد فى رأس الآية . ثم أنه وُصِل بنية الْوَقْفِ .

• • •

كَمْ

اسم مبنى لازم الصّدْر ، مبهم ، مفتقر إلى التمييز . وترد استفهامية ـ ولم تقع فى القرآن ـ وخبرية بمعنى كثير .

وإنما تقع غالبًا فى مقام الافتخار والمباهاة ؛ نحو : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلِكٍ فِى السَّمٰوَاتِ ﴾ (٣) ، ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ (٤) ، ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ (٥) .

وعن الكسائى أن أصلها « كما » . فحذفت الألف مثل بمَ ولمَ . وحكاه الزجاج . وردّه بأنه لو كان كذلك لكانت مفتوحة الميم .

• • •

(١) مريم ٨٢ .
(٢) الانسان ٤ .
(٣) النجم ٢٦ .
(٤) الأعراف ٤ .
(٥) الأنبياء ١١ .

كى

حرف له معنيان :

أحدهما : التعليل ، نحو : ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ ﴾ [(١)] .

والثانى : معنى أن المصدرية نحو : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا ﴾ [(٢)] لصحة حلول أن محلها ، ولأنها لو كانت حرف تعليل لم يدخل عليها حرفُ تعليل .

• • •

كيف

اسم يَرِدُ على وجهين :

الشرط ، وخرج عليه : ﴿ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [(٣)] ، ﴿ يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [(٤)] ، ﴿ فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [(٥)] . وجوابها فى ذلك كلّه محذوف لدلالة ما قبلها .

والاستفهام ، وهو الغالب ، ويستفهم بها عن حال الشىء لا عن ذاته . قال الراغب : وإنما يُسأَلُ بها عما يصح أن يقال فيه شبيه وغير شبيه ، ولهذا لا يصحّ أن يقال فى الله : كيف . قال : وكلّما أخبر الله بلفظ « كيف » عن نفسه ، فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب ، أو التوبيخ نحو : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ [(٦)] ، ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا ﴾ [(٧)] . (*)

• • •

---

(١) الحشر ٧ .
(٢) الحديد ٢٣ .
(٣) المائدة ٦٤ .
(٤) آل عمران ٦ .
(٥) الروم ٤٨ .
(٦) البقرة ٢٨ .
(٧) آل عمران ٨٦ .

(*) وانظر البرهان للزركشى ٤ : ٣٣٠ فما كتب عنها هناك أوضح .

اللاَّم

أربعة أقسام : جارة ، وناصبة ، وجازمة ، ومهملة غير عاملة .

فالجارة مكسورة مع الظاهر ؛ وأما قراءة بعضهم : ﴿ الحمدُ لُله ﴾ (١) . فالضمة عارضة للاتباع ، مفتوحة مع الضمير إلا الياء . ولها معان :

الاستحقاق ، وهى الواقعة بين معنى وذات ، نحو : ﴿ الحمدُ لِله ﴾ . ﴿ لِله الأَمْرُ ﴾ (٢) . ﴿ ويْلٌ لِلْمُطَفِّفِين ﴾ (٣) ﴿ لَهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ ﴾ (٤) .

والاختصاص . نحو ﴿ إنَّ لَهُ أبًا ﴾ (٥) . ﴿ فَإنْ كَانَ لَهُ إخْوَةٌ ﴾ (٦) .

والمِلْك ، نحو ﴿ لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ ومَا فِى الأَرْضِ ﴾ (٧) .

والتعليل ، نحو ﴿ وَإنَّهُ لِحُبِّ الخيرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (٨) . أى وإنه من أجل حبّ المال لبخيل ﴿ وَإذْ أخَذَ اللهُ ميثاقَ النَّبِيِّين لِما آتيتكُمْ من كتابٍ وحكمة... ﴾ (٩) الآية فى قراءة حمزة ، أى لأجل إتياني إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجىء محمد صلى الله عليه وسلم ، ﴿ مصدّقٌ لما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ به ﴾ (٩) . فما مصدرية واللام تعليلية . وقوله : ﴿ لإيلاف قُرَيشٍ ﴾ (١٠) وتعلقها بـ « يعبدوا » وقيل بما قبله ، أى ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأكولٍ ٭ لإيلاف قُريش ﴾ (١١) . ورجّح بأنهما فى مصحف أُبَىّ سورة واحدة .

---

(١) الفاتحة ٢ .
(٢) الروم ٤ .
(٣) المطففين ١ .
(٤) البقرة ١١٤ .
(٥) يوسف ٧٨ .
(٦) النساء ١١ .
(٧) البقرة ٢٥٥ .
(٨) العاديات ٨ .
(٩) آل عمران ٨١ .
(١٠) قريش ١ .
(١١) الفيل ٥ و قريش ١ .

وموافقة « إلى » ، نحو : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ [(١)] ، ﴿ كُلٌّ يَجرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [(٢)] .

و « عَلَى » ، نحو : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ ﴾ [(٣)] ، ﴿ دَعَانَا لِجَنْبِهِ ﴾ [(٤)] ، ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ [(٥)] ، ﴿ وَإِن أَسَأْتُم فَلَهَا ﴾ [(٦)] ، ﴿ لَهُمْ اللَّعْنَة ﴾ [(٧)] أى عليهم ، كما قال الشافعىّ .

و « فى » ، نحو : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ القِسطَ لِيوم القِيامَةِ ﴾[(٨)] ، ﴿ لاَ يُجَلِّيهَا لِوقْتِهَا إلا هو ﴾ [(٩)] ، ﴿ يَا لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لحياتِى ﴾ [(١٠)] أى فى حياتى . وقيل : هى فيها للتعليل ، أى لأجل حياتى فى الآخرة .

و « عند » ، كقراءة الجحدرىّ : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لِمَا جَاءَهُمْ ﴾ [(١١)] .

و « بعد » ، نحو : ﴿ أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمس ﴾ [(١٢)] .

و « عن » ، نحو : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَاسَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ [(١٣)] أى عنهم وفى حقّهم ، لا أنّهم خاطبوا به المؤمنين وإلا لقيل : « ما سبقتمونا » .

والتبليغ ، وهى الجارّة لاسمِ السامع لقول أو ما فى معناه كالإذْن .

والصيرورة ، وتسمى لام العاقبة ، نحو : ﴿ فالتقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيكُونَ لَهُمْ

---

(١) الزلزلة ٥ .
(٢) الرعد ٢ .
(٣) الاسراء ١٠٩ .
(٤) يونس ١٢ .
(٥) الصافات ١٠٣ .
(٦) الاسراء ٧ .
(٧) الرعد ٢٥ .
(٨) الأنبياء ٤٧ .
(٩) الأعراف ١٨٧ .
(١٠) الفجر ٢٤ .
(١١) ق ٥ .
(١٢) الاسراء ٨٧ .
(١٣) الأحقاف ١١ .

عَدُوا وَحَزَنًا ﴾ [١] ، فهذا عاقبة التقاطهم لا علَّته ؛ إذ هى التبنّى . ومنع قول ذلك وقالوا : هى للتعليل مجازًا ؛ لأنّ كونه عدوا لما كان ناشئا عن الالتقاط وإن لم يكن غرضا لهم – نزِّلَ منزلَة الغَرَض على طريق المجاز .

وقال أبو حيّان : الَّذِى عندى أنّها للتعليل حقيقة ، وأنهم التقطوه ليكون لهم عدوا ؛ وذلك على حذف مضاف تقديره « لمخافة أن يكون » ، كقوله : ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلوا ﴾ [٢] . أى كراهة أن تضلّوا . انتهى .

والتأكيد وهى الزائدة ، أو المقوية للعامل الضعيف لِفرعيّة أو تأخير ، نحو : ﴿ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ [٣] . ﴿ يريدُ اللهِ ليبيِّنَ لكمْ ﴾ [٤] . ﴿ وَأُمِرْنَا لِنسْلِم ﴾ [٥] . ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [٦] . ﴿ إنْ كنتمْ للرُّؤيا تَعْبُرُون ﴾ [٧] . ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ [٨] .

والتبيين للفاعل أو المفعول . نحو : ﴿ فَتَعْسًا لَهُمْ ﴾ [٩] . ﴿ هَيْهَات هَيهَات لِما تُوعَدُونَ ﴾ [١٠] . ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ [١١] .

والناصبة هى لام التعليل . وادّعى الكوفيون النصب بها وقال غيرهم بأن مقدّرة فى محلّ جرّ باللام .

والجازمة وهى لام الطلب . وحركتها الكسر . وسُلَيْمٌ تفتحُها ، وإسكانها بعد الواو والفاء أكثر من تحريكها ،نحو :﴿فَلْيستجيبُوا لِي ولْيؤْمِنوا بى ﴾[١٢]

---

(١) القصص ٨ .
(٢) النساء ١٧٦ .
(٣) النمل ٧٢ .
(٤) النساء ٢٦ .
(٥) الأنعام ٧١ .
(٦) هود ١٠٧ .
(٧) يوسف ٤٣ .
(٨) الأنبياء ٧٨ .
(٩) محمد ٨ .
(١٠) المؤمنون ٣٦ .
(١١) يوسف ٢٣ .
(١٢) البقرة ١٨٦ .

وقد تسكن بعد ثُمَّ نحو : ﴿ ثم ليقضُوا ﴾ [(١)] ؛ وسواء كان الطلب أمرًا - نحو : ﴿لينفق ذُو سَعَةٍ ﴾ [(٢)] ، أودعاء نحو : ﴿ لِيَقْضِ علينا ربُّك ﴾ [(٣)]

وكذا لو خرجت إلى الخير . نحو : ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴾ [(٤)] ، ﴿ ولْنَحمِلْ خَطَايَا كُمْ ﴾ [(٥)] .

أو التهديد ؛ نحو : ﴿ وَمَنْ شاَء فَلْيَكْفُرْ ﴾ [(٦)] .

وجزمها فعل الغائب كثير : نحو : ﴿ فلْتقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ولْيَأْخُذوا أَسْلِحَتَهُم فإذا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُم ولْتَأْت طَائِفَةٌ أُخرَى لَم يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ ﴾ [(٧)]. وفعل المخاطب قليل ، ومنه : ﴿ فبذلك فلتفرحوا ﴾ [(٨)] فى قراءة التاء ، وفعل المتكلم أقل ، ومنه ﴿ ولْنَحْمِلْ خطاياكم ﴾ [(٥)]

وغير العاملة : أربع :

لام الابتداء : وفائدتها أمران : توكيد مضمون الجملة ، ولهذا زحلقوها فى باب إنّ عن صدْر الجملة كراهة توالى مؤكّدين ، وتخليص المضارع للحالى .

وتدخل فى المبتدأ نحو : ﴿ لأَنْتُمْ أَشدُّ رَهْبَةً ﴾ [(٩)] .

وفى خبر أن نحو : ﴿ إنَّ ربى لَسميع الدُّعاء ﴾ [(١٠)] ، ﴿ وإنَّ ربَّكَ لَيَحْكُمَ بينهمْ ﴾ [(١١)] . ﴿ وإنَّك لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم ﴾ [(١٢)] . واسمها المؤخر : نحو : ﴿ إنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ، وَإنَّ لَنَا للآخِرَةَ ﴾ [(١٣)] .

---

(١) الحج ٢٩ .
(٢) الطلاق ٧
(٣) الزخرف ٧٧ .
(٤) مريم ٧٥ .
(٥) العنكبوت ١٢ .
(٦) الكهف ٢٩ .
(٧) النساء ١٠٢ .
(٨) يونس ٥٨ .
(٩) الحشر ١٣ .
(١٠) ابراهيم ٣٩
(١١) النحل ١٢٤ .
(١٢) القلم ٤ .
(١٣) الليل ١٢ ، ١٣ .

واللام الزائدة فى خبر « أن » المفتوحة كقراءة سعيد بن جبير ﴿ إلا أنهم لَيأكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾[١] والمفعول كقوله : ﴿ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أقربُ مِن نَّفْعِه ﴾[٢]

ولام الجواب للقسم أو « لو » أو « لولا » ، نحو ﴿ تاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ ﴾[٣] ﴿ وتاللهِ لأكيدنَّ أصنامَكُمْ ﴾[٤] ، ﴿ لَوْ تَزيَّلُوا لعذَّبْنَا ﴾[٥] ، ﴿ ولولا دفْعُ الله النَّاس بَعْضَهمْ ببعضٍ لفسدت الأرض ﴾[٦] .

واللام الموطِّئة ، وتسمى المؤذنة ، وهى الداخلة على أداة شرط ، للإيذان بأنَّ الجواب بعدها معها مبنى على قسم مقدر نحو ﴿ لَئِنْ أُخرِجُوا لا يَخرُجُون مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا ينصُرُونَهُم وَلَئِن نَّصروهُم لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَار ﴾[٧] وخرج عليها قوله تعالى : ﴿ لَمَا آتيتكم من كتابٍ وَحِكْمَة ﴾

• • •

لا

على أوجه :

(الوجه الأول) : أن تكون نافية ، وهى أنواع :

أحدها : أن تعمل عمل « إنّ » وذلك إذا أريدبها نفى الجنس على سبيل التنصيص وتسمى حينئذ تبرئة ، وإنما يظهر نصبها إذا كان اسمها مضافاً أو شبهه ، وإلا فيركب معها نحو : ﴿ لَا إِلَٰه إِلَّا هُوَ ﴾[٨] . ﴿ لارَيْبَ فيه ﴾[٩]

---

(١) الفرقان ٢٠ . (٢) الحج ١٣ .
(٣) يوسف ٩١ . (٤) الأنبياء ٥٧ .
(٥) الفتح ٢٥ . (٦) البقرة ٢٥١ .
(٧) الحشر ١٢ . (٨) البقرة ٢٥٥ .
(٩) البقرة ٢ .

فإن تكررت جاز التركيب والرفع ، نحو : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ولا جِدَالَ ﴾ (١) ﴿ لابيعٌ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ ﴾ (٢) ﴿ لالَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾ (٣)

ثانيها : أن تعمل عمل ليس ، نحو : ﴿ ولا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٤) .

ثالثها ورابعها : أن تكون عاطفة أو جوابية ، ولم يقعا فى القرآن .

خامسها : أن تكون على غير ذلك ؛ فإن كان مابعدها جملة إسمية صدْرها معرفة أو نكرة ، ولم تعمل فيها ، أو فعلا ماضيا ؛ لفظا أو تقديراً ، وجب تكرارها نحو : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَا أَنْ تدْرِكَ القمر ولا الليْلُ سابقُ النهار ﴾ (٥) ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ولَا هُمْ عَنْها يُنزَفون ﴾ (٦) ، ﴿ فَلَا صَدَّقَ ولاصَلَّى ﴾ (٧) .
أو مضارعا لم يجب نحو : ﴿ لَايُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ ﴾ (٨) ، ﴿ قلْ لَا أَسأَلُكمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (٩) .

وتعترض « لا » هذه بين الناصب والمنصوب ، نحو : ﴿ لئلا يَكون لِلنَّاسِ ﴾ (١٠) ، والجازم والمجزوم ، نحو : ﴿ إِلَّا تَفْعَلوهُ ﴾ (١١) .

(الوجه الثانى) : أن يكون لطلب التَّرك ، فتختص بالمضارع ، وتقتضى جزمه واستقباله ، سواء كان نهيًا ، نحو : ﴿ لَاتَتَّخِذوا عَدُوِّى ﴾ (١٢) ،

(١) البقرة ١٩٧ .
(٢) البقرة ٢٥٤ .
(٣) الطور ٢٣ .
(٤) يونس ٦١ .
(٥) يس ٤٠ .
(٦) الصافات ٤٧ .
(٧) القيامة ٣١ .
(٨) النساء ١٤٨ .
(٩) الشورى ٢٣ .
(١٠) النساء ١٦٥ .
(١١) الأنفال ٧٣ .
(١٢) الممتحنة ١ .

﴿ لَايَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُون الكَافِرِين ﴾ (١) ، ﴿ وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ (٢) .
أو دعاء ، نحو : (لَاتُؤَاخِذْنَا) (٣) .

(الوجه الثالث) : التأكيد ، وهى الزائدة ، نحو : ﴿ مَامَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ (٤) ، ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ (٥) ، ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ ﴾ (٦) أى ليعلموا . قال ابن جنى : لاهنا مؤكدة قائمة مقام إعادة الجملة مرة أخرى .

واختلف فى قوله : ﴿ لَاأُقْسِمُ بِيَومِ الْقِيامَةِ ﴾ (٧) . فقيل زائدة . وفائدتها مع التوكيد التمهيد لنفى الجواب ، والتقدير : « لا أقسم بيوم القيامة لايتركون سدًى » ، ومثله ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَايُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ ﴾ (٨) . ويؤيده قراءة «لَأُقسم» ، وقيل : نافية لما تقدم عندهم من إنكار البعث . فقيل لهم ليس الأمر كذلك ، ثم استؤنف القسم ، قالوا : وإنما صحّ ذلك لأن القرآن كله كالسورة الواحدة ، ولهذا يذكر الشىء فى سورة وجوابه فى سورة ، نحو : ﴿ وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عليه الذكرُ إِنَّكَ لمجنونٌ ﴾ (٩) .
﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون ﴾ (١٠)

وقيل : مَنْفِيُّهَا أُقْسِم على أنه إخبار لا إنشاء ، واختاره الزمخشرى ، قال : والمعنى فى ذلك أنه لا يقسم بالشىء إلا إعظامًا له ، بدليل ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ

(١) آل عمران ٢٨ .
(٢) البقرة ٢٣٧ .
(٣) البقرة ٢٨٦ .
(٤) الأعراف ١٢ .
(٥) طه ٩٢ ، ٩٣ .
(٦) الحديد ٢٩ .
(٧) القيامة ١ .
(٨) النساء ٦٥ .
(٩) الحجر ٦ .
(١٠) القلم ٢ .

النُّجُومِ • وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (١)، فكأنه قيل : إن إعظامه بالإقسام به كلا إعظام ، أى أنه يستحق إعظامًا فوق ذلك .

واختلف فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا ﴾ (٢) فقيل : لا نافية ، وقيل ناهية ، وقيل زائدة . وفى قوله تعالى: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٣) فقيل ، زائدة ، وقيل نافية ، والمعنى يمتنع عدم رجوعهم إلى الآخرة .

تنبيه

ترد « لا » اسما بمعنى غير ، فيظهر إعرابها فيما بعدها ، نحو : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (٤) ، ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ (٥) ، ﴿ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ (٦)

فائدة

قد تحذف ألفها ، وخرج عليه ابن جنى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ (٧) .

• • •

لات

اختلف فيها ، فقال قوم : فعل ماض بمعنى نقص . وقيل : أصلها ، ليس تحركت الياء فقلبت ألفًا ، لانفتاح ما قبلها ، وأبدلت السين تاء ، وقيل هى كلمتان لا النافية زيدت عليها التاء لتأنيث الكلمة ، وحركت لالتقاء الساكنين

---

(١) الواقعة ٧٥ ، ٧٦ .
(٢) الأنعام ١٥١ .
(٣) الأنبياء ٩٥ .
(٤) الفاتحة ٧ .
(٥) الواقعة ٣٣ .
(٦) البقرة ٦٨ .
(٧) الأنفال ٢٥ .

وعليه الجمهور . وقيل : هي لا النافية والتاء زائدة ، في أول الحين ، واستدلّ له أبو عبيدة بأنه وجدها في مصحف عثمان مختلطة بحين في الخط.

واختلف في عملها ، فقال الأخفش : لا تعمل شيئاً ، فإن تلاها مرفوع فمبتدأ وخبر ، أو منصوب فبفعل محذوف ، فقوله تعالى : ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [(١)] ، بالرفع ، أي كائن لهم ، وبالنصب أي لا أرى حين مناص .

وقيل : تعمل عمل إنّ .

وقال الجمهور : تعمل عمل ليس ، وعلى كلّ قول لا يُذكر بعدها إلاّ أحد المعمولين ولا تعمل إلاّ في لفظ الحين ، قيل : أو ما رادفه . قال الفرّاء وقد تستعمل حرف جر لأسماء الزمان خاصّة ، وخرج عليها قوله : ﴿ وَلَاتَ حِينِ ﴾ بالجر .

• • •

لاجرم

وردت في القرآن في خمسة مواضع متلوّة بأن واسمها ، ولم يجيء بعدها فعل [(٢)] ، واختلف فيها فقيل : لا نافية لما تقدّم ، وجَرم فعل معناه حق . وأن مع ما في حَيِّزه في موضع رفع .

وقيل : زائدة وجرم معناه كسب ، أي كسب لهم عملهم الندامة ، وما في حيزها في موضع نصب.

---

(١) سورة ص ٣ .

(١) الأول في هود آية ٢٢ ، وثلاثة في النحل في الآيات ٢٣ ، ٦٢ ، ١٠٩ ، والخامس في غافر آية ٤٣ .

وقيل : هما كلمتان ركبتا وصار معناهما حقًا .

وقيل : معناهما لابدّ ، وما بعدها فى موضع نصب بإسقاط حرف الجر .

• • •

لكن

مشددة النون : حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر ، ومعناه الاستدراك وفسِّر بأن تَنسب لما بعدها حكمًا مخالفاً لحكم ما قبلها ، ولذلك لابد أن يتقدمها كلام مخالف لما بعدها أو مناقض له ، نحو: ﴿ومَاكَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ الشَّيَاطِين كَفَرُوا﴾ (١) .

وقد ترد للتوكيد مجردًا عن الاستدراك ، قاله صاحب البسيط ، وفسّر الاستدراك برفع ما تُوُهِّم ثبوته ، نحو ما زيد شجاعًا لكنه كريم ، لأن الشجاعة والكرم لايكادان يفترقان ، فنفىُ أحدهما يوُهم نَفْىَ الآخر .

ومثل التوكيد بنحو : لو جاءنى أكرمته لكنه لم يجىء ، فأُكدت ماأفادته « لو » من الامتناع .

واختار ابن عصفور أنَّها لهما معًا ؛ وهو المختار ، كما أن كأنّ للتشبيه المؤكد ، ولهذا قال بعضهم : إنها مركبة من « لكنْ أنّ » فطرحت الهمزة للتخفيف ونون « لكن » للساكنين .

• • •

(١) البقرة ١٠٢ .

لكنْ

مخففة ضربان :

أحدهما : مخفَّفة من الثقيلة ، وهى حرف ابتداء لايعمل ، بل لمجرد إفادة الاستدراك ، وليست عاطفة لاقترانها بالعاطف فى قوله : ﴿وَلَكِنْ كانوا هم الظَّالِمِين﴾ (١) .

والثانى : عاطفة إذا تلاها مفرد ، وهى أيضا للاستدراك ، نحو : ﴿لَّكِنِ اللهُ يَشْهَدُ﴾ (٢) ، ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ﴾ (٣) ، ﴿لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ (٤) .

• • •

لَدَى ولَدُن

تقدمتا فى عند .

• • •

لعلَّ

حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر ، وله معانٍ :

أشهرها : التوقّع وهو الترجّى فى المحبوب ، نحو : ﴿ لعلَّكم تُفْلِحُونَ ﴾ (٥) .
والإشفاق فى المكروه ، نحو : ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (٦) ، وذكر التنوخىّ أنها تفيد تأكيد ذلك .

الثانى :التعليل ، وخرج عليه : ﴿ فَقولاَ لَهُ قَولاً لَيِّنًا لَّعَلَّهُ يتذكَّر أو يَخشَى ﴾ (٧)

---

(١) الزخرف ٧٦ .
(٢) النساء ١٦٦ .
(٣) التوبة ٨٨ .
(٤) آل عمران ١٩٨ .
(٥) البقرة ١٨٩ .
(٦) الشورى ١٧ .
(٧) طه ٤٤ .

الثالث : الاستفهام ، وخرّج عليه : ﴿ لا تَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحدِثُ بعدَ ذَلِكَ أمرًا ﴾(١) ﴿ وَمَا يُدرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴾(٢) ؛ ولذا علَّق « يدرى » .

قال فى البرهان : وحكى البغوى عن الواقدىّ أن جميعَ مافى القرآن من « لعل » فإنها للتعليل ، إلاقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخلُدُونَ ﴾(٣) فإنَّها للتشبيه ، قال : وكونها للتشبيه غريب لم يذكره النُّحاة ، ووقع فى صحيح البخارى فى قوله : ﴿ لَعَلَّكم تَخلُدُونَ ﴾ ، أن لعل للتشبيه ، وذكر غيره أنه للرجاء المحض وهو بالنسبة إليهم(٤) ، انتهى .

قلتُ : أخرج ابنُ أبى حاتم ، من طريق السُّدى ، عن أبى مالك ، قال : « لعلكم » فى القرآن بمعنى « كى » غير آيةٍ فى الشعراء ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ ، يعنى كأنّكم تخلدون .

وأخرج عن قتادة قال : كان فى بعض القراءة : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصانِعَ كأنَّكُمْ خالِدُونَ ﴾ (*)

• • •

لم

حرف جزم لنفى المضارع وقلبه ماضيًا ، نحو : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾(٥) ، والنصب بها لغة ، حكاها اللّحيانى ، وخرّج عليها قراءة ﴿ أَلَمْ نَشْرَحَ ﴾(٦) .

---

(١) الطلاق ١ .
(٢) عبس ٣ .
(٣) الشعراء ١٢٩ .
(٤) البرهان ٤ ، ٣٩٤ .
(٥) الإخلاص ٣ .
(٦) الشرح ١ .
(*) وهى قراءة فى آية ١٢٩ من الشعراء

﴿ لَمَّا ﴾

على أوجه :

أحدها : أن تكون حرف جزم ، فتختصّ بالمضارع . وتنفيه وتقلبه ماضياً كـ « لم » ، لكن يفترقان من أوجه : أنها لا تقترن بأداة شرط ، ونفيها مستمرٌ إلى الحال وقريب منه ، ومتوقع ثبوته ، قال ابن مالك فى ﴿ لَمَّا يَذوقوا عَذَاب ﴾ (١) المعنى لم يذوقوه وذوقه لهم متوقَّع ، وقال الزمخشريّ فى ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمان فى قُلُوبِكُمْ ﴾ (٢) : ما فى لمّا من معنى التوقع دالٌّ على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد ، وأن نفيها آكد من نفى لم ، فهى لنفى قد فعَل . ولَمْ النفى فعل ؛ ولهذا قال الزمخشريّ فى الفائق تبعاً لابن جنى : إنها مركبة من لم وما ، وإنهم لمّا زادوا فى الإثبات « قد » زادوا فى النفى « ما » ، وأن منفى « لما » جائز الحذف اختياراً ، بخلاف « لم » . وهى أحسن ما يخرج عليه ﴿ وإنَّ كُلاًّ لمَّا ﴾ (٣) . أى لمّا يهملوا أو يتركوا . قاله ابن الحاجب .

قال ابن هشام : ولا أعرف وجهًا فى الآية أشبَه من هذا . وإن كانت النفوس تستبعدُه ، لأن مثله لم يقع فى التنزيل ، قال : والحقُّ ألايستبعَد . ولكن الأولى أن يقدّر « لما يوفَّوْا أعمالهم » ، أى أنهم إلى الآن لم يوفّوها وسيوفونها .

الثانى : أن تدخل على الماضى فتقتضى جملتين ، وُجدت الثانية عند وجود الأولى ، نحو : ﴿ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إلى البرِّ أعرضتمْ ﴾ (٤) ، ويقال فيها : حرف وجود لوجود . وذهب جماعة إلى أنها حينئذ ظرف بمعنى حين .

وقال ابن مالك : بمعنى إذ ؛ لأنها مختصة بالماضى وبالإضافة إلى الجملة .

---

(١) سورة ص ٨ . (٢) الحجرات ١٤ .
(٣) هود ١١١ . (٤) الاسراء ٦٧ .

وجواب هذه يكون ماضيًا كما تقدّم ، وجملة اسمية بالفاء ، أو بإذا الفجائية ، نحو : ﴿ فَلَمَّا نجَّاهُمْ إلى البرّ فمنهم مقتصِدٌ ﴾ (١) ، ﴿ فلمّا نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ (٢) .

وجوّز ابنُ عصفور كونَه مضارعا ، نحو : ﴿ فلمّا ذهب عن إبراهيمَ الرَّوعُ وجاءتْهُ البُشْرَى يجادِلنا ﴾ (٣) وأوّلَه غيرُهُ بـ « جادَلَنا » .

الثالث : أن تكون حرف استثناء ، فتدخل على الاسمية والماضية ، نحو ﴿ إن كُلُّ نفسٍ لَمّا عليها حافظ ﴾ (٤) ، بالتشديد ، أى « إلاّ » ﴿ وإن كل ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا ﴾ (٥) .

• • •

لن

حرف نفى ونصب واستقبال ، والنفى بها أبلغ من النفى بلا ، فهى لتأكيد النفى كما ذكره الزمخشرى وابن الخباز ، حتى قال بعضهم : وإن منعه مكابرة ، فهى لنفى « إنى أفعل » ولا لنفى « أفعل » كما فى « لم » و « لما » .

قال بعضهم : العرب تنفِى المظنون بلن ، والمشكوك بلا ، ذكره ابن الزَّمْلكَانِىّ فى التبيان .

وادّعى الزمخشري أيضًا أنها لتأْبيد النفى كقوله : ﴿ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا ﴾ (٦) ، ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ (٧) .

---

(١) لقمان ٣٢ .
(٢) العنكبوت ٦٥ .
(٣) هود ٧٤ .
(٤) الطارق ٤ .
(٥) الزخرف ٣٥ .
(٦) الحج ٧٣ .
(٧) البقرة ٢٤ .

وقال ابن مالك : وحمله على ذلك اعتقاده في ﴿ لَنْ تراني ﴾ [١] ، أن الله لا يُرى .

وردَّ غيرُه بأنها لو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها باليوم في ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيا ﴾ [٢] ، ولم يصح التوقيت في ﴿ لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ [٣] ، ولكان ذكرُ « الأبدِ » في ﴿ ولنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ [٤] : تكرارًا ، والأصل عدمه واستفادة التأبيد في ﴿ لَنْ يَخْلقوا ذبَابًا ﴾ [٥] . ونحوه من خارج .

ووافقه على إفادة التأبيد ابنُ عطية . وقال في قوله : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ [٦] : لو بُقِّينَا على هذا النفي لتضمن أن موسى لا يراه أبدًا ، ولا في الآخرة ، لكن ثبت في الحديث المتواتر أنّ أهل الجنة يرونه .

وعكس ابن الزَّمْلَكَانيّ مقالة الزمخشري ، فقال : إن لَنْ لنفي ما قرب ، وعدم امتداد النفي ، ولا يمتدُ معنى النفي (*) ، قال : وسرّ ذلك أنّ الألفاظ مشاكِلَةٌ للمعاني و « لا » آخرها الألف ، والألف يمكن امتداد الصوت بها ، بخلاف النون . فطابَق كلّ لفظٍ معناه . قال : ولذلك أتى بـ « لن » حيث لمْ يرد به النفي مطلقًا ، بل في الدنيا حيث قال : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ [٦] وبـ « لا » في قوله : ﴿ لا تدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [٧] ، حيث أُريد نفي الإدراك على الإطلاق ، وهو مغاير للرؤية . انتهى .

---

(١) الأعراف ١٤٣ . (٢) مريم ٢٦ .
(٣) طه ٩١ . (٤) البقرة ٩٥ .
(٥) الحج ٧٣ (٦) الأعراف ١٤٣ .
(٧) الأنعام ١٠٣ .
(*) جاء في البرهان ٤ : ٣٨٧ «أنها تنفي ما قرب . ولا يمتد معنى النفي فيها كامتداد معناها» وهو يفسر ما هنا .

قيل : وتردُ لن للدعاء ، وخرّج عليه : ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكونَ . . ﴾[١] . الآية

• • •

لو

حرف شرط فى المضىّ ، يصرف المضارع إليه ، بعكس « إن » الشرطية ، واختلف فى إفادتها الامتناع وكيفيّة إفادتها إياه على أقوال :

أحدها : أنها لا تفيده بوجهٍ ، ولاتدل على امتناع الشّرط ولا امتناع الجواب ، بل هى لمجرّد ربط الجواب بالشّرط دالّة على التعليق فى الماضى . كما دلّت « أنْ » على التعليق فى المستقبل ، ولم تدلّ بالإجماع على امتناع ولا ثبوت .

قال ابن هشام : وهذا القول كإنكار الضروريات إذْ فَهْمُ الامتناعِ منها كالبديهى ؛ فإن كلّ من سمع « لو فعل » فهم عدم وقوع الفعل من غير تردد ؛ ولهذا جاز استدراكه ، فتقول : لو جاء زيد أكرمته ، لكنه لم يجىء .

الثانى ، وهو لسيبويه : قال : إنها حرف لما كان سيقع لوقوع غيره ، أى أنها تقتضى فِعلاً ماضيا كان يُتوقّع ثبوته لثبوت غيره ، والمتوقّع غير واقع ؛ فكأنه قال : حرف يقتضى فعلاً امتنع لامتناع ما كان يثبتُ لثبوته .

الثالث ، وهو المشهور على ألسنة النحاة ، ومشى عليه المعربون : أنها حرف امتناع لامتناع ، أى يدلّ على امتناع الجواب لامتناع الشرط ، فقولك : لو جئتَ لأكرمتك ، دالٌّ على امتناع الإكرام لامتناع المجىء . واعترض

---

(١) القصص ١٧ .

بعدم امتناع المجيء ، واعترض بعدم امتناع الجواب في مواضع كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ ما فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقلَامٌ والبحَر يَمدُّهُ مِن بَعدِهِ سَبعَةُ أبحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كلمَاتُ اللهِ ﴾ (١) . ﴿ ولو أسمعهم لتولَّوْا ﴾ (٢) ، فإن عدم النفاد عند فقد ما ذكر ، والتولّي عند عدم الإسماع أولى .

والرابع ، وهو لابن مالك : أنها حرف يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه من غير تعرض لنفي التالي . قال : فقيام زيد من قولك : لو قام زيد قام عمرو محكوم بانتفائه وبكونه مستلزمًا ثبوتُه لثبوت قيام من عمرو ، وهل وقع لعمرو قيام آخر غير اللازم عن قيام زيد أو ليس له ؟ لا تعرُّض لذلك . قال ابن هشام : وهذه أجود العبارات .

فائدة

أخرج ابن أبي حاتم ، من طريق الضحاك ، عن ابن عباس قال : كلّ شيء في القرآن « لو » فإنه لا يكون أبدًا .

فائدة ثانية

تختص لو المذكورة بالفعل ؛ وأما نحو : ﴿ قُلْ لَوْ أَنتمْ تَمْلِكُونَ ﴾ (٣) فعلَى تقديره .

قال الزمخشري : وإذا وقعت أنَّ بعدها وجب كون خبرها فعلا ليكون عوضا عن الفعل المحذوف ، وردّهُ ابن الحاجب بآية ﴿ ولو أنَّ ما فِي الأرض ﴾ (٤) . وقال : إنما ذاك إذا كان مشتقا لا جامدًا ، ورده ابن مالك بقوله :

---

(١) لقمان ٢٧ . (٢) الأنفال ٢٣ .
(٣) الاسراء ١٠٠ . (٤) لقمان ٢٧ .

لَوْ أَنَّ حَيًّا مُدْرِكُ الفــــلاح أدركهُ مُلاعِبُ الرِّمَــــــاح

قال ابن هشام : وقد وجدت آية فى التنزيل وقع فيها الخبر اسماً مشتقا ، ولم يتنبه لها الزمخشري . كما لم يتنبه لآية لقمان ، ولا ابن الحاجب ، وإلاَّ لما مَنَع من ذلك . ولا ابن مالك . وإلاَّ لما استدل بالشعر وهى قوله : ﴿ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُون فى الأَعراب ﴾[1] ، ووجدت آية الخبرُ فيها ظرف ﴿ لَوْ أَنْ عِنْدَنَا ذكرًا من الأَولينَ ﴾[2] .

وردَ ذلك الزركشى فى البرهان وابن الدّمامينى : بأن لو فى الآية الأُولى للتمنِّى . والكلام فى الامتناعية . وأعجب من ذلك أن مقالة الزمخشري سبقه إليها السِّيرافى . وهذا الاستدراك وما استدرك به منقول قديما فى شرح الإيضاح لابن الخباز . لكن فى غير مظنَّته ، فقال فى باب إن وأخواتها : قال السيرافىّ : لو أن زيدا أقام لأكرمته ، لا يجوز : لو أن زَيْدًا حاضراً لأكرمته ؛ لأنك لم تلفظ بفعل يسدّ مسد ذلك الفعل . هذا كلامه ، وقد قال تعالى : ﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ ﴾ . فأوقع خبرها صفة . ولهم أن يفرّقوا بأن هذه للتمنّى فأُجريت مجري ليت ، كما تقول : ليتهم بادون . انتهى[3] كلامه .

وجواب « لو » إما مضارع منفى بـ « لم » ، أو ماض مثبت أو منفى بـ « ما » . والغالب على المثبت دخول اللام عليه نحو : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾[4] . ومن تجرده ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾[5] . والغالب على المنفىّ تجرده . نحو : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾[6] .

---

(١) الأحزب ٢٠ .
(٢) الصافات ١٦٨ .
(٣) البرهان ٤ : ٣٧ .
(٤) الواقعة ٦٥ .
(٥) الواقعة ٧٠ .
(٦) الأنعام ١١٢ .

فائدة ثالثة

قال الزمخشرى : الفرق بين قولك : لو جاءنى زيد لكسوتُه ، ولو زيد جاءنى لكسوته ، ولو أن زيدًا جاءنى لكسوته ، أن القصد فى الأوّل مجرّد ربط الفعلين ، وتعليق أحدهما بصاحبه لا غير . من غير تعرّض لمعنى زائد على التعلق الساذج ، وفى الثانى انضمّ إلى التعليق أحد معنيين ؛ إما نفى الشك والشبهة ، وأن المذكور مكسوٌ لا محالة ، وإما بيان أنه هو المختص بذلك دون غيره ، وتخرّج عليه آية ﴿ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ ﴾ [(١)] ، وفى الثالث مع ما فى الثانى زيادة التأكيد الذى تعطيه « أنّ » وإشعار بأنّ زيدًا كان حقه أن يجىء ، وأنه بتركه المجىء قد أغفل حظه ، ويخرج عليه ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا ﴾ [(٢)] ، ونحوه ، فتأمّلْ ذلك ، وخرّجْ عليه ما وقع فى القرآن من أحد الثلاثة .

تنبيه

ترد « لَوْ » شرطية فى المستقبل ، وهى التى يصلح موضعها « إن » ، نحو : ﴿ ولَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون ﴾ [(٣)] . ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ [(٤)] .

ومصدرية : وهى التى يصلح موضعها « أن » المفتوحة ، وأكثر وقوعها بعد « ودّ » ونحوه : نحو ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِن أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ ﴾ [(٥)] . ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ ﴾ [(٦)] . ﴿ يَوَدُّ الْمُجرِمُ لَوْ يَفتدى ﴾ [(٧)] . أى الرد والتعمير والافتداء .

(١) الاسراء ١٠٠ .
(٢) الحجرات ٥
(٣) التوبة ٣٢ .
(٤) الأحزاب ٥٢ .
(٥) البقرة ١٠٩ .
(٦) البقرة ٩٦ .
(٧) المعارج ١١ .

وللتمنى وهى التى يصلح موضعها « ليت » ، نحو : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ (١) ، ولهذا نُصبَ الفعل فى جوابها .

وللتعليل ، وخرّج عليه ﴿ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ (٢) .

• • •

لولا

على أوجه :

أحدها : أن تكون حرف امتناع لوجود ، فتدخل على الجملة الاسمية ، ويكون جوابها فعلا مقرونا باللام إن كان مثبتًا ، نحو : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ ﴾ (٣) . ومجردًا منها إن كان منفيًا نحو : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ (٤) ، وإن وَلِيَهَا ضميرٌ فحقه أن يكون ضمير رفع نحو : ﴿ لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٥)

الثانى : أن تكون بمعنى « هلّا » فهى للتخصيص والعرض فى المضارع ، أو ما فى تأويله ، نحو : ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ ﴾ (٦) ، ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِى إِلَى أجل قَرِيبٍ ﴾ (٧) ، وللتوبيخ والتنديم فى المضارع ، نحو : ﴿ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهداء ﴾ (٨) ، ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ (٩) ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ﴾ (١٠) (فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا) (١١) ،

---

(١) الشعراء ١٠٢ .
(٢) النساء ١٣٥ .
(٣) الصافات ١٤٣ ، ١٤٤
(٤) النور ٢١ .
(٥) سبا ٣١ .
(٦) النمل ٤٦ .
(٧) المنافقون ١٠ .
(٨) النور ١٣ .
(٩) الأحقاف ٢٨ .
(١٠) النور ١٦ .
(١١) الأنعام ٤٣ .

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾ (١) ، ﴿ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢) .

الثالث : أن تكون للاستفهام ، ذكره الهروى ، وجعل منه ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي ﴾ (٣) ، ﴿ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ (٤) ، والظاهر أنها فيهما بمعنى « هلا » .

الرابع: أن تكون للنفى ، ذكره الهروى أيضا ، وجعل منه ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ ﴾ (٥) ، أي فما آمنت قرية ، أى أهلها ، عند مجئ العذاب فنفعها إيمانها . والجمهور لم يثبتوا ذلك وقالوا : المراد فى الآية التوبيخ على ترك الإيمان قبل مجىء العذاب ، ويؤيده قراءة أُبَىّ « فهلاً » والاستثناء حينئذ منقطع .

فائدة

نقل عن الخليل : أن جميع ماق القرآن من « لولا » ، فهى بمعنى «هلا » إلاّ ﴿ فَلَوْلَا أَنَّه كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ (٦) ، وفيه نظرلما تقدمَ من الآيات.

وكذا قوله : ﴿ لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ (٧) ، لولا فيه امتناعية ، وجوابها محذوف ، أي لهمَّ بها ، أو لواقعها .

وقوله : ﴿ لوْلَا أن مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ﴾ (٨) ، وقوله : ﴿ لوْلَا أن رَّبَطْنَا على قلبها ﴾ (٩) أي لأبدت به ، فى آيات أُخَر .

---

(١) الواقعة ٨٣ .
(٢) الواقعة ٨٦ ، ٨٧ .
(٣) المنافقون ١٠ .
(٤) الأنعام ٨ .
(٥) يونس ٩٨ .
(٦) الصافات ١٤٣ .
(٧) يوسف ٢٤ .
(٨) القصص ٨٢ .
(٩) القصص ١٠ .

وقال ابن أبى حاتم : أنبأنا موسى الخطمىّ ، أنبأنا هارون بن أبى حاتم ، أنبأنا عبدالرحمن بن حمّاد ، عن أسباط . عن السُّدّى ، عن أبى مالك ، قال كلّ مافى القرآن « فلولا » فهو « فهلاّ » إلا حرفين : فى يونس :

﴿ فَلَوْلاَ كانت قرية آمنت فنفعها إيمانُها ﴾ [1] ، يقول : فما كانت قرية ، وقوله : ﴿ فَلَوْلاَ أنّه كان من المسبّحِين ﴾ .

وبهذا يتّضح مراد الخليل ، وهو أن مراده « لولا » المقترنة بالفاء .

• • •

لو ما

بمنزلة « لولا » ، قال تعالى : ﴿ لَوْمَا تَأْتِينَا بِالمَلاَئِكَةِ ﴾ [2] ، وقال المالقى : لم ترد إلا للتحضيض .

• • •

ليت

حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر ، ومعناه التمنى ، وقال التَّنُوخىّ : إنها تفيد تأكيده .

• • •

ليس

فعل جامد ، ومن ثمّ ادعى قوم حرفيّته ، ومعناه نفى مضمون الجملة فى الحال ونفى غيره بالقرينة .

وقيل : هى لنفى الحال وغيره ؛ وقوّاه ابن الحاجب بقوله تعالى :

---

(١) يونس ٩٨ . (٢) الحجر ٧ .

﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ [١] ، فإنه نفى للمستقبل .

قال ابن مالك : وترد للنفى العام المستغرق المراد به الجنس كلا التبرئة وهو مما يُغفل عنه ، وخرّج عليه ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾ [٢] .

• • •

مـا

إسمية وحرفية :

فالاسمية ترد موصولة ، بمعنى الَّذي ، نحو : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ باقٍ ﴾ [٣] ، ويستوى فيها المذكر والمؤنث ، والمفرد والمثنى والجمع ، والغالب استعمالها فيما لا يعلم ، وقد تستعمل فى العالِم ، نحو : ﴿ وَالسَّماءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ [٤] ، ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [٥] ، أي الله . ويجوز فى ضميرها مراعاة اللفظ والمعنى ، واجتمعا فى قوله تعالى . ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [٦] ، وهذه معرفة بخلاف الباقى .

واستفهامية ، بمعنى أيّ شيء ، ويُسأل بها عن أعيان مالا يعقل وأجناسه وصفاته ، وأجناس العقلاء وأنواعهم وصفاتهم ، نحو : ﴿ مَا هِيَ ﴾ [٧] ، ﴿ مَا لَوْنُهَا ﴾ ﴿ ما وَلَّاهُمْ ﴾ [٨] ﴿ وما تِلْكَ بِيَمِينِكَ ﴾ [٩] ، ﴿ وَمَا الرَّحْمٰنُ ﴾ [١٠] .

(١) هود ٨ .
(٢) الغاشية ٦ .
(٣) النحل ٩٦ .
(٤) الشمس ٥ .
(٥) الكافرون ٣ .
(٦) النحل ٧٣ .
(٧) البقرة ٦٨ ، ٦٩ .
(٨) البقرة ١٤٢ .
(٩) طه ١٧ .
(١٠) الفرقان ٦٠ .

ولا يسأل بها عن أعيان أولى العلم خلافا لمن أجازه . وأما قول فرعون : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [1] فإنه قاله جهلا ، ولهذا أجابه موسى بالصفات .

ويجب حذف ألفها إذا جُرّت وإبقاء الفتحة دليلا عليها فرقا بينها وبين الموصولة ، نحو : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [2] ، ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴾ [3] . ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [4] ، ﴿ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [5] .

وشرطية نحو : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ ﴾ [6] ، ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ [7] ، ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ [8] ، وهذه منصوبة بالفعل بعدها .

تعجّبية نحو : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ [9] ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [10] ولا ثالث لهما فى القرآن إلاّ فى قراءة سعيد بن جبير : ﴿ ما أَغَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [11] ومحلها رفع بالابتداء ، وما بعدها ، خبر وهى نكرة تامة .

ونكرة موصوفة . نحو : ﴿ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [12] . ﴿ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ ﴾ [13] . أى نعم شيئا يعظكم به .

وغير موصوفة نحو : (فَنِعِمَّا هِيَ) [14] : أى نعم شيئا هى .

والحرفية ترد مصدرية إما زمانية ، نحو : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [15] .

---

(١) الشعراء ٢٣ .
(٢) النبأ ١ .
(٣) النازعات ٤٣ .
(٤) الصف ٢ .
(٥) النمل ٣٥ .
(٦) البقرة ١٠٦ .
(٧) البقرة ١٩٧ .
(٨) التوبة ٧ .
(٩) البقرة ١٧٥ .
(١٠) عبس ١٧ .
(١١) الأنفطار ٦ . وانظر الكشاف ٤ : ٥٧٢ .
(١٢) البقرة ٢٦ .
(١٣) النساء ٥٨ .
(١٤) البقرة ٢٧١ .
(١٥) التغابن ١٦ .

أى مدة استطاعتكم ، أو غير زمانية ، نحو ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ ﴾ (١) ، أى بنسيانكم .

ونافية ؛ إما عاملة عمل ليس ، نحو ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ (٢) ، ﴿ مَاهُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾ (٣) ، ﴿ فَمَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ (٤) ، ولا رابع لها فى القرآن .

أوغير عاملة ، نحو ﴿ وَما تُنْفِقُونَ إِلَّا ابتغاء وَجْهِ اللهِ ﴾ (٥) ، ﴿ فَمَا رَبِحَت تِجَارَتُهُمْ ﴾ (٦) .

قال ابن الحاجب : وهى لنفى الحال ، ومقتضى كلام سيبويه أن فيها معنى التأكيد ؛ لأنه جعلها فى النفى جوابا لقد فى الإثبات ، فكما أن « قد » فيها معنى التأكيد ، فكذلك ما جعل جوابًا لها .

وزائدة للتأكيد إمّا كافة ، نحو ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (٧) ، ﴿ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (٨) ، ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وجُوهُهُم ﴾ (٩) ، ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (١٠) .

أو غير كافة نحو ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ ﴾ (١١) ، ﴿ أَيًّا مَا تَدْعُوا ﴾ (١٢) ، ﴿ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ﴾ (١٣) ، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾ (١٤) ، ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ ﴾ (١٥) ، ﴿ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً ﴾ (١٦) .

---

(١) السجدة ١٤ . (٢) يوسف ٣١ .
(٣) المجادلة ٢ . (٤) الحاقة ٤٧ .
(٥) البقرة ٢٧٢ . (٦) البقرة ١٦ .
(٧) الأنعام ١٩ . (٨) الكهف ١١٠ .
(٩) يونس ٢٧ . (١٠) الحجر ٢ .
(١١) مريم ٢٦ . (١٢) الاسراء ١١٠ .
(١٣) القصص ٢٨ . (١٤) آل عمران ١٥٩ .
(١٥) نوح ٢٥ . (١٦) البقرة ٢٦ .

قال الفارسىّ : جميع ما فى القرآن من الشرط بعد « إمَّا » مؤكد بالنون لمشابهته فعل الشرط ، بدخول ما للتأكيد لفعل القسم من جهة أنّ « ما » كاللام فى القسم ، لما فيها من التأكيد ، وقال أبو البقاء : زيادة « ما » مؤذنة بإرادة شدة التأكيد .

فائدة

حيث وقعت « ما » قبل ليس أو لم أولا ، أو بعد إلَّا فهى موصولة ، نحو ﴿مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ (١) ، ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٢) ، ﴿مَا لاَ تعْلَمُونَ﴾ (٣) ، ﴿إلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ (٤) .

وحيث وقعت بعد كاف التشبيه فهى مصدرية ، وحيث وقعت بعد الباء فإنها تحتملهما نحو ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ (٥) .

وحيث وقعت بين فعلين سابقهما علم أو دراية أو نظر ، احتملت الموصولة والاستفهامية ، نحو ﴿وأَعْلَمُ ما تُبدون وما كنتمْ تكتُمُون﴾ (٦) ، ﴿وما أدْرى ما يفْعَلُ بى ولاَ بِكمْ﴾ (٧) ، ﴿ولْتَنظُرْ نَفسٌ مَّا قَدَّمَت لِغَدٍ﴾ (٨) .

وحيث وقعت فى القرآن قبل « إلا » فهى نافية ، إلا فى ثلاثة عشر موضعا :

﴿ممَّا آتيتُموهنَّ شَيئًا إلَّا أن يَخَافَا﴾ (٩) .

﴿فَنِصف مَا فَرَضتُمْ إلَّا أن يَعْفُونَ﴾ (١٠) .

---

(١) المائدة ١١٦ .
(٢) العلق ٥ .
(٣) البقرة ٣٠ .
(٤) البقرة ٣٢ .
(٥) الأعراف ١٦٢ .
(٦) البقرة ٣٣ .
(٧) الأحقاف ٩ .
(٨) الحشر ١٨ .
(٩) البقرة ٢٢٩ .
(١٠) البقرة ٢٣٧ .

﴿ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ ﴾ (١) .

﴿ ما نَكَحَ آباؤُكُمْ من النِّسَاء إلَّا ما قدْ سَلَف ﴾ (٢)

﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَاذَكَّيْتُمْ ﴾ (٣) .

﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُون به إِلَّا ﴾ (٤) .

﴿ وقدْ فَصَّلَ لَكُم مَاحَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا ﴾ (٥)

﴿ مَا دَامَتِ السَّموات والْأَرْض إِلَّا ﴾ (٦) فى موضعىْ هود .

﴿ فما حَصَدتُمْ فذَرُوه فى سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (٧) ، ﴿ ما قدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا ﴾ (٨) .

﴿ وَإِذ اعتَزَلتُمُوهُمْ وَمَا يعبُدُون إِلَّا اللهَ ﴾ (٩) ،

﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (١٠) ، حيث كان

• • •

ماذا

ترد على أوجه :

أحدها : أن تكون ما استفهامًا وذا موصولة ، وهو أرجح الوجهين فى

(١) النساء ١٩ .

(٢) النساء ٢٢ .

(٣) المائدة ٣ .

(٤) الأنعام ٨٠ .

(٥) الأنعام ١١٩

(٦) هود ١٠٧ ، ١٠٨ ، قال فى البرهان : أحدهما فى ذكر أهل النار والثانى فى ذكر أهل الجنة .

(٧) يوسف ٤٧ .

(٨) يوسف ٤٨

(٩) الكهف ١٦

(١٠) الحجر ٨٥

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ ماذا يُنفِقُونَ قُلِ العَفْوُ ﴾ [١] ، فى قراءة الرفع ، أى الذى ينفقونه العفو ، إذ الأصل أن تجاب الاسمية بالاسمية والفعلية بالفعلية .

الثانى : أن يكون ما استفهامًا وذا إشارة .

الثالث : أن تكون ماذا كلها استفهامًا عَلَى التركيب ، وهو أرجح الوجهين فى ﴿ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ العَفْوَ ﴾ [١] فى قراءة النصب ، أى ينفقون العفو .

الرابع : أن يكون ماذا كلها اسم جنس بمعنى شيء أو موصولا بمعنى الذى .

الخامس : أن تكون ما زائدة وذا للإشارة .

السادس : أن تكون ما استفهاما ، وذا زائدة ، ويجوز أن يخرج عليه [٢] .

• • •

متى

ترد استفهاما عن الزمان نحو ﴿ مَتَى نَصْرُ اللهِ ﴾ [٣] ، وشرطًا ...

• • •

مع

اسم بدليل جرّها بـ « مِن » فى قراءة بعضهم ﴿ هَذَا ذِكْرُ مِنْ مَعِى ﴾ [٤] .

وهى فيها بمعنى عند وأصلها لمكان الاجتماع أو وقته ، نحو ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ [٥] ، ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا ﴾ [٦] ، ﴿ لن أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ ﴾ [٧] .

---

(١) البقرة ٢١٩
(٢) بياض بالأصل .
(٣) البقرة ٢١٤
(٤) الأنبياء ٢٤
(٥) يوسف ٣٦
(٦) يوسف ١٢
(٧) يوسف ٦٦

وقد يراد به مجرّد الاجتماع والاشتراك من غير ملاحظة المكان والزمان ، نحو ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) ، ﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٢) .

وأما نحو ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾ (٣) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ (٤) ، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (٥) ، ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (٦) ، فالمراد به العلم والحفظ والمعونة مجازا .

قال الراغب : والمضاف إليه لفظ « مع » هو المقصور كالآيات المذكورة

• • •

مِنْ

حرف جرّ له معان أشهرها .

ابتداء الغاية مكانًا وزمانًا ، وغيرهما نحو ﴿ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (٧) ، ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ (٨) ، ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ ﴾ (٩) .

والتبعيض بأن يسدّ « بعض » مسدّها ، نحو ﴿ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (١٠) ، وقرأ ابن مسعود « بَعْض ما تحبون » .

والتبيين ، وكثيرا ما تقع بعد « ما ومهما » . نحو ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ ﴾ (١١) ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ (١٢) ﴿ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ ﴾ (١٣) .

(١) التوبة ١١٩
(٢) البقرة ٤٣
(٣) المائدة ١٢
(٤) النحل ١٢٨
(٥) الحديد ٤
(٦) الشعراء ٦٢
(٧) الاسراء ١
(٨) التوبة ١٠٨
(٩) النمل ٣٠
(١٠) آل عمران ٩٢
(١١) فاطر ٢
(١٢) البقرة ١٠٦
(١٣) الأعراف ١٣٢

ومن وقوعها بعد غيرهما ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ (١) ، ﴿ مِن أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴾ (٢) .

والتعليل ، نحو ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا ﴾ (٣) ، ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ ﴾ (٤) .

- والفصل - بالمهملة وهى الداخلة على ثانى المتضادّين (٥) ، نحو ﴿ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ (٦) ، ﴿ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ (٧) .

والبدل ، نحو ﴿ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ (٨) ، أى بدلها ، ﴿ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ (٩) ، أى بدلكم .

وتنصيص العموم ، نحو ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (١٠) ، قال فى الكشاف : هو بمنزلة البناء [عَلَى الْفَتْحِ] (١١) ، فى ﴿ لا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (١٢) ، فى إفادة معنى الاستغراق .

ومعنى الباء ، نحو ﴿ يَنظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ (١٣) ، أى به .

و « عَلَى » ، نحو ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ ﴾ (١٤) أى عليهم .

و « فى » نحو ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾ (١٥) ، أى فيه .

---

(١) الحج ٣٠
(٢) الكهف ٣١
(٣) نوح ٢٥
(٤) البقرة ١٩
(٥) البرهان : «بين المضادين»
(٦) البقرة ٢٢٠
(٧) آل عمران ١٧٩
(٨) التوبة ٣٨
(٩) الزخرف ٦٠
(١٠) آل عمران ٦٢
(١١) من الكشاف
(١٢) الكشاف ١ : ٤٨٤
(١٣) الشورى ٤٥
(١٤) الأنبياء ٧٧
(١٥) الجمعة ٩

وفى الشامل عن الشافعىّ أن « مِنْ » فى قوله تعالى : ﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ ﴾ (١) بمعنى « فى » بدليل قوله : ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ (١) .

و « عن » ، نحو ﴿ قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِن هَذَا ﴾ (٢) ، أى عنه .

و « عند » ، نحو ﴿ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلَادُهُم مِنَ اللهِ ﴾ (٣) ، أى عند .

والتأكيد ، وهى الزائدة فى النفى أو النهى أو الاستفهام ، نحو ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن ورَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ (٤) ، ﴿ مَا تَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ (٥) ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴾ .

وأجازها قوم فى الإيجاب ، وخرّجوا عليه : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٦) ، ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ ﴾ (٧) ، ﴿ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ ﴾ (٨) ، ﴿ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِم ﴾ (٩) .

فائدة

أخرج ابن أبى حاتم ، من طريق السّدّىّ ، عن ابن عباس ، قال : لو أن إبراهيم حين دعا قال : « فاجْعَلْ أَفْئِدَةَ النَّاس تهْوِى إِلَيْهِمْ » لازدحمت عليه اليهود والنصارى ، ولكنه خص حين قال : ﴿ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ ﴾ (١٠) ، فجعل ذلك للمؤمنين .

وأخرج عن مجاهد قال : لو قال : إبراهيم : « فاجعل أفئدة الناس تهوى

---

(١) النساء ٩٢ — (٢) الأنبياء ٩٧
(٣) آل عمران ١٠ — (٤) الأنعام ٥٩
(٥) الملك ٣ — (٦) الأنعام ٣٤
(٧) الكهف ٣١ — (٨) النور ٤٣
(٩) النور ٣٠ — (١٠) ابراهيم ٣٧

إليهم لزاحمتكم عليه الروم وفارس » ، وهذا صريح في فهم الصحابة والتابعين التبعيض من « من » .

وقال بعضهم : حيث وقعت « يغفر لكم » في خطاب المؤمنين لم تذكر معها « من » كقوله في الأحزاب : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (١) : وفي الصف ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٢) .

وقال في خطاب الكفار في سورة نوح : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ (٣) وكذا في سورة إبراهيم وفي سورة الأحقاف ، وما ذاك إلا للتفرقة بين الخطابين ؛ لئلا يسوّى بين الفريقين في الوعد ، ذكره في الكشاف .

• • •

مَنْ

لا تقع إلا اسما ، فتردُ موصولة ، نحو ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٤) .

وشرطية ، نحو ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ (٥) .

واستفهامية نحو : ﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ (٦) .

ونكرة موصوفة ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ﴾ (٧) ، أي فريق يقول .

---

(١) الأحزاب ٧٠ ، ٧١ (٢) الصف ١٠ ـ ١٢
(٣) نوح ٤ (٤) الأنبياء ١٩
(٥) النساء ١٢٣ (٦) يس ٥٢
(٧) البقرة ٨

وهي كـ « ما » في استوائها في المذكر والمفرد وغيرهما ، والغالب استعمالها في العالم عكس « ما » ، ونُكْتته : أن « ما » أكثر وقوعا في الكلام منها ، وما لا يعقِل أكثر ممّنْ يعقل ، فأعطوا ما كثرت مواضعه للكثير ، وما قلّت للقليل للمشاكلة .

قال ابن الأنباريّ : واختصاص « منْ » بالعالم و « ما » بغيره في الموصولتين دون الشرطيّتين ؛ لأن الشرط يستدعي الفعل ولا يَدْخل على الأسماء .

• • •

مهما

اسم ؛ لعود الضمير عليها في ﴿ مَهْمَا تأْتِنا بِهِ ﴾ [1] ، قال الزمخشريّ : عاد عليها ضمير « به » وضمير « بها » حملا على اللفظ وعلى المعنى . وهي شرط لما لا يعقل غير الزمان كالآية المذكورة .

وفيها تأكيد ، ومن ثمّ قال قوم : إن أصلها ما الشرطية وما الزائدة ، أُبدلت ألف الأُولى هاء ، دفعًا للتكرار .

• • •

النُّون

على أوجه :

اسم وهي ضمير النسوة ، نحو ﴿ فلما رأَينه أكبرنَه وَقَطّعْنَ أيديَهنّ وقُلْنَ ﴾ [2] . وحرف وهي نوعان : نون التوكيد وهي خفيفة وثقيلة ، نحو

---

(١) الأعراف ١٣٢ (٢) يوسف ٣١

﴿ لَيُسْجَنَنْ ولَيَكُونَنْ ﴾(١) ، ﴿ لَنَسْفَعَنْ بالنَّاصِيَة ﴾(٢) ، ولم تقع الخفيفة فى القرآن إلا فى هذين الموضعين .

قلت : وثالث فى قراءة شاذة ، وهى ﴿ فَإِذَا جَاء وَعدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءًا وُجُوهَكم ﴾ (٣) .

ورابع : فى قراءة الحسن : ﴿ أَلقِيًا فى جَهنم ﴾ (٤) ، ذكره ابن جنى فى المحتسب .

ونون الوقاية ، وتلحق ياء المتكلم المنصوبة بفعل ، نحو ﴿ فَاعْبُدْنِى ﴾(٥) ، ﴿ لَيَحْزُنُنِى ﴾ (٦) . أو حرف نحو ﴿ يَا لَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ ﴾ (٧) ، ﴿ إننى أَنَا الله ﴾ (٨) . والمجرورة بلدن نحو ﴿ مِنْ لَدُنِّى عُذْرًا ﴾ (٩) . أو من أو عن ، نحو ﴿ مَا أغنى عنى مَالِيَهْ ﴾ (١٠) ، ﴿ وَأَلقيتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى ﴾ (١١) .

• • •

التنوين

نون تثبت لفظًا لاخطًا ، وأقسامه كثيرة :

تنوين التمكين ؛ وهو اللاحق للأسماء المعربة ، نحو ﴿ وهُدًى ورَحْمَةً ﴾(١٢) ، ﴿ وَإلى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ (١٣) ، ﴿ إِنَّا أَرسَلْنا نُوحًا ﴾ (١٤) .

---

(١) يوسف ٣٢ (٢) العلق ١٥
(٣) الاسراء ٧ (٤) ق ٢٤
(٥) طه ١٤ (٦) يوسف ١٣
(٧) النساء ٧٣ (٨) طه ١٤
(٩) الكهف ٧٦ (١٠) الحاقة ٢٨
(١١) طه ٣٩ (١٢) الأنعام ١٥٤
(١٣) هود ٥٠ (١٤) نوح ١

وتنوين التنكير ؛ وهو اللاحق لأسماء الأفعال فرقًا بين معرفتها ونكرتها ، نحو التنوين اللاحق لأُفٍّ فى قراءة مَنْ نوّنه ، ولهيهات فى قراءة من نوّنها .

وتنوين المقابلة ؛ وهو اللاحق لجمع المؤنث السالم ، نحو ﴿ مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ ﴾ (١) .

وتنوين العوض ، إما عن حرف آخرِ مفاعِلِ المعتل ، نحو ﴿ والفجْرِ ۞ ولَيَالٍ ﴾ (٢) ، ﴿ ومِن فَوْقِهِمْ غَواشٍ ﴾ (٣) .

أو عن اسم مضاف إليه فى كلّ وبعض وأيّ ، نحو ﴿ وكُلٌّ فى فلَكٍ يَسْبَحُون ﴾ (٤) ، ﴿ فضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (٥) ، ﴿ أَيًّا مَّا تَدعُوا ﴾ (٦) .

وعن الجملة المضاف إليها إذ ، نحو ﴿ وأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرونَ ﴾ (٧) ، أى حين إذ بلغت الروح الحلقوم .

أو إذا – على ما تقدم عن شيخنا ومن نحا نحوه – نحو ﴿ وإنَّكُمْ إذًا لَمِنَ المقرَّبينَ ﴾ (٨) ، أى إذا غلبتم .

وتنوين الفواصل ، الذى يسمىّ فى غير القرآن الترنّم بدلاً من حرف الإطلاق ، ويكون فى الاسم والفعل والحرف ، وخرّج عليه الزمخشرى وغيره ﴿ قَوَارِيرًا ﴾ (٩) ﴿ واللَّيل إذا يَسْرِ ﴾ (١٠) ﴿ كَلاًّ سَيَكْفُرُون ﴾ (١١) ، بتنوين الثلاثة .

---

(١) التحريم ٥
(٢) الفجر ١ ، ٢
(٣) الأعراف ٤١
(٤) يس ٤٠
(٥) البقرة ٢٥٣
(٦) الاسراء ١١٠
(٧) الواقعة ٨٤
(٨) الشعراء ٤٢
(٩) الانسان ١٥
(١٠) الفجر ٤
(١١) مريم ٨٢

نعم

حرف جواب ، فيكون تصديقًا للمخبر ووعدًا للطالب وإعلامًا للمستخبر ، وإبدال عينها حاء وكسرها ، واتباع النون لها فى الكسر لغات قرىء بها « نعم »

• • •

نِعْم

فعل لإنشاء المدْح لا يتصرف

• • •

الهاء

اسم ضمير غائب ، يستعمل فى الجرّ والنصب ، نحو ﴿ قال له صاحبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ (١) . وحرف للغيبة وهو اللاحق لإيّا ، وللسكت ، نحو ﴿ مَاهِيهْ ﴾ (٢) ، ﴿ كِتَابِيَه ﴾ (٣) ، ﴿ حِسَابِيَه ﴾ (٤) ، ﴿ سُلطَانِيَه ﴾ (٥) ، ﴿ مَالِيَه ﴾ (٦) ، ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ (٧) ، وقرىء بها فى أواخر آى الجمع كما تقدّم وقفًا .

• • •

ها

ترد اسم فعل بمعنى خذ ، ويجوز مدّ ألِفه فيتصرف حينئذ للمثنى والجمع ، نحو : ﴿ هَاؤُمُ اقرءوا كتابيه ﴾ (٨) .

---

(١) الكهف ٣٧ (٢) القارعة ١٠
(٣) الحاقة ١٩ (٤) الحاقة ٢٦
(٥) الحاقة ٢٩ (٦) الحاقة ٢٨
(٧) البقرة ٢٥٩ (٨) الحاقة ١٩

وإما ضميرًا للمؤنث ، نحو ﴿ فألْهَمَهَا فُجُورهَا وتَقْواها ﴾ [١] .

وحرف تنبيه ، فتدخل على الإشارة نحو هؤلاء ، هذان خصمان ، وها هنا ؛ وعلى ضمير الرفع المخبر عنه بإشارة ، نحو ها أنتم أولاء ، وعلى نعت « أيّ » فى النداء ، نحو « يأيُّها الناس » .

ويجوز فى لغة أسد حذف ألف هذه وضمها اتباعا وعليه قراءة ﴿ أيّهُ الثَّقَلانِ ﴾ [٢] .

• • •

هات

فعل أمر لا يتصرف ، ومن ثَمَّ ادّعى بعضُهم أنه اسم فعل .

• • •

هل

حرف استفهام يُطلب به التصديق دون التصور ، ولا يدخل على منفى ولا شرط ، ولا أن ، ولا اسم بعده فعل غالبا ، ولا عاطف ، قال ابن سيده : ولا يكون الفعل معها إلاّ مستقبَلا ، ورُدَّ بقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ وجدْتُمْ مَا وعدَ ربّكم حقًّا ﴾ [٣] .

وترِدُ بمعنى « قد » وبه فُسّر ﴿ هلْ أتى على الإنسانِ ﴾ [٤] .

وبمعنى النفى نحو ﴿ هلْ جزَاءُ الإحسانِ إلّا الإحْسَانُ ﴾ [٥] ، ومعانٍ أخر ستأتى فى مبحث الاستفهام .

• • •

(١) الشمس ٨
(٢) الرحمن ٣١ ، وهى قراءة أهل الشام
(٣) الأعراف ٤٤
(٤) الانسان ١
(٥) الرحمن ٦٠

هلمّ

دعاء إلى الشىء ، وفيه قولان :

أحدهما : أن أصله « ها ولُمّ » من قولك : لَمَمْتُ الشىء ، أى أصلحتُه ، فحُذِفَ الألفُ وركب .

وقيل : أصله « هل أمّ » ، كأنه قيل : هل لك فى كذا ؟ أمّه ، أى اقصده ، فركبا ، ولغة الحجاز تركُه على حاله فى التثنية والجمع ، وبها ورد القرآن ، ولغة تميم إلحاقه العلامات .

• • •

هنا

اسم يشار به للمكان القريب ، نحو ﴿ إنَّا هَا هُنا قاعِدُونَ ﴾ [١] .

وتدخل عليه اللام والكاف فيكون للبعيد ، نحو (هُنالِكَ ابْتُلِيَ المؤمنُونَ ﴾ [٢] .

وقد يشار به للزمان اتساعًا ، وخرج عليه : ﴿ هُنالِكَ تبلُو كلُّ نفسٍ ما أسلفت ﴾ [٣] ، ﴿ هُنالِكَ دَعا زكَرِيا ربَّهُ ﴾ [٤] .

• • •

هيت

أسم فعل بمعى أسرع وبادر ، قال فى المحتسب : وفيها لغات قرىء ببعضها : هَيْتَ بفتح الهاء والتاء ، وهِيتَ بكسر الهاء وفتح التاء ، وهَيْتِ بفتح الهاء

---

(١) المائدة ٢٤ (٢) الأحزاب ١١

(٣) يونس ٣٠ (٤) آل عمران ٣٨

وكسر التاء ، وَهِيتُ ، بفتح الهاء وضمّ التاء ، وقرىء ﴿ هِئْتُ ﴾ [١] ، بوزن جِئتُ . وهو فعل بمعنى تهيَّأت ، وقرىء : ﴿ هُيِّئْتُ ﴾ ، وهو فعل بمعنى أُصلِحتُ .

• • •

هيهات

اسم فعل بمعنى « بَعُد » ، قال تعالى : ﴿ هَيْهاتَ هَيْهاتَ لما تُوعَدون ﴾ [٢] ، قال الزجاج : البعد لما توعدون ، قيل : وهذا غلط أوقعه فيه اللّام ، فإن تقديره بَعُدَ الأمرُ لما توعدون ، أي لأجله .

وأحسن منه أن اللام لتبيين الفاعِل . وفيها لغات ، قرىء منها بالفتح ، وبالضم ، وبالخفض مع التنوين فى الثلاثة وعدمه .

• • •

الواو

جارة وناصبة ، وغير عاملة .

فالجارة واو القسم ، نحو ﴿ واللهِ رَبِّنَا مَا كنا مُشرِكين ﴾ [٣] .

والناصبة واو « مع » ، فتنصب المفعول معه فى رأي قوم ، نحو ﴿ فأَجْمِعوا أمركُم وشُركَاءكُم ﴾ [٤] ولا ثانى له فى القرآن ، والمضارع فى جواب النفى أو الطلب عند الكوفيين ، نحو ﴿ وَلمَّا يعلمِ الله الذِينَ جاهدُوا مِنكُمْ ويَعْلَم

---

(١) يوسف ٢٣ (٢) المؤمنون ٣٦

(٣) الأنعام ٢٣ (٤) يونس ٧١

الصَّابِرِينَ﴾ (١) ، ﴿ ياليتنا نُرَدُّ ولاَ نُكذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا ونكُونَ ﴾ (٢) .

وواو الصرف عندهم ، ومعناها أن الفعل كان يقتضى إعرابا ، فصرفته عنه إلى النصب نحو ﴿ أتجعلُ فيها منْ يُفسِدُ فِيها ويسفِكَ الدماء ﴾ (٣) ، فى قراءة النصب .

وغير العاملة أنواع :

أحدها : واو العطف ، وهى لمطلق الجمع ، فتعطف الشىء على مصاحبه ، نحو ﴿ فَأنْجيناهُ وأَصحابَ السَّفِينَةِ ﴾(٤) .

وعلى سابقه ، نحو ﴿ أرسَلْنَا نُوحًا وَإبراهِيمَ ﴾ (٥) .

ولا حقِه ، نحو ﴿يُوحِى إلَيْكَ وإلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ (٦) .

وتفارق سائر حروف العطف فى اقترانها بإمَّا ، ﴿نحو إمَّاشاكِرًا وَإمَّا كَفُورًا﴾ (٧) .

بـ « لا » بعد نفى نحو ﴿ وَمَا أموالُكُم ولاَ أولادُكُم بِالَّتى تُقَرِّبُكُم﴾ (٨) .

بـ « لكن » ، نحو ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ ﴾ (٩) .

وبعطف العقدِ على النَّيفِ ، والعامِّ على الخاصِّ ، وعكسه نحو (ومَلائكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائيلَ ﴾(١٠) ، ﴿ ربّ اغْفِرْ لِي ولوالدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بيتِىَ مُؤمِنًا وللمُؤمِنِينَ والمؤمِناتِ ﴾(١١) .

---

(١) آل عمران ١٤٢
(٢) الأنعام ٢٧
(٣) البقرة ٣٠
(٤) العنكبوت ١٥
(٥) الحديد ٢٦
(٦) الشورى ٣
(٧) الانسان ٣
(٨) سبأ ٣٧
(٩) الأحزاب ٤٠
(١٠) البقرة ٩٨
(١١) نوح ٢٨

والشيء على مرادفه ، نحو ﴿ صَلَوَاتٌ مِن رَّبِّهِم وَرَحْمَةٌ ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (٢) .

والمجرور على الجوار ، نحو ﴿ بِرُءُوسِكُم وأَرْجُلِكُم ﴾ (٣) .

وقيل : ترد بمعنى « أو » وحمل عليه مالك ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ . . . ﴾ (٤) الآية .

وللتعليل ، وحمل عليه الخارْزَنْجي الواو الداخلة على الأفعال المنصوبة .

(ثانيها) : واو الاستئناف ، نحو ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ﴾ (٥) ﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (٦) ، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (٧) ، ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُم ﴾ (٨) بالرفع ، إذ لو كانت عاطفة لنصب « نقرّ » وانجزم ما بعده ونصب « أجل » .

(ثالثها) واو الحال الداخلة على الجملة الأسمية ، نحو ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ (٩) ، ﴿ يَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُم ﴾ (١٠) ، ﴿ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ (١١) .

وزعم الزمخشري أنها تدخل على الجملة الواقعة صفة ، لتأكيد ثبوت الصفه للموصوف ولصوقها به ، كما تدخل على الحالية ، وجعل من ذلك : ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُم كَلْبُهُم ﴾ (١٢) .

(رابعها) : واو الثمانية ، ذكرها جماعة كالحريريّ وابن خالويه والثعلبيّ ،

---

(١) البقرة ١٥٧ (٢) يوسف ٨٦
(٣) المائدة ٦ (٤) التوبة ٦٠
(٥) الانعام ٢ (٦) الحج ٥
(٧) البقرة ٢٨٢ (٨) الأعراف ١٨٦
(٩) البقرة ٣٠ (١٠) آل عمران ١٥٤
(١١) يوسف ١٤ (١٣) الكهف ٢٢

وزعموا أن العرب إذا عدُّوا يدْخلون الواو بعد السبعة ، إيذانًا بأنها عدد تامّ ، وأن مابعده مستأنف ، وجعلوا من ذلك قوله : ﴿ سيَقُولونَ ثَلاثَةٌ رَابعُهم كلبُهُم ﴾(١) إلى قوله : ﴿ سبعةٌ وثامنهم كلبهم ﴾ .

وقوله : ﴿ التَّائِبُونَ العَابِدُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ والنَّاهُونَ عنِ المنْكَرِ ﴾ (٢) ، لأنه الوصف الثامن .

وقوله : ﴿ مُسلِمَاتٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَبكَارًا ﴾ (٣) .

والصواب عدم ثبوتها وأنها فى الجميع للعطف .

(خامسها) : الزائدة ، وخرّج عليه واحدة من قوله ﴿ وَتَلَّهُ لِلجبِينِ ۝ وَنَادَيْنَاهُ ﴾ (٤) .

(سادسها) : واو ضمير الذكور فى اسم أو فعل ، نحو « المؤمنون » ، ﴿ وإذَا سَمِعُوا اللغوَ أعرَضُوا عَنهُ ﴾(٥) ، ﴿ قُل لِعبَادِيَ الذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا ﴾(٦) .

(سابعها) : واو علامة المذكرين فى لغة طيء ، وخرج عليه ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ (٧) ﴿ ثم عَمُوا وصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ﴾ (٨) .

(ثامنها) : الواو المبدلة من همزة الاستفهام المضموم ما قبلها كقراءة قنبل ﴿ وإليه النشورُ ۝ وأمنْتُمْ ﴾ (٩) ﴿ قال فرعونُ وآمَنْتُم بهِ ﴾ (١٠) .

• • •

(١) الكهف ٢٢
(٢) التوبة ١١٢
(٣) التحريم ٥
(٤) الصافات ١٠٣ ، ١٠٤
(٥) القصص ٥٥
(٦) ابراهيم ٣١
(٧) الأنبياء ٣
(٨) المائدة ٧١
(٩) الملك ١٥ ، ١٦
(١٠) الأعراف ١٢٣

وى كأن

قال الكسائىّ : كلمة تندّم وتعجّب ، وأصله « ويلك » ، والكاف ضمير مجرور .

وقال الأخفش : وىْ اسم فعل بمعنى اعجَب ، والكاف حرف خطاب ، وأنّ على إضمار اللام ، والمعنى : اعجب لأن الله .

وقال الخليل : وَىْ وحدها ، وكأنَّ كلمة مستقلة للتحقيق لا للتشبيه .

وقال ابن الأنبارى : يحتمل وَىْ كأنه ثلاثة أوجه : أن يكون ويك حرفًا ، وأنه حرف والمعنى « ألم تر » ، وأن تكون كذلك ، والمعنى « ويلك » ، وأن تكون وى حرفًا للتعجب وكأنه حرف ، ووصِلا خطًّا لكثرة الاستعمال كما وصل « يَبْنَؤُمَّ » .

• • •

ويل

قال الأصمعىّ : ويل تقبيح ، قال تعالى : ﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تصفون ﴾[1] .

وقد يوضع موضع التحسّر والتفجّع ، نحو ﴿ ياوَيْلَتَنَا ﴾[2] ، ﴿ ياوَيْلَتَى أَعَجَزْتُ ﴾[3] .

أخرج الحربىّ فى فوائده من طريق إسماعيل بن عياش ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) الأنبياء ١٨ (٢) الكهف ٤٩

(٣) المائدة ٣١

« ويحك ! » فجزعت منها ، فقال لى : « ياحميراء ، إن « ويحك » أو « ويسك » رحمة ، فلا تجزعى منها ، ولكن اجزعى من الويل » .

• • •

يا

حرف لنداء البعيد ، حقيقة أو حكما ، وهى أكثر أحرفه استعمالاً ، ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها ، نحو ﴿ربِّ اغفرلى﴾[1] ، ﴿يوسُفُ أعْرِضْ﴾[2] ولا ينادى اسم الله وأيُّهَا وأيتها إلا بها .

قال الزمخشرى : وتفيد التأكيد المؤذِن بأن الخطاب الذى يتلوه معتنًى به جدًّا .

أو ترد للتنبيه فتدخل على الفعل والحرف ، نحو ﴿ ألاَّ يَسْجُدُوا ﴾[3] ، ﴿ يَالَيْتَ قَوْمِى يَعلَمونَ ﴾[4] .

تنبيه

ها قد أتيت على شرح معانى الأدوات الواقعة فى القرآن على وجه موجَز مفيد محصِّل للمقصود منه ، ولم أبسطه ؛ لأن محلّ البسط والأطناب إنما هو تصانيفنا فى فن العربية وكتبنا النحوية . والمقصود فى جميع أنواع هذا الكتاب إنما هو ذكر القواعد والأصول لا استيعاب الفروع والجزئيّات .

---

(١) نوح ٢٨
(٢) يوسف ٢٩
(٣) النمل ٢٥
(٤) يس ٢٦

النوع الحادى والأربعون

فى معرفة إعرابه

أفرده بالتصنيف خلائق : منهم مكىّ ، وكتابه فى المشكل خاصّة ، والحوفىّ ؛ وهو أوضحها ، وأبو البقاء العكبرىّ ؛ وهو أشهرها ، والسّمين ؛ وهو أجلّها على ما فيه من حشو وتطويل ، ولخّصه السّفاقُسىّ فحرّره ، وتفسير أبى حيان مشحون بذلك .

ومن فوائد هذا النوع معرفة المعنى ؛ لأن الإعراب يميّز المعانى ويوقف على أغراض المتكلمين .

أخرج أبو عُبيد فى فضائله ، عن عمر بن الخطاب ، قال : « تعلّموا اللّحْن والفرائض والسُّنن كما تعلّمون القرآن » .

وأخرج عن يحيى بن عتيق ، قال : قلت للحسن : ياأباسعيد ، الرّجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ، ويقيم بها قراءته ، قال : حسنٌ يابن أخى فتعلّمها ، فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها ، فيهلك فيها .

وعلى الناظر فى كتاب الله تعالى الكاشف عن أسراره ، النّظر فى الكلمة وصيغتها ومحلّها ، ككونها مبتدأ أو خبرًا أو فاعلا أو مفعولا ، أو فى مبادىء الكلام أو فى جواب ؛ إلى غير ذلك .

ويجب عليه مراعاة أمور :

أحدها : وهو أوّل واجب عليه . أن يفهم معنى مايريد أن يُعربه مفردًا أو مركبًا قبل الإعراب ؛ فإنه فرْع المعنى ، ولهذا لايجوز إعرابُ فواتح السور إذا قلنا بأنها من المتشابه الّذِى استأثر الله بعلمه .

وقالوا فى توجيه نصب « كلالة » فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً ﴾ (١) : إنه يتوقّف على المراد بها ، فإن كان اسما للميّت فهو حال ، و« يورث » خبر « كان » أو صفة ، وكان تامّة أو ناقصة ، وكلالة خبر ، أو للورثة فهو على تقدير مضاف ، أى ذا كلالة ؛ وهو أيضًا حال أو خبر كما تقدم ، أو للقرابة فهو مفعول لأجله .

وقوله : ﴿ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِى ﴾ (٢) : إن كان المراد بالمثانى القرآن ـ فـ « من » للتبعيض ، ـ أو الفاتحة فلبيان الجنس

وقوله : ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تقاة ﴾ ، إن كان بمعنى الاتقاء فهى مصدر ، أو بمعنى متّقى ، أى أمرًا يجب اتّقاؤه فمفعول به ، أو جمعًا كرماة فحال .

وقوله : ﴿ غُثَاءً أَحْوَى ﴾ (٣) ، إن أريد به الأسود من الجفـــاف واليبس فهوصفة لغثاء ، أو من شدة الخُضرة فحال من المرْعى .

قال ابن هشام : وقد زلّت أقدامُ كثير من المعربين راعوا فى الإعراب ظاهر اللفظ ولم ينظروا فى موجب المعنى ، من ذلك قوله : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَــلَ فِى أَمْوَالِنَا مَانَشَاءُ ﴾(٤) ، فإنه يتبادر إلى الذهن عطف « أن نفعل » على « أن نترك » ، وذلك باطل ؛ لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا فى أموالهم مايشاءون ، وإنّما هو عطف على « ما » فهو معمول للترك ، والمعنى : أن نترك أن نفعل ، وموجب الوهم المذكر أنّ المعرب يرى أن والفعلَ مرتين ، وبينهما حرف العطف .

• • •

(١) النساء ١٢ (٢) الحجر ٨٧
(٣) الأعلى ٥ (٤) هود ٨٧

الثانى : أن يراعى ما تقتضيه الصناعة ، فربما راعى المعرب وجهًا صحيحًا ولاينظر في صحته فى الصناعة فيخطىء .

من ذلك قول بعضهم : ﴿ وثمودًا فما أبقى ﴾ (١) : إن ثمودًا مفعول مقدم، وهذا ممتنع لأن لـ « ما » النافية الصدر فلا يعمل مابعدها فيما قبلها ، بل هو معطوف على « عادًا » أو على تقدير : « وأهلك ثمودًا » .

وقول بعضهم فى ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (٢) ، ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ (٣) : إن الظرف متعلّق باسم لا ، وهو باطل ؛ لأن اسم « لا » حينئذ مطوّل فيجب نصبه وتنوينه ، وإنما هو متعلّق بمحذوف .

وقول الحوفىّ : إنّ الباء من قوله : ﴿ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٤) متعلّقة بـ « ناظرة » ، وهو باطل ؛ لأن الاستفهام له الصّدْر ، بل هو متعلّق بما بعده.

وكذا قول غيره فى :﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا ﴾ (٥) : إنه حال من معمول « ثقفوا » أو « أخذوا » باطل ؛ لأنّ الشرط له الصّدر ، بل هو منصوب على الذّم .

* * *

الثالث : أن يكون مليًّا بالعربيّة لئلاّ يخرّج على ما لم يثبت ، كقول أبي عبيدة فى ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ (٦) : إن الكاف قسم ، حكاه مكّى وسكت عليه ، فشنّع ابن الشجرى عليه فى سكوته . ويُبطله أنّ الكاف لم تجىء

(١) النجم ٥١
(٢) هود ٤٣
(٣) يوسف ٩٢
(٤) النمل ٣٥
(٥) الأحزاب ٦١
(٦) الأنفال ٥

بمعنى واو القسم ، وإطلاق ما الموصولة على الله وربط الموصول بالظاهر وهو فاعل « أخرجك » وباب ذلك الشعر .

وأقرب ما قيل فى الآية ، إنها مع مجرورها خبر محذوف ، أى هذه الحال من تنفيلك الغُزاة على ما رأيت فى كراهتهم لها كحال إخراجك للحرب فى كراهيتهم لها . وكقول ابن مهران فى قراءة : « إن البقر تّشابهت » بتشديد التاء : إنه من زيادة التاء فى أول الماضى ، ولا حقيقة لهذه القاعدة ، وإنما أصل القراءة « إن البقرة تشابهت » بتاء الوحدة ، ثم أدغمت فى تاء « تشابهت » فهو إدغام من كلمتين .

الرابع : أن يتجنب الأمور البعيدة ، والأوجه الضعيفة ، واللغات الشاذة . ويخرج على القريب والقوىّ والفصيح ؛ فإن لم يظهر فيه إلا الوجه البعيد فله عُذر ، وإن ذكر الجميع لقصد الإغراب والتكثير فصعب شديد ، أو لبيان المحتمل وتدريب الطالب فحسن فى غير ألفاظ القرآن ، أمّا التنزيل فلا يجوز أن يخرّج إلاّ على ما يغلب على الظّن إرادته ، فإن لم يغلب شىء فليذكر الأوجه المحتملة من غير تعسّف ، ومن ثمّ خُطِّىء من قال فى ﴿ وَقِيلِهِ ﴾ (١) ، بالجرّ أو النصب : إنه عطف على لفظ « الساعة » (٢) أو محلّها لما بينهما من التباعد ، والصواب أنه قسم أو مصدر « قال » مقدّرًا .

ومن قال فى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ ﴾ (٣) : إن خبره ﴿ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (٣) ، والصواب أنه محذوف.

ومن قال فى : ﴿ صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ (٤) : إن جوابه « إن ذلك

(١) الزخرف ٨٨
(٢) من قوله الآية ٨٥ قبلها من الزخرف :«وعنده علم الساعة»
(٣) فصلت ٤١ ، ٤٤ (٤) ص ١

لحق » ، والصواب أنه محذوف ، أى ما الأمر كما زعموا ، أو أنه لمعجز أو إنك لمن المرسلين .

ومن قال : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ ﴾ (١) : إن الوقف على « جناح » و « عليه » إغراء ؛ لأن إغراء الغائب ضعيف بخلاف القول بمثل ذلك فى ﴿ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا ﴾ (٢) ؛ فإنه حسن ؛ لأن إغراء المخاطب فصيح.

ومن قال فى : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ (٣) : إنه منصوب على الاختصاص لضعفه بعد ضمير المخاطب ، والصواب أنه منادى.

ومن قال فى : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِى أَحْسَنُ ﴾ (٤) بالرفع : إن « أصله » أحسنوا ، فحذفت الواو اجتزاء عنها بالضمة ؛ لأن باب ذلك الشعر ، والصواب تقدير مبتدأ ؛ أى هو أحسن .

ومن قال فى : ﴿ وإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ ﴾ (٥) ، بضم الرّاء المشددة إنه من باب :

* إنك إن يُصْرَعْ أخوك تصرَعِ *

لأن ذلك خاص بالشعر . والصواب أنها ضمة إتباع وهو مجزوم .

ومن قال فى : ﴿ وأرجُلِكُم ﴾ (٦) : إنه مجرور على الجوار ، لأن الجر على الجوار فى نفسه ضعيف شاذ لم يَرِدْ منه إلا أحرف يسيرة ، والصواب أنه معطوف على ﴿ برءوسِكُمْ ﴾ على أن المراد به مسح الخفّ .

قال ابن هشام : وقد يكون الموضع لا يتخرّج إلا على وجه مرجوح ،

---

(١) البقرة ١٥٨
(٢) الأنعام ١٥١
(٣) الأحزاب ٣٣
(٤) الأنعام ١٥٤
(٥) آل عمران ١٢٠
(٦) المائدة ٦

فلا حرج على مُخَرِّجِه كقراءة ﴿ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) قيل : الفعل ماض ويضعّفه إسكان آخره وإنابة ضمير المصدر عن الفاعل ، مع وجود المفعول به . وقيل : مضارع أصله « نُنْجِى » بسكون ثانية ، ويضعّفه أن النُّون لا تدغم فى الجيم ، وقيل : أصله « نُنَجِّى » بفتح ثانية وتشديد ثالثة ، فحذفت النون ، ويضعّفه أن ذلك لا يجوز إلا فى التاء .

• • •

الخامس : أن يستوفىَ جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظَّاهرة ، فتقول فى نحو ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (٢) : يجوز كون « الأعلى » صفة للرب أو صفة للاسم . وفى نحو :﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ ﴾ (٣) : يجوز كون « الذين » تابعاً ومقطوعاً إلى النصب بإضمار « أعنى » أو « أمدح » وإلى الرفع بإضمار « هم » .

• • •

السادس : أن يراعى الشروط المختلفة بحسب الأبواب ، ومتى لم يتأمّلها اختلطت عليه الأبواب والشرائط ، ومن ثمَّ خُطِّىء الزمخشري فى قوله تعالى : ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَٰهِ النَّاسِ ﴾ (٤) : إنهما عطف بيان ؛ والصواب أنهما نعتان لاشتراط الاشتقاق فى النعت والجمود فى عطف البيان .

وفى قوله فى : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ (٥) بنصب « تخاصمَ » : إنَّه صفة للإشارة ؛ لأن اسم الإشارة إنما ينعت بذى اللاَّم الجنسية ، والصواب كونه بدلا .

---

(١) الأنبياء ٨٨ (٢) الأعلى ١
(٣) البقرة ٢ ، ٣ (٤) الناس ٢ ، ٣
(٥) ص ٦٤

وفى قوله فى : ﴿ فاسْتبَقوا الصِّرَاطَ ﴾[1] ، وفى : ﴿ سَنعِيدُها سِيرَتَهَا ﴾[2] : إن المنصوب فيهما ظرف ؛ لأن ظرف المكان شرطه الإبهام ، والصواب أنه على إسقاط الجار توسّعا ، وهو فيهما « إلى » .

وفى قوله : ﴿ ماقلْتُ لهُمْ إلاَّ مَا أمَرْتنِى بِهِ أنِ اعْبُدوا الله ﴾[3] : إن « أن » مصدرية ، وهى وصلتها عطف بيان على الهاء ، لامتناع عطف البيان على الضمير كنعته . وهذا الأمر السادس عدّه ابن هشام فى المغنى ، ويحتمل دخوله فى الأمر الثانى .

• • •

السابع : أن يراعى فى كل تركيب مايشاكله ، فربّما خرج كلاماً على شيء ، ويشهد استعمالٌ آخر فى نظير ذلك الموضع بخلافه ، ومن ثم خُطِّىء الزمخشرى فى قوله فى : ﴿ ومُخرجُ الْميتِ من الحى ﴾[4] : إنه عطف على ﴿فالقُ الحبِّ والنَّوى﴾[4] ، ولم يجعله معطوفاً على ﴿ يُخْرِج الحَى من الميت ﴾[4] لأن عطف الاسم على الاسم أوْلى ، ولكن مجيء قوله : ﴿ يُخرجُ الحىَّ من الميت ويخرج الميت مِن الحى ﴾[5] ، بالفعل فيهما ، يدلّ على خلاف ذلك ، ومن ثم خُطىء من قال فى : ﴿ ذٰلِكَ الْكِتابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[6] : إن الوقف على « ريب » و « فيه » خبر « هدى » ، ويدلّ على خلاف ذلك قوله فى سورة السجدة : ﴿ تنْزِيل الْكِتابِ لارَيْب فِيهِ من ربِّ الْعالمِينَ ﴾[7] .

(١) يس ٦٦
(٢) طه ٢١
(٣) المائدة ١١٧
(٤) الأنعام ٩٥
(٥) الروم ١٩
(٦) البقرة ٢
(٧) السجدة ٢

ومن قال فى : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (١) : إن الرابط الإشارة ، وإن الصابر والغافر جُعلا من عزم الأمور مبالغة ؛ والصوابُ أن الإشارة للصبر والغفران بدليل : ﴿ وَإِنْ تصبِرُوا وَتَتَّقُوا فإِنَّ ذَلِكَ مِن عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (٢) ، ولم يقل « إنكم » .

ومن قال فى نحو : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ ﴾ (٣) : إن المجرور فى موضع رفع ، والصواب فى موضع نصب ؛ لأن الخبر لم يجىء مجرّدًا من الباء إلا وهو منصوب .

ومن قال فى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَنْ خلَقَهم لَيَقُولن الله ﴾ (٤) : إن الاسم الكريم مبتدأ ؛ والصواب أنه فاعل بدليل ﴿ لَيَقولنَّ خَلَقَهُن العزِيز العَلِيمُ ﴾ (٥)

تنبيه : وكذا إذا جاءت قراءة أخرى فى ذلك الموضع بعينه تساعد أحد الإعرابين ، فينبغى أن يترجح ، كقوله ﴿ ولكِنَّ البر من آمنَ ﴾ (٦) ، قيل : التقدير : ولكنَّ ذا لبرّ ، وقيل : ولكن البِرَّ برُّ منآمن ، ويؤيد الأول أنه قرىء « ولكن البارّ » .

تنبيه : وقد يوجد مايرجح كلاًّ من المحتملات ، فينظر فى أوْلاها ، نحو ﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنا وبَيْنك موعِدا ﴾ (٧) ، فـ « موعدا » محتمل للمصدر ، ويشهد له ﴿ لا نخْلِفهُ نحنُ ولاَ أنتَ ﴾ (٧) . وللزمان ، ويشهد له ﴿ قَال مَوعِدُكم يَوْمُ الزِّينَةِ ﴾ (٧) . وللمكان ويشهد له ﴿ مكاناً سُوى ﴾ (٧) . وإذا أعرب « مكاناً » بدلا منه لاظرفا لـ « تخلفه » تعين ذلك .

---

(١) الشورى ٤٣
(٢) آل عمران ١٨٦
(٣) الأنعام ١٣٢
(٤) الزخرف ٨٧
(٥) الزخرف ٩
(٦) البقرة ١٧٧
(٧) طه ٥٨ . ٥٩

الثامن : أن يراعى الرسم ، ومن ثم خُطِّىء من قال فى ﴿ سَلْسَبِيلاً ﴾ [١] : إنها جملة أمرية ، أى سل طريقا موصلة إليها ، لأنها لو كانت كذلك لكتبت مفصولة .

ومن قال فى : ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ [٢] ، : إنها ، إن واسمها ، أى إنّ القصة ، وذان مبتدأ خبره « لساحران » ، والجملة خبر إن ، وهو باطل برسم «أن » منفصلة وهذان متصلة .

ومن قال فى : ﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ [٣] : إن اللام للابتداء والذين مبتدأ والجملة بعده خبره ، وهو باطل ، فإن الرسم « ولا » .

ومن قال فى ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ ﴾ [٤] : إن « هم أشدُّ » مبتدأ وخبر ، وأىّ مقطوعة عن الإضافة ، وهو باطل برسم « أيّهم » متصلة .

ومن قال : فى ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [٥] : إن « هم » ضمير رفع مؤكِّد للواو ، وهو باطل برسم الواو فيهما بلا ألف بعدها ، والصواب أنّه مفعول .

• • •

التاسع : أن يتأمل عند ورود المشتبهات ، ومن ثمّ خُطِّى من قال فى ﴿ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ [٦] : إنه أفعل تفضيل ، والمنصوب تمييز ، وهو باطل ، فإن الأمد ليس محصيا ، بل مُحْصًى ، وشرط التمييز المنصوب بعد

---

(١) الإنسان ١٨
(٢) طه ٦٣ وهى قراءة نافع وابن عامر
(٣) النساء ١٨
(٤) مريم ٦٩
(٥) المطففين ٣
(٦) الكهف ١٢

« أذل » كونه فاعلاً فى المعنى ، فالصواب إنه فعل ، وأمدًا مفعول ، مثل ﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ (١) .

• • •

(العاشر) : ألاّ يخرّج على خلاف الأصل ، أو خلاف الظاهر لغير مقتضٍ ومن ثمّ خطىء مكّى فى قوله فى : ﴿ لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأذى كالذِي ﴾ (٢) : أن الكاف نعت لمصدر ، أى إبطالا كإبطال الذى . والوجه كونه حالا من الواو ، أى لاتبطلوا صدقاتكم مشبهين الذى ، فهذا لاحذف فيه .

• • •

الحادى عشر : أن يبحث عن الأصلىّ والزائد ، نحو : ﴿ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ (٣) ، فإنه قد يُتوهم أن الواو فى ﴿ يعفون ﴾ ضمير الجمع ، فيشكل إثبات النون ، وليس كذلك ؛ بل هى فيه لام الكلمة ، فهى أصلية والنون ضمير النسوة ، والفعل معها مبنىٌّ ، ووزنه : « يفعلن » بخلاف ﴿ وأن تعفوا أقْرَبُ ﴾ (٣) فالواو فيه ضمير الجمع ؛ وليست من أصل الكلمة .

• • •

الثانى عشر : أن يجتنب إطلاق لفظ الزائد فى كتاب الله تعالى ، فإن الزائد قد يُفهم منه أنه لامعنى له ، وكتاب الله منزّه عن ذلك ، ولذا فرّ بعضُهم إلى التعبير بدلَه بالتأكيد ، والصلة ، والمقحم .

وقال ابن الخشاب : اختُلف فى جواز إطلاق لفظ الزائد فى القرآن ،

---

(١) الجن ٢٨ (٢) البقرة ٢٦٤

(٣) البقرة ٢٣٧

فالأكثرون على جوازه نظرًا إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم ، ولأن الزيادة بإزاء الحذف هذا للاختصار والتخفيف ، وهذا للتوكيد والتوطئة . ومنهم من أبى ذلك وقال : هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعانٍ تخصّها ، فلا أقضِي عليها بالزيادة .

قال : والتحقيق أنه إن أريد بالزيادة إثبات معنًى لاحاجة إليه فباطل ؛ لأنه عبث ، فتعينَ أنّ إلينا به حاجة ؛ لكن الحاجة إلى الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد ؛ فليست الحاجة إلى اللفظ الذى عدّه هؤلاء زيادة كالحاجة إلى اللفظ المزيد عليه . انتهى .

وأقول : بل الحاجة إليه كالحاجة إليه سواء ، بالنظر إلى مقتضى الفصَاحة والبلاغة ، وأنه لو ترك كان الكلام دونه مع إفادته أصلَ المعنى المقصود أبترَ خاليًا عن الرَّونق البليغىّ لا شبهة فى ذلك ، ومثل هذا يُستشهد عليه بالإسناد البيانىّ الذى خالط كلام الفصحاء ، وعرف مواقع استعمالهم وذاق حلاوة ألفاظهم ، وأما النحوىّ الجافى فعن ذلك بمنقطَع الثرى .

تنبيهات

الأول : قد يتجاذَب المعنى والإعرابُ الشىء الواحد ، بأنْ يوجد فى الكلام أن المعنى يدعو إلى أمرٍ والإعرابُ يمنع منه ، والمتمسَّكُ به صحةُ المعنى ويُؤَوَّل لصحة الإعراب ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ، يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ (١) ، فالظرف الذى هو « يوم » يقتضى المعنى أنه يتعلّق بالمصدر ، وهو « رجْع » أى أنه على رجعه فى ذلك اليوم لقادر ؛ لكن الإعراب يمنع منه لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله ، فيجعل العامل فيه فعلا مقدرًا دلّ عليه المصدر

(١) الطارق ٨ ، ٩ .

وكذا : ﴿ أَكبرُ من مقْتِكُمْ أنْفُسَكمُ إذ تُدْعَوْن ﴾ [١] ، فالمعنى يقتضى تعلّق «إذ» بالمقت ، والإعراب يمنعه للفصل المذكور فيقدرّ له فعل يدل عليه.

الثانى : قد يقع فى كلامهم : هذا تفسير معنًى ، وهذا تفسير إعراب ، والفرْق بينهما أن تفسير الإعراب لابدّ فيه من ملاحظة الصناعة النحوية ، وتفسير المعنى لاتضرّه مخالفة ذلك .

الثالث : قال أبو عبيد فى فضائل القرآن : حدثنا أبو معاوية ، عن هشام لبن عروة ، عن أبيه ، قال : سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله تعالى : ﴿ إن هذان لَساحِرَانِ ﴾ [٢] وعن قوله تعالى :﴿ وَالمُقِيمينَ الصَّلاةَ وَالمُؤتُون الزَّكاةَ﴾[٣] ، وعن قوله تعالى :﴿ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا والصَّابئُونَ ﴾[٤] ، فقالت : يابن أخى ،هذا عمل الكتَّاب ، أخطئوا فى الكتاب .هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين .

وقال : حَدّثنا حجاج ، عن هارون بن موسى ، أخبرنى الزُّبير بن الخِرِّيت ، عن عِكْرمة ، قال : لما كتبت المصاحف عُرِضَتْ على عثمان ، فوجد فيها حروفاً من اللَّحن ، فقال : لاتغيروها ؛ فإن العرب ستغيرها ــ أو قال : ستعربها ــ بألسنتها ؛ لو كان الكاتب من ثَقِيف والمملى من هُذيل لم توجد فيه هذه الحروف . أخرجه ابن الأنبارى فى كتاب الرد على مَنْ خالف مصحف عثمان وابن أشْته فى كتاب المصاحف .

ثم أخرج ابن الأنبارىّ نحوه ، من طريق عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، وابن أشْته نحوه من طريق يحيى بن يعمر.

---

(١) غافر ١٠ (٢) طه ٦٣

(٣) النساء ١٦٢ (٤) المائدة ٦٩

وأخرج من طريق أبي بِشْر ، عن سعيدبن جُبير ، أنه كان يقرأ ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ ويقول : هو لحن من الكاتب .

وهذه الآثارمشكلة جدًا ، وكيف يُظنّ بالصحابة أوّلاً أنهم يلحنون فى الكلام فضلاً عن القرآن ، وهم الفصحاء اللدّ ! ثم كيف يُظن بهم ثانيًا فى القرآن الذى تلقّوْه من النبى صلى الله عليه وسلم كما أُنزل ، وحفظوه وضبطوه ، وأتقنوه ! ثم كيف يُظَن بهم ثالثًا اجتماعهم كلهم على الخطإ وكتابته ! ثم كيف يظن بهم رابعا عدمُ تنبههم ورجوعهم عنه ! ثم كيف يظنّ بعثمان أنه ينهى عن تغييره ! ثم كيف يُظَنّ أن القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطإ ، وهو مرويّ بالتواتر خلَفًا عن سلف ! هذا مما يستحيل عقلا وشرعا وعادة . وقد أجاب العلماء عن ذلك بثلاثة أجوبة :

(أحدها) : أن ذلك لا يصحّ عن عثمان ؛ فإن إسناده ضعيف مضطرب منقطع ، ولأن عثمان جُعل للناس إمامًا يقتدون به ، فكيف يرى فيه لحنًا ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها ! فإذا كان الذين تولّوْا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك وهم الخيار ، فكيف يقيمه غيرهم ! وأيضا فإنه لم يكْتُبْ مصحفاً واحداً ، بل كتب عدة مصاحف ، فإن قيل : إن اللحن وقع فى جميعها ، فبعيد اتفاقها على ذلك ، أو فى بعضها فهو اعتراف بصحة البعض ، ولم يذكر أحد من الناس أن اللحن كان فى مصحف دون مصحف ، ولم تأْت المصاحف قط مختلفة إلاّ فيما هو من وجوه القراءة ، وليس ذلك بلحن .

(الثانى) : على تقدير صحة الرواية ، إن ذلك محمول على الرمز والإشارة ومواضع الحذف ، نحو « الكتٰب » ، « الصّٰبرين » ، وما أشبه ذلك .

(الثالث) : أنّه مؤوّل على أشياء خالف لفظها رسمها ، كما كتبوا

﴿ولا أوضعوا﴾[1] و﴿ لا أذبحنه﴾[2] بألف بعد لا . و ﴿جزاؤا الظالمين ﴾[3] بواو وألف . و « بأييد »[4] بياءين . فلو قرىء بظاهر الخط لكان لحنًا ، وبهذا الجواب وما قبله جزم ابن أشته فى كتاب المصاحف .

وقال ابن الأنبارى فى « كتاب الرّدّ على من خالف مصحف عثمان » فى الأحاديث المروية عن عثمان فى ذلك : لا تقوم بها حجة ؛ لأنها منقطعة غير متصلة ، وما يشهد عقل بأن عثمان وهو إمام الأمة الذى هو إمام النّاس فى وقته ، وقدوتهم ، يَجمعهم على المصحف الذى هو الإمام فيتبين فيه خللاً ، ويشاهد فى خطِّه زللاً فلا يصلحه ! كلاَّ والله ما يتوهّم عليه هذا ذو إنصاف وتمييز ، ولا يعُتقد أنه أخَّر الخطأ فى الكتاب ليصلحه من بعده . وسبيل الجائين من بعده البناء على رسمه والوقوف عند حكمه . ومن زعم أنَّ عثمان أراد بقوله : « أرى فيه لحنًا » ، أرى فى خطه لحنًا إذا أقمناه بألسنتنا كان لحن الخطّ غير مفسد ولا محرِّف من جهة تحريف الألفاظ وإفساد الإعراب فقد أبطل ولم يُصِبْ ؛ لأن الخط منبىء عن النطق ، فمن لحن فى كَتْبِه فهو لاحن فى نطقه ، ولم يكن عثمان ليؤخِّر فسادًا فى هجاء ألفاظ القرآن من جهة كَتْب ولانطق . ومعلوم أنه كان مواصلاً لدرس القرآن ، مُتقِنًا لألفاظه ، موافقا على ما رُسِم فى المصاحف المنفَّذة إلى الأمصار والنواحى . ثم أيّد ذلك بما أخرجه أبو عبيد قال : حدّثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن عبد الله بن مبارك ، حدثنا أبو وائل - شيخ من أهل اليمن - عن هانىء البربرىّ مولى عثمان ، قال : كنت عند عثمان وهم يَعْرضون المصاحف ، فأرسلنى بكتِف شاة إلى أُبَى بن كعب ، فيها ﴿ لمْ

(١) التوبة ٤٧ (٢) النمل ٢١
(٣) المائدة ٢٩ (٤) الذاريات ٤٧

يتسنّ ﴾ [1] ، وفيها ﴿ لَاتَبْدِيلَ لِلْخَلْقِ ﴾ [2] ، وفيها ﴿ فَأَمْهِلِ الْكَافِرِينَ ﴾ [3] قال : فدعا بالدّواة ـ فمحا أحد اللّامين ، فكتب ﴿ لَخَلْقِ الله ﴾ ومحى (فا) (ا)، وكتب ﴿ فمهّل ﴾ ، وكتب ﴿ لم يتسنّه ﴾ ألحق فيها الهاء . قال ابنُ الأنبارى : فكيف يُدَّعى عليه أنه رأى فسادا فأمضاه ، وهو يوقَف على ما كتب ، ويرفع الخلاف إليه الواقع من الناسخين ؛ ليحكم بالحق ، ويُلزمهم إثبات الصواب وتخليده ؟!! انتهى .

قلت : ويؤيّد هذا أيضا ما أخرجه ابن أُشتة فى المصاحف ، قال : حدّثنا الحسن بن عثمان ، أنبأنا الربيع بن بدر ، عن سوار بن شبيب ، قال : سألت ابن الزُّبير عن المصاحف ، فقال : قام رجل إلى عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الناس قد اختلفوا فى القرآن ، فكان عمر قدهَمَّ أن يجمع القرآن على قراءة واحدة ، فطُعن طعنته التى مات بها ، فلما كان فى خلافة عثمان قام ذلك الرّجل ، فذكر له ، فجمع عثمان المصاحف ، ثم بعثنى إلى عائشة فجئت بالصُّحف ، فعرضناها عليها حتى قوّمناها ، ثم أمر بسائرها فشُقّقت . فهذا يدل على أنهم ضبطوها وأتقنوها ، ولم يتركوا فيها ما يحتاج إلى إصلاح ولا تقويم .

ثم قال ابن أُشتة : أنبأنامحمد بن يعقوب ، أنبأنا أبوداودسليمان بن الأشعث ، أنبأنا أحمد بن مسعدة ، أنبأنا إسماعيل ، أخبرنى الحارث بن عبدالرحمن عن عبد الأعلى بن عبدالله بن عامر ، قال : لما فُرغ من المصحف أُتِىَ به عثمان ، فنظر فيه ، فقال : أحسنتم وأجملتم ! أرى شيئًا سنعيمه

(١) البقرة ٢٠٩ (٢) الروم ٣٠
(٣) الطارق ١٧

بألسنتنا فهذا الأثر لا إشكال فيه ، وبه يتضح معنى ما تقدّم ، فكأنه عرض عليه عقب الفراغ من كتابته ، فرأى فيه شيئًا كتب على غير لسان قُريش ، كما وقع لهم فى « التابوة » و « التابوت » فوعد بأنه سيقيمه على لسان قريش ، ثم وفّى بذلك عند العرْض والتقويم ، ولم يترك فيه شيئا . ولعلَّ مَنْ روى تلك الآثار السابقة عنه حرّفها ، ولم يتقِنْ اللفظ الذى صدر عن عثمان ، فلزم منه مالزم من الإشكال ، فهذا أقوى مايجاب عن ذلك . ولله الحمد

وبعد ؛ فهذه الأجوبة لايصلحُ منها شيء عن حديث عائشة ، أما الجواب بالتضعيف فلأن إسناده صحيح كما ترى . وأما الجواب بالرمز وما بعده ، فلأن سؤال عُرْوة عن الأحرف المذكورة لايطابقه ، فقد أجاب عنه ابن أُشتة ، وتبعه ابن جُبارة فى شرح الرّائية ، بأن معنى قولها « أخطئوا » أى فى اختيار الأُولى من الأحرف السبعة لجمع الناس عليه ، لاأن الذِى كتبوا من ذلك خطأ لايجوز . قال . والدليل على ذلك أن مالا يجوز مردود بإجماع من كلِّ شيء ، وإن طالت مدة وقوعه . قال : وأما قولُ سعيد بن جبير : لَحْن من الكاتب ، فيعنى باللَّحْن القراءة واللغة ، يعنى أنها لغة الذى كتبها وقراءته ، وفيها قراءة أخرى .

ثم أخرج عن إبراهيم النَّخَعىّ ، أنه قال : ﴿ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾[1] ، و « إنَّ هٰذيْنِ لساحِرَانِ » سواء ، لعلهم كتبوا الألف مكان الياء ، والواو فى قوله : ﴿ وَالصَّابِئُون ﴾ ، مكان الياء ، قال ابن أُشتة : يعنى أنه من إبدال حرف فى الكتاب بحرف ، مثل الصلوٰة والزكوٰة والحيوٰة .

وأقول : هذا الجواب إنّما يحسن لو كانت القراءة بالياء فيها والكتابة

(١) طه ٦٣

بخلافها ، وأما والقراءة على مقتضى الرسم فلا ، وقد تكلَّم أهل العربية على هذه الأحرف ووجهوها على أحسن توجيه .

أما قوله : ﴿ إِنَّ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ ، ففيه أوجه :

أحدها : أنه جارٍ على لغة من يجرى المثنى بالألف فى أحواله الثلاث ، وهى لغة مشهورة لكنانة ، وقيل : لبنى الحارث .

الثانى : أنّ اسم « إنّ » ضمير الشأن محذوفًا ، والجملة مبتدأ وخبر ، خبر إن .

الثالث : كذلك ، إلاّ أن « ساحران » خبر مبتدإ محذوف ،والتقدير : لهما ساحرانِ .

الرابع : أن « إن » هنا بمعنى : نعم .

الخامس : أنّ « ها » ضمير القصة اسم إنّ ، و « ذان لساحران » مبتدأ وخبر وتقدّم ردّ هذا الوجه بانفصال « إن » واتصالها فى الرسم .

قلت : وظهر لى وجه آخر ، وهو أن الإتيان بالألف لمناسبة « ساحران بريدان » كما نوّن ﴿ سلاسلاً ﴾[1] لمناسبة ﴿ وأغلالاً ﴾[1] و ﴿ من سبإ ﴾[2] لمناسبة ﴿ بنبإ ﴾[2] .

وأما قوله : ﴿ وَالمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ ﴾ ، ففيه أيضًا أوجه :

أحدها : أنه مقطوع إلى المدْح بتقدير : « أمدح » ، لأنه أبلغ .

الثانى : أنه معطوف على المجرور فى ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ أى « ويؤمنون بالمقيمين الصلاة » ، وهم الأنبياء . وقيل : الملائكة ، وقيل

---

(١) الانسان ٤ (٢) النمل ٢٢

التقدير : يؤمنون بدين المقيمين ، فيكون المراد بهم المسلمين ، وقيل : بإجابة المقيمين .

الثالث : أنه معطوف على « قبل » ، أى ومن قبل المقيمين ، فحذفت « قبل » وأقيم المضاف إليه مقامه .

الرابع : أنه معطوف على الكاف فى « قبلك » .

الخامس : أنه معطوف على الكاف فى « إليك » .

السادس : أنه معطوف على الضمير فى « منهم » .

حكى هذه الأوجه أبو البقاء [١] .

وأما قوله : ﴿ والصابئون ﴾ [٢] ففيه أيضا أوجه

أحدها : أنه مبتدأ حذف خبره ، أي والصابئون كذلك .

الثانى : أنه معطوف على محل « إنّ » مع اسمها ، فإن محلهما رَفْعٌ بالابتداء.

الثالث : أنه معطوف على الفاعل فى « هادوا » .

الرابع : أن « إنّ » بمعنى نعم « فالذين آمنوا » وما بعده ، فى موضع رفع ، « والصابئون » عطف عليه .

الخامس : أنه على إجراء صيغة الجمع مَجْرى المفرد ، والنون حرف الإعراب . حكى هذه الأوجه أبو البقاء [٣] .

---

(١) املاء مامن به الرحمن ١ : ١١٧ (٢) المائدة ٦٩

(٣) املاء مامن به الرحمن ١ : ١٢٨

تذنيب

يقرُب مما تقدم ، عن عائشة ماأخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، وابن أشتة فى المصاحف من طريق إسماعيل المكّى ، عن أبى خلف مولى بنى جُمَح ، أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة ، فقال : جئت أسألكِ عن آيةٍ فى كتاب الله تعالى ، كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ؟ قالت: أيّةُ آية ؟ قال : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا ﴾ (١) أو « والذين يأْتون ما آتوا »(١) فقالت : أيّتهما أحب إليك ؟ قلت : والذى نفسى بيده لأحدهما أحب إلىّ من الدنيا جميعاً ، قالت : أيُّهما ؟ قلت : « والذين يأْتون ما آتوا » . فقالت : أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يقرؤُها ، وكذلك أُنزلت ، ولكن الهجاء حُرِّف .

وما أخرجه ابن جرير ، وسعيد بن منصور فى سننه من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وتُسَلِّمُوا ﴾ (٢) قال : إنما هى خطأٌ من الكاتب ، « حتى تستأْذنوا وتسلموا » ، أخرجه ابن أبى حاتم بلفظ « هو » - فيما أحسب - مما أخطأت به الكتّاب .

وما أخرجه ابن الأنبارىّ من طريق عكرمة ، عن ابن عباس أنه قرأ « أفلم يتبيّن الّذين آمنوا أنْ لَوْيشاءُ الله لهدَى النَّاسَ جميعا » . فقيل له : إنها فى المصحف : ﴿ أَفَلَمْ يَيأَسِ ﴾ (٣) ، فقال : أظن الكاتب كتبها وهو ناعس

وما أخرجه سعيد بن منصور ، من طريق سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس أنه كان يقول فى قوله تعالى : ﴿ وقَضَى رَبُّكَ ﴾ (٤) : إنما هى « ووصّى رَبُّكَ » التزقت الواو بالصاد .

(١) المؤمنون ٦٠ (٢) النور ٢٧
(٣) الرعد ٣١ (٤) الاسراء ٢٣

وأخرجه ابن أُشتة ، بلفظ « استمدَّ مدادًا كثيرًا فالتزقت الواو بالصاد ».

وأخرجه من طريق أخرى عن الضحّاك ، أنه قال : كيف تقرأ هذا الحرف؟ قال : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ ﴾ [1] قال : ليس كذلك نقرؤها نحن ، ولا ابن عباس ، إنما هى « ووصّى ربُّكَ » وكذلك كانت تُقرأ وتكتب ، فاستمدَّ كاتبكم ، فاحتمل القلم مدادًا كثيرًا ، فالتصقت الواو بالصاد ؛ ثم قرأ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ ﴾ [2] ، ولو كانت « قضى » من الرب ، لم يستطع أحد ردّ قضاء الرب ، ولكنه وصية أوصى بها العباد .

وما أخرجه سعيد بن منصور وغيره ، من طريق عمرو بن دينار ، عن عكرمة عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ : « ولَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وهَارُونَ الْفُرْقَانَ ضِيَاءً » [3] ، ويقول : خذوا هذه الواو واجعلوها هنا « والَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاس إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ » ... [4] الآية .

وأخرجه ابن أبى حاتم من طريق الزُّبير بن خرِّيت ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، قال : انزعوا هذه الواو فاجعلوها فى ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حوْلَهُ ﴾ [5] .

وما أخرجه ابن أشتة وابن أبى حاتم من طريق عطاء ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [6] ، قال : هى خطأٌ من الكاتب ، هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة ، إنما هى « مثَل نور المؤمن كمشكاة » .

وقد أجاب ابن أشتة عن هذه الآثار كلها بأن المراد أخطئوا فى الاختيار ،

---

(١) الاسراء ٢٣
(٢) النساء ١٣١
(٣) الأنبياء ٤٨ بحذف الواو من : «ضياء»
(٤) آل عمران ١٧٣ بزيادة الواو قبل «الذين
(٥) غافر ٧
(٦) النور ٣٥

وماهو الأَوْلى لجمع الناس عليه من الأحرف السبعة ، لا أنَّ الذي كتب خطأً خارج عن القرآن ، قال :فمعنى قول عائشة : حُرِّف الهجاء ، أُلقى إلى الكاتب هجاء غير ماكان الأَولى أن يلقَى إليه من الأَحرف السبعة. قال : وكذا معنى قول ابن عباس : « كتبها وهو ناعس » يعنى فلم يتدبّر الوجه الذى هو أَوْلى من الآخر ، وكذا سائرها .

وأما ابن الأنبارىّ فإنه جنح إلى تضعيف الروايات ومعارضتها بروايات أُخَر ، عن ابن عباس وغيره بثبوت هذه الأَحرف فى القراءة ، والجواب الأَول أَوْلى وأقعد .

ثم قال ابن أُشتة : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا ابن الأَسود ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن عبد الرحمن بن أبى الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، قال : قالوا لزيد : ياأبا سعيد ، أوهمت ! إنما هى «ثمانية أزواج من الضأن اثنين اثنين ومن المعز اثنين اثنين ومن الإبل اثنين اثنين ومن البقر اثنين اثنين » ، فقال : لأن الله تعالى يقول : ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذكَرَ والأُنْثَى ﴾ [1] ، فهما زوجان ، كل واحد منهما زوج : الذكر زوج ، والأُنثى زوج .

قال ابن أُشتة : فهذا الخبر يدل على أن القوم كانوا يتخيّرون أجمع الحروف للمعانى وأسلسَها على الألسنة ، وأقربها فى المأخذ ، وأشهرها عند العرب للكتاب فى المصاحف ، وأن الأُخرى كانت قراءة معروفة عند كلهم وكذا ماأشبه ذلك . انتهى .

(١) القيامة ٣٩

فائدة .

فيما قرئ بثلاثة أوجه : الإعراب أو البناء أو نحو ذلك .

قدرأيت تأليفًا لطيفًالأحمدبن يوسف بن مالك الرُعينى سمّاه «تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من حروف القرآن » .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾(١) ، قرىء بالرفع على الابتداء ، والنصب على المصدر ، والكسر على اتباع الدال اللام ، فى حركتها.

﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، قرئ بالجر على أنه نعت ، وبالرفع على القطع بإضمار مبتدإ ، وبالنصب عليه بإضمار فعل ، أوعلى النداء .

﴿ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٣) ، قرئ بالثلاثة .

﴿ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾(٤)، قرئ بسكون الشين وهى لغة تميم ، وكسرها وهى لغة الحجاز ، وفتحها وهى لغة بلى(٥) .

﴿ بَيْنَ الْمَرْءِ ﴾(٦) ، قرئ بتثليث الميم ، لغات فيه .

﴿ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ ﴾(٧) ، قراءة الجماعة بالبناء للمفعول ، وقرئ بالبناء للفاعل ، بوزن ضَرَبَ وعَلِمَ وحَسُنَ .

﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ : (٨) قرئ بتثليث الذال .

﴿ واتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ ﴾ (٩) ، قرئ بالنصب عطفًا

---

(١) الفاتحة ٢ (٢) الفاتحة ٢
(٣) الفاتحة ٣ (٤) البقرة ٦٠
(٥) بياض بالأصل والاثبات عن طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص ١٦٤
(٦) الأنفال ٢٤ (٧) البقرة ٢٥٨
(٨) آل عمران ٣٤ (٩) النساء ١

على لفظ الجلالة ، وبالجر عطفاً على ضمير « به » وبالرفع على الابتداء والخبر محذوف ، أى والأرحام مما يجب أن تتقوه وأن تحتاطوا لأنفسكم فيه .

﴿ لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ ﴾ (١) ، قرىء بالرفع صفة لـ « القاعدون » وبالجر صفة لـ « المؤمنين » وبالنصب على الاستثناء .

﴿ وامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وأَرْجُلَكُمْ ﴾ (٢) ، قرئ بالنصب عطفا على الأيدى ، وبالجر على الجوار أو غيره ، وبالرفع على الابتداء والخبر محذوف دلّ عليه ماقبله .

﴿ فَجزاءٌ مِثْلُ مَاقَتَلَ مِنَ النَّعَم ﴾ (٣) : قرئ بجر « مثل » بإضافة « جزاء » إليه ، وبرفعه وتنوين « مثل » صفة له ، وبنصبه مفعول بـ « جزاء » .

﴿ واللهِ رَبِّنَا ﴾ (٤) ، قرئ بجر « ربّنا » نعتا أو بدلا ، وبنصبه على النداء أو بإضمار أمدح ، وبرفعه ورفع لفظ الجلالة مبتدأ وخبر .

﴿ ويذَرك وآلهتَكَ ﴾ (٥) : قرىء برفع « يذرك » ، ونصبه ، وجزمه للخفّة .

﴿ فأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكَاءَكُمْ ﴾ (٦) ، قرىء بنصب « شركاءكم » مفعولا معه ، أو معطوفاً ، أو بتقدير « وادعوا » ، وبرفعه عطفا على ضمير « فأجمعوا » ، أو مبتدأ خبره محذوف ، وبجره عطفاً على « كم » فى « أمركم » .

﴿ وَكَأَيِّنْ من آيةٍ فى السَّمٰوَاتِ والْأَرْضِ يَمرُّون عليها ﴾ (٧) . قرىء بجر « الأرض » عطفاً على ماقبله ، وبنصبها من باب الاشتغال . وبرفعها على الابتداء والخبرُ مابعدها .

---

(١) النساء ٩٥
(٢) المائدة ٦
(٣) المائدة ٩٥
(٤) الأنعام ٢٣
(٥) الأعراف ١٢٧
(٦) يونس ٧١
(٧) يوسف ١٠٥

﴿ مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾ (١) : قرىء بتثليث الميم .

﴿ وَحرامٌ عَلَى قَرْيةٍ ﴾ (٢) ، قرىء بلفظ الماضى بفتح الراء ، وكسرها ، وضمها ، وبلفظ الوصف بكسر الراء ، وسكونها مع فتح الحاء ، وحرام بالفتح وألف ، فهذه سبع قراءات .

﴿ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ (٣) : قرىء بتثليث الدال .

﴿ ياسينْ ﴾ (٤) ، القراءة المشهورة بسكون النون ، وقرىء شاذا بالفتح للخفة ، والكسر لالتقاء الساكنين ، وبالضم على النداء .

﴿ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ﴾ (٥) ، قُرِىء بالنَّصب على الحال ، وشاذًّا بالرفع ، أي هو ، وبالجر حملاً على « الأيام » .

﴿ وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ (٦) ، قرىء بنصب « حين » ورفعه وجرّه .

﴿ وقيلِه ياربِّ ﴾ (٧) ، قرىء بالنصب على المصدر . وبالجر – وتقدم توجيهه – وشاذا بالرفع عطفًا على ﴿ علم الساعة ﴾ (٧)

﴿ قافْ ﴾ (٨) . القراءة المشهورة بالسكون ، وقرىء شاذا بالفتح والكسر لما مرّ .

﴿ الْحُبُكِ ﴾ (٩) ، فيه سبع قراءات : ضم الحاء والباء ، وكسرهما ، وفتحهما ، وضمّ الحاء وسكون الباء وضمها ، وفتح الباء وكسرها ، وسكون الباء وكسرها ، وضم الباء .

---

(١) طه ٨٧
(٢) الأنبياء ٩٥
(٣) النور ٣٥
(٤) يس ١
(٥) فصلت ١٠
(٦) ص ٣
(٧) الزخرف ٨٥ ، ٨٨
(٨) ق ١
(٩) الذاريات ٧

﴿ والحَبُّ ذُو العَصْفِ وَالرَّيْحانُ ﴾ (١) : قرىء برفع الثلاثة ونصبها وجرها .

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ ﴾ (٢) : قرىء برفعهما وجرهما ونصبهما بفعل مضمر ، أي ويُزَوَّجونَ .

فائدة .

قال بعضهم : ليس فى القرآن على كثرة منصوباته مفعول معه .

قلت : فى القرآن عدة مواضع ، أُعرب كلٌّ منها مفعولا معه .

أحدها ، وهو أشهرها : قوله تعالى : ﴿ فَأَجمِعُوا أَمْرَكُم وَشُركَاءَكُم ﴾ (٣) أى أجمعوا أنتم مع شركائكم أمركم ؛ ذكره جماعة منهم .

الثانى : قوله تعالى : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (٣) : قال الكرمانى فى غرائب التفسير : هو مفعول معه ، أي مع أهليكم .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ لَمْ يكُنِ الَّذينَ كفَروا مِنْ أهلِ الكِتَابِ والْمُشْرِكِينَ ﴾ (٥) قال الكرمانىّ : يحتمل أن يكون قوله : « والمشركين » مفعولا معه من « الذين » أو من الواو فى « كفروا » .

* * *

(١) الرحمن ١٢ (٢) الواقعة ٢٢ ، ٢٣

(٣) يونس ٧١ (٤) التحريم ٦

(٥) البينة ١

النوع الثانى والأربعون

فى قواعِد مهمَّة يحتاج المفِسِّر إلى معرفتها

قاعدة فى الضمائر

ألف ابن الأنبارىّ فى بيان الضمائر الواقعة فى القرآن مجلدين ، وأصل وضع الضمير للاختصار ،ولهذا قام قوله : ﴿ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مغفرةً وأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[١] مقام خمسة وعشرين كلمة لو أتى بها مظهَرة .

وكذا قوله تعالى : ﴿ وقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنّ ﴾[٢] ، قال مكىّ : ليس فى كتاب الله آية اشتملت على ضمائر أكثر منها ، فإنّ فيها خمسة وعشرين ضميرًا ، ومن ثَمَّ لا يُعدَل إلى المنفصل إلا بعد تعذّر المتصل ، بأن يقع فى الابتداء ، نحو ﴿ إيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[٣] ، أو بعد « ألاّ » نحو ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ ﴾[٤] .

مرجع الضمير

لابدّ له من مرجع يعود إليه ، ويكون ملفوظًا به سابقًا مطابقًا به ، نحو ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابنَه ﴾[٥] ، ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ ﴾[٦] ، ﴿ إذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾[٧] .

أومتضمنًا له ، نحو ﴿ اعدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ ﴾[٨] : فإنه عائد على العدل

---

(١) الأحزاب ٣٥ (٢) النور ٣١
(٣) الفاتحة ٥ (٤) الاسراء ٢٣
(٥) هود ٤٢ (٦) طه ١٢١
(٧) النور ٤٠ (٨) المائدة ٨

المتضمن له « اعدلوا » . ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾ (١) أى المقسوم لدلالة القسمة عليه .

أو دالاً عليه بالالتزام ، نحو ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ (٢) ، أى القرآن ، لأن الإنزال يدلُّ عليه التزامًا . ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شىءٌ فاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ ﴾(٣) ، «فَعُفِىَ » يستلزم عافيًا أُعيد عليه الهاء من « إليه » .

أو متأخِّرًا لفظًا لا رتبة مطابقًا نحو ، ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى ﴾(٤) ، ﴿ وَلاَ يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ المجْرِمُونَ ﴾ (٥) ، ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلاَ جَانٌ ﴾ (٦) .

أو رتبة أيضا فى باب ضمير الشأن والقصة ونعم وبئس والتنازع .

أو متأخِّرًا دالاً بالالتزام نحو : ﴿ فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾ (٧) . ﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِىَ ﴾(٨) ، أضمر الروح أو النفس لدلالة الحلقوم والتراق عليها . ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ (٩) ، أى الشمس لدلالة الحجاب عليها .

وقد يدلّ عليه السياق فيضمر ثقةً بفهم السامع ، نحو ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾(١٠) . ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا ﴾ (١١) ، أى الأرض أو الدنيا . ﴿ وَلأَبَوَيْهِ ﴾(١٢) ، أى الميت ولم يتقدم له ذكر .

وقد يعود على لفظ المذكور دون معناه ، نحو : ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ ﴾ (١٣) ، أى عمر معمّر آخر .

---

(١) النساء ٨ — (٢) القدر ١
(٣) البقرة ١٧٨ — (٤) طه ٦٧
(٥) القصص ٧٨ — (٦) الرحمن ٣٩
(٧) الواقعة ٨٣ — (٨) القيامة ٢٦
(٩) ص ٣٢ — (١٠) الرحمن ٢٦
(١١) فاطر ٤٥ — (١٢) النساء ١١
(١٣) فاطر ١١

وقد يعود على بعض ما تقدم ، نحو : ﴿ يُوصيكم اللهُ فى أولادكم ﴾ [١] إلى قوله : ﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً ﴾ [١] ، ﴿ وبُعولَتُهُنَّ أحق بردِّهِنَّ ﴾ [٢] ، بعد قوله : ﴿ والمطلَّقات ﴾ [٢] فإنه خاص بالرجعيّات والعائد عليه عَامٌّ فيهنّ وفى غيرهنّ .

وقد يعود على المعنى كقوله فى آية الكلالة : ﴿ فَإِنْ كانَتَا اثنَتَيْنِ ﴾ [٣] ، ولم يتقدم لفظ مثنى يعود عليه ، قال الأخفش : لأن الكلالة تقع على الواحد والاثنين والجمع ، فثنّى الضمير الراجع إليها حملاً على المعنى ، كما يعود الضمير جَمْعًا على « مَنْ » حملا على معناها .

وقد يعود على لفظ شىء والمراد به الجنس من ذلك الشىء ، قال الزمخشرىّ كقوله : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَو فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا ﴾ [٤] ، أى بجنسِى الفقير والغنىّ لدلالة ﴿ غنيا أو فقيرًا ﴾ على الجنسين ، ولو رجع إلى المتكلم به لوَحَّدَه .

وقد يُذْكَرُ شيئان ويعاد الضمير إلى أحدهما ، والغالب كونه الثانى ، نحو : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ [٥] ، فأُعيد الضمير للصلاة . وقيل : للاستعانة المفهومة من ﴿ استعينوا ﴾ . ﴿ جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّره مَنَازِلَ ﴾ [٦] ، أى القمر ؛ لأنه الذى يعلم به الشهور . ﴿ وَاللهُ وَرَسُولُه أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوه ﴾ [٧] أراد « يرضوهما » ، فأفرد لأن الرسول هو داعى العباد والمخاطب لهم شفاها ، ويلزم من رضاه رضا ربه تعالى .

---

(١) النساء ١١
(٢) البقرة ٢٢٨
(٣) النساء ١٧٦
(٤) النساء ١٣٥
(٥) البقرة ٤٥
(٦) يونس ٥
(٧) التوبة ٦٢

وقد يثنّى الضمير ويعود على أحد المذكورين ، نحو : ﴿ يَخرُجُ مِنهُمَا اللُّؤْلُؤُ والمرجَان ﴾ (١) وإنما يخرج من أحدهما .

وقد يجيء الضمير متّصلا بشيء وهو لغيره ، نحو : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ منطين﴾ (٢) يعنى آدم ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ﴾(٢) فهذه لولده لأن آدم يخلق من نطفة .

قلت : هذا هو باب الاستخدام ، ومنه : ﴿ لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاء إِنْ تُبْدَلَكُمْ تَسُؤكُم ﴾ (٣) ، ثم قال : ﴿ قَدْ سَأَلَهَا ﴾(٣) ، أى أشياء أخر مفهومة من من لفظ « أشياء » السابقة .

وقد يعود الضمير على ملابس ما هو له ، نحو : ﴿ إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾(٤) أى ضحى يومها ، لاضحى العشية نفسها ؛ لأنه لاضحى لها .

وقد يعود على غير مشاهد محسوس ، والأُصل خلافه ، نحو : ﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُون ﴾(٥) ، فضمير « له » عائد على الأمر ، وهو إذ ذاك غير موجود ؛ لأنه لما كان سابقًا فى علم الله كونه ، كان بمنزلة المشاهد الموجود

قاعدة

الأصل عوده على أقرب مذكور ، ومن ثمّ أخّر المفعول الأوّل فى قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوا شَيَاطِينَ الإِنسِ والجنِّ يُوحِى بَعضُهم إلى بَعضٍ ﴾ (٦) ، ليعود الضمير عليه لقربه ، إلا أن يكون مضافًا ومضافًا إليه

(١) الرحمن ٢٢ — (٢) المؤمنون ١٢ ، ١٣
(٣) المائدة ١٠١ ، ١٠٢ — (٤) النازعات ٤٦
(٥) البقرة ١١٧ — (٦) الأنعام ١١٢

فالأصل عوده للمضاف لأنه المحدَّث عنه، نحو: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نعمةَ الله لَا تُحْصُوهَا ﴾ (١) . وقد يعود على المضاف إليه، نحو ﴿ إلى إِلَٰهِ موسى وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ (٢) .

واختلف فى ﴿ أو لحم خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ (٣) ، فمنهم من أعاده على المضاف ، ومنهم من أعاده إلى المضاف إليه .

• • •

قاعدة

الأصل توافق الضمائر فى المرجع حذرًا من التشتيت ، ولهذا لمّا جوّز بعضهم فى : ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِى التَّابُوتِ فاقْذِفِيهِ فِى الْيَمِّ ﴾ (٤) أنّ الضمير فى الثانى للتابوت وفى الأول لموسى عابه الزمخشرىّ ، وجعله تنافرًا مُخْرِجا للقرآن عن إعجازه ، فقال :والضمائر كلّها راجعة إلى موسى ، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة ؛لما تؤدى فيه من تَنَافر النُّظم الذى هو أُمّ إعجاز القرآن ، ومراعاته أهمّ ما يجب على المفسّر .

وقال فى : ﴿ لِتُؤْمِنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ وتُعَزِّرُوهُ وتُوَقِّرُوهُ ﴾ (٥) : الضمائر لله تعالى ، والمراد بتعزيره تعزير دينه ورسوله ، ومن فرّق الضمائر فقد أبعد .

وقد يخرّج عن هذا الأصل كما فى قوله ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (٦) ، فإنّ ضمير « فيهم » لأصحاب الكهف و « منهم » لليهود .

---

(١) ابراهيم ٣٤ (٢) غافر ٣٧
(٣) الأنعام ١٤٥ (٤) طه ٣٩
(٥) الفتح ٩ (٦) الكهف ٢٢

قاله ثعلب والمبرد ومثله ﴿وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنَا لوطًا سِيءَ بِهِم وضاق بهم ذَرْعا﴾[١] ، قال : ابن عباس ساء ظنًّا بقومه وضاق ذرعًا بأضيافه .

وقوله : ﴿ إِلاَّ تَنْصُرُوه . . ﴾[٢] الآية ، فيها اثنا عشر ضميرًا ، كلّها للنبي صلى الله عليه وسلم ، إلاَّ ضمير « عليه » فلصاحبه ، كما نقله السّهيلى عن الأكثرين ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لم تنزلْ عليه السكينة ، وضمير « جعل » له تعالى .

وقد يخالف بين الضّمائر حذرًا من التنافر ، نحو ﴿ مِنْهَا أَرْبعةٌ حُرُمٌ ﴾[٣] الضمير للاثنى عشر ، ثم قال: ﴿ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ ﴾ ،[٣] أتى بصيغة الجمع مخالفًا لعوده على الأربعة .

• • • •

ضمير الفصل

ضمير بصيغة المرفوع مطابق لما قبله ؛ تكلمًا وخطابًا وغيبةً ، إفرادا وغيره ، وإنّما يقع بعد مبتدإ أو ما أصلهُ المبتدأ وقبل خبر كذلك ، نحو ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٤] ، ﴿وإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّون ﴾[٥] ، ﴿ كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾[٦] ، ﴿تَجِدُوه عِنْدَ الله هُوَ خَيْرًا﴾[٧] ، ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مالاً﴾[٨] ﴿ هَؤُلاَءِ بنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لكُمْ ﴾[٩]

---

(١) هود ٧٧ (٢) التوبة ٤٠
(٣) التوبة ٣٦ (٤) البقرة ٥
(٥) الصافات ١٦٥ (٦) المائدة ١١٧
(٧) المزمل ٢٠ (٨) الكهف ٣٩
(٩) هود ٧٨

وجوّز الأخفش وقوعه بين الحال وصاحبها ، وخرّج عليه قراءة : ﴿ هُنَّ أَطْهَرَ ﴾ بالنصب .

وجوّز الجرجانىّ وقوعه قبل مضارع ، وجعل منه : ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾(١) ، وجعل منه أبو البقاء ﴿ ومَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾(٢) .

ولا محلّ لضمير الفصل من الإعراب ، وله ثلاثة فوائد : الإعلام بأنّ مابعده خبر لاتابع . والتأكيد ؛ ولهذا سماه الكوفيّون دعامة لأنه يُدعَم به الكلام ، أى يقوّى ويؤكّد ، وبنى عليه بعضهم ، أنه لايجمع بينه وبينه فلا يقال : زيد نفسه هو الفاضل والاختصاص .

وذكر الزمخشرىّ الثلاثة فى ﴿ وَأُولَئِكَ هُم الْمُفْلِحُونَ ﴾(٣) ، فقال : فائدته الدلالة على أنّ مابعده خبر لاصفة ، والتوكيد ، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره .

• • •

ضمير الشأن والقصة

ويسمى ضمير المجهول ، قال فى المغنى : خالف القياس من خمسة أوجه :

أحدها : عَوْدُه على ما بعده لزومًا ، إذ لايجوز للجملة المفسّرة له أن تتقدّم عليه ولا شىء منها .

والثانى : أنّ مفسّرَهُ لا يكون إلا جملة .

---

(١) البروج ١٣ (٢) فاطر ١٠

(٣) البقرة ٥

والثالث : أنه لايُتبَع بتابع ، فلا يؤكَّد ولا يُعْطَف عليه ، ولا يبدل منه

والرابع : أنَّه لايعمل فيه إلا الابتداء أو ناسخه.

والخامس : أنه ملازم للإفراد .

ومن أمثلته : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ (١) ، ﴿ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (٢) ، ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ﴾ (٣) .

وفائدته الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه ، بأن يذكر أوّلا مبهمًا ثم يفسّر .

تنبيه

قال ابن هشام : متى أمكن الحمل على غير ضمير الشأن ، فلا ينبغى أن يُحمل عليه ، ومن ثَمّ ضعّف قول الزمخشرىّ فى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ ﴾ (٤) إن اسم «إنَّ» ضمير الشأن والأَوْلى كونه ضمير الشيطان ، ويؤيده قراءة ﴿ وَقَبِيلَهُ ﴾ (٤) بالنصب ، وضمير الشأن لايُعْطَف عليه .

قاعدة

جمع العاقلات لايَعُود عليه الضمير غالبًا إلا بصيغة الجمع ؛ سواء كان للقلة أو للكثرة ، نحو : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ ﴾ (٥) ، ﴿ والمطلقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ (٦) وورد الإفراد فى قوله تعالى : ﴿ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ (٧) ولم يقل « مطهرات » .

وأما غير العاقل فالغالب فى جمع الكثرة الإفراد ، وفى القلة الجمع ، وقد

---

(١) الاخلاص ١ (٢) الأنبياء ٩٧
(٣) الحج ٤٦ (٤) الأعراف ٢٧
(٥) البقرة ٢٣٣ (٦) البقرة ٢٢٨
(٧) البقرة ٢٥

اجتمعا فى قوله : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾[1] ، إلى أن قال : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ ،[1] ، فأعاد « منها » بصيغة الإفراد على الشهور ، وهى للكثرة ، ثم قال : ﴿ فَلَا تظلموا فيهنَّ ﴾[1] ، فأعاده جمعًا على « أربعةٌ حرم » وهى للقلة .

وذكر الفراء لهذه القاعدة سرا لطيفًا ؛ وهو أن المميّز مع جمع الكثرة هو مازاد على العشرة ، لمّا كان واحدًا وحّد الضمير ، ومع القلة وهو العشرة فما دونها ، لمَّا كان جمعا جُمِعَ الضمير .

قاعدة

إذا اجتمع فى الضمائر مراعاة اللفظ والمعنى بُدِىء باللفظ ثم بالمعنى ؛ هذا هو الجادّة فى القرآن ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ﴾ [2] ، ثم قال ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[2] ، أفرد أوّلا باعتبار اللفظ ، ثم جمع باعتبار المعنى وكذا ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ [3] ، ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُول ائذَنْ لِى وَلَا تَفْتِنِّى أَلَا فِى الفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾[4] .

قال الشيخ علم الدين العراقى : ولم يجىء فى القرآن البداءة بالحمل على المعنى إلا فى موضع واحد ؛ وهو قوله : ﴿ وَقَالُوا مَا فِى بُطونِ هذِهِ الأَنْعَامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ [5] ، فأنث « خالصًا » حملا على معنى « ما » ثمّ راعَى اللفظ ، فذكر فقال : ﴿ مُحَرَّمٌ ﴾ . انتهى .

قال ابن الحاجب فى أماليه : إذا حمل على اللفظ جاز الحمل بعده على

(١) التوبة ٣٦ (٢) البقرة ٨
(٣) الانعام ٢٥ (٤) التوبة ٤٩
(٥) الأنعام ١٣٩

المعنى ، وإذا حُمِل على المعنى ضَعُفَ الحمل بعده على اللفظ ؛ لأن المعنى أقوي فلا يبعد الرجوع إليه بعد اعتبار اللفظ ، ويضعُف بعد اعتبار المعنى القويّ الرجوعُ إلى الأضعف .

وقال ابن جنّى فى المحتسب : لايجوز مراجعة اللفظ بعد انصرافه عنه إلى المعنى ، وأورد عليه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْشَ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شيطانًا فهو له قَرِينٌ ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾(١) ثم قال : ﴿ حتّى إِذَا جَاءَنَا ﴾(١) ، فقد راجع اللفظ بعد الانصراف عنه إلى المعنى .

وقال محمود بن حمزة فى كتاب العجائب : ذهب بعض النَّحويِّين إلى أنه لايجوز الحَمْلُ على اللفظ بعد الحمل على المعنى وقد جاء فى القرآن بخلاف ذلك ، وهو قوله : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا ﴾(٢) ، قال ابن خالويه فى كتاب « ليس » : القاعدة فى « مَنْ » ونحوها الرجوع من اللفظ إلى المعنى ، ومن الواحد إلى الجمع ، ومن المذكر إلى المؤنث ، نحو : ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا ﴾(٣) ، ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾(٤) . أجمع على هذا النحويون .

قال : وليس فى كلام العرب ولا فى شىء من العربية الرجوعُ من المعنى إلى اللفظ إلا فى حرف واحد استخرجه ابن مجاهد ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ ... ﴾(٥) ،

(١) الزخرف ٣٦ ـ ٣٨
(٢) الطلاق ١١
(٣) الأحزاب ٣١
(٤) البقرة ١١٢
(٥) الطلاق ١١

الآية ، وحّد فى « يؤمن » و «يعمل » و «يدخله » ، ثم جمع فى قوله : «خالدين» ثم وحد فى قولة : ﴿ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ (١) فرجع بعد الجمع إلى التوحيد .

• • •

قاعدة .

فى التذكير والتأنيث .

التأنيث ضربان : حقيقىٌ وغيره ، فالحقيقىّ لاتحذفُ تاءُ التأنيث من فعلِه غالبًا ؛ إلا إن وقع فصل ، وكلّما كثر الفصْلُ حَسُن الحذف . ، والإثبات مع الحقيقىّ أوْلَى ؛ مالم يكنْ جمعًا ، وأما غيْر الحقيقىّ فالحذفُ فيه مع الفصل أحْسَنُ ، نحو : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ (٢) ، ﴿ قد كَانَ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ (٣) ، ؛ فإن كثر الفصل ازداد حسنًا ، نحو ﴿ وأخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَة ﴾ (٤) .

وللإثبات أيضًا حسن ، نحو ﴿ وأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ (٥) ، فجمع بينهما فى سورة هود .

وأشار بعضهم إلى ترجيح الحذف ، واستدلّ بأنّ الله قدمه على الإثبات ، حيث جمع بينهما .

ويجوز الحذف أيضًا مع عدم الفصل حيث الإسناد إلى ظاهره ، فإنْ كان إلى ضميره امتنع .

وحيث وقع ضميرٌ أو إشارةٌ بين مبتدإ وخبر ، أحدهما مذكّر والآخر مؤنث ، جاز فى الضمير والإشارة التّذكير والتأنيث ، كقوله تعالى : ﴿ قَالَ

---

(١) الطلاق ١١
(٢) البقرة ٢٧٥
(٣) آل عمران ١٣
(٤) هود ٦٧
(٥) هود ٩٤ .

هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾ (١) ، فذكَّر والخبرُ مؤنث لتقدّم المبتدأ وهو مذكَّر ، وقوله تعالى : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (٢) ذكَّر والمشار إليه اليد والعصا وهما مؤنثا لتذكير الخبر ، وهو « برهانان » . .

وكلّ أسماء الأجناس يجوز فيها التذكير حملاً على الجنس ، والتأنيث حملا على الجماعة ، كقوله : ﴿ أَعْجَازُ نخلٍ خاويةٍ ﴾ (٣) ، ﴿ أَعْجَازُ نخلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ (٤) ، ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تشَابَه عَلَيْنَا ﴾ (٥) ، وقرىء : ﴿ تَشَابَهَتْ ﴾ ، ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ (٦) ، ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ (٧) .

وجعل منه بعضهم : ﴿ جَاءَتْهَا ريحٌ عاصفٌ ﴾ (٨) ، ﴿ ولِسُلَيمانَ الرِّيحَ عاصِفةً ﴾ (٩)

وقد سئل : ماالفرق بين قوله تعالى ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ ومِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ (١٠) ، وقوله : ﴿ فريقًا هَدَى وفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ (١١)

وأجيب بأن ذلك لوجهين : لفظىّ ، وهو كثرة حروف الفاصل فى الثانى والحذف مع كثرة الحواجز أكثر . ومعنوىّ وهو أن « مَنْ » فى قوله : ﴿ مَنْ حَقَّتْ ﴾ راجعه إلى الجماعة ، وهى مؤنثة لفظًا بدليل ﴿ وَلَقَدْ بعثنا فى كلّ أمّة رسولاً ﴾ (١٢) ، ثم قال : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ (١٣) ، أى من تلك الأمم ، ولو قال : « ضلّت » لتعيّنت التاء ، والكلامان واحد ، وإذا كان معناهما واحدًا ، كان إثبات التاء أحسن من تركها ؛ لأنها ثابتة فيما هو من معناه . وأمّا ﴿ فَرِيقًا هَدَى ﴾ . الآية ، فالفريق يذكَّر ، ولو قال : « فريق

(١) الكهف ٩٨
(٢) القصص ٣٢
(٣) الحاقة ٧
(٤) القمر ٢٠
(٥) البقرة ٧٠
(٦) المزمل ١٨
(٧) الانفطار ١
(٨) يونس ٢٢
(٩) الأنبياء ٨١
(١٠) النحل ٣٦
(١١) الأعراف ٣٠
(١٢) النحل ٣٦

ضلُّوا » لكان بغير تاء ، وقوله : ﴿حَقَّ عليهُم الضَّلالة ﴾ فى معناه ، فجاء بغير تاء وهذا أسلوب لطيف من أساليب العرب أن يَدَعُوا حُكْمَ اللفظ الواجب فى قياس لغتهم ، إذا كان فى مرتبة كلمة لايجب لها ذلك الحكم .

• • •

قاعدة

فى التعريف والتنكير .

اعلم أن لكلّ منهما مقاما لايليق بالآخر ، أما التنكير فله أسباب .

أحدها : إرادة الوحدة ، نحو ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾(١) أى رجل واحد ، و﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلا رَجُلاً فِيهِ شُركاء مُتَشَا كِسُونَ وَرَجلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ) (٢)

الثانى : إرادة النوع ، نحو ﴿ هَذَا ذِكْرٌ ﴾ (٣) : أى نوع من الذكر ﴿ وَعَلى أبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ (٤) ، أى نوع غريب من الغشاوة لايتعارفه الناس بحيث غَطَّى مالا يغطيه شىء من الغشاوات . ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ (٥) ، أى نوع منها ، وهو الازدياد فى المستقبل ، لأن الحرص لايكون على الماضى ولا على الحاضر .

ويحتمل الوحدة والنوعية معًا قولُهُ : ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ (٦) ، أى كلّ نوع من أنواع الدوابّ من نوع من أنواع الماء ، وكل فرد من أفراد الدوابّ من فرد من أفراد النُّطَف .

---

(١) القصص ٢٠ (٢) الزمر ٢٩
(٣) ص ٤٩ (٤) البقرة ٧
(٥) البقرة ٩٦ (٦) النور ٤٥

الثالث : التعظيم بمعنى أنه أعظم من أن يعيّن ويعرّف ، نحو ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ ﴾ (١) ، أي بحرب أيّ حرب ، ﴿ ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢) ، ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وَلِدَ ﴾ (٣) ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٤) ، ﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾ (٥) .

الرابع : التكثير ، نحو ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ (٦) ، أي وافرًا جزيلاً .

ويحتمل التعظيم والتكثير معًا ، نحو ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ ﴾ (٧) أي رسل عظام ذَوُو عددٍ كثير

الخامس : التحقير بمعنى انحطاط شأنه إلى حد لا يمكن أن يعرّف ، نحو ﴿ إِنْ نَظُنُّ إِلا ظَنًا ﴾ (٨) ، أي ظنا حقيرا لايُعبأُبه ، وإلاّ لاتّبعوه ؛ لأنَّ ذلك دَيْدَنُهم ، بدليل ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ ﴾ (٩) ، ﴿ مِنْ أي شَيءٍ خلقَه ﴾ (١٠) أي من شيء حقير مهين ثم بينه بقوله : ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ ﴾ (١٠) .

السادس : التقليل نحو ﴿ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكبرُ ﴾ (١١) ، أي رضوان قليل منه أكبر من الجنّات ، لأنه رأس كل سعادة .

قليلٌ منك يكفيني ولكن قليلك لايُقالُ له قليل

وجعل منه الزمخشريّ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بعبده ليلاً ﴾ (١٢) ، أي ليلا قليلا أي بعض ليل .

وأورِد عليه أن التقليل ردّ الجنس إلى فرد من أفراده ، لاتنقيص فرد

---

(١) البقرة ٢٧٩ (٢) البقرة ١٠
(٣) مريم ١٥ (٤) الصافات ١٠٩
(٥) البقرة ٢٥ (٦) الشعراء ٤١
(٧) فاطر ٤ (٨) الجاثية ٣٢
(٩) الأنعام ١١٦ (١٠) عبس ١٨ ، ١٩
(١١) التوبة ٧٢ (١٢) الاسراء ١

إلى جزء من أجزائه ، وأجاب فى عروس الأفراح بأنَّا لانسلِّم أن الليل حقيقةٌ فى جميع الليلة ، بل كل جزء من أجزائها يسمى ليلا .

وعدّ السكاكيّ من الأسباب ألّا يعرف من حقيقته إلا ذلك ، وجعَل منه أن تَقْصد التجاهل ، وأنّك لاتعرف شخصه كقولك : هل لك فى حيوان على صورة إنسان يقول : كذا ! وعليه من تجاهل الكفار ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُم ﴾ (١) كأنهم لايعرفونه .

وعدّ غيرُه منها قصد العموم ، بأن كانت فى سياق النفى ، نحو : ﴿لاريب فيه ﴾ (٢) ﴿ فلا رفث ﴾(٣) الآية .

أو الشرط ، نحو : ﴿ وإنْ أحدٌ من المشركينَ اسْتَجَارك ﴾ (٤)

أو الامتنان ، نحو : ﴿ وأنزلْنَا مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُورا ﴾ (٥) .

وأما التعريف فله أسباب ، فبالإضمار لأن المقام مقام التكلُّم أو الخطاب أو الغيبة ،

وبالعلميّة لإحضاره بعينه فى ذهن السامع ابتداء باسم مختصّ به ، نحو : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أحدٌ ﴾ (٦) ﴿ مُحَمَّد رَسُولُ اللهِ ﴾ (٧) .

أو لتعظيم أو إهانة ، حيث علمه يقتضى ذلك ، فمن التعظيم ذكر يعقوب بلقبه إسرائيل ، لما فيه من المدح والتعظيم بكونه صفوة الله ، أو سريّ الله ، على ماسيأتى فى معناه فى الألقاب ومن الإهانة : قوله : ﴿ تبّتْ يَدَا أبِى لَهَبٍ ﴾ (٨) وفيه أيضًا نكتة أخرى ، وهى الكناية عن كونه جهنميا .

---

(١) سبأ ٧
(٢) البقرة ٢
(٣) البقرة ١٩٧
(٤) التوبة ٦
(٥) الفرقان ٤٨
(٦) الاخلاص ١
(٧) الفتح ٢٩
(٨) المسد ١

وبالإشارة لتمييزه أكمل تمييز بإحضاره فى ذهن السامع حسا ، نحو : ﴿ هذا خَلْقُ اللهِ فأرُونى مَاذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ (١) .

وللتعريض بغباوة السامع حتىإنه لايتميز له الشىء إلا بإشارة الحسّ ، وهذه الآية تصلح لذلك ؛ ولبيان حاله فى القرب والبعد فيؤتى فى الأول بنحو : هذا ، وفى الثانى بنحو : ذلك وأولئك .

ولقصد تحقيره بالقرب، كقول الكفار : ﴿ أَهَذَا الَّذِى يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾ (٢) ﴿ أَهَذَا الَّذِى بَعَثَ اللهُ رَسُولاً ﴾ (٣) ، ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً ﴾ (٤) ، وكقوله تعالى : ﴿ وَمَا هذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ (٥) .

ولقصد تعظيمة بالبعد ، نحو : ﴿ ذلِكَ الكِتَابُ لارَيْبَ فِيهِ ﴾ (٦) ذهابًا إلى بُعْد درجته .

وللتنبيه – بعد ذكر المشار إليه بأوصاف قبله – على أنه جدير بما يرد بعده من أجلها نحو : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفلِحُونَ ﴾ (٧)

وبالموصولية ، لكراهة ذكره بخاصّ اسمه ، إما سترًا عليه ، أو إهانة له أو لغير ذلك ، فيؤتى بالَّذِى ونحوها موصولة بما صَدَر منه من فعل أو قول نحو : ﴿ وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا ﴾(٨) ، ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا ﴾(٩)

وقد يكون لإرادته العموم ، نحو : ﴿ إن الذينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا . . .. ﴾ (١٠) الآية ، ﴿ والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (١١) ، ﴿ إنَّ

(١) لقمان ١١ (٢) الأنبياء ٣٦
(٣) الفرقان ٤١ (٤) البقرة ٢٦
(٥) العنكبوت ٦٤ (٦) البقرة ٢
(٧) البقرة ٥ (٨) الأحقاف ١٧
(٩) يوسف ٢٣ (١٠) فصلت ٣٠
(١١) العنكبوت ٦٩

الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ ﴾ [١] .

وللاختصار ، نحو : ﴿ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مما قَالُوا ﴾[٢] أى قولهم : إنه آدر ؛ إذ لو عَدَّد أسماء القائلين لطال ؛ وليس للعموم لأن بنى إسرائيل كلهم لم يقولوا فى حقه ذلك .

وبالألف واللام للإشارة إلى معهود خارجىّ أوذهنىّ أو حضورىّ .

وللاستغراق حقيقة أو مجازًا ، أو لتعريف الماهية ؛ وقد مرّت أمثلتها فى نوع الأدوات

وبالإضافة لكونها أخصر طريق ولتعظيم المضاف نحو : ﴿ إن عبادى ليس لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[٣] ، ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾[٤] أى الأصفياء فى الآيتين ، كما قاله ابن عباس وغيره .

ولقصد العموم ، نحو : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾[٥] ، أى كل أمر لله تعالى .

• • •

فائدة

سئل عن الحكمة فى تنكير « أحد » وتعريف « الصمد » من قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۞ اللهُ الصَّمَدُ ﴾[٦] ، وألّفت فى جوابه تأليفًا مودعًا فى الفتاوى ؛ وحاصله أن فى ذلك أجوبةً :

---

(١) غافر ٦٠ (٢) الأحزاب ٦٩
(٣) الحجر ٤٢ (٤) الزمر ٧
(٥) النور ٦٣ (٦) الإخلاص ١ ، ٢

أحدها : أنّه نكّر للتعظيم والإشارة إلى أن مدلوله ـ وهو الذات المقدسة ـ غير ممكن تعريفها والإحاطة بها .

الثانى : أنّه لا يجوز إدخال « أل » عليه كغير وكل وبعض ، وهو فاسد ، فقد قرىء شاذا ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ الأَحَدُ ۝ اللهُ الصَّمَدُ ﴾ ، حكى هذه القراءة أبو حاتم فى كتاب الزينة ، عن جعفر بن محمد .

الثالث : وهو ممّا خطر لى : أنَّ هو مبتدأ والله خبر ، وكلاهما معرفة ، فاقتضى الحصر ، فعُرف الجزآن فى « الله الصَّمد » ، لإفادة الحصر ليطابق الجملة الأُولى ، واستُغنى عن تعريف « أحد » فيها لإفادة الحصر دونه ، فأُتى به على أصله من التنكير ، على أنه خبر ثان . وإن جعل الاسم الكريم مبتدأ و « أحد » خبره ، ففيه من ضَمير الشأْن ما فيه من التَّفخيم والتعظيم ، فأُتى بالجملة الثانية على نحو الأُولى ، بتعريف الجزأين للحصر تفخيما وتعظيما .

قاعدة أُخرى

تتعلق بالتعريف والتنكير

إذا ذكر الاسم مرتين ، فله أربعة أحوال ؛ لأنه إمّا أن يكونا معرفتين ، أو نكرتين ، أو الأول نكرة والثانى معرفة ، أو بالعكس .

فإن كانا معرفتين فالثانى هو الأول غالبًا ، دلالةً على المعهود الذى هو الأصل فى اللام أو الإضافة ؛ نحو : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المستقيم ۝ صِراطَ الذينَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [1] ، ﴿ فَاعْبُدِ اللهَ مخلصًا لَهُ الدين ۝ أَلاَ لِلهِ الدِّينُ الخالِصُ ﴾ [2] ، ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمتِ الجِنَّةُ ﴾ [3] ، ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ

(١) الفاتحة ٦ ، ٧ (٢) الزمر ٢ ، ٣

(٣) الصافات ١٥٨

وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ ﴾ (١) ﴿ لَعَلِّى أبلغ الأسبابَ • أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ ﴾ (٢)

وإن كانا نكرتين فالثانى غير الأول غالبًا ، وإلاَّ لكان المناسب هو التعريف بناء على كونه معهودًا سابقا ، نحو ﴿ اللهُ الذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضعفٍ قوةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ (٣) ، فإن المراد بالضعف الأول النطفة وبالثانى الطفولية ، وبالثالث الشيخوخة .

وقال ابن الحاجب فى قوله تعالى : ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ (٤) : الفائدة فى إعادة لفظ الشهر الإعلام بمقدار زمن الغُدوّ وزمن الرّواح ، والألفاظ التى تأتى مبيّنة للمقادير لا يحسن فيها الإضمار ، ولو أُضْمِرَ فالضمير إنما يكون لما تقدّم باعتبار خصوصيته ، فإذا لم يكن له وَجَبَ العدولُ عن المضمر إلى الظاهر.

وقد اجتمع القسمان فى قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا • إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (٥) ، فالعسر الثانى هو الأول ، واليسر الثانى غير الأول ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فى الآية : « لَنْ يغلب عُسْرٌ يُسْرين » .

وإن كان الأوّل نكرة والثانى معرفة ، فالثانى هو الأوّل حملاً على العهد ، نحو ﴿ أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رسولاً • فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ (٦) ، ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ ﴾ (٧) ، ﴿ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • صِرَاطِ اللهِ ﴾ (٨) ، ﴿ مَا عَلَيْهِمْ مِن سَبِيلٍ • إِنَّمَا السَّبِيلُ ﴾ (٩) .

وإن كان الأول معرفة والثانى نكرة ، فلا يطلق القول بل يتوقّف على القرائن ،

---

(١) غافر ٩
(٢) غافر ٣٦ ، ٣٧
(٣) الروم ٥٤
(٤) سبأ ١٢
(٥) الشرح ٥ ، ٦
(٦) المزمل ١٥ ، ١٦
(٧) النور ٣٥
(٨) الشورى ٥٢ ، ٥٣
(٩) الشورى ٤١ ، ٤٢

فتارة تقوم قرينة على التغاير ، نحو : ﴿ وَيَوْمَ تقومُ السَّاعةُ يُقْسِم المجرمونَ مَالَبِثُوا غَيْرَ ساعةٍ ﴾ (١) ، ؟ ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكتابِ أَنْ تُنزِّلَ عَليهم كِتَابًا ﴾ (٢) ، ﴿ وَلَقَدْ آتيْنَا مُوسَى الْهُدَى وأورَثْنَا بَنِى إِسْرائِيلَ الكِتَابَ ، هُدًى ﴾ (٣) .

قال الزمخشرى : المراد جميع ما أتاه من الدين والمعجزات والشرائع ، وهدى : إرشاداً وتارة تقوم قرينة على الاتحاد ، نحو : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا للناس فى هذا القرآن من كلِّ مثلٍ لعلهم يتذكَّرُون ، قرآنا عربيًّا ﴾ (٤) .

تنبيه

قال الشيخ بهاء الدين فى عروس الأفراح وغيره : إن الظاهر أن هذه القاعدة غير محرَّرة فإنها منتقضة بآيات كثيرة ، منها فى القسم الأول :

﴿ هَلْ جَزَاءُ الإحسانِ إلاَّ الإِحسانُ ﴾ (٥) : فإنَّهما معرفتان والثانى غير الأول ﴿ الْحرُّ بالْحُرِّ ... ﴾ (٦) الآية ، ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ﴾ (٧) ، ثم قال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ (٧) ، فإنَّ الأوَّل آدم والثانى ولده .

﴿ وَكَذلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكتابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ (٨) فإنَّ الأول القرآن ، والثانى التوارة والإنجيل .

ومنها فى القسم الثانى :

﴿ وَهُوَ الَّذِى فِى السَّماء إلهٌ وَفِى الْأَرْضِ إلهٌ ﴾ (٩) .

---

(١) الروم ٥٥
(٢) النساء ١٥٣
(٣) غافر ٥٣ ، ٥٤
(٤) الزمر ٢٧ ، ٢٨
(٥) الرحمن ٦٠
(٦) البقرة ١٧٨
(٧) الانسان ١ ٢
(٨) العنكبوت ٤٧
(٩) الزخرف ٨٤

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قتالٌ فيهِ كَبِيرٌ ﴾ (١) ، فإن الثانى فيهما هو الأول ، وهما نكرتان.

ومنها فى القسم الثالث :

﴿ أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ (٢) .

﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ (٣) .

﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ (٤) .

﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (٥) .

﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾ (٦) .

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ ﴾ (٧) فإن الثانى فيها غير الأول .

وأقول : لاانتقاضَ بشىء من ذلك عند التأمُّل ؛ فإنَّ اللام فى الإحسان للجنس فيما يظهر ، وحينئذ يكون فى المعنى كالنَّكرة ، وكذا آية النَّفس والحرّ بخلاف آية العسر ؛ فإن « أل » فيها إمَّا للعهد أو للاستغراق كما يفيده الحديث ، وكذا آية الظَّن ، لانسلِّم فيها أن الثانى فيها غير الأول ؛ بل هو عينه قطعًا ؛ إذ ليس كلّ ظن مذمومًا ، كيف وأحكام الشريعة ظنِّيَّة ! وكذا آية الصلح ، لامانع من أن يكون المراد منها الصلح المذكور وهو الذى بين الزَّوجين ، واستحباب الصلح فى سائر الأُمور مأخوذ من السنَّة ومن الآية بطريق القياس ، بل لايجوز القول بعموم الآية ، وأنَّ كل صلح خير ؛ لأن

---

(١) البقرة ٢١٧ (٢) النساء ١٢٨
(٣) هود ٣ (٤) هود ٥٢
(٥) الفتح ٤ (٦) النحل ٨٨
(٧) يونس ٣٦

ماأحَل حرامًا من الصلح ، أو حرّم حلالاً فهو ممنوع ، وكذا آية القتال ليس الثانى فيها عين الأول بلا شك؛ لأن المراد بالأول المسئول عنه القتالُ الذى وقع فى سرّية ابن الحضرمى سنة اثنتين من الهجرة لأنه سبب نزول الآية ، والمراد بالثانى جنس القتال لاذاك بعينه وأما آية : ﴿ وَهُوَ الَّذِى فِى السَّمَاءِ إِلَٰهٌ ﴾ (١) ، فقد أجاب عنها الطيبىّ أنها من باب التكرير ، لإفادة أمر زائد ، بدليل تكرير ذكر الرّب فيما قبله من قوله : ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾ (٢) ووجهه الإطناب فى تنزيهه تعالى عن نسبة الولد إليه ، وشرط القاعدة ألاّ يقصد التكرير .

وقد ذكر الشيخ بهاء الدين فى آخر كلامه : إن المراد بذكر الاسم مرتين كونه مذكورا فى كلامٍ واحد أو كلامين بينهما تواصل ، بأن يكون أحدهما معطوفا على الآخر ، وله به تعلّق ظاهر وتناسب واضح ، وأن يكونا من متكلّم واحد ، ودفع بذلك إيراد آية القتال ؛ لأنّ الأول فيها محكىّ عن قول السائل والثانى محكىٌّ من كلام النبى صلى الله عليه وسلم .

* * *

قاعدة

فى الإفراد والجمع

من ذلك « السماء والأرض » حيث وقع فى القرآن ذكر الأرض فإنها مفردة ، ولم تجمع - بخلاف السمٰوات - لثقل جمعها وهو أرضون ؛ ولهذا لما أريد ذكْر جميع الأرضين قال : ﴿ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ (٣) ، وأما السماء

(١) الزخرف ٨٤ (٢) الزخرف ٨٢

(٣) الطلاق ١٢

فذكرت تارة بصيغة الجمع ، وتارة بصيغة الإفراد لنُكَتٍ تليق بذلك المحل ، كما أوضحته فى أسرار التنزيل ، والحاصل أنه حيث أريد العدد أُتِىَ بصيغة الجمع الدّالة على سعة العظمة والكثرة ، نحو : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ ﴾[1] ، أى جميع سكانها على كثرتهم ، ﴿ يُسَبِّحُ لله مافى السَّمٰوَاتِ ﴾[2] أى كلّ واحد على اختلاف عددها ، ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ الغيبَ إلاَّ اللهُ ﴾[3] إذ المراد نفى علم الغيب عن كلّ من هو فى واحدة من السمٰوات .

وحيث أريد الجهة أُتِىَ بصيغة الإفراد ، نحو ﴿ وَفِى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾[4] ﴿ ءَأَمِنتُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ ﴾[5] ، أى من فوقكم .

• • •

ومن ذلك « الريح » ذكرت مجموعة ومفردة ، فحيث ذكرت فى سياق الرحمة جمعت ، أو فى سياق العذاب أفردت .

أخرج ابن أبى حاتم وغيره عن أُبَىّ بن كعب ، قال : « كلّ شىء فى القرآن من الرياح فهو رحمة ، وكلّ شىء فيه من الريح فهو عذاب » ، ولهذا ورد فى الحديث : «اللهمّ اجْعَلْها رياحًا ،ولا تجعلها ريحًا» . وذكر فى حكمة ذلك : أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والمهبّات والمنافع ، وإذا هاجت منها ريح أُثير لها من مقابلها ما يكسر سورتها ، فينشأ من بينهما ريح لطيفة تنفع الحيوان والنبات ؛ فكانت فى الرحمة رياحًا ، وأمّا فى العذاب فإنها تأتى من وجه واحدٍ ولا معارض لها ولا دافع ، وقد خرج عن هذه القاعدة

---

(١) الصف ١
(٢) الجمعة ١
(٣) النمل ٦٥
(٤) الذاريات ٢٢
(٥) الملك ١٦

قوله تعالى فى سورة يونس : ﴿ وجَرَيْنَ بِهِمْ بريحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [١] ، وذلك لوجهين : لفظىّ وهو المقابلة فى قوله : ﴿ جَاءَتْها رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ [١] ورُبَّ شئٍ يجوز فى المقابلة ولايجوز استقلالا ، نحو : ﴿ ومكَرُوا ومكَرَ الله ﴾ [٢]. ومعنوى ، وهو أن تمام الرحمة هناك إنما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها ، فإنَّ السفينة لاتسير إلَّا بريح واحدة من وجه واحد ، فإن اختلفت عليها الرياح كان سبب الهلاك ، والمطلوب هنا ريح واحدة ، ولهذا أكَّد هذا المعنى بوصفها بالطيب ، وعلى ذلك أيضًا جرى قوله :﴿ إنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِد ﴾ [٣] .

وقال ابن المُنَيِّر : إنه على القاعدة ؛ لأن سكون الريح عذاب وشدّة على أصحاب السفن ومن ذلك إفراد النور وجمع الظلمات ، وإفراد سبيل الحق وجمع سبل الباطل ، فى قوله تعالى : ﴿ولَا تتَّبِعُوا السُّبُلَ فتفرق بِكُمْ عَن سَبيله ﴾ [٤] ، لأن طريق الحقِّ واحدة ، وطريق الباطل متشعِّبة متعددة ، والظلمات بمنزلة طرق الباطل ، والنور بمنزلة طريق الحق ، بل هماهما ، ولهذا وحّد « ولىّ المؤمنين » ، وجمع « أولياء الكفار » لتعدّدهم فى قوله تعالى : ﴿ الله ولِىّ الَّذِينَ آمَنُوا يخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ والذين كفَرُوا أوْلِيَاؤهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مَن النُّور إلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ [٥] .

ومن ذلك إفراد النار حيث وقعت ، والجنة وقعت مجموعة ومفردة لأن الجنان مختلفة الأنواع ، فحسن جمعها ، والنار مادة واحدة ؛ ولأنّ الجنة رحمة والنار عذاب فناسب جمع الأولى وإفراد الثانية على حدّ الرياح والريح .

(١) يونس ٢٢ (٢) آل عمران ٥٤
(٣) الشورى ٣٣ (٤) الأنعام ١٥٣
(٥) البقرة ٢٥٧

ومن ذلك إفراد السمع ، وجمع البَصر ؛ لأن السمع غلب عليه المصدريّة ، فأُفرِد بخلاف البصر ؛ فإنه اشتهر فى الجارحة ؛ ولأنّ متعلَّق السمع الأَصوات ، وهى حقيقة واحدة ، ومتعلق البصر الألوان والأكوان ، وهى حقائق مختلفة ، فأشار فى كل منهما إلى متعلّقه .

ومن ذلك إفراد الصديق وجمع الشافعين فى قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ۞ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾(١) ، وحكمته كثرة الشفعاء فى العادة ، وقلّة الصديق . قال الزمخشرىّ : ألا ترى أن الرجل إذا امتُحن بإرهاق ظالم ، نهضت جماعة وافرةٌ من أهل بلده لشفاعته رحمةً ، وإنْ لم يسبق له بأكثرهم معرفة ، وأما الصديق فأعزّ من بيض الأَنوق .(٢)

ومن ذلك : « الألباب » لم يقع إلّا مجموعًا ، لأن مفرده ثقيل لفظا

ومن ذلك مجىء المشرق والمغرب بالإفراد والتثنية والجمع ، فحيث أفردا فاعتبارًا للجهة ، وحيث ثُنّيا فاعتبارًا لمشرق الصيف والشتاء ومغربهما ، وحيث جمعا فاعتبارًا لتعدّد المطالع فى كلّ فصل من فصلى السنة .

وأما وجه اختصاص كلّ موضوع بما وقع فيه ، ففى سورة الرحمٰن وقع بالتثنية ، لأن سياق السورة سياق المزدوجين ، فإنه سبحانه وتعالى ذكر أوّلا نوعَىِ الإيجاد وهما الخلق والتعليم ، ثم ذكر سراجَى العالم : الشمس والقمر ، ثم نوعَىِ النبات : ما كان على ساق ومالا ساق له ، وهما النجم والشّجر ، ثم نوعَىِ السماء والأَرض ، ثم نوعَى العدل والظلم ، ثم نَوعَىِ الخارج من الأرض وهما : الحبوب والرياحين ، ثم نوعَىِ المكلَّفِين وهما :

(١) الشعراء ١٠٠ ، ١٠١

(٢) الأنوق : هو العقاب ، وقيل ذكر الرخم . وهو من أمثال العرب يضرب للمحال من الشئ، أو لما لا سبيل اليه (أقرب الموارد) .

الإنس والجان ، ثم نوعَىِ المشرق والمغرب ، ثم نوعَىِ البحر الملح والعذب ؛ فلهذا حسن تنية المشرق والمغرب فى هذه السورة ، وجمعا فى قوله : ﴿ فَلَا أُقسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ والمغارِبِ إنّا لَقَادِرُونَ ﴾ (١) ، وفى سورة الصافات (٢) للدلالة على سعة القدرة والعظمة .

فائدة

حيث ورد « البارّ » مجموعا فى صفة الآدميين قيل « أبرار » ، وفى صفة الملائكة قيل « بررة » ؛ ذكره الراغب ، ووجهه بأن الثانى أبلغ ؛ لأنه جمع بارّ ، وهو أبلغ من « برّ » مفرد الأوّل .

وحيث ورد « الأخ » مجموعًا فى النسب قيل « إخوة » ، وفى الصداقة قيل « إخوان » ، قاله ابن فارس وغيره : وأورد عليه فى الصداقة : ﴿ إنَّما الْمُؤْمِنونَ إخْوَةٌ ﴾ (٣) وفى النسب ﴿ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بنى أخَوَاتِهِنَّ ﴾ (٤)

فائـــدة

ألّف أبو الحسن الأخفش كتابا فى الإفراد والجمع ، ذكر فيه جَمْعَ ماوقع فى القرآن مفردًا ، ومفرد ما وقع جمعًا ، وأكثره من الواضحات ، وهذه أمثلة مِن خفىّ ذلك .

المنّ : لا واحد له .

السّلوى : لم يُسمع له بواحد .

النصارى : قيل جمع نصرانىّ ، وقيل جمع نصير ، كنديم وقبيل .

(١) المعارج ٤٠ — (٢) أى الآية رقم ٥
(٣) الحجرات ١٠ — (٤) النور ٣١

العَوَان : جمعه عُون .

الهُدى : لا واحد له .

الإعصار : جمعه أعاصير .

الأنصار : واحده نصير ، كشريف وأشراف .

الأزلام : واحدها زلَم ، ويقال : زُلَم بالضم .

مِدرارًا : جمعه مدارير .

أساطير : واحده أسطورة ، وقيل أسطار ، جمع سَطْر .

الصُّور : جمع صُورة ، وقيل واحد الأصوار .

فُرادى : جمع أفراد ، جمع فرد .

قِنْوان : جمع قِنْو ، وصنوان : جمع صِنْو ؛ وليس فى اللغة جمع ومثنى بصيغة واحدة إلّا هذان ، ولفظ ثالث لم يقع فى القرآن ، قاله ابن خالويه فى كتاب « ليس » .

الحوايا : جمع حاوية ، وقيل حاوياء .

نُشرا : جمع نَشُور .

عضين وعِزين : جمع عِضة وعِزة .

المثانى : جمع مثنى .

تارة : جمعها تارات وتيَر .

أيقاظًا : جمع يَقُظ .

الأرائك : جمع أريكة .

سرِىّ : جمعه سِريان ، كخصىّ وخِصيان .

آناء الليل : جمع إنًا بالقصرِ كمعًى ، وقيل : إنْى كقِرْد ، وقيل إنوَة كفِرْقة .

الصياصى : جمع صيصِيَة .

مِنْسأة : جمعها مناسئ .

الحَرور : جمعه حُرور بالضم .

غَرَابيب : جمع غِرْبيب .

أتراب : جمع تِرْب .

الألاء : جمع إلًى كمِعًى ، وقيل ألًى كقَفًى ، وقيل إلْى كقِرْد ، وقيل ألو .

التراق : جمع تَرْقُوَة ، بفتح أوله .

الأمشاج : جمع مشج .(١)

ألفافًا : جمع لِفّ ، بالكسر .

العِشار : جمع عُشر .

الخُنَّس : جمع خانسة . وكذا الكُنَّس .

الزَّبانية : جمع زِبْنية . وقيل زابِن . وقيل زبانى .

أشتاتًا : جمع شتّ وشتيت .

أبابيل : لا واحد له . وقيل واحدُه إبّول مثل عِجّول . وقيل : إبّيل مثل إكليل .

---

(١) وفي طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ص٢٠٢ «مشيج»

فائدة

ليس فى القرآن من الألفاظ المعدولة إلا ألفاظ العدد « مثنى وثلاث ورباع » ، ومن غيرها « طُوًى » . فيما ذكره الأخفش فى الكتاب المذكور ، ومن الصفات « أُخَر » فى قولهتعالى : ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾[1] .

قال الراغب وغيره : هى معدولة عن تقدير ما فيه الألف واللام ، وليس له نظير فى كلامهم ، فإن « أفعل » إما أن يذكر معه « مِن » لفظًا أو تقديرًا ، فلا يثنَّى ولا يُجمع ولا يؤنَّث ، وتحذف منه « مِن » فتدخل عليهالألف واللام ، ويثنَّى ويجمع ، وهذه اللفظة من بين أخواتها جُوِّز فيها ذلك من غير الألف واللام .

وقال الكِرمانيّ فى الآية المذكورة : لا يمتنع كونها معدولة عن الألف واللام مع كونها وصفًا لنكرة ، لأن ذلك مقدّر من وجه، غير مقدّر من وجه .

قاعــدة

مقابلة الجمع بالجمع تارة تَقتضى مقابلة كل فرد من هذا بكل فرد من هذا ، كقوله : ﴿ واسْتَغْشَوْا ثِيابَهُم ﴾[2] ، أى استغشى كلٌّ منهم ثوبه .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾[3] ، أى على كل من المخاطبين أمُّه .

﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فى أَوْلَادِكُمْ ﴾[4] . أى كلًا فى أولاده .

﴿ والْوالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾[5] . أى كلّ واحدة ترضع ولدها .

(١) آل عمران ٧
(٢) نوح ٧
(٣) النساء ٢٣
(٤) النساء ١١
(٥) البقرة ٢٣٣

وتارة يقتضى ثبوت الجمع لكل فرد من أفراد المحكوم عليه ، نحو ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾(١) . وجعل منه الشيخ عز الدين : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾(٢) .

وتارة يحتمل الأمرين فيحتاج إلى دليل يعيّن أحدهما .

وأمّا مقابلة الجمع بالمفرد فالغالب ألّا يقتضى تعميم المفرد . وقد يقتضيه كما فى قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾(٣) . المعنى : على كلّ واحد لكل يوم طعام مسكين . ﴿ والَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء . فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾(٤) ، لأن على كلّ واحد منهم ذلك .

• • •

قاعدة فى الألفاظ يظن بها الترادف ، وليست منه

من ذلك الخوف والخشية ؛ لايكاد اللّغوى يفرّق بينهما . ولا شكّ أن الخشية أعلَى منه . وهى أشدّ الخوف ؛ فإنها مأخوذة من قولهم : شجرة خشيّة أى يابسة . وهو فواتٌ بالكلّية . والخوف من ناقة خوفاء ، أى بها داء ، وهو نَقْص ، وليس بفوات ؛ ولذلك خصّت الخشية بالله فى قوله تعالى : ﴿ ويَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾(٥) .

وفُرِّق بينهما أيضًا بأن الخشية تكون من عظم المختشَى ، وإن كان الخاشى قويًا ، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمرًا يسيرًا ؛ ويدلّ

(١) النور ٤
(٢) البقرة ٢٥
(٣) البقرة ١٨٤
(٤) النور ٤
(٥) الرعد ٢١

لذلك أن الخاء والشين والياء فى تقاليبها تدلّ على العظمة . نحو شيخ للسيد الكبير ، وخيش لما غلظ من اللباس . ولذا وردت الخشية غالبًا فى حق الله تعالى نحو : ﴿ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾[١] ، ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[٢] وأما ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾[٣] . ففيه نكتة لطيفة : فإنه فى وصف الملائكة . ولما ذكر قوتهم وشدّة خلقهم . عبّر عنهم بالخوف لبيان أنهم وإن كانوا غلاظًا شدادًا فهم بين يديه تعالى ضعفاء ، ثم أردفه بالفوقيّة الدالة على العظمة ، فجمع بين الأمرين ؛ ولمّا كان ضعف البشر معلومًا لم يحتج إلى التنبيه عليه .

ومن ذلك الشحّ والبخل ، والشح هو أشدُّ البخل . قال الراغب : الشحّ بخل مع حِرص .

وفرّق العسكرى بين البخل والضنّ . بأن الضنّ أصله أن يكون بالعوارى والبخل بالهبات ؛ ولهذا يقال : هو ضنين بعلمه ولا يقال بخيل ؛ لأن العلم بالعاريّة أشبه منه بالهبة . لأن الواهب إذا وهب شيئًا خرج عن ملكه ؛ بخلاف العارية . ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾[٤] ، ولم يقل : ببخيل .

ومن ذلك السبيل والطريق . والأوّل أغلب وقوعًا فى الخير ، ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلّا مقرونًا بوصف أو إضافة تخلّصه لذلك ، كقوله : ﴿ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٥] وقال الراغب : السّبيل الطريق الّتى فيها سهولة . فهو أخصّ .

---

(١) البقرة ٧٤
(٢) فاطر ٢٨
(٣) النحل ٥٠
(٤) التكوير ٢٤
(٥) الأحقاف ٣٠

ومن ذلك جاء وأتى ؛ فالأول يقال فى الجواهر والأعيان ، والثانى فى المعانى والأزمان ، ولهذا ورد «جاء» فى قوله : ﴿ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾[١] ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾[٢] ، ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾[٣] . وأتى فى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ ﴾[٤] ، ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا ﴾[٥] .

وأما ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾[٦] أى أمره ، فإن المراد به أهوال القيامة المشاهدة ، وكذا ﴿ فإذا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾[٧] ، لأن الأجل كالمشاهد ، ولهذا عُبّر عنه بالحضور فى قوله : ﴿ حضر أحدكم الموت ﴾[٨] ولهذا فرّق بينهما فى قوله : ﴿ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فيه يَمْتَرُونَ ٥ وأَتَيْنَاكَ بالْحَقِّ ﴾[٩] ؛ لأن الأول العذاب وهو مشاهَد مرئىّ ، بخلاف الحق .

وقال الراغب : الإتيان مجىء بسهولة ، فهو أخصّ من مطلق المجىء ، قال : ومنه قيل للسائل المارّ على وجهه : أتىّ وأتاوىّ .

ومن ذلك مد وأمدّ ، قال الراغب : أكثر ما جاء الإمداد فى المحبوب ، نحو : ﴿ وأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ ﴾[١٠] ، والمدّ فى المكروه نحو ﴿ ونَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾[١١]

ومن ذلك سقى وأسقى ؛ فالأول لما لا كُلْفَةَ فيه ، ولهذا ذكر فى شراب الجنّة ، نحو ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا ﴾[١٢] ، والثانى لما فيه كُلْفَة ، ولهذا ذُكر فى ماء الدنيا ، نحو : ﴿ لأَسْقَيْنَاهُم ماءً غدَقًا ﴾[١٣] ، وقال الراغب : الإسقاء

---

(١) يوسف ٧٢ (٢) يوسف ١٨
(٣) الفجر ٢٣ (٤) النحل ١
(٥) يونس ٢٤ (٦) الفجر ٢٢
(٧) الأعراف ٣٤ (٨) البقرة ١٨٠
(٩) الحجر ٦٣ ، ٦٤ (١٠) الطور ٢٢
(١١) مريم ٧٩ (١٢) الانسان ٢١
(١٣) الجن ١٦

أبلغ من السقى ؛ لأن الإسقاء أن يجعل له ما يسقى منه ويشرب ، والسقى أن يعطيه ما يشرب .

ومن ذلك عمل وفعل ؛ فالأول لما كان مع امتداد زمان ؛ نحو : ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ﴾ (١) ، ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ (٢) ، لأن خلق الأنعام والثمار والزروع بامتداد ، والثانى بخلافه ، نحو : ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (٣) ، ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ (٤) ، ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ (٥) ؛ لأنها إهلاكات وقعت من غير بطء ، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦) ، أى فى طرفة عين . ولهذا عبَّر بالأوّل فى قوله : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (٧) ، حيث كان المقصود المثابرة عليها لا الإتيان بها مرة أو بسرعة ، وبالثانى فى قوله : ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ (٨) ، حيث كان ، بمعنى سارعوا ، كما قال : ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (٩) ، وقوله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (١٠) . حيث كان القصد يأتون بها على سرعةٍ من غير توانٍ .

ومن ذلك القعود والجلوس ؛ فالأول لما فيه لبث بخلاف الثانى ، ولهذا يقال : قواعد البيت ولا يقال جوالسه ، للزومها ولبثها ، ويقال : جليس الملك ولا يقال : قعيده ؛ لأن مجالس الملوك يستحبُّ فيها التخفيف ، ولهذا استعملَ الأول فى قوله : ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ (١١) ، للإشارة إلى أنّه لا زوالَ له ، بخلاف ﴿تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ (١٢) ؛ لأنه يُجلس فيه زمانًا يسيرًا .

---

(١) سبأ ١٣ (٢) يس ٧١
(٣) الفيل ١ (٤) الفجر ٦
(٥) ابراهيم ٤٥ (٦) النحل ٥٠
(٧) البقرة ٢٥ (٨) الحج ٧٧
(٩) البقرة ١٤٨ (١٠) المؤمنون ٤
(١١) القمر ٥٥ (١٢) المجادلة ١١

ومن ذلك التمام والكمال ؛ وقد اجتمعا فى قوله : ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ (١) ، فقيل : الإتمام لإزالة نقصان الأصل . والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل ، ولهذا كان قوله : ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ (٢) ، أحسن من « تامة » ، فإن التمام من العدد قد علِم : وإنما نفى احتمال نقص فى صفاتها ، وقيل : تمّ يُشعر بحصول نقص قبله . وكَمَلَ لا يشعر بذلك . وقال العسكرى : الكمال اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به ، والتَّمام اسم للجزء الذى يتمّ به الموصوف ، ولهذا يقال : القافية تمام البيت ، ولا يقال : كماله ، ويقولون : البيت بكماله ، أى باجتماعه .

ومن ذلك الإعطاء والإيتاء ؛ قال الخُوَيِّ : لايكاد اللغويون يفرّقون بينهما ؛ وظهر لى بينهما فرق ينبىء عن بلاغة كتاب الله ، وهو أنَّ الإيتاء أقوى من الإعطاء فى إثبات مفعوله ، لأن الإعطاء له مطاوع ، تقول : أعطانى فعطوتُ ، ولا يقال فى الإيتاء : أتانى فأَتيت ، وإنما يقال آتانى فأَخذت . والفعل الذى له مطاوع أضعف فى إثبات مفعوله من الفعل الذى لا مطاوعَ له ؛ لأنك تقول : قطعته فانقطع ؛ فيدلّ على أن فعل الفاعل كان موقوفًا على قبول فى المحلّ ؛ لولاه ما ثبت المفعول ، ولهذا يصحّ قطعته فما انقطع . ولا يصحّ فيما لامطاوع له ذلك ، فلا يجوز ضربته فانضرب ، أو فما انضرب ، ولا قتلته فانقتل ، ولا فما انقتل . لأن هذه أفعال إذا صَدَرَتْ من الفاعل ثبت لها المفعول فى المحلّ ، والفاعل مستقلٌ بالأفعال التى لامطاوع لها ؛ فالإيتاء أقوى من الإعطاء . قال : وقد تفكّرت فى مواضع من القرآن فوجدت

---

(١) المائدة ٣ (٢) البقرة ١٩٦

ذلك مراعًى ، قال تعالى : ﴿ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ (١) ، لأن الملك شىء عظيم لا يعطاه إلا من له قوّة ، وكذا : ﴿ يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٢) ، ﴿ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِى ﴾ (٣) ، لعظم القرآن وشأنه ، وقال : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (٤) : لأنّه مورود فى الموقف مرتَحلٌ عنه ، قريب إلى منازل العزّ فى الجنَّة ، فعبّر فيه بالإعطاء ، لأنه يُترك عن قرب وينتقل إلى ماهو أعظم منه ، وكذا : ﴿ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (٥) ؛ لما فيه من تكريرِ الإعطاء والزيادة إلى أن يرضى كلَّ الرّضا ؛ وهو مفسّر أيضًا بالشفاعة ، وهى نظير الكوثر فى الانتقال بعد قضاء الحاجة منه ، وكذا : ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ﴾ (٦) ، لتكرّر حدوث ذلك باعتبار الموجودات ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾ (٧) لأنها موقوفة على قبولٍ منّا ، وإنما يعطونها عن كُرْهٍ .

فائدة : قال الراغب : خصّ دفع الصّدقة فى القرآن بالإيتاء ، نحو : ﴿ وأَقَامُوا الصَّلَاةَ وآتَوا الزَّكَاة ﴾ (٨) ، ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وآتَى الزَّكَاةَ ﴾ (٩) ، قال : وكلّ موضع ذكر فى وصف الكتاب « آتينا » فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه « أوتو » لأن « أوتوا » قد يقال إذا أُوتىَ من لم يكن منه قبول ، « وآتيناهم » يقال فيمن كان منه قبول .

ومن ذلك السنة والعام ؛ قال الراغب : الغالب استعمال السنة فى الحوْل الذى فيه الشّدّة والجدب ، ولهذا يعبّر عن الجدب بالسنَة ، والعام

---

(١) آل عمران ٢٦
(٢) البقرة ٢٦٩
(٣) الحجر ٨٧
(٤) الكوثر ١
(٥) الضحى ٥
(٦) طه ٥٠
(٧) التوبة ٢٩
(٨) البقرة ٢٧٧
(٩) البقرة ١٧٧

مافيه الرّخاء والخصْب ، وبهذا تظهر النكتة فى قوله : ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ (١) ؛ حيث عبّر عن المستثنى بالعام وعن المستثنى منه بالسنة .

• • •

قاعدة فى السؤال والجواب

الأصل فى الجواب أن يكون مطابقًا للسؤال ، إذا كان السؤال متوجّها ، وقد يُعْدَل فى الجواب عما يقتضيه السؤال ، تنبيهًا على أنّه كان من حقّ السؤال أن يكون كذلك ، ويسمّيه السكاكى : الأُسلوب الحكيم .

وقد يجىء الجواب أعمّ من السؤال للحاجة إليه فى السؤال ، وقد يجىء أنقص لاقتضاء الحال ذلك .

مثال ما عدل عنه قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ ﴾ (٢) سألوا عن الهلالِ : لم يبدو دقيقًا مثل الخيط . ثم يتزايد قليلا قليلا حتى يمتلىء ، ثم لايزال ينقص حتى يعود كما بدأ ؟ فأُجيبوا ببيان حكمة ذلك ، تنبيهًا على أنّ الأهمّ السؤال عن ذلك لا ما سألوا عنه ؛ كذا قال السّكّاكىّ ومتابعوه. واسترسل التفتازانىّ فى الكلام إلى أن قال : لأنهم ليسوا ممّن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة .

وأقول : ليت شعرى ، من أينَ لهم أنّ السؤال وقع عن غير ما حصل الجواب به ! وما المانع من أن يكون إنّما وقع عن حكمةِ ذلك ليعلموها ، فإنّ نظمَ الآية محتمل لذلك ، كما أنه محتمل لما قالوه . والجواب ببيان الحكمة دليل على ترجيح الاحتمال الّذى قلناه ، وقرينةٌ ترشد إلى ذلك ؛

---

(١) العنكبوت ١٤ (٢) البقرة ١٨٩

إذ الأصل فى الجواب المطابقة للسؤال ، والخروج عن الأصل يحتاج إلى دليل ولم يرد بإسناد لاصحيح ولا غيره أنّ السؤال وقع على ما ذكروه ؛ بل ورد ما يؤيد ما قلناه ؛ فأخرج ابن جرير عن أبى العالية ، قال : بلغنا أنّهم قالوا : يارسول الله ، لِمَ خُلِقَتِ الأَهلَّة ، فأنزل الله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ ﴾ ، فهذا صريح فى أنّهم سألوا عن حكمة ذلك ، لا عن كيفيته من جهة الهيئة .

ولا يظن ذُو دين بالصحابة الَّذين هم أدقُّ فهما ، وأغزر علمًا ، أنهم ليسوا ممن يطَّلع على دقائق الهيئة بسهولة ، وقد اطلع عليها آحاد العجم الَّذين أطبق الناس على أنهم أبلد أذهانًا من العرب بكثير ؛ هذا لو كان للهيئة أصل مُعتبر ، فكيف وأكثرها فاسد لا دليل عليه ! وقد صنَّفت كتابًا فى نقض أكثر مسائلها بالأدلة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى صعد إلى السماء ، ورآها عيانًا ، وعلم ما حوتْه من عجائب الملكوت بالمشاهدة ، وأتاه الوحى من خالقها . ولو كان السؤال وقع عمّا ذكروه لم يمتنع أن يجابوا عنه بلفظ يصل إلى أفهامهم ؛ كما وقع ذلك لمّا سألوا عن المجرّة وغيرها من الملكوتيات ، نعم المثال الصحيح لهذا القسم ، جواب موسى لفرعون حيث قال : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ قَالَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ (١) ، لأنّ « ما » سؤالٌ عن الماهية والجنس ؛ ولما كان هذا السؤال فى حق البارئ سبحانه وتعالى خطأً لأنه لا جنس له فيذكر ، ولا تدرك ذاته ، عَدَل إلى الجواب بالصواب ، ببيان الوصف المرشِد إلى معرفته ؛ ولهذا تعجّب فرعون من عدم مطابقته للسؤال ، فقال لمن حوله : ﴿ ألا تَسْتَمِعُونَ ﴾ (١) ، أى جوابه الذي لم يطابق السؤال ، فأجاب موسى بقوله : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُم

---

(١) الشعراء ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥

الأَوَّلِينَ ﴾ (١) ، المتضمن إبطال ما يعتقدونه من ربوبية فرعون نصا وإن كان دخل فى الأول ضمنا إغلاظًا ،فزاد فرعون فى الاستهزاء ، فلما رآهم موسى لم يتفطنوا . أغلظ. فى الثالث بقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١).

ومثال الزيادة فى الجواب قوله تعالى : ﴿ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كلِّ كَرْبٍ ﴾ (٢) فى جواب : ﴿ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ والْبَحْرِ ﴾ (٢) .

وقول موسى : ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى ﴾ (٣) فى جواب : ﴿ ومَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ (٣) زاد فى الجواب استلذاذًا بخطاب الله تعالى .

وقول قوم إبراهيم : ﴿ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ (٤) فى جواب : ﴿ ما تَعْبُدُونَ ﴾ (٤) ، زادوا فى الجواب إظهارًا للابتهاج بعبادتها والاستمرار على مواظبتها ليزداد غيظ. السائل .

ومثال النقص منه ، قوله تعالى : ﴿ قُلْ ما يَكُونُ لِى أَنْ أُبَدِّلَه ﴾ (٥) ، فى جواب : ﴿ ائْتِ بقرآنٍ غيرِ هَذا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ (٥) ، أجاب عن التبديل دون الاختراع . قال الزمخشرى : لأن التبديل فى إمكان البشر دون الاختراع . فطوى ذكره للتنبيه على أنه سؤال محال .

وقال غيره : التَّبديل أسهل من الاختراع ، وقد نفى إمكانه ، فالاختراع أوْلى .

• • •

(١) الشعراء ٢٦ ، ٢٨
(٢) الأنعام ٦٣ ، ٦٤
(٣) طه ١٨
(٤) الشعراء ٧١
(٥) يونس ١٥

تنبيه

قد يُعْدَل عن الجواب أصلاً ؛ إذا كان السائل قصده التعنُّت ، نحو : ﴿ ويَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾[١] ، قال صاحب الإفصاح : إنما سأل اليهود تعجيزاً وتغليطًا ، إذْ كان الروح يقال بالاشتراك على روح الإنسان والقرآن وعيسى وجبريل وملك آخر وصنف من الملائكة ؛ فقصد اليهود أن يسألوه ، فبأىّ مسمًّى أجابهم قالوا : ليس هو ، فجاءهم الجواب مجملا ، وكان هذا الإجمال كيدًا يردُّ به كيدهم

• • •

قاعدة

قيل : أصل الجواب أن يعاد فيه نفس السؤال ، ليكون وفْقَه ؛ نحو : ﴿ أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ ﴾[٢] ، فـ « أنا » فى جوابه هو « أنت ؟ » فى سؤالهم . وكذا ﴿ أَأَقْرَرْتُمْ وأَخَذْتُم عَلَى ذَلِكُم إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا ﴾[٣] ؛ فهذا أصله ، ثم إنهم أتوا عِوَض ذلك بحروف الجواب اختصاراً وتركًا للتكرار .

وقد يُحذَف السؤال ثقَةً بفهم السامع بتقديره ، نحو : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾[٤] ؛ فإنه لايستقيم أن يكون السؤال والجواب من واحدٍ ؛ فتعيَّن أن يكون « قل الله » جواب سؤال ، كأنهم سألوا لمَّا سمعوا ذلك : فمن يبدأ الخلق ثم يعيده ؟

---

(١) الاسراء ٨٥ (٢) يوسف ٩٠

(٣) آل عمران ٨١ (٤) يونس ٣٤

قاعدة

الأصل فى الجواب أن يكون مشاكلا للسؤال ؛ فإن كان جملة اسمية فينبغى أن يكون الجواب كذلك . ويجىء كذلك فى الجواب المقدّر ؛ إلا أن ابن مالك قال فى قولك : زيد ، فى جواب مَنْ قرأ ؟ إنه من باب حذف الفعل ، على جعل الجواب جملة فعلية . قال : وإنَّما قدرته كذلك لامبتدأ مع احتماله ، جريا على عادتهم فى الأجوبة إذا قصدوا تمامها ، قال تعالى : ﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ • قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا ﴾ [1] . ﴿ ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [2] ، ﴿ يسألونَكَ ماذا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَات ﴾ [3] فلمّا أتى بالفعلية مع فوات مشاكلة السؤال ؛ عُلِم أن تقدير الفعْل أوّلاً أولى . انتهى .

وقال ابن الزَّمْلَكانىّ فى البرهان : أطلق النحويّون القول بأن زيدًا فى جواب من قام ؟ فاعل ، على تقدير قام زيد ، والذى تُوجبه صناعة علم البيان ، أنه مبتدأ لوجهين : أحدهما : أنه يطابق الجملة المسئول بها فى الاسمية ، كما وقع التطابُق فى قوله : ﴿ وقيل لِلَّذِينَ اتَّقَوا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ [4] فى الفعلية ، وإنما لم يقع التطابق فى قوله : ﴿ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أساطيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ [5] ، لأنهم لو طابقوا لكانوا مقرّين بالإنزال ؛ وهم من الإذعان به على مفاوز .

الثانى : أن اللَّبس لم يقع عند السائل إلَّا فيمن فعل الفعل . فوجب

---

(١) يس ٧٨ ، ٧٩ (٢) الزخرف ٩

(٣) المائدة ٤ (٤) النحل ٣٠

(٥) النحل ٢٤

أن يتقدَّم الفاعل فى المعنى ؛ لأنه متعلَّق غرض السائل ، وأما الفعل فمعلوم عنده ، ولا حاجة به إلى السؤال عنه ؛ فحرىٌّ أن يقع فى الأواخر التى هى محلّ التكملات والفضلات .

وأشكل على هذا ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ﴾ [١] فى جواب : ﴿ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا ﴾[١] فإن السؤال وقع عن الفاعل لا عن الفعل . فإنهم لم يستفهموه عن الكسر ، بل عن الكاسر . ومع ذلك صدر الجواب بالفعل .

وأجيب بأن الجواب مقدَّر دلَّ عليه السياق ؛ إذ « بل » لا تصلح أن يصدَّر بها الكلام . والتقدير : « ما فعلته بَلْ فَعَلَهُ » .

قال الشيخ عبد القاهر : حيث كان السؤال ملفوظاً به فالأكثرُ تركُ الفعلِ فى الجواب والاقتصارُ على الاسم وحده . وحيث كان مضمرًا فالأكثرُ التصريحُ به لضعف الدلالة عليه . ومن غير الأكثر ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ • رِجَالٌ ﴾ [٢] ، فى قراءة البناء للمفعول .

فائدة

أخرج البزّار عن ابن عباس قال : ما رأيت قومًا خيرا من أصحاب محمد . ما سألوه إلا عن اثنتى عشرة مسألة كلها فى القرآن .

وأورده الإمام الرازى بلفظ « أربعة عشر حرفًا » . وقال : منها ثمانية فى البقرة :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾ [٣] .

---

(١) الأنبياء ٦٢ ، ٦٣ (٢) النور ٣٦ ٣٧

(٣) البقرة ١٨٦

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ ﴾[1] .

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ ﴾[2] .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾[3] .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾[4] .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ﴾[5] .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾[6] .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾[7] .

والتاسع : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾[8] في المائدة .

والعاشر : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ ﴾[9] .

والحادي عشر : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾[10] .

والثاني عشر : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾[11] .

والثالث عشر : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾[12] .

والرابع عشر : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾[13] .

---

(١) البقرة ١٨٩
(٢) البقرة ٢١٥
(٣) البقرة ٢١٧
(٤) البقرة ٢١٩
(٥) البقرة ٢٢٠
(٦) البقرة ٢١٩
(٧) البقرة ٢٢٢
(٨) المائدة ٤
(٩) الأنفال ١
(١٠) النازعات ٤٢
(١١) طه ١٠٥
(١٢) الاسراء ٨٥
(١٣) الكهف ٨٣

قلت : السائل عن الروح وعن ذى القرنين مشركو مكة واليهود كما فى أسباب النزول لا الصحابة ، فالخالص اثنا عشر كما صحّت به الرواية .

• • •

فائــدة

قال الراغب : السؤال إذا كان للتعريف تعدّى إلى المفعول الثانى ؛ تارة بنفسه وتارة بـ «عن» وهو أكثر . نحو : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ [١] ، وإذا كان لاستدعاء مال فإنه يعدّى بنفسه أو بمن ، وبنفسه أكثر . نحو : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [٢] . ﴿ وَاسْأَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ ﴾ [٣] ، ﴿ وَاسْأَلُوا اللهَ من فَضْلِهِ ﴾ [٤]

• • •

قاعدة فى الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل

الاسم يدلّ على الثبوت والاستمرار ، والفعل يدل على التجدّد والحدُوث ، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ ﴾[٥] . و [لو][*] قيل : « يبسط » لم يؤد الغرض . لأنه يؤذن بمزاولة الكلب البسط ، وأنه يتجدد له شىء بعد شىء ، فباسط أشعر بثبوت الصفة .

وقوله : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ ﴾ [٦] . لو قيل « رازقكم » لفات

---

(١) الاسراء : ٨٥
(٢) الأحزاب ٥٣
(٣) الممتحنة ١٠
(٤) النساء ٣٢
(٥) الكهف ١٨
(٦) فاطر ٣
(*) اضافة يقتضيها السياق

ما أفاده الفعل من تجدّد الرزق شيئًا بعد شيء ؛ ولهذا جاءت الحال فى صورة المضارع ، مع أن العامل الذى يفيده ماضٍ ، نحو : ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُم عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ (١) ، إذ المراد أن يفيد صورة ما هم عليه وقت المجيء ، وأنهم آخذون فى البكاء يجدّدونه شيئًا بعد شيء ؛ وهو المسمى حكاية الحال الماضية ، وهذا هو سرّ الإعراض عن اسم الفاعل والمفعول ؛ ولهذا أيضا عُبّر بـ « الذين ينفقون » ولم يقل : « المنفقون » ، كما قيل : المؤمنون والمتقون ، لأنّ النفقة أمر فعلىّ شأنه الانقطاع والتجدّد ، بخلاف الإيمان ، فإن له حقيقة تقوم بالقلب ، يدوم مقتضاها ، وكذلك التقوى والإسلام والصبر والشكر والهدي والعمى والضلالة والبصر ؛ كلُّها لها مسمَّيات حقيقية أو مجازية تستمرّ ، وآثار تتجدّد وتنقطع ، فجاءت بالاستعمالين .

وقال تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّت مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ (٢) ، قال الإمام فخر الدين : لمّا كان الاعتناء بشأن إخراج الحىّ من الميت أشدّ ، أتى فيه بالمضارع ، ليدلّ على التجدّد كما فى قوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (٣)

• • •

تنبيهات

الأول : المراد بالتجدّد فى الماضى الحصول ، وفى المضارع أن من شأنه أن يتكرّر ويقع مرة بعد أخرى . صرّح بذلك جماعة ؛ منهم الزمخشرىّ فى قوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (٣)

---

(١) يوسف ١٦ (٢) الأنعام ٩٥
(٣) البقرة ١٥

قال الشيخ بهاء الدين السبكىّ : وبهذا يتّضح الجواب عمّا يورد من نحو « علم الله كذا » ، . ، فإن علم الله لا يتجدد ، وكذا سائر الصفات الدائمة التى يستعمل فيها الفعل ، وجوابه أن معنى « عَلِمَ اللهُ كذا » وقع علمه فى الزمن الماضى ، ولا يلزم أنه لم يكن قبل ذلك ، فإن العلم فى زمن ماض أعمّ من المستمرّ على الدوام قبل ذلك الزمن وبعده وغيره ، ولهذا قال تعالى حكاية عن إبراهيم : ﴿ الذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ... ﴾ (١) ، الآيات ، فأتى بالماضى فى الخلق ، لأنه مفروغ منه ، وبالمضارع فى الهداية والإطعام والإسقاء والشفاء ، لأنها متكرّرة متجدّدة تقع مرة بعد أخرى .

الثانى : مضمر الفعل فيما ذكر كمُظهره ، ولهذا قالوا : إنّ سلام الخليل أبلغ من سلام الملائكة حيث ﴿ قالوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ (٢) ، فإن نصب « سلامًا » إنما يكون على إرادة الفعل ، أى سلمنا سلامًا ، وهذه العبارة مؤذنة بحدوث التسليم منهم ، إذ الفعل متأخّر عن وجود الفاعل ، بخلاف سلام إبراهيم ، فإنه مرتفع بالابتداء ، فاقتضى الثبوت على الإطلاق ، وهو أولى مما يعرض له الثبوت ، فكأنه قصد أن يحيّيهم بأحسن مما حيّوْه به .

الثالث : ما ذكرناه من دلالة الاسم على الثبوت ، والفعل على التجدّد والحدوث ، هو المشهور عند أهل البيان ؛ وقد أنكره أبو المطرّف بن عميرة فى كتاب التمويهات على التبيان لابن الزَّمْلكانىّ ، وقال : إنه غريب لا مستَنَد له ، فإن الاسم إنما يدلّ على معناه فقط ؛ أما كونه يُثبت المعنى للشىء فلا . ثم أورد قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ • ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (٣) ،

---

(١) الشعراء ٧٨ (٢) هود ٦٩

(٣) المؤمنون ١٥ ، ١٦

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

وقال ابن المنيّر : طريقة العربية تلوين الكلام ، ومجيء الفعلية تارة والاسمية أخرى من غير تكلُّف لما ذكروه ، وقد رأينا الجملة الفعلية تصدر من الأقوياء الخلَّص اعتمادًا على أن المقصود حاصل بدون التأكيد ، نحو : ﴿ رَبَّنَا آمنَّا ﴾ (٢) ، ولاشىء بعد ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ﴾ (٣) . وقد جاء التأكيد فى كلام المنافقين ، فقالوا : ﴿ إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (٤) .

قاعدة فى المصدر

قال ابن عطية : سبيل الواجبات الإتيان بالمصدر مرفوعًا ،كقوله تعالى . ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْتَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ (٥) ، ﴿ فاتِّبَاعٌ بِالمعرُوفِ وَأَدَاء إِليهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ (٦) ، وسبيلُ المندوبات الإتيان به منصوبًا ، كقوله تعالى : ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ (٧) ، ولهذا اختلفوا : هل كانت الوصية للزوجات واجبة لاختلاف القراءة فى قوله : ﴿ وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ ﴾ (٨) بالرفع والنصب .

قال أبو حيّان : والأصل فى هذه التفرقة فى قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا سَلَاما قالَ سَلَامٌ ﴾ (٩) فإن الأول مندوب . والثانى واجب ، والنكتة فى ذلك أن الجملة الاسمية أثبت وآكد من الفعلية .

• • • •

(١) المؤمنون ٥٧ ، ٥٨
(٢) آل عمران ٥٣
(٣) البقرة ٢٨٥
(٤) البقرة ١١
(٥) البقرة ٢٢٩
(٦) البقرة ١٧٨
(٧) محمد ٤
(٨) البقرة ٢٤٠
(٩) الذاريات ٢٥

قاعدة فى العطف

هو ثلاثة أقسام :

عطف على اللفظ ، وهو الأصل ، وشرطه إمكان توجّه العامل إلى المعطوف .

وعطف على المحل ، وله ثلاثة شروط : أحدها إمكان ظهور ذلك المحل فى الصحيح ، فلا يجوز مررت بزيد وعمرًا ، لأنه لا يجوز مررت زيدًا .
الثانى : أن يكونَ الموضع بحقّ الأصالة ، فلا يجوز « هذا الضارب زيدًا وأخيه » ؛ لأنّ الوصف المستوفى لشروط العمل الأصلُ إعماله لا إضافته . الثالث : وجود المحرز ، أى الطالب لذلك المحلّ ، فلا يجوز « إن زيدًا وعمرًا قاعدان » ، لأن الطالب لرفع عمرو هو الابتداء ، وهو قد زال بدخول « إن » . . وخالف فى هذا الشرط الكسائىّ مستدلا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هَادُوا والصَّابِئُونَ .. ﴾ (١) الآية . وأجيب ، بأن خبر « إنَّ » فيها محذوف ، أى مأجورون أو آمنون . ولا تختصّ مراعاة الموضع بأن يكون العامل فى اللفظ زائدًا . وقد أجاز الفارسىّ فى قوله : ﴿ وأُتْبِعُوا فى هَذِهِ الدُّنيا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ (٢) ، أن يكون يوم القيامة عطفًا على محلّ هذه .

وعطف التوهم ، نحو « ليس زيد قائما ولا قاعدٍ » بالخفض على توهّم دخول الباء فى الخبر . وشرط جوازه صحة دخول ذلك العامل المتوهم ، وشرط حسنه كثرة دخوله هناك . وقد وقع هذا العطف فى المجرور فى قول زهير :

بَدَالِىَ أنى لَسْتُ مُدْرِكَ مَا مَضَى ... وَلاَ سَابِقٌ شَيْئًا إذا كان جائيًا

(١) المائدة ٦٩ (٢) هود ٦٠

وفى المجزوم فى قراءة غير أبى عمرو ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ ﴾ (١) خرّجه الخليل وسيبويه على أنه عطف على التوهم ، لأن معنى « لَوْلَا أَخَّرْتَنِي فَأَصَّدَّقَ » ومعنى « أخّرنى أصّدّق » واحد ، وقراءة قنبل : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرْ ﴾ (٢) ، خرّجه الفارسى عليه لأن مَنْ الموصولة فيها معنى الشرط .

وفى المنصوب فى قراءة حمزة وابن عامر : ﴿ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ (٣) بفتح الباء ، لأنه على معنى « وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ » .

وقال بعضهم فى قوله تعالى : ﴿ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ ﴾ (٤) : إنه عطف على معنى ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا ﴾ (٥) ، وهو إنّا خلقنا الكواكب فى السماء الدنيا زينة للسماء .

وقال بعضهم فى قراءة : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُوا ﴾ (٦) : إنه على معنى « أن تدهنَ » .

وقيل فى قراءة حفص : ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ ﴾ (٧) ، بالنصب : إنه عطف على معنى « لعلّى أن أبلغ » . لأنّ خبر « لعلّ » يقترن بأن كثيرا .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ ﴾ (٨) . إنه على تقدير « ليبشركم وليذيقكم » .

---

(١) المنافقون ١٠ ، وانظر تفسير القرطبى ١٨ / ١٣١

(٢) يوسف ٩٠ وهى قراءة ابن كثير . وانظر تفسير القرطبى ٩ : ٢٥٧

(٣) هود ٧١

(٤) الصافات ٧

(٥) الصافات ٦

(٦) القلم ٩

(٧) غافر ٣٦ ، ٣٧

(٨) الروم ٤٦

تنبيه

ظن ابن مالك أنّ المراد بالتوهّم الغلط ، وليس كذلك ، كما نبّه عليه أبو حيان وابن هشام ، بل هو مقصدٌ صواب ، والمراد أنه عطف على المعنى ، أى جوّز العربىّ فى ذهنه ملاحظة ذلك المعنى فى المعطوف عليه ، فعطف ملاحظًا له ، لا أنه غلط فى ذلك ، ولهذا كان الأدب أن يقال فى مثل ذلك فى القرآن : إنه عطف على المعنى .

مسألة

اختُلف فى جواز عطف الخبر على الإنشاء وعكسه ، فمنعه البيانيون وابن مالك وابن عصفور ، ونقله عن الأكثرين ، وأجازه الصفّار وجماعة ، مستدلّين بقوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[1] فى سورة البقرة ، ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] فى سورة الصفّ .

وقال الزمخشرىّ فى الأولى : ليس المعتَمد بالعطف الأمر حتى يُطلبَ له مشاكِل ، بل المراد عطف جملة ثواب المؤمنين على جملة ثواب الكافرين .

وفى الثانية : إن العطف على « تؤمنون » ، لأنه بمعنى « آمنوا » . ورُدَّ بأن الخطاب به للمؤمنين ، وبـ « بشّر » للنبي صلى الله عليه وسلم ، وبأن الظاهر فى « تؤمنون » أنه تفسير للتجارة لا طلب .

وقال السكاكىّ : الأمران معطوفان على « قل » مقدّرة ، قبل « يأيها » وحذفُ القوْل كثير .

• • •

---

(١) البقرة ٢٥ (٢) الصف ١٣

مسألة

اختُلف فى جواز عطف الاسمية على الفعلية وعكسه ، فالجمهور على الجواز ، وبعضهم على المنع ، وقد لهج به الرازى فى تفسيره كثيرا ، . ورُدَّ به على الحنفيّة القائلين بتحريم أكل متروك التسمية أخذًا من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ (١) فقال : هى حجة للجواز لا للتحريم ، وذلك أن الواو ليست عاطفة لتخالف الجملتين بالاسمية والفعلية ، ولا للاستئناف ؛ لأن أصل الواو أن تربط ما بعدها بما قبلها ، فبقى أن تكون للحال ، فتكون جملة الحال مقيِّدة للنهى ، والمعنى : لا تأكلوا منه فى حال كونه فسقا ، ومفهومه جواز الأكل إذا لم يكن فسقًا ، والفسق قد فسَّره الله تعالى بقوله : ﴿ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ (٢) ، فالمعنى لا تأكلوا منه إذا سُمِّىَ عليه غير الله . ومفهومه : فكلوا منه إذا لم يسمَّ عليه غيرُ الله تعالى . انتهى .

قال ابن هشام : ولو أبطل العطف بتخالف الجملتين بالإنشاء والخبَر لكان صوابًا .

مسألة

اختلف فى جواز العطف على معمولَىْ عاملين ، فالمشهور عن سيبويه المنع ، وبه قال المبرِّد وابن السرّاج وهشام ، وجوّزه الأخفش والكسائى والفرّاء والزّجّاج ، وخرّج عليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۞ وَاخْتِلَافِ

---

(١) الأنعام ١٢١ (٢) الأنعام ١٤٥

اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١) ، فيمن نصب « آياتٍ » الأخيرة .

مسألة

اختلف فى جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجارّ ، فجمهور البصريِّين على المنع ، وبعضهم والكوفيّون على الجواز ، وخرّج عليه قراءة حمزة : ﴿ واتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءلُونَ بِهِ والأَرْحَامِ ﴾ (٢) .

وقال أبو حيّان فى قوله تعالى : ﴿ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ والْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (٣) : إن المسجد معطوف على ضمير « به » ، وإن لم يُعَد الجار . قالَ : والذى نختاره جواز ذلك لوروده فى كلام العرب كثيرًا نظمًا ونثرًا ، قال : ولسنا متعبّدين باتّباع جمهور البصريِّين بل نتبع الدليل .

• • •

تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث

وأوله النوع الثالث والأربعون فى المحكم والمتشابه .

---

(١) الجاثية ٣ ـ ٥

(٢) النساء ١ ، وهى قراءة حمزة وانظر تفسير القرطبى ٥ : ٢

(٣) البقرة ٢١٧

فهرس الموضوعات

صـــفحة

صفحة

• • •

صـــفحة

النوع التاسع والثلاثون

• • •

صفحة

النوع الأربعون

فى معرفة الأدوات التى يحتاج إليها المفسّر ١٦٦

صـــفحة

صــفحة

صـــفحة

• • •

النوع الثانى والأربعون

فى قواعد مهمة يحتاج المفسّر إلى معرفتها

صـفحة